

ليون تولستوي

ترجمة إميل بيدس

أنا كارينينا

ضبط لفتها و وضع أسلتها و قدم لها
د. جوزيف الياس

دارالعلم للملادين

مقدمة

حين صدرت المناهج التربوية الجديدة في لبنان سنة ١٩٩٧، جاء في منهج «اللغة العربية وآدابها» بند خاص بـ«الثقافة الأدبية العالمية». وعُمل، في الأهداف الخاصة للمنهج، اختياراً الآثار الأدبية العالمية للمطالعة الموجهة في المرحلة الثانوية، فجاء في التعليل أنها اختيرت «لتنمية ثقافة المتعلم الأدبية بالتعرّف إلى نماذج من روائع الأدب العالمي ذات النزعة الإنسانية». وهكذا اختيرت رواية أنا كارنينا (أو: أنا كارنين) للسنة الأولى الثانوية، وخصّص لها نصاب تدريس قدره عشر ساعات من مئة وخمسين ساعة وهي مجموع نصاب تدريس اللغة العربية وآدابها في السنة الأولى من المرحلة الثانوية.

لقد فكّرنا طويلاً قبل اختيار هذه الترجمة، وتردّدنا بين الشروع في ترجمة جديدة، واللجوء إلى إحدى الترجمات القديمة الموجزة، أو اللجوء إلى ترجمة مطوّلة، فكانت الخيارات أمامنا جدّ محدودة. فالترجمة الأمينة قد تتعدّى الألف من الصفحات، وبين يدينا نسخة من هذا النموذج المطول، هي تلك التي وضعها الأستاذ صيّاح الجّهيم، ونشرتها وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية سنة ١٩٨٤، فجاءت في ثلاثة أجزاء، وفي ما يربو على ألف وأربع مئة صفحة. أمّا الترجمات الأخرى والأكثر شيوعاً في العالم العربيّ، فمعظمها من النوع البالغ الإيجاز، حتّى لتراه أقرب إلى أنموذج «كتاب الجيب».

وبعد جهد وتفكير، وأخذ وردّ، وقع اختيارنا على ترجمة معتدلة القطع أو الحجم، وفي موقع وسط، فأينها تلائم المستوى التربويّ المطلوب. وهي تلك التي وضعها الأستاذ إميل خليل بيدس. والمترجم كاتب وأديب معروف نقل عن الإنكليزية عدداً غير قليل من الكتب الأدبية. ونحن إذ نذكر المترجم الآن، فالواجب يقتضينا أن نترحم عليه، بعد أن جاءنا نعيه ونحن نخطّ السطور الأولى من مسوّد هذه المقدّمة، إذ توفاه الله يوم ١٦ أيلول ١٩٩٨. أمّا الترجمة التي ندرس، أي ترجمة الأستاذ بيدس، فتتألّف من أربعة أقسام رئيسة، فيها تسعة وثلاثون فصلاً وخاتمة.

منهجنا في إخراج هذه الترجمة إخراجًا تربويًا ناجحًا، هو الأمانة في الحفاظ على النصّ، ما دام النصّ سليم اللّغة منزّهًا عن الرّكاكة واللّحن والعجمة، معبرًا عن فكر المؤلّف بيسر وسهولة. فنحن قد عمدنا إلى النصّ المترجم، فراجعناه مراجعة لغويّة صرفًا، وتداركنا ما فيه من خلل، وضبطناه بالشّكل ضبطًا تامًا، وشرحنا من مفرداته ما وجدناه جديرًا بالشرح، عسيرًا على فهم التلميذ، ثمّ ذيلنا كلّ فصل بطائفة من الأسئلة، فبلغ مجموع الأسئلة في ذيل الفصول والخاتمة ثلاث مئة وأربعة وعشرين سؤالًا.

وحين انتهينا من الفصول والخاتمة تصحيحًا وضبطًا واستثمارًا، وضعنا حول الرواية طائفة من الأسئلة التحليليّة العامّة، التي بوبناها تحت خمسة عناوين رئيسة، وبلغ عددها واحدًا وأربعين سؤالًا. وبذلك يكون مجموع ما طُرِحَ من أسئلة حول الرواية كلّها ثلاث مئة وخمسة وستين سؤالًا.

ولربّما خال الدّارس أو قارئ الرواية أنّنا توقّفنا هنا واكتفينا بهذا القدر؛ وإذ ذاك يكون من حقّه أن يسألنا المزيد، وأن يتساءل: أين الدّراسة والتحليل والتّقد وما إلى ذلك؟ والتّساؤل هنا طبيعيّ ومشروع. لذا نقول لزملائنا وإخواننا الأساتذة وأبنائنا الطّلبة إنّ العمل لم ينتهِ بعد، والرّسالة لم تُؤدِّد على وجهها الأكمل. فإليكم الآن الرواية بوضعها الحاضر وبالشّكل الذي انتهت إليه. نقول هذا لمن شاء أن يكتفي بهذا القدر من العمل، ولمن اكتفى بما طُرِحَ حول العمل الرّوائيّ من أسئلة وأخذ ما تبقى من درس وتحليل على عاتقه. أمّا من شاء الاستزادة وطلب إلينا الدّرس والتحليل، فسيأتيه ما يشاء فور صدور هذه الرواية، وهو دراسة تحليليّة نقدية شاملة تصدر في كتيب مستقلّ كيلا تؤثر سلبيًا في الرواية، فتضعف دور الأسئلة التحليليّة، أو تفقدها مسوّغ وجودها إن هي ألحقت بها.

هذه هي رواية «أنا كارنينا» أو «أنا كارنين» في لغة بعضهم، فعسى أن يجد فيها أبنائنا التّلامذة المتعة والفائدة، وأن يجد فيها زملائنا الأساتذة ضالّتهم المنشودة وكتابهم الأفضل.

الأهداف التعلّمية*

- جاء في الأهداف التعلّمية لمادّة الثقافة العالميّة أنّ تعليم هذه المادّة يهدف إلى جعل المتعلّم قادرًا على:
- التعرّف بنماذج من روائع الأدب العالميّ ذات التّزعة الإنسانيّة المنقولة إلى اللّغة العربيّة.
 - التزوّد بقراءة هادفة تعزّر فيه الميل إلى حبّ المطالعة، فيتدرّب عليها تفسيرًا وتلخيصًا ومناقشةً، إسهامًا في بناء شخصيّته فكريًا واجتماعيًا وجماليًا.
 - التّمكّن المتدرّج من مقارنة هذه الآثار بما يعرفه من الأدب العربيّ.
 - تنمية خياله وذوقه بنماذج متنوّعة من التّصوير الأدبيّ والمعالجة الفنّيّة.

الوسائل والأنشطة

- إعداد بحث تحضيريّ موجز يتناول سيرة المؤلّف وأعماله.
- تلخيص الأثر المدروس أو جزء منه.
- توزيع المتعلّمين مجموعات يتولّى كلّ منها دراسة عنصر من عناصر الأثر أو جزء منه ثمّ عرضه ومناقشته.
- إستضافة كاتب أو ناقد وإجراء حوار معه حول الأثر وما يطرحه من قضايا.
- قراءة الأثر ثمّ مشاهدته فيلمًا سينمائيًا في حال توافره والمقارنة بينهما.
- نقل جزء من الأثر المدروس إلى عمل إذاعيّ أو مسرحيّ في إطار المدرسة.
- إعداد جداول مقارنة بين شخصيّات الأثر المدروس.

(*) «تفاصيل محتوى منهج مادّة اللّغة العربيّة وآدابها»، التّعميم ٢٩/م/٩٧، ١ آب ١٩٩٧، ص ٥٢.

تولستوي (Tolstoi)

أولاً - حياته

ولد ليون نيكولايفيتش تولستوي يوم ٢٨ آب ١٨٢٨ في «ياسنايا پوليانا» من أعمال مقاطعة «تولا» في روسيا القيصرية، وفي بيت عريق النّسب، إذا كان أبوه يحمل لقب «الكونت» وأمّه تحمل لقب «الأميرة». بيد أنّ أمّه تُوفيت وهو في الثالثة، فأُسندت تربيته إلى إحدى عمّاته. وبعد سنوات قليلة تُوفّي الأب، فوُضِع أولاده تحت وصاية عمّتهم، ثمّ أقاموا سنة ١٨٤١ عند عمّة أخرى.

إلتحق تولستوي سنة ١٨٤٤ بكلّيّة اللّغات الشّرقية، لكنّه ما لبث أن عدل عنها في العام التالي إلى كلّيّة الحقوق. ثمّ ترك الجامعة قبل أن ينهي دراسة الحقوق، وعاد إلى «ياسنايا پوليانا» ليدبر أملاكه الشّاسعة ويعيش حياة الملاكين الكبار.

إلتحق سنة ١٨٥١ بجيش القوقاز، وتدرّج في الرّتب حتّى بات مؤهّلاً لرتبة ضابط، وشارك في العمليّات الحربيّة ضدّ المتمرّدين القوقاز.

شرح يكتب سنة ١٨٥١، وفي العام التالي بدأ ينشر في مجلّة «المُعاصر» الجزء الأوّل من سيرته الذاتيّة تحت عنوان «طفولة».

وفي سنة ١٨٥٤، انتقل تولستوي إلى «جيش الدانوب» حيث رُقي إلى رتبة ملازم، ثمّ ألحق - بناء على طلبه - بجيش القرم، وشهد حصار سيّاستبول. وفي سنة ١٨٥٥ شرعت مجلّة «المُعاصر» تنشر الجزء الثاني من سيرته تحت عنوان «مراهقة»، كما نشرت له بعض أقاصيص الحرب. وفي السنّة التّالية (١٨٥٦)، استقال من الجيش وعاد إلى «ياسنايا پوليانا»، وهناك تابع كتابة القصص ونشرها.

وفي العام ١٨٥٧، كانت بداية أسفار تولستوي إلى الخارج، حيث جال في بضع دول

أوروبيّة. ولمّا عاد إلى روسيا كتب ينتقد الغرب متّهماً إيّاه بالمادّيّة والبعد عن الرّحمة والإنسانيّة. وفي أواخر هذا العام، نُشر الجزء الثالث من سيرته تحت عنوان «شباب». وتابع الكتابة الأدبيّة في العامين التّاليتين، فنشر بعض أقاصيصه، وأبرزها «ألبير» (١٨٥٩).

غادر تولستوي روسيا سنة ١٨٦٠ في سفرة ثانية إلى الخارج، فزار معظم بلدان أوروبا الغربيّة، واطّلع على مناهج التّعليم الابتدائيّ في الغرب، فرفض النّظّم التربويّة الأوروبيّة لاعتمادها على الإكراه.

عاد تولستوي إلى بلاده ليُعيّن عضواً في لجنة الوساطة، وحكّما في الخلافات التي نجمت عن مرسوم إعتاق «القرن»^(١)؛ لكنّه ما لبث أن استعفى في العام التّالي (١٨٦٢) من عضويّة اللّجنة، وانصرف إلى التّعليم في مدرسته؛ ثمّ أنشأ مجلّة تربويّة حملت اسم «أيا سنايا پوليانا» لنشر مبادئ نظامه التربويّ.

تزوّج تولستوي سنة ١٨٦٢، وانصرف في السّنوات التّالية إلى إدارة أملاكه، فاشترى أراضيّ جديدة، واهتمّ بتربية الماشية. بيد أنّه تابع، في الوقت نفسه، نشاطه الأدبيّ، فنشر عدداً من القصص أهمّها «القوزاق». ثمّ يّم وجهه شطر العمل الرّوائيّ المطوّل، فشرع في كتابة روايته «الحرب والسّلم»، التي بدأت تُنشر فصولاً في مجلّة «المُراسل الرّوسي» سنة ١٨٦٥، ثمّ نشرت كاملة سنة ١٨٦٨.

إنقطع تولستوي بعد «الحرب والسّلم» عن التّأليف القصصيّ زمناً انصرف فيه إلى تعلّم اليونانيّة وقراءة آثار أعلامها، ثمّ إلى الهمّ التربويّ ووضّع كتاباً جديداً فيه لتعليم الفلاحين. وفي عام ١٨٧٣، عاد تولستوي إلى العمل الأدبيّ، وعكف على كتابة «أنا كارنينا» التي صدرت فصولاً على صفحات «المُراسل الرّوسي» قبل أن تنشر كاملة في كتاب سنة ١٨٧٨، وتولستوي يومئذ في الخمسين من العمر، وتلاها في العام التّالي (١٨٧٩) كتاب «اعتراف» الذي صوّر أزمته النّفسيّة والدينيّة والأخلاقيّة.

وفي السّنوات اللاحقة، توالى صدور مؤلّفات تولستوي التي حمل في معظمها على الظّلم الاجتماعيّ، والجور، واستبداد الطّبقة الحاكمة، والإكليروس الأرثوذكسيّ. ونذكر من تلك المؤلّفات: الكنيسة والدولة (١٨٨١)، مختصر الإنجيل (١٨٨٣)، الجيفة الحيّة

(١) القرن (جمعه أفتان): العبد المملوك الذي يُباع ويُشترى مع الأرض التي يعمل فيها.

(١٨٩٠)، القيامة (١٩٠٠). وفي العام ١٩٠١ حرمت الكنيسة الأرثوذكسيّة تولستوي بقرار صادر عن المجمع المقدّس؛ فما كان من هذا إلاّ أن أذاع في العام التالي «نداء إلى رجال الدّين»، حمل فيه بعنف على الإكليروس الأرثوذكسيّ. ثمّ صدر له سنة ١٩٠٣ كتاب في نقد شكسبير والمسرح. واستمرّ ينشر في السّنوات التّالية، أو سنوات الشيخوخة، مقالاته الثّائرة، فشجبت الحرب الرّوسية اليابانيّة، وعارض ثورة العام ١٩٠٥ لأنّها قائمة على العنف، وانتقد أحكام الإعدام الجماعيّة.

وفي أواخر شهر تشرين الأوّل ١٩١٠، هرب تولستوي من منزله في آياسنايا بوليانا ليعيش وفق عيادته، لكنّه أصيب بالتهاب رئويّ حادّ، وتوفّي بعد أيّام (يوم ٧ تشرين الثاني)، فأعيد جثمانه إلى مسقط رأسه حيث دُفِن هناك.

ثانياً - شخصيّته وتفكيره

تولستوي أديب إنسانيّ التّزعة، ورائد من روّاد الفكر الاشتراكيّ العالميّ. وقد تباينت الآراء والأقوال فيه، فجعله بعضهم في مصافّ الاشتراكيين المصلحين، وجعله بعض آخر في مصافّ الثّائرين المهذّمين. ارتقى فيه بعضهم إلى مصافّ الفلاسفة والأنبياء، وأنزله بعضهم مصافّ زعماء الفوضويّة^(١)، مع أنّه يخالف في مناحي تفكيره ما يذهب إليه الفوضويّون. إنّه يختلف عن هؤلاء في وجوه عديدة، ومع ذلك أمكن اعتباره من بعض الوجوه فوضويّاً، لأنّه كان يحلم بتنظيم المجتمع بلا ملكيّة ولا دولة، لكنّه خالف الفوضويين في سعيه إلى هذا الهدف من غير عنف. فقد وجد تولستوي خلاص روحه في جوهر الدّين وليس في القشور أو الطّقوس والمظاهر. وما يدهشك في موقف تولستوي هذا أنّ الرّجل من طبقة التّبلاء في روسيا، وأنّ الرّجل إقطاعيّ وأرستقراطيّ يحمل لقب كونت. فقد ورث ثلاث مئة فدّان من الأرض يعمل فيها ثلاث مئة وثلاثون فلاّحاً. وإذا به يصل إلى وقت يتنازل فيه عن أملاكه ولقبه وعاداته الموروثة، ويأكل كالفلاحين، ويرتدي زيّاً كأزيائهم، ويرتق ثوبه بيده.

(١) L'Anarchisme. مذهب سياسيّ يدعو إلى إلغاء سلطة الدولة والملكيّة الفرديّة، فهو مذهب «الفوضى الكليّة» في غياب السلطة المنظّمة، وزعيمه ميخائيل باكونين (Bakounine).

ما من شكّ في أنّ «الحرب والسلم» و«أنا كارنينا» وضعتا تولستوي في مصافّ مُبدعي العالم وعظماء الفكر. بيد أنّ الدوّيّ الذي أحدثه اسم الرّجل، وما زال يحدثه، ليس نتيجة أدبه وفته فحسب، وإنّما هو نتيجة تلك الحياة الفريدة المملّأى بالفواجع الإنسانيّة، الممثلة أعمقّ ما يخالغ القلب الإنسانيّ من شكّ قاتم وقلق معذب، ونزوات نحو الإيمان لا تعرف لظمئها ريباً. فما وصل تولستوي إلى منتصف العمر حتّى وجد أنّه أفرغ مجهوده الفكريّ وبلغ أبعد مدى لعبقريّته الفنيّة، فإذا به ينقلب بين عشية وضحايا من مغرم بالفنّ مفتون به إلى حائقٍ عليه مزدريّ له.

لقد صار همّ تولستوي أن يبحث عن طريق للخلاص غير طريق الفنّ والإبداع، فحمل على شكسبير ومسرحة، وكتب رسالة يتهمّ فيها بالشعر والموسيقى، ويسأل: بم يعود الشعر والموسيقى على الشعب الجائع الرّازح تحت نير الجهل والذلّ والفاقة؟ ولماذا تُنفق الأموال الطائلة على مسرحيّة موسيقيّة في دار الأوبرا؟ أمن أجل أن يأتي بعد العشاء أولئك الأثرياء المترفون المتخمون ليصفّقوا مدّة ساعتين، ويعودوا بعد ذلك إلى جحورهم. إنّها حياة حقيرة حقاً.

لقد استخلص تولستوي أخيراً أنّ على الأغنياء والمثقفين التخلّي عن هذا البذخ لأنّه كماليّ بالنسبة إليهم، ولا ينالونه إلّا بحرمان الشعب قوته الضّروري. لذا نراه يقترح أن يعمل الأغنياء والمثقفون لسدّ حاجاتهم الضّروريّة، كي يتسنى للشعب أن ينصرف إلى تحصيل ما يسدّ رمقه. وهكذا قرّر تولستوي أن يكون القدوة لغيره، فترك المدينة، وشمّر عن ساعديه ليربّي مواشيه ويزرع أرضه كفلاح بسيط. بيد أنّ الرّجل لم يكتفِ بذلك، فنزل إلى أرض الواقع، ودخل صميم حياة الشعب، وراح يجوس ليلاً أحياء موسكو القدرة، كي يتعرّف بالآلاف من ضحايا الحياة الذين ينامون على الأرصفة وفي منعطفات الأزقة. وعاد تولستوي من جولاته الليليّة، فإذا هو رجل جديد مختلف، وإذا بنفّس جديد يلفحه ويخفق في صدره؛ إنّهُ نفّس التّبوّة. وهكذا هجر الفنّ والإبداع، ولم يعد يبالي بأن يصف الحياة بمهارة الفتان وصدق نظرتة، بل أصبح همّه أن يغيّر الحياة بسطوة النّبي وعنف لهجته، وما عاد هذا الرّجل العظيم يفتح فاه إلّا ليشاجر وبخاصم، ليُنذِر ويتوعّد، ليصبّ حمم سخطه على كلّ من خالفه في الرّأي ونمط الحياة.

ولطالما تساءل بعض الدارسين والنقاد: فيم أفاد غضب تولستوي ووعده ووعيده؟ فقد رأى كثيرون منهم أنّ مواعظه ضاعت في الهواء، وأنّ صرخاته التي تشبه صرخات أنبياء التوراة قد ذهبت سدى. فقد أحسنّ بالداء ولم يهتد إلى الدواء، وشعر بفساد الحياة، لكنّه إذ أخذ يحارب هذا الفساد، وجد نفسه يحارب غريزة الحياة. وفي آراء بعض المفكرين الاشتراكيين أنّ تولستوي لم يقترح للقضاء على الشرّ غير الخير السلبّي، والخير السلبّي لا ينزع الشرّ ولا يقضي عليه. فقد رأى هؤلاء أنّه اقترح الاستسلام وعدم المقاومة، وقبح العنف والثورة، بيد أنّ غريزة الحياة كانت أقوى من مواعظه، وهي التي انتصرت آخر الأمر أيّاً تكن الآراء في صحّتها ومدى صوابها. ومع ذلك يرى معظم دارسي شخصيّة تولستوي أنّ الشطر الأخير من حياة الرّجل كان وما يزال أروع مثال لحيرة النّفس الكبيرة وقلقها.

إنصرف تولستوي، في طور الشيخوخة، انصرافاً كليّاً إلى الشعب الرّوسّي، ولا سيّما الفلاح، فهمّه إشباعه، وتعليمه، وتحريره. وهكذا بات الشعب مثاله الأرضي، مثلما كان المسيح مثاله الأعلى، وباتت محبّته الشّاملة مستمدّة من رسالة المسيح وتعاليمه، وركناها الأساسيان محبة الله ومحبة القريب.

كثرت الأقوال في تولستوي، وتباينت الآراء فيه، فمن يكون الرجل؟ أهو أديب، أم فنّان مبدع، أم نائر، أم لاهوتيّ، أم فيلسوف، أم حكيم، أم تُراه يجمع بين هؤلاء جميعاً؟ ثمّة شبه إجماع على أنّ تولستوي نائر، وفوضويّ، ومسيحيّ مؤمن، وفيلسوف، إنّما على طريقته الخاصّة.

لقد ترك تولستوي بصمات واضحة على صفحة الفكر الرّوسّي، والمجتمع الرّوسّي، في النّصف الثّاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وكان من أبرز المفكرين (غير العقائديّين) الذين مهّدوا بآطروحاتهم الفكرية للثورة البلشفيّة.

أنا كارنينا (Anna Karénine)

حين أُخطر تولستوي، في كانون الثاني ١٨٧٢، بوقوع حادث مفتح في محطة للقطار قرب «أياسنايا بوليانا»، لم يكن يخطر في باله أنه سيرى عشيقه أحد ملاكي الجوار السيّدة أنا بيروغوف جثة هامدة مقطّعة الأوصال، بعد أن ألقت بنفسها تحت عجلات القطار منتحرة. وفي تلك اللحظة ومضت في رأس تولستوي فكرة خاطفة، لعلها كانت الشرارة التي قدحت زناد فكره وقلمه، وألهمته موضوع روايته.

بدأ تولستوي كتابة أنا كارنينا سنة ١٨٧٣، واستغرق تأليفها نحوًا من أربع سنوات. فقد بدأت مجلة «المُرَاسِل الروسي» نشرَ فصولها الأولى سنة ١٨٧٥، واكتمل نشر هذه الفصول سنة ١٨٧٧، بيد أن القسم الأخير من الرواية لم يظهر على صفحات «المُرَاسِل الروسي» لأن محرر المجلة رفض نشره بسبب آراء تولستوي، فاضطرَّ هذا إلى طبعه على نفقته. ثم نُشرت الرواية كاملة في كتاب سنة ١٨٧٨، وتولستوي يومئذ في الخمسين من عمره. وقد جاء نشر أنا كارنينا بعد مضيِّ نحو عشرين عامًا على ظهور رواية فرنسيّة مماثلة، هي «مدام بوفاري» (Madame Bovary) التي نشرها الأديب الفرنسيّ غوستاف فلوبير (G. Flaubert, 1821-1880) سنة ١٨٥٧، وروى فيها قصّة امرأةٍ خلعت العذار، ثمّ أنهت حياتها بالانتحار.

أنا كارنينا أثر أدبيّ عالميّ وإنسانيّ خالد، تُرجم إلى معظم لغات العالم، وأعيد طبعه مئات المرّات. وقد تباينت آراء النقاد في هذه الرواية، فوضّعت فيها دراسات كثيرة راوحت بين الإعجاب التامّ والرّفص النسبيّ، إن لم نقل التأمّ. فمن أعجب بها قد أعجب لأنّه رأى فيها عصارة فنّ تولستوي وخاتمة أعماله الكبرى، ومن انتقدها فحملَ عليها قد حملَ لأنّه رأى فيها خللاً فنيّاً، ورأى أحداثاً ثانويّة كثيرة تواكب الحدث الرئيسيّ وتكاد تطفئ عليه. وهذه حال الناقد راتشنسكي^(١) الذي لام المؤلف على تخلخل البناء باعتباره العيب

(١) من مقدّمة «ألكسندر سولوفييف» للترجمة التي نشرتها وزارة الثقافة بدمشق سنة ١٩٨٤، ص ٢٢.

الأساسي في الرواية. بيد أن النقاد كافةً أجمعوا على أنّ هذه الرواية هي عصاره جهد تولستوي، ورأوا فيها الكثير من نفس تولستوي، ومن آرائه ومثله وتجاربه الشخصية التي يجسدها غالبًا البطل الريفي ليفين، ويجسدها بعضها ألكسيس كارنين. كما رأوا فيها لوحة رائعة تصوّر المجتمع الروسيّ في أدقّ مرحلة من مراحل تاريخه، فتكشف عله وتناقضاته وطبقته وتقليده للغرب، واكتشفوا فيها نفحة إنسانية لا مثيل لها في الأعمال الروائية الأخرى، وجهاد نفس لا مثيل له في البحث عن الحقيقة.

تأتي «أنا كارنينا» بعد رواية «الحرب والسلم» شهرةً وأهميّةً وحجمًا، لكنّها أكثر إثارة للجدل من تلك. فإذا كانت «الحرب والسلم» قد أرّخت البطولة الروسية في وجه الغزو الإمبراطوريّ الفرنسيّ، فإنّ «أنا كارنينا» أرّخت الحياة الاجتماعية الروسية، ولا سيّما حياة النخبة. فأحداث الرواية ساحة تحرّك في رحابها طبقة من النبلاء الروس الذين ودّعوا نظام القنّانة (سنة ١٨٦١)، وانتقلوا من الإقطاع القديم إلى أرستقراطية جديدة، جمعت بين إرث الإقطاع وقيم المجتمع الرأسماليّ. وهي أرستقراطية ترعرت على يد الأرستقراطية الأوروبية الغربية، فترسّمت خطى النخبتين الفرنسية والبريطانية، وبات النبلاء الروس «يرطنون» في مجالسهم بالفرنسية، وإذا قرأوا كانت قراءتهم بالفرنسية والإنكليزية.

تطفو على سطح الحدث في أنا كارنينا نماذج بشرية متنوّعة، معظمها مريض مرض الطبقيّة، مرض التبل، مرض الإرث الثقيل، والنماذج البشرية هذه هي غالبًا نماذج مهتزة غير سويّة، تتفاعل في داخلها صراعات كثيرة، أبرزها ما بين القلب والعقل أو بين الحب والواجب، وما بين القديم والجديد، وما بين العبوديّة والعدالة أو المساواة، وما بين القشور واللّباب، وما بين تخلف الإكليروس وحركة التنوير في أوساط المثقفين الروس.

وفي رواية «أنا كارنينا»، ثمة مجال رحب أمام تولستوي كي يسخر، وينتقد، ويتهدّد، ويتوعّد، ويهاجم، ويعظ، ويبشّر. ولا عجب إذا ما انتهى القارئ إلى أنّ تولستوي في هذه الرواية مؤمن في العمق، ولاهوتيّ كبير، إنّما على طريقته. فهو ما فتىّ يبشّر بالمحبّة، ويذوب رحمةً، ويغفر لمن أساء إليه، ويرفض أن يكون أوّل من يرمي الزّانية بحجر. بيد أنّه بقي في مسألة الزّواج مقيّدًا بحدود الشريعة والقانون.

القسم الأول

الفصل الأول

منشأ السعادة نعمة، والشقاء منسوخة بِنعمة.
السعادة وليدة أم، والشقاء له ألف أم.
العائلات السعيدة ترتع في جنّة، والعائلات الشقيّة تتمرّع في ألف جحيم.
أسباب السعادة تتشابه، وأسباب الشقاء تتفرّع إلى أغصان وأفنان.

كانت عائلة «أوبلنسكي» مضطربة غاضت سعادتها، وتلاشى استقرارها، وحفّ بها الشقاء من كلّ جانب.

فالزّوج حادّ عن الصّراط، والزّوجة اكتشفت ما نزع إليه قلب قرينها، فقد كلف^(١) بالمربيّة الفرنسيّة الحسناء التي كانت ترعى أولاد الأسرة كلّفا شديداً، وهامّ بها حبّاً، وعاشرها معاشرة الأزواج.

وشاع الحزن في قلب المرأة المخدوعة، فشعرت بالمهانة، وأحسّت بتقويض الآمال^(٢)، وجهرت بعزمها على صدّ زوجها عنها، والانفراد بعينها، وكأنّها لم تبعل^(٣) ولم تُنجب أولاداً!

وانقضّت أيّام ثلاثة عمّت خلالها الفوضى، وساد الإزتيك، وانحلت الأواصر^(٤)، وانفكّت الصّلات، وثبت أن لا مندوحة للزّوجين من الانفصال.

واغتتم الأطفال فرصة الجفاء المستحكيم، فعبثوا ما شاء لهم العبث، وسبّوا للخدم من المتاعب ما اضطّرهم إلى التّفكير بترك الخدمة، والبحث عن بيت آخر يظللّه الوئام ويسوده

(١) كلف بالمربيّة: أحبّها وتعلّق بها.

(٢) تقويض الآمال: انهدامها وضياعها.

(٣) لم تبعل: لم تكن ذات بعل (زّوج) أي لم تتزوّج.

(٤) الأواصر: مفردّها أصرّة وهي صلة القرابة.

الاتِّفَاقُ وَالسَّلَامُ.

وَلَاذَتْ^(١) الزَّوْجَةُ بِغُرْفَتِهَا فَلَمْ تَبْرَحْهَا، وَهَامَ الزَّوْجُ عَلَى وَجْهِهِ وَجَعَلَ يَقْضِي سَحَابَةَ نَهَارِهِ مُتَّعِلًا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. فَإِذَا مَا قَفَلَ رَاجِعًا، قَضَى لَيْلَهُ فِي غُرْفَةٍ أُخْرَى غَيْرِ مَخْدَعِهِ.

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ لِشُوبِ النَّزَاعِ اسْتَيْقَظَ الْأَمِيرُ «سْتِيفَانُ أُوْبَلِنْسْكِي» مِنْ نَوْمِهِ كَمَا اعْتَادَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ كُلَّ صَبَاحٍ، فَتَنَاءَبَ وَتَمَطَّى، وَاسْتَعَادَ إِلَى الذَّاكِرَةِ صُورًا مِنَ الْحُلْمِ الَّذِي أَلَمَّ بِهِ، وَالْأَشْبَاحِ الَّتِي طَوَّفَتْ بِمُخَيَّلَتَيْهِ، ثُمَّ تَذَكَّرَ فَجَاءَهُ أَنَّهُ لَا يَنَامُ إِلَى جَانِبِ زَوْجِهِ، بَلْ عَلَى الْأَرِيكَةِ الْجِدِيدَةِ فِي مَكْتَبِهِ. فَتَمَلَّمَلَ فِي مَكَانِهِ مُتَّضَوِّرًا^(٢)، إِلَّا أَنَّهُ عَادَ فَانْطَرَحَ عَلَى وَجْهِهِ، وَمَا عَتَمَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَنْ دَفَنَ رَأْسَهُ فِي الْوِسَادَةِ، وَغَاصَ فِي لُجَّةِ الْفِكْرِ...

فَتَذَكَّرَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ السُّودَاءَ الَّتِي حَوَّلَتْ حَيَاتَهُ إِلَى جَحِيمٍ... وَصَاحَ وَهُوَ يَرَى مَا جَرَى، بِصَوْتِ الْيَاسِيِّ الْوَلَهَانِ: «إِنَّهَا أَضْعَبُ مِرَاسًا مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ سِوَاهَا، وَلَنْ تُغْفِرَ لِي، لَنْ تُغْضِي^(٣)، لَنْ تُنْسَى».

لَقَدْ عَادَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ التَّعْسَةَ مِنْ مَلْعَبِ التَّمْثِيلِ وَهُوَ يَمْشِي بِزَهْرٍ وَخِيَلَاءَ، وَلَا يَكَادُ يَطَّأُ الْأَرْضَ عُجْبًا وَسَعَادَةً، وَدَلَفَ إِلَى الْبَيْتِ بِخُطَاهُ الثَّابِتَةِ وَفِي يَدِهِ إِجَاصَةٌ كَبِيرَةٌ نَاضِجَةٌ.

وَبَحَثَ عَنْ زَوْجِهِ فَلَمْ يَجِدْهَا فِي الرُّذْهَةِ الَّتِي اعْتَادَ أَنْ يَجِدَهَا فِيهَا كُلَّ لَيْلَةٍ؛ فَوَلَّجَ غُرْفَةَ الْمَائِدَةِ، فَلَمْ يَلْقَها هُنَاكَ أَيْضًا. وَهَجَسَتْ نَفْسُهُ وَحَدَّثَتْهُ بِالشَّرِّ، أَلَيْسَ مُذْنِبًا هُوَ؟ أَلَا يُحْسِنُ الْمُذْنِبُ بِمَا يَنْتَظِرُهُ؟ أَلَا يَلْمَسُ مُوْطِنَ الْخَطَرِ قَبْلَ أَنْ يَفْطِنَ إِلَى الْخَطَرِ الْمَائِلِ^(٤) أَحَدًا؟

حَدَسَ هُوَ مَا جَرَى، وَلَمَّا دَخَلَ مَخْدَعَهَا، أَبْيَنَ أَنَّ تَكْهُنَهُ قَدْ أَصَابَ كَيْدَ الْحَقِيقَةِ، وَهِيَ زَوْجَتُهُ تَحْمِلُ فِي يَدِهَا ذَلِكَ الْكِتَابَ الْمَلْعُونَ الَّذِي أَمَاطَ لَهَا اللَّثَامَ عَنْ قِصَّةِ الْخِيَانَةِ.

وَوَجَبَ^(٥) قَلْبُهُ وَجِيبَ الذُّعْرِ وَالْهَلْعِ، فَتَمَعَّنَ فِي وَجْهِهَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ فِيهِ إِلَّا اضْطِرَارًا

(١) لَاذَتْ بِغُرْفَتِهَا: لَجَأَتْ إِلَيْهَا.

(٢) مُتَّضَوِّرًا: مُتَوَجِّعًا.

(٣) لَنْ تُغْضِي: لَنْ تَسْكُتَ عَن رَأْيِي، لَنْ تُغَضِّ الطَّرْفَ.

(٤) الْخَطَرُ الْمَائِلُ: الْخَطَرُ الْقَائِمُ أَمَامَهُ.

(٥) وَجَبَ قَلْبُهُ: حَقَّقَ.

وَكَمَدًا وَحُرْنًا يَكَادُ يَنْفَجِرُ مِنْ كَثْرَتِهِ. وَلَكِنَّهُ كَانَ مَرِحًا بِطَبِيعَتِهِ، لَا يَحْمِلُ الْهَمَّ إِلَّا قَيْئَةً، وَلَا يَحْزَنُ إِلَّا هُنَيْهَةً، وَيَضْحَكُ إِذَا أَلَمَّتِ الْمَصَائِبُ، وَيَقْهَقُهُ إِذَا حَلَّتِ الْخُطُوبُ.

وَقَالَتْ امْرَأَتُهُ بَصُوتٍ أَحَشَّ صَارِمٍ: «أَنْتَ هُنَا؟ أَنْتَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْغَادِرُ! قُلْ، أَجِبْ... مَا هَذَا الْكِتَابُ؟»

فَفَعَرَ فَاهُ^(١)، وَحَمَلَقَ إِلَيْهَا مِنْ دُونِ أَنْ يُجِيبَ... ثُمَّ ابْتَسَمَ ابْتِسَامَةً بَلْهَاءَ، وَنَقَلَ طَرْفَهُ بَيْنَ زَوْجِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي كَشَفَ لَهَا انْحِرَافَهُ وَارْتِمَاءَهُ فِي أَحْضَانِ الْمُتَعَةِ الْمُحَرَّمَةِ، وَجُنُوحَهُ إِلَى الْفُجُورِ يَخْتَلِسُهُ اخْتِلَاسًا وَيَنْتَهِبُهُ انْتِهَابًا فِي غَفْلَةٍ مِنْ زَوْجِهِ، وَمِنْ دُونِ أَنْ يَزْعَهُ وَازِعَ^(٢) مِنْ ضَمِيرٍ، أَوْ يَصْرِفَهُ حَافِزٍ مِنْ شَرَفٍ.

وَابْتَسَمَ ابْتِسَامَةً بَلْهَاءَ، فَكَانَتْ ابْتِسَامَتُهُ كَلِمَةَ الْقَضَاءِ... لَقَدْ حَكَمَ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ فِدَانَهَا وَخَطَأَهَا، وَانْتَهَتْ زَوْجُهُ وَاقْتَنَعَتْ.

وَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءَ وَهَرَّ يُفَكِّرُ الْآنَ فِي مُصِيبَتِهِ، وَيُنْحِي عَلَى ابْتِسَامَتِهِ تِلْكَ بِاللَّائِمَةِ، وَيَسْأَلُ وَالْحَيْرَةَ مُسْتَحْوِذَةً عَلَى مَشَاعِرِهِ، عَنِ أَنْجَعِ الطَّرِيقِ الَّتِي تُدَلُّ لِهَذِهِ الْعَقَبَةِ فِتْلَاشِي الْخِصَامِ وَتُرْزِيلُ الْقَطِيعَةَ.

تَسْأَلُ مَلِيًّا، ثُمَّ فَكَّرَ، وَقَدَحَ زِنَادَ الْفِكْرِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَهْتَدِ إِلَى حَلِّ لِمُسْكِلتِهِ، وَقَالَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِلَهْجَةٍ تَسِفُ عَنْ طَبِيعَتِهِ وَصَرَاحَتِهِ: «لَقَدْ هَدَمْتُ صُرُوحَ أَحْلَامِي، وَكَدَّرْتُ لَذَّةَ الْحَيَاةِ لِي وَلَاوِلَادِي، وَلَنْ يُجِدِي مَعَهَا الْكَلَامُ... لَنْ تُدْعِنَ... وَمَهْمَا جَهَدْتُ فِي حَلِّ هَذِهِ الْعُقْدَةِ فَلَنْ أَجِدَ لَهَا انْحِلَالًا، وَسَتَرَى زَوْجِي كُلَّ قَوْلٍ أَقُولُهُ إِفْكًَا^(٣) وَضَلَالًا».

(١) فَعَرَ فَاهُ: فَتَحَ فَمَهُ.

(٢) يَزْعُهُ وَازِعٌ: يَمْنَعُهُ مَانِعٌ.

(٣) إِفْكًَا: كَذِبًا.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَعْ لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - ما الحَدَثُ الَّذِي افْتَتَحَ بِهِ تولستوي روايته؟
- ٣ - ما الَّذِي فَكَّكَ أو اصرَّ أُسرَةَ الأميرِ أوبلنسكي؟
- ٤ - لِمَ فَكَّرَ الخدمُ في تَرْكِ الخِدْمَةِ لَدَى أُسرَةِ أوبلنسكي؟
- ٥ - بِمَ امتازتْ شخصيَّةُ ستيفانِ أوبلنسكي؟
- ٦ - ماذا في الكتابِ الَّذِي رآه ستيفان في يَدِ زوجته؟
- ٧ - علامَ دَلَّتِ ابْتِسَامَتُهُ البُلْهَاءُ؟
- ٨ - ما العُقْدَةُ في هذا الفصلِ مِنَ الرِّوَايَةِ؟ وما الحلُّ الَّذِي تَتَوَقَّعُهُ لها؟
- ٩ - أَوْجِزْ مَضمونَ الفَصْلِ في أسْطُرٍ قَلِيلَةٍ .

الفصل الثاني

كَانَ سَتِيفَانُ رَجُلًا صَادِقًا فِي مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ فِي وُسْعِهِ التَّغْيِيرُ بِهِذِهِ النَّفْسِ وَخَدْعُهَا، وَإِفْنَاعُهَا بِأَنَّهُ نَادِمٌ عَلَى زَوْعَانِ ضَمِيرِهِ عَنِ الْمَحَجَّةِ^(١).

وَكَانَ فِي الرَّابِعَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ عُمُرِهِ، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ فِي الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ، وَقَدْ رَزِقَ مِنْهَا سَبْعَةَ أَطْفَالٍ مَاتَ مِنْهُمْ اثْنَانِ.

وَعَشِيَّتُهُ مِنَ الْهَمِّ، وَهُوَ يَضْرِبُ مِنَ الْحَيْرَةِ أَخْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ^(٢)، مَا لَمْ يَبْلُ^(٣) مِثْلَهُ مِنْ قَبْلُ، فَقَدْ فَكَّرَ فِي أَوْلَادِهِ، وَفَكَّرَ فِي أَمْرَاتِهِ، وَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ! وَلَمْ يَكُنْ مَبْعُثَ هَمِّهِ عَدَمَ مِثْلِهِ إِلَى زَوْجَتِهِ، بَلْ كَانَ مَثَارُهُ نَدَمُهُ عَلَى الْاِقْتِرَانِ بِهَا!

وَلَوْ تَكَهَّنَ أَنَّ خِيَانَتَهُ سَتُحْشَى بَشَرًا وَعَدْرًا، لَو دَاخَلَ جِسَّهُ أَنَّ عِلَاقَتَهُ الْأَيْمَةَ سَتُنْسِيهِ طَعْمَ الرَّاحَةِ، لَفَكَّرَ مِرَارًا قَبْلَ أَنْ يَفْتَحِمَ الصَّعَابَ، وَلِحَرَصٍ كَثِيرًا حَتَّى لَا يَنْكَشِفَ الشَّرُّ، فَيُجَشِّمَ هَذِهِ الْعَوَاقِبَ، وَيَبْلُوَ هَذَا الْعِقَابَ.

بَيَدَ أَنَّهُ لَمْ يَتَّبِعْ طَرِيقَ الْعَقْلِ، وَلَعَلَّهُ كَانَ يَظُنُّ فِي زَوْجَتِهِ مِنَ الْقَنَاعَةِ بَيْنِيهَا وَوَلَدِهَا مَا يَصْرِفُهَا عَنْهُ وَعَنْ مَبَاذِلِهِ. وَمَا يَجْعَلُهَا لَا تَحْفَلُهُ أَوْ تَكْتَرِثُ لِفُسْقِهِ. وَذَهَبَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ كُلِّ مَذْهَبٍ، فَكَانَ يَبْتَعِ أَنَّهَا تَتَّعَاضَى عَنْهُ حَتَّى يَنْقَعَ غَلِيْلُهُ، وَأَنَّهَا تُغْمِضُ عَيْنَيْهَا كِي يَنْجَحَ أَرْبُهُ مَعَ امْرَأَةٍ سِوَاهَا، فَيَظَلَّ الرَّجُلَ الْمُسْتَسْلِمَ لَهَا بِصِفَتِهَا رَبَّةَ الدَّارِ، الْمُنْصَرِفَ عَنْهَا بِصِفَتِهِ يَهْوَى الْحُسْنَ وَالذَّلَالَ!

وَاسْتَوَى جَالِسًا، وَأَخَذَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ: «هَذَا مُرِيعٌ! وَإِنِّي أَحْسُ بِالْخَبَالِ وَالْوَبَالِ،

(١) الْمَحَجَّةُ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ.

(٢) يَضْرِبُ أَخْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ: يُفَكِّرُ مَحَاوِلًا الْخُرُوجَ مِنْ مَأْزِقٍ، وَهُوَ مَثَلُ شَائِعٍ.

(٣) لَمْ يَبْلُ مِثْلَهُ: لَمْ يُجْرَبْ مِثْلَهُ، لَمْ يُعَانَ مِثْلَهُ.

وَبِضِيْعَةِ الْأَمَالِ... أَلَيْسَ مِنَ السُّخْفِ وَالْأَفْنِ (١) أَنْ يَعْتَسِقَ الْإِنْسَانُ مُرَبِّيَّةً أَوْ خَادِمَةً؟
وَلَكِنْ... وَلَكِنْ... أَيُّ مُرَبِّيَّةٍ هِيَ؟! أَيُّ مُرَبِّيَّةٍ!؟».

وَافْتَرَّ ثَغْرُهُ عَنِ ابْتِسَامَةِ رَضِيَّةٍ، وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، وَحَلَّقَ فِي عَالَمِ الْأَخْلَامِ، وَكَأَنَّهُ يَرَى
جَسَدَ الْمُرَبِّيَّةِ الْعَضِّ، وَوَجْهَهَا النَّاصِعَ النَّاعِمَ، وَعَيْنَيْهَا الْمُسْرِقَتَيْنِ الصَّافِيَتَيْنِ...

وَهَتَفَ عَلَى جِينِ غِرَّةٍ: «أَيْنَ الْمَفْرُ؟ وَمَا الْعَمَلُ حَتَّى أَصَوْنَ نَفْسِي مِنَ الْأَنْهِيَارِ؟».

وَتَحَيَّرَ يَتَلَفَّتْ يَمْنَةً وَيَسْرَةً، ثُمَّ دَقَّ الْجَرَسَ، فَهَرَعَ إِلَيْهِ خَادِمُهُ «مَاتْفِي»، ذَلِكَ الشَّيْخُ
الْمُخْلِصُ الْوَدُودُ، يَحْمِلُ إِلَيْهِ بَرَّتَهُ وَجِدَاءَهُ. وَيَحْمِلُ أَيْضًا إِلَيْهِ بَرْقِيَّةً. وَتَبِعَهُ الْحَلَّاقُ دَاخِلًا
وَهُوَ «يَشِيلُ» عُدَّةَ الْحِلَاقَةِ، كَمَا لَوْ كَانَ طَبِيبًا يَحْمِلُ أَوَائِلَهُ وَمُعَدَّاتِهِ!

وَرَنَا أُوْبِلِنْسْكِي إِلَى خَادِمِهِ مُسْتَظْلِعًا، وَقَالَ: «مَا وَرَاءَكَ يَا مَاتْفِي؟ أَلَدَيْكَ أَوْرَاقٌ يَجْدُرُ
بِي قِرَاءَتُهَا؟»

فبَادَلَهُ الْخَادِمُ نِظْرَةَ الْعَطْفِ وَالتَّمَاهُمِ وَالْحَيْرَةِ، وَأَجَابَ: «هُنَاكَ عَلَى الْمِنْصَدَةِ بَعْضُ
الْأَوْرَاقِ يَا سَيِّدِي... أَمَّا الْآنَ، فَاقْرَأِ الْبَرْقِيَّةَ أَوَّلًا».

وَفَضَّ أُوْبِلِنْسْكِي الْبَرْقِيَّةَ، وَمَا كَادَ يَطَّلِعُ عَلَى مُحْتَوَيَاتِهَا، حَتَّى هَتَفَ بَارْتِيَاخَ: «أَيُّ
مَاتْفِي، شُكْرًا لِلَّهِ! إِنَّ أُخْتِي قَادِمَةٌ فِي الْعِدَاةِ، إِنَّ أُخْتِي «أَنَا كَارِنِيَا» قَادِمَةٌ لَتَمُكَّتْ مَعَنَا رَدْحًا
مِنَ الزَّمَانِ». وَرَدَّدَ الْخَادِمُ قَوْلَ سَيِّدِهِ: «شُكْرًا لِلَّهِ».

وَكَأَنَّهُ يُوَدُّ لَوْ يُؤَيِّدُ سَيِّدَهُ فِي اسْتِشَارِهِ بِقُدُومِ شَقِيقَتِهِ وَتَفَاؤُلِهِ بِحُلُولِهَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ.

وَعَادَ الْخَادِمُ يَقُولُ مُتَسَائِلًا: «آتِيَّةٌ وَحَدَهَا؟»

فَلَمْ يَسْتَسَنَّ لِسْتِيفَانَ أَنْ يَرُدَّ، فَقَدْ كَانَ الْحَلَّاقُ حَيْثُئِذٍ يُمَرِّزُ الْمَوْسَى عَلَى دَفْنِهِ. وَلَكِنَّهُ رَفَعَ
إِضْبَعَهُ، فَفَهِمَ الْخَادِمُ أَنَّهَا قَادِمَةٌ مِنْ دُونِ زَوْجِهَا.

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَالَ: «وَهَلْ أَجْهَزُ لَهَا الْعُرْفَةَ الْعُلْيَا؟»

فَأَجَابَهُ سْتِيفَانُ: «سَلْ زَوْجَتِي (دَارِيَا أَلِكْسَنْدَرُوفْنَا)».

فَقَالَ الْخَادِمُ فِي تَعَجُّبٍ وَاضْطِرَابٍ: «أَسْأَلُهَا؟!»

(١) الْأَفْنُ: نَقْصٌ فِي الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ.

- «أَجَلٌ، وَخُذْ لَهَا الْبَرَقِيَّةَ».

وَمَضَى الْخَادِمُ يُقَدِّمُ رِجْلًا وَيُؤَخِّرُ أُخْرَى إِلَى حُجْرَةِ الْمَرْأَةِ الْمَهِيضَةِ الْجَنَاحِ. وَعَكَّفَ سَتِيفَانَ عَلَى ارْتِدَاءِ مَلَابِسِهِ.

وَلَمَّا قَفَلَ^(١) الْخَادِمُ رَاجِعًا، بَدَأَ مِنْ تَقْطِيبِهِ وَعُبُوسِهِ أَنَّهُ عَمِلَ عَمَلًا لَمْ يُحْكِمَهُ. وَلَمَّا نَطَقَ قَالَ بِلِسَانٍ مُتَلَعِّمٍ يَنِمُّ عَنْ أَسْفِهِ وَحُزْنِهِ: «لَقَدْ أَعْطَيْتُهَا الْبَرَقِيَّةَ، فَلَمْ تُعِنَ بِقِرَاءَتِهَا، بَلْ قَالَتْ إِنَّهَا مُرْتَحِلَةٌ وَإِنَّ الْحَيَاةَ فِي الْمَنْزِلِ لَنْ تَرُوقَ لَهَا بَعْدَ الْيَوْمِ».

وَكَانَ الْخَادِمَ رَمَاهُ بِالثَّلَاثَةِ الْأَثَافِيِّ^(٢) بِكَلِمَاتِهِ تِلْكَ، فَأَسِيَّ وَحَزِنَ، ثُمَّ ابْتَسَمَ كَمَا يَبْسِمُ دَائِمًا فِي وَجْهِ الْخُطُوبِ، وَقَالَ مُحْتَارًا: «لَقَدْ أَخْفَقَ الْمَسْعَى، فَمَا الْعَمَلُ؟»

فَصَعَّدَ فِيهِ الرَّجُلُ بَصْرَهُ وَأَجَابَ: «أَوْلَى بِكَ أَنْ تُسَلِّمَ الْمَسْأَلَةَ لِلْقَدْرِ، فَالزَّمَانُ كَفِيلٌ بِحُلِّ أَعْقَدِ الْمُسْكَلَاتِ».

وَصَمَتَ، وَذَهَبَتْ بِهِ أَفْكَارُهُ كُلُّ مَذْهَبٍ. وَلَمَّا انْفَتَحَ^(٣) حُزْنُهُ، وَسَكَنَ قَلْبُهُ، انْتَفَتَتْ إِلَى خَادِمِهِ الْوَاجِمِ الْمُتَرَقِّبِ. وَإِذْ هُوَ يَهْمُ بِالْكَلامِ وَلَجَّتْ عَلَيْهِ الْمَكَانَ الْحَاضِنَةُ «مَاتَرِينَا فليمونوفنا» وَعَلَيْهَا ثُوبٌ وَاسِعٌ فَضْفَاضٌ.

وَمَعَ أَنَّ سَتِيفَانَ أَطَاعَ دَوَاعِيَ الْحُبِّ وَخَفَرَ عَهْدَ زَوْجِهِ، كَانَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَخَدَمُهُ جَمِيعًا يَعْطِفُونَ عَلَيْهِ وَيَسْعُرُونَ مَعَهُ وَيُودِدُونَ لَوْ يَجْتَازُ هَذِهِ الْعَقَبَةَ الْكَأْدَاءَ مُتَّصِرًا مُظْفَرًا.

دَخَلَتْ الْحَاضِنَةُ فِي أَمَارِهَا مَا يَنِمُّ عَنْ هَمِّ بَرَّحَ بِهَا اسْتِعَارُهُ. وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ وَهِيَ تَكَادُ تَنْشِجُ: «سَيْدِي! أَرَى أَنْ تُحَاوِلَ... حَاوِلْ كَرَّةً أُخْرَى... إِنِّي أَعُوذُ بِكَ، فَافْعَلْ مَا يُخَمِّدُ نَارَ كَرْبِهَا، وَيَقْنَأْ لَهَيْبِ حُزْنِهَا... إِفْعَلْ ذَلِكَ - نَاشِدُتُكَ اللهُ - مِنْ أَجْلِ بَيْتِكَ وَأَطْفَالِكَ... فَعَلْ ذَلِكَ حَتَّى يَنْسَرِيَ^(٤) هَمُّنَا جَمِيعًا وَيَرْفُضَ عُمَّنَا!».

فَاهْتَزَّ الرَّجُلُ مِنْ شِدَّةِ الْاِنْفِعَالِ، وَأَجَابَ وَهُوَ يُنَكِّسُ رَأْسَهُ: «إِنَّهَا تَأْبَى مُخَاطَبَتِي فَضْلًا عَنْ مُقَابَلَتِي، فَمَا الْعَمَلُ؟ مَاذَا أَصْنَعُ؟»

(١) قَفَلَ رَاجِعًا: عَادَ رَاجِعًا.

(٢) رَمَاهُ بِالثَّلَاثَةِ الْأَثَافِيِّ: أَي رَمَاهُ بِمُصَيِّبَةٍ تُكْمَلُ مَا قَبْلَهَا مِنْ مَصَائِبِ.

(٣) انْفَتَحَ حُزْنُهُ: حَفَّتْ جِدَّتُهُ.

(٤) يَنْسَرِي هَمُّنَا: يَنْكَشِفُ وَيَزُولُ.

قَالَتْ: «مَا يُحْتَمُّ عَلَيْكَ الْوَاجِبُ؛ فَاتَّبِعْ مَشُورَةَ ذَهْنِكَ، لِأَنَّ الْاسْتِسْلَامَ لِلْأَمْرِ الْوَاقِعِ لَا يُجْدِي، وَلِأَنَّ التَّحَرِّقَ عَلَى نَارِ الْحُزَنِ وَالنَّدَامَةِ لَا يَنْفَعُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ».

قَالَ: «أَنْتِ دَلِقَةُ اللُّسَانِ يَا عَزِيزَتِي، مَاهِرَةٌ فِي الْأَدَاءِ. فَادْهَبِي الْآنَ، وَسَأَفْعَلُ اللَّازِمَ!»

وَمَا لَيْتَ بَعْدَ ذَهَابِهَا أَنْ ضَمَّخَ نَفْسَهُ بِالطَّيِّبِ، وَسَرَّحَ لِحَظَّهُ مِنَ النَّافِذَةِ هُنَيْهَةً كَالْمَفْكَرِ، ثُمَّ دَلَفَ إِلَى حُجْرَةِ الْمَائِدَةِ بِخُطَوَاتٍ ثَابِتَةٍ مَرِحَةٍ، وَوَجْهٍ مُتَأَلِّقٍ يَنْضَحُ بِالْبِشْرِ وَالْأَطْمِئْنَانِ!

اسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - هل فَكَّرَ أوِبلنسكي في عواقبِ خيانتِهِ لزوجِهِ؟ وماذا كانَ يصنَعُ لو فَكَّرَ؟
- ٣ - هل تَراهُ في هذا الفصلِ نادِمًا على ما فعلَ؟
- ٤ - كيفَ كانتَ مواقفُ الخَدَمِ من أزمَةِ أسيادِهِم؟ أكانوا شامتينَ، أم كانوا آسفينَ راغبينَ في رأبِ الصَّدعِ؟ كيفَ تُعلِّلُ رأيكَ؟ وما نظرتُكَ إلى مواقفِهِم؟
- ٥ - أأتستطيعُ أن تُضيفَ صفاتٍ أخرى إلى شخصيَّةِ ستيفان أوِبلنسكي؟ وما هي؟
- ٦ - لِمَ استبشر أوِبلنسكي بمَقَدَمِ أُختِهِ أَنَا؟
- ٧ - أوجِزُ مَضمونَ الفصلِ في أسطرٍ قَليلَةٍ .

الفصل الثالث

ما كان ستيفان أوبلنسكي رجلاً ذا وجهين، وما كان منافقاً مُخادِعاً؛ ولكنَّهُ كانَ يتَّبِعُ بغريزته مَنْ تَرَجَّحَ كِفْتُهُ وَيَسْتَدُّ سَاعِدُهُ. فَهوَ مُوَاطِبٌ عَلَى قِرَاءَةِ صَحِيفَةِ حِزْبِ الْأَحْرَارِ، حَرِيصٌ عَلَى تَتَبِيعِ أَنْبَائِهَا فِي كُلِّ صَبَاحٍ... وَلَا يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى مُشَايَعَتِهِ لِمَبَادِي حِزْبِ دُونَ حِزْبٍ، أَوْ لِمُظَاهَرَتِهِ لِمَا يُنَادِي بِهِ فَرِيقٌ دُونَ فَرِيقٍ، بَلْ لَأَنَّ كِفَّةَ هَذَا الْحِزْبِ كَانَتْ هِيَ الْكِفَّةَ الرَّاجِحَةَ وَصَحِيفَتُهُ كَانَتْ الصَّحِيفَةَ الْمُنْتَشِرَةَ عَلَى أَوْسَعِ نِطَاقٍ.

وما كانَ لِستيفانَ أوبلنسكي نظراً بارعةً في عَالَمِ الْفَنِّ وَالْأَدَبِ، وَلَا رَأْيً سَدِيدٌ فِي مَجَالِ السِّيَاسَةِ، لِهَذَا اِكْتَفَى بِأَنْ يَكُونَ تَابِعاً لِتِلْكَ الْأَعْلِيَّيَةِ الْقَوِيَّةِ، يَتَلَوْنَ بِحَسَبِ لَوْنِهَا، وَيَتَقَلَّبُ وَفَقاً لِتَقَلُّبِهَا، تَمَاماً كَمَا كَانَ مَوْفِعُهُ إِزَاءَ قُبْعَتِهِ كُلَّمَا قَدُمْتُ وَحَالَ لَوْنُهَا... وَمَنْ يَعْلَمُ؟ لَعَلَّ حَالَتَهُ الْحَاصِلَةَ فِي بَيْتِهِ، جَعَلَتْهُ أَيْضاً يَمِيلُ إِلَى الْأَحْرَارِ، وَيُشَايِعُهُمْ، وَيُؤَيِّدُهُمْ، وَيُصَفِّقُ لَهُمْ.

مَنْ يَذَرِي؟ لَعَلَّ مَعِيشَتَهُ الْخَاصَّةَ وَلَهْفَتَهُ إِلَى بَيْلِ الْحُرِّيَّةِ وَالانْتِزَاعِ مِنْ قِيُودِ الزَّوْجِيَّةِ، هِيَ الْحَافِزُ لَهُ عَلَى الْمُنَادَاةِ بِمَبَادِي الْأَحْرَارِ وَالتَّعْنِي بِفَسْفَسَتِهِمْ! مَنْ يَذَرِي؟ لَعَلَّ أَغْبَاءَ الدُّيُونِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي رَزَحَ تَحْتِ ثِيَابِهَا حَمَلَتُهُ يَعْجُجُ^(١) بِقَلْبِهِ وَلُبِّهِ إِلَى نَاحِيَةِ الْأَحْرَارِ!

أَلَمْ يُنَادِ هَذَا الْحِزْبُ بِضُرُورَةِ تَجْدِيدِ النُّظَامِ، وَالْعُرْفِ، وَالْقَانُونِ، وَالسِّيَاسَةِ، وَالْحَيَاةِ بِرُمَّتِهَا؟

أَلَمْ يُنَادِ بِضُرُورَةِ إِزَالَةِ شَوَائِبِ الْمَاضِي؟ وَدُيُونَهُ، أَلَيْسَتْ مِنْ أَقْدَرِ الشَّوَائِبِ؟! أَلَمْ يَجْهَرْ حِزْبُ الْأَحْرَارِ بِضُرُورَةِ تَعْدِيلِ قَانُونِ الزَّوْاجِ؟ فَلِمَ لَا يَبْدَأُ هَذَا الْمَبْدَأُ عَيْنَهُ

(١) يَعْجُجُ: يَمِيلُ.

فُرَّة^(١)، وهو من أشقى الأزواج؟

أَلَمْ يَسْخَرْ جِزْبُ الْأَخْرَارِ مِنَ الدِّينِ، وَيَسْتَهْجِنِ الصَّلَاةَ وَالْعِبَادَةَ؟ وَهُوَ قَدْ طَالَمَا تَبَرَّمَ^(٢) مِنْ اضْطِرَارِهِ لِلْمَكْثِ لِفَتْرَةِ طَوِيلَةٍ يَسْتَمِعُ فِيهَا إِلَى مَوْعِظَةٍ حَسَنَةٍ، وَيُضْغِي إِلَى كَلَامٍ مُنْمَقٍ عَنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ... وَمَا جَدْوَى ذَلِكَ؟ أَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْسَى الْآخِرَةَ لِيَسْعَدَ فِي الْعَاجِلَةِ؟ فَلِمَ يُذَكِّرُهُ رَجُلُ الدِّينِ إِذَا بِهِذِهِ النَّهْيَاةِ وَهَذِهِ الْخَاتِمَةُ؟

ثُمَّ، أَلَيْسَ لِجِزْبِ الْأَخْرَارِ تِلْكَ الرُّوحَ الْمَرِحَةَ الطَّيِّبَةَ الْفَكِيهَةَ الَّتِي تَدْعُ رِجَالَهُ الْبَارِزِينَ يُطْلِقُونَ النُّكْتَةَ مِنْ دُونِ خَوْفٍ أَوْ مُبَالَاةٍ؟ لَقَدْ كَتَبَ أَحَدُ قَادَةِ الْجِزْبِ فِي جَرِيدَةِ الْجِزْبِ، فَقَالَ: «أَنْظَرُوا إِلَى رَسْمِ الْأَمِيرِ «رورك»، ثُمَّ احْكُمُوا عَلَى دَاروين. أَلَيْسَ هُوَ عَلَى حَقِّ فِي نَظَرِيَّتِهِ!». .

وَأَلْقَى أوبلنسكي الجريدة من يده ووضَعَ قَبْعَتَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَتَأَهَّبَ لِيُعَادِرَ بَيْتَهُ. وَلِكَيْتَهُ تَلَفَّتْ حَوْلَهُ مُخْتَارًا، وَتَرَيَّتْ مُتَمَلِّمًا وَتَسَاءَلَ: «أَتَمَّةٌ أَمْرٌ نَسِيْتُهُ؟ أَهْنَاكَ مَا يَخْلُقُ بِي تَنْفِيذُهُ؟».

وَجَاءَهُ الْجَوَابُ فِي إِهَابٍ وَجْهِهِ أَطْلَلَ عَلَيْهِ - وَجْهِهُ مُقَطَّبٌ تَسْحُ^(٣) مِنْ عَيْنَيْهِ الدُّمُوعُ. فَضَرَبَ عَلَى جَبْهَتِهِ بِيَدِهِ وَعَلِمَ أَنَّه لَمْ يَنْسَ إِلَّا زَوْجَهُ. لَمْ يَنْسَ إِلَّا أَهْمًا مَا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُذَكَّرَ.

فَهَلْ يَسْعَى إِلَيْهَا؟ هَلْ يَتَقَرَّبُ مِنْهَا؟ وَشَعَرَ بِاشْمِئَازٍ. هَلِ اشْمَازٌ مِنْهَا أَوْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ هَذِهِ الْمُقَابَلَةِ؟

إِنَّهُ وَائِقٌ مِنْ أَنَّ شَيْئًا لَنْ يُعِيدَ الْمِيَاءَ إِلَى مَجَارِيهَا، أَوْ يَرَأَبَ الصَّدْعَ^(٤) أَوْ يُلَاشِي عَضَبَ زَوْجِهِ وَيَأْسَهَا.

وَتَنَاهَى إِلَيْهِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَصْوَاتٌ صَحَبٍ وَضَجِيجٍ، فَأَدْرَكَ أَنَّ أَوْلَادَهُ يَلْعَبُونَ فِي

(١) فُرَّةُ الْعَيْنِ: سُكُونُهَا وَرَاحَتُهَا.

(٢) تَبَرَّمَ: مَلَّ وَضَجِرَ.

(٣) تَسْحُ الدُّمُوعُ أَوْ نَحْوُهَا: تَنْصَبُ وَتَنْسَكِبُ.

(٤) يَرَأَبُ الصَّدْعَ: يُضْلِحُهُ.

الحديقة، وأيقنَ أن لا بُدَّ ممَّا ليسَ منه بُدٌّ. ونَقَّبَ في دِمَاغِهِ الْمُضْطَرِبِ عن مَخْرَجِ لِهْدِيهِ
المُشْكَلَةِ فَسَدَّتْ فِي وَجْهِهِ المَنَافِذُ والأَبْوَابُ، وَلَكِنْ مَا ذَنْبُ الأَوْلَادِ؟ مَا ذَنْبُ أَطْفَالِهِ
الأَبْرِيَاءِ؟

وهزَّ رَأْسَهُ وَلَوَّحَ بِيَدِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى مَخْدَعِ زَوْجِهِ بَعْدَ أَنْ أَشْعَلَ سِيجَارَتَهُ.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَعُ لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - حدِّدِ الشَّخصيَّةَ السِّيَاسِيَّةَ لِأوبلنسكي .
- ٣ - ما العواملُ الَّتِي جَعَلَتْهُ يَمِيلُ إلى حزبِ الأحرارِ؟
- ٤ - ما معنى قولِ أَحَدِ قَادَةِ حزبِ الأحرارِ: «انظُرُوا إلى رسمِ الأميرِ ثُمَّ احكُمُوا على داروين . أَلَيْسَ هو على حَقٍّ في نَظَرِيَّتِهِ؟»
- ٥ - ما الصِّفَةُ الجَسَدِيَّةُ الَّتِي تَرَاهَا في شَخْصِيَّةِ الأميرِ «رورك»؟
- ٦ - أَوْجِزْ مضمونَ الفصلِ في أسطُرٍ قَلِيلَةٍ .

الفصل الرابع

وَقَفْتُ دَارِيَا أَلِكْسَنْدَرُونَا بَيْنَ أَكْوَامٍ مِنَ الْأُمْتِعَةِ وَالْمَلَايِسِ وَهِيَ مُتَلَفَعَةٌ بِشِيَابِ السَّفَرِ.
وَكَانَتْ الْأَفْكَارُ قَدْ هَاجَتْ هَمَّهَا وَبَرَتْ^(١) وَجْهَهَا، وَكَانَ شَعْرُهَا الْمُدْبَسُ^(٢) يَنْطِقُ بِذَاتِ نَفْسِهِ
عَنْ مَاضٍ لَهُ مَجِيدٍ، وَكَانَ وَجْهَهَا الشَّاحِبُ النَّحِيلُ يُنْبِئُ بِمَا عَانَتْهُ صَاحِبَتُهُ مِنْ مَضْضٍ.

فَلَمَّا وَلَجَ زَوْجُهَا عَلَيْهَا الْعُرْفَةَ، حَاوَلَتْ أَنْ تَرْمُقَهُ بِنَظَرَةٍ احْتِقَارٍ وَاسْتِهْجَانٍ، وَلَكِنَّهَا
أَخْفَقَتْ فِي جُهُودِهَا، وَاعْرُورِقَتْ عَيْنَاهَا بِالْذُمُوعِ. فَكْرِهَتْ أَنْ تَسْتَوْكِفَهَا^(٣)، فَأَشَاحَتْ عَنْ
زَوْجِهَا، وَهِيَ تَشْعُرُ بِالخَوْفِ وَالْوَجَلِ وَالْإِشْفَاقِ.

كَانَتْ تَخَافُهُ، وَكَانَتْ تَرْجِفُ فَرْقًا^(٤) كُلَّمَا فَكَّرَتْ فِي هَذِهِ الْمُقَابَلَةِ الْمُحْتَمِةِ بَعْدَ
انْكِسَافِ أَمْرِهِ.

وَلَطَالَمَا وَطَّنَتْ النَّفْسَ فِي الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ الْمُنْصَرِمَةِ أَنْ تُغَادِرَ الْبَيْتَ، وَلَطَالَمَا رَبَّتْ أَمْرَهَا
وَحَزَمَتْ رَأْيَهَا وَجَمَعَتْ مَلَابِسَهَا وَمَلَابِسَ أَوْلَادِهَا وَهِيَ تُزْمِعُ عَلَى الْإِنْفِلَاتِ إِلَى مَنْزِلِ أُمِّهَا
وَالْإِقَامَةِ فِيهِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَنْهَارُ وَتَنْهَافُ، وَيَعْشَاهَا مِنَ الشَّجَنِ مَا يَفُتُّ فِي عَضْدِهَا^(٥)
وَيُوهِنُ عَزِيمَتَهَا. وَمَا أَكْثَرَ مَا اسْتَلْقَتْ عَلَى الْأَرِيكَةِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ انْتَابَ إِرَادَتَهَا التَّخَاذُلُ،
وَتَأَوَّهَتْ وَزَفَرَتْ، ثُمَّ قَالَتْ تُحَدِّثُ نَفْسَهَا: «مِنْ الْمُحَالِ اسْتِمْرَارُ الْحَالِ عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ،
وَلَا مَنْدُوحَةَ لِي عَنْ إِيْتَابِ مَا يُظْفِرُنِي بِأَرْبِي وَبِيْلُنِي طَلْبِي. يَجِبُ أَنْ أُذِلُّهُ وَأَقْهَرُهُ؛ يَجِبُ أَنْ
أُنْقِصَمَ مِنْهُ!»

(١) بَرَتْ وَجْهَهَا: أَضَعَفَتْهَا، أَخْزَلَتْهَا.

(٢) شَعْرُهَا الْمُدْبَسُ: الَّذِي لَهُ لَوْنُ الدُّبْسِ.

(٣) تَسْتَوْكِفُ الذُّمُوعَ: تَسْتَكْبِهَا.

(٤) الْفَرْقُ: الْخَوْفُ.

(٥) يَفُتُّ فِي عَضْدِهَا: يُضْعِفُهَا.

وقد أتعتها فكرها، فعولت على وضع حد لهذه العلاقة، ولكن، كيف؟ كيف تصل إلى هدفها، وهدفها كريمة ممنوح؟ كيف يطاوعها قلبها، وقلبها رقيق مرهف الإحساس؟

وفوق ذلك، ماذا تفعل بالعادة؟ لقد مضت سنون عليهما وهما زوجان سعيدان، يعيشان تحت سقف واحد، وتتقلهما الأيام تارة من التناول إلى التناول، ومن الفوز إلى اليأس، وتارة أخرى تفرز بهما من حرقة الكرب وشدةها إلى راحة الطرب والشور والبهجة.

إنه زوجها على رعم الحوائل كافة، إنه زوجها على رعم ما خامر خاطرها من خيائته وغدره، وهو والد أطفالها الخمسة، ولو شاءت أن تقطن في بيت أمها، فهل ينسئ لها اصطحاب أولادها جميعاً؟

ومع ذلك فما انفكت طيلة الوقت تستعد وتستعد، وتعد الثياب وتجهز الأمتعة، وتعيد الترتيب من أوله، وتعيد التثقيف من بدئه. فهل كانت تخذع مشاعرها؟ هل كانت تغرر بنفسها؟ وهل كانت ترمع البقاء وتنوي الرحيل في آن واحد؟

وأحسّت بزوجها يدخل، فعبيت يدها في خزانة للثياب، وكأنها تريد منها شيئاً لاستكمال الأهبة.

ووقف الرجل، والتفتت هي إليه، وعبرت نظرتها عن دهشة وتعجب وحيرة، مع أنها كانت تؤذ لو تطالعها بوجه مربد وعينين صارمتين قاسيتين، يفيض منهما الاحتقار والازدراء.

وقال بصوت خفيض لطيف أمل هو أن يوصله إلى نيل المراد: «داريا...».

وغص من طرفه محاولة منه للظهور بمظهر التادم المستغفر؛ وتأوه وكأنه يتحسر على سعد فات، ورغد غب^(١)، ونعيم ولى!

على أن حيويته لم يستطع أن يبدد من مظهرها، ونشاطه عجز عن إخفايته، والعبير... العبير الذي كان يفوح من ملايسه وشعره! ألا يدحض هذا ما حاول إظهاره؟ ألا ينم عن حقيقة خلجاته؟

ونفحصته زوجته، وصعدت فيه نظرها، فأحفظتها^(٢) فوته وفوتته، وكدرتها ملامحها

(١) رَغْدُ غَبَّ: صارَ في نهايته.

(٢) أَحْفَظْتُهَا فُوتَهُ: أغصبتها فُوتَهُ.

المرحة التي تخلُّ له الأصدقاء والمُحِبِّينَ . وَعَجِبَتْ في ما بَيْنَها وبيْنَ نَفْسِها مِن هذا الإِشراقِ
الَّذي لا يَخْبو، وهذا البهَاءِ الَّذي لا يَأْفُلُ .

أَحْنَتْ عَلَيْهِ؛ وَلَعَلَّ سُخْطَها كانَ الحافِزَ إِلَيْهِ غَيْرُتَها، وَلَعَلَّه كانَ نِتاجَ الفارقِ بَيْنَ نُصْرَتِها
الذَّابِلَةِ، وشبابِهِ المُتألِّقِ الزَّاهِرِ!

وقالَتْ لَهُ بصوتِ سَريعِ عَميقٍ، غيرِ طَبِيعِيٍّ: «أَلَكِ حاجَةٌ؟ أَتَريدُ شَيْئًا؟»

فأجابَ مُتَلَعِّمًا مُرتَعِشًا: «أنا قادمةٌ، يا عَزِيزَتِي، قادمةٌ غداً» .

فَهتَفَتْ مُحتدِمةً: «وهل يَعبُرُني الأَمْرُ؟ دَعها تأتي، فَهِيَ أَخُتُكَ!»

- «ولَكنَّ حَريِّي بِكَ أَن تَمَكِّنِي، أَن تَرَبِّها، أَن تُحدِّثِها...» .

فصرَّختْ مِن دونِ أَن تَنظُرَ إِلَيْهِ، وكانَ صرَّختَها كانتْ عن أَلَمِ جَسَدِيٍّ حادٍّ: «إِذْهَبْ...

إِذْهَبْ... إِذْهَبْ...» .

كانَ في وُسعِ سَتيفانَ أَن يَحْتَفِظَ بِهُدوئِهِ حينَ يُفَكِّرُ في امرَأَتِهِ، وكانَ يَأْمُلُ أَن يُصدِّقَ
حَدَسَ ماتفي خادِمِهِ فَترجِعَ إِلَيْهِ راضِيةً غافِرةً، ويَرجعَ هُوَ إلى جَرِيدَتِهِ هادِئًا مُطمَئِنًّا،
ويَسْتَأْنِفُ شُرْبَ قَهوتِهِ في دَعَةِ وسُكونٍ، ويُنصِتَ إلى صَجَّةِ أولادِهِ في حَنايِ وابِتِسامٍ .

ولَكنَّهُ لَمَّا رَأى وَجْهَها المُتَعَدِّبَ المُتألِّمَ، واستَمَعَ إلى نَبْرَةِ صَوْنِها المُسْتَسْلِمِ لِلقَدَرِ،
المُفْعَمِ^(١) بِالْحُزَنِ واليأسِ، شَعَرَ كَأَنَّهُ يَحْتَنِقُ، وأَحَسَّ بشيءٍ يَقِفُ في حَلْقِهِ حَتَّى لِيَكادُ يَكْتُمُ
نَفْسَهُ... كما أَنَّ العَبْرَاتِ لَمَعَتْ في مُقلَتَيْهِ، وكانَها تُوشِكُ أَن تَسيلَ مِن عَينَيْهِ .

وسَمِعَ نَفْسَهُ بَعْدَ قَليلٍ يَهْتِفُ مُضَرِّعًا مُملوِّعًا: «داريا! ناسدُتِك اللهُ أَن تُشْفِقي! أنظري،

أنظري!»

فصَفَقَتْ داريا بابَ الخِزانَةِ بعُنْفٍ وواجهتُهُ بنظرةٍ صارمةٍ، ولم تَنسِنَ بكلمةِ^(٢) .

وأردَفَ هُوَ باللَّهجةِ نَفْسِها: «ماذا أقولُ غيرَ شيءٍ واحِدٍ؟ ماذا أقولُ سوى إِبْداءِ النَّدَمِ

واستِجداءِ المَغْفِرةِ؟ أي داريا أصغني... اغفوري...» .

(١) المُفْعَمُ: المَلانُ .

(٢) لم تَنسِنَ بكلمةٍ: لم تَنطِقْ بكلمةٍ .

وَانْتَظَرَ هُنَيْهَةً، وَعَادَ يَقُولُ: «تَدَّكَّرِي... تِسْعَ سِنِينَ قَضَيْنَاهَا مَعًا. أَلَا تَسْتَطِيعُ تِسْعَ سِنِينَ أَنْ تَشْفَعَ لِرِزْلَةٍ وَاحِدَةٍ؟»

وَأَطْرَقَتِ الْمَرْأَةُ الْمُوزَعَةُ الْفِكْرَ إِلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ تَتَوَقَّعُ بَلْ تَرْجُو مِنْ كُلِّ قَلْبِهَا أَنْ يَقُولَ شَيْئًا يُثَبِّتُ بِهِ بَرَاءَتَهُ.

وَلَكِنَّهُ عَوَاضًا مِنْ أَنْ يَتَنَصَّلَ انْدَفَعَ يُثَبِّتُ التُّهْمَةَ بِطَرِيقَةٍ دَامِغَةٍ، فَقَالَ: «نَزْوَةٌ طَارِئَةٌ... شَهْوَةٌ سَاعِيَةٌ... مَسٌّ مِنْ جُنُونٍ... أَلَا... أَلَا...».

«اغْرُبْ عَن وَجْهِ!»

«دَارِيَا...».

«إِذْهَبْ... غَادِرِ الْعُرْفَةَ، وَلَا تُحَدِّثْنِي عَن نَزَوَاتِكَ وَسَقَطَاتِكَ... لَا تُحَدِّثْنِي عَن مُجُونِكَ وَفُسُوقِكَ!»

وَتَحَرَّكَتْ لِتَدْهَبَ، لِتَبْتَعِدَ... وَلَكِنَّهَا تَرَنَّحَتْ فِي مَكَانِهَا، وَكَادَتْ تَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ، لَوْلَا إِسْرَاعُهَا إِلَى الْإِمْسَاكِ بِظَهْرِ الْأَرِيكَةِ.

وَأَجْهَشَ هُوَ، وَكَادَ أَنْ يَذْرِفَ الدَّمْعَ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ مُسْتَعْظِفًا مُسْتَشِيرًا حَنَانَهَا وَشَفَقَتَهَا: «دَارِيَا! أَوْلَادُكَ أَكْبَادِكِ... دَارِيَا! فَكَّرِي فِيهِمْ... مَاذَا اقْتَرَفُوا حَتَّى تُعَاقِبِيهِمْ؟ إِنَّهُمْ أَبْرِيَاءُ، يَا عَزِيزَتِي، وَالْمُذْنِبُ هُوَ أَنَا، فَلَا تُقَوِّضِي مُسْتَقْبَلَهُمْ... وَإِنِّي لَعَلَى أَتَمِّ اسْتِعْدَادٍ لِلْقِيَامِ بِمَا تَقْرِضِينَ... قَوْلِي أَفْعَلْ، مُرِي أَنْفُذْ... فَأَنَا الْمَلَامُ، وَلَيْسَ غَيْرِي... فَسَامِحِينِي وَاصْفَحِي عَنِّي!»

فَقَعَدَتْ عَلَى الْأَرِيكَةِ وَهِيَ تَلْهَثُ مِنَ الْإِعْيَاءِ، وَلَهْفَتْ^(١) نَفْسُهُ، وَتَوَلَّاهُ مَوْجَةً عَارِمَةً مِنَ الْحُزْنِ وَالْإِسْفَاقِ...

وَبَدَلَتْ الزَّوْجَةَ وَسَعَهَا لِتَتَكَلَّمَ، فَلَمْ تَجِدْ إِلَى الْكَلَامِ سَبِيلًا، فَتَمَلَّمَتْ فِي مَكَانِهَا وَتَلَفَّتْ وَتَأَلَّمَتْ.

وَطَاطَأَ أُوْبِلِنْسْكِ رَأْسَهُ شَأْنَ الْمُجْرِمِ الْمُعْتَرِفِ، وَنَكَّسَ طَرْفَهُ كَمَنْ يَنْتَظِرُ الْحُكْمَ النَّهَائِيَّ، وَانْتَظَرَ..

(١) لَهْفَتْ نَفْسُهُ: حَزِنَتْ، أَسِفَتْ.

وتناهى إليه أخيراً صَوْنُهَا الْعَمِيقُ الْمُتَهَدِّجُ تَأْتِراً وانفعالاً: «ستيف... ومتى فَكَّرْتَ فِي الْأَطْفَالِ إِلَّا لْتُرْجِي وَفَتَا قَصِيرًا مَعَهُمْ فِي الْعَبَثِ وَاللَّعِبِ؛ أَمَا أَنَا، فَأَنَا أَفَكَّرُ فِيهِمْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا. أَنَا أَبْغِي خَيْرَهُمْ وَسَاعَمَلُ عَلَى إِتْقَادِهِمْ... إِنَّ هَذَا يَعْنِي خِرَابَهُمْ، وَلَكِنْ...»
وَتَدَكَّرْتَ أَنَّ فِكْرَةَ إِيْدَاءِ الْأَطْفَالِ قَدْ عَاقَبَتْهَا عَنِ الذَّهَابِ... وَاسْتَعْبِرْتَ عَيْنَاهَا.

لَقَدْ ذَكَرْتَ اسْمَهُ مُصَغَّرًا -ستيف- وَرَنَا هُوَ إِلَيْهَا فِي شُكْرِ وَعِزْفَانٍ، وَتَحَرَّكَ لِيَتَنَاوَلَ يَدَهَا، وَلَكِنَّهَا انْكَمَشَتْ عَلَى نَفْسِهَا نَافِرَةً مُشْمِزَةً، وَاسْتَلَّتْ: «لَا أَتَقَطُّ لِحْظَةً عَنِ التَّفْكِيرِ فِي أَطْفَالِي، وَبُودِي لَوْ أَتَقَدَّيْتُهُمْ... بُودِي لَوْ افْتَدَيْتُهُمْ بِحَيَاتِي... بِيَدِ أُنِّي لَا أَدْرِي كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى انْتِشَالِهِمْ مِنَ الْوَهْدَةِ الَّتِي طَوَّحَتْ بِهِمْ فِيهَا... أَخْلَاصُهُمْ هُوَ فِي انْتِزَاعِهِمْ مِنْ أَيْبِهِمْ، أَمْ فِي إِبْقَائِهِمْ مَعَ أَبِي فَاسِي أَنْانِي؟!- أَجَلُ أَبِي فَاسِي مُبْتَدَلٌ!- أَخْبِرْنِي، هَلْ بَعْدَ الَّذِي جَرَى أَمَلٌ فِي الْبَقَاءِ مَعًا؟ أَتُظَنُّ أَنَّ اسْتِثْنَاءَ تِلْكَ الْحَيَاةِ أَمْرٌ مُحْتَمَلٌ؟ هَلْ يُمَكِّنُ هَذَا؟ قُلْ، هَلْ يُمَكِّنُ، بَعْدَ كُلِّ مَا بَدَأَ مِنْ تَرْدِيكَ فِي حَمَاءَةِ الرِّذِيلَةِ^(١)؟ بَعْدَ جُنُوحِكَ إِلَى الْمُغَامِرَةِ الْمُنْحَطَّةِ؟ بَعْدَ إِسْفَافِكَ إِلَى هَذَا الدَّرَكِ؟»

وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَبْلُغُ رَيْفَهُ فِي حَيْرَةٍ وَارْتِيَابٍ، وَقَدْ انْقَبَضَ انْقِبَاضَ الْيَاسِ، وَأَعْرَضَ عَنْ زَوْجِهِ إِعْرَاضَ الْمُثْقَلِ بِشُعُورِ الْخِزْيِ... وَقَالَ وَهُوَ يَنْجُو بِنَظَرِهِ إِلَى الْحَائِطِ: «فَمَا الْعَمَلُ؟ مَاذَا اسْتَطِيعَ الْآنَ أَنْ أَعْمَلَ؟»

وَانْحَنَتْ صَعْدَتُهُ^(٢)، وَغَضَّ مِنْ نَظَرِهِ.

فَزَمَجَرَتْ مُهْتَاجَةً: «يَا لِلرَّجُلِ الْكَرْبِيهِ! يَا لِلزَّوْجِ الْمَقِيَّتِ! مَا عَبْرَاتُكَ إِلَّا سِتَارٌ لِلْوَمَكِ وَخَبْئِكَ^(٣)! إِنَّكَ لَمْ تُجِبْنِي قَطُّ، بَلْ كُنْتُ مُنْصَرِفًا عَنِّي إِلَى شُؤْنِكَ الْخَاصَّةِ، وَمَا تَظَاهَرُكَ بِالْحُبِّ، إِلَّا نَاحِيَةً أُخْرَى مِنْ نَوَاحِي خِسْتِكَ! لَقَدْ عَرَفْتُكَ الْآنَ، وَكَرِهْتُكَ نَفْسِي... أَنْتَ غَرِيبٌ عَنِّي... غَرِيبٌ... غَرِيبٌ!»

وَعَصَّتْ، وَاحْتَقَنَ الدَّمُ فِي وَجْهِهَا- مَا أَضْعَبَ الْكَلِمَةَ! مَا أَضْعَبَ الْكَلِمَةَ تَقُولُهَا لِرَجُلٍ عَاشَرْتَهُ وَعَاشَتْ فِي كَنَفِهِ وَأَنْجَبَتْ مِنْهُ أَطْفَالَهَا!

(١) حَمَاءَةُ الرِّذِيلَةِ: وَخَلُّ الرِّذِيلَةِ.

(٢) انْحَنَتْ صَعْدَتُهُ: انْحَنَتْ قَامَتُهُ الْمُسْتَقِيمَةُ.

(٣) خَبْئِكَ: خِدَاعُكَ.

وَدَهَشَ سَتيفانُ لِهَذِهِ الثَّورَةِ الجامِحَةِ الَّتِي واجَهَتْهُ بِها . ولم يَفْهَمْ كَيْفَ أَثارَ إِشفاقُهُ غَضَبَها
وَحَقَّقَها- لقد وَجَدَتْ فِيهِ شَفَقَةً عَلَيْها لا حُبًّا . . . وَجَدَتْ رِثاءً لا عِشْقًا!

وَناجى نَفْسَهُ وَالأَسَى يُحزُّ فِي صَدْرِهِ: «إِنَّها تَزِدُّني، ويا لَيْتَها تَفْعَلُ، بل إِنَّها تَمُقُّني
مَقْتًا عَظِيمًا!»

وَطَفِقَ يُرَدِّدُ بصَوْتِ القانِطِ المُسْتَسْلِمِ: «هَذَا مُرِيعٌ! مُرِيعٌ!»

وَبَكَى فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ طِفْلٌ فِي العُرْفَةِ المُجاوِرَةِ، وَرُبَّما يَكُونُ قَدْ سَقَطَ عَلَى الأَرْضِ .
وَأصاحَتْ دارِيا، وَلا تَنْتَ نَظَرْتُها وَرَقَّتْ أَسارِيرُها، وَتَحَفَزَتْ ثُمَّ نَهَضَتْ مُسْرِعَةً إِلى البابِ .

وَأشْرَقَ وَجْهُ أوبلنسكي؛ وَرَأَى فِي هَذَا التَّبَدُّلِ المُفاجِئِ نَوْعًا مِنَ الأَمَلِ فِي عَوْدَةِ المِياهِ
إِلى مَجاوِرِها، وَقَالَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ: «إِنَّها أُمٌّ، وَهِيَ تُحِبُّ الأَوْلادَ، أَوْلادِي أَنَا، فَكَيْفَ
تَقْلُونِي^(١)؟»

وَسارَعَ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ: «لي كَلِمَةٌ يا دارِيا، كَلِمَةٌ فَحَسْبُ . . .» .

فَحَدِّجَتْهُ بِنَظَرَةٍ صارِمَةٍ مُتَوَعِّدَةٍ، وَصاحَتْ: «إِياكَ . . . إِياكَ . . . لا تَتَّبِعْني وَإِلا دَعَوْتُ
الخدَمَ لأَعْرِفَهُمُ حَقيقَةَ نَفْسِكَ، وَأُطَلِّعَهُمُ عَلَى نَدائِكَ! أَنَا ذاهِبَةٌ مِنْ هُنَا، ذاهِبَةٌ إِلى غَيرِ
رَجَعَةٍ، فاعْتَبِطْ، ففِي إِمكانِكَ العِيشُ مَعَ خَليلَتِكَ . . . عِشْ مَعها أَيُّها الوَعْدُ!»

وَخَرَجَتْ، وَصَفَقَتِ البابَ وَراءَها بَعْنِفِ .

وَتنَفَّسَ سَتيفانُ الصُّعْداءَ، وَجَمَّجَمَ بِاسِماً: «قالَ ماتَني خادِمي الأَمِينُ إِنَّ الزَّمانَ كَفيلٌ
بِحَلِّ أَعْقادِ المُشْكِلاتِ، فَكَيْفَ؟ وَقَالَ إِنَّها سَتَرِجِعُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِها، فَكَيْفَ؟ لا أَمَلُ فِي
ذَلِكَ؛ بلى، لا أَمَلُ . . . أواهِ! كَيْفَ صاحَتْ؟ لا شَكَّ أَنَّ الخَدَمَ سَمِعُوها وَهِيَ تَصْرُخُ بِوَلْءِ
فِياها وَتَقولُ- أَيُّها النَّدْلُ . . . وَخَليلَتِكَ . . . وَسوى ذَلِكُ! هَذَا مُرِيعٌ، مُرِيعٌ جِدًّا!»

وَما عَتَمَ^(٢) أَنْ خَرَجَ مِنَ الحُجْرَةِ، فَاسْتَدْعَى ماتَني وَقَالَ: «عَلَيْكَ يا ماتَني أَنْ تُعِدَّ غُرْفَةَ
الصُّيُوفِ لِإِقامَةِ شَقيقَتِي أَنَا، فَلا تَنْسَ ذَلِكُ، إِنَّها قادمةٌ اليَوْمَ» .

قالَ: «لا تَخْشَ يا سَيِّدي، فَسأَحْسِبُ لِكُلِّ شَيْءٍ حِسابَهُ» وَألقى سَتيفانُ مِغْطَفَهُ عَلَى

(١) تَقْلُونِي: تَكَرَّهْني .

(٢) ما عَتَمَ أَنْ: ما لَبِثَ أَنْ .

مَنْكِبِيهِ، وَدَلَفَ خَارِجًا، وَتَبِعَهُ الْخَادِمُ الْعَجُوزُ، وَسَأَلَهُ وَهُوَ يَهُمُّ بِرُكُوبِ الْعَرَبِيَّةِ: «وَهَلْ تُزِمُّعُ الْعَوْدَةَ لِنَتَاوُلِ الطَّعَامِ؟»

- «قد أفعلُ، فخذُ هذا المَبْلَغَ (وأعْطاهُ عَشْرَةَ رُوبَلَاتٍ) لِنَفَقَاتِ الْبَيْتِ، وَكُنْ مُقْتَصِدًا!»

- «كعادتي دَوْمًا!»

وَأغْلَقَ الْخَادِمُ بَابَ الْعَرَبِيَّةِ وَرَجَعَ أَذْرَاجَهُ.

وكانت داريا في تلك الأثناء قد تدبّرت أمرَ الطفلِ الباكي، وعلمت من صوتِ العَرَبِيَّةِ أَنَّ زَوْجَهَا غَادَرَ الْبَيْتَ، فَرَجَعَتْ إِلَى مَخْدَعِهَا. وكانَ المَخْدَعُ مَلْجَأَهَا الَّذِي تَلوُذُ بِهِ هَرَبًا مِنْ مَتَاعِبِ الْبَيْتِ وَالْأَوْلَادِ.. حتى الخَدَمُ كانوا يُسَبِّونَ لها آلامًا كثيرةً.

وأصابها خوفٌ طاعٍ. لقد ذَهَبَ.. فهل ذَهَبَ على أَلَّا يَعُودَ؟ هل عَزَمَ بَعْدَ أَنْ يَيْسَرَ مِنْهَا أَنْ يَنْصِمَ العُرَى وَيَقْطَعَ الوَشَائِجِ^(١)؟ «ولكن، لو سلّمتُ جدًّا بأنّه سَيَرْجِعُ وَيُقِيمُ هُنَا وَأُقِيمُ أَنَا أَيْضًا، فهل يُمكنُ أَنْ نَنْسى المَاضِي؟ أَوَاهُ! لَكُم تَوَلَّهْتُ بِحُبِّهِ! لَكُم شَغَفْتُ بِهِ! يَا إِلَهِي، يَا إِلَهِي!»

وطَفَرَتِ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهَا وَمَضَتْ فِي نَجَواها: «لقد أَحْبَبْتُهُ وَلَا أزالُ أُحِبُّهُ، بل إِنَّ حُبِّي لَهُ تَضَاعَفَ الآنَ...».

وَقَطَعَتْ عَلَيْهَا حَبْلَ فِكْرِها خادِمَتُها (ماترينا فليمونوفنا) وَهِيَ تَفْتَحُ البابَ وَتَقُولُ: «دَرِينِي أُرْسِلُ فِي طَلَبِ أَخِي، فِي اسْتِطَاعَتِهِ تَجْهِيزُ بَعْضِ الْأَطْعِمَةِ لِلْأَوْلَادِ، وَبِذَلِكَ نُجَبِّهُمُ قِضَاءَ النَّهَارِ طَوايِرَ سَاطِئِينَ»^(٢).

فَقَالَتْ: «أَصَبْتِ يَا ماترينا، فابْعَثِي فِي طَلَبِهِ... وَلَكِنْ، هل جِئْتِ بِالْحَلِيبِ؟».

وْغَابَ عَنِ بالِها أَنَّها غَاضِبَةٌ، فَانْهَمَكَتْ فِي أَعْمالِها، وَأَقْبَلَتْ عَلَى تَضْرِيْفِ شُؤُونِ بَيْتِها وَأَوْلادِها.

وَالأُمُّ أُمٌ... دَائِمًا...

(١) الوَشَائِجِ: الصَّلَات، الرُّوَابِط.

(٢) طَوايِرَ سَاطِئِينَ: جَانِعِينَ.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَعِ لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - ما الحالةُ الشعوريَّةُ الَّتِي عاشَتْها داريا بعدَ أنِ اكتشَفَتْ خيانتَ زوجها لها؟
- ٣ - أَكانتِ داريا تُحِبُّ زوجها، أمَ كانتِ تَكْرَهُهُ؟
- ٤ - ماذا كانتِ تُحِبُّ فيه؟ وماذا كانتِ تَكْرَهُ فيه؟
- ٥ - أترى في داريا مُجرَّدَ امرأةٍ عنيده، أمَ سَيِّدَةً تحترمُ نفسها وتحفظُ عهدَها؟
- ٦ - ذَكَرتِ داريا اسمَ زوجها وهي تُخاطِبُهُ ساخِطَةً، فجاءَ الاسمُ مُصَغَّرًا . علامَ يَدُلُّ ذلك؟
- ٧ - هل تُحَمِّنُ أنَّ الأزمَةَ الَّتِي عَصَفَتْ بِأسرةِ أوبلنسكي ستَهْدَأُ وتَنحَلُّ؟ وما الَّذِي أُوحي لك بذلك؟
- ٨ - أوجِزْ مضمونَ الفصلِ في أسطرٍ قَلِيلَةٍ .

الفصل الخامس

كَانَ سْتِيفَانُ أُوْبِلِنْسْكِي، بِالرَّغْمِ مِنَ الْكَسَلِ الَّذِي عَرَاهُ فِي الصَّغَرِ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ اسْتِهْتَارِهِ بَعْدَ أَنْ شَبَّ وَاكْتَمَلَ، قَدْ شَغَلَ مَنْصِبًا سَامِيًا فِي مُوسْكُو. وَمَا كَانَ تَوْفِيقُهُ فِي حَيَاتِهِ تِلْكَ إِلَّا بِفَضْلِ زَوْجِ شَقِيقَتِهِ أَنَا وَيُدْعَى أَلِيكْسِيْس كَارْنِين، وَكَانَ قُطْبًا مِنْ أَقْطَابِ الْحُكُومَةِ فِي ذَلِكَ الْحِينِ.

وَمَا كَانَ سْتِيفَانُ لِيُقَصِّرَ عَنِ الظَّفَرِ بِمِثْلِ هَذَا الْمَنْصِبِ لَوْ لَمْ يُعِنَهُ أَلِيكْسِي فِي ذَلِكَ، فَتَمَّةٌ مِثْلُ غَيْرِ أَلِيكْسِي كَانُوا عَلَى تَمَامِ الْأَهْبَةِ لِيُقَدِّمُوا لَهُ الْمُسَاعَدَةَ اللَّازِمَةَ. . . تَمَّةٌ مِثْلُ مَنْ الشَّخْصِيَّاتِ الرَّفِيعَةِ الْخَطِيرَةِ الَّتِي تَشْجُبُهَا^(١) بِسْتِيفَانِ صِلَاتِ الثَّرْبِيِّ وَالصَّدَاقَةِ كَانُوا لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْ تَمْهِيدِ طَرِيقِ النَّجَاحِ لِلشَّابِّ لَوْ لَمْ يَسْبِقَهُمْ كَارْنِينُ إِلَى ذَلِكَ.

فِيضْفُ أَهَالِي مُوسْكُو وَبِطَرَسْبِرْجِ كَانُوا مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ. وَأَعْنِي بِالنُّصْفِ، تِلْكَ الطَّبَقَةُ الْمُتَرْفَعَةُ الَّتِي تَضَعُ يَدَهَا عَلَى مَقَالِيدِ الْأُمُورِ، وَتُهَيِّمُنُ عَلَى شُؤُونِ الدَّوْلَةِ. لِهَذَا كَانَ خَلِيقًا بِهِ أَنْ لَا يَشْقَى فِي الْحُصُولِ عَلَى مَا يَبْتَغِي شَرِيطَةَ أَنْ لَا يَشْرَيْتَبَّ بِعُنُقِهِ إِلَى أَعْلَى. . . أَيَّ عَلِيٍّ أَنْ يَقْنَعَ بِالَّذِي ظَفَرَ بِهِ، فَلَا يَلِجُ مَفَاحِمَ مَنْ هُمْ أَعْظَمُ قَدْرًا وَأَخْطَرُ مَكَانَةً.

وَكَانَ سْتِيفَانُ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ الْجَمِيعِ بِهِ؛ فَهُوَ مُسَالِمٌ بِطَبْعِهِ، يَنْفُرُ مِنَ الْمُشَاحَنَاتِ، وَيَخْرِصُ عَلَى تَجَنُّبِ مَا يُرِيبُ، حَتَّى وَفَّقَ بِحُسْنِ خِلَالِهِ إِلَى اسْتِيلَالِ كُلِّ حَذَرٍ يَنْوُبُ رَيْسًا أَوْ مَرْؤُوسًا.

كَانَ يَضْدُفُ عَنِ الْمُجَادَلَةِ، وَيَبْتَعِدُ جُهْدَهُ عَنِ الْمُنَاقَشَةِ، وَيَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ خَاضِعٍ، وَصَوْتٍ لَطِيفٍ. . . وَيَضْحَكُ فِي وَجْهِ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَيَغْفُو وَيَضْفَحُ مَهْمَا كَانَتْ الْإِسَاءَةُ بِالْغَةِ.

ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ مَجَانًا، مَرَحًا، يُوحِي بِرَيْقِ عَيْنَيْهِ بِيَبَاضِ قَلْبِهِ، وَتُقْشِي انْطِلَاقَهُ أَسَارِيرَهُ طِيبَ

(١) تَشْجُبُهَا: تَرَبِّطُهَا.

حتى إنَّ كُلَّ صَدِيقٍ كَانَ يُقَابِلُهُ بِتَحِيَّةٍ حَارَّةٍ، فيقولُ: «هَذَا أَنْتَ يَا سَتِيفَا...» وَيَتَسَيَّمُ الصَّدِيقُ ابْتِسَامَةً مُخْلِصَةً، وَيُرَبِّتُ عَلَى ظَهْرِهِ مُتَوَدِّدًا مُتَحَبِّبًا.

وَاسْتَطَاعَ إِبَانَ الْأَعْوَامِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي قَضَاهَا فِي الْوِظْفِيَّةِ أَنْ يُوطِّدَ مَرْكَزَهُ فِي قُلُوبِ الْجَمِيعِ، وَأَنْ يَدْعَمَ مُسْتَقْبَلَهُ بِطَرِيقَةٍ فَعَالَةٍ. فَهُوَ يُغْضِي حَتَّى لَا يَجْلِبَ الْمَضْرَّةَ لِلغَيْرِ وَالكَدْرَ لِنَفْسِهِ... وَهُوَ يَتَوَاضَعُ حَتَّى لَا يَتَضَاعَفَ كُرْهُهُ الْفِطْرِيُّ مِنَ التَّعَالِي وَالْعَجْرَفَةِ... وَهُوَ يُحِبُّ الْجَمِيعَ وَيُحِبُّ نَفْسَهُ... ثُمَّ هُوَ لَا يَحْوِلُ مَسْئُولِيَّةً، وَيَعْمَلُ عَمَلًا هَيِّئًا، وَيَرعى رَاحَتَهُ وَمَصْلَحَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَرعى مَطَالِبَ الْوِظْفِيَّةِ وَمَصْلَحَةَ الْعَمَلِ.

كَانَ أُوْبِلِنْسْكِي كَمَا قُلْنَا يَحْيَا حَيَاةً سَطْحِيَّةً؛ كَانَ يَحْيَا بِجِسْمِهِ مَعَ زَوْجِهِ، وَقَلْبُهُ فَارِعٌ مِنَ الْحَيَاةِ. فَلَمَّا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، وَمَضَى فِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ الْمَشْهُومِ إِلَى مَقَرِّ عَمَلِهِ، كَانَ شَارِدَ اللَّبِّ، زَائِعَ الْبَصَرِ، يَضْرِبُ أَحْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ، كَمَنْ يُظْهِرُ شَيْئًا وَيُرِيدُ غَيْرَهُ.

فَلَمَّا دَخَلَ مَكْتَبَهُ حَيَاةُ الْجَمِيعِ وَرَحَّبُوا بِهِ. ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ شَابٌّ كَانَ أَشَدَّهُمْ ظَرْفًا وَأَكْثَرَهُمْ كِيَاَسَةً، فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِ مُخْتَلِفَ الْأُورَاقِ.

وَأَنْصَتَ أُوْبِلِنْسْكِي أَوْ تَظَاهَرَ بِالْإِنْصَاتِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْقَهُ مَا يَقُولُهُ الشَّابُّ، بَلْ مَضَى يَهْجُسُ فِي مُصِيبَتِهِ، ثُمَّ نَاجَى نَفْسَهُ بِاسْمًا: «أَوْاسْتَطِيعُ أَنْ أَعْمَلَ؟ لَوْ أُطْلِعَ هَوْلَاءِ الشُّبَّانِ عَلَى جَرِيرَةِ رَأْسِهِمْ، وَاسْتَطَاعُوا أَنْ يَرَوْهُ وَهُوَ يَقِفُ فِي مَدَلَّةِ أَمَامِ زَوْجِهِ لَكَانَ مَوْقِفُهُمْ مِنِّي غَيْرَ مَوْقِفِهِمْ، وَنَظَرُهُمْ إِلَيَّ غَيْرَ نَظَرَتِهِمْ».

وَمَضَتِ السَّاعَاتُ؛ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي سَاعَةِ الظَّهْرِ شَابٌّ مَدِيدٌ، مُتَّصِبٌ، يَدُلُّ مَظْهَرُهُ عَلَى الْقُوَّةِ وَالْعَزْمِ، وَتُنْبِي سِيمَاهُ بِالصَّرَاحَةِ وَالْحَزْمِ.

وَمَا كَادَ سَتِيفَانُ يَشْعُرُ بِمَقْدَمِ الرَّجُلِ حَتَّى انْتَصَبَ وَاقِفًا وَمَدَّ لَهُ يَدَهُ مُصَافِحًا، وَقَالَ: «عَلَى الرَّحْبِ، عَلَى الرَّحْبِ، مَتَى قَدِمْتَ؟»

فَأَجَابَهُ الشَّابُّ: «مُنْذُ يَسِيرٍ، وَهَا أَنَا آتِي إِلَيْكَ!»

وَصَمَّتْ فَيْنَةُ ثُمَّ أَمَّ: «وَلِي عِنْدَكَ مَآرَبٌ، فَهَلْ لَدَيْكَ فُسْحَةٌ مِنَ الْوَقْتِ لِتَسْمَعَ مَا أَقُولُ؟»

وكانَ هذا الشابُّ يُدعى ليفينَ، وهوَ أقربُ أصدِقاءِ ستيفانَ إلى قلبِهِ. فقد تبادَلَ الشَّابانِ الحُبَّ وهُما طفلانِ، ولَمَّا ترعرعا وشبَّا عَنِ الطَّوقِ مَحْضٍ^(١) الواحدُ مِنْهُما الآخرَ الوُدَّ والصَّفاءَ، وأَخْلَصَ لَهُ أَيَّما إِخْلاصٍ.

وعَمِلَ ستيفانُ في الحُكُومَةِ؛ أَمَّا صَدِيقُهُ ليفينُ، وكانَ نَفُورًا بِطَبِيعِهِ مِنَ المُجْتَمَعاتِ، فقد فرَّ هارِبًا مِنَ موسكو، وانْتَجَعَ الرِّيفَ حَيْثُ عاشَ هانِئًا سَعِيدًا مُرتاحًا مِنَ مَشاكِلِ المَدِينَةِ ومَتاعِهَا.

ولَمَّا اسْتَبَّ بالشَّابِّ المُقامُ عادَ ستيفانُ يَقُولُ بِلَهْجَةٍ تَشْفُ عَن طَبِيعِهِ وَصِراحيتهِ: «إِنِّي سَعِيدٌ بِرُؤيتِكَ يا صَدِيقِي، فَأَيْنَ كُنْتَ؟ وما الَّذِي حَبَسَكَ عَنَّا؟»

فأَجابَ ليفينُ: «كُنْتُ في الرِّيفِ كما تَعَلَّم، أَمَّا مِشاعري فقد كَانَتْ في موسكو!»
- «وَسَتَنأولُ طَعامَ العَداءِ مَعًا اليَوْمَ».

- «بُودِي لو قَدَرْتُ؛ وما سَوفَ أَقولُهُ لَكَ، لا يَسْتَعْرِقُ بِنُهُ أَكثَرَ مِنَ دَقائِقٍ».

- «قُلْ ما تَشاءُ بِإيجازٍ، ثُمَّ بِإِسهابٍ حَولَ مائِدَةِ العِشاءِ».

فَتَمَلَّمَ ليفينُ مُتَحَرِّجًا، ثُمَّ تَضَرَّجَ وَجْهُهُ حَياءً، وأُلْجِمَ لِسانَهُ. وَلَكِنَّهُ اسْتَجَمَعَ قُواهَ بَعْدَ لَأْيٍ^(٢)، وَقَالَ وَهُوَ مُطَّرِقٌ: «أَرَدْتُ أَنْ أَجْتَمَعَ إِلَيْكَ لِأُخْبِرَكَ أَنِّي... أَنِّي...!»

وَصَمَّتْ كَأَنَّ القَوْلَ أُزْبِجَ^(٣) عَلَيهِ، وما عَتَمَ أَنْ أَرَدَفَ يَقُولُ: «لن أَكثِرَ القَوْلَ في ما لا مَنفَعَةَ فِيهِ، فَمَماذا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرِفَّ إِلَيَّ مِنَ أَخبارِ الأميرِ شِرباتسكي وَعائِلَتِهِ؟ قُلْ كُلَّ شَيْءٍ وَسأكونُ لَكَ مِنَ الحامِدينَ!»

فَضَحِكَ أوبلنسكي ضِحكةَ المَرَحِ، وكأَنَّهُ نَسِيَ مُشكِلتَهُ المُستَعصِيَةَ وَقَالَ: «إِنَّهُمُ على خَيرٍ ما يُرامُ».

واستَعْرَضَ في ذَهِبِهِ صَورَةَ كاترينِ ابْنَةِ الأميرِ وشَقيقَةِ دارِيا زَوجَتِهِ، وَفَكَرَّ في تَعَلُّقِ ليفينَ بِهَا وَتَدَلُّهِ بِحُبِّهَا.

(١) مَحْضُهُ الرُّدُّ: أَخْلَصَهُ لَهُ.

(٢) بَعْدَ لَأْيٍ: بَعْدَ جَهِدٍ وَمَشَقَّةٍ.

(٣) أُزْبِجَ عَلَيْهِ القَوْلُ: أَغْلِقَ بَأْهُ.

وصَعَدَ فِي صَدِيقِهِ بَصْرَهُ، ثُمَّ بَشَّ ثَانِيَةً وَقَالَ بَوَجْهِ طَلْقِي: «وإِنْ شِئْتَ رُؤْيَتَهَا، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُوِّمَ حَلْبَةَ التَّرْلُجِ فِي حَدِيقَةِ الْحَيَوَانَاتِ.. فَهَنَّاكَ تَجِدُهَا، هُنَاكَ تَلْقَى كَاتِرِينَ كُلَّ يَوْمٍ قَبْلَ الْأَصِيلِ، بَيْنَ الثَّالِثَةِ وَالْخَامِسَةِ!»

فَاسْتَشْعَرَ لَيْفِينَ الْإِنْشِرَاحَ، وَسَعَّتْ عَيْنَاهُ بِنُورِ الْحُبُورِ، وَلَكِنَّهُ تَنَبَّهَ إِلَى عَيْنِي صَدِيقِهِ الْمَتْرَقِبَتَيْنِ، فَتَضَرَّجَ وَجْهَهُ، وَأَيَّقَنَ أَنَّ شَوْقَهُ قَدْ فَضَحَهُ. وَلَكِنَّهُ أَنْشَأَ يَقُولُ وَهُوَ يُغَالِبُ حَيَاءَهُ: «وَسَأَلَفَاكَ هُنَاكَ إِذَا فِي الْحَلْبَةِ... أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

قَالَ: «أَجَلْ، أَجَلْ... وَسَتَنَاوَلُ طَعَامَ الْعِشَاءِ مَعًا فِي مَا بَعْدُ».

وَأَنْسَرَى هُمُ لَيْفِينَ، وَتَلَاشَى اضْطِرَابَهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى صَدِيقِهِ يُصَافِحُهُ وَيَشْكُرُ لَهُ صَنِيعَهُ.

وَمَا أَبْطَأَ أَنْ أَنْصَرَفَ لَا يُلُوي عَلَى أَحَدٍ، وَقَدْ أَنْحَى عَلَى نَفْسِهِ بِاللَّائِمَةِ، وَعَدَّلَهَا عَلَى تَرْدُودِهَا وَخَوَرِهَا وَحَيَائِهَا... وَعَتَفَتْ تِلْكَ النَّفْسَ الْخَائِرَةَ عَلَى فُقْدَانِهَا مَعَانِي الشَّجَاعَةِ، وَإِلَّا لَكَانَ ابْتَدَرَ صَدِيقَهُ أَوْلِنَسْكَي بِالْوَاقِعِ، وَقَالَ: «مَا جِئْتُ إِلَى مُسْكَو إِلَّا لَهَا، مَا تَجَسَّمْتُ مَشَاقَّ السَّفَرِ إِلَّا لِأُكْحَلَ عَيْنِي بِمَرَاي كَاتِرِينَ، فَمَا قَوْلُكَ؟»

كَانَتْ عَائِلَتُنَا «شِرْبَاتَسْكَي» وَ«لَيْفِينَ» مِنَ الْعَائِلَاتِ الْقَدِيمَةِ الْمَعْرُوفَةِ فِي مُسْكَو، وَكَانَ بَيْنَهُمَا مِنْ أَوَاصِرِ الْقُرْبَى وَالصَّدَاقَةِ الْوَشِيجَةِ مَا جَرَى مَجْرَى الْمَثَلِ. وَقَدْ تَوَثَّقَتْ غُرَى الْمَحَبَّةِ وَالْأُلْفَةِ بَيْنَ لَيْفِينَ الشَّابِّ وَنِيْكَوَلَا شِرْبَاتَسْكَي، شَقِيقِ دَارِيَا وَشَقِيقِ الْحَسَنَاءِ كَاتِرِينَ، الَّتِي افْتَنَّ بِهَا لَيْفِينَ.

وَالْعَجِيبُ فِي الْأَمْرِ أَنَّ لَيْفِينَ تَعَثَّرَ قَلْبُهُ فِي هَوَى دَارِيَا قَبْلَ زَوَاجِهَا ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَحَوَّلَ إِلَى شَقِيقَتِهَا، فَكَانَ حُبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا مُضْطَرِّمًا لَا تَخْمَدُ لَهُ وَقْدَةٌ.

وَطَفِقَ مِنْ بَعْدِ يَتَرَدَّدُ عَلَى بَيْتِ الْعَائِلَةِ الْعَرِيقَةِ، وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يَحَوَّرَ مَعْنَمًا، وَيَفُوزَ بِضَالَةٍ. وَلَمْ يَزَلْ الْأَرْزَمُ لَهَا مِنْ ظِلِّهَا كُلَّمَا أَمَّ مُسْكَو، حَتَّى أَيَّقَنَ الْجَمِيعُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مُتَقَدِّمٍ إِلَى أَوْلِيَاءِ أَمْرِهَا لِخَطِيئَتِهَا، وَأَنَّهُ لَنْ يَلْبَثَ طَوِيلًا حَتَّى يَطْلُبَ يَدَهَا.

وَلَكِنَّهُ وَقَدْ لَزِمَهَا شَهْرَيْنِ، وَرَاقَبَهَا عَنْ كَثْبٍ، وَسَبَرَ غَوْرَهَا وَأَصْغَى لِحَدِيثِهَا، رَاعَهُ مَا رَأَاهُ مِنْ سُمُو خُلُقِهَا، وَحَصَافَةِ تَفْكِيرِهَا، وَالتَّزَامِهَا جَادَةَ الشَّرْفِ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَأَيَّقَنَ أَنَّ تَصَدِيقَهُ

لِلظَّفَرِ بِهَا حَلِيلَةً، أَمْرٌ دُونَهُ خَرْطُ الْقَتَادِ^(١)، وَلَمْ يَجِدْ مَدْوَحَةً فِي النَّهْيَةِ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى قَرِيْبِهِ وَالْإِنْطِوَاءِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى سَقَمِ قَلْبِهِ وَدَنْفِهِ^(٢)!

وَلَمَّا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِتَقْوِيَةِ نَفْسِهِ، أَفَاقَ مِنْ غَيْبُوْبَتِهِ الَّتِي رَمَاهُ فِيهَا الْحُبُّ الْمُبْرَحُ، وَعَجِبَ كَيْفَ دَاخَلَ حِسَّهُ وَتَفَكَّرَهُ أَنَّ كَاتَرِيْنَ لَنْ تُجِبَهُ قَطُّ، وَلَنْ تُقْبَلَ بِهِ بَعْلًا. كَمَا أَنَّ أَفْرَادَ عَائِلَتِهَا سَيَرْفُضُوْنَ طَلْبَهُ وَيُرَدُّوْنَهُ خَائِبًا خَاسِتًا... أَلَيْسَ هُوَ شَابًا يَتَمِي بِعَمَلِهِ إِلَى طَبَقَةِ الْفَلَاحِيْنَ؟ أَلَيْسَ هُوَ شَابًا مَنَسِيًّا، لَا تَعْرِفُ بِهِ أُنْدِيَةَ مُوسَكَو اللَّيْلِيَّةِ؟ أَلَا يُعْنَى بِالسَّائِمَةِ^(٣)، فِيرِيْبُهَا وَيَتَعَهَّدُهَا وَيُنَاجِرُ بِهَا؟ فَأَيْنَ هُوَ إِذَا مِنْ كَاتَرِيْنَ؟ وَأَيْنَ مَكَائِثُ الْمَرْمُوقَةِ فِي الْحُكُومَةِ؟

فَمَا إِنْ فَتَلَ رَاجِعًا إِلَى مُوسَكَو حَتَّى هَاجَ الْحَنِيْنُ بِقَلْبِهِ، وَثَارَتْ كَوَامِيْنُ شَوْقِهِ وَحَنِيْنِهِ، وَعَزَمَ وَقَدْ أَذْنَقَتْهُ هَلِيْبُو التَّبَارِيْحِ أَنَّ يَسْتَطْلِعَ طَلْعَ مَحْبُوبَتِهِ، وَيَكْتَنِيَنَّ رَأْيَ أَهْلِهَا فِي شَخْصِيَّتِهِ، وَلِيَفْعَلَ اللهُ مَا يَرَاهُ أَمْرًا عَقْضِيًّا، وَلِيَقْضِ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَرَاهُ... .

وَقَرَّرَ أَنْ يَتَقَدَّمَ مِنْ أَبِيْهَا فَيَطْلُبُ يَدَهَا، فَمَنْ يَعْلَمُ؟ قَدْ يُكْرِمَانِ وَفَادَتُهُ، وَيُبَلِّدَانِ مَخَافَتَهُ، وَيَسْتَجِيْبَانِ إِلَى طَلْبِهِ، فَيُحَقِّقَانِ بِذَلِكَ سَعَادَةَ قَلْبِهِ وَرُوحِهِ!

فَإِذَا رَفَضَا، وَإِذَا رَفَضَتْ؟

وَيَلَاهُ! مَاذَا هُوَ صَانِعٌ إِنْ رَفَضُوا؟

وَطَرَدَ مِنْ رَأْسِهِ هَذِهِ الْأَفْكَارَ، وَفَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى اللهِ مُسَهِّلِ الْأَوْطَارِ، وَعَالِمِ الْأَسْرَارِ!

(١) خَرْطُ الْقَتَادِ: انْتِزَاعُ شَوْكِ الْقَتَادِ بِالْيَدِ وَهُوَ أَمْرٌ بِالْغِ الصُّعُوبَةِ.

(٢) دَنْفُهُ: مَرَضُهُ الثَّقِيْلُ الْمَلَازِمُ لَهُ.

(٣) السَّائِمَةُ: الْمَاشِيَةُ.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَعْ لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - ما الخِصَالُ التي جعلتْ ستيفان أويلنسكي محبوبًا لدى أقربائِهِ وأصدقائِهِ؟
- ٣ - أَتَرْضَى أَنْتَ عن هذه الخِصَالِ في المرءِ؟
- ٤ - حَدِّدْ خِصَالَ شَخْصِيَّةِ ليفين كما بَدَتْ لك من خلالِ هذا الفصلِ .
- ٥ - أَتَقَعُ في ما قرأتَ حتَّى الآنَ، ولا سيَّما في هذا الفصلِ، على ملامحَ طبقيَّةٍ في المجتمعِ الروسيِّ؟ وما هي؟
- ٦ - أَنْتَ، في هذا الفصلِ، أمامَ ملامحِ عقدةٍ جديدةٍ، أَسْتَطِيعُ أن تُحدِّدَها؟ مَنْ بطلُها؟ وماذا تتوقَّعُ لها حلًّا؟
- ٧ - أَوْجِزْ مضمونَ الفصلِ في أسطرٍ قليلةٍ .

الفصل السادس

إِسْتَقَلَّ لَيْفِينُ الْعَرَبَةَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، وَتَرَجَّلَ مِنْهَا فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنِ حَلْبَةِ التَّرْلُجِ، ثُمَّ مَشَى إِلَيْهَا بِخُطَوَاتٍ بَطِيئَةٍ مُتَرَدِّدَةٍ، وَنَفْسٍ هَاجِسَةٍ مُتَوَجِّسَةٍ، وَهُوَ يُوَدُّ لَوْ عَادَ أَدْرَاجَهُ حَتَّى يَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْقَلَقِ الشَّدِيدِ الَّذِي طَفِقَ يَمَلَأُ صَدْرَهُ. وَلَكِنَّهُ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ خَوْفِهِ وَذُعْرِهِ، مَشَى مُتَّجِهَاً إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ حَتَّى لَا يَهْدِمَ بَحْيَائِهِ وَتَرُدُّدِهِ مَا سَعَى إِلَيْهِ لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ، وَحَتَّى لَا يَلُومَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ نَفْسَهُ الَّتِي أَضَاعَتْ بِجُبْنِهَا مِئَةَ قَلْبِهِ وَهِنَاءَةَ رُوحِهِ. وَقَدْ يَقِيهِ اللَّهُ، إِنْ أَقْدَمَ، مَرَارَةَ الْحَبِيَّةِ، فَيُنَجِّيهِ مِنَ الْعَثَرَاتِ، وَيُوصِلُهُ إِلَى شَاطِئِ السَّلَامَةِ مَوْفُورَ الْقُوَّةِ وَالْكَرَامَةِ.

وَقَالَ وَهُوَ يُشْرِفُ عَلَى الْحَلْبَةِ: «وَيْلَكَ يَا نَفْسُ!»^(١) قَدَّمِي لِصَاحِبِكَ صَالِحًا! وَيْلَكَ يَا نَفْسُ! لَا تُرَاعِي، وَازْدَرِي الْخَوْفَ كَمَا اذْدَرَيْتِ مِنْ قَبْلِ زُخْرَفِ الْحَيَاةِ.

وَضَعُفَتْ ثِقَتُهُ بِنَفْسِهِ سَاعَةَ ظَهَرَ النَّاسُ لِبَصَرِهِ، وَشَعَرَ بِالشَّرُورِ وَالغَيْطَةِ، كَمَا دَاخَلَهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّهْبَةِ.

وَأَيَّقَنَ مِنْ لَمَحَاتِ فِكْرِهِ وَاضْطِرَابَاتِ إِحْسَاسِهِ أَنَّ حَبِيَّةَ قَلْبِهِ مَوْجُودَةٌ لَا مَحَالَةَ.

فَمَنْ، مَنْ يُوَصِّلُهُ إِلَى نَيْلِ الْمُرَادِ؟ وَحَرَضَهُ الشُّوقُ عَلَى أَنْ يَخْطُوَ إِلَى الْأَمَامِ مُتَعَلِّبًا عَلَى حَيَائِهِ وَفَزَعِهِ.

وَمَا هِيَ إِلَّا دَقِيقَةٌ حَتَّى بَدَتْ لَهُ كَاتِرِينَ، وَتَرَاءَتْ كَأَنَّهَا وَرْدَةٌ بَيْنَ حَشَائِشٍ، إِنْ لَمْ تَقُلْ بَيْنَ أَشْوَاكِ! وَكُلُّ شَيْءٍ سَطَعَ حَوْلَهَا، فَكَانَتْ كَالْإِتْسَامَةِ الَّتِي أَضْفَتِ النُّورَ عَلَى مَنْ يُحِيطُ بِهَا.

«فَهَلْ يُمَكِّنُنِي أَنْ أُسِيرَ إِلَيْهَا؟ هَلْ أَجْرُؤُ عَلَى الْإِقْتِرَابِ مِنْهَا؟» جَعَلَ لَيْفِينُ يُنَاجِي نَفْسَهُ.

(١) وَيْلَكَ: وَيْحَكَ.

وَحِيلَ إِلَيْهِ أَنْ الْمَكَانَ الَّذِي اخْتَلَتْهُ مَا هُوَ إِلَّا مِحْرَابٌ مُقَدَّسٌ لَا يَرْفَى إِلَيْهِ أَحَدٌ. وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الْهَلَعُ، وَانْتَنَى يُزِمِعُ الرُّجُوعَ مِنْ حَيْثُ أَتَى. لَكِنَّهُ تَغَلَّبَ عَلَى خَوْرِهِ وَوَهِنِ عَزِيمَتِهِ، وَتَدَكَّرَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةً فَاتِرَةً أَنْ غَيْرَهُ يَحُومُ حَوْلَهَا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ضِيَائِهَا وَبَهَائِهَا وَرُؤَائِهَا! وَمَشَى مِنْ بَعِيدٍ، مَشَى لِذَقَائِقِ عَدِيدَةٍ يَزْنُو وَلَا يَدْنُو، وَيَخْتَلِسُ النَّطَرَ وَلَا يَتَقَدَّمُ!

فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ كَانَ يُؤْمُ حَلَبَةَ التَّرْلُجِ خَلِيطَ مِنَ النَّاسِ. كَانَ مِنْهُمْ أَبْطَالُ اللَّعِبِ عَلَى التَّلَجِ، وَكَانَ مِنْهُمْ الْمُبْتَدِئُونَ. كَانَ مِنْهُمْ طُلَّابُ الْمُتَعَةِ، وَكَانَ مِنْهُمْ الْبَاحِثُونَ عَنِ الشُّهُورَةِ... وَرَمَقَ لَيْفِينُ حَبِيئَةً قَلْبِهِ، وَتَفَرَّسَ فِي الْقَوْمِ الْآخَرِينَ، وَأَيَّقَنَ سَاعَتَ ذَاكَ أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ جَمِيعًا، لِأَنَّهُمْ يُحِيطُونَ بِهَا إِحَاطَةَ الْهَالَةِ بِالْقَمَرِ.

وَبِينَا هُوَ مُنْصَرِفٌ إِلَى هَوَاجِسِهِ وَأَفْكَارِهِ، لَا تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ التَّقَدَّمَ، إِلَّا وَيَذْفَعُهُ خَوْفُهُ وَيَدْرُؤُهُ، إِذْ بِقَائِلٍ يَهْتَفُ: «هَذَا هُوَ بَطْلٌ رُوسِيَا الْأَوَّلُ فِي التَّرْلُجِ! فَمَتَى قَدِمْتَ يَا لَيْفِينُ؟ وَكَيْفَ لَمْ نَسْمَعْ بِمَقْدَمِكَ؟»

وَكَانَ الْمُتَكَلِّمُ يُدْعَى «نِيكُولَاي شِيرْبَاتسْكِي»، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ كَاتَرِينَ.

وَافْتَرَبَتْ كَاتَرِينَ فِي حَذَرٍ كَأَنَّهَا تَخَافُ السَّقُوطَ، وَوَجَفَ قَلْبُ لَيْفِينِ، وَتَحَجَّرَتْ نَظْرَتُهُ، وَطَفِقَ يَتَأَمَّلُ صَامِتًا فِي هَذَا الْحُسْنِ الرَّائِعِ. ثُمَّ صَعَدَ طَرْفُهُ إِلَى عَيْنَيْهَا اللَّتَيْنِ تَنْطِقَانِ دَوْمًا بِالطَّبِيبَةِ وَالْإِبَاءِ وَالصَّدُقِ.

وَقَالَتْ بِصَوْتِهَا الْحَنُونِ الْهَادِي: «وَمَتَى قَدِمْتَ مُوسِكُو؟» وَأَعْطَتْهُ يَدَهَا، وَاسْتَشَلَّتْ وَهُوَ يُقَدِّمُ لَهَا مِندِيلَهَا الَّذِي سَقَطَ مِنْهَا: «لَكَ شُكْرِي وَامْتِنَانِي».

وَقَالَ: «أَنَا؟ لَمْ آتِ... إِلَّا... الْبَارِحَةَ... أَعْنِي الْيَوْمَ... وَكُنْتُ أَنْوِي زِيَارَتِكَ!» وَكَأَنَّهُ تَدَكَّرَ أَنَّهُ كَانَ عَازِمًا عَلَى الْاجْتِمَاعِ إِلَيْهَا، فَتَضَرَّجَ وَجْهُهُ حَيَاءً!

وَتَأَلَّقَتْ شَفَاتُهَا بِابْتِسَامَةٍ سَاحِرَةٍ خَالِيَةٍ، فَمَادَتْ الْأَرْضُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَكَادَ يَتَهَاوَى مِمَّا حَلَّ بِهِ. وَلَكِنَّهَا أَنْقَذَتْهُ فَقَالَتْ: «أَنَا جِدُّ مَسْرُورَةٍ بِمَجِيئِكَ!»

فَقَالَ: «لَمْ أَكْ أَعْلَمُ أَنَّكَ مَاهِرَةٌ فِي التَّرْلُجِ».

فَتَمَعَّتْ فِي وَجْهِهِ، وَكَأَنَّهَا تَرُومُ سَبْرَ غُورِهِ، وَاسْتَشْفَافَ مَا يُرْبِكُهُ وَيُثْلِقُهُ، وَمَا لَبِثَتْ أَنْ أَجَابَتْ: «تَنَاوُكَ عَلَيَّ لَهُ قِيمَتُهُ، فَكُلُّ امْرِئٍ يَعْرِفُ أَنَّكَ أَمْهَرُ مَنْ تَرْلُجَ فِي مُوسِكُو».

وَنَقَصْتُ بِأَضْبَعِهَا مَا عَلِقَ بِشِيبِهَا مِنْ ذَرَاتِ الثَّلْجِ .

قَالَ: «لقد استهوتني هذه الرياضة، وملكت لبي، لهذا عزمْتُ منذ زمنٍ على التفرُّغ لها والتمرُّس فيها» .

فأجابَتْ ضاحكةً: «كُلُّ ما يستهويك، تُصرُّ على نيِّله كما أرى، فهلَمَّ، ضَع في رجليك عُدَّة التزلُّج ولتَلْعَب مَعًا» .

وَفَكَّرَ لِيَفِينُ: «تزلُّج مَعًا! أنا وهي! هل أَصَدِّقُ سَمْعِي؟ أَعَدَّوْتُ مِنَ السُّعْدَاءِ؟»

وما عَتَمَ أَنْ ذَهَبَ إِلَى مَكَانِ اسْتِيْدَالِ الْمَلَابِسِ . فَرَحَّبَ بِهِ الْخَدَمُ، وَجَاؤُوا إِلَيْهِ بِمَا أَرَادَ، وَسَاعَدُوهُ عَلَى الْاسْتِعْدَادِ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْحَلِيَّةِ، فَدَنَا مِنْ كَاتِرِينَ بِخُضُوعِ الْعَبْدِ وَرِقَّتِهِ . وَلَكِنَّ ابْتِسَامَتَهَا شَدَّدَتْ قَلْبَهُ وَعَزِمَتُهُ، فَأَمْسَكَ يَدَهَا وَانْسَابَ مَعَهَا عَلَى الثَّلْجِ بِيْطَاءٍ ثُمَّ بِسُرْعَةٍ مُتَزَايِدَةٍ .

وَبَرَّقَتْ عَيْنَا الْحَسَنَاءِ وَهِيَ تَشْعُرُ بِالثَّقَّةِ وَالْقُدْرَةِ، وَجَعَلَتْ تَضَعُطُ عَلَى يَدِهِ وَتَقُولُ: «مَعَكَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبْدُ غَيْرِي، فَأَنْتَ حَقًّا مِنْ أَمَهَرِ مَنْ تَزَلُّج . أَمَا تَرَانِي كَيْفَ أَنْسَابُ دُونَ وَجَلِّ؟»
فَأَجَابَتْ: «وَأَنَا أَشْعُرُ بِالثَّقَّةِ وَأَنْتِ بَجَائِبِي!»

وَقَفَرَ قَلْبُهُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ . . . مَا هَذَا؟ مَا هَذِهِ الْجُرْأَةُ الَّتِي لَمْ يَعْهَدْهَا مِنْ قَبْلُ؟

وَقَدْ أَثَّرَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ فِي الصَّلَةِ الَّتِي تَرَبَّطُ بَيْنَهُمَا، فَهِيَ مَا كَادَتْ تَسْمَعُهَا وَتَفْهَمُهَا حَتَّى قَطَّبَتْ حَاجِبَيْهَا، وَقَدَّ وَجْهَهَا تِلْكَ الْمَسْحَةَ الْوَاضِحَةَ مِنَ الصِّدَاقَةِ، وَكَأَنَّ الشَّمْسُ تَحْتَجِبُ خَلْفَ عَيْمَةٍ .

وَرَأَى لِيَفِينُ ذَلِكَ، فَأَيَّقَنَ أَنَّهَا تُفَكِّرُ، فَقَالَ مُتَرَدِّدًا: «أَتَمَّةٌ مَا يُزْعِجُكَ؟ هَلْ هُنَاكَ مَا يُقْلِقُ بِالْكَ؟»

فَأَجَابَتْ بِشَيْءٍ مِنَ الْجَفَاءِ: «لا، لا شَيْءَ الْبَيْتَةِ!»

وَصَمَّتَتْ ثُمَّ اسْتَلَّتْ: «وهل تُزِمُّعُ الْمَكْتُ فِي مُوسِكُو طَوِيلًا؟»

فَأَجَابَتْ مِنْ دُونَ إِعْمَالِ الرُّوِيَّةِ: «لا أَذْرِي!» .

- «وَكَيْفَ لَا تَدْرِي؟ بَيِّنْ لِي مَا تَقُولُ!» -

- «لا أدري متى أرحل، لأنَّ رَحيلي مَسْأَلَةٌ لا يُبْتُ فيها قَبْلَ التَّثْبُتِ مِنْ أَمْرِكِ!». .

وأجفلَ، وعَجِبَ لإقدامِهِ على الإفصاحِ عَمَّا يُخالِجُهُ مِنْ مَارَبٍ وَأُوطَارٍ.

فلَمَّا سَمِعَتِ الحَسَناءُ ذَلِكَ وَجَّهَتْ إِلَيْهِ نَظْرَةً مُتَأَمِّلَةً مُتَفَحِّصَةً، وَكَأَنَّهَا أَجْمَعَتْ أَمْرَهَا على

تغييرِ المَوْضوعِ، فقالتْ وهي تُشيرُ بيديها: «هذه أُمِّي قادمةٌ، أَلَمْ تَرَها؟»

وذُعِرَ الفتى كَمَنْ اسْتَفَاقَ مِنْ حُلْمٍ، وَمَدَّ يَدَهُ في شُرُودِ فِصَاحِ المِراةِ الكَهْلَةَ، وَحَنَى لها

رَأْسَهُ، وَهُوَ لا يَعْلَمُ إِنْ كانَ قد جَنَى مِنْ تَهَوُّرِهِ خَيْرًا، وَإِنْ كانَ أَجْدَرَ بِهِ لو أَنْعَمَ النَّظَرُ قَبْلَ

أَنْ يَصْنَعَ ما صَنَعَهُ حَتَّى تَرْضَى مَحْبُوبَتَهُ، فَتَقَرَّ لِرِضاها عَيْنُهُ.

وَارْتَفَعَ صَوْتُ الأُمِّ يَقُولُ: «ما أرى فيكَ إِلَّا الإِجْتِهَادَ في الإِبتِعادِ وَالانزِواءِ، وَلَيْسَ لَكَ

في نُفوسِنا يا سَيِّدِي إِلَّا الشَّوْقُ وَالإِخْلاصُ!»

فَأخنى رَأْسَهُ ثانياً.

وَأرَدَفَتْ وهي تَتَنَبَّأُ إلى ابْنَتِها: «هَلْمِي يا كاترينُ، فقد حانَ وَفْتُ الذَّهابِ».

ثُمَّ عادتْ تُحدِّثُ ليفينَ بلَهجَتِها الجافَّةِ: «وانَّنا يا عَزِيزِي نَسْتَقْبِلُ الضُّيُوفَ في يومِ

الْخَمِيسِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ».

فقالَ: «يَوْمَ الخَمِيسِ! اليَوْمِ...».

قالتْ: «أَجَلُ، اليَوْمِ، وَاغْلَمْ أَننا نَسُرُّ بِمَجِيئِكَ، إِنْ طابَ لَكَ المَجِيءُ!»

وَفكَّرَتْ كاترينُ في أُمِّها وَكلامِها المُقْتَضِبِ الجافي، فَأشْفَقَتْ على الشَّابِّ، وَرَنَتْ إِلَيْهِ

بِاسْمَةٍ، وَقالتْ في دَعْوَةٍ: «ولنَ تُسَوَّلَ لَكَ نَفْسُكَ أَنْ تَمْتَنِعَ عَنَّا، فإلى المُلتَقَى إِذا في بَيْتِنا».

وَهَمَّتْ بِالْمُضِيِّ مَعَ أُمِّها، إِلَّا أَنَّ سَتيفانَ أوبلنسكي وَصَلَ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ، فَتَرَيَّتِ الأُمُّ

وَطَلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يُحدِّثَها عَنِ ابْنَتِها زَوْجَتِهِ.

فَلَمَ يَجِدِ الرَّجُلُ بُدًّا مِنْ كِتْمانِ ما شَجَرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَها، وَزَعَمَ لها أَنَّها على خَيْرِ ما يُرامُ،

وَأَنَّ لَيْسَ لها حاجَةٌ إِلى مَزِيدٍ مِنْ سَعادَةٍ وَهنا.

وَأَبْسَطَتْ أَسارِيرُ المِراةِ لَمَّا بَلَغَها هَذا القَوْلُ، فَرَمَقَتْ زَوْجَ ابْنَتِها بِنَظْرَةٍ الإِعْجابِ

وَالشُّكْرِ، كَأَنَّها تَجْعَلُ لهُ في نَفْسِها مِثاقَ الإِخْلاصِ وَالْمَحَبَّةِ، وَذَهَبَتْ مَعَ ابْنَتِها مُوَلِّيةً وَجْهَها

شَطْرَ البَيْتِ.

وَتَبِعَهُمَا سَتِيفَانُ بِعَيْنَيْهِ، فَلَمَّا غَابَتَا عَنْ بَصَرِهِ تَأَبَّطَ سَاعِدَ صَدِيقِهِ لَيْفِينَ وَقَالَ: «لَقَدْ سَمِعْتُ كَلَامًا لَمْ أَضِدُقْ فِيهِ كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا...».

وَضَحِكَ مُقَهِّقَهَا وَأَرْدَفَ: «هَيَّا بِنَا... هَيَّا بِنَا... فَلَكَ عَلَيَّ حَقُّ الصَّدِيقِ، وَلِي عَلَيْنِكَ حَقُّ الإِطْلَاعِ عَلَى مَا جَرَى وَمَا سَوْفَ يَجْرِي!»

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَعِّعْ لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - أَرَأَيْتَ مِنْ كَاتِرِينَ وَأُمَّهَا احْتِفَاءً وَاضِحًا بِلَيْفِينَ؟
- ٣ - عَلَامَ تَدُلُّ قَوْلُهُ لَيْفِينَ وَهُوَ يَجِيبُ عَنْ سَوَالِ كَاتِرِينَ : «أَنَا؟ لَمْ آتِ إِلَّا . . . الْبَارِحَةَ . . . أَغْنِي الْيَوْمَ»؟
- ٤ - إِلامَ لَمَحَتْ كَاتِرِينَ إِذْ قَالَتْ لَهُ : «كُلُّ مَا يَسْتَهْوِيكَ تُصِرُّ عَلَى نَيْلِهِ كَمَا أَرَى»؟
- ٥ - أَتَرَى أَنَّ كَاتِرِينَ كَانَتْ تَمِيلُ إِلَى لَيْفِينَ كَمَا يَمِيلُ إِلَيْهَا؟ عَلِّلْ إِجَابَتَكَ بِبَعْضِ مَا قَرَأْتَهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ .
- ٦ - مَا الَّذِي جَعَلَ لَيْفِينَ غَيْرَ مَرْغُوبٍ فِيهِ صَهْرًا فِي الطَّبَقَةِ الرَّفِيعَةِ مِنَ الْمَجْتَمَعِ؟ وَمَا رَأَيْكَ فِي ذَلِكَ؟
- ٧ - فِي هَذَا الْفَصْلِ جَوَازٌ وَسَرْدٌ وَنَجْوَى دَاخِلِيَّةٌ . هَاتِ مِثَالًا لِكُلِّ مِنْ هَذِهِ الْأَسَالِيبِ .
- ٨ - أَوْجِزْ مَضْمُونِ الْفَصْلِ فِي أَسْطُرٍ قَلِيلَةٍ .

الفصل السابع

ومشياً صامتينٍ مُطْرِقَيْنِ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ الْعَرَبَةَ إِلَى مَطْعَمٍ فَخَمَ، وَلَجَّاهُ وَانْتَبَدَا رُكْنًا مُنْفَرِدًا مُنْعَزِلًا مِنْهُ.

وَلَا حَظَّ لَيْفِينُ وَهُمَا يَذِلْفَانِ إِلَى الْمَكَانِ أَنَّ وَجْهَ صَدِيقِهِ يَنِمُّ عَنِ اضْطِرَابِ يُحَاوِلُ جَاهِدًا أَنْ يُخْفِيَهُ، فَحَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ أَنْ يَسْتَفْسِرَ مِنْهُ عَمَّا يَشْغَلُ لَبَّهُ، وَلَكِنَّهُ أَرْجَأَ ذَلِكَ، وَجَلَسَ مَعَ صَدِيقِهِ وَطَلَّبَا إِلَى التَّادِلِ أَنْ يَأْتِيَهُمَا بِكَأْسَيْنِ مِنَ الْخَمْرِ، ثُمَّ مَا لَبِثَا أَنْ طَلَبَا الطَّعَامَ.

وَبَعْدَ أَنْ أَكَلَا وَشَرِبَا طَفِقَا يَخُوضَانِ فِي مَوَاضِعَ شَتَّى إِلَى أَنْ سَأَلَ أوبِلَنْسْكِ صَدِيقَهُ أَخِيرًا فَقَالَ: «هَلْ تُزْمِعُ اللَّيْلَةَ الذَّهَابَ إِلَى مَنْزِلِ كَاتَرِينِ شِرْبَاتْسْكِ؟»

فَأَجَابَ لَيْفِينُ: «أَجَلُ، إِنِّي ذَاهِبٌ، مَعَ أَنَّهُ تَرَأَى لِي أَنَّ الْأَمِيرَةَ الْأُمَّ قَابَلْتَنِي بِوَجْهِ مُنْقَبِضٍ، وَدَعَّتْنِي إِلَى زيارَتِهَا بِشَيْءٍ كَثِيرٍ مِنَ الْفُتُورِ».

- «لَا تُعَجِّلْ فِي الْحُكْمِ، فَبَلِّغْ عَادَتَهَا، وَهَذَا دَيْدُنُهَا»^(١) - تَقَطَّيْبُ مُزْمِنٌ، وَعُبُوسٌ رَاسِخٌ فِي أَمَائِرِهَا! وَأَنَا الْآخِرُ أَنْوِي زِيَارَةَ الْقَوْمِ إِلَّا أَنِّي سَاتِي مُتَأَخِّرًا بَعْضَ الشَّيْءِ. وَالآنَ أَخْبِرْنِي، كَيْفَ سُئِلْتُ لَكَ نَفْسُكَ مُبَارَحَةً مُوسَكَو فِي الْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ كَالهَارِبِ الْفَارِّ مِنْ وَجْهِ الْعَدَالَةِ؟ فَمَا أَكْثَرَ مَا سَأَلْتَنِي عَنْكَ الْأَصْدِقَاءَ، وَأَخْصُ أُسْرَةَ شِرْبَاتْسْكِ... وَكُنْتُ أَنْتَهَرْتُ مِنَ الْجَوَابِ لِخَيْرَتِي فِي مَا يَكُونُ الْجَوَابُ! فَأَنْتَ شَادٌّ عَجِيبٌ... أَنْتَ نَسِجٌ وَخَدِكُ فِي أَطْوَارِكَ وَأَعْمَالِكَ وَأَفْعَالِكَ!»

- «لَا أَنْكِرُ مَا جُبِلْتُ عَلَيْهِ يَا صَدِيقِي... وَعَوْدَتِي الْفُجَائِئَةُ الْيَوْمَ لِأَبْلُغَ دَلِيلٍ عَلَى شُدُودِي... لَقَدْ غَدْتُ، غَدْتُ مِنْ أَجْلِ...».

فَقَاطَعَهُ أوبِلَنْسْكِ: «لَكُمُ أَغْطُكَ عَلَى حَظِّكَ الْمَشْرِقِ أَيُّهَا الصَّدِيقُ!» وَحَدَّقَ إِلَى عَيْنَيْهِ.

(١) دَيْدُنُهَا: عَادَتُهَا.

- «لماذا؟»

فَقَالَ أوبلنسكي ضاحِكًا: «إِغْرِفِ الْجَوَادَ الْأَصِيلَ مِنْ خَطَرَانِهِ... والعاشِقَ، إِغْرِفْهُ مِنْ عَيْنِيهِ ولسانِهِ!» واستتلى: «والفُرْصَةُ مُنَاحَةٌ لَكَ فَأَقْدِمُ».

- «وَأَنْتَ، أَوْلَتْ فُرْصَتَكَ فِي الْحَيَاةِ؟»

- «كَلَّا، بَيِّدَ أَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ لَكَ، وَالْحَاضِرَ لِي... الْحَاضِرُ... ماذا أقول؟ قَدْ تَقَعُّ أَعْجُوبَةٌ».

- «ماذا تعني؟ أَوْضِحْ!»

- «أحيانًا تَنعَكِسُ الرِّيحُ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ... عَلَى أَنِّي لَا أَرْعَبُ فِي التَّحَدُّثِ عَنْ نَفْسِي، وَلَوْ أَرَدْتُ لَمَا تَسَّنَى لِي رَسْمُ صُورَةٍ صَادِقَةٍ عَنِ الْحَالَةِ... وَالآنَ أَخْبِرْنِي، مَا جَاءَ بِكَ إِلَى مَوْسِكُو؟»

فَحَدَّدَ الْفَتَى طَرْفَهُ فِي وَجْهِ أوبلنسكي وَأَجَابَ: «أَلَمْ تَحْزُرْ مُنْذُ دَفَاقٍ؟ لَقَدْ أَصَابَ حَدْسُكَ!»

- «لَا أَنْكِرُ أَنِّي عَلِمْتُ مِنَ الْوَهْلَةِ الْأُولَى مَأْرَبَكَ هُنَا، بَيِّدَ أَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ، لِأَنَّكَ الْفَرِيقُ الَّذِي يَخْلُقُ بِهِ أَنْ يَسْتَهْلَ الْكَلَامُ».

فَاضْطَرَبَ لِيْفِينُ، وَصَعِدَ الدَّمُّ إِلَى رَأْسِهِ وَقَالَ: «فَمَا قَوْلُكَ إِذَا؟ وَكَيْفَ تَنْظُرُ إِلَى الْمَسْأَلَةِ؟»

فَجَرَعَ سَتِيفَانُ أوبلنسكي مَا تَبَقِيَ فِي كَأْسِهِ وَأَجَابَ: «هَذَا جُلُّ مَا أَتَمَنَّا، أَتَمَنَى أَنْ تَبْلُغَ وَطَرِكَ وَتَفُوزَ بِضَالَّتِكَ». فَتَنَظَرَ إِلَيْهِ لِيْفِينُ نَظْرَةً مِنْ غَشِيَةِ الْأَمَلِ وَالْأَلَمِ وَقَالَ مُتَسَائِلًا: «أَتَمَحْضُنِي كَاتِرِينَ الصَّدُوقِ؟ أَتَبَادِلُنِي الْمَحَبَّةَ؟ أَوَاتِقُ أَنْتَ مِمَّا تَقُولُ؟»

- «إِنِّي لَكَ مَا حِضُّ كُلِّ إِخَاءٍ يَا صَاحِبَ، فَاطْمَئِنِّ إِلَيَّ، وَاعْلَمْ أَنِّي بِأَمْرِكَ عَلِيمٌ!»

- «وَهَلْ يَسْتَوِي لِي الْأَمْرُ؟ هَلْ أَنَا الْجَمَالَ؟»

- «لَا تَتَطَيَّرُ وَلَا تَتَشَاءَمُ، فَكُلُّ شَيْءٍ جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا».

- «لَا تَتَعَلَّقْ بِخِيوطِ الْأَوْهَامِ، بَلْ أَخْبِرْنِي صِرَاحَةً، هَلْ تَنْظُرُ أَنِّي لَنْ أَرْجِعَ بِخَفْنِي حُنِينٍ؟ هَلْ تُرَجِّحُ الْقَبُولَ؟ لَسَدَّ مَا أَخَافُ الرَّفْضَ، لَسَدَّ مَا أَرْتَعِشُ خَوْفًا مِنَ الْإِنْخِاقِ».

- «تُرْهَاتُ . . . أَبَاطِيلُ . . . أَوْهَامٌ» .

- «كَلَا، كَلَا . . . بَلْ إِنَّ الرَّفْضَ يَضِيرُنِي، وَهُوَ كَذَلِكَ يَحْمِلُ الْأَذَى لَهَا» .

- «وَلِمَ ذَاكَ؟ وَهَلْ تُضَارُ فِتَاءً مَتَى كَثُرَ الرَّاعِبُونَ فِي زَوَاجِهَا؟»

- «قَدْ يَنْطَبِقُ ذَلِكَ عَلَى سَائِرِ الْفِتَيَاتِ، أَمَا هِيَ فَلَا . . . لَا . . .» .

وَابْتَسَمَ سَتِفَانُ . . . وَقَرَأَ أَفْكَارَ لَيْفِينِ، وَأَيَّقَنَ أَنَّ الْعَاشِقَ الْمُتَمِّمَ يَقْسِمُ فِتَيَاتِ الْعَالَمِ إِلَى قِسْمَيْنِ: الْقِسْمِ الْأَوَّلِ، الْفِتَيَاتِ جَمِيعًا إِلَّاهَا، وَهُنَّ مُتَّصِفَاتٌ بِالضَّعْفِ الْبَشَرِيِّ، وَالْحَوَرِ، وَالْوَهْنِ . . . وَالْقِسْمِ الثَّانِي هِيَ وَخِذَهَا، الْكَامِلَةُ، الْقَوِيَّةُ، الْمُتَسَنِّمَةُ الدَّرْوَةُ، فَوْقَ الْجَمِيعِ، فَوْقَ الْجَمِيعِ!

وَاسْتَلَى لَيْفِينُ يَقُولُ: «وَاعْلَمُ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ هِيَ مَسْأَلَةُ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَيَّ. وَلَمْ يَسْبِقْ أَنْ بُحْتُ بِسِرِّي لِأَحَدٍ قَبْلَ الْيَوْمِ، وَلَيْسَ فِي نَيْتِي إِمَاطَةُ اللَّثَامِ عَنِ عَاطِفَتِي إِلَّا لَكَ وَحْدَكَ . . . نَحْنُ ضِدَانِ فِي الْمَشْرَبِ وَالطَّبْعِ وَالْعَادَةِ إِلَّا أَنِّي مُوقِنٌ بِأَنَّكَ تُحِبُّنِي وَتَقَهْمُنِي؛ وَلِهَذَا تَرَانِي كَلِيفًا بِكَ إِلَى أْبَعَدِ حُدٍّ . . . وَأَنَا شَيْدُكَ اللَّهُ أَنْ تُضَدِّقَنِي الْقَوْلَ، كُنْ صَرِيحًا مَعِي!»
فَقَالَ أُولِبْنَسْكَي ضَاحِكًا: «أَلَمْ أَكَاشِفُكَ بِمَا أَرَاهُ وَأَعْتَقِدُهُ؟ وَأَزِيدُكَ الْآنَ، فَأَنْتِ كَ أَنْ زَوْجِي امْرَأَةٌ مُدْهِمَةٌ» .

وَتَهَدَّدَ سَتِفَانُ أُولِبْنَسْكَي تَنْهَدَةً الْكَابِيَةَ، فَقَدْ تَذَكَّرَ الْخِلَافَ الْمُحْتَدِمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجِهِ، وَلَكِنَّهُ أَرْدَفَ يَقُولُ: «وَلِهَا الْقُدْرَةُ عَلَى التَّكْهُنِ بِمَا تَأْتِي بِهِ الْأَيَّامُ، إِنَّهَا تُرْجِمُ بِالْغَيْبِ^(١)، وَخُصُوصًا فِي مَا يَمُتُّ إِلَى أُمُورِ الزَّوْجِ . . . وَهِيَ تُظَاهِرُكَ الْآنَ وَتَحْمَسُ لَكَ» .

- «أَوْضِحْ، أَوْضِحْ . . .» .

- «إِنَّهَا تَمِيلُ إِلَيْكَ، وَتَزْعَمُ أَنَّ كَاتِرِينَ سَتَكُونُ لَا مَحَالَةَ زَوْجَتَكَ» .

فَانْبَسَطَتْ أَسَارِيرُ لَيْفِينِ، وَأَشْرَقَ مُحْيَاهُ، وَكَادَتْ دُمُوعُ التَّأَثُّرِ تَطْفُرُ مِنْ عَيْنَيْهِ، وَلَكِنَّهُ كَتَمَ مَا دَاخَلَهُ، وَصَاحَ بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ مُتَفَعِّلٍ: «هَذَا مَا تَقُولُهُ؟ إِنَّتِي دَائِمًا جَهَرْتُ بِرَأْيِي فِيهَا- فِي زَوْجَتِكَ- إِنَّهَا امْرَأَةٌ رَائِعَةٌ مِثَالِيَّةٌ . . . وَنَعْمَ الزَّوْجُ هِيَ!»

(١) تُرْجِمُ بِالْغَيْبِ: تَنْبَأُ بِمَا يَأْتِي بِهِ الْغَيْبُ .

وَنَهَضَ وَاقْفَا، وَجَعَلَ يَذْرَعُ ذَلِكَ الرُّكْنَ جِيئَةً وَذَهَابًا وَيَقُولُ: «وَاعْلَمَ أَنَّ مَا أَشْعُرُ بِهِ لَيْسَ حُبًّا، إِنَّهُ قُوَّةٌ خَارِقَةٌ اسْتَوْلَتْ عَلَى مَشَاعِرِي، وَأَحَاسِيسِي، وَإِرَادَتِي...» وَقَدْ اخْتَفَيْتُ مِنْ مَوْسُكُو ظَنًّا مِنِّي أَنَّ مَا أَتَطَّلَعُ إِلَيْهِ هُوَ الثَّرِيَّا، هُوَ سَعَادَةٌ لَا يَلْقَاهَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا. وَخَلَفْتَنِي الذِّكْرَى حَلِيفَ عِرَاكٍ مُمِضٌ مُضْنٍ.. كُنْتُ أَفَكِّرُ لَيْلَ نَهَارٍ.. كُنْتُ أَفَكِّرُ، وَأَفَكِّرُ... حَتَّى دَاخَلَ رَوْعِي آخِرًا أَنِّي لَنْ تَطْمَئِنَّ بِي حَيَاةٌ وَلَنْ يَسْتَقِيمَ أَمْرٌ إِلَّا بِكَاتِرِينَ... أَجَلٌ، إِنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ لِي... أَفَمَا تَرَى أَنَّ مَشَاعِرِي الْحَقِيقِيَّةَ هِيَ قُوَّةٌ تَبْدُ الْحُبَّ بِمَرَاجِلٍ؟!»

* * *

وَاعْرُورَقَتْ عَيْنَا لَيْفِينَ بِالذَّمُوعِ، فَفَطَعَ حَدِيثَهُ كَيْمَا يُكْفِكِفُهَا ثُمَّ جَلَسَ ثَانِيَةً إِزَاءَ صَدِيقِهِ وَاسْتَعْرَقَ فِي الْفِكْرِ.

وَتَمَلَّمَلَ أُولِنْسْكِ فِي مَقْعَدِهِ، وَقَالَ بِصَوْتٍ هَادِيٍّ رَصِينٍ: «وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَطَّلِعَ عَلَى الْأُمُورِ كُلِّهَا يَا لَيْفِينُ، فَهَلْ لَكَ سَابِقُ مَعْرِفَةٍ بِالشَّابِّ «فِرُونْسْكِ»؟»

- «لا، لا أعرفه، فمن هو؟ ولم السؤال؟»

- «لأن في نفسه حاجة، لأنه طالب زواج، وبصره وقلبه مطمئحهما كاترين...».

وَاسْتَحَالَ وَجْهُ لَيْفِينَ فِي مِثْلِ لَمَحِ الْبَصْرِ مِنَ النَّضْرَةِ وَالذَّعَةِ، إِلَى الْإِمْتِقَاعِ وَالْإِحْتِدَامِ وَالتَّوَعُّدِ، حَتَّى إِنَّ سَتِيفَانَ بُهَتَ مِمَّا رَأَى، وَنَفَرَ قَلْبُهُ قَلِيلًا، وَسَارَعَ يَقُولُ: «وَهُوَ نَجَلٌ الْكُونِتِ إِيْفَانَ فِرُونْسْكِ، فَتَى غُرَانِقُ^(١) يَشْدُهُ مَرَاةَ النَّاطِرِينَ، وَتُلْقِي إِلَيْهِ الْجِسَانَ الْمَقَادَةَ وَالزَّمَامَ. وَهُوَ كَأَبِيهِ أَرْيَحِي جَوَادٌ لَا ضَهِيَّ^(٢) لَهُ فِي بَطْرَسْبِرْج، وَقَدْ تَقَابَلْنَا وَتَعَارَفْنَا فِي «تَغِير»، يَوْمَ فَصَدْتُ الْمَدِينَةَ فِي عَمَلٍ لِي... أَمَا تَرَاؤُهُ فَوَاسِعٌ، وَأَمَا جَاهُهُ فَمُبْسِطٌ عَرِيضٌ... وَنُفُودُهُ لَا يُقَارِنُهُ نُفُودُ سَرِيَّ^(٣) آخَرَ فِي الْبِلَادِ... وَلَا جَرَمَ أَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ مَفْتُوحٌ أَمَامَهُ، وَتَقَدَّمَهُ فِي مِضْمَارِ السِّيَاسَةِ وَالْمَرَاتِبِ الْعُلْيَا أَمْرٌ لَا يَشْكُ فِيهِ إِنْسَانٌ!»

فَحَفَقَ قَلْبُ لَيْفِينَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُجِزْ جَوَابًا، بَلْ أَخْلَدَ إِلَى الصَّمْتِ مُفَكِّرًا.

(١) غُرَانِقُ: شَابٌّ أَيْضٌ جَمِيلٌ.

(٢) لَا ضَهِيَّ لَهُ: لَا مَنَافِسَ لَهُ.

(٣) سَرِيَّ: شَرِيفٌ.

واستمرّ ستيفان أوبلنسكي يقول: «وجاء عقيب رحيلك إلى موسكو، ففتتته العادة واستولت على لبي، وهو الآن غارق في حبها، وأنت تعرف أنّ أمها...».

فقاطعه ليفين: «كلا، لا أعرف شيئاً!»

- «لا تسلم أمرك لليأس، فما كان لي محيص عن كشف النقاب عن كل ما أعرف، حتى تكون على بينة من أمرك، فتصرف تصرف العارف الملم. وأنا، إن أردت أن تسمع مني رأيي، أعتقد يقيناً أنّ كفتك هي الراجحة...».

وتهافت^(١) ليفين وأطرق برأسه.

وأتمّ أوبلنسكي: «وأزجي إليك النصح في المبادرة إلى إتمام الأمر، الليلة... الليلة...».

وأترع الكأسين الخاويتين.

فقال ليفين: «شكراً... لا أريد أن أزيد حتى لا تصعد سورة الشراب^(٢) إلى رأسي. هلاً خبرتني عن نفسك شيئاً! تكلم أيها الصديق، قل لي أخبارك».

فلم يكثر أوبلنسكي لكلماته التي أراد منها تغيير دفة الحديث، بل أنشأ يقول: «أجل، أنصحك بالتقدم إلى أمها في طلب يدها من دون أن توجّل المسألة إلى الغد!»

فقال: «ألا تأتي إلينا في الربيع للتمتع بمباهج الريف ومزاولة الصيد الذي حبستك عنه شواغلك؟».

ولا شك أنه ندم كثيراً على إطلاق ستيفان أوبلنسكي على سروه، وخيل إليه الزهو أنّ كرامته قد جرحها وجود منافس له في حب كاترين.

وفطن ستيفان إلى ما دار في خلد صديقه من عوامل الندامة، فبتسم وقال: «سوف آتي في أحد الأيام؛ غير أنّ النساء يا عزيزي هنّ المحور الذي تدور حوله الدنيا بأسرها، وعقدي في الوقت الحاضر كثيرة، وليس لها حلال، والسبب في كارثتي هو المرأة...».

وأشعل ستيفان سيجارة واستطرّد يقول: «هب أنك رجل متزوج، تُحب زوجك، ولكنّ

(١) تهافت: ضعمت نفسه.

(٢) سورة الشراب: جدته.

امرأةً أخرى تَعْرِضُ طَرِيقَكَ وَتَسْتَوْلِي عَلَى قَلْبِكَ، وَتَفْتِنُكَ...» .

فَعَارِضُهُ لَيْفِينُ قَائِلًا: «إِضْفَحْ عَنِّي إِنْ اغْتَرَضْتُ عَلَيْكَ- فَاَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْتَوْعِبَ مَا قُلْتَ الْآنَ، كَمَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْهَمَ كَيْفَ يَسْتَسَى لِي، بَعْدَ أَنْ شَبِعْتُ هُنَا، أَنْ أُسْتَرَقَ الْخَطْوُ إِلَى دُكَّانِ خَبَازٍ وَأُسْرِقَ مِنْهُ رَغِيفًا!»

فَبَرَقَتْ عَيْنَا سَتِيفَانَ أوبلنسكي أَكْثَرَ مِنَ الْمُعْتَادِ وَقَالَ: «وَمَا الْمَانِعُ؟ قَدْ يَكُونُ لِلرَّغِيفِ الْمَسْرُوقِ رَائِحَةٌ لَذِيذَةٌ لَا قِبَلَ لَكَ عَلَى مُقَاوَمَةِ إِغْرَائِهَا... وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ، مَخْلُوقٌ أَنِيسٌ جَمِيلٌ، ضَحَّتْ بِكُلِّ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ حُبِّهَا وَمِنْ أَجْلِ حَبِيبِهَا الْمُتَزَوِّجِ، فَكَيْفَ يُطَاوَعُكَ قَلْبُكَ عَلَى إِهْمَالِ أَمْرِهَا بَعْدَ الَّذِي ظَهَرَ مِنْهَا؟ وَلَوْ سَلَّمْنَا جَدَلًا أَنَّ الرَّجُلَ يُفَارِقُهَا إِقْبَاءً عَلَى حَيَاتِهِ الْعَائِلِيَّةِ وَصَوْنًا لِمُسْتَقْبَلِ أَوْلَادِهِ، فَهَلْ يَقْدِرُ عَلَى مَحْوِهَا مِنْ ذَاكِرَتِهِ؟ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَطْمَوسَ شَبَحَهَا فِي عَحْلَتِهِ؟»

- «وَلَكِنَّ... وَلَكِنَّ...» .

- «إِنَّ زَوْجَكَ، تَتَقَدَّمُ فِي الْعُمْرِ، إِنَّهَا تَفْقُدُ رَوَاءَهَا، وَتُخَلِّفُ وَتَسْتَهَا وَرَاءَهَا، بَيْنَمَا تَحْتَضِرُ أَنْتَ بِحَيَوِيَّتِكَ وَرَعْبَتِكَ وَشَهْرَتِكَ... وَقَبْلَ أَنْ يَسْمَحَ لَكَ الْوَقْتُ بِالْإِلْتِفَاتِ إِلَى الْخَلْفِ، تَشْعُرُ يَأْتُهُ يَتَعَدَّرُ عَلَيْكَ مُبَادَلَةٌ زَوْجَتِكَ الْحُبِّ، مَهْمَا كَانَ أَحْتَرَامُكَ وَتَقْدِيرُكَ لَهَا، وَعَلَى حِينٍ بَعْتَهُ يَتَغَلَّغُلُ الْحُبُّ مِنْ جِهَةٍ مَا إِلَى قَلْبِكَ، يَخْتَرِقُ شِعَافَ هَذَا الْقَلْبِ كَالْتَّضَلِّ، وَيَجْتُمُّ فِي سُؤْيَدَائِهِ، فِي حَبَّتِهِ... وَتَقَعُ حِينِذَاكَ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى، وَتَجَلُّ النَّازِلَةُ، وَتَلُمُّ الْمُصِيبَةُ!» .

وَتَفَسَّسَ سَتِيفَانُ الصُّعْدَاءُ مِنْ شِدَّةِ الْكَرْبِ وَاسْتَطْرَدَ: «لَقَدْ قُضِيَ عَلَيْكَ إِذَا مَتَى وَقَعْتَ، فَمَا الْعَمَلُ؟»

فَقَالَ لَيْفِينُ بَابْتِسَامَةٍ عَاسِيَةٍ: «لَا تَسْرِقِ الْخَبْرَ!»

فَاسْتَعْرَبَ سَتِيفَانُ ضَاحِكًا وَكَأَنَّهُ نَسِيَ مُصِيبَتَهُ، وَكَأَنَّهُ مَا سَبَرَ الْبُلُوِي النَّبِي تُوْشِكُ أَنْ تُطَوِّحَ بِدَعَائِمِ بَيْتِهِ، وَقَالَ بَعْدَ يَسِيرٍ: «لَا تُلْجِئْنِي، يَا لَيْفِينُ، إِلَى مُبَادَلَتِكَ دُعَابَةَ بُدْعَابِيَّةِ، فَالْمَوْقِفُ يَسْتَوْجِبُ الرُّوِيَّةَ وَإِعْمَالَ الْفِكْرِ. هُنَاكَ امْرَأَتَانِ، إِحْدَاهُمَا تُطَالِبُ فَقَطْ بِحُقُوقِهَا، وَهَذِهِ الْحُقُوقُ هِيَ حُبُّكَ الَّذِي لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَبَرَّعَ بِهِ لِأَيِّ كَانَ، وَالْأُخْرَى تُضْحِي بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِكَ، وَلَا تَطْلُبُ مِنْكَ شَيْئًا. فَمَاذَا يَا تُرَى تَفْعَلُ؟ وَكَيْفَ تَتَصَرَّفُ؟ وَفِي أَيِّ طَرِيقَةٍ تَرَقُّأُ دُمُوعَ هَذِهِ، وَتُلَاشِي زَفْرَاتِ تِلْكَ؟ إِنَّ فِي هَذَا الْأَمْرِ مَأْسَاءً وَأَيُّ مَأْسَاءٍ، يَنْطَوِي عَلَيْهَا وَقُوعُ

الرَّجُلِ بَيْنَ مِطْرَقَةٍ وَسِنْدَانٍ!»

- «لو عَشَيْتَ برَأْيِي، فَإِنِّي أَقُولُ صِرَاحَةً أَنْ لَا وُجُودَ لِهَذِهِ الْمَأْسَاءِ، إِنَّ الْحُبَّ بِحَسَبِ وُجْهِةٍ نَظَرِي، الْحُبُّ الْمُتَعَرِّعُ إِلَى فَرْعَيْنِ، الَّذِي يَصْعُقُ أَفْلَاطُونَ كَمِحْكَ لِلرِّجَالِ، لَا يَفْهَمُ فَرْعِيهِ أَحَدٌ، بَلْ هُنَاكَ فَرِيقٌ يَفْهَمُ هَذَا وَفَرِيقٌ يَفْهَمُ ذَلِكَ. أَمَا أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَا يَعْتَرِفُونَ بِالْحُبِّ الْأَفْلَاطُونِيِّ الْمُجَرَّدِ، فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَتَكَلَّمُوا عَلَى الْمَأْسَاءِ وَوُجُودِ الْمَأْسَاءِ، لِأَنَّهُ لَا يُعَوِّزُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ بَضْعِ كَلِمَاتٍ يَقُولُونَهَا فِي مَجَالِ التَّرْضِيَةِ وَالِاسْتِرْضَاءِ، كَأَنْ يَقُولُوا لِلْمَرْأَةِ الْمَنْكُودَةِ: «لَكَ مِنَّا أَبْلَغُ شُكْرِنَا، فَقَدْ يَسَّرْتَ لَنَا مُتَعَةً وَلَذَّةً وَشَهْوَةً».

وكذلك لا ينطوي الحبُّ الأفلاطونيُّ على المأساة، لأنَّه حُبٌّ نَقِيٌّ، طَاهِرٌ، خَالٍ مِنَ الشَّوَابِ، ومِثْلُ هَذَا الْإِحْسَاسِ الْمُصَفَّى لَا يُمَكِّنُ لِلْمَأْسَاءِ أَنْ تَتَغَلَّغَلَ إِلَيْهِ، أَوْ تَتَرَعَّرَعَ فِيهِ! وَتَنَهَّدَ أوبلنسكي وَحَبَسَ لِسَانَهُ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ، وَأَمْسَكَ عَنْ زَفْرَةٍ كَادَتْ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ فِيهِ.

واشْتَرَسَلَ الْإِثْنَانِ فِي الْفِكْرِ، وَاعْتَمَلَ فِي صَدْرَيْهِمَا خَلِيطٌ عَجِيبٌ مِنَ الْأَحْسَاسِ وَالْمَشَاعِرِ... وَلَا رَبِّبَ أَنْهُمَا، بِالرَّغْمِ مِنَ الصَّدَاقَةِ الْوَثِيقَةِ الْعُرَى الَّتِي تَرِبَطُ بَيْنَهُمَا، وَبِالرَّغْمِ مِنَ مَجَالِسِ الْأَنْسِ وَاللَّهْوِ الَّتِي جَمَعَتْ بَيْنَهُمَا، وَبِالرَّغْمِ مِنَ الْوُدِّ الْمَتِينِ الْوَشَائِحِ الَّذِي كَانَ الصِّفَةَ الْمَأْتُورَةَ عَنْهُمَا، شَعَرَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِالِابْتِعَادِ وَالْتِنَائِي، بَلْ خُيِّلَ إِلَى كُلِّ مِنْهُمَا أَنَّ الْآخَرَ غَرِيبٌ لَمْ يَرَهُ مِنْ قَبْلُ، وَأَنَّهُ ذُو مَطَامِحَ وَمَطَامِعَ وَمُيُولِ.

ولم يَجِدَا مَنْدُوحَةً فِي نِهَآيَةِ الْأَمْرِ، وَقَدْ ضَاقَا دَرْعًا بِالصَّمْتِ، وَبَرِمَا بِهَذَا الشُّعُورِ، وَتَرَمَّضَتْ نَفْسَاهُمَا بِذَلِكَ الْإِحْسَاسِ الْمُبْهَمِ الْغَامِضِ الَّذِي طَفِقَ يَوْسِعُ الشَّقَّةَ بَيْنَ قَلْبَيْهِمَا، لَمْ يَجِدِ الْإِثْنَانِ بَعْدَ هَذَا التَّنَافُرِ الْبَاطِنِيِّ إِلَّا أَنْ يَبْرَحَا الْمَكَانَ إِبْقَاءً عَلَى مَا رَبَطَ بَيْنَهُمَا مِنَ أُلْفَةٍ، وَإِشْفَاقًا عَلَى تِلْكَ الصَّدَاقَةِ الْوَثِيقَةِ مِنَ التَّصَدُّعِ وَالزَّوَالِ!

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَعُ لهذا الفصل عنوانًا مناسبًا.
- ٢ - بدأتْ تتوضَّحُ في هذا الفصلِ خيوطُ العُقْدَةِ الثَّانِيَةِ في الرِّوَايَةِ؛ فَهَلَّا حَدَّدْتَ مَكَانَ بَدْئِهَا!
- ٣ - لِمَ حَاوَلَ لَيْفِينُ أَنْ يَغَيِّرَ الْحَدِيثَ فَيَحِيدَ عَنِ حَدِيثِ حَبَّةٍ لِكَاتِرِينَ؟
- ٤ - مَا مَعْنَى قَوْلِ لَيْفِينِ: «لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْهَمَ كَيْفَ يَسْتَنِي لِي، بَعْدَ أَنْ شَبِعْتُ هُنَا، أَنْ أَسْتَرِقَ الْخَطْوَةَ إِلَى دُكَّانِ حَبَّازٍ وَأَسْرِقَ مِنْهُ رَغِيْفًا.»؟
- ٥ - مَا الْمَعْنَى الْمَقْصُودُ بِالْحُبِّ الْأَفْلَاطُونِيِّ؟
- ٦ - مَنْ هُوَ مُنَافِسُ لَيْفِينِ عَلَى قَلْبِ كَاتِرِينَ؟
- ٧ - بِمَ وَصَفَ سَتِيفَانُ هَذَا الشَّابَّ؟
- ٨ - بِمَ اِمْتَازَتْ شَخْصِيَّةُ السَّيِّدَةِ شَرِبَاتَسْكِ كَمَا بَدَتْ مِنْ خِلَالِ وَصْفِ صَهْرِهَا سَتِيفَانَ؟
- ٩ - لِلْحَوَارِ دَوْرٌ فِي رَسْمِ الشَّخْصِيَّاتِ. اذْكَرْ نِقَاطَ التَّنَاقُضِ بَيْنَ شَخْصِيَّتَيْ لَيْفِينِ وَسَتِيفَانَ كَمَا بَدَتْ لَكَ مِنْ خِلَالِ الْحَوَارِ بَيْنَهُمَا فِي هَذَا الْفَصْلِ.
- ١٠ - أَوْجِزْ مَضْمُونَ الْفَصْلِ فِي أَسْطُرٍ قَلِيلَةٍ.

الفصل الثامن

لا يَخْتَلِفُ اثْنَانِ فِي أَنَّ كَاتِرِينَ شَرِبَاتَسْكَي زَهْرَةَ اِكْتَمَلَ طَلْعُهَا وَسَطَعَ عَبِيرُهَا. لَا يَخْتَلِفُ اثْنَانِ فِي أَنَّهَا مَا كَادَتْ تَتَرَعَّرَعُ وَتَبْلُغُ مِنَ الْعُمُرِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا حَتَّى زَهَا حُسْنُهَا بِهَا، وَكَأَنَّ الْحُسْنَ يَفْخَرُ بِأَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهَا؛ وَتَأَلَّقَ الْجَمَالُ بِسَنَاهَا، وَكَأَنَّ الْجَمَالَ يُغَوِّزُهُ نَوْرٌ يَنْبِئُ مِنَ ثَنَائِهَا.

وَمَا كَانَتْ أُمُّهَا لِتُصَدِّقَ، لَوْلَا وَقُوفُهَا مِنَ الْمُجْتَمَعِ عَنِ كَتَبِ، مَا لَاقَتْهُ كَرِيمَتُهَا مِنْ إِعْجَابٍ فِي الْوَسْطِ الرَّاقِي، فَمَا مِنْ شَابٍّ فِي مَوْسِكُو إِلَّا وَزَارَهُ طَيْفُهَا مِرَارًا، وَمَا مِنْ فَتَى عَرِيقٍ عَرِيضِ الْجَاهِ إِلَّا وَأَدْرَكَهُ مِنْ عَزْفِهَا^(١) شَذَا.

وَسُرْعَانَ مَا بَرَزَ إِلَى الْأَمَامِ شَابَّانِ مِنْ خَيْرَةِ الشَّبَابِ، هُمَا لَيْفِينُ الشَّبَابِ الْقَوِيُّ الْجَادُّ، وَالْكُونْتُ فَرُونَسْكَي الْمُتَرَفِّ الْأَنْبِيْقُ الَّذِي تَعْنُو^(٢) لِسِخْرِهِ الْجِبَاهُ.

وَلَمْ يَكُنْ لَيْفِينُ مِنْ رَهْطِ اللَّهْوِ، بَلْ كَانَ طَالِبَ مُصَاهَرَةٍ.. فَمَا كَادَ يُظْهِرُ رَغْبَتَهُ فِي تَرُدِّهِ عَلَى بَيْتِ كَاتِرِينَ، حَتَّى فَطِنَ أَبُوَاهَا إِلَى اِكْتِمَالِ أُنُوَيْتِهَا وَنُضْجِ جَمَالِهَا، وَحَتَّى آلَى كُلِّ مِنْهُمَا أَنْ يَبْحَثَ لَهَا عَنْ أَكْرَمِ صَهْرٍ، لِتَدْوِمَ بِذَلِكَ سَعَادَتِهَا، وَتَعِيشَ أَيَّامَهَا فِي نِظَامٍ مِنَ الْهَنَاءِ وَالصَّفَاءِ بَدِيع!

إِلَّا أَنَّ رَغْبَتَهُمَا تَسَعَّبَتْ، وَأَمَرَ زَوَاجِهَا مِنَ الرَّجُلِ الْأَفْضَلِ أَنْتَارَ بَيْنَهُمَا عَاصِفَةً مِنَ الشُّجَارِ وَالْمُشَاحِنَةِ. فَالْأَبُ يَمِيلُ كُلَّ الْمَيْلِ إِلَى لَيْفِينِ، وَيَرَى فِيهِ مِثَالَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ الْكَرِيمِ، وَالْأُمُّ هِيَ، الْأُمُّ، وَقَبْلَ أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ، هِيَ امْرَأَةٌ. وَمِنْ عَادَةِ الْمَرْأَةِ أَنْ لَا تَسْتَقِيمَ عَلَى أَمْرٍ، بَلْ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُمَاطِلَ وَتُسَوِّفَ وَتَتَرَدَّدَ. فَكِرَّةٌ تَقُولُ إِنَّ كَاتِرِينَ طِفْلَةٌ لَمْ تَبْلُغْ طَوْرَ الشَّبَابِ، وَأُخْرَى تَزْعُمُ أَنَّ لَيْفِينَ مُحْتَارًا فِي أَمْرِهِ، يُقَدِّمُ ثُمَّ يُحْجِمُ، وَأَنَّ كَاتِرِينَ لَمْ تُظْهِرْ نَحْوَهُ أَيَّ حُبِّ

(١) العزف: الرأحة الطيبة.

(٢) عنا (يعنوا) له: خضع له.

أَوْ رِضًا .

وقد جابَهَتْ زَوْجَهَا أَخِيرًا بِرَفْضِهَا، وَأَخْبَرَتْهُ صِرَاحَةً أَنَّ أَحْرَ زَوْجِ تَمَنَّاهُ لِابْتِيهَا هُوَ لَيْفِينُ .

وَدَرَى لَيْفِينُ بِمَا شَجَرَ مِنْ خِلَافِ بَيْنِ الزَّوْجَيْنِ بَسْبِيهِ، فَارْتَحَلَ عَنْ مُوسَكَو . وَكَانَ رَحِيلُهُ الْبَشِيرَ بَزْوَالِ الْعِمَامَةِ الَّتِي ظَلَلَتْ سَمَاءَ الْبَيْتِ السَّعِيدِ رَدْحًا مِنَ الْوَقْتِ . وَلَمْ تَكُنْ الْأُمُّ فَرَحَتْهَا، بَلْ إِنَّهَا خَاطَبَتْ زَوْجَهَا عَقَبَ ذَهَابِهِ بِقَوْلِهَا: «هَا هُوَ صَاحِبُكَ يَتَصَرَّفُ كَالْأَخْرَقِ الَّذِي لَا يَفْهَمُ مِنْ مَعَانِي الْأَدَابِ إِلَّا اسْمَهَا مُجَرَّدًا مِنْ كُلِّ صِفَةٍ! لَقَدْ ظَنَّ^(١) مِنْ دُونِ أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَ مَنْ يَرْمِي إِلَى الْبَتِّ فِي أَمْرٍ!»

وَلَمَّا بَزَغَ نَجْمُ الشَّابِّ فِرُونَسْكِ فِي مُوسَكَو، وَعَدَا مَطْمَحَ أَنْظَارِ الْحِسَانِ، تَضَاعَفَ ارْتِيَاخُ الْأُمِّ لِدَهَابِ لَيْفِينِ، وَجَعَلَتْ تَحْتَفِي بِفِرُونَسْكِ وَتُظْهِرُ لَهُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ مِنْ ضُرُوبِ الْمَوَدَّةِ .

فَمَنْ الَّذِي يَجْرُؤُ عَلَى الْمُقَارَنَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَيْفِينِ؟ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَارِنَ بَيْنَ الْمَحْبُوبِ وَالْمَكْرُوهِ، أَوْ بَيْنَ الزَّهْرِ وَالشُّوْكِ؟

كَانَ لَيْفِينُ خَشِينًا يَنْفَرُ مِنَ النَّاسِ، وَيَتَّعِدُ عَنِ الْمُجْتَمَعِ . كَانَ يُعْنَى بِسَائِمَتِهِ أَكْثَرَ مِنْ عِنَايَتِهِ بِالنَّاسِ، وَكَانَتْ حَظَائِرُ الْخَنَازِيرِ أَدْعَى لِهَنَائِهِ وَرَاحَتِهِ مِنْ رُدْهَاتِ الْاسْتِقْبَالِ!

تُمْ، هَلْ عَزَمَ عَلَى أَمْرٍ؟ هَلْ تَقَدَّمَ طَالِبًا يَدَ كَاتِرِينَ؟ لَا، لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، مَعَ أَنَّهُ غَشِيَّ مَنَزِلَهَا أَسَابِيعَ وَأَسَابِيعَ . لَقَدْ تَرَدَّدَ كَثِيرًا، كَأَنَّهُ يَضِنُّ عَلَى أَهْلِهَا بِهَذَا الشَّرَفِ، وَكَأَنَّهُ يَعْتَبِرُ نَفْسَهُ أَعْلَى مَرْتَبَةٍ مِنْهُمْ، أَوْ كَأَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَفْهَمَ وَاجِبَهُ الَّذِي يَفْرِضُهُ عَلَيْهِ الْعُرْفُ وَالْعَادَةُ .

وَعَلَى حِينِ فَجَاءَتْ يَلُودُ بِأَذْيَالِ الْهَرَبِ، فَيَفِرُّ مِنَ الْمَدِينَةِ، كَأَنَّ الْمَقَامَ فِي مُوسَكَو نَبَا^(٢) بِهِ، لِحَوْفِ غَشِيَّتِهِ مِنْ كَاتِرِينَ وَعَائِلَتِهَا، وَلِمَكْرُوهِ حَشِيَّتِهِ أَنْ يُصِيبَهُ مِنْهُمْ!

وَعَلَى نَقِيضِهِ كَانَ فِرُونَسْكِ - فَهَوَ فِي رَأْيِهَا الشَّابُّ السَّعِيدُ الَّذِي رَزَقَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَقْلِ

(١) ظَنَّ: رَحَلَ .

(٢) نَبَا بِهِ: جَفَاهُ، لَمْ يَطْبُ لَهُ .

أَفْضَلَ الْحَظِّ، وَمِنَ الْحَصَافَةِ^(١) أَجْرَلَهَا، وَمِنَ الْغِنَى أَكْثَرَهُ. وَهُوَ الشَّابُّ الَّذِي سَدَّدَ اللَّهُ خُطَاهُ فِي أَنْفَعِ السُّبُلِ، وَجَلَبَ لِكُلِّ مَنْ أَلَمَّ بِهِ الْحَظُّ وَالسَّعْدُ، وَبَلَغَ الرُّبْنَةَ الْقُضَى بِأَفْعَالِهِ وَخِصَالِهِ! وَقَدْ أَنْطَبَعَتْ فِي ذَهْنِهَا صُورَةٌ رَائِعَةٌ لَهُ كَزَوْجِ لَابِتْنِهَا. وَهُوَ فَوْقَ هَذَا ضَابِطٌ رَفِيعٌ فِي الْبَلَاطِ، وَمُسْتَقْبَلُهُ فِي الْمَجَالِ الْعَسْكَرِيِّ يُبَشِّرُ بِكُلِّ تَقْدَمٍ... وَحَدَّثَ وَلَا حَرَاجَ عَنْ حُسْنِ طَلْعَتِهِ وَأَنَاقَةِ مَظْهَرِهِ... وَهَذَا مَا تَرَعَبُ فِيهِ الْمَرَأَةُ وَتَتَوَقُّ إِلَيْهِ!

وَلَمَّا فَرَعَتْ مِمَّا أَرَادَتْ مِنْ تَكْوِينِ الرَّأْيِ، بَدَأَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ نَظْرَهَا إِلَى صَهْرِهَا، وَتُظْهِرُ كَثِيرًا مِنْ ضُرُوبِ الْحَفَاوَةِ وَالشُّرُورِ، إِذَا مَا جَاءَ زَائِرًا، فَتُحِيطُهُ بِعَيْنَيْهَا، وَتُمَهِّدُ لَهُ سَبِيلَ الْخَلْوَةِ بِابْتِنِهَا... وَقَدْ وَقَعَتْ كَاتَرِينَ فِي قَلْبِهِ مَوْقِعًا حَسَنًا فَهَوَ لَا يُفَارِقُهَا كُلَّمَا اجْتَمَعَا فِي حَفْلٍ، وَهَوَ لَا يُرَاقِصُ سِوَاهَا، وَهَوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا نَظْرَهُ إِلَى سَيِّدَةٍ مُحْتَرَمَةٍ جَدِيرَةٍ بِالتَّقْدِيرِ وَالتَّبْجِيلِ، خَلِيقَةٍ أَنْ يَتَّخِذَهَا الْإِنْسَانُ لَهُ حَلِيلَةً.

وَاسْتَبَشَّرَتْ الْأُمُّ سَاعَةَ لَمَحَ لَهَا الشَّابُّ بِرَغْبَتِهِ. لَمْ يُقَلِّ لَهَا مُبَاشَرَةً إِنَّهُ يَهْوَى ابْنَتَهَا وَيُودُّ لَوْ تَزَوَّجَهَا، بَلْ قَالَ مِنَ الْكَلَامِ مَا فَهَمَتْ مِنْ فَحْوَاهُ أَنَّهُ يَضْبُو إِلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ الْأُمْنِيَةِ.

فَقَدْ انْتَهَزَ فُرْصَةً انْشِغَالِهِ بِالْحَدِيثِ مَعَ الْفَتَاةِ، فَقَالَ لَهَا إِنَّهُ لَا يَنْقُضُ رَأْيِي وَإِدَّتِي، بَلْ يَسْتَشِيرُهَا فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ، وَإِنَّ الْوَالِدَتَهُ آتِيَةٌ عَنْ قَرِيبٍ إِلَى مُوسِكُو، وَسَيَأْخُذُ رَأْيَهَا فِي أَمْرِ عَلَى جَانِبِ عَظِيمٍ مِنَ الْخُطُورَةِ.

أَلَيْسَ هَذَا مِنْ قَبِيلِ التَّلْمِيحِ؟ أَلَا يَعْنِي بِكَلِمَاتِهِ أَنَّهُ تَوَاقُّ إِلَى مُبَاحَثَةِ أُمِّهِ فِي أَمْرِ زَوَاجِهِ مِنْ كَاتَرِينَ؟!

وَلَمْ تَحْدُسْ كَاتَرِينَ مَغْزَى كَلِمَاتِهِ، بَلْ إِنَّهَا نَقَلَتْ عِبَارَتَهُ إِلَى أُمِّهَا، فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ مَدَحَتْهُ وَأَطْرَثَ شَمَائِلُهُ وَصَفَاتِهِ.

لِهَذَا، فَمَا رَجَعَ لِيَفِينُ إِلَى مُوسِكُو حَتَّى تَوَلَّى الْأُمَّ قَلَقٌ وَانْزِعَاجٌ، وَآلَتْ أَنْ تَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَرِيمَتِهَا، حَتَّى وَلَوْ قَدَّرَ أَنْ يَجْمَعَ لَهَا بَيْنَ شَرْفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَقَدْ جَرَى الْحَدِيثُ التَّالِي بَيْنَ الْأُمِّ وَالْإِبْنَةِ فِي أَثْنَاءِ أُوْبِيَّتِيهِمَا مِنْ حَلِيَةِ التَّرْلِجِ؛ قَالَتْ الْأُمُّ مُتَسَائِلَةً: «مَتَى عَادَ لِيَفِينُ؟ هَلْ تَبَيَّنَ مِنْ أَمْرِهِ؟»

(١) الْحَصَافَةُ: الْفِطْنَةُ وَجُودَةُ الرَّأْيِ.

- «إِنَّهَ جَاءَ مُوسِكُو الْيَوْمَ يَا أُمَاهُ» .

- «ثُمَّ شَيْءٌ أَوْدُ أَنْ أُطْلِعَكَ عَلَيْهِ...» .

فَقَاطَعَتْهَا الْفَنَاءُ وَوَجْهَهَا يَبْضُرُجُ حَيَاءً: «أُمَاهُ، أَرْجُوكِ، أَرْجُوكِ أَنْ لَا تَقُولِي شَيْئًا، فَأَنَا أَعْرِفُ، أَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ» .

كَانَتْ رَغْبَتُهَا مُتَّفِقَةً مَعَ رَغْبَةِ أُمِّهَا، إِلَّا أَنَّ الْعَوَامِلَ الَّتِي كَوَّنَتْ رَغْبَةَ أُمِّهَا، أَلْمَتَهَا .
وَقَالَتِ الْأُمُّ: «وَدِدْتُ أَنْ أَقُولَ إِنْ بُعِثَ الْأَمَلُ...» .

- «أَرْجُوكِ، نَاشِدْتُكَ اللَّهُ أَنْ لَا تَفْعَلِي، فَالْتَكَلَّمُ فِي هَذَا الْأَمْرِ يُرْمِضُ نَفْسِي وَيُكْرِبُنِي!»
- «لَا تُرَاعِي يَا حَبِيبَتِي، لَا تَبْكِي، فَلَنْ أَتَكَلَّمَ، مَعَ أَنَّكَ طَالَمَا أَكَّدْتِ أَنْ لَنْ يَكُونَ بَيْنَنَا سِرٌّ مَكْتُومٌ» .

- «كَلَّا لَنْ يَحُولَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَلْبِكَ أَمْرٌ يَا أُمَاهُ، وَلِكِنِّي لَا أَعْلَمُ مَاذَا أَقُولُ، وَلَوْ شِئْتُ الْحَدِيثَ لَجْهَلْتُ مِنْ أَيْنَ أَبْدَأُ، وَلَوْ خَيْرْتُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لَأَخْتَرْتُ وَلَمْ أَخْتَرُ» .
إِنَّهَا صَادِقَةٌ... صَادِقَةٌ... وَلَا يَسْنَى لَهَا تَيْنِ الْعَيْنَيْنِ الصَّافِيَتَيْنِ الصَّرِيحَتَيْنِ أَنْ تَأْفِكَ^(١) وَتُنَافِقًا .

وَابْتَسَمَتِ الْأَمِيرَةُ الْأُمُّ وَهِيَ تَرْمُقُ ابْتِهَاءً بِنَظَرَةِ الْمَحَبَّةِ وَالْإِعْزَازِ، وَتُفَكِّرُ فِي مَا هِيَ مُقَدِّمَةٌ عَلَيْهِ مِنْ زَوَاجٍ، دَاعِيَةً اللَّهُ فِي مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَفْسِهَا أَنْ يُمَهِّدَ أَمَامَهَا طَرِيقَ السَّعَادَةِ وَالسَّلَامِ .

* * *

بَعْدَ الْعِشَاءِ وَفِي الْفَتْرَةِ الَّتِي سَبَقَتِ الْحَفْلَةَ السَّاهِرَةَ كَانَ شُعُورُ كَاتِرِينَ أَشْبَهَ بِشُعُورِ الْجُنْدِيِّ الْمُقْبِلِ عَلَى مَعْرَكَةٍ .

وَرَأَتْ نَفْسَهَا فِي مَفْرَقِ طُرُقٍ، وَأَيَقَنَتْ أَنَّ مُسْتَقْبَلَهَا سَيَقَرُّ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَتَى التَّقَى الشَّابَانِ، فَالْتِقَاؤُهُمَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ هُوَ، كَمَا أَيَقَنَتْ، نُقْطَةُ التَّحْوُلِ فِي حَيَاتِهَا .

وَارْتَعَشَتْ مِنَ الْهَلَعِ، وَأَنْشَأَتْ تُفَكِّرُ فِي كُلِّ مِنْهُمَا عَلَى حِدَةٍ وَتُقَابِلُ بَيْنَ النَّدَيْنِ، وَتُفَاضِلُ وَتَخْتَارُ، وَتُعْجَبُ وَتَسْتَهْجِنُ .

(١) أَنْ تَأْفِكَ: أَنْ تَكْذِبَا .

وأثار ليقين حنانها وعطفها، فهو صديق قديم، صديق مُخلص حميم، وإن لم يَمَادِ
الشعور نحوه مُخترِقًا نِطاقَ الشَّفَقَةِ والرَّناءِ، والتَّأسُفِ على شيءٍ لا تَكُنُهُ^(١) حَقِيقَتُهُ.

أما فرونسكي فقد علق قلبها بعموضه، ولعلَّ رِواءَهُ وحُسنَ دِياجِيهِ خَلَقَا في مُخَيَّلَتِهَا
البِكرِ نَوْعًا مِنَ الاغْتِقادِ الرَّاسِخِ بأنَّه قَادِرٌ على إِسعَادِهَا، مُتَمَكِّنٌ مِنَ إِحاطَتِهَا بِجَوْ مِنْ
البُلَهْنِيَّةِ^(٢) والدَّعَةِ. فهو كما تَرَأَى لَهَا قد اجْتَمَعَتْ فِيهِ خِلَتَانِ حَمِيدَتَانِ: الجَمَالُ والكَمَالُ،
وبهاتَيْنِ الخِلَتَيْنِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُكْنَ إِلَى حَيَاةٍ رَضِيَّةٍ رَغِيدَةٍ.

وصعدت في السَّلايِمِ إلى الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ لِاسْتِبدَالِ مَلَاسِهَا اسْتِعدادًا لِلحَفَلَةِ. فلَمَّا نَظَرَتْ
إلى نَفْسِهَا في المِرآةِ، رَأَتْ، والشُّرُورُ مُسْجُودًا عَلَيْهَا، أَنَّهَا فِي أَحْسَنِ حَالَاتِهَا، وَأَنَّهَا
مُتَمَلِّكَةٌ لِشُعُورِهَا، مُسَيِّطِرَةٌ عَلَى أَغْصَابِهَا، وَاثِقَةٌ مِنْ نَفْسِهَا، مُطْمَئِنَّةٌ إِلَى قُوَّتِهَا وَإِرَادَتِهَا،
وَهِيَ فِي مَسِيرِ الحَاجَةِ إِلَى العَزِيمَةِ حَتَّى تَخْرُجَ سَالِمَةً القَلْبِ والإِحْسَاسِ مِنْ مَعْرَكَةِ اللِّيْلَةِ،
مَعْرَكَةِ العَوَاطِفِ وَالْمَشَاعِيرِ، المَعْرَكَةِ الفَاصِلَةِ بالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا وَإِلَى مُسْتَقْبَلِهَا!

وما كَادَتْ تَهَيِّطُ السَّلايِمَ فِي السَّابِعَةِ والنِّصْفِ حَتَّى أَعْلَنَ الحَاجِبُ قُدُومَ لَيْفِين. ولم
يَكُنْ فِي القَاعَةِ أَحَدٌ سِوَاهَا، ولم يَكُنْ لَهَا نُذْحَةٌ^(٣) مِنْ اسْتِقبالِهَا.

وما كَانَ لَهَا صَدِيقَةٌ مَحْضَنُهَا يَفْتَتِهَا، وَاسْتَأْمَنُهَا عَلَى سِرِّهَا، وَاضْطَفَّتْهَا لِمَشُورَتِهَا؛ لِهَذَا
اتَّجَهَتْ نَحْوَ الصَّيْفِ، ثُمَّ وَقَفَتْ مُتَرَدِّدَةً فِي مُتَصَفِّ الطَّرِيقِ، وَقَدْ أَلَمَّهَا مَا شَعَرَتْ بِهِ، أَلَمَّهَا
أَنْ تُقَرَّرَ مَشَاعِرُهَا الخَفِيَّةُ أَنَّ الشَّابَّ المُقْبِلَ نَحْوَهَا لَنْ يَفُوزَ مِنْهَا بِطَائِلٍ، وَأَنَّهَا سَتُسَبِّبُ كَثِيرًا
مِنَ الأَلَمِ والعَذَابِ لِرَجُلٍ يَكُنْ لَهَا أَسْمَى آيَاتِ الحُبِّ والإِخْلَاصِ.

وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ بَعِينِينَ مُتَضَرِّعَتَيْنِ، وَكَأَنَّ نَاطِرِيهَا نَطَقَا بِخَبْرِهَا، وَقَصَا عَلَيْهِ قِصَّتَهَا.

ولِكِنَّهُ لَمْ يَقَمَّ لَعْنَةُ اللُّحَاطِ بَلْ مَدَّ لَهَا يَدَهُ مُصَافِحًا، وَضَعَطَ قَلِيلًا عَلَى الأَنَامِلِ الرَّخِصَةِ
وَقَالَ: «المَعْدِرَةُ إِنْ بَكَرْتُ فِي الحُضُورِ، وَلِكِنِّي لَمْ أَجِدْ مَا يَشْغَلُنِي عَنِ الشُّوقِ...».

وَتَلَفَّتْ حَوْلَهُ فِي قَلْبِي، ثُمَّ أَرَدَفَ: «وَإِنِّي وَائِمُ الحَقِّ تَمَنَيْتُ أَنْ أَجِدَكَ وَحِيدَةً، وَلَسْتُ فِي
شَكِّ مِنْ أَنَّكَ سَتُصَيِّحِينَ إِلَيَّ مَا أَقُولُ حَتَّى النِّهَايَةِ...».

(١) تَكُنُهُ حَقِيقَتُهُ: تُذَكِّرُهَا.

(٢) البُلَهْنِيَّةُ: العَيْشُ الرَّخِيءُ.

(٣) نُذْحَةٌ: مَهْرَبٌ أَوْ مَفْرٌ.

وَتَمَلَّمَلْ فِي مَكَانِهِ قَلِيقًا مُضْطَرِبًا. وَقَالَتْ كَاترِينُ بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ: «لَنْ تَلَبَّتْ أُمِّي أَنْ تَأْتِي
يَا سَيِّدِي!»

وَتَضَرَّجَ وَجْهَهَا، وَأَطْرَقَ هُوَ بِرَأْسِهِ، وَقَالَ بَعْدَ لَأَيٍّ^(١): «اغْلَمِي أَنْ مَقَامِي فِي مُوسْكُو
يَطُولُ أَوْ يَفْضُرُ تَبَعًا لِمَوْفِقِكِ». وَسَرَتْ فُشْعُرِيرَةٌ بَارِدَةٌ فِي جِسْمِهِ. كَيْفَ؟ كَيْفَ جَرُّو؟ كَيْفَ
تَجَاسَرَ عَلَى التَّنَطُّقِ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟

وَعَضَّتْ كَاترِينُ مِنْ طَرْفِهَا^(٢)، وَاخْتَلَجَتْ أَهْدَائِبُهَا فِي انْفِعَالٍ وَحَيْرَةٍ. وَأَزْدَفَ بَعْدَ أَنْ
اسْتَعَادَ رِبَاطَةَ جَأْشِهِ^(٣): «أَجَلْ أَوْدُ أَنْ أَقُولَ... أَنْ أُخْبِرَكَ... أَنْ أَفْضِي إِلَيْكَ بِأَنِّي...
بَأَنِّي... أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ رَأْيِكَ فِي شَخْصِي لَوْ تَقَدَّمْتُ إِلَيْكَ بِطَلَبِ الزَّوْاجِ! هَلْ تَقْبَلِينَ بِي؟
هَلْ تُوَافِقِينَ؟»

وظَهَرَ عَلَيْهِ فَجَاءَةٌ وَجُومٌ مَنِ اشْتَدَّ هَمُّهُ وَعَظُمَ عَمُّهُ، وَلَكِنَّهُ ظَهَرَ عَلَيْهِ أَيْضًا الْإِرْتِيَاخُ لَمَا
قَامَ بِهِ وَأَدَّاهُ، وَمَا عَلَيْهِ الْآنَ سِوَى انْتِظَارِ الْجَوَابِ، فَإِنَّمَا الْقَبُولُ وَإِنَّمَا الرَّفْضُ... فَإِنَّ أَجَابَتْ
بِالْقَبُولِ طَابَتْ نَفْسُهُ وَاعْتَبِطَتْ، وَإِنْ رَدَّتْهُ خَائِبًا دَاخَلَهُ مِنَ الشَّقَاءِ مَا يَنْتَزِعُهُ انْتِزَاعًا، وَيَقْتَلِعُهُ
اِقْتِلَاعًا مِنْ مُوسْكُو!

وَأَلْجَمَ لِسَانُ كَاترِينِ، وَوَجَبَ قَلْبُهَا، وَدَاخَلَهَا مِنَ الدُّعْرِ مَا سَلَّ حَرَكَتَهَا وَكَبَّلَ إِرَادَتَهَا.
وَجَعَلَتْ تَتَلَدَّدُ^(٤) فِي مَكَانِهَا مَتَمَلِّمَةً.

وَطَنَعَى عَلَيْهَا عَلَى حِينِ غِرَّةٍ شُعُورٍ عَجِيبٍ مِنَ الْإِعْجَابِ وَالشَّرُورِ وَالزَّهْوِ. ثُمَّ رَفَعَتْ إِلَيْهِ
طَرْفًا مُخْضَلًّا، فَإِذَا بَوَاجِهِ فِرُونْسِكِي يَحْجُبُ وَجْهَ لَيْفِينَ عَنِ نَاطِرَيْهَا، وَإِذَا بِخَيَالِهِ الْجَمِيلِ يَرْنُو
إِلَيْهَا مُتَسَائِلًا، وَإِذَا بِهَا تَتَمَتُّمٌ بِجَزَعٍ: «لَا... لَا...».

وَجَمَّجَمَ الْمِسْكِينُ مِنْ دُونِ أَنْ يَنْظُرَ نَحْوَهَا: «إِنَّ الْفَاشِلَ مَأْخُودٌ دَائِمًا بِفَشْلِهِ، إِنَّ عَائِرَ
الْحِظِّ لَا يُخْطِئُهُ الْإِخْفَاقُ... وَهَذَا كَانَ مُتَنَظِّرًا».

وَأَحْنَى هَامَتَهُ بِاحْتِرَامٍ، وَتَحَوَّلَ عَنْهَا، وَهُوَ يُجَرُّ وَرَاءَ سَاقِيهِ الْمُرْتَبِعَشِينَ أَذْيَالَ الْحَيِّبَةِ،

(١) لَأَيٍّ: مَشَقَّةٌ.

(٢) طَرْفِهَا: نَظَرِهَا.

(٣) رِبَاطَةَ جَأْشِهِ: شَجَاعَتَهُ.

(٤) تَتَلَدَّدُ فِي مَكَانِهَا: تَلَبَّتْ (تَقِيمُ) فِيهِ مَتَحَيْرَةً.

حَتَّى لَكَأَنَّهُ كَانَ يَتَحَامَلُ عَلَى نَفْسِهِ حَذَرَ الْإِنْهَارِ! وَلَكِنَّ دُخُولَ الْأُمِّ فِي تِلْكَ الْهَيْئَةِ،
وَاقْتِرَابَهَا مِنْهُ، جَعَلَهُ يَتَرَيْتُ مُسْتَمَهَلًا وَيَتَمَاسِكُ مُتَجَلِّدًا.

وَصَعَدَتِ الْأُمُّ عَيْنَيْهَا فِي الشَّابِّينِ مُتَوَجِّسَةً^(١) مُسْتَرِيَةً، وَلَكِنَّهَا مَا لَبِثَتْ أَنْ انْبَسَطَتْ
أَسَارِيرُهَا؛ فَأَمَّا زُفَى الْفَتَى تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَحْظَ مِنْ ابْتِنَاهَا بِطَائِلٍ، وَتَقَاطِيعِ الْفِتَاةِ تُشِيرُ إِلَى أَنَّهَا
لَمْ تَقْضِ لَهُ مِنْ مَآرِبِهِ وَطَرًا.

لَقَدْ اسْتَجَابَتْ لَهَا كَرِيمَتُهَا، وَاتَّخَذَتْ مِنْ مِثَالِيَّةِ فِرُونْسِكِي نِيرَاسًا تَسْتَضِيءُ بِهِ وَتَسْتَرِشِدُهُ!
وَمَا هِيَ تَضَعُ حَدًّا لِأَخْلَامِ لَيْفِينَ، وَتُفهِمُهُ صِرَاحَةً أَنَّهَا لَنْ تَكُونَ لَهُ. . . فَنِعْمَ الْإِبْنَةُ ابْتِنَاهَا!

وَسُرْعَانَ مَا بَشَّتْ لَهُ حِينَ حَبَّأَهَا، وَطَلَبَتْ إِلَيْهِ بِلُطْفٍ أَنْ يَجْلِسَ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ تَسْأَلُهُ
عَنْ حَالِهِ، وَتَسْتَوْضِحُهُ أُمُورَ الْقَرِيَّةِ، وَمَا يَفْعَلُهُ هُنَاكَ، وَمَا يَقُومُ بِهِ مِنْ نَشَاطٍ.

وَاقْتَضَبَ لَيْفِينُ أَجُوبَتَهُ، وَإِنْ حَاوَلَ جَاهِدًا أَنْ لَا يَكُونَ جَافًا فِي مَقَالَتِهِ.

وَمَا مَضَى مِنَ الزَّمَنِ سَاعَةٌ حَتَّى تَوَافَدَ الْمَدْعُوعُونَ وَالْمَدْعُوعَاتُ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ النَّبِيلَةُ
الْحَسْبِيَّةُ «الْكُونْتِسْ نوردسون».

وهذه المرأة، نَصَفَ بَيْنَ النِّسَاءِ، فَهِيَ نَحِيلَةٌ هَزِيلَةٌ، قَمِيئَةٌ، حَادَّةُ الطَّنَجِ، مُتَوَرِّةُ
الأَعْصَابِ، كَلِفَتْ بِكَاتَرِينَ وَآثَرْتَهَا بِحُبِّهَا، حَتَّى إِنَّ شَوْقَهَا إِلَى ضَمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ الزَّاهِرِ لَهَا
فَاقَ شَوْقَ أُمَّهَا. وَكَانَتْ تُشَايِعُ فِرُونْسِكِي وَتَحْقِدُ عَلَى لَيْفِينَ، لِهَذَا كَرِهَتْ كَاتَرِينَ بِالْأَخِيرِ،
حَتَّى نَفَرَ قَلْبُ الْفِتَاةِ وَخَشِيَّتِ الْاقْتِرَابَ مِنْهُ، نَاهِيكَ عَنِ الْاقْتِرَانِ بِهِ.

ولولا ما حَظَّرَهُ الْأَدَبُ عَلَيْهَا مِنْ مُعَامَلَةِ النَّاسِ بِالْقَسْوَةِ وَالسُّدَّةِ لَمَا تَوَرَّعَتْ كَاتَرِينُ عَنْ
مُجَابَهَةِ لَيْفِينَ بِمَا لَا يُحِبُّ فِي حَلِيَةِ التَّرْجُحِ!

لَقَدْ أَثَرَتْ فِيهَا هَذِهِ الْمَرَأَةُ تَأْثِيرًا كَبِيرًا، وَلَا غَرْوَ، فَالْمَرَأَةُ مَتَى مَقَّتَتْ، كَادَتْ^(٢)
وَأَوْقَعَتْ. . . . وَقَدْ مَقَّتَتْ هَذِهِ الْمَرَأَةُ لَيْفِينَ، فَالْتَّ أَنْ تَقْهَرَهُ وَتَكِيدَ لَهُ، وَقَدْ طَالَمَا رَدَّدَتْ:
«أَعْجِبْ بِنَا مِنْ نِدَّيْنِ لَا نَجْتَمِعُ، هُوَ يَكْرَهُنِي وَأَنَا أَبَادِلُهُ الْبُغْضَ، وَأَجِدُ فِي مَا يَعْتَمِلُ فِي
صَدْرَيْنَا مِنْ نَزَعَاتِ الْكِرَاهِيَّةِ وَالْوَجْدِ كَثِيرًا مِنَ الْمُتَمَعَّةِ وَاللَّهْوِ».

(١) مُتَوَجِّسَةٌ: مُضْغِيَّةٌ بِخَوْفٍ.

(٢) كَادَتْ (بِكَيْدٍ) لِشَخْصٍ: اخْتَالَ فِي إِلْحَاقِ الضَّرْرِ بِهِ.

أَمَا لَيْفِينُ، فلم يَكُنْ يَمُقُّهَا، بل كَانَ يَحَقِّرُهَا، وَاخْتِقَارُهُ لَهَا كَانَ لِعُرُورِ رَكِبِ رَأْسِهَا، فَأَعْمَاهَا عَنْ حَقِيقَتِهَا وَحَقِيقَةِ سِوَاهَا مِنَ الْخَلْقِ.

فَمَا كَادَتْ تُبْصِرُ بِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ حَتَّى طَابَتْ لَهَا الشَّخْنَاءُ، فَهَاجَمَتْهُ مُتَهَجِّمَةً وَهِيَ تُصَافِحُهُ، وَقَالَتْ: «أَرَاكَ رَجَعْتَ إِلَى «بَابِلَ»، رَجَعْتَ بَعْدَ أَنْ هَجَرْتَهَا وَنَأَيْتَ عَنْهَا، فَمَاذَا حَدَاكَ عَلَى الرَّجُوعِ؟ مَاذَا حَفَزَكَ إِلَى طَرَقِ أَبْوَابِ «بَابِلِ الْفَاسِدَةِ»؟ (كَانَ لَيْفِينُ يُشَبِّهُ مُوسَى وَمَبَادِلَهَا بَبَابِلَ وَفُسَّقَهَا) فَهَلْ تَعَيَّرْتَ بَابِلَ؟ هَلْ أَصْلَحَ مِنْ شَأْنِهَا الْمُضِلِّحُونَ، أَوْ تَدَنَيْتِ أَنْتِ حَتَّى أَصْبَحْتَ فِي مُسْتَوَى أَهْلِهَا الْفَاسِدِينَ الْمَارِقِينَ؟!»

وَكَانَ لَيْفِينُ فِي مَا مَضَى، قَدْ فَتَدَّ آرَاءَ هَذِهِ الْمَرَأَةِ الدَّعِيَّةِ، وَظَاهَرَ^(١) أَهْلَ الرَّيْفِ، وَنَصَرَهُمْ وَأَيَّدَهُمْ. فَلَمَّا جَابَهُنَّ الْكُونَتَسُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ عَلِمَ أَنَّهَا تُحَاوِلُ النَّيْلَ مِنْهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ قَالَ: «لِمَا يَمْلَأُنِي زَهْوًا أَنْ كَلَامِي رَاسِخٌ فِي مُخِيلَتِكَ يَا سَيِّدَتِي».

وَأَعْرَضَ عَنْهَا وَأَسَاحَ، كَأَنَّهُ لَا يَزْعَبُ فِي مُتَابَعَةِ الْكَلَامِ. وَاسْتَرْعَى انْتِبَاهَهُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ضَابِطٌ وَسِيمٌ أَنْبَقَ يَدْلِفُ^(٢) إِلَى الْقَاعَةِ بِخَطَوَاتٍ مُتَزَنَةٍ قَوِيَّةٍ.

وَأَنْبَاهُهُ حِسُّهُ أَنَّ الشَّابَّ هُوَ مُنَافِسُهُ فِي قَلْبِ كَاتِرِينَ؛ وَأَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَمَا قَابَلَتْهُ كَاتِرِينُ بِوَجْهِ طَلْقٍ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ تُحِيَّيَهُ وَتُرْحَبُ بِهِ. وَقَارَنَ بَيْنَ مُقَابَلَتِهَا لَهُ وَمُقَابَلَتِهَا لِلضَّابِطِ، وَأَذْرَكَ، وَالْأَسَى يَمْلَأُ صَدْرَهُ، أَنَّ كَاتِرِينَ تُحِبُّ فَرُونَسْكَيَ، وَأَنَّ أَمَلَهُ قَدْ انْطَفَأَتْ شُعَلَتُهُ إِلَى الْأَبَدِ.

وَتَأَهَّبَ لِيَذْهَبَ، وَتَحَرَّكَ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى يَهْرُبَ مِنَ الْجَنَّةِ الَّتِي انْقَلَبَتْ فِي مِثْلِ عَمُضَةٍ عَيْنٍ وَفَتَحَتْهَا إِلَى سَعِيرٍ مُتَلَطِّي النَّيْرَانِ. وَلَكِنَّهُ عَادَ فَكْتَمَ مَا فِي نَفْسِهِ وَعَزَمَ عَلَى إِطَالَةِ مَكْتَبِهِ، وَلَوْ عَلَى مَضْضٍ، حَتَّى يُشَاهِدَ مَا يَجْرِي عَنْ كَتَبٍ، وَحَتَّى يُلِمَّ بِأَحْوَالِ نِدِّهِ وَيَعْرِفَ الْمَزِيدَ مِنْ أَمْرِهِ.

وَإِذَا هَاجَتِ الْأَحْزَانُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ، وَتَأَلَّبَتْ عَلَيْهِ الْمِحَنُ، أَضْحَى أحيانًا خَسِيسًا لَا يَرَى إِلَّا السَّيِّئَاتِ وَالتَّقَائِصَ، أَمَا الْفَضَائِلُ فَتُضَيِّحُ كَالْقَدَى فِي عَيْنِهِ كُلَّمَا لَمَسَهَا فِي غَيْرِهِ.

(١) ظَاهَرَ الْقَوْمَ: نَصَرَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ.

(٢) دَلَفَ (دَافَ). مَشَى مُقَابِلَ الْخَطْوِ، وَهُوَ هُنَا بِمَعْنَى دَخَلَ.

يَبْدُ أَنْ لَيْفِينَ كَانَ مِنْ طِينَةِ أَسْمَى، فَهُوَ لَا يَرْعَبُ فِي تَعَرُّفِ مَوَاطِنِ الضَّعْفِ فَحَسْبُ، بَلْ
يَوَدُّ مِنْ صَمِيمِ فُؤَادِهِ أَنْ يَتَحَسَّنَ مَكَامِينَ الْقُوَّةِ فِي إِنْسَانٍ غَيْرِهِ، مَهْمَا تَنَافَرَا فِي الْمِزَاجِ وَالطَّبْعِ
وَالهَدَفِ.

وَحَارَ لَيْفِينُ فِي أَمْرِهِ، فَالِإشْفَاقُ يُبْطِطُ عَزِيمَتَهُ، وَالشُّوقُ إِلَى مَنْ خَيَّبَتْ رِجَاءَهُ يُنْشِطُ
ذَهْنَهُ، وَهُوَ بَيْنَ هَذِهِ الْإِنْفِعَالَاتِ كَرِيشَةٍ تَهْزُهَا الرِّيحُ وَتَتَلَاعَبُ بِهَا.

وَقَدْ نَظَرَ بِتَمَعْنٍ وَتَفَكَّرٍ إِلَى غَرِيمِهِ، فَأَلْفَاهُ شَابًا كَامِلَ الرُّجُولَةِ لَا يَنْقُصُهُ مِنْهَا مَنْظَرٌ وَلَا
مَظْهَرٌ وَلَا إِرَادَةٌ. وَأَلْقَى فِي رَوْعِهِ أَنَّ هَذَا الْفَتَى لَا يَمِيلُ كغَيْرِهِ مِنْ أَبْنَاءِ الطَّبَقَةِ الْمُتَرَفِّةِ إِلَى
تَكَلُّفٍ مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ يَتَكَلَّمُ مَعَ الْجَمِيعِ بِلَهْجَةٍ وَاحِدَةٍ وَابْتِسَامَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ يُصَافِحُ
الْجَمِيعَ بِطَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ يَتَحَرَّكُ مِنْ دُونِ كُلْفَةٍ.

وَتَوَعَّرَ صَدْرُ لَيْفِينَ وَهُوَ يَرَى هَاتِيكَ الْفَضَائِلَ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَمَقُتْ غَرِيمَهُ بَلْ اسْتَمَرَّ يُرَاقِبُهُ
بَانْتِبَاهٍ. وَقَدْ رَأَى يُقِيلُ عَلَى الْأَمِيرَةِ الْمُضِيفَةَ فَيُصَافِحُهَا بِحَرَارَةٍ ثُمَّ يَعْطِفُ عَلَى كَاتِرِينَ ابْنَتَيْهَا
فِيَادِلُهَا بَعْضَ الْحَدِيثِ، وَيَضْحَكُ هُوَ وَتَضْحَكُ هِيَ، وَتَحْزُرُ^(١) نَفْسُ لَيْفِينَ!

وَجَلَسَ فَرُونَسْكِ فِي مَقْعَدٍ خَالٍ مِنْ دُونِ أَنْ يَلْتَقِيَ إِلَى لَيْفِينَ أَوْ يَشْعُرَ بِوُجُودِهِ، إِلَّا أَنَّ
الْمُضِيفَةَ تَنَبَّهَتْ فَجَاءَتْ إِلَى مَا يَجِبُ عَلَيْهَا عَمَلُهُ، فَأَسْرَعَتْ تَقُولُ: «لَقَدْ سَهَا عَنِ الْبَالِي تَقْدِيمُ
كُلِّ مِتْكُمْ إِلَى الْآخِرِ. وَأَوْمَأَتْ إِلَى لَيْفِينَ، وَاسْتَلَّتْ: «الْكُونْتُ فَرُونَسْكِ، الْكُونْتُ لَيْفِينُ!»

وَانْتَصَبَ فَرُونَسْكِ وَاقْفًا، وَحَذَا لَيْفِينُ حَذْوَهُ، وَتَصَافَحَ الشَّابَانِ، وَأَخْنِيَا رَأْسَيْهِمَا قَلِيلًا؛
ثُمَّ قَالَ فَرُونَسْكِ وَوَجْهُهُ يَطْفَحُ بِشْرًا: «كُنَّا سَنَجْتَمِعُ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ عَلَى مَانِدَةِ الْأَمِيرَةِ، يَبْدُ
أَنَّ رَحِيلَكَ الْمَفَاجِئِ، فِي ذَلِكَ الْحِينِ حَسَبَ عَنَّا نَفْحَةَ رَبَّاتِكَ».

فَقَالَ لَيْفِينُ: «وَهَذَا مِنْ بَوَاعِثِ أَسْفِي، إِلَّا أَنِّي اضْطُرَرْتُ يَوْمَئِذِكَ إِلَى السَّفْرِ».

قَالَ: «وَرُدَّتْ -وَلَا شَكَّ- أَرْضُكَ فِي الرَّيْفِ يَوْمَ طَعَنْتَ^(٢) عَنِ مُوسَكَو، وَإِخَالُ كُلِّ
شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ هُنَاكَ مُمِلًا مُضْجِرًا، هَذَا إِذَا مَكَتَ الْإِنْسَانُ وَأَقَامَ بِصُورَةٍ دَائِمَةٍ، خُصُوصًا
فِي فَضْلِ الشِّتَاءِ، يَوْمَ يَهْبِطُ الْقَرُّ وَتَسَاقُطُ الثَّلُوجُ».

(١) تَحْزُرُ النَّفْسُ: تَغْتَوُّ وَتَضْطَرِّبُ.

(٢) طَعَنْتَ: رَحَلْتَ.

قَالَ: «إِنَّ لِلسَّعَادَةِ مَهَابَّ مُخْتَلِفَةً، وَسَعَادَةُ الْقَرْيَةِ فِي الْعَمَلِ وَالذَّابِ، وَمَنْ يَعْمَلْ هُنَاكَ لَا يُدَاخِلُهُ السَّأَمُ».

قَالَ: «وَلَا أُخْفِيكَ أَنِّي أُحِبُّ الْحَيَاةَ الْحُرَّةَ فِي الْقَرْيَةِ السَّاكِنَةِ الْهَادِيَةِ الْمُتَحَرِّرَةَ مِنَ الْفُيُودِ».

وَحَانَتْ مِنَ الْكُونْتِسْ نوردسون لَفْتَةً، وَسَنَحَتْ لَهَا فُرْصَةَ الْقَوْلِ، فَرَاخَتْ تُخَاطِبُ فرونسكي وتَقُولُ: «وَهَلْ تُسْأَلُ لَكَ نَفْسُكَ الْمَكْتَّ فِي الْحَقْلِ؟ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَبْقَى هُنَاكَ يَا كُونْت فرونسكي لَا تَبْرُحَ وَلَا تَرِيمُ؟»

فَأَجَابَهَا الشَّابُّ وَهُوَ يُهَاجِمُهَا بَطْرَفٍ مُسْتَطِيعٍ: «هَذَا سُؤَالٌ يَسْتَعْصِي الْجَوَابُ عَنْهُ، فَمَا نَزَلْتُ فِي الرَّيْفِ إِلَّا لِإِمَامًا، وَكُلَّمَا قَصَدْتُهُ زَائِرًا، وَأَلَمَمْتُ بِهِ عَامِلًا، أَقَمْتُ رَدْحًا قَصِيرًا... وَأَصْدُقُكَ أَنِّي لَمْ أَعْرِفْ مَدَاقَ الرَّيْفِ فِي رُوسِيَا، وَلَمْ أَتَعَلَّقْ بِهِ إِلَّا بَعْدَ مَا قَضَيْتُ فِي «نَيْس» شِتَاءَ الْعَامِ الْمَاضِي. هُنَاكَ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَقَارِنَ، وَهُنَاكَ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَرَى الْحَقِيقَةَ وَأَعْلَمَ أَنَّ رَيْفَنَا جَنَّةٌ نَعِيم!»

قَالَتْ: «وَمَاذَا شَاهَدْتَ فِي نَيْس؟»

قَالَ: «نَيْسُ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ مُوحِشَةٌ، وَلَا تَقْرَأُ الْعَيْنُ بِمُلَازِمَتِهَا زَمَانًا طَوِيلًا. وَأَصْدُقُكَ أَنَّ رَيْفَنَا أَمْتَعٌ مِنْهَا وَأَبْهَجٌ مِنْ سِوَاهَا مِنَ الْمُدُنِ، كِنَابُولِي مِثْلًا».

وَأَزْدَلَفْتُ^(١) كَاتِرِينَ فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَفَفَ فِيهِ لَيْفِينُ، وَنَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ الْمُتَقَبِّضِ، وَالتَّقَبُّ الْعُيُونُ فُجَاءَةً، فَبَرَزَ مِنْ عَيْنَيْهِ أَسَى بِالْغُ، وَنَطَقَ لِسَانُ عَيْنَيْهَا فَقَالَ: «أَلَا أَصْفَحُ... إِعْفُ... لَقَدْ تَحَقَّقَتِ الْأَمَالَ فَلَا تَزْجُرْ، وَلَا تَتَّقُمْ...».

وَأَجَابَهَا لَيْفِينُ، أَجَابَهَا بِاللَّحْظِ أَيْضًا فَقَالَ: «أَلَا تَبَّا لَكَ! لَقَدْ جَرَّ عَلَيَّ حُبُّكَ الْعَصَصَ، وَكَرَّهَنِي بِالْحَيَاةِ. فَأَنَا أَبْغُضُكَ، وَأَنَا أَمُتُّ نَفْسِي، وَأَنَا أَكْرَهُ الدُّنْيَا قَاطِبَةً!»

وَتَسَعَّبَتِ الْأَحَادِيثُ وَتَفَرَّعَتْ، وَطَفِقَ الْقَوْمُ يَبَادِلُونَ الْكَلَامَ عَلَى الْحَفَلَاتِ الرَّاقِصَةِ، وَالصَّيْدِ وَالْقَنْصِ، ثُمَّ عَرَّجُوا عَلَى الْحَفَلَةِ السَّاهِرَةِ الَّتِي يُزِمُّعُ أَنْ يُحْيِيهَا أَلْ شِرْبَاتْسْكِ بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ لَا تَتَجَاوَزُ الْأُسْبُوعَ.

(١) أَزْدَلَفْتُ: دَنْتُ وَاقْتَرَبْتُ.

وَأَعْتَمَمَ لَيْفِينَ انْشِغَالَ الضَّيْفِ^(١) عَنْهُ بِأَحَادِيثِهِمْ، وَتَسَلَّلَ خَارِجًا بَعْدَ أَنْ اسْتَأْذَنَ رَبَّةَ الدَّارِ
بِالدَّهَابِ!

وَلَمَّا وَلَّى قِطْعَ^(٢) كَبِيرٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَخَلَا الْبَيْتُ مِمَّنْ اِزْدَحَمَ فِيهِ، انْفَرَدَتْ كَاتِرِينَ بِأُمَّهَا
فَأَطْلَعَتْهَا عَلَى مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ لَيْفِينَ. وَلَمْ تَكُنِ الْحَسَنَاءُ مُعْتَبِطَةً أَوْ مُبْتَسِئَةً، بَلْ إِنَّ إِحْسَاسَهَا
كَانَ يَضْطَرِّمُ بِنَارِ الْإِنْفِعَالِ، فَهِيَ تَسْمَعُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِهَا عَرَضًا لِلزَّوْجِ، وَمِمَّنْ؟ مِنْ شَابٍّ
تَمَنَّاهُ أَجْمَلُ الْعِيدِ، مِنْ لَيْفِينَ النَّبِيلِ الثَّرِيِّ.

وَلَمَّا لَادَتْ بِفِرَاشِهَا جَفَاها الْكُرَى^(٣)، فَجَعَلَتْ تَتَقَلَّبُ فِي مَضْجَعِهَا هَاجِسَةً بِمَا يَعْتَمَلُ
فِي صَدْرِهَا، وَقَدْ لَاحَقَهَا وَجْهُ لَيْفِينَ، فَهِيَ لَا تُغْمِضُ عَيْنَيْهَا إِلَّا لِتَرَاهُ مَائِلًا فِي مُخِيلَتِهَا،
وَهِيَ لَا تَفْتَحُ تَيْنِكَ الْعَيْنَيْنِ الْجَمِيلَتَيْنِ إِلَّا لِيُظْهَرَ لَهَا وَجْهُهُ الْحَزِينُ الْكَسِيفُ الْقَانِطُ.

وَاجْتَاخَتْهَا مَوْجَةٌ عَارِمَةٌ مِنَ الْحُزَنِ، وَأَنْهَمَرَتِ الدَّمُوعُ مِنْ مَاقِيهَا غَزِيرَةً تَهْتَانَةً. بَيَدَ أَنَّهَا
فَكَرَّتْ بِالشَّابِّ الْآخِرِ الَّذِي ضَحَّتْ بِلَيْفِينَ مِنْ أَجْلِهِ، فَأَشْرَقَ وَجْهَهَا فَجَاءَتْهُ بِنُورِ السَّعَادَةِ،
وَجَفَّتْ مَدَامِعُهَا، وَطَفِقَتْ تَتَخَيَّلُهُ بِقَامَتِهِ الْمَمْسُوقَةِ، وَوَجْهِهِ الْجَمِيلِ، وَنَبْرَتِهِ النَّافِذَةِ الْقَوِيَّةِ.

وَطَعَى عَلَيْهَا فِي هَذِهِ الْهَدَاةِ سُرُورٌ عَظِيمٌ، وَلَكِنَّهَا شَعَرَتْ فِي قَرَارَتِهَا أَنَّ سُرُورَهَا هَذَا
يَشُوبُهُ أَلَمٌ غَامِضٌ، وَكَأَنَّهُ السُّمُّ فِي الدَّسَمِ. فَمَا هُوَ هَذَا الشَّيْءُ يَا ثُرَيَّا؟ وَمَا نَوْعُ هَذَا السُّمِّ؟
وَهَتَفَتْ مُتَهَدِّجَةً: «اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا... اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا...».

وَمَا فِتْنَتْ تُرَدُّدُ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ حَتَّى اسْتَوْلَى عَلَيْهَا سُلْطَانُ النَّوْمِ فَأَعْفَتْ.

(١) الضَّيْفُ: التَّزِيلُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ وَيُسْتَعْمَلُ لِلْمُفْرَدِ وَالْجَمْعِ.

(٢) قِطْعٌ مِنَ اللَّيْلِ: جُزْءٌ مِنْهُ.

(٣) الْكُرَى: التُّعَاسُ أَوْ النَّوْمُ.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - بدأ الفصلُ بوصفِ مزايا كاترينَ الجمالِيَّة، فما دورُ هذا الوصفِ في الرواية؟
- ٣ - ماذا عَنَّتْ كاترينُ إذ قالتَ لليفينَ حينَ أخذَ يُحدِّثُها: «لن تُلَبِّثَ أُمِّي أَنْ تَأْتِي، يا سيِّدي»؟
- ٤ - مَنْ هو الشابُّ فرونسكي؟ وما مهنتُهُ؟
- ٥ - ما الفكرة التي كَوَّنَتْهَا أُمُّ كاترينَ عن كلِّ من ليفين وفرونسكي؟
- ٦ - بدأتِ العُقْدَةُ الثانيةُ في حكاية ليفينَ تعرفُ طريقَها إلى الحَلِّ . فهل أَرْضَاكَ أَنْ تَكُونَ كاترينَ لفرونسكي؟ ولماذا؟
- ٧ - لِمَ راوَحَتْ مشاعرُ كاترينَ بين الحزنِ والفرحِ؟ وأيِّ الأساليبِ استخدمَ الكاتبُ لتصوير حالتها هذه؟
- ٨ - بِمَ امتازتْ شَخْصِيَّةُ الكونتس نوردسون؟ وهل كانَ ليفينُ مِحَقًّا في كرهه إيَّاهَا؟
- ٩ - أَرَأَيْتَ في أقوالِ نبلَاءِ موسكو طعنًا بحياةِ الرِّيفِ؟ ولماذا؟
- ١٠ - أيِّ أساليبِ القِصِّ استخدمَ الكاتبُ لتطويرِ الأحداثِ (السُّرد، الوصف، الحوار، المناجاة)؟ أوضِح ذلك .
- ١١ - أَوْجِزْ مَضمونَ الفصلِ في أسطرٍ قَلِيلَةٍ .

الفصل التاسع

في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي، استقل فرونسكري عربته إلى محطة القطار ليكون في استقبال والديه. وكان أوبلنسكري أول رجل صادفه هناك. وكان الأخير ينتظر مقدم شقيقه في القطار نفسه.

فلما رآه أوبلنسكري هتف قائلاً: «من تراك تنتظر يا كونت؟»

فأجاب فرونسكري والابتنامة لا تفارق فمه: «أمي... إنها قادمة من بطرسبرج، وستصل اليوم في قطار الصباح».

- «لقد بحثت عنك البارحة، فإلى أين ذهبت عقب مغادرتك منزل آل شرباتسكي؟»

- «توجهت إلى البيت، لأنني لم أطمع في المزيد... فقد لقيت هناك ما ملأ قلبي وجسدي قناعة ورضى، حتى لم أشعر بالميل إلى مواصلة ما انقطع من متعة في مكان آخر».

- «هذا جميل...». وابتسم كما ابتسم في وجه ليفين ساعة أطلعته على كلفه بكاترين.

وما لبث أن صعد فيه طرفه، وابتدرة بالكلمات التي قالها لليفين قبلاً: «اعرف الجواد

الأصيل من خطرانيه... والعاشق اعرفه من عينيهِ ولسانيه!»

ولمعت عينا فرونسكري، وافتتر نغره، ونطقت أمائره وأسارير وجهه بما فهمه من كلام

أوبلنسكري، وما أبطأ أن قال بلهجة تشفى عن طيبة قلبه وسلامة طويته: «أشكر لك صراحتك، فأنت كريم، أنت حميم قريب إلى القلوب...».

واشتتلى كأنه يتعمد التحدث في أمر آخر: «ومن من الناس تنتظر في هذه الساعة؟».

- «إنني في انتظار مليحة بين النساء!»

فشد فرونسكري وتساءل قائلاً: «تستقبل امرأة! ومن هي يا ترى؟»

فضحك أوبلنسكري حتى بانث نواجذه، وأجاب: «الرث، الرث، يا صديقي، فالمرأة

التي أنتظرُ هيَ شقيقتي أنا» .

- «أنا كارينا؟»

- «أجل... ألكَ بها سابقُ معرفة؟»

فقال فرونسكي، وهو يحاول أن يستعيد إلى الذاكرة أمرًا غامضًا يتعلّق بهذه المرأة: «قد أعرفُها، لا أدكرُ، قد أعرفُها» .

- «على أنك تعرفُ، من غير شك، زوجها «أليكسيس كارنين». ومن لا يعرفُ الرجل؟ إنه أشهرُ من أن يُعرف» .

- «أصبت، كلنا يعرفُ، وقد سمعتُ به، ورأيتُ وجهه، وهو ولا عَرَوَ رجلٌ له مكانته الرفيعة، كما أنه حائزٌ على احترام الناس وتقديرهم» .

- «ما دُمتنا قد خُصنا في حديث الناس، فهل قابلتُ الليلة البارحة صديقي ليفين؟»

- «قدُمتنا بعضنا إلى بعض، بيد أنه ما أبطأ أن غادرَ الحفلة خلسة في ساعة مبكرة» .

- «إنه نعم الصديق، وهو فوق ذلك أديبٌ أريب^(١)، وإخالك تُوافقني على نظرتي إليه، ورأيي فيه» .

- «لم أكونُ عنه رأيًا بعد، غير أنه كما تراءى لي، ينأى بجانيه عن المجتمع، ويزورُ عن الناس، ولا يكادُ يخالطهم حتى يملهم! ثم إنه عصبي المزاج، يَحْتَدِمُ غَضَبُهُ سَرِيعًا، ويزورُ به الانفعال، أليس كذلك؟»

فتقرّس أوبلنسكي في الشاب متفحصًا، وما لبث أن قال: «قد يكون ذلك، وقد تكونُ مخطئًا فيما ذهبت إليه من رأي؛ وفي ذهني عنه رأيٌ آخر، ولا أشكُ قطُ في أنه كان البارحة على مُفترقِ طُرُق، وأنَّ سعادته وشقاءه كان كلُّ منهما في كفة ميزان... لقد لعبَ القدرُ لعبته، ولستُ أدري حتى الآن ماذا أصاب ليفين من خيرِ القدرِ أو من شرِّه!»

فالتفت إليه فرونسكي، وحدجُه بنظرة حادة مُستشفة وقال من دون تحرج: «أفصح عما يُخامرك... أكان ليفين من الصابين إلى بلوغِ وطَرِ الزَواجِ بكاترين؟ وهل عَوَّلَ البارحة على

(١) أريبٌ: ماهرٌ.

طَلَبَ يَدَهَا؟»

قَالَ: «قد تكونُ مُصَيِّبًا، وانصِرافُهُ قَبْلَ سِوَاهُ دَلِيلٌ دَامِغٌ عَلَى إِخْفَاقِ مَسْعَاهُ... يا لِّلْمَسْكِينِ! إِنَّهُ مُتَيْمِّمٌ بِهَا مَوْلَعٌ بِحُبِّهَا، وَلَا جَرَمَ أَنَّ خَيِّتَهُ كَانَتْ طَعْنَةً نَجْلَاءً^(١) اخْتَرَقَتْ سُودَاءَهُ... إِيَّيْ أَرْتِي لَهُ!»^(٢)

فَقَالَ فِرُونْسْكِ بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ: «إِنَّهُ أَقْدَمَ عَلَى أَعْظَمِ حَطْبٍ، فَكَاتِرِينَ تَسْتَأْهِلُ زَوْجًا خَيْرًا مِنْهُ... وَلَكِنْ مَا لِي أَنْتَسِرُعُ فِي الْحُكْمِ، وَمَعْرِفَتِي بِهِ سَطْحِيَّةٌ لَمْ تَزِدْ عَلَى التَّجِيَّةِ وَتَبَادُلِ بَضْعِ كَلِمَاتٍ؟ إِنَّ الْقَطَارَ مُقْبِلٌ مِنْ بَعِيدٍ، وَلَنْ يَلْبَثَ حَتَّى يَلِجَ الْمَحْطَّةَ».

وَمَزَّقَ الْفَضَاءَ فِي تِلْكَ الْفَيْتَةِ صَفِيرٌ شَدِيدٌ، وَهَدَرَتِ الْآلَةُ وَزَمَجَرَتْ، وَاهْتَزَّتِ الْأَرْضُ تَحْتَ عَجَلَاتِهَا، وَدَلَفَ الْقَطَارُ إِلَى الْمَحْطَّةِ مُسْتَأْنِيًا مُسْتَهْمَلًا وَهُوَ يَنْفُخُ دُخَانَهُ كَالْمُتْعَبِ، وَقَدِ عَلَا الْقَاطِرَةَ بَعْضُ الْجَلِيدِ، كَمَا كَلَّلَ رَأْسَ السَّائِقِ وَمُعَاوِنِهِ.

وَجَعَلَ الْمُسَافِرُونَ يَتَرَجَّلُونَ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا، وَطَفِقَ فِرُونْسْكِ يَتَأَمَّلُ فِيهِمْ وَهُوَ مُوزَّعٌ الْفِكْرَ، سَاهِمٌ الطَّرْفِ، يُفَكِّرُ... وَلَا شَكَّ أَنَّ فِكْرَهُ كَانَ مُنْصَبًا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ عَلَى الْحَسَنَاءِ الْفَاتِنَةِ الَّتِي سَلَبَتْ لُبَّهُ وَمَلَكَتْ قَلْبَهُ.

وَأُنْسِيَ أُمَّهُ، وَغَابَ عَنِ بَالِهِ أَنَّهَا قَادِمَةٌ مِنْ بَطْرَسْبِرْجَ، وَدَاخِلُهُ سُورُورٌ طَاغٍ غَامِضٌ، هُوَ نِتَاجُ شُعُورِهِ بِشَوْءِ الظَّفَرِ دُونَ لَيْفِينَ بَفْتَاةِ أَحْلَامِهِ. عَلَى أَنَّ هَذَا السُّورُورَ قَدْ يَكُونُ مَرْدُهُ إِلَى أَمْرِ آخَرَ، إِلَى سِرٍّ مَكْنُونٍ لَمْ يَتَمَحَّضْ عَنْهُ الْعَيْبُ بَعْدُ!

وَنَبَّهُ إِلَى نَفْسِهِ صَوْتُ ضَابِطٍ مِنْ ضَبَاطِ الْحَرَسِ يُخَاطِبُهُ قَائِلًا: «كَلَّفْتَنِي وَالدُّنْكَ أَنَّ أَنْبَهَكَ إِلَى وُجُودِهَا فِي تِلْكَ الْمَرْكَبَةِ يَا سَيِّدِي، فَادْهَبْ إِلَيْهَا مِنْ دُونِ إِنْطَاءٍ».

وَأَرْجَعَتْهُ كَلِمَاتُ الضَّابِطِ إِلَى عَالَمِ الْحَقِيقَةِ، فَفَكَّرَ فِي أُمِّهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ بِالشَّوْقِ إِلَيْهَا، فَهُوَ فِي قَرَارِيهِ يَحْتَرِمُهَا! وَهُوَ مِنْ دُونِ أَنْ يَعْرِفَ بِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَمَحُضُهَا الْحُبَّ، مَعَ أَنَّهُ فِي الظَّاهِرِ، وَبَيْنَ الْمَلَا، وَأَمَامَ نَفْسِهِ، كَانَ يَحْتَرِمُهَا أَعْظَمَ الْإِحْتِرَامِ، وَيُلَبِّي طَلْبَاتِهَا بِسُرْعَةٍ، وَيُضَدِّعُ بِأَمْرِهَا، وَيُبْرِمُ مَا تُشِيرُ بِهِ. عَلَى أَنَّهُ كَلَّمَا زَادَ إِحْتِرَامَهُ لَهَا فِي تَصَرُّفَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ، قَلَّ

(١) نَجْلَاءٌ: وَاسِعَةٌ.

(٢) أَرْتِي لَهُ: أَشْفِقُ عَلَيْهِ.

اخترامه لها وحبه لشخصها كأمه، في أعماق قلبه!

* * *

وأوماً الشاب للضابط شاكراً، واتجه نحو المركبة، ولكنه تريت لدى الباب، حتى يفسح في المجال لسيدة كانت تهم بالهبوط.

وأذرك للوهلة الأولى أن هذه السيدة تنتمي إلى عليّة القوم، وأنها من الصفوة المختارة، فالنعمه بادية على ملامحها منطبعة على قسّمات وجهها؛ وملابسها تنم عن رخاء وترّف وذوق سليم.

وأخني لها رأسه وتمتم بكلمة أسف، ثم رفع ساقه ليضعده، ولكن حافراً غامضاً أرغمه على الإلتفات، لا لأنها كانت فاتنة جداً، ولا لأنها كانت ذات بهاء ورواء، بل لأن شيئاً فيها كان يدوب رقة وليونة وعاطفة مشبوهة!

ولما التفت، التفتت... ورست عينها الدّعجوان^(١) المتسعتان اللتان تظللّهما أهداب سودّ طويلة، على وجه بنظرة ناعمة دافئة، ثم انثنت إلى ناحية أخرى بحركة خفيفة كأنها تبحث عن إنسان آخر.

وولج فرونسكي المركبة، فنظرت إليه أمه وروت ما بين عينيه. وعادت فتأملت فيه، ثم ابتسمت قليلاً بشفتيها الرقيقتين.

وكانت الأم امرأة هزيلة ناضبة، سوداء العينين، يزين أذنيها قرطان لامعان، ويحلي إصبعها خاتم كبير.

فلما دنا منها مدت له يداً معروفة فلتمها، ثم رفعت رأسه وقبلته في وجنته وقالت: «هل وصلتك برقيتي؟ أهانيء أنت بمعيشتك؟ شكراً لله!»

فجلس الابن في جوار والده وقال: «عسى أن لا تكون وعشاء^(٢) السفر قد نالت منك كثيراً يا أماه!»

ولم يخفى ردها على كلماته، بل أصاح إلى صوت امرأة انبعت من الخارج، وتراءى له

(١) الدّعجوان: السوداوان الواسعتان.

(٢) وعشاء السفر: مسقته.

أَنَّ هَذَا الصَّوْتِ الْفَتِيَّ الْمُتَمَوِّجِ هُوَ صَوْتُ الْغَادَةِ الْفَاتِنَةِ الَّتِي قَابَلَهَا مُنْذُ لَحَظَاتٍ عَلَى مَدْخَلِ الْمَرْكَبَةِ .

وكانت صاحبة الصوت تقول في شيء من الحدّة: «لا أجاريك في ما ذهبت إليه من رأي، يا عزيزي، ولا أقرُّك على هذا المبدأ الذي اتَّخَذْتَهُ مَذْهَبًا!»

فأجابها صوت آخر، صوت رجلٍ: «هذه وجهه نظري من بطرسبرج» .

قالت: «لا، بل وجهه نظري كلُّه أنثى!»

- «ذريني أَلْتُمَّ يَدِكَ!»

- «إِذْهَبْ مَحْفُوظًا يَا إيفان بتروفتش، وَإِنِ التَّقَيَّتْ أَخِي فِي طَرِيقِكَ فَوَجِّهْهُ إِلَيَّ لِأَنِّي فِي انْتِظَارِهِ مُنْذُ حِينٍ» .

وَرَجَعَتِ الْغَادَةُ ثَانِيَةً إِلَى الْمَرْكَبَةِ، فَهَشَّتِ الْكُونَتْسُ الْكَهْلَةُ لَهَا وَبَشَّتْ، وَقَالَتْ مُتَسَائِلَةً: «أَلَمْ تَجِدِي أَخَاكَ يَا عَزِيزَتِي؟»

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَدْرَكَ فَرُونْسْكِ أَنَّ السَّيِّدَةَ الْجَمِيلَةَ هِيَ «أَنَا كَارِنِينَا» .

فانبرى يقول وهو ينتصب وإفقا: «رَأَيْتُ أَخَاكَ، فَهَوَ هُنَا . . . عَلَى أَنِّي مَدِينٌ لَكَ بِاعْتِدَارٍ، فَأَنَا لَمْ أَعْرِفْكَ عِنْدَمَا اعْتَرَضْتُ سَبِيلَكَ اتِّفَاقًا، وَلَا شَكَ أَنَّكَ لَمْ تَتَذَكَّرْنِي أَيْضًا» . وَأَخْنَى هَامَتُهُ بِاخْتِرَامٍ .

فَقَالَتْ وَتَعْرُهَا يُضِيءُ بِسَمَةِ فَاتِنَةٍ: «كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَعْرِفَكَ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَنِي أَنْتَ، لِأَنَّنا قَضَيْنَا سَاعَاتٍ وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ عَنْكَ، فَوَالِدُكَ مُتَعَلِّقَةٌ بِكَ كَثِيرًا! وَلَكِنْ . . . أَيْنَ أَخِي؟ أَيْنَ هُوَ؟»

وَقَالَتْ الْأُمُّ الْعَجُوزُ: «عَجَلْ يَا أَلِيكْس . . . إِذْهَبْ وَإِنْحَتْ عَنْهُ، وَلَا تَرْجِعْ مِنْ دُونِهِ» .

وَقَفَرَ فَرُونْسْكِ مُتَرْجِّلًا وَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ^(١) يُنَادِي: «أُوبَلِنْسْكِ . . . هُنَا . . . هُنَا» .

أَمَّا أَنَا كَارِنِينَا فَإِنَّهَا لَمْ تَنْتَظِرْ مَجِيءَ أَخِيهَا، بَلْ غَادَرَتِ الْمَرْكَبَةَ، وَمَشَتْ ثَابِتَةً الْخَطْوُ، مُرْتَفِعَةً الرَّأْسِ . وَمَا كَادَتْ تُبْصِرُ أَخَاهَا قَادِمًا نَحْوَهَا، حَتَّى أَسْرَعَتْ إِلَيْهِ فَلَمَّتْ يَدَهَا الْيُسْرَى

(١) عَقِيرَتُهُ: صَوْتُهُ .

حَوْلَ عُنُقِهِ بِحَرَكَةٍ رَشِيقَةٍ أَذْهَلَتْ فِرُونْسْكِ وَقَبَّلَتْهُ فِي وَجْهِهِ .

ولم يَسْتَطِعْ فِرُونْسْكِ أَنْ يُحوِّلَ نَظْرِيهِ عَنِهَا، بل شَخَصَ إِلَى وَجْهِهَا فِي ذُهوْلِ وإِعْجَابٍ، وَابْتَسَمَ ابْتِسَامَةً عَرِيضَةً تَطْفُحُ بِالبِشْرِ والسَّعَادَةِ. بَيِّدَ أَنَّهُ تَذَكَّرَ أُمَّهُ، فَانْتَهَى رَاجِعًا إِلَيْهَا .

وَقَالَتِ الأُمُّ: «إِنَّهَا رَائِعَةٌ أليسَ كذَلِكَ؟ لَقَدْ رَجَانِي زَوْجُهَا أَنْ أَلَازِمَهَا، وَكَانَتْ مُزَامِلَتِي لَهَا فِي السَّفَرِ سَعَادَةً، وَأَنَا لَمْ أَشْعُرْ بِالمَلَلِ طِيلَةَ المَسَافَةِ الَّتِي قَطَعْنَاها» .

وَانْقَطَعَتْ عَنِ الكَلَامِ وَحَدَجَتْهُ بِنَظْرَةٍ ذَاتِ مَعَانٍ، وَاسْتَطَرَدَتْ بِاللِّسَانِ الفَرَنْسِيَّ: «قِيلَ عَنكَ إِنَّكَ ظَفِرْتَ بِفَتَاةٍ تَنْتَمِي إِلَى فُضْلِيَّاتِ العَائِلَاتِ، فَإِنْ صَحَّ هَذَا، فَلْيَهْنِكِ الظَّفَرُ بِأَمْنِيَّةٍ طَالَمَا طَلَبْتَهَا لَكَ» .

فَقَاطَعَهَا بِصَوْتٍ أَجَشٍّ: «مَاذَا تَقْصِدِينَ بِكَلَامِكَ يَا أُمَّاهُ؟ إِنَّنِي لَا أَفْهَمُ حَرْفًا مِمَّا تَقُولِينَ!» وَعَادَتْ أَنَا كَارِنِيَا فِي تِلْكَ اللِّحْظَةِ لِتَوَدُّعِ الكُونْتَسِ، وَمَا كَادَتْ تَصِلُ وَتَجْلِسُ حَتَّى ابْتَدَرَتِ المَرْأَةَ قَائِلَةً: «لَقَدْ اجْتَمَعَ الشَّمْلُ أَخِيرًا، فَالتَقَيْتِ ابْنَكَ، وَالتَقَيْتِ أَخِي، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ فَرَعْتَ جَعْبَتَانَا مِنَ الحَدِيثِ» .

فَقَالَتِ العَجُوزُ بِلَهْجَةِ الصِّدْقِ وَالصَّرَاحَةِ: «كَلَا . . . كَلَا . . . فَأَنَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَقْطَعَ مَعَكَ الفِيَاثِي وَالفِقَارَ، وَأَجُوبَ الأُمُصَارَ وَالأَقْطَارَ مِنْ دُونِ أَنْ يَطْرَأَ عَلَيَّ مَشَاعِرِي مِنْ قُرْبِكَ وَحَدِيثِكَ سَأْمٌ . . . فَأَنْتِ مِنَ النِّسَاءِ اللُّوَاتِي يَفِيضُ مِنْهُنَّ الحُبُورُ، حَتَّى يُصْبِحَ الصَّمْتُ فِي صُحْبِيَهِنَّ لَذِيذًا، وَالكَلَامُ أَلَذًّا! وَأُوصِيكَ يَا عَزِيزَتِي أَنْ تَتَجَمَّلِي بِالصَّبْرِ فَلَا يُرْمِضُكَ بُعْدُكَ عَنِ وِلْدِكَ، فَالفِرَاقُ سُنَّةٌ، وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْ أَنْ تُرَوِّضِي نَفْسَكَ وَمَشَاعِرَكَ عَلَيْهِ» .

وَرَفَعَتْ أَنَا كَارِنِيَا رَأْسَهَا وَهِيَ لَا تَزَالُ تَبْتَسِمُ .

وَتَحَوَّلَتِ الكُونْتَسُ إِلَى ابْنِهَا، وَقَالَتْ مُوَضِّحَةً: «إِنَّ أَنَا كَارِنِيَا أُمُّ، وَلَهَا طِفْلٌ فِي الثَامِنَةِ لَمْ يَسْبِقْ لَهَا أَنْ غَادَرْتَهُ وَحِيدًا فِي بَطْرَسْبِرْجِ، وَلِهَذَا تَجِدُهَا مُتَزَعِّجَةً أَشَدَّ الإِنْرِعَاجِ» .

وَقَالَتْ أَنَا كَارِنِيَا وَهِيَ تَرْمُقُ فِرُونْسْكِ بِعَيْنَيْنِ ضَاكِكَتَيْنِ وَكَأَنَّهَا تَخْضُهُ بِابْتِسَامَتَيْهَا: «أَجَلٌ، كُنْتُ أَنَا وَالكُونْتَسُ نَتَجَادَبُ الحَدِيثَ طِيلَةَ الوَقْتِ الَّذِي أَمْضَيْنَاهُ مَعًا. كُنَّا نَتَحَدَّثُ، أَنَا عَنِ ابْنِي، وَهِيَ عَنِ ابْنِهَا . . .» وَرَنَتْ إِلَيْهِ مُدَاعِبَةً .

وَفَطِنَ هُوَ إِلَى مَوْطِنِ الدَّعَابَةِ مِنْ حَدِيثِهَا وَنَظَرْتَهَا فَقَالَ: «وَأَخْشَى مَا أَخْشَاهُ أَنْ تَكُونِي قَدْ ضَجَرْتِ مِمَّا طَرَقَ سَمْعَكَ».

ويبدو أنها لم تتشأ أن تسترسل في مثل هذا الكلام، فقد التفتت إلى الكونتس وقالت: «ذريني أشكرك، فأنت مرافقة كريمة، ولا يسعني إلا الإغراب عن أسفي لانتهاه الرحلة بمثل هذه السرعة، فإلى اللقاء...».

فقال الكونتس: «رافقتك السلامة يا عزيزتي؛ دعيني أقبل محياتك الحسن... إنني هرممة لا أعرف المواربة، بل أليج البيوت من أبوابها... ولا أعالني إن جهرت برأيي في سيرك، فليسحرك سلطان عظيم، وقد ذهلت عن نفسي طيلة اجتماعي إليك، وكان شغفي بك كبيراً، وكلفي بمحاسنك ومناقبك أكبر وأشد».

واعتقدت أنا كارنينا أن المرأة تُعبر عن خلاجتها الحقة، فتصرح وجهها حياءً وجدلاً، ثم انحنت قليلاً وأذنت خدها من فم الكونتس، فقبلتها هذه برقي.

ثم انتصبت فمدت يدها إلى فرونسكي، فلثمها الفتى، وشعر بالغبطة، وداهمته فرحة. وما عثمت أن غادرت مركبة القطار بحيوية وقوة فكانت في مشيتها كأنها لا تكاد تطأ الأرض تيتها وزهوا!

وجمجت الأم بصوت مهموس: «رائعة! إنها رائعة!»

وكان هذا ما راود فكر ابنها أيضاً... وقد تتبع الحسنة بنظره، حتى رآها تقبل على شقيقها فتضع يدها في يده، وتنهك معه في حديث خطير، حديث لا يتعلق به هو، بل بشخص آخر، أو بشيء آخر. وشعر الشاب بالقلق البالغ. لِمَ لا تتحدث عنه؟ يجب أن تتحدث عنه.

واستدار إلى أمه وابتدراها قائلاً: «كل شيء على ما يرام كما أرى يا أمه».

قالت: «كل شيء، وأنا كيسة ظريفة، والجميع في خير».

وعليقت تحدته عما يعنيه من أمور دنياها، عن حفيدها الذي جعلها تمكث كل هذا الزمان في بطرسبرج، وعن الفتاة الكريمة التي تلطف بها القيصر على أكبر أبنائها.

ثم نهض الشاب فتأبط ذراع أمه وقال: «هلمي يا أمه، لقد خفت الزحمة وانفضت الجمع».

وَحَمَلَتِ الْخَادِمَةُ حَقِيْبَةً صَغِيْرَةً، وَحَمَلَ الْخَادِمُ مَعَ رَجُلٍ آخَرَ بَيْتَةَ الْأَمْتِعَةِ.
وَلَكِنَّمَا مَا ابْتَعَدَا قَلِيْلًا حَتَّى شَاهَدَا عَدَدًا مِنَ الرِّجَالِ يُهْرَوِلُوْنَ فِي ذُعْرِ وَاضْطِرَابٍ.
وَكَانَ مِنْ جُمْلَتِهِمْ نَاطِرُ الْمَحْطَةِ الَّذِي نَطَقَ وَجْهَهُ بِالْهَلَعِ الشَّدِيْدِ.
وَلَا شَكَّ أَنَّ أَمْرًا غَيْرَ عَادِيٍّ قَدْ وَقَعَ. وَبَدَأَتِ الْجُمُوعُ الَّتِي غَادَرَتِ الْقِطَارَ تَرْجِعُ
أُذْرَاجَهَا.

وَتَعَالَى اللَّعْطُ، وَسُمِعَتِ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ تَتَلَفَّفُهَا الْآذَانُ، وَتَسَاءَلُ بِهَا الْأَلْسُنُ: «مَاذَا؟...
مَاذَا؟... أَيْنَ؟... كَيْفَ؟... لَقَدْ لَاقَى حَتْفَهُ، مَاتَ!...».

وَرَجَعَ سَتِيْفَانُ أُوبِلِنْسْكِي وَشَقِيْقَتُهُ فَيَمَنْ رَجَعَ مِنَ النَّاسِ، وَقَدْ بَانَ الْخَوْفُ عَلَى
مَلَامِيْجِهِمَا.

وَلَاذَتِ السِّيْدَتَانِ بِالْمَرْكَبَةِ، بَيْنَمَا لَحِقَ فِرُونْسْكِي وَسَتِيْفَانُ بِالْجَمْعِ لِاسْتِجْلَاءِ حَقِيْقَةِ
الْأَمْرِ.

وَلَمْ يَلْبَسَا أَنْ عَلَمَا أَنَّ حَارِسًا أَعْمَاهُ السُّكْرُ، أَوْ شَدَّهَهُ الْبَرْدُ الْقَارِسُ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِاقْتِرَابِ
الْقِطَارِ قَبْلَ أَنْ يَقْجَاهُ وَيَمْرُقَ جَسَدُهُ سَرًّا مُمْرَقًا.

وَقَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ الرَّجُلَانِ اطَّلَعَتِ السِّيْدَتَانِ عَلَى تَفَاصِيْلِ الْحَادِثَةِ.

وَكَانَ الشَّابَّانِ قَدْ شَاهَدَا الْجُنَّةَ الْمُمْرَقَةَ، فَلَمَّا انْضَمَّا إِلَى السِّيْدَتَيْنِ قَالَ أُوبِلِنْسْكِي وَهُوَ
يَكَادُ يَنْشِجُ بِالْبُكَاءِ: «أَوَاهِ يَا أَنَا! يَا لَهُ مِنْ مَنْظَرٍ مُرْعِبٍ! إِنَّهُ حَادِثٌ مُرِيْعٌ!»

أَمَّا فِرُونْسْكِي فَقَدْ لَادَ بِالصَّمْتِ. وَكَانَ وَجْهُهُ الْجَمِيْلُ مُقْطَبًا بَعْضَ الشَّيْءِ، إِلَّا أَنَّ الْهُدُوءَ
لَمْ يُفَارِقْهُ لَحْظَةً.

وَتَابَعَ أُوبِلِنْسْكِي يَقُولُ: «وَيَا لَمَنْظَرِ زَوْجَتِي وَهِيَ تَنْحَطُّ عَلَى الْأَشْلَاءِ! لَقَدْ كَانَتْ تُعُولُ،
وَمَا أَرْهَبَ صَوْتَهَا وَهِيَ تَتَذُبُّ زَوْجَهَا! وَيُقَالُ إِنَّ عَائِلَتَهُ كَبِيْرَةٌ... كَبِيْرَةٌ...».

فَانْبَرَتْ أَنَا كَارِنِيْنَا تَقُولُ بِصَوْتٍ يَخْتَلِجُ تَأْتُرًا: «أَلَا يَسْتَطِيْعُ الْمَرْءُ أَنْ يُسَيِّدِي، خِدْمَةَ مَا
لِهَذِهِ الْعَائِلَةِ الْمَرْزُوءَةِ؟»

وَرَمَاهَا فِرُونْسْكِي بِنَظْرَةٍ خَاطِفَةٍ، ثُمَّ غَادَرَ الْعَرَبَةَ وَهُوَ يَقُولُ: «لَنْ أَلْبَثَ أَنْ أَقْفَلَ رَاجِعًا يَا
أُمَاهُ!»

فلَمَّا عَادَ يَمِيسُ بِقَوَامِهِ الْبَدِيعِ، كَانَ سَتِيفَانُ أُوبِلِنْسْكِي قَدْ نَسِيَ الْمَأْسَاءَ، وَطَفِيقَ يُجَادِبُ أُخْتَهُ أَنَا حَدِيثًا طَلِيًّا، وَيَصِفُ لَهَا الْمُتَعَةَ الَّتِي يُلَاقِيهَا الْمَرْءُ فِي مَلَاهِي مُوسْكَو وَمَسَارِحِهَا وَأَنْدِيَتِهَا. ثُمَّ عَكَفَ يُشِيدُ بِمَهَارَةِ مُطْرَبِيَّةِ حَدِيثِهِ مَا بَرِحَ أَهْلُ مُوسْكَو يَنْتَظِرُونَهَا مِنْذُ حِينٍ.

وَقَطَعَ الرَّجُلُ حَدِيثَهُ بَعْدَ قَلِيلٍ، وَتَحَرَّكَ الْقَوْمُ، ثُمَّ سَارُوا مُبْتَعِدِينَ. وَقَدْ مَشَى فِرُونْسْكِي مَعَ أُمِّهِ فِي الْمُقَدِّمَةِ، وَوَرَاءَهُمَا مَشَتْ أَنَا كَارِنِينَا وَشَقِيقَتُهَا.

وَمَا كَادُوا يُقْتَرِبُونَ مِنَ الْبَابِ الضَّخْمِ حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ نَازِرُ الْمَحَطَّةِ، وَخَاطَبَ فِرُونْسْكِي قَائِلًا: «لَقَدْ مَنَحْتَ مُسَاعِدِي مِثِّي رُوبِلًا، فَهَلَّا قُلْتَ لِمَصْلَحَةِ مَنْ هَذَا الْمَالُ؟»

فَهَزَّ فِرُونْسْكِي مَنْكِبَيْهِ وَأَجَابَ: «لِلْأَرْمَلَةِ... وَمَا حَاجَتُكَ إِلَى السُّؤَالِ؟ لِمَنْ أُعْطِيَتْ الْمَالُ؟ أَمَا تَعْرِفُ؟»

وَنَظَرَ حَوْلَهُ، وَاسْتَطْرَدَ: «لَمْ أَظُنَّ قَطُّ أَنَّهُمْ عَدِيمُو الْفَهْمِ وَالْإِدْرَاكِ!»

وَهَتَفَ أُوبِلِنْسْكِي مُتَعَجِّبًا: «هَلْ تَبَرَّعْتَ بِهَذَا الْمَبْلَغِ؟»

وَضَغَطَ عَلَى يَدِ شَقِيقَتِهِ وَأَضَافَ: «جَمِيلٌ مِنْكَ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا... أَنْتَ رَائِعٌ...». وَمَضَى فِرُونْسْكِي وَأُمُّهُ فِي سَبِيلِهِمَا. وَتَرَيْتَ أُوبِلِنْسْكِي وَشَقِيقَتَهُ رَيْشِمَا تَأْخُذُ بِهِمَا الْخَادِمَةَ.

وَكَانَ الْقَادِمُونَ وَالرَّائِحُونَ لَا يَزَالُونَ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْكَارِثَةِ الَّتِي دَهَمَتِ الْحَارِسَ.

وَقَدْ قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى مَسْمَعٍ مِنَ الْآخَرِينَ: «مَا أَبْشَعَهَا مِنْ مِيتَةٍ! يَقُولُونَ إِنَّ الْقِطَارَ شَطْرَهُ شَطْرَيْنِ».

فَرَدَّ عَلَيْهِ آخَرٌ: «بَلْ إِنَّهَا، عَلَى مَا أَظُنُّ، أَسْهَلُ مِيتَةٍ، فَقَدْ لَفَظَ أَنْفَاسُهُ فِي لَمَحَةٍ خَاطِفَةٍ».

وَقَالَ ثَالِثٌ مُتَسَائِلًا: «وَكَيْفَ لَا يَتَّخِذُونَ مَا يَلْزَمُ مِنَ الْاِحْتِيَاطَاتِ؟»

وَوَقَفَتْ عَرَبَةٌ، وَاسْتَفَلَّتْهَا أَنَا كَارِنِينَا. وَلَمَّا هَمَّ شَقِيقَتُهَا سَتِيفَانُ بِالصُّعُودِ إِلَى جَانِبِهَا تَعَجَّبَ مِمَّا رَأَاهُ مُنْطَبِعًا عَلَى أَسَارِيرِهَا، وَأَفْرَعَتُهُ دَمْعَةٌ تَرَفَّرَتْ فِي مَآبِعِهَا، فَسَأَلَهَا مُتَوَجِّسًا: «مَاذَا دَهَاكَ؟ مَاذَا أَلَمَّ بِكَ يَا أَنَا؟»

- «لَا شَيْءَ الْبَتَّةَ؛ إِلَّا أَنِّي تَشَاءَمْتُ مِمَّا حَدَّثْتُ!»

- «تَشَاؤُمُكَ لَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ... لَقَدْ وَصَلْتَ سَالِمَةً، وَهَذَا بَيْتُ الْقَصِيدِ^(١). وَلَنْ تَحْدُثَنِي الْحَقِيقَةَ لَوْ حَاوَلْتَ الْإِطْلَاعَ عَلَى مِقْدَارِ مَا أُعْلِقُهُ عَلَى وُجُودِكَ مِنْ آمَالِ جِسَامٍ».

قَالَتْ: «وَهَلْ تَعْرِفُ فِرُونْسَكِي مُنْذُ زَمَنِ بَعِيدٍ؟»

- «أَجَلٌ، وَنَأْمُلُ أَنْ يَبْنِي فِي الْقَرِيبِ الْعَاجِلِ عَلَى كَاتَرِينَ».

- «أَحَقًّا تَقُولُ؟ هَلُمَّ حَدِّثْنِي عَنْكَ، عَنِ أُمُورِكَ، عَنِ مَشَاكِلِكَ... هَاكَ رِسَالَتِكَ، وَقَدْ أَشْرَعْتُ بِالْمَجِيءِ عَقِبَ إِطْلَاعِي عَلَى مُحْتَوَيَاتِهَا... فَمَا الْخَطْبُ؟ مَاذَا جَرَى بَيْنَكَ وَبَيْنَ زَوْجِكَ؟»

وَطَفِقَ سَتِيفَانُ أُوْبِلِنْسَكِي يَسْرُدُ عَلَى مَسَامِعِ شَقِيقَتِهِ مَا جَرَى لَهُ مِنْ دُونِ أَنْ يُخْفِيَ شَيْئًا. وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِصِرَاحَةٍ وَطَّلَاقَةٍ وَكَأَنَّ الْحَدِيثَ لَا يَهْمُهُ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْنِيهِ!
وَوَصَلَا أَخِيرًا، فَتَرَجَّلَ مِنَ الْعَرَبَةِ وَأَعَانَ أُخْتَهُ عَلَى الْهَبُوطِ، وَمَا عَتَمَ أَنْ ضَغَطَ عَلَى يَدِهَا مُتَوَدِّدًا وَمَضَى فِي سَبِيلِهِ إِلَى مَكَانِ عَمَلِهِ.

(١) هَذَا بَيْتُ الْقَصِيدِ: هَذِهِ هِيَ الْعَايَةُ.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَعُ لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - ظهرت في هذا الفصلِ شخصيّةٌ جديدةٌ، فهل ترى أنّه سيكون لها دورٌ رئيسٌ في الرواية؟
- ٣ - ماذا بدا لك من ملامح هذه الشخصيّة الجديدة؟
- ٤ - لِمَ قدِمْتَ أنا كارنينا إلى موسكو؟
- ٥ - ما المشهد الدّامي الذي رأيتهُ أنا كارنينا في محطة القطار؟
- ٦ - ما الذي جمع بين أنا كارنينا والضابط فرونسكي في اللقاء الأول؟
- ٧ - هل حدّست أمرًا ما في اللقاء الذي جمع الاثنين في محطة القطار؟ ما هو؟ وإلام استند حدّسك؟
- ٨ - أوجز مضمون الفصل في أسطر قليلة؟

الفصل العاشر

عندما دَخَلْتُ أَنَا، كَانَتْ دَارِيَا الزَّوْجَةُ المَهِيضَةُ الجَنَاحِ المَكْسُورَةُ الخَاطِرِ، تَجَلِّسُ فِي غُرْفَةِ الاسْتِقبَالِ الصَّغِيرَةِ قَرِيبًا مِنْ طِفْلِهَا الَّذِي كَانَ صُورَةً صَادِقَةً لِأَبِيهِ. وَكَانَتْ تُلَقِّنُهُ دَرَسًا فِي الفَرَنْسِيَّةِ وَتُحَاوِلُ جَاهِدَةً أَنْ تُصْرِفَهُ عَنِ العَبَثِ بِزُرٍّ وَاوٍ فِي سِتْرَتِيهِ.

وَلَمَّا عَيَّلَ صَبْرُهَا قَطَعَتِ الزَّرَّ وَوَضَعَتْهُ فِي جَيْبِهَا وَهِيَ تَقُولُ لِلغُلَامِ مُحْتَدِمَةً: «إِنْتَبِهْ... إِنْتَبِهْ... لَا تَعْبَثْ بِيَدِكَ».

وَكَانَتْ الأَحْزَانُ قَدْ سَحَقَتْهَا، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يُعْرُبْ عَنِ بَالِهَا أَنَّ أَنَا كَارِنِيَا قَادِمَةٌ، وَأَنَّهَا زَوْجَةُ رَجُلٍ مَرْمُوقٍ تَحْتَرِمُهُ بِطَرْسِجٍ بِأَسْرِهِا... ثُمَّ، مَا ذَنْبُ أَنَا حَتَّى تَهْجُرَ الدَّارَ فِي الوَقْتِ الَّذِي تُلِّمُ هِيَ بِهَا زَائِرَةً؟ مَا جَرِيرَتُهَا وَقَدْ اقْتَرَفَ أَحْوَهَا، أَي زَوْجَ دَارِيَا، تِلْكَ الحِمَاقَةَ الكُبْرَى؟

وَأَنْشَأَتْ تُحَدِّثُ نَفْسَهَا وَتَقُولُ: «إِنَّهَا خَيْرُ امْرَأَةٍ، وَلَا أَعْرِفُ عَنْهَا إِلَّا كُلَّ حَسَنِ مِنْ الأَخْبَارِ، وَلَمْ أَلْقُ مِنْهَا سِوَى اللُّطْفِ وَالرَّقَّةِ وَالعَطْفِ السَّابِغِ».

لَا شَكَّ أَنَّهَا لَنْ تَرْتَاحَ فِي أَثْنَاءِ إِقَامَتِهَا مَعَ أَنَا كَارِنِيَا فِي مَوْسَكُو إِلَى الوَتِيرَةِ الَّتِي كَانَتْ حَيَاةَ الزَّوْجَيْنِ تَسِيرُ عَلَيْهَا، فَالْتَكَلُّفُ كَانَ الظَّاهِرَةَ البَارِزَةَ الَّتِي سَادَتْ ذَلِكَ البَيْتَ، بَيِّدَ أَنَّ هَذَا لَا يَعْنيهَا فِي كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلٍ، وَلَا يُسَوِّغُ فِرَارَهَا مِنْ وَجْهَهَا... وَطَفَقَتْ تُنَاجِي نَفْسَهَا: «سَأَسْتَقْبِلُهَا أَحْسَنَ اسْتِقبَالٍ، وَأَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا تَسْعَى إِلَى تَسْرِيبِ هَمِّي. فَكُلُّ عِبَارَاتِ العَزَاءِ وَكُلُّ كَلِمَاتِ الإِقْنَاعِ، مِمَّا يَدْخُلُ فِي مَعَانِي الصَّفْحِ، وَالعُفْرَانِ، وَالهَدْيِ المَسِيحِيِّ، نَنْ تَشْفَعَ لَهُ. لَقَدْ فَكَّرْتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَنْ يُجِدِي هَذَا، لَنْ يُجِدِي!»

وَسَمِعَتْ خَفَقَ نِعَالٍ لَدَى البَابِ، فَالْتَفَتَتْ مُسْتَطْلِعَةً، وَعَبَّرَتْ تَقَاطِيعُهَا الذَّابِلَةَ عَنِ حُجُورِ مُبَاغِتٍ... وَعَجَلَتْ بِالنَّهْوِضِ مِنْ مَكَانِهَا وَهَرَعَتْ إِلَى شَقِيْقَةِ زَوْجِهَا فَاحْتَضَتْهَا وَعَانَقَتْهَا.

وَتَبَادَلَتِ الْمَرْأَتَانِ كَلِمَاتِ الشُّوقِ، وَعَبَّرَتْ كُلُّ مِنْهُمَا عَنْ سُورِهَا بَلْقِيَا الْأُخْرَى بِدَمْعَةٍ تَدَخَّرَجَتْ عَلَى خَدِّ كُلِّ مِنْهُمَا.

وَاسْتَدَعَتِ الْأُمُّ أَطْفَالَهَا، فَقَبَّلَتْهُمْ أَنَا ثُمَّ صَرَفَتْهُمْ. وَلَمَّا انْفَرَدَتِ الْمَرْأَتَانِ كُلُّ مِنْهُمَا بِالْأُخْرَى قَالَتْ أَنَا: «دَارِيَا، لَقَدْ أَطْلَعَنِي أَخِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ».

فَنظَرْتُ إِلَيْهَا دَارِيَا بِيُرُودٍ وَتَرْقُبٍ، وَانْتَهَرْتُ أَنْ تَنْهَالَ عَلَيَّهَا أَنَا بِعِبَارَاتِ التَّعْزِيَةِ، إِلَّا أَنَّ الزَّائِرَةَ اكْتَفَتْ بِأَنْ قَالَتْ: «عَزِيزَتِي دَارِيَا، لَا أَرْغَبُ فِي تَخْفِيفِ الْخَطْبِ بِإِثَارَةِ شَفَقَتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَوْلَادِكَ، فَهَذَا مُسْتَحِيلٌ. وَالَّذِي أَرْغَبُ فِي بَيْتِهِ لَكَ، هُوَ أَنِّي فِي غَايَةِ الْأَسَى، وَأَنَّ حُزْنِي عَمِيقٌ يَمَسُّ حَبَّةَ الشَّغَافِ».

وَلَمَعَتِ الدَّمُوعُ مِنْ وَرَاءِ أَهْدَابِهَا السُّودِ الْكَثِيفَةِ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْ زَوْجِ شَقِيقِهَا وَتَنَاوَلَتْ يَدَهَا...

وَلَمْ تَنْكَمِشْ دَارِيَا أَوْ تَتَرَدَّدْ، إِلَّا أَنَّ وَجْهَهَا لَمْ يَقْضِدْ تِلْكَ النَّظْرَةَ الْجَامِدَةَ الْقَاسِيَةَ. وَمَا لَيْتُ أَنْ قَالَتْ: «إِنَّ مُوَاسَاتِي عَلَى مَا جَرَى أَمْرٌ عَسِيرٌ دُونَهُ خَرَطُ الْقِتَادِ، فَقَدْ ضَاعَ كُلُّ شَيْءٍ، وَخَبَا الْأَمَلُ، وَعَبَّتِ^(١) السَّعَادَةُ!»

وَرَفَّتْ تَقَاطِيعُهَا بَعْتَةً، وَرَفَعَتْ أَنَا يَدَ الْمَرْأَةِ الْوَالِيَةِ إِلَى فَمِهَا فَلَتَمَّتْهَا وَهِيَ تُتَمِّمُ: «فَمَا الْعَمَلُ إِذَا، مَا الْعَمَلُ؟ وَكَيْفَ يَصَّرُفُ الْإِنْسَانُ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَصِيبِ؟ فَكَّرِي يَا عَزِيزَتِي، وَاشْحَذِي بَصِيرَتِكَ».

قَالَتْ: «لَقَدْ انْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَرَبُّهُ الصَّدْعُ. وَثَالِثَةُ الْأَثَافِي هِيَ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْصِيَهُ بِسَبَبِ الْأَطْفَالِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَيْسَ فِي وَسْعِي الْعَيْشُ مَعَهُ تَحْتَ سَقْفٍ وَاحِدٍ، فَهَذَا صَرْبٌ مِنَ الْمُحَالِ، وَلَنْ يُسَبِّبَ لِي سِوَى الْأَلَمِ وَالْعَذَابِ مِمَّا يَهُونُ إِزَاءَهُ كُلُّ مُصَابٍ».

- «وَلِكَيْتَهُ، كَمَا أَقْبَنْتُ مِمَّا رَأَيْتُ، فِي مَقَامِ مُجَادَبَةٍ بَيْنَ الْأَسَى وَالنَّدَمِ».

- «وَهَلْ هُوَ مِنْ أَوْلَادِكَ الَّذِينَ يَسْتَشْعِرُونَ الشَّجْنَ؟ هَلْ يَنْدَمُ؟ هَلْ يُبَكِّئُهُ الضَّمِيرُ؟»

- «أَجَلْ، إِنِّي أَعْرِفُهُ. كِلْتَانَا تَعْرِفُهُ. إِنَّهُ طَيِّبُ الْقَلْبِ وَإِنْ كَانَ مُتَشَامِحًا... إِلَّا أَنَّ

(١) عَبَّتِ السَّعَادَةُ: صَارَتْ إِلَى نَهَايَتِهَا.

تَشَامُخُهُ انْقَلَبَ الْآنَ إِلَى مَذَلَّةٍ... وهذا ما أثر في كثيرًا... (وهنا حَدَسْتُ أَنَا ماذا يؤثر كثيرا في داريا). إِنَّهُ يَتَعَدَّبُ لِأَمْرَيْنِ- لِلأَوْلَادِ، ولأَنَّهُ، وَهُوَ الْمُحِبُّ- أَجَلٌ، الْمُحِبُّ الَّذِي يَفْتَدِيكَ بِرُوحِهِ، قَدِ أَلَمَكَ وَطَعَنَكَ فِي الصَّمِيمِ، فِي مُهَجَّتِكَ! وَلَا يَفْتَأُ الْمُسْكِينُ يَرُدُّدُ: «كَلَّا، كَلَّا... إِنَّهَا لَنْ تَصْفَحَ، لَنْ تَصْفَحَ...».

وَأَلَقْتُ دَارِيَا نَظْرَةً حَالِمَةً عَلَى شَقِيقَةِ زَوْجِهَا، وَمَا أَبْطَأْتُ أَنْ قَالَتْ: «إِنَّ مَوْقِفَهُ فَطِيعٌ، وَهُوَ وَلَا غَرَوَ يَتَأَلَّمُ أَكْثَرَ مِنِّي لِأَنَّهُ مُذْنِبٌ. وَلَكِنْ، كَيْفَ يَسْتَنِي لِي الْعَفْوُ؟ كَيْفَ أُصْبِحُ زَوْجَتَهُ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَهَا، بَعْدَ تِلْكَ الْمَرْأَةِ الْمَقْبُوحَةِ!؟»

وَخَفَّتْهَا الْعِبْرَاتُ فَكَفَّتْ عَنِ الْكَلَامِ، وَاحْتَوَتْهَا أَنَا بِذِرَاعَيْهَا وَهَدَّهَتْ صَدْرَهَا وَقَالَتْ: «كُنْتُ لَهُ دَائِمًا شَيْئًا مُقَدَّسًا، وَلَا زِلْتُ ذَلِكَ الشَّيْءَ الْمُقَدَّسَ، أَمَا قَرَيْفَتُهُ^(١) الْأَخِيرَةُ فَلَمْ تَكُنْ خِيَانَةً ارْتَكَبَهَا الْقَلْبُ...».

- «وَلَوْ أَعَادَ الْكَرَّةَ؟»

- «لَنْ يَعُودَ إِلَيَّ مَا ارْتَكَبْتَ ثَانِيَةً، لَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَهُ، يُقِي بِمَا أَقُولُ».

- «وَلَكِنْ، لَوْ تَعَرَّضْتَ أَنْتِ لِمِثْلِ مَا تَعَرَّضْتُ أَنَا لَهُ، فَهَلِ كُنْتِ تَصْفَحِينَ؟»

- «لَا أَذْرِي... بَلْ أَذْرِي، فَأَنَا أَعْفُو».

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهَا قَالَتْ ذَلِكَ بِحَافِزٍ مِنْ شُعُورِ بَاطِنِي غَامِضٍ، شُعُورِ غَامِضٍ بَدَأَ الْقَدْرُ يَتَمَخَّضُ عَنْهُ مُذْ وَطِئَتْ قَدَمَاهَا أَرْضَ مُوسَكُو.

وَاسْتَنْتَلَتْ: «أَجَلٌ، أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْفُو، أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْفُو، وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أُرَاوِلَ حَيَاتِي كَأَنَّ شَيْئًا لَمْ يَحْدُثْ قَطُّ».

وَقَالَتْ دَارِيَا: «أَجَلٌ، أَجَلٌ. إِذَا صَفَحَ الْإِنْسَانُ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْسِيَ الْإِسَاءَةَ بِرُمَّيْهَا. هَلُمِّي الْآنَ إِلَى غُرْفَتِكَ». وَقَبَّلَتْهَا وَمَضَتْ تَقُولُ: «لَشَدَّ مَا أَنَا مُغْتَبِطَةٌ بِمَجِيئِكَ يَا عَزِيزَتِي أَنَا، فَقَدُومُكَ سَهَّلَ الْأُمُورَ، وَهُوَ وَقَعَ الْكَارِثَةُ عَلَى قَلْبِي وَإِحْسَاسِي، فَشُكْرًا لَكَ!»

(١) قَرَيْفَتُهُ: الدُّنْبُ الَّذِي اقْتَرَفَهُ.

اسْتَطَلَعْتُ أَنَا كَارِنِيَا طَلَعَ زَوْجِي أَخِيهَا، وَخَبِرْتُ حَقِيقَتَهَا، وَكَانَتْ أَنَا امْرَأَةً مَاهِرَةً حَنَّكَهَا
الدَّهْرُ قَبْلَ الْأَوَانِ، وَعَلَّمَهَا مِنَ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ مَا لَمْ يُعَلِّمُهُ سِوَاهَا مِنَ النِّسَاءِ. فَلَمَّا تَنَاهَى
إِلَيْهَا أَنْ أَحَاهَا أَطَاعَ الْهَوَى وَأَفْرَطَ فِي الْخِيَانَةِ، بَادَرْتُ إِلَى إِعَادَةِ الْمِيَاهِ إِلَى مَجَارِيهَا بَيْنَ
الرَّوْجِ وَزَوْجِيهِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَقَدْ انْفُتَأً^(١) كَرُبُّ زَوْجِ أَخِيهَا، وَانْسَرَى هُمُّهَا، فَسَرَتِ الْإِبْتِسَامَةَ الْوَادِعَةَ مَسْرَاهَا الْعَادِيَّ
فِي أَسَارِيهِ وَجْهِهَا. وَاطْمَأَنَّتُ أَنَا لَمَّا فَعَلْتُهُ، وَاهْتَزَّ قَلْبُهَا طَرَبًا لَمَّا أَدَّتُهُ لِأَخِيهَا، وَقَضَّتْ
النَّهَارَ بِطَوْلِهِ مَعَ دَارِيَا وَالْأَوْلَادِ، وَلَمْ تَشَأْ أَنْ تُقَابِلَ أَيَّ زَائِرٍ مُشْتَقٍ جَاءَ لِمُقَابَلَتِهَا وَالتَّرْحِيبِ
بِقُدُومِهَا.

وَمَا وَافَى الْمَسَاءَ حَتَّى كَتَبْتُ لِأَخِيهَا رُفْعَةً صَغِيرَةً، تَطْلُبُ إِلَيْهِ فِيهَا أَلَّا يَتَأَخَّرَ فِي
الْمَجِيءِ، وَتَقُولُ: «لَقَدْ نَجَحَ الْمَسْعَى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ... عُنْجٌ عَلَيْنَا حَتَّى تَتَنَاوَلَ طَعَامَ الْعِشَاءِ
مَعًا».

وَهَذَا مَا جَرَى فَقَدْ جَاءَ أُوْبِلِنْسْكِي خَفِيفًا مُبْتَهَجًا، وَهُوَ لَا يُصَدِّقُ مَا قَرَأَهُ فِي رُفْعَةٍ
شَقِيقَتِهِ. وَلِكَيْتَهُ أَيقِنَ مِنْ صِحَّتِهَا سَاعَةً رَأَى الْهُدُوءَ مُخِيَّمًا عَلَى الْمَنْزِلِ، وَالسَّلَامَ يُرْفِرُ
بِأَجْنَحَتِهِ عَلَى مَنْ فِيهِ جَمِيعًا.

وَأَكَلَ الثَّلَاثَةَ طَعَامَهُمْ مَعًا، وَتَجَادَبُوا أَلْوَانًا مُسْتَمْلِحَةً مِنَ الْحَدِيثِ، وَتَبَادَلَا أُوْبِلِنْسْكِي
وَزَوْجُهُ الْإِبْتِسَامَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مُنْذُ أَيَّامٍ، وَإِنْ كَانَ ابْتِسَامُهُمَا لَا يَبِينُ عَنْ رَاحَةِ الْفِكْرِ وَهُدُوءِ
الْبَالِ؛ لَكِنَّ فِكْرَةَ الْإِنْفِصَالِ اسْتَبْعِدَتْ تَمَامًا. وَهَكَذَا نَجَحَتْ أَنَا كَارِنِيَا فِي مَسْعَاهَا، وَأَبْقَتْ
عَلَى الْبَيْتِ الَّذِي كَانَ يَتَدَاعَى لِلشُّقُوطِ وَالْإِنهِيَارِ.

وَجَاءَتْ كَاتِرِينُ بَعْدَ الْعِشَاءِ مُبَاشِرَةً بِدَاعِي شَوْقِهَا لِشَقِيقَتِهَا، وَلَكِنَّهَا مَا جَاءَتْ فِي الْحَقِيقَةِ
إِلَّا لِرُؤْيِي أَنَا كَارِنِيَا لَمَّا سَمِعْتُهُ عَنْ جَمَالِهَا وَفِتْنَتِهَا، وَلِمَا قِيلَ عَنْ ذَكَائِهَا وَبَاقِيَتِهَا.

وَلَمْ يَغِبْ عَنِ كَاتِرِينِ التَّأثيرُ الْحَسَنُ الَّذِي خَلَفْتُهُ زِيَارَتُهَا فِي قَلْبِ الضَّيْفَةِ الْحَسَنَاءِ، فَقَدْ
قَرَأْتُ فِي عَيْنَيْهَا عِبَارَاتِ الْإِعْجَابِ وَالْإِطْرَاءِ، كَمَا أَنَّهَا -أَيَّ كَاتِرِينِ- لَمْ تُنْكِرْ أَنَّ أَنَا كَارِنِيَا
أَيُّ بَيْنَهُ مِنْ إِبْدَاعِ اللَّهِ فِي تَكْوِينِهِ، وَأَنَّهَا تَفُوقُ بِحُسْنِهَا مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَقْوَالِ النَّاسِ.

(١) انْفُتَأً الْكَرْبُ: سَكَرَ وَانطَفَأَ.

وكانت أنا كارنينا قد ألانَت القَوْلَ لِكاترينَ، فَبَدَثَ لها نَسِيجَ وَحِدهَا في دَمائِها الَّتِي تَنافِضُ رِياءَ النِّساءِ، وفي رَوْتِ أَسلوِها، ثُمَّ في رَوائِها الَّذِي أَظْهَرها بِمَظْهَرِ ابْنَةِ العِشرينَ، لا بِمَظْهَرِ امْرَأَةٍ لها وَلَدٌ في الثَّامِنَةِ!

وأَيَقِنَتُ كاترينُ مِمَّا رَأَتْهُ وَلَحَظَتْهُ أَنَّ المَرَأَةَ السَّاجِرَةَ هُذِهِ صَريحةٌ صَراحةٌ مُتَناهيةٌ لا تُخْفِي شَيْئاً، ولا تُبْطِنُ أَمراً وَتُبِينُ سِواهُ. غَيْرَ أَنَّها تَعِيشُ في دُنْيا خَاصَّةٍ بِها، دُنْيا لا تُشْرِكُ فيها أَحَدًا، ولا تَسْتَقْبِلُ في رِحابِها إِنساناً آخَرَ. واعْتَرَفَتْ كاترينُ بِعَجْزِها عَن سَبْرِ غُورِ هُذِهِ النِّفسِ الصَّريحةِ كُلِّ الصَّراحةِ، الغامِضَةِ كُلِّ الغَموضِ.

ولم تَرَ كاترينُ مِنَ الفِطْنةِ أَنَّ تُمَعِنَ في التَّأمُلِ والتَّفكُّرِ، حَتى لا تَنشُرَ ما تُضْمِرُهُ، وتُبْدي ما تَحْرِصُ على كِثْمانِهِ، خَشِيةً أَنْ تُكَوِّنَ أَنَا عنها فِكْرَةً سَيِّئَةً!

وذهَبَتْ داريا إِلى حُجْرَتِها بَعْدَ العِشاءِ، فَنهَضَتْ أَنَا إِلى أَخيها الَّذِي كانَ يُشْعِلُ سِجَارَهُ، وَقالتُ وَهي تُشيرُ مِنْ طَرَفِ خَفِيِّ إِلى مَخَدَعِ زَوْجِهِ: «إِذهَبِ، أَسرِعِ... وليَكُنِ اللهُ مَعَكَ».

فَقَبِلَ ما قالتُهُ، وألْقى بِسِجَارِهِ، ثُمَّ دَلَفَ مِنَ البابِ في طَريقِهِ إِلى مَخَدَعِ زَوْجِهِ.

وعادَتْ أَنَا إِلى الأريكةِ الَّتِي كانتَ تَجْلِسُ عليها، فأحاطَ بِها الأَطفالُ، وكانوا قد تَعَلَّقُوا بِها وأَحَبُّوها. ولا غَرابَةَ في ذَلِكَ، فَحُبُّ الطِّفْلِ مِنْ حُبِّ أُمِّهِ، وفَوْقَ ذَلِكَ، كانتَ أَنَا قَريبةً إِلى قُلُوبِ الصِّغارِ لما تُضْفِيهِ عَلَينِهِمْ مِنْ لُطْفِها ورِفقَتِها وَأُنسِها، ولما تُقابِلُهُمْ بِهِ مِنْ صَبْرِ وطولِ أَناءٍ. وخاطَبَتُ كاترينَ بَعْدَ قَليلٍ: «ومتى تُقيمونَ حَفْلَتِكُمُ الثَّانيةَ يا عَزيزتي؟»

- «في الأَسبوعِ المُقبِلِ، وَسَتَكُونُ حَفْلَةٌ رَائعةٌ مِنْ بِلْكَ الحَفَلاتِ الرَاقِصَةِ الَّتِي يَجِدُ فيها المَرءُ مُتَعَةً».

فأجابَتْها أَنَا بِشَيءٍ كَثيرٍ مِنَ التَّهَكُّمِ: «وهَلْ هُنَاكَ حَفَلاتٌ لا يَجِدُ المَرءُ فيها دائِماً ما يَربُغُ فيه مِنْ مُتَعَةٍ؟»

- «أَجَلٌ، وهذا أَمْرٌ عَجيبٌ، فَثمَّةُ حَفَلاتٍ يَنْشَرِحُ لها صَدْرُكَ في كُلِّ حينٍ، وَثمَّةُ حَفَلاتٍ أُخرى في بُيوتِ مُعيَّنَةٍ تُشْعِرُنَ فيها بالِضَّجَرِ والسَّامِ... أَفَلَمْ تَلاحِظي هُذِهِ ظاهِرةً؟»

- «لا يا عَزيزتي، فبالنِّسبةِ إِلَيَّ الآنَ لَيسَ ثَمَّةُ حَفْلَةٍ يَسْتَطِيعُ الإِنسانُ أَنْ يَلْقَى فيها ما

يُنْسِيهِ كَابَةَ الْحَيَاةِ!»

وَرَأَتْ كَاتِرِينَ فِي عَيْنَيْهَا تِلْكَ الدُّنْيَا الْغَامِضَةَ الْمُغْلَقَةَ فِي وَجْهِهَا .
وَاسْتَسَلَّتْ أَنَا: «بِالنِّسْبَةِ إِلَيَّ هُنَاكَ حَفْلَةٌ مُضْجِرَةٌ وَأُخْرَى أَقْلُ ضَجْرًا!»

- «وَمَاذَا يَجْعَلُكَ تَشْعُرِينَ بِالسَّامِ؟»

- «وَلِمَ لَا أَشْعُرُ بِهِ؟»

وَأَذْرَكْتُ أَنَا بَعْرِيذَتَهَا مَا سَتَقُولُهُ كَاتِرِينَ . وَقَدْ أَصَابَتْ فِي تَكْهُنِهَا، إِذْ إِنَّ كَاتِرِينَ رَاحَتْ
تَقُولُ: «لَأَنْتِ دَائِمًا تَتَجَلَّيْنَ فِي ثُوبٍ بَاهٍ مِنَ الْحُسْنِ لَا تُضَاهِيكِ فِي جَمَالِهِ غَادَةٌ أُخْرَى!»

وَكَانَتْ أَنَا مَاهِرَةً فِي التَّمْثِيلِ، قَادِرَةً عَلَى صَنْعِ مُحَيَّاهَا مَتَى شَاءَتْ بِخِضَابِ الْخَجَلِ . . .
وَقَدْ تَضَرَّجَ وَجْهَهَا سَاعَةً طَرَقَتْ سَمْعَهَا كَلِمَاتُ كَاتِرِينَ، وَأَجَابَتْ وَهِيَ تُغْضِي قَلْبًا:
«كَلَامُكَ فِيهِ غُلُوٌّ تُمْلِيهِ الْمُجَامِلَةُ يَا عَزِيزَتِي، وَلَوْ افْتَرَضْنَا أَنَّ فِي مَا تَقُولِيهِ الصِّدْقَ
وَالصُّوَابَ، فَمَا تَأْتِيرُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ؟»

- «وَهَلْ تَأْتِينَ إِلَى الْحَفْلَةِ؟»

- «يُيَدُو لِي أَنْ لَا مَنَدُوحَةٌ لِي عَنِ الْمَجِيءِ» .

- «يَطِيبُ لِي مَجِيئُكَ، وَأَصْدُقُكَ أَنِّي أَتَشَوَّفُ الْأَبْصَارَ إِلَى مُشَاهَدَتِكَ تَرْفُلِينَ فِي ثُوبٍ
سَهْرَةٍ بِنَفْسِجِي» .

- «وَلِمَ ذَلِكَ؟ لِمَ تَطْلُبِينَ الثُّوبَ الْبِنَفْسِجِي؟ إِنِّي أَذْرِي لِمَاذَا تُلْحِحِينَ عَلَيَّ فِي الْمَجِيءِ،
فَأَنْتِ تَتَوَقَّعِينَ الْكَثِيرَ، وَتَوَدِّدِينَ مِنْ صَمِيمِ قَلْبِكَ أَنْ يَأْتِيَ الْجَمِيعُ لِمُشَارَكَتِكَ فِي إِنْجَاحِ
الْحَفْلَةِ» .

- «وَكَيْفَ حَدَسْتِ ذَلِكَ؟ أَنْتِ عَلَى حَقٍّ!»

- «لَشَدَّ مَا أَعْطَيْتُكَ عَلَى هَذِهِ الْفَتْرَةِ الْهَيْئَةِ مِنْ حَيَاتِكَ يَا عَزِيزَتِي، وَإِنِّي لِأَذْكُرُ ذَلِكَ
الْوَهِيحَ^(١) الْأَزْرَقَ الشَّبِيهَ بِالضَّبَابِ الَّذِي يُرْفَرُفُ عَلَى جَوْ سويسرا، ذَلِكَ الضَّبَابِ الَّذِي يَشْمَلُ
كُلَّ شَيْءٍ فِي ذَلِكَ الطُّورِ السَّعِيدِ، عِنْدَمَا تَكُونُ الطُّفُولَةَ فِي مَرَحَلَتِهَا الْأَخِيرَةِ، وَمِنْ خِلَالِ

(١) الوهيج: التوقد.

تِلْكَ الْحَلَقَةُ الْمَرِحَةُ الْمُنْشَرِحَةُ، يَبْرُزُ دَرْبٌ يَضِيقُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَمَا أَلَدَّ السَّاعَةَ الَّتِي تَدْخُلِينَ فِيهَا قَاعَةَ الْحَفْلَةِ الْمُتَأَلِّقَةَ بِالْأَنْوَارِ، الْمُزْدَانَةَ بِالْغَيْدِ! فَمَنْ؟ مَنْ لَمْ يَمُرَّ فِي هَذَا الدَّرْبِ؟ مَنْ؟»
وَابْتَسَمَتْ كَاترِينُ، وَحَدَدَتْ فِي أَنَا طَرْفًا مُتَأَمِّلًا، وَجَعَلَتْ تَسْتَعِيدُ حَوَادِثَ الْمَاضِي الْقَرِيبِ وَتَفَكِّرُ وَتَتَأَمَّلُ: «فَكَيْفَ؟ كَيْفَ بَلَتْ أَنَا مَا وَصَفْتَ؟ مَا أَشَدَّ شَوْقِي إِلَى الْإِطْلَاعِ عَلَى قِصَّةِ حَيَاتِهَا، عَلَى غَرَامِهَا!»

وَرَأَتْ أَمَامَهَا «أَلِيكسيس كارنين» زَوْجَ أَنَا، بِوَجْهِهِ الْمُتَجَهِّمِ الدَّمِيمِ، وَذَهَلَتْ قَلِيلًا عَنِ نَفْسِهَا وَالْوَجْهَ الْمُقَطَّبُ مَائِلٌ لِنَاطِرَيْهَا... فَهَلْ رَسَا مَرَكَبُ أَحْلَامِهَا عَلَى هَذَا الشَّاطِئِ؟ هَلْ انْتَهَتْ حَيَاتُهَا الرُّوحِيَّةُ بِاضْطِدَامِهَا بِهَذَا الْإِنْسَانِ الْمَادِّيِّ؟

وَمَا عَتَمَتْ أَنَا أَنْ قَالَتْ وَهِيَ تُومِضُ بَعْيَيْنِهَا: «لَقَدْ أَنهَى إِلَيَّ سَتِيفَانُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ فِرُونسكي، وَلَا يَسْعُنِي إِلَّا تَهْنِئَتُكَ، فَإِنِّي قَابَلْتُ الشَّابَّ فِي الْمَحَطَّةِ».

فَتَضَرَّجَ مُحْيَا كَاترِينِ وَقَالَتْ مُتَسَائِلَةً: «وَمَاذَا أَخْبَرَكَ سَتِيفَانُ، مَاذَا قَالَ؟»

- «كُلُّ شَيْءٍ، وَمِنْ دَوَاعِي سُرُورِي يَا عَزِيزَتِي أَنْ تَمْتَرَجِي وَتَتَدَمَجِي بِهَذَا الْفَتَى... لَقَدْ قَضَيْتُ سَاعَاتٍ طَوِيلَةً مَعَ أُمِّهِ، وَهِيَ امْرَأَةٌ لَا يَرُوقُ لَهَا إِلَّا التَّحَدُّثُ عَنِ ابْنِهَا. إِنَّهَا تُحِبُّهُ وَلَا تُطِيقُ فِرَاقَهُ».

- «وَهَلْ قَالَتْ لَكَ شَيْئًا؟»

- «أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّهَا مَدِيحٌ وَإِطْرَاءٌ. وَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، قَالَتْ إِنَّهُ عَرَضَ عَلَى أَخِيهِ ثُرُوتَهُ كُلِّهَا، وَأَنْقَذَ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَقِ وَهُوَ حَدَثٌ. وَائْتَمَّ أَنَا مِنْ أَنَّهُ بَطْلٌ!»

وَمَا قَالَتْ أَنَا هَذِهِ الْكَلِمَاتِ إِلَّا عِنْدَمَا تَذَكَّرْتُ تَبَرُّعَهُ بِمِئَتِي رُوبِلٍ، حِينَ سَقَطَ الْحَارِسُ صَرِيحًا تَحْتَ عَجَلَاتِ الْقِطَارِ. غَيْرَ أَنَّهُمَا لَمْ تَأْتِ عَلَيَّ ذِكْرَ التَّبَرُّعِ؛ وَلَسَبَبٍ مَا كَانَتْ تَشْعُرُ بِالانْتِعَالِ كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِي هَذِهِ اللَّفْتَةِ الَّتِي بَدَرْتُ مِنْهُ، وَتَرَأَى لَهَا أَنَّ لَهَا عِلَاقَةً، أَوْ بِالْأُخْرَى سَيَكُونُ لَهَا عِلَاقَةٌ بِالْمَوْضُوعِ كُلِّهِ. وَلَكِنَّهَا شَعَرَتْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ يَجِبُ أَلَّا يَكُونَ.

وَالْتَفَتَتْ إِلَى كَاترِينِ فَجَاءَتْ وَقَالَتْ: «أَحْمَدُ اللهُ؛ إِنَّ سَتِيفَانُ أَطَالَ الْمَكْثَ فِي مَخْدَعِ دَارِيَا».

وَنَهَضَتْ مِنْ مَكَانِهَا وَجَعَلَتْ تُدَاعِبُ الْأَطْفَالَ وَتُلَاعِبُهُمْ وَصَاحَ أَحَدُهُمْ: «أُرِيدُ أَنْ أَقْبَلَكَ

قَبْلَ الْآخَرِينَ...». وَهَتَفَ آخَرُ: «بَلْ أَنَا الْأَوَّلُ!»

وصاحت هي والبشر يرسم على مَحَيَّاهَا الوَسِيمِ لَوْنًا رَائِعًا: «قَبْلُونِي كُلُّكُمْ، كُلُّكُمْ، في
أَيِّ وَاحِدٍ!»

وَأَنْدَفَعَتْ نَحْوَهُمْ فَعَانَقَتْهُمْ، وَحَمَلَتْهُمْ وَجَعَلَتْ تَدُورُ بِهِمْ فِي مَرِحٍ وَحُبُورٍ وَسَطَ الْغُرْفَةِ،
وَفَدَعَتْ ضَوْضًا وَهُمْ، وَارْتَفَعَتْ أَضْوَاتُهُمْ، وَمَلَأَ الْمَكَانَ صَخْبَهُمْ.

خَرَجَتْ دَارِيَا مِنْ غُرْفَتِهَا لِتَتَنَاوَلَ الشَّايَ مَعَ الْكِبَارِ. وَلَمْ يَصْحَبْهَا سَتِيفَانُ، وَلَعَلَّهُ غَادَرَ
مَخْدَعَ زَوْجِهِ مِنَ الْبَابِ الْآخِرِ!

وَمَا كَادَتْ تَجْلِسُ مَعَ أَنَا وَكَاتَرِينَ حَتَّى قَالَتْ مُوجِّهَةً حَدِيثَهَا إِلَى الْأُولَى: «أَخَافُ أَنْ
يُؤْذِيكَ الْبَرْدُ فِي الْغُرْفَةِ الْعُلْيَا، وَلِهَذَا أَرَى أَنْ تَتَّقَلِي إِلَى الطَّبَقَةِ الْأَرْضِيَّةِ».

فَأَجَابَتْهَا أَنَا وَهِيَ تَحْدِجُهَا بِنَظْرَةٍ مُتَفَرِّسَةٍ مُتَفَحِّصَةٍ: «أَرْجُو أَلَّا تَقْلَقِي مِنْ أَجْلِي».

- «بَلْ يَجِبُ أَنْ تَسْتَبْدِلِي غُرْفَتِكَ».

- «يَقِي أَنِّي أَجِدُ الرَّاحَةَ وَالْمُنْتَعَةَ فِي أَيِّ مَكَانٍ أَنَا فِيهِ، يَا عَزِيزَتِي».

وَوَصَلَ سَتِيفَانُ فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ، فَقَالَ مُتَسَائِلًا: «مَاذَا جَرَى؟ وَعَمَّا تَتَكَلَّمَانِ؟»

وَأَدْرَكَتْ أَنَا مِنْ لَهْجَتِهِ أَنَّ الْمِيَاءَ عَادَتْ إِلَى مَجَارِيهَا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ.

وَقَالَتْ زَوْجُهُ رَدًّا عَلَى سُؤَالِهِ: «أُرِيدُ أَنْ أَنْقُلَ أَمْتِعَةَ أَنَا إِلَى الطَّبَقَةِ الْأَرْضِيَّةِ، لَكِنْ لَيْسَ
ثَمَّةَ مَنْ يُرْتَّبُ أُمُورَ النَّوَافِدِ غَيْرِي!»

وَهَجَسَتْ أَنَا فِي مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَفْسِهَا، وَجَعَلَتْ تَقُولُ: «اللَّهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُ إِنْ كَانَ الْقَلْبَانِ
قَدْ خَلَصَا مِنَ الضَّغَائِنِ؛ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنْ كَانَا قَدْ تَصَالَحَا وَتَصَافَيَا!»

وَقَالَ سَتِيفَانُ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى زَوْجِهِ، ثُمَّ يُنْقَلُ طَرَفُهُ بَيْنَ السَّيِّدَتَيْنِ الْآخَرَتَيْنِ: «هَذَا هُرَاءٌ!
إِنَّ دَارِيَا تَسْتَنْبِطُ الصَّعَابَ دَائِمًا. عَلَى أَنِّي طَوَّعَ أَمْرِيكَ فَافْعَلِي مَا تَشَائِنِ!»

وَأَتَمَّتْ أَنَا مُنَاجَاتَهَا وَالإِبْتِسَامَةَ تُدَاعِبُ شَفَتَيْهَا: «أَجَلٌ... أَجَلٌ. لَقَدْ اتَّفَقَا وَتَوَافَقَا،
وَالصُّلْحُ كَامِلٌ، كَامِلٌ... شُكْرًا لِلَّهِ!»

وظَلَّتْ داريا، طيلةَ ساعاتِ المساءِ، تُوجِّهُهُ إلى رَؤُجِها الحَديثِ باللَّهجةِ السَّاحِرةِ الَّتِي دَرَجَتْ مُنْذُ زَمَنِ على مُخاطَبَتِهِ بها.

أما هُوَ- الرُّؤُجُ المُذنبُ الَّذِي صَفَحَتْ عَنْهُ امرَأَتُهُ- فقد طَغى عليه الشُّرُورُ، ثُمَّ نَسِيَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَنَّهُ خانَ رَؤُجَهُ فاستَحَقَّ العقابَ، نَسِيَ كُلَّ شيءٍ، ورجَعَ- كما كانَ- ستيغانَ أو بلسكي الَّذِي لا تُفارقُ الابتسامةُ فَمَهُ.

وطَرِقَ البابُ ودَقَّتِ السَّاعةُ مُعلِنَةً انْتِصافَ التَّاسِعَةِ.

وفُتِحَ البابُ، وبدا للجميعِ وَجْهُ فرونسكي، فَشَعَرَتْ أَنَا بِمَزيجٍ مُتناقضٍ مِنَ الشُّرُورِ وَالْفَزَعِ، أما كاترينُ فقد شَعَرَتْ بالسَّعادةِ، وَخُيِّلَ إِلَيْهَا أَنَّ الشَّابَّ مَرَّ عَلَيْهَا فِي بَيْتِهَا، فَلَمَّا لم يَجِدْهَا جاءَ وراءَها وَاِنْتَحَلَ هذا العُذْرَ. فقد قالَ لِستيغانَ: «في أَيِّ ساعةٍ تُقيمُ المَأدِبَةَ لِلضَّيْفِ العَظِيمِ الَّذِي تَتَّظَرُّ مَجِيئَهُ غَدًا؟» واكْتَفَى فلم يَدْخُلْ. وَتَخَضَّبَ وَجْهُ كاترينَ فَأَطْرَقَتْ بِرَأْسِهَا حَجَلًا وَحَياءً!

وأبى فرونسكي أَنْ يَدْخُلَ، وَرجَعَ مِنْ حَيْثُ أتى. وَبَدَأَ الجَمِيعُ نَظراتِ التَّعَجُّبِ وَالسَّأوِلِ، ولم تَلْبَثْ عُيُونُهُمْ أَنْ تَحَوَّلَتْ إِلى مَجْمَعٍ لِلرُّسُومِ كَانَتْ أَنَا قد بَدَأْتُ تَتَأَمَّلُ فِيهِ.

فهل هُنَاكَ ما يُثيرُ الرِّيبَ في زيارةٍ يَقُومُ بِها شابٌّ في مِثْلِ هذا الهَزيعِ^(١)؟ ثُمَّ لِمَاذا لم يَدْخُلْ؟ لِمَاذا تَرَدَّدَ ثُمَّ أَحْجَمَ؟ لا، لَيْسَ هُنَاكَ ما يُثيرُ الرِّيبَ والشُّكوكَ، إِلَّا أَنَّ الأَمْرَ بدأ مُذهِلًا لَهُمْ جَمِيعًا. ما سَبَبُ إِحْجامِهِ؟ لِمَاذا اكْتَفَى بالسُّؤالِ؟ أَلَمْ يَكُنْ في اسْتِطاعَتِهِ إِرجاءُ سؤالِهِ إِلى العَدَدِ؟

أما أَنَا فقد عَدَّتْ عَمَلَهُ نَزَقًا وَطَيْشًا، وَلِلشَّبَابِ طَفَرْتُهُ وَنَزوتُهُ وَرُعودَتُهُ! فهل عَدَّتْ أَنَا عَمَلَهُ نَزَقًا وَطَيْشًا في قَرارةِ نَفْسِها؟ أم... أم ماذا؟

* * *

أَنفَقْتُ كاترينُ كَثِيرًا مِنْ وَقْتِها وَهِيَ تَتَرَبَّنُ وَتَتَأَنَّقُ وَتَسْتَعِدُّ لِلحَفْلَةِ السَّاهِرةِ الَّتِي سَيَتَقَرَّرُ فِيها مُسْتَقْبَلُها، فَيُداغُ في أَثنائِها خَبْرٌ حَظِبْتُها لِلكونِ الشَّابِّ فرونسكي، أو على الأَقْلُ بِيَّتْ في هذا الأَمْرِ نِهائيًّا، وَتَوَجَّلُ التَّفاصِيلُ إِلى تاريخِ آخَرَ.

(١) الهَزيعُ: بَعْضٌ مِنَ اللَّيْلِ.

وَأَخَذَتْ تَتَأَمَّلُ فِي الْمِرْآةِ، وَتَنْظُرُ إِلَى خَلْقِهَا الْقَوِيمِ، وَحُسْنِهَا الْخَالِصِ، وَلَقَّتْهَا الْمُدْلَّةُ،
 حَتَّى إِذَا مَا رَضِيَتْ عَنْ نَفْسِهَا، وَقَبِعَتْ بِقُوَّةِ سِحْرِهَا، خَرَجَتْ مِنْ حُجْرَتِهَا تَمِيسُ دَلَالًا،
 وَتَخْطُرُ عُجْبًا، وَتَتَهَادَى فِي خَفْرِ مَقْرُونِ بَعْنَجٍ. وَذَلَفَتْ إِلَى الرَّدْهَةِ الْفَسِيحَةِ الَّتِي أُقِيمَتْ فِيهَا
 السَّهْرَةُ، وَكَانَتْ الْمَوْسِيقَى تَصْدَحُ بِأَنْغَامِهَا، فَيَتَرَدَّدُ صِدَاها الْعَذْبُ فِي أَرْجَاءِ الْمَنْزِلِ الَّذِي
 سَادَ أَهْلِيهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ شُعورًا بِالتَّفَاوُلِ وَالْبِشْرِ، مَبْعُثُهُ الْيَقِينُ مِنْ أَنَّ كَاتِرِينَ مُقْبِلَةً عَلَى
 زَوَاجٍ، وَأَنَّ الْخَطْبُ^(١) الْمَوْعودَ رَجُلٌ ذُو بَسْطَةٍ وَجَاهٍ.

وَأَخَذَ طَرْفَهَا السَّاجِيَّ وَجْهَهُ أَنَا كَارِنِيَا الْجَمِيلُ، فَأَذْهَلَهَا مَا رَأَتْهُ مِنْ سِحْرِهَا. لَقَدْ بَدَتْ
 الْغَادَةَ فِي أَبِيهِ حُلَّةٍ وَأَبْدَعَ زِينَةً، حَتَّى إِنَّهَا كَادَتْ تَكْذِبُ عَيْنَيْهَا وَهِيَ تَسْأَلُ: أَهَلْهُ حَقًّا أَنَا
 كَارِنِيَا، أَمْ امْرَأَةٌ أُخْرَى سِوَاهَا؟»

لَقَدْ طَلَبْتُ إِلَيْهَا أَنْ تَتَلَفَّعَ بِثَوْبٍ بِنَفْسِجِي يَنْمُ عَنِ الْوَرْدِ، وَلَكِنَّهَا شُدْهَتْ مِمَّا رَأَتْهُ مِنْ
 أَنْسِجَامِ اللَّوْنِ الْأَسْوَدِ مَعَ الْمِرْآةِ الْفَاتِنَةِ... وَي! أَبْعَدُ هَذِهِ الرَّوْعَةَ رَوْعَةً؟ أَهْنَاكَ فِي مَوْسِكُو
 وَبَطْرَسْبِرْجٍ مَنْ يُضَاهِيهَا؟ كَلَّا... كَلَّا...

وَأَذْرَكْتُ بَطْلَ رَأْيِهَا فِي أَنَّ الرِّدَاءَ هُوَ عِمَادُ الْمِرْآةِ وَمَقْوَمُ جَمَالِهَا، فَالْمِرْآةُ الْجَمِيلَةُ جَمِيلَةٌ
 مَهْمَا لَبَسَتْ وَمَهْمَا ازْتَدَتْ، وَلَنْ يَزِيدَهَا اللَّبَاسُ الْحَسَنُ إِلَّا أَنْاقَةً... وَهَا هِيَ ذِي أَنَا تَبْدُو
 فِي ثَوْبِهَا الْأَسْوَدِ أَشَدَّ فِتْنَةً مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ أُخْرَى اتَّخَذَتْ مِنَ الْأَلْوَانِ الزَّاهِيَةِ عَوْنًا لَهَا عَلَى
 دِمَامَةٍ أَوْ نَقْصٍ أَوْ سِخْنَةٍ شَاجِبَةٍ نَاجِلَةٍ دَمِيمَةٍ!

وَمَا كَانَ ثَوْبُ أَنَا فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا إِطَارًا أَسْوَدَ يُعَانِقُ الْمِثَالِ الْبَدِيعَ، فَلَا يُكْسِبُ الْمِثَالِ،
 كَمَا أَنَّ الْقَمَرَ لَا يُكْسِبُ مِنَ الْهَالَةِ!

كَانَتْ أَنَا كَارِنِيَا سَاعَتَ ذَلِكَ تَتَوَسَّطُ فَرِيقًا مِنَ الْمَدْعُوِّينَ وَالْمَدْعُوَاتِ، وَكَانَتْ فِي أَنْاقَتِهَا
 الْمُبَسَّطَةَ أَرْوَعَ مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ سِوَاهَا فِي أَنْاقَتِهَا الْمُعَقَّدَةَ! كَانَ ثَوْبُهَا الْأَسْوَدُ الْبَسِيطُ يَبْدُو فِي
 اشْتِرْسَالِهِ اللَّيْنِ الْهَيِّنِ اللَّطِيفِ أَيَّ ثَوْبٍ آخَرَ يَتَعَرَّجُ، وَيَتَمَازُجُ، وَيَزْتَفِعُ، وَيَنْتَفِخُ، وَتَعْلُوهُ
 طَبَقَاتٌ مِنْ قُمَاسٍ لَاصِقٍ وَمُلُونٍ وَمُرَقَّشٍ.

وَدَنَتْ كَاتِرِينَ مِنْهَا، فَتَنَاهَى إِلَيْهَا حَدِيثَ مُتَبَادَلٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مُعَلِّمِ الرَّقِصِ «كُورسونسكي».

(١) الْخَطْبُ: الْخَاطِبُ.

فَوَقَّتْ، ثُمَّ تَحَرَّكَتْ، فابْتَدَرْتُهَا أَنَا بِابْتِسَامَةٍ رَقِيقَةٍ وَادِعَةٍ، ثُمَّ صَعَدَتْ فِي قَامَتِهَا عَيْنًا فَاحِصَةً، وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ هَزَّتْ رَأْسَهَا، وَكَأَنَّهَا تَقُولُ: «أَهْتَتِكِ عَلَى ذَوْقِكِ وَأَغْبَطِكِ...».

وَفَهِمْتُ كَاتِرِينَ مَا قَالَتْهُ عَيْنَا أَنَا، فَتَضَرَّجَ وَجْهَهَا وَقَالَتْ وَهِيَ تَذْنُو مِنْهَا: «لِيَهْنِكَ قَدْكِ وَأَنْسِجَامِكِ، فَأَنْتِ تَخْطُرِينَ فِي الْمَكَانِ وَكَأَنَّكِ تَرْقُصِينَ رِقْصَةَ الْفَنَّ الْخَالِدَةِ!»

وَأَبْرَى مُعَلِّمُ الرِّقْصِ يَقُولُ مُتَحَمِّسًا: «وَأَصْدُفُكِ يَا سَيِّدَتِي أَنَّهَا خَيْرٌ مَنْ تَعَلَّمَ الرِّقْصَ عَلَى يَدَيَّ! فَهَلُمِّي يَا أَنَا، هَلُمِّي نَرْقُصْ، فَالْمَوْسِيقَى تَعْرِفُ لَنَا أَعْدَبَ لَحْنٍ سَمِعْتَهُ أُذُنَايَ!»
فَقَالَتْ أَنَا: «أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ، فَالرِّقْصُ لَا يَرُوقُ لِي دَائِمًا.»

قَالَ: «غَيْرَ أَنَّنَا اللَّيْلَةَ فِي حَفْلَةِ مَرْحٍ وَرَقْصٍ وَمُنْتَعَةٍ، فَكَيْفَ يُطَاوِعُكِ قَلْبُكِ عَلَى التَّمَنُّعِ وَالِإِعْتِذَارِ؟»

وَبَدَأَ فِرُونْسِكِي قَادِمًا نَحْوَهَا، فَأَنْتَنَتْ إِلَى مُعَلِّمِهَا بِسُرْعَةٍ وَقَالَتْ: «أَصَبْتُ...
صَبْتُ... فَهَبَا نَرْقُصْ.»

وَدَارَتْ مَعَ كُورْسُونْسِكِي خَفِيفَةً بَارِعَةً، وَابْتَعَدَتْ عَنِ فِرُونْسِكِي الَّذِي أَلْقَى عَلَيْهَا التَّحِيَّةَ، فَلَمْ تَحْفَلْهَا وَلَمْ تَرُدَّ عَلَيْهَا، وَكَأَنَّهَا مَا وَعَتْهَا!

لَمْ يَفُتْ كَاتِرِينَ تَجَاهُلُ أَنَا لُجُودَ فِرُونْسِكِي وَأَنْصِرَافُهَا عَنْ تَحِيَّتِهِ، وَكَأَنَّهَا تُعَنِّفُهُ لِشَيْءٍ أَوْ تَهْتَرَّبُ مِنْهُ لِسَبَبٍ. وَتَسَاءَلْتُ وَالِدَهُشُ مُسْتَوِلٍ عَلَيْهَا: «عَجَبًا لَهَا! لِمَ أَغْضَبْتَ عَنْهُ فَلَمْ تَرُدَّ تَحِيَّتَهُ بِمِثْلِهَا؟»

وَقَطَعَ عَلَيْهَا حَبْلَ تَفْكِيرِهَا صَوْتُ فِرُونْسِكِي وَهُوَ يَصِفُ لَهَا أَسْفَهُ لَعْدَمِ تَمَكُّنِهِ مِنَ الْإِلْمَامِ بَيْنَهَا زَائِرًا فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ الْمَاضِيَةِ.

وَأَصَاحَتْ كَاتِرِينَ السَّمْعَ إِلَى مَا كَانَ يَقُولُ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَنْقَطِعْ طِيلَةَ الْوَقْتِ عَنْ تَتَبُّعِ حَرَكَةِ نَا الْمَاهِرَةِ وَهِيَ تَدُورُ فِي حَلْبَةِ الرِّقْصِ خَفِيفَةً رَشِيقَةً وَابْتِغَاءً.

وَطَالَ انْتِظَارُهَا، وَأَخَذَتْ تَتَمَلَّمُ أَلْمَا وَقُنُوطًا - فِيمَاذَا لَا يَدْعُوهَا الشَّابُّ إِلَى الرِّقْصِ؟
لَا يَعْرِفُ الرِّقْصَ أَمْ هُوَ رَاغِبٌ عَنْهَا نَافِرٌ مِنْهَا؟

وَبَيْنَمَا هِيَ مُوْغَلَةٌ فِي فِكْرِ حَزِينٍ كَسِيفٍ، فَظَنَّ فِرُونْسِكِي إِلَى قُصُورِهِ وَإِهْمَالِهِ فَسَارَعَ يَقُولُ

مُتَدِّمًا: «تَبَّا لي! كَيْفَ نَسِيتُ فِي غَمْرَةِ الْحَدِيثِ أَنْ أَطْلُبَ إِلَيْكَ مُشَارَكَتِي الرَّقْصِ؟»
ثُمَّ إِنَّهُ أَحَاطَهَا بِذِرَاعِهِ وَاحْتَلَطَ بِالرَّاقِصِينَ.

وَرَنْتَ إِلَيْهِ كَاتِرِينَ بَعِيْنِينَ مُتَلَهِّفَتَيْنِ تَشْبِيَانِ بِمَا يَعْتَمَلُ فِي صَدْرِهَا مِنْ آيَاتِ الْحُبِّ.
وَقَدْ أَثْقَلَتْ عَلَيْهَا هَذِهِ النَّظْرَةُ فِي مَا بَعْدُ، وَكَانَتْ كُلَّمَا تَذَكَّرَتْهَا، يَطْنِي عَلَيْهَا شُعُورٌ
بِالْحَجَلِ وَالْحَيَاءِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ نِدَاءً هَتَمَتْ بِهِ عَيْنَاهَا، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ فِي صَدْرِ الْفَتَى وَقَلْبِهِ صَدَى
وَلَا جَوَابًا.

أَجَلٌ... ظَلَّتْ سِنِينَ عَدِيدَةً وَهِيَ تَذُوبُ حَجَلًا كُلَّمَا تَذَكَّرَتْ تِلْكَ النَّظْرَةَ الَّتِي لَمْ
تَتَجَاوَبْ أَصْدَاؤُهَا إِلَّا فِي قَلْبِهَا الْفَتَى النَّابِضِ بِالْحُبِّ وَالْحَيَاةِ!

* * *

وَرَقَصَتْ كَاتِرِينَ مِرَارًا مَعَ فَرُونْسَكِي، فَتَقَعَتْ غَلِيلَهَا مِنْ قُرْبِهِ، وَرَوَتْ ظَمَأَهَا مِنْ حَدِيثِهِ،
فَقَدْ تَنَاجَى وَتَبَادَلَا الْكَلَامَ. وَلَكِنَّهُ عِنْدَمَا سَأَلَهَا عَنْ لَيْفِينَ ارْتَبَكَتْ وَلَمْ تَعْرِفْ مَاذَا تَقُولُ.
وَنَظَرَ فَرُونْسَكِي إِلَيْهَا فَرَأَى وَجْهَهَا الْجَمِيلَ يَتَخَضَّبُ بِلَوْنِ الْإِضْطِرَابِ... غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ
اضْطِرَابًا مِنْ نَوْعٍ آخَرَ، كَانَ اضْطِرَابَ فِتَاةٍ تَنْتَظِرُ مُفَاجَأَةً، وَتَتَوَقَّعُ أَنْ يُفَاتِحَهَا الْحَبِيبُ بِحُبِّهِ،
وَيُبْنِيهَا لَوَاعِجَ قَلْبِهِ.

بَيِّنْدَ أَنْ فَرُونْسَكِي تَجَنَّبَ حَدِيثَ الْحُبِّ وَالْعَرَامِ، فَلَمْ يَمُضَّهَا هَذَا التَّجَاهُلُ، بَلْ أَيْقَنَتْ أَنَّهُ
لَنْ يُبْطِئَ أَنْ يَقُولَ لَهَا مَا فِي قَلْبِهِ سَاعَةً يَحِينُ مِعَاذَ الرَّقْصَةِ الَّتِي يَتَلَهَّفُ إِلَيْهَا الْجَمِيعُ، رَقْصَةَ
الْمَازُورِكَ الْعَظِيمَةِ... إِنَّهُ، وَلَا شَكَّ، سَيَعْتَنِمُ فُرْصَةَ احْتِضَانِهِ لَهَا فِي تِلْكَ الرَّقْصَةِ لِطَارِحِهَا
غَرَامَهُ، وَيُفَاتِحِهَا بِمَا يَطْمَعُ فِيهِ، ثُمَّ يَطْلُبُ يَدَهَا... أَجَلٌ يَطْلُبُ يَدَهَا.

وَسَهَا عَنْ بَالِ فَرُونْسَكِي أَنْ يُذَكِّرَهَا بِأَنَّ رَقْصَةَ الْمَازُورِكَ الْمُتَنْظَرَةَ هِيَ لَهُ مِنْ دُونِ سِوَاهُ،
إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقْلُقْ، فَهِيَ وَاثِقَةٌ كُلُّ الْوَثُوقِ مِنْ أَنَّهُ لَنْ يُرَاقِصَ غَيْرَهَا مَتَى أَرَفَتِ السَّاعَةَ...
وَعَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ رَدَّتْ خَمْسَةَ رِجَالٍ طَلَبُوا إِلَيْهَا مُرَاقِصَتَهُمْ، بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ: «الْمَعْذِرَةُ...»
لَقَدْ سَبَقَكُمْ غَيْرُكُمْ!»

كَانَتْ الْحَفْلَةُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى كَاتِرِينَ رُؤْيَا سَاحِرَةً مِنَ الْأَلْوَانِ الرَّاهِيَةِ وَالْمُوسِيقَى الْحَالِمَةِ،
وَالضُّوْضَاءِ وَالْحَرَكَةِ. وَلَمْ تَكُنْ لِتَجْلِسَ دَقِيقَةً وَاحِدَةً. وَمَعَ أَنَّ التَّعَبَ أَخَذَ مِنْهَا مَا أَخَذَهُ،

كَانَتْ تَرْقُصُ وَتَرْقُصُ .

وَاتَّفَقَ، بَيْنَمَا كَانَتْ تُرَاقِصُ شَابًا مُمَلًّا، وَتَدُورُ مَعَهُ فِي الْحَلْبَةِ، أَنْ افْتَرَبَتْ مِنْ أَنَا، وَكَانَتْ الْأَخِيرَةُ تُرَاقِصُ فَرُونسكي، فَشَدَّهَا مَا رَأَتْ. مَاذَا رَأَتْ؟ رَأَتْ أَنَا مُضْطَرِمَّةَ الْخَدَّيْنِ، بِرَاقَةِ الْعَيْنَيْنِ. رَأَتْ فِيهَا أَمَارَاتِ الظَّفَرِ، وَعَلَامَاتِ النَّصْرِ. رَأَتْ فِيهَا مَا أَكَّدَ لَهَا أَنَّ أَنَا ثِمْلَةٌ مُتَشَبِّهَةٌ بِخَمْرَةٍ سَعَادَتِهَا، وَكَانَتْ كَاتِرِينُ تَخْبِرُنِي هَذَا الشُّعُورَ الْعَجِيبَ، شُعُورَ النَّصْرِ، وَرَأَتْ يُضَا ذَلِكَ الضُّوءَ الْخَفَاقَ الَّذِي يُبَيِّنُ مُتَأَجِّجًا مِنْ نَاطِرِيهَا، وَالِابْتِسَامَةَ الَّتِي تَبِيحُ عَنْ حُجُورِ وَأَنْفِعَالِ .

- «مَنْ؟...» سَاءَلَتْ كَاتِرِينُ .

- «كَلَّا، لَيْسَ تَهَافُتُ الْقَوْمَ عَلَيْهَا، هُوَ الَّذِي أَسْكَرَهَا وَأَفْعَمَ قَلْبَهَا بِهَجَّةٍ. كَلَّا، بَلْ إِنَّهُ حُبُّهَا لَامِرِيٍّ وَاحِدٍ فَحَسْبُ، لَامِرِيٍّ وَاحِدٍ. وَهَذَا الْوَاحِدُ... هَلْ يُمَكِّنُ ذَلِكَ؟ هَلْ يُمَكِّنُ؟» مَضَتْ تُنَاجِي نَفْسَهَا وَهِيَ مُتَشَغَلَةٌ عَنْ رَفِيقِهَا .

إِنَّهُ يَلْزِمُهَا كَظَلِّهَا، وَهَا هُوَ يُكَلِّمُهَا بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ، بَلْ لَعَلَّهُ يُنَاجِيهَا... وَهَا هِيَ تُسِيمُ لَهُ كُلَّمَا هَمَسَ فِي أُذُنِهَا... .

وَتَرَاءَى لِكَاتِرِينِ أَنَّ أَنَا تَبْدُلُ وَشَعَهَا لِكَي تُخْفِيَ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ وَلَكِنَّ الْمَشَاعِرَ كَانَتْ قُوَى مِنَ الْإِرَادَةِ، فَطَفَّرَتْ إِلَى وَجْهِهَا .

وَنَظَرَتْ إِلَى فَرُونسكي... وَفَكَّرَتْ: «وَهُوَ؟...» وَمَا رَأَتْهُ مُرْتَسِمًا فِي مِرَاةٍ وَجْهِ أَنَا، نَتُّهُ مُعْكَسًا عَلَى قَسَمَاتِهِ وَأَمَائِرِهِ .

فَمَاذَا أَصَابَهُ؟ مَاذَا أَصَابَ شَخْصِيَّتَهُ، حَتَّى بَدَا خَاضِعًا مُتَطَامِنًا؟ إِنَّهُ يَكَادُ يَجْرُ عَلَى رُضٍ سَاجِدًا كُلَّمَا رَنَا إِلَى وَجْهِهَا... وَإِنَّ عَيْنَيْهِ الْقَوِيَّتَيْنِ خَبَتْ وَقَدَّتُهُمَا، وَغَدَاتَا تَنْظُرَانِ فِي أَنَا فِي اسْتِجْدَاءٍ وَابْتِهَالٍ وَخَوْفٍ!

كَانَا يَتَهَامَسَانِ وَكَانَتْهُمَا يَتَنَاجِيَانِ... وَشَعَرَتْ كَاتِرِينُ وَالْأَلَمُ يَجْرُ فِي صَدْرِهَا أَنَّ كُلَّ نَسْمَةٍ يَقُولَانِهَا كَانَتْ تُقَرَّرُ مَصِيرُهُمَا وَمَصِيرَهَا هِيَ أَيْضًا!

وَالْغَرِيبُ فِي الْأَمْرِ أَنَّهُمَا لَمْ يَتَحَدَّثَا إِلَّا عَنْ أُمُورٍ تَافِهَةٍ. بَيِّدَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي خَاضَا فِي حَدِيثِهَا كَانَتْ تَجْدُبُهُمَا جَذْبًا إِلَى ذَلِكَ الْاِتِّجَاهِ الْفِكْرِيِّ الَّذِي أَوْغَلَتْ فِيهِ كَاتِرِينُ، إِلَى

الإعتقاد عن يقين بأنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ مَهْمَا كَانَتْ تَافِهَةً سَتَقَرُّ مَصِيرُهُمَا . . . هَذَا مَا كَانَ يَشْعُرُ بِهِ
كُلُّ مِنْهُمَا، وَهَذَا مَا تَمَحَّضَتْ عَنْهُ مَشَاعِرُ كَاتِرِينَ.

وَذَابَ كُلُّ شَيْءٍ، الْحَفْلَةُ، بِلِ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا ذَابَتْ فِي غَمَامَةٍ قَاتِمَةٍ فِي أَعْمَاقِ كَاتِرِينَ.
وَلَكِنَّ الفَتَاةَ الأَيُّبَةَ احْتَفَظَتْ بِجَلْدِهَا وَاضْطِبَارِهَا بِفَضْلِ نَشَاتِهَا الصَّارِمَةِ القَوِيمَةِ فِي بَيْتِ
أَبَوَيْهَا، وَاسْتَطَاعَتْ أَنْ تَقُومَ بِالوَاجِبِ المَفْرُوضِ عَلَيْهَا، مِنَ الرَّقْصِ، وَالرَّدِّ عَلَى الأَسئِلَةِ،
وَالإِبْتِسَامِ، وَالدُّعَابَةِ!

وَلَكِنَّ نَوْعًا مِنَ الفَرَجِ أَلْهَبَ فُؤَادَهَا قُبَيْلَ الشُّرُوعِ فِي رَقْصَةِ المَازُورِكَ . . . لَقَدْ رَدَّتْ
خَمْسَةَ شُبَّانٍ، وَهِيَ تَقِفُ وَحِيدَةً حَائِرَةً. فَهَلْ تَلُودُ بِفِرَاشِهَا؟ هَلْ تَزْعُمُ أَنَّهَا مَرِيضَةٌ؟
وَأخِيرًا لَجَأَتْ إِلَى رُكْنٍ مُتَفَرِّدٍ، فَتَهَالَكَتْ عَلَى كُرْسِيِّ هُنَاكَ وَهِيَ تَلْهَثُ مِنَ النَّصَبِ
وَالْوَصَبِ^(١)، وَتَتَمَتَّى لَوْ تَحَرَّمَهَا الرَّدَى^(٢) حَتَّى تَنْجُوَ مِنْ هَذَا العَذَابِ!

فَيَا لَقَلْبِهَا البِكْرِ! وَيَا لِإِحْسَاسِهَا المُرْهَفِ!

وَيَا لِلطَّعْنَةِ النَّجْلَاءِ! يَا لِلطَّعْنَةِ النَّجْلَاءِ الَّتِي سَدَّهَا فَارِسُ أَحْلَامِهَا إِلَى مُهَجَّتِهَا!

وَخَيَّلَ إِلَيْهَا وَهِيَ تَدْعَى مِنَ القُنُوطِ أَنَّ مِطْرَفَةَ هَائِلَةً جَعَلَتْ تَرْتَفِعُ إِلَى أَعْلَى، لِتَهَيِّطَ بِكُلِّ
قُوَّةٍ عَلَى فُؤَادِهَا، وَإِنَّهَا تُوشِكُ أَنْ تَتَحَطَّمَ وَهِيَ لَمَّا تَرَلَّ فِي عُفُوانِ العُمُرِ وَغَضَارَةِ الصَّبَا.

عَلَى أَنَّ لِلنَّفْسِ دَوْمًا مُنْفَذًا مِنَ اليَأْسِ، وَقَدْ نَاجَتِ المُتَأَلِّمَةُ نَفْسَهَا، فَعَلَقَتْ تَقُولُ:
«أَمْصِيبَةُ أَنَا فِي ظَنِّي، أَمْ إِنَّ تَسْرُعِي صَوَّرَ لِي الأُمُورَ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهَا؟ قَدْ أَكُونُ مُخْطِئَةً،
وَقَدْ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَا بَيْنَ صَدِيقَيْنِ عَادِيَيْنِ مِنَ الأُمُورِ التَّافِهَةِ اليَسِيرَةِ».

وَلَكِنَّهَا رَاحَتْ بَعْدَ دَقَائِقَ تَسْتَعْرِضُ فِي مُخَيَّلَتِهَا مَا وَقَعَ عَلَيْهِ طَرْفُهَا، فَأَيَقَنْتُ وَالعُصَّةُ
تُرْمِضُهَا^(٣) أَنَّ عِلَاقَةَ فِرُونَسْكِ بَأَنَّا هِيَ أَكْثَرُ مِنْ مُجَرَّدِ صَدَاقَةٍ بَرِيئَةٍ، بَلْ إِنَّهَا عِلَاقَةٌ تَطَوَّرَتْ
بِسُرْعَةِ البَرَقِ، فَأُضْحَتْ عَاطِفَةً مُتَبَادِلَةً تَجِيشُ بِأَمَلٍ، وَتَعْتَمِلُ بِرَجَاءٍ، وَتَتَمَحَّضُ عَنْ أَشْيَاءٍ
وَأَشْيَاءٍ!

(١) النَّصَبُ وَالْوَصَبُ: التَّعَبُ وَالْوَجَعُ.

(٢) تَحَرَّمَهَا الرَّدَى: اسْتَأْصَلَهَا المَوْتُ وَأَهْلَكَهَا.

(٣) تُرْمِضُهَا: تُحْرِفُهَا، تَوَجِّعُهَا.

وبينا هي في هذه التجوى الكئيبة إذ طرَقَ سَمْعَهَا صَوْتُ امْرَأَةٍ يُخَاطِبُهَا وَيَقُولُ: «عَجَبًا يَا كاترين! أَتَنْفَرِدِينَ وَالْكُلَّ فِي فَرْحَةِ الرَّقْصَةِ الْكُبْرَى؟»

وانتثت كاترينُ برأسها المُثْقَلِ، فأبْصَرَتْ تَلْقَاءَها الكونتس نوردسون، ورأتها تَرْنُو إليها مُتَفَكِّرَةً.

وتَحَامَلَتْ على نَفْسِها فنَطَرَتْ صَامِتَةً مُسْتَطَلِعَةً، وبادرَتْها المَرَأَةُ تَقُولُ: «تُرى ما الَّذِي عَاقَبَكَ عَنِ الرَّقْصِ؟ وهل تَكْرَهِينَ هَذِهِ الرَّقْصَةَ بِالذَّاتِ؟»

فَشَهَقَتِ الفتاةُ، وَأَجَابَتْ بِصَوْتٍ تَخْفُهُ العَبْرَاتُ: «أَجَلْ، أَجَلْ، إِنِّي لَا أُحِبُّهَا!»

قَالَتْ: «أَمَّا هُوَ- فرونسكي- فَإِنِّي سَمِعْتُهُ بِأُذُنِي يُلْحِفُ عَلَيْهَا أَنْ تُخَصِّصَهَا لَهُ... وقد نَمَنَعْتُ أَنَا وَطَلَبْتُ إِلَيْهِ أَنْ يُرَاقِصَكِ، إِلَّا أَنَّهُ اسْتَهْجَنَ عِنَادَهَا وَمَا زَالَ بِهَا حَتَّى أَفْنَعَهَا!»

فَأَطْرَقَتْ كاترينُ، وَنَكَسَتْ عَيْنَيْهَا وَقَالَتْ بِصَوْتٍ خَافِتٍ: «لَا أَحْفَلُهُ، فَلْيَرُقْصْ مَعَ مَنْ يَشَاءُ!»

لقد أَخْبَرَتْها المَرَأَةُ المِهْذَارَةَ بِحَقِيقَةِ مَا جَرَى، فَرَأَتْ أَنْ تَمَّا لَكَ صَوَابَهَا فَلَا تُرْخِي العِنَانَ لِأَلْمِهَا، لِئَلَّا تُشْهِرَ نَفْسَهَا وَتَجْعَلَ لِلنَّاسِ فِي شَخْصِهَا مَعْمَرًا وَمَلَمَرًا.

وَلَزِمَتِ الصَّمْتَ، فلم تُرَدِّ على المَرَأَةَ بِكَلَامٍ آخَرَ، وَجَعَلَتْ تُفَكِّرُ فِي رَجُلٍ ثَانٍ، فِي رَجُلٍ رَدَّتْهُ مُنْذُ أَيَّامٍ خَائِبًا يُجِرُّ وَرَاءَهُ أَذْيَالَ الفَسْلِ. وَمَنْ يَعْلَمُ؟ لقد كَانَتْ مَيَّالَةً إِلَى هَذَا رَجُلٍ... كَانَتْ تَمِيلُ إِلَى لَيْفِينَ، بَيْدَ أَنَّ فرونسكي الجَذَابَ الأَنِيقَ المُهَنْدَمَ بَرَزَ إِلَى المِيدَانِ فَحَجَبَ عَنْهَا الرُّؤْيَةَ، وَجَعَلَهَا تُضَيِّعُ الفُرْصَةَ!

لقد خَفَرَ العَهْدَ مِنْ دُونِ أَنْ يَنْطِقَ... وَهَلْ مِنَ الصَّرُورِيِّ أَنْ يَعْمَدَ الإِنْسَانُ إِلَى الكَلَامِ يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُهُ مَتَى وَشَتَّ بَرَعْبِيهِ عَيْنَاهُ وَنَظَرَتْهُ؟ لقد صَارَحَهَا فرونسكي بِرَعْبِيهِ، وَهِيَ هُوَذَا يَحِيدُ عَنْهَا بَعْدَ اجْتِمَاعِهِ بَانَا!

وقالَتْ تُحَدِّثُ نَفْسَهَا: «إِنَّ الَّذِي قَوْلُهُ وَاحِدٌ لَا يَخْتَلِفُ هُوَ اللهُ، وَلِيَجْرِي مَا هُوَ مُقَدَّرٌ، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ...».

وَدَنَا مِنْهُمَا كورسونسكي فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، وَكَانَ عَلَى مَوْعِدٍ مَعَ الكونتس نوردسون سَرَقِصٍ. بَيْدَ أَنَّ المَرَأَةَ اعْتَدَرَتْ إِلَيْهِ عَنِ ذَلِكَ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ تَحَوَّلَ إِلَى كاترينَ وَرَجَاها

أَنْ تُرَافِقَهُ إِلَى حَلْبَةِ الرَّقْصِ .

وَسُرَّتْ كَاتِرِينَ، فَقَدْ رَأَتْ فِي ذَلِكَ خَلَاصًا لَهَا مِنْ مَازِقِ حَرَجِ أَوْقَعَهَا فِيهِ فَرُونْسَكِي،
وَمِنْ فِكْرِهَا الْمُعَدَّبِ، وَمِنْ الْمَرَأَةِ الْمُتَطَفِّلَةِ الَّتِي يَسْتَأْذِرُ بِلَبِّهَا الْفُضُولَ .

وَرَقَصَتْ كَاتِرِينَ كَأَنَّهَا تِمَثَالٌ أَوْ كَأَنَّهَا آلَةٌ؛ وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ مُضْطَّرَّةً إِلَى الْكَلَامِ - وَهَذَا مِنْ
حُسْنِ حَظِّهَا - فَرَفِيقُهَا كَانَ فِي شُغْلِ عَنِ الْكَلَامِ بِقِيَادَةِ دَفَةِ الرَّقْصِ . . .

وَكَانَتْ تَرُقُصُ عَنْ كَثَبٍ مِنْ أَنَا وَفَرُونْسَكِي، وَكَانَ الْاِثْنَانِ يَجْلِسَانِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ كُلَّمَا
انْتَهَى دَوْرُهُمَا، وَكَانَتْ تَرَاهُمَا يُنْهَضَانِ لِيَسْتَأْنِفَا الرَّقْصَ كُلَّمَا حَانَتْ الدَّقِيقَةُ الَّتِي يَحْتَمُّ
عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَقَدَّمَا فِيهَا .

وَكَانَتْ كُلُّ لِحْظَةٍ تَمُرُّ عَلَيْهَا تَزِيدُهَا يَقِينًا مِنْ إِثْمِ الْاِثْنَيْنِ . . . وَكَانَتْ هَذِهِ اللَّحْظَاتُ كَأَنَّهَا
السَّاعَاتُ الطَّوِيلَةُ الْمُضْنِيَةُ!

كَانَا يَسْبَحَانِ فِي أَفْقٍ خَاصٍّ بِهِمَا . كَانَا يَمِيسَانِ وَكَأَنَّهُمَا يُحَلِّقَانِ فِي فِضَاءٍ سَعَادَتِيهِمَا،
وَكَانَا، كَمَا رَأَتْ كَاتِرِينَ، يَظُنَّانِ كُلُّ الظَّنِّ أَنَّهُمَا وَحِيدَانِ، فَلَا هُمَا يَشْعُرَانِ بِالنَّاسِ مِنْ
حَوْلِهِمَا . وَلَا هُمَا يُحْسِنَانِ بِالْأَعْيُنِ تَحْدِيدَهُمَا وَتَنْتِهَبُهُمَا .

نَاهِيكَ بِنَظَرَةِ فَرُونْسَكِي . فَأَيْنَ شِدَّتُهَا؟ وَأَيْنَ عَزْمُهَا؟ وَأَيْنَ قُوَّتُهَا؟ لَقَدْ تَلَاسَّتِ الشَّدَّةُ
وَالْعَزْمُ وَالْقُوَّةُ، وَحَلَّ مَحَلَّهَا جَمِيعًا نَظَرَةُ حَيْرَةٍ وَاضْطِرَابٍ، بَلْ نَظَرَةُ خُضُوعٍ وَتَسْلِيمٍ . كَانَتْ
نَظَرَتُهُ أَشْبَهَ بِنَظَرَةِ كُلِّ ذَكِيٍّ ارْتَكَبَ هَفْوَةً!

وَابْتَسَمَتْ أَنَا، فَانْعَكَسَتْ ابْتِسَامَتُهَا عَلَى مُحْيَاةٍ بَشْرًا وَنورًا . وَبَدَا عَلَيْهَا الْفِكْرُ، فَقَطَّبَ
حَاجِبَيْهِ وَكَأَنَّهُ يَنْسَابُ مَعَهَا فِي مَجْرَى الْفِكْرِ!

وَحِيلَ لكَاتِرِينَ أَنَّ قُوَّةَ فَاهِرَةٍ تَجْدِبُ عَيْنَيْهَا إِلَى وَجْهِ أَنَا . . . فَاسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهَا رِغْشَةٌ
عَظِيمَةٌ لِمَا رَأَتْ . وَمَا رَأَتْ كَانَ ثَوْبًا بَسِيطًا، إِلَّا أَنَّهُ أَضْفَى عَلَى صَاحِبِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ وَالسَّحْرِ
مَا يُذْهِلُ كُلَّ نَازِرٍ وَمُتَأَمِّلٍ . . . كَانَتْ أَنَا فَاتِنَةٌ فِي ثَوْبِهَا الْبَسِيطِ الرَّائِعِ؛ كَانَتْ فَاتِنَةٌ بِذِرَاعَيْهَا
الْمُسْتَدِيرَتَيْنِ اللَّتَيْنِ يُزَيِّنُهُمَا سِوَارَانِ بَرَّاقَانِ؛ كَانَتْ فَاتِنَةٌ بِجِيدِهَا الرَّخِصِ الَّذِي يُحَلِّيه عِقْدٌ مِنْ
اللُّؤْلُؤِ؛ كَانَتْ فَاتِنَةٌ بِضَفِيرَيْهَا الْمَثْرُوكَةِ عَلَى سَحِيحَتَيْهَا؛ كَانَتْ فَاتِنَةٌ بِلَفْتَيْهَا، وَحَرَكَتَيْهَا،
وَنَظَرَتَيْهَا، وَبَسْمَتَيْهَا، وَكَانَتْ فَاتِنَةٌ بِقَدَمَيْهَا الصَّغِيرَتَيْنِ، وَيَدَيْهَا وَوَجْهِهَا!

إِلَّا أَنْ فِي رَوْعَتِهَا تَلْكَ كَمَنْ شَيْءٌ رَهِيْبٌ، شَيْءٌ يَمْتَازُ بِالْقَسْوَةِ الْمُخْفِيَةِ...
إِنَّهَا الْفِتْنَةُ الْقَاسِيَةُ.

إِنَّهَا الرُّوعَةُ الْبَاطِئَةُ.

إِنَّهَا الْجَمَالُ الْعَاصِيفُ الَّذِي لَا يُبْقِي وَلَا يَذْرُ!

وَتَضَاعَفَ إِعْجَابُ كَاتِرِينَ بِهَا، وَبِالْقَدْرِ الَّذِي زَادَ فِيهِ إِعْجَابُهَا نَمَا أَلْمُهَا وَوَصَبُهَا.

وَلَمَّا تَبَادَلَ الرَّاقِصُونَ وَالرَّاقِصَاتُ الْمَوَاقِعَ، وَدَنَا مِنْهَا فَرُونْسَكِي، كَانَتْ كَاتِرِينُ امْرَأَةً غَيْرَهَا، كَانَتْ تَخْتَلِفُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى فِي هَيْئَتِهَا وَمَنْظَرِهَا... وَلَكِي يَقُولُ هُوَ شَيْئًا فَلَا يَبْدُو بِمَظْهَرِ الشُّدُوذِ، قَالَ لَهَا وَلُبُّهُ شَارِدٌ وَقَلْبُهُ مُوزَّعٌ: «إِنَّهَا حَفْلَةٌ رَاطِعَةٌ، لَمْ أَشَاهِدْ لَهَا مَثِيلًا!»

وَأَجَابَتْ هِيَ: «أَصَبَتْ!»

وَلَمَّا لَبَّتْ نِدَاءً أَنَا مَعَ امْرَأَةٍ أُخْرَى، وَدَنَتْ مِنْهَا فِي وَسْطِ الْحَلْقَةِ، وَهِيَ لَا تُخْفِي امْتِعَاضَهَا، رَنَتْ إِلَيْهَا أَنَا مُتَأَمِّلَةً، وَابْتَسَمَتْ وَهِيَ تُطْرِقُ بِرَأْسِهَا وَتَضَعُطُ عَلَى يَدِهَا.

إِلَّا أَنَّهَا مَا كَادَتْ تَلْمَحُ نَظْرَةَ الْيَاسِ الَّتِي أَجَابَتْ كَاتِرِينَ بِهَا عَلَى ابْتِسَامَتِهَا حَتَّى أَشَاحَتْ عَنْهَا، وَشَرَعَتْ تَتَبَادَلُ الْحَدِيثَ مَعَ الْمَرْأَةِ الْأُخْرَى وَهِيَ تَضْحَكُ ضِحْكًَا مُتَوَاصِلًا.

وَقَالَتْ كَاتِرِينُ تُحَدِّثُ نَفْسَهَا: «أَجَلٌ إِنَّ فِيهَا شَيْئًا مُرِيبًا، إِنَّ فِيهَا شَيْطَانًا مُرِيدًا، وَلَكِنَّهُ شَيْطَانٌ فَاتِرٌ قَاهِرٌ!»

وَانْتَهَى الرَّفْصُ، فَذَهَبَ بَعْضُ بَعْضٍ آخَرَ، وَتَفَرَّقَ مَنْ بَقِيَ فِي أَنْحَاءِ الْقَاعَةِ.

وَوَقَفَتْ أَنَا كَارِنِيَا مَعَ رَبِّ الْبَيْتِ، وَأَخَذَتْ تُعْرِبُ لَهُ عَنِ رَغْبَتِهَا فِي الذَّهَابِ، إِلَّا أَنَّهُ أَلَحَّ عَلَيْهَا أَنْ تَمُكَّتْ فَتُشَارِكَهُمْ فِي تَنَاوُلِ طَعَامِ الْعِشَاءِ.

وَلَكِنَّهَا أَصْرَتْ عَلَى الذَّهَابِ، وَقَالَتْ وَهِيَ تَبْتَسِمُ بِلُطْفٍ: «لَا مَنْدُوحةَ لِي مِنْ مُفَارَقَتِكُمْ، فَنَا مُنْعَبَةٌ وَفِي حَاجَةٍ إِلَى النَّوْمِ».

ثُمَّ اسْتَأْنَفَتْ تَقُولُ: «عَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ لِأَنِّي رَفَضْتُ اللَّيْلَةَ أَكْثَرَ مِمَّا رَفَضْتُ فِي سَنَةِ كَامِلَةٍ!»
وَالْتَفَتَتْ إِلَى فَرُونْسَكِي الْوَاقِفِ قَرِيبًا مِنْهَا، وَعَقَّبَتْ بَعْدَ هَيْئَتِهِ: «يَخْلُقُ بِي أَنْ أَهْجَعَ

وأستريح قبل ركوب متن السفر بعد ساعاتٍ .

فارتعش فرونسكي وانبرى يقول مُثْعَلًا : « وهل أنتِ مُزِمَّةٌ على مُبارحةِ موسكو غدًا؟ »

قالتُ : « هذا ما أنويه » .

وحدجته بنظرةٍ تنيبٍ عن تعجبها من جرأته في طرح الأسئلة .

وكانت تالقت عينيها والشرر الذي انبعث منهما، وكان بسمتها التي ارتسمت على شفتيها، وهذه النار التي اندلعت من عينيها، وهذه الإبتسامة التي افترت عنها ثغرها، أضرمت كلها النار في داخله . وقد أحسن بهذه النار تتلظى في قرارته حين نبست بكلماتها القليلة ذات المعاني الكثيرة!

ولم تمكث أنا بل اشتأذنت ومضت في سبيلها، إلى بيت شقيقها .

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - تَخَلَّل السَّرْدَ في مطلعِ هذا الفصلِ أسلوبُ النَّجوى الداخليَّة . أَشيرُ إلى ذلك ، وقُل ما الدَّورُ الَّذي أدَّتُه النَّجوى هذه؟
- ٣ - حاوَلتِ أنا أن تُصَلِّحَ ما انصدَعَ بين أخيها ستيفان وزوجتيه ، فبِمَ توَسَّلتِ إلى ذلك؟
- ٤ - كيفَ كان تقيُّمُها لخيانةِ أخيها زوجتهَ داريا؟
- ٥ - هل استطاعتُ أنا كارنينا أن تُوفِّقَ في إنهاءِ الأزمَةِ العائليَّةِ؟ ولصالحِ مَنْ كانَ حلُّ هذه العقدةِ؟
- ٦ - ما الفكرةُ الَّتِي كوَّنتها في هذا الفصلِ عن أنا كارنينا؟
- ٧ - لَمَحَّ الكاتِبُ إلى أحداثٍ غامضةٍ ستقعُ لاحقًا في حياةِ أنا كارنينا ، استخرِجْ من هذا الفصلِ إشاراتِهِ إلى ذلكَ ممَّا لوحِظَ قَبْلَ السَّهرةِ الرَّاقِصَةِ .
- ٨ - حاوِلْ أن ترى في كلِّ إشارةٍ من تلكَ الإشاراتِ مدلولها .
- ٩ - بدأتَ تظهرُ في هذا الفصلِ جَفوةٌ بين أنا وكاترين . حدِّدْ مَواطنَها وأسبابَها .
- ١٠ - ما الحالُ النَّفسيَّةُ الَّتِي انتهتَ إليها كاترين في ختامِ هذا الفصلِ؟
- ١١ - تفاعَلتْ في هذا الفصلِ نماذجٌ مُختلِفةٌ من الشَّخصياتِ البشريَّةِ ، حدِّدِ النموذجَ الَّذي تُمثَلُه كلُّ من هذه الشَّخصياتِ .
- ١٢ - أوَجِّزْ مضمونَ الفصلِ في أسطرٍ قَليلةٍ .

الفصل الحادي عشر

غَادَرَ لَيْفِينُ مُوسَكَو بَعْدَ فَسَلِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ كَاتِرِينَ تَبِمَهَا حُبُّ الشَّابِّ فِرُونْسَكِيِّ. وَأَلَى عَلَى نَفْسِهِ عَقِبَ وُصُولِهِ إِلَى قَرِيْبِهِ أَنْ يَقْنَعَ بِالَّذِي هُوَ فِيهِ، فَلَا يَتَشَوَّفُ بَبَصَرِهِ إِلَى سَعَادَةِ وَارِفَةِ الظَّلَالِ فِي بَيْتِ يَضُمُّ زَوْجَةً وَأَوْلَادًا. أَلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَنْعَمَسَ كَرَّةً أُخْرَى فِي الْأَعْمَالِ، وَأَنْ يَصِلَ اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ جَادًا كَادًا فِي دَابِّ لَا يَقْتَرُ.

وَأَنَا كَارِنِينَا امْرَأَةً الْفِتْنَةِ وَالْحَمَالِ مَا لَبِثْتُ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ لِلْحَفْلَةِ السَّاهِرَةِ أَنْ أُبْرَقْتُ إِلَى زَوْجِهَا فِي بَطْرَسْبِرْجِ تُسْنُهُ بِقُدُومِهَا.

وَكَانَ الْقِطَارُ الْمُسَافِرُ إِلَى بَطْرَسْبِرْجِ يُغَادِرُ مَحْطَّةَ مُوسَكَو فِي السَّابِعَةِ مِنْ مَسَاءِ كُلِّ يَوْمٍ، وَقَدْ قَضَتْ أَنَا النَّهَارَ بِطَوْلِهِ فِي بَيْتِ أَخِيهَا، ثُمَّ تَنَاوَلْتُ الطَّعَامَ مَعَ زَوْجِهِ.

بَيَّدَ أَنَّ الزَّوْجَةَ وَالْأَوْلَادَ رَأَوْا فِيهَا الْيَوْمَ مَا لَمْ يَرَوْهُ مِنْ قَبْلُ. وَقَدْ عَجِبْتُ دَارِيَا لِمَا شَابَ حَرَكَتَهَا وَهَيْئَتَهَا مِنْ تَبَدُّلٍ، وَلَكِنَّهَا نَسَبَتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ إِلَى انْتِشَالِهَا بِهَا فِي التَّأَهُبِ لِلسَّفَرِ، وَإِلَى انْفِعَالِهَا لَوْشِكِ مُفَارَقَةِ أَخِيهَا وَأَوْلَادِهِ الَّذِينَ كَلَّفَتْ بِهِمْ كَلْفًا شَدِيدًا، كَمَا خُيِّلَ إِلَيْهَا.

وَأخِيرًا عِنْدَمَا تَمَلَّمَتِ الْقَاطِرَةَ، وَنَفَخَتْ مَا فِي جَوْفِهَا مِنْ نَارٍ وَبُخَارٍ، وَدَعَعْتُ أَنَا أَخَاهَا وَتَهَالَكْتُ عَلَى الْمَقْعَدِ الْوَثِيرِ وَهِيَ تَتَمْتِمُ قَائِلَةً: «إِنْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَائِهِ».

وَدَنْتُ مِنَ النَّافِذَةِ، وَجَعَلْتُ تُلَوِّحُ لِشَقِيْقِيهَا مُودَّعَةً، ثُمَّ عَادْتُ تُخَاطِبُ نَفْسَهَا وَتَقُولُ: «أَلْفَ شُكْرِ لِلَّهِ، سَأَرَى غَدًا «سِيرْج» وَ«أَلِيكْسِيْسَ كَارِنِين» وَسَتَعُودُ حَيَاتِي إِلَى مَجْرَاهَا الطَّبِيعِيِّ، فَتُوضَعُ الْأُمُورُ فِي نِصَابِهَا، وَيَسْتَرِيحُ الضَّمِيرُ، وَتَقْرَأُ الْعَيْنُ».

وَمَا لَبِثْتُ أَنْ فَتَحْتُ حَقِيْبَةَ السَّفَرِ الْحَمْرَاءِ، وَتَنَاوَلْتُ مِنْ دَاخِلِهَا وَسَادَةً نَاعِمَةً صَغِيرَةً وَضَعْتَهَا عَلَى رُكْبَتَيْهَا، وَغِطَاءً دَثَّرْتُ بِهِ قَدَمَيْهَا.

وَإِلَى جَانِبِهَا كَانَتْ امْرَأَةٌ كَسِيْحَةٌ تَعِطُّ فِي نَوْمِهَا، بَيْنَمَا أَخَذَتِ امْرَأَتَانِ أُخْرَيَانِ تَتَجَادَبَانِ

أطراف الحديث.

وما لبثت المرأتان المتقدمتان في السن أن وجَّهتا الحديث إلى أنا، وشرعنا بُديانٍ ملاحظتهما عن نظام التدفئة في القطار... وقد أجابتهما أنا باقصاب.

ولما أيقنت أن حديثهما لا يُثير انتباهها بل يُسبب ضجرها، أخرجت من حقيبتها كتابًا إنكليزيًا ومقطعًا للورق، ثم طلبت من خادمتها أن تُنير المصباح وتعلقه وراء ظهرها.

ولم تستطع في أول الأمر أن تسترسل في القراءة. فقد كانت الضجة واللغط شديدين لدرجة تعدد معها على أنا أن تُركِّز أفكارها في المعاني.

وانساب القطار في سيره السريع، فاستحوذ على انتباهها ندف الثلج المتلاطم بزجاج النافذة، ثم استرعى نظرها الحرس بيززهم العسكرية... وأنصتت أخيرًا لما كان يُقال عن العاصفة الثلجية الهوجاء التي كانت تزأر غضبي في الخارج.

ومضى الوقت وأنا لا تقرأ، والأسباب التي تُبعد بينها وبين الكتاب واحدة لا تتبدل.

وعزمت في النهاية على ما عجزت عنه طويلاً، فأقبلت على الكتاب تتصفحه، ففهمت كلامه ولكنها كانت تطالع كارهة، وتحاول أن تفهم كارهة أيضاً! ولم تجد ما يُحبب إليها تتبع انعكاسات حياة غيرها على الورق بينما تجيش الرغبة في صدرها إلى الحياة، إلى الحياة الكاملة المُفعمة بمعاني الحياة ومباهجها!

فهي حينما قرأت أن بطللة القصة كانت تُمرض رجلاً سقيماً، ودت لو كانت تتحركُ بهدوء في غرفة رجلٍ برحت به العلة. وهي حينما قرأت عن عضو في البرلمان يلقي خطبةً مُستفيضةً، هفت نفسها إلى الإقدياء به في إلقاء الخطبة. وهي حينما قرأت عن عادة أذهلت الناس بجرأتها، حيل إليها أنها هي نفسها تلك الحسناء الجسورة...

ولكنها لا تفعل شيئاً، ولن تسنح لها فرصة للقيام بأي عمل.

ووضعت المقطع الصغير جانباً وقسرت نفسها ثانية على تتبع الكلام.

على أنها لم تفهم المعنى، ولا فهمت المبنى، ورأت نفسها مسوقة إلى التكبير

بموسكو، وبالحفلة الباهرة، وبفرونسكي.

وشاهدت الشاب الوسيم، وأبصرت عينيّه... ولمحت في تينك العينين المنهومتين دعوةً

وتوسلاً واستعطافاً!

وأطرقت والعرق البارد يتفصد به جبينها. وعجبت وتولاها الدهول. أتخجل؟ ولم تخجل؟ وممّ تخجل؟ هل أنت نُكراً؟ هل تعثرت بها القدم؟

كلا، كلا... ومع ذلك، فما فتئت، على الرغم من أنفها، تشعر بأنها أتت أمراً إذا^(١) يستوجب الخجل، ويقتضي الشعور بالاضطراب والبلبلة.

وألحّ عليها هذا الشعور حتى فقدت معه كل صبر التمسّته من الإرادة، وأنشأت أخيراً تحاور نفسها حتى تقيعها: «ماذا دهاني؟ وهل أنا صريعة الوهم؟ ولم أخشى الواقع؟ هل أخاف منه؟ وما معنى الشعور بتأنيب الضمير؟ هل زللت حتى أعرّض لما يشق عليّ؟ ثم، أجرى بيبي وبينه أمر ما؟ وهل يمكن أن يجري؟ كلا... كلا...».

وأضاءت فمها بسمه استخفافاً، وهزّت رأسها كأنها تنفض من ذهنها ما ألحّ عليها. وعادت إلى كتابها ثقلب صفحاته، وتحاول عبثاً أن تقرأ كلماته.

وأحسّت فجأة أنه يجب عليه، هو الآخر، أن يخجل من نفسه.

لكنها عادت تتساءل عن السبب، وهل فعل ما يوجب الخجل؟ وهل افترف ذنباً، أو أتى منكراً؟

وهزّت رأسها بانفعالٍ وغضبٍ وألقت الكتاب من يدها...

وتوقّف القطر فنهضت أنا وأشارت إلى خادميتها أن تناولها قُبعتها ومغطفها، وهمّت بالباب ففتحتُه وهي تقول: «أريد أن أسنشق الهواء الطلق، فالهواء كريمة في الداخل، وهو مُشبع بالروائح».

وهبّ الهواء البارد من الخارج ففتح وجهها، واستقبلها ندف الثلج فانتثر على قُبعتها ومغطفها... وتعاركت قليلاً مع العاصفة وهي تخرج، وسرّتها المعركة، فاندفعت غير آبهة لبرد أو مكثريّة بريح.

وصفرت الريح كأنها تُنذرُها بغضبها، لكنّها لم تعبأ بها، بل طفقت تمشي على

(١) إذا: فطياً.

الإفريز^(١)، وتَسْتَشِيقُ الهَوَاءَ البَارِدَ مِلءَ رِثْيَها .

وكانَ الرِّجَالُ يُهَزِّلونَ في حَرَكةٍ سَريعةٍ دائِيةٍ، وَهُمُ يَبَادِلونَ الحَدِيثَ وَيَضْحَكونَ .
وَرَجَعَتْ بَعْدَ دَقَائِقَ إلى المَرْكَبَةِ فَوَضَعَتْ قَدَمَها على دَرَجَتِها وَهَمَّتْ بالصُّعودِ، لَكِنَّ رَجُلًا
يَزِيدِي مِغْطَفًا عَسْكَرِيًّا مَرَّ في تِلْكَ الفِئَةِ تَحْتَ مِصْبَاحِ الإفريزِ، فَرَمَتْهُ بِنَظْرَةٍ مُتَفَرِّسةٍ، وَأَيَّقَنْتْ
والدَّهشَةَ تَعْقِلُ لِسانِها أَنَّهُ فِرونسكي .

ومالَ الفَتَى نَحَوا رافِعًا بِيدِهِ فُجِعَتْهُ عن رَأْسِهِ، وَقَالَ وَهُوَ يَنْحَنِي: «هل هُنَاكَ ما أَشْتَطِيعُ
أداءَهُ لَكَ يا سَيِّدَتِي؟»

فَرَنْتَ إليه طَوِيلًا؛ وَخُيِّلَ إليها، على الرِّغْمِ مِنَ الظُّلْمَةِ المُحِقِّقةِ بها، أَنَّها تَتَبَيَّنُ جِدًّا
نَظْرَةَ عَيْنِيهِ، وَتَعْبِيرَ وَجْهِهِ . وَكانَتْ تِلْكَ النَظْرَةُ تَتَحَدَّثُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِها عن حُبِّ وَهُيامِهِ، بل
عن تَقْدِيسِهِ لها! وَكانَتْ قَسَماتُهُ وَأَمازُؤُهُ تَشِي كُلُّها بِخُصُوعِهِ التَّامِّ وَتَسْلِيهِهِ المُطْلَقِ!

ما أَكْثَرَ المَرَّاتِ الَّتِي أَكَدَّتْ فيها لِنَفْسِها أَنَّ ما بَيْنَها وَبَيْنَ فِرونسكي لا يَتَعَدَّى ما بَيْنَها
وَبَيْنَ سائِرِ الرِّجالِ الَّذِينَ تَعْرِفُ، وَأَنَّها لَنْ تَسْمَحَ لِنَفْسِها أَبَدًا أَنْ تَشْغَلَ رَأْسَها بِالتَّفْكيرِ
فيهِ . . . إِلاَّ أَنَّها ما كادَتْ تَلْمَحُهُ الآنَ حَتَّى دَهَمَها شُعورٌ عارِمٌ بِالمَسْرَةِ والغِبطَةِ . ولم تَكُنْ
في حاجَةٍ لِتَسْأَلَ عن سَبَبِ مَجِيئِهِ، فَهِيَ واثِقَةٌ مِنْ أَنَّهُ شَعَرَ بِوُجُوبِ الدَّهابِ إلى حَيْثُ
تَذْهَبُ هِيَ .

وما عَتَمَتْ أَنْ قالَتْ وَهِيَ تُقْطَبُ: «لِمَ أَعْلَمُ أَنَّكَ مُسافِرٌ كَذاكَ، فِلمَ جِئْتَ؟ وماذا
جَعَلَكَ تُعادِرُ موسكو؟»

وَبَرَّقَتِ السَّعادَةُ في عَيْنِها كَوَاضِيةٍ مِنْ نارٍ، وَشَعَّ وَجْهُها حَتَّى لَكانَ هالَةً مِنْ هِنائِ تَتَكَوَّنُ
حَولَهُ .

وَأجابَ الفَتَى بِجأشٍ رابِطٍ: «تَسأَلِينِي عَنِ السَّبَبِ؟ أَمَّا تَعَلِّمِينَ أَنِّي جِئْتُ لِكَيِ الأِزْمَكِ؟
أَمَّا تَدْرِينَ أَنْ لا حِيلةَ لي في ذَلِكَ؟»

وَزَارَتِ الرِّيحُ، وَتَساقَطَتْ دُفْعَةً عَظيمةً مِنَ التَّلْجِ، وَأَزْدَفَ هُوَ يَقولُ بِصوتِ مَهْموسٍ
ذَلِيلٍ: «إِضْغَحي عَنِّي، وَلا تَغْضَبِي لِقَوْلِي، فِما قُلْتُ إِلاَّ الصِّدْقُ!»

(١) الإفريز: الرِّصيف .

لقد تكلّم بمَدَلَّةِ العاشِقِ، وَلَكِنَّ صَوْتَهُ كَانَ يَحْمِلُ فِي طَيَّابِهِ الكَثِيرَ مِنَ العِنَادِ والإِضْرَارِ،
بِلِ المَزِيدِ مِنَ العُزْمِ.

وقالَتِ أخيراً وهي تُقاوِمُ مَعْرَكَةَ نَسَبَتْ فِي داخِلِها: «هَذَا خَطَأً، لَقَدْ أَخْطَأْتُ كَثِيراً،
وَأَرْجوكَ، بَلِ أَضْرَعُ إِلَيْكَ أَنْ تَنْسَى ما قُلْتُ كما أَنِي سَأَنْسَاهُ أَنَا».

قالَ: «دُونَ هَذَا خَرَطُ القَتادِ، وَلِنِ أنسى، لِنِ أنسى ولو حاوَلْتُ النِّسيانَ. كُلُّ كَلِمَةٍ نَطَقَ
بِها فَمَكِّ، وَكُلُّ نَظْرَةٍ رَمَتْها عَيْنَاكَ، قَدْ حُفِرَ حَفْراً فِي عَقْلي وَقَلْبِي!»

فَهَتَمَتْ بِصَوْتِ مُتَهَدِّجٍ: «كَفَى... كَفَى...».

وحاوَلَتْ عَبَثاً أَنْ تُكْسِبَ وَجْهَها، الَّذِي كانَ يَرْمُقُها بِشَغَفٍ وَحُبٍّ، مَطْهَرِ العَضْبِ
والتَّبْرَمِ.

وما أَبْطَأَتْ بَعْدَما أَخْفَقَتْ فِي مُحاولِها أَنْ قَفَزَتْ إِلى داخِلِ العَرَبِيةِ. وَلَكِنَّها ما كادَتْ
تَدُ نَفْسَها وَحيدَةً فِي المَمَرِ حَتَّى تَرَيَتْ تُفَكِّرُ بما وَقَعَ لَها الآنَ... وَمَعَ أَنَّها لَمْ تَتَذَكَّرْ ما
قالَهُ وما قالَتْهُ، أَيقِنَتْ أَنَّ هَذِهِ المُقابِلَةَ العائِرةَ قَدْ أَذْنَتْ أَحَدَها مِنَ الأَخْرِ لَدَرَجَةِ مُخيفَةٍ؛
فَلَهَيْتْ نَفْسَها، لَكِنَّها فَرِحَتْ وَتَوَلَّتْها مَسْرَّةً!

وَدَلَقَتْ إِلى مَقْصُورِها وَتَهالَكَتْ عَلى المَقْعَدِ، وَهِيَ نُهَبَةٌ لِمَشايرِ شَتَى وَخَلْجاتِ كَثِيرةِ.
وَقَضَتْ ساعِاتِ اللَّيْلِ بِطولِها ساهِرةً لا يَغْمُضُ لَها جَفَنٌ. وَلَكِنَّ، فِي كُلِّ ما مَرَّ عَليها فِي
تِلْكَ اللَّيلةِ، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَيْءٌ مُزِعِجٌ أو مُفْزِعٌ، بَلِ كانَتْ أَفكارُها شِيبَةً بِأَحْلامِ حُلُوةِ
عَذِيةِ، وَكَأَنَّ الدُّنيا كانَتْ تَمَخَّضُ لَها عَن سَعادَةٍ لَمْ تَسْبِرْ لَها غُوراً مِنَ قَبْلِ.

وَفِي ساعَةِ الصُّبْحِ الباكِرِ غَلَبَها الكَرى عَلى أَمْرِها، فَاسْتَسَلَمَتْ لِلوَسَنِ^(١)، وَلَمْ تَسْتَيْقِظْ
إِلَّا وَالِقِطارُ يُسْرِفُ عَلى أَرِياضِ بِطرسِبرجِ.

وَوَصَلَ القِطارُ أخيراً إِلى المَحْطَةِ، وَلَمَّا دَنَا مِنْها رَوَّجُها، رَمَقَتْهُ بِنَظْرَةٍ فَاحِصَةٍ، وَرَأَتْ
أُذُنَيْهِ، وَكانَتْ تَراهُما لِأوَّلِ مَرَّةٍ فِي حَياتِها، وَتَساءَلَتْ مُتَعَجِّبَةً عَن سَبَبِ بُروزِ هاتِئِنِ الأُذُنَيْنِ،
وَصرامَةِ هَذَا الوَجْهِ، وَافْتِقادِ رَواجِها إِلى الوِسامَةِ وَالقِسامَةِ وَالجاذِبِ!

وَعاجَلْها رَواجِها بِالتَّجِيةِ وَهُوَ يَبْتَسِمُ ابْتِسامَتَهُ الساخِرَةَ التَّقْليدِيَّةَ، وَيَحْدِجُها بِنَظْرَةٍ مُتَفَرِّسَةٍ
مُتَأَمِّلَةٍ.

(١) الوَسَنُ: شِدةُ التُّعاسِ.

وقد شعرت على التوَّ بشيءٍ يَضْغَطُ على فؤادها، وامْتَعَصَتْ، وكأنَّها كانت تتوقَّع أن ترى شيئاً آخر، أن تراه في شكلي آخر وأن تلقاه بعاطفةٍ أخرى . . .

وكانَ لهذا شعورها الملازم لها كلُّما اجتمعت إلى زوجها، إلاَّ أنَّها لم تعرف كُنْهه قبلَ اليوم، أو على الأصحَّ لم تحُدس حقيقته إلاَّ بعد اتِّصالها بفرونسكي!
وقالَ الرَّجُلُ: «أجل، ها أنذا زَوْجِكِ المُخْلِصُ الأَمِينُ، آتي بِنَفْسِي وكُلِّي شَوْقِي إلى اسْتِقبالِك!»

ولم يخلُ صَوْتُهُ مِن لَهجَةِ التَّهَكُّمِ الَّتِي تَعْهَدُهَا فِيهِ، وَإِنْ كَانَتْ تُعَبِّرُ تَمَامًا عن صِراحيهِ ومشاغِرِهِ الصَّادِقَةِ . . .

وقالَتْ: «وسيرج؟ أهو في صحَّةٍ جيِّدة؟»

قالَ: «وهل هذه مكافأتك لي على شوقي؟ إنَّه في أحسنِ حالٍ».

أما فرونسكي فلم يُحاولِ أن ينامَ في تلكَ اللَّيْلَةِ. وقد لَزِمَ مَفْعَدَهُ وهو يَرُقُبُ كُلَّ حَرَكَةٍ. كانَ بِشَخْصِيَّتِهِ القَوِيَّةِ يُؤَثِّرُ في النَّاسِ بِطَبِيعَتِهِ الَّتِي تُوحِي بِالصَّرَامَةِ وَعَدَمِ التَّرَدُّدِ، أما ما انطَبَعَ على أساريهِ^(١) اللَّيْلَةَ فَهوَ العَزْمُ والإِضْرَارُ. وقد جَعَلَ يَنْظُرُ إلى النَّاسِ كَأَنَّهُمْ أَشْيَاءٌ. وشَعَرَ نَحْوَهُ بِالكَرَاهِيَةِ مُوظَّفٌ صَغِيرٌ كانَ يَجْلِسُ قُبائِلَتَهُ، وكانَ مَبْعَثَ كُرْهِهِ نَظْرَتُهُ المُتَحَدِّثَةُ المُخْتَفِرَةُ. وطلَبَ مِنْهُ المُوظَّفُ نارًا، ثُمَّ حَاولَ أن يُجاذِبَهُ أَطْرَافَ الحَدِيثِ. وتَعَمَّدَ أخيرًا أن يَميلَ عَلَيْهِ حَتَّى يُشْعِرَهُ بِأَنَّهُ لَيْسَ مُجَرَّدَ شَيْءٍ بل إنسانٌ مِثْلُهُ.

بيدَ أنَّ فرونسكي نَظَرَ إِلَيْهِ كما يَنْظُرُ إلى المِصباحِ، فَجَهَّمَ وَجْهَ الفَتَى، وشَعَرَ بِأَنَّهُ بَدَأَ يَفْقِدُ يَقْتَهُ بِنَفْسِهِ تَحْتَ وَطْأَةِ هَذِهِ النِّظَرَاتِ الَّتِي تَأْبَى أن تَعْرِفَ بِهِ كإنسانٍ.

لم يُبصِرْ فرونسكي شيئاً، ولم يُبصِرْ أَيَّ إنسانٍ. وشَعَرَ أَنَّهُ مَلِكٌ، لَيْسَ لَظْنِهِ أَنَّهُ اسْتَرَعى انْتِباةَ أَنَا وأَثَرَ فِيهَا، فَهُوَ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَذَا بَعْدُ، بل لِأَنَّ التَّأثيرَ الَّذِي أَحْدَثْتَهُ أَنَا في قَلْبِهِ وشُعورِهِ سَبَبٌ لَهُ السَّعَادَةَ والإِعْتِزَالَ وكثيرًا مِنَ الإِعْتِدَادِ.

وتراءى لَهُ أَنَّ قِوَاهُ الَّتِي كَانَتْ في المَاضِي مُوزَعَةً مُبَدَّدةً مُشْتَتَّةً، قد تَأَلَّفَتِ الآنَ وَتَجَمَّعَتْ، واتَّجَهَتْ إلى نَاحِيَةٍ واحِدَةٍ، إلى هَدَفٍ فَرْدٍ. وقد سَرَّهُ ذَلِكَ، وَعَلِمَ فَقَطُ أَنَّهُ

(١) أساريِر: حُطوطٌ في الجَبْهَةِ.

صَدَقَهَا الْحَبْرَ، وَأَنَّهُ جَاءَ إِلَى حَيْثُ تُقِيمُ، وَأَنَّ مَعَانِي حَيَاتِهِ، وَسَعَادَتِهِ، وَمَسْرَرَتِهِ، تَتَوَقَّفُ جَمِيعًا عَلَى اسْتِجْلَاءِ طَلْعَتِهَا وَإِلِضْغَاءِ إِلَى نَبْرَتِهَا.

ولم يُخْفِ عَنْهَا الْحَقِيقَةَ سَاعَةَ الْقَاهَا لَدَى مَخْرَجِ عَرَبِيَةِ الْقِطَارِ، بَلْ جَهَرَ بِمَا يَكُنُّ لَهَا فِي صَدْرِهِ... وَسَرَّهُ ذَلِكَ، سَرَّهُ يَقِينُهُ بِأَنَّهَا مُحِيطَةٌ بِمَا يَضُمُّ لَهَا بَيْنَ جَوَانِحِهِ.

وَوَصَلَ الْقِطَارُ إِلَى بَطْرَسِرْجِ فَرَجَلٍ مِنْهُ وَهُوَ يَشْعُرُ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَرْقِهِ وَتَسْهُدِهِ، بِالْقُوَّةِ وَالنَّشَاطِ. وَوَقَفَ فِي مَكَانٍ يَرُقُبُ نُزُولَهَا وَهُوَ يُعْمَى نَفْسَهُ بِرُؤْيَيْهَا وَسَمَاعِ صَوْتِهَا. وَلَكِنَّهُ قَبْلَ أَنْ يُبْصِرَ بِهَا، وَقَعَ طَرْفُهُ عَلَى زَوْجِهَا الَّذِي كَانَ يَمْشِي مَرْفُوعَ الرَّأْسِ يَتَّبِعُهُ نَاطِرُ الْمَحْطَةِ. فِي تِلْكَ الْفَيْتَةِ فَقَطُ تَذَكَّرَ فَرُونْسْكَي أَنَّ هُنَاكَ إِنْسَانًا مُتَّصِلًا بِهَا اتِّصَالًا وَشَيْجًا، وَأَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ هُوَ زَوْجُهَا.

زَوْجُهَا!... كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ لَهَا قَرِينًا، لَكِنَّهُ أَتَكَرَّ وَجُودَهُ وَلَمْ يَعْرِفْ بِهِ. وَرَأَهُ الْآنَ، وَرَأَى رَأْسَهُ الْمَرْفُوعَ، وَمَنْجَبِيَّهُ، وَسِرْوَالَهُ الْأَسْوَدَ الضَّيِّقَ... وَرَأَى يَدَهُ تَمْتَدُّ إِلَيْهَا وَتَقْبِضُ عَلَى ذِرَاعِهَا بِثِقَةٍ، كَمَا يُمْسِكُ الْإِنْسَانُ مَتَاعًا لَهُ يَمْلِكُهُ مِنْ دُونِ سِوَاهُ.

وَشَعَرَ بِمِثْلِ مَا يَشْعُرُ بِهِ رَجُلٌ بَرَّحَ بِهِ الظَّمَا، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَتَهْلِ عِلِمَ أَنَّ كَلْبًا قَدْ وَلَعَ فِيهِ، وَلَوَّثَ مَاءَهُ!

واضطربَ فَرُونْسْكَي اضطرابَ الْأَشْمِثْرَازِ حِينَ رَأَى كَارْنِينَ بِقَدَمَيْهِ الضَّخْمَتَيْنِ وَيَدَيْهِ الْمُهْتَزَّتَيْنِ. أَمَا هِيَ، فَكَعَّهَدِهِ بِهَا جَمِيلَةٌ فَاتِنَةٌ، وَمَنْظَرُهَا يُبِيرُهُ وَيَهْيِجُهُ وَيَمْلَأُ رُوحَهُ أَمَلًا وَيَأْسًا، أَجَلَ أَمَلًا وَيَأْسًا!

وَأِنَّهُ لَيْسَتْ عَرَضُ بِنَاطِرِيهِ وَجَهَ أَنَا وَهِيَ تَتَحَدَّثُ إِلَى زَوْجِهَا، وَيَتَّبِعُ خِلْسَةً الْأَنْطِبَاعَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ عَلَى أَمَايِرِهَا الدَّقِيقَةِ، إِذْ شَعَرَ بَعْتَهُ بِالثَّقُورِ الشَّدِيدِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الدَّخِيلِ! أَلَيْسَ هُوَ بِالْدَّخِيلِ؟ أَلَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ الَّتِي غَزَتْ قَلْبَهُ فِي لَحْظَةٍ خَاطِفَةٍ؟!

وبدا له مِمَّا رَأَهُ أَنَّ أَنَا بَعِيدَةٌ كُلُّ الْبُعْدِ عَنْ زَوْجِهَا بِمَشَاعِرِهَا وَأَفْكَارِهَا، وَأَنَّهَا تَعِيشُ فِي مَنَآيِ عَنَتِهِ لَا يَصِلُهَا بِهِ إِلَّا رَابِطَةُ الزَّوْجِيَّةِ، أَمَا الْعَاطِفَةُ فَلَيْسَ لَهَا فِي قَلْبِهَا وَجُودٌ.

فَهِيَ لَا تُحِبُّهُ، وَهِيَ لَنْ تُحِبَّهُ أَبَدًا.

وسرَّه هذا الْإِكْتِشَافَ فَتَقَدَّمَ نَحْوَهُمَا بَطِينًا مُتِّدًّا. وَأَيَقِنَ، وَنَفْسُهُ جَدَلِي، أَنَّهَا شَعَرَتْ بِهِ.

يَدْنُو مِنْهَا، فَتَمَلَّمْتُ فِي مَكَانِهَا، وَكَأَنَّهَا تَوَدُّ أَنْ تَلْتَفِتَ، وَلَكِنْ لَا تَجْرَأُ. وَوَأَصَلَّتْ حَدِيثَهَا مَعَ زَوْجِهَا، وَانْتَظَرْتُ. أَجَلٌ، هَذَا مَا أَتَقَنَّ بِهِ... إِنْتَظَرْتُ.

وَقَالَ وَهُوَ يَنْحَنِي مُسَلِّمًا بِاخْتِرَامٍ: «عَسَى أَنْ تَكُونِي قَدْ قَضَيْتِ لَيْلَةَ مُرِيحَةٍ فِي الْقِطَارِ يَا سَيِّدَتِي؟»

وَعَضَّتِ الْفَاتِنَةُ مِنْ عَيْنَيْهَا قَلِيلًا، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا... فَلَمْ يَرَ فِي أَسَارِيرِهَا مَا رَأَهُ قَبْلًا مِنْ نَظَرَاتِ الدُّعَابَةِ وَالْمُزَاحِ، بَلْ شَاهَدَ عِرْضًا مِنْ ذَلِكَ، شُعْلَةً عَجِيبَةً تَضْطَرِّمُ بِهَا عَيْنَاهَا لَحْظَةً خَاطِئَةً، وَلَكِنَّهَا كَافِيَةٌ، بَلْ فِيهَا مَا يَفُوقُ كُلَّ تَعْرِ وَنَظْمٍ، فِيهَا آيَةُ الْحُبِّ الْكُبْرَى، وَشُعْلَتُهُ الْخَالِدَةُ الَّتِي لَا تَحْمَدُ وَلَا تَنْطَفِئُ.

وَالْتَفَتَ الزَّوْجُ إِلَى فِرُونْسْكِ، وَلَمَعَتْ عَيْنَاهُ كَمَنْ يَتَلَهَّبُ غَيْظُهُ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ شَزْرًا^(١)، وَجَعَلَ يَقْدَحُ زِنَادَ ذَاكِرَتِهِ لَعَلَّهُ يَحْدُسُ مَنْ يَكُونُ هَذَا مِنَ النَّاسِ.

لَقَدْ تَلَاقَى فِي تِلْكَ الْفَيْئَةِ يَدَانِ^(٢) مُتَكَافِئَانِ، وَقَرْنَانِ مُتَعَادِلَانِ. وَاصْطَدَمَتْ إِرَادَةُ هَذَا بِإِرَادَةِ ذَاكَ، فَتَفَرَّ هَذَا مِنْ ذَاكَ. لَكِنَّ أَنَا سَارَعْتُ تَقُولُ وَهِيَ تُحَاوِلُ أَنْ تُتَقَدَّ الْمَوْقِفَ: «ذَرْنِي يَا عَزِيزِي أَقْدِمْ لَكَ الْكُونَتَ فِرُونْسْكِ...».

فَقَاطَعَهَا زَوْجُهَا بِرُودٍ وَهُوَ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى فِرُونْسْكِ: «يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنِّي أَعْرِفُكَ، أَمَا تَقَابَلْنَا مِنْ قَبْلُ؟» وَاسْتَدَارَ إِلَى زَوْجِهِ، وَأَزْدَفَ بِاللَّهْجَةِ نَفْسِهَا: «لَقَدْ ازْتَحَلْتِ مَعَ الْأُمِّ وَعُدْتِ مَعَ الْإِبْنِ كَمَا أَرَى...».

وَلَمْ يَفْتُهَا الْمَعْنَى الَّذِي رَمَى إِلَيْهِ زَوْجُهَا، لَكِنَّهَا تَغَاضَتْ مُتَجَلِّدَةً، وَلَمْ تُقَلِّ كَلِمَةً. وَمَضَى زَوْجُهَا يَقُولُ وَهُوَ يَنْشِي إِلَى فِرُونْسْكِ: «أَلَمْ يَبْقَ لَكَ مَأْرَبٌ فِي مُوسْكَو حَتَّى رَجَعْتَ، أَمْ إِنَّكَ قَادِمٌ فِي إِجَازَةٍ؟»

وَعَجَّلَ يُخَاطِبُ زَوْجَهُ: «مَا أَضْعَبَ الْفِرَاقَ يَا عَزِيزَتِي! أَلَمْ تَذْرِفِي الدَّمُوعَ سَاعَةَ غَاذَرْتِ مُوسْكَو؟»

وَكَانَ يَقْصِدُ مِنْ كَلِمَاتِهِ أَنْ يُنَبِّهَ فِرُونْسْكِ إِلَى رَغْبَتِهِ فِي التَّمَرُّدِ بِزَوْجِهِ. بَيِّنْ أَنَّ الشَّابَّ

(١) نَظَرَ إِلَيْهِ شَزْرًا: نَظَرَ إِلَيْهِ بِجَانِبِ عَيْنِهِ مُعْرِضًا عَنْهُ.

(٢) النَّدَانِ: النَّطْرَانِ، الْمُتَمَايِلَانِ.

تَجَاهَلَ الْغَايَةَ وَضَرَبَ صَفْحًا عَنِ الْمَرْمَى، وَقَالَ: «لَشَدَّ مَا أَتَلَّهْتُ إِلَى زِيَارَتِكُمْ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ يَا سَيِّدَتِي!»

فَحَدَجَهُ كَارْنِينُ بَعَيْنِ اللَّائِمِ الْمُتَبَرِّمِ، وَقَالَ: «ثِقْ أَنْ زِيَارَتَكَ تَجْلِبُ لَنَا الْمَسْرَةَ يَا سَيِّدِي، وَنَحْنُ نَمُكُّ فِي الْبَيْتِ دَائِمًا يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ».

وَاسْتَدَارَ كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُشْعِرَهُ بِأَنَّهُ لَا يَزْعَبُ فِي مُتَابَعَةِ الْحَوَارِ، ثُمَّ تَأَبَّطَ ذِرَاعَ زَوْجِهِ وَقَالَ: «أَكْثَرَ مَا يُسْعِدُنِي يَا عَزِيزَتِي انْتِهَابُ دَقَائِقَ مِنْ وَقْتِي لِأَرَاكِ فِيهَا، وَأَمَلِي طَرْفِي فِي حُسْنِكَ، وَأَمْتَعْ نَفْسِي بِالْإِضْغَاءِ إِلَى كَلِمَاتِكَ».

فَقَالَتْ مَارِحَةَ: «لَا تُبَالِغْ فِي وَضْفِ إِخْلَاصِكَ، فَأَنَا لَا أَقْدِرُ الْأُمُورَ بِمَا تَسْتَحِقُّهَا!» وَأَنْصَتَتْ مِنْ دُونِ انْتِبَاهٍ إِلَى خُطُوبَاتِ فَرُونَسْكِ الْمُتَبَعِدَةِ، وَشَعَرَتْ أَنَّ قَلْبَهَا يُرَافِقُهُ، وَأَنَّ رَوْحَهَا عَصَتْ جَسَدَهَا، وَعَصَتْ عَقْلَهَا، وَانْتَزَعَتْ فَرْعَهَا مِنْ جَذْرِهَا لِتَلْحَقَ بِرَوْحِهِ، وَتَضْحَبَ رَوْحَهُ، وَتُوَاكِبَ هَذِهِ الرُّوحَ الْحَبِيبَةَ.

إِنَّ لِشِبَابِهِ بُرْدًا قَشِيًّا^(١)، وَإِنَّ لِرِيَّاهُ^(٢) أَرْجَ الْعُضَنِ الرَّطِيبِ. وَلَكِنَّهَا اسْتَشْعَرَتْ النَّدَمَ، وَشَاءَتْ أَنْ تَتَدَارَكَ الْأَمْرَ، فَسَأَلَتْ زَوْجَهَا عَنِ وِلْدَانِ «سِيرَجٍ»، وَعَنِ صِحَّتِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ.

فَمَا كَانَ مِنَ الرَّجُلِ الرَّصِينِ إِلَّا أَنْ أَجَابَهَا مُبْتَسِمًا: «رَوْتُ لِي الْحَاضِنَةَ مَارِيئًا أَنَّهُ لَمْ يُفْرِطْ قَطُّ فِي الْمَرَحِ وَالشُّرُورِ كَمَا أَفْرَطَ فِي أَثْنَاءِ غِيَابِكَ، وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ زَوْجَكَ هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي افْتَقَدَكَ».

فَفَرَقَرَتْ أَنَا ضَاحِكَةً، وَاسْتَلْتِي هُوَ يَقُولُ: «وَمِمَّةً إِنْسَانٌ آخِرُ كَانَ لَا يَفْتَأُ يَسْأَلُ عَنكَ، وَكَأَنَّهُ يَتَعَجَّلُ أَوْبَتِكَ، وَهَذَا الشَّخْصُ هُوَ صَدِيقَتُكَ «الْكُونْتِسْ لِيديا إيفانوفنا»».

وَصَمَّتْ فَيْتَهُ، ثُمَّ أَرْدَفَ كَمَنْ يَتَذَكَّرُ شَيْئًا غَابَ عَنْهُ: «وَهَلْ صَادَقَكَ التَّوْفِيقُ فِي مُهِمَّتِكَ؟ هَلْ نَجَحَتْ حَيْثُ أَخْفَقَ غَيْرُكَ؟»

فَلَاخَ الْبِشْرِ عَلَى مُحَيَّاها وَأَجَابَتْ: «كُلُّ التَّوْفِيقِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. لَقَدْ كَانَ الْخِصَامُ عَلَى أَشَدِّهِ بَيْنَ أُوْبَلِنْسْكِ وَزَوْجِهِ، وَلَوْلَا وُجُودِي لِانْفِصَلَ الْإِثْنَانِ وَتَصَدَّعَ الْبُنْيَانُ وَتَشَقَّتِ الْأُسْرَةُ».

(١) قَشِيًّا: جَدِيدًا نَظْفِيًّا.

(٢) رِيَّاهُ: رَائِحَتُهُ الطَّيِّبَةُ.

وَطَفِقَتْ تَقْصُّ عَلَيْهِ بِالتَّفْصِيلِ دَقَائِقَ رِحْلَتِهَا بِرِفْقَةِ الكونتس فرونسكي إلى موسكو، وما شَاهَدَتْهُ مِنْ حَادِثٍ مُرَوِّعٍ فِي المَحْطَّةِ.

وقالَ زَوْجُهَا بَعْدَ انْتِهَائِهَا مِنْ سَرْدِهَا: «إِنِّي وَأَيْمُ الحَقِّ لَا أَجِدُ مَا أَعْلَلُّ بِهِ جُنُوحَ أَخِيكَ سِوَى مِيلِهِ إِلَى المُنْتَعَةِ المَحْرَمَةِ، وَاللَّذَّةِ المُبْتَدَلَةِ الَّتِي لَا يَسْتَسِيغُهَا كُلُّ ذِي حِصَافَةٍ وَإِرَادَةٍ».

فَرَنْتُ إِلَيْهِ أَنَا مُبْتَسِمَةً مُتَّفَكِّرَةً. إِنَّهُ كَعَهْدِهَا بِهِ صَارِمٌ فِي نَظَرْتِهِ وَتَفْكِيرِهِ، عَنِيدٌ فِي مَبْدِئِهِ، لَا يُطِيقُ الإِنْجِرَافَ، وَلَا يَخْشَى مِنْ قَوْلِ الحَقِّ، وَلَوْ كَانَ ضِدًّا أَقْرَبِ المُقَرَّبِينَ إِلَيْهِ، بَلْ لَوْ كَانَ ضِدَّهُ هُوَ بِالذَّاتِ. وَكَانَتْ أَنَا تُكْبِرُ فِيهِ هَذِهِ العَادَةُ؛ كَانَتْ تَثِقُ بِهِ وَتَحْتَرِمُهُ لِخُلُقِهِ وَطَبْعِهِ. فَهَوَ لَا تَرَوْقُهُ المَبَاذِلُ الَّتِي يَنْعَمُ فِيهَا سِوَاهُ مِنَ الرِّجَالِ، وَهُوَ يَأْنَفُ مِنْ مُصَادَقَةِ أَيِّ كَانَ، مَتَى ارْتَابَ فِي أَمْرِهِ وَتَوَايَاهُ.

وقالَ الرَّجُلُ: «عَلَى أَنِّي مَسْرُورٌ لِنَجَاحِكَ فِي إِزَالَةِ العِمَامَةِ الَّتِي ظَلَلْتُ سَمَاءَ العَائِلَةِ».

إِنَّ شُعَاعَ الرَّجُلِ يَدُلُّ عَلَى شَمْسِيهِ، وَإِنَّ هُدُوءَهُ فِي القَوْلِ وَالتَّفْكِيرِ لَأَبْلَغُ دَلِيلٍ عَلَى رِجَاحَتِهِ وَاتِّزَانِهِ... وَقَدْ خَجِلْتُ أَنَا سَاعَةً انْتَنَى يَقُولُ بَعْتَهُ: «أَخْبِرْنِي يَا عَزِيزَتِي عَنْ مَوْقِفِ الأَهْلِينَ فِي مُوسْكَو حِيَالِ التَّجْنِيدِ الإِجْبَارِيِّ الَّذِي أَنْزَلْتُ مَوْضوعَهُ أَحْزِينًا فِي الحُكُومَةِ».

أَجَلٌ، خَجِلْتُ أَنَا لِأَنَّهَا أَهْمَلْتُ شَأْنَ زَوْجِهَا، فَلَمْ تُفَكِّرْ فِيهِ دَقِيقَةً، وَلَمْ تُحَاوِلْ سَبْرَ آرَاءِ النَّاسِ فِي مَا يَعْنِي زَوْجُهَا مِنْ أُمُورِ السِّيَاسَةِ. بَيِّدَ أَنَّهَا، وَقَدْ كَانَتْ تَعْرِفُ فِي زَوْجِهَا مَيْلَهُ إِلَى الإِطْرَاءِ وَالثَّنَاءِ، طَفِقَتْ تَسْأَلُهُ بِحَمِيَّةٍ وَحَمَاسَةٍ عَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ مَشْرُوعُهُ، وَعَنِ المَرَاجِلِ الَّتِي مَرَّ فِيهَا، وَيَنْتَظِرُ أَنْ يَمُرَّ فِيهَا فِي أَثْنَاءِ الأَيَّامِ المُقْبِلَةِ.

وَسُرَّ كَارْنِينُ لِإِقْبَالِ زَوْجِهِ عَلَيْهِ وَإِظْهَارِهَا كُلِّ هَذِهِ الحَمَاسَةِ، فَأَجَابَ: «إِنَّ مَشْرُوعِي يَا عَزِيزَتِي، وَليدُ تَفْكِيرٍ وَإِعْدَادٍ طَوِيلَيْنِ، لِهُذَا لَمْ يَدْهَشْنِي مَا لَقِيْتُهُ مِنْ مُعَارَضَةٍ وَتَأْيِيدٍ. وَإِنَّ المُعَارَضَةَ وَالتَّايِيدَ لَيَدُلَّانِ عَلَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ أَمْرُ النَّاسِ مِنْ إِجْبَابِهِمْ عَلَى بَحْثِ الأُمُورِ مَلِيًّا وَوَزْنِهَا بِمِيزَانِ العَقْلِ وَالتَّمْيِيزِ الحَسَنِ».

وَنَظَرَ إِلَى سَاعَتِهِ، وَأَرْدَفَ: «أَمَّا الآنَ فَأَنَا ذَاهِبٌ، يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى عَمَلِي، وَثَقِي أَنِّي جِدُّ مُعْتَبِرٌ لِعَوْدَتِكَ».

فَتَمَتَّتْ بِصَوْتِ خَافِتٍ: «لِثَرَاظِكَ السَّلَامَةَ يَا زَوْجِي!»

وَأَتْبَعْتُهُ نَظْرَهَا، وَنَاجَتْ نَفْسَهَا: «خَيْرُ الرَّجَالِ... أَفْضَلُ الْأَزْوَاجِ... بَارِعٌ، بَارِزٌ، مُخْلِصٌ».

فهل تَوَخَّتِ مِنْ كَلِمَاتِهَا أَنْ تُرَجِّحَ كَيْفَتَهُ عَلَى كَيْفَةِ سِوَاهُ؟ هل تُحَارِبُ إِحْسَاسًا غَامِضًا يَصْرِفُهَا عَنْهُ صَرْفًا شَدِيدًا؟

وَقَالَتْ فَجَاءَةً: «غَيْرَ أَنَّ أُذُنَيْهِ، أُذُنَيْهِ، لِمَاذَا طَالَتَا وَانْتَفَخَتَا؟ هل حَلَقَ شَعْرَ رَأْسِهِ؟ هل أَرَالَ كَثِيرًا مِنْهُ؟!»

وَانْتَقَلَتْ بِمُخَيَّلَتِهَا إِلَى فِرُونَسْكِ، فَرَأَتْهُ، وَأَعْجَبَتْ بِهِ، وَتَسَاءَلَتْ مُغْضَبَةً: «تَبَّأَ لَهُ كَيْفَ نَظَرَ! كَيْفَ نَظَرَ إِلَيَّ!»

وَهَزَّتْ رَأْسَهَا، وَاسْتَقَلَّتِ الْعَرَبَةَ.

وَلَمَّا تَرَجَّلَتْ أَمَامَ مَنْزِلِهَا هُرِعَ إِلَيْهَا ابْنُهَا سِيرْجُ، فَضَمَّتَهُ إِلَيْهَا فِي حُبِّ وَشَوْقٍ، وَطَبَعَتْ عَلَى وَجْهِهِ قُبْلَةً أَوْدَعَتْهَا أَعْلَى عَاطِفَةٍ، قُبْلَةً مُخْلِصَةً لَا زَيْفَ فِيهَا وَلَا رِيَاءَ... قُبْلَةً أُمَّ!

وَمَا لَبِثَتْ بَعْدَ سَاعَةٍ أَنْ أَقْبَلَتْ عَلَى مَلَابِسِهَا تَسْتَخْرِجُهَا وَتُرْتِبُهَا، ثُمَّ فَضَّتِ الرَّسَائِلَ الَّتِي وَرَدَتْ إِلَيْهَا فِي أَثْنَاءِ غَيْبَتِهَا. وَلَمَّا فَرَعَتْ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ انْهَمَكَتْ فِي تَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ، وَالْإِشْرَافِ عَلَى شُؤُونِهِ.

وَفَاءَتْ^(١) إِلَى نَفْسِهَا وَعَاوَدَتْهَا طَمَأْنِينَتُهَا؛ فَهِيَ مَلْجَأٌ أَمِينٌ، هُنَا لَا تُسَاوِمُهَا عَيْنٌ جَمِيلَةٌ وَلَا وَجْهٌ وَسِيمٌ، هُنَا مَمْلُكَتُهَا الصَّغِيرَةُ. وَنَسِيَتْ فِرُونَسْكِ، وَنَسِيَتْ حَجَلَهَا، وَنَسِيَتْ تَأْنِيبَ ضَمِيرِهَا، وَمَا فَكَّرَتْ إِلَّا فِي بَيْتِهَا وَفِي وَلَدِهَا وَزَوْجِهَا.

وَشَرَعَتْ بَعْدَ قَلِيلٍ تَسْخَرُ مِنْ نَفْسِهَا. كَيْفَ تُعْجَبُ بِشَابِّ لَمْ تَرَهُ إِلَّا مَرَاتٍ؟ ثُمَّ كَيْفَ تُفَكِّرُ فِيهِ وَكَلَامُهُ لَيْسَ فِيهِ إِعْرَاءٌ وَلَا بَارِقَةٌ ذَكَاءٌ؟ وَقَالَتْ تُنَاجِي نَفْسَهَا: «وَالْأَجْدَرُ بِي أَنْ أُزِيلَ مِنْ ذَاكِرَتِي مَا صَادَفَنِي وَمَا طَرَّقَ سَمْعِي، فَلَا أَحَدٌ زَوْجِي بِأَمْرِ تَافِهِ لَا يَسْتَأْهِلُ التَّفْكِيرَ».

وَصَحِحَتْ سَاعَةٌ اسْتَعَادَتْ إِلَى الذَّاكِرَةِ حَادِثَةً مَرَّتْ بِهَا مِنْذُ سَنَةٍ، وَأَثْبَتَتْ لَهَا أَنَّ زَوْجَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ الْجَانِبِ يَتَّقُ بِهَا وَيَتَّقُ بِنَفْسِهِ...

فَقَدْ عَلِقَ بِهَا شَابٌّ يَعْمَلُ تَحْتَ إِمْرَةِ زَوْجِهَا، وَجَعَلَ فِي كُلِّ مُنَاسِبَةٍ يَتَوَدَّدُ إِلَيْهَا، ثُمَّ

(١) فَاءَتْ إِلَى نَفْسِهَا: عَادَتْ إِلَيْهَا بَعْدَ شُرُودِ.

حاولَ ذاتَ يَوْمٍ أَنْ يَبْرَحَ لَهَا بِلَواعِجِ قَلْبِهِ، بَيْنَ دُمُوعِ تَنَحُّدِ مِنْ مَاقِيهِ، وَزَفَرَاتِ يَنْشُقُ عَنْهَا صَدْرَهُ. فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ أَسْرَتِ الْخَبَرَ إِلَى زَوْجِهَا، فَلَمْ يَخْفَلِ الشَّابُّ، وَلَمْ يَكْثُرِثْ لِقَحْتِهِ وَجُرْأَتِهِ، بَلْ صَارَحَهَا الْقَوْلَ بِأَنَّهُ لَا يَخَافُ عَلَيْهَا، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا تَتَحَلَّى بِهِ مِنْ صِفَاتِ الْمَنَعَةِ وَالْقُوَّةِ وَالشَّرَفِ.

وَسَخَّصَتْ إِلَى أَعْلَى، وَقَالَتْ: «فَلَا مُوجِبَ إِذَا لِمُفَاتَحَتِهِ فِي أَمْرِ تَافِهِ مَا دُمْتُ شَرِيفَةً طَاهِرَةً لَمْ أَجْتَرِحْ إِثْمًا وَلَمْ أَرِزْ وَازِرَةً».

ولكن... أين الشعلة التي انبثقت من عينيها وهي في موسكو؟

لقد زالت!

أين الوميض العجيب الذي كان ينقذ شرراً مدهشاً كلما كلمها (هو)؟

لقد خمد!

إنها في بيتها...

أمّ وزوجة...

فلتبّع كذلك.

أسئلة تحليلية

- ١ - صَغْ لهذا الفصل عنوانًا مناسبًا.
- ٢ - علامَ يدلُّ قولُ أنا كارنينا إذ انطلقَ بها القطارُ: «انتهى كلُّ شيءٍ، والحمدُ لله على نعمائه... ألف شكر لله، سأرى غدًا سيرج وألكسيس كارنين، وستعودُ حياتي إلى مجراها الطبيعي، فتوضعُ الأمورُ في نصابها ويستريحُ الضميرُ، وتقرُّ العينُ»؟
- ٣ - ما نوعُ الكتابِ الذي شرَعَتْ أنا تقرأهُ في القطارِ؟ وبأيِّ لغةٍ هو؟
- ٤ - ما الأسبابُ التي حالتَ بينها وبين القراءة؟
- ٥ - ذَكَرَ الكاتبُ الرياحَ بصغيرها وزئيرها، فهل كانَ هذا يرمُزُ عنده لأمرٍ ما؟
- ٦ - ما كانَ شعورُ أنا حينَ وقعتَ عينيها على فرونسكي في مَحَطَّةِ القطارِ؟
- ٧ - لِمَ رَأَتْ أنا في زوجها حينَ استقبلها قُبْحًا كأنها لم ترهُ من قَبْلُ؟
- ٨ - هل كانَ للحوارِ الذي دارَ بينَ أنا وزوجها فضلٌ في كشفِ بعضِ ملامحِ شخصيَّتهِ؟ وضحْ ذلك.
- ٩ - ما أبرزُ سماتِ اللقاءِ الأوَّلِ بينَ زوجِ أنا والضابطِ فرونسكي؟
- ١٠ - ما الانطباعُ الذي كوَّنته عن الزوجِ كارنين؟
- ١١ - هل استطاعَ الكاتبُ أن يرسمَ صورةً واضحةً للصراعِ النفسيِّ الغامضِ الذي يعتَمِلُ في صدرِ أنا كارنينا بعد لقاءاتها المتكررةِ بفرونسكي؟ وضحْ هذه الصورةَ.
- ١٢ - اربِطْ، في أسطرٍ قليلةٍ، بينَ أحداثِ القسمِ الأوَّلِ مِنَ الروايةِ.

القسم الثاني

الفصل الأول

أصاب كاترينَ بَعْدَ تِلْكَ الْوَلِيمَةِ وَصَبَّ شَدِيدٌ، وَكَانَتْ الْأُسْرَةُ فِي غِنَى عَنْ هَذِهِ الْمَتَاعِ، كَانَتْ فِي غِنَى عَنِ الْمُدَاوِرَةِ فِي مَسْأَلَةِ زَوَاجِ كَاتِرِينَ... فليُفِينُ خَيْرُ شَابٍّ، وَلَكِنْ...

لَمْ يَخَفْ أَحَدٌ مِنْ سُوءِ الْعُقْبَى، وَنَظَرُوا إِلَى فَرُونْسِكِي كَأَنَّهُ الزَّوْجُ الْمِثَالِيُّ... وَرَأَتْهُ كَاتِرِينَ يَبْصُرُهَا لَا يَبْصُرُهَا، فَلَمَّا ذَهَبَ، وَخِيلَ إِلَيْهَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ارْتَبَطَ بِمَسْأَلَتِهَا قَدْ انْتَهَى إِلَى زَوَالٍ، اجْتَمَعَتِ الْأُمُورُ كُلُّهَا عَلَى إِثَارَةِ شَجْنِهَا، وَاسْتَفْزَازِ أَلْمِهَا...

وَنَظَرَتْ إِلَى الْوَرَاءِ وَإِلَى الْأَمَامِ، فَأَلْفَتْ أَنَّهَا مُتَعَرِّضَةٌ، فِي سَبِيلِ مَطْمَعِ خَلَابٍ، لَصُنُوفِ الشَّقَاءِ، وَأَنَّهَا أَضْحَتْ هِيَ وَأَفْكَارُهَا وَأَمَالُهَا عَدَمًا.

وَأُفْعِمَ قَلْبُهَا بِالْحُزْنِ، وَأَصَابَهَا السَّقَمُ؛ فَتَحَلَّ عَوْذُهَا، وَرَقَّ جِلْدُهَا، وَتَوَلَّاهَا شُحُوبٌ وَاضْفِرَارٌ.

وَلَى فَضْلُ الشُّتَاءِ، وَخَفَّتْ وَطْأَةُ الْبَرْدِ، وَعُقِدَ فِي بَيْتِ آلِ شِرْبَاتْسِكِي مَجْمَعٌ طِبِّيٌّ لِلْبَتِّ فِي حَالَةِ كَاتِرِينَ الصَّحِيَّةِ، وَالْإِجْرَاءَاتِ الَّتِي يَجِبُ اتِّخَاذُهَا حَتَّى تَسْتَعِيدَ الْفَتَاةُ قُوَّتَهَا.

كَانَتْ مَرِيضَةً، وَزَادَ سَقَمُهَا بِمَجِيءِ الرَّبِيعِ، فَأَمْسَتْ ضَعِيفَةً مُعْتَلَّةً مُضْفِرَةً الْوَجْهَ لَا تَمِيلُ إِلَى الْحَرَكَةِ، وَتَنْفُرُ مِنْ كُلِّ مَجْهُودٍ.

وَقَدْ أَعْطَاهَا طَبِيبُ الْعَائِلَةِ كُلَّ أَنْوَاعِ الْمُقْوِيَّاتِ الشَّائِعَةِ كَزَيْتِ السَّمَكِ، ثُمَّ مُشْتَقَّاتِ حَدِيدٍ، ثُمَّ نَتْرَاتِ الْفِضَّةِ. غَيْرَ أَنَّهُ نَظَرًا لِعَدَمِ حُصُولِهَا عَلَى الْفَائِدَةِ الْمُتَوَخَّاةِ مِنَ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالثَّلَاثِ، رَأَتْ الْعَائِلَةَ أَنَّهُ يَنْحَتَمُ الْإِسْتِعَانَةَ بِنِطَاسِيٍّ^(١) شَهِيرٍ.

(١) النِّطَاسِيُّ: الطَّبِيبُ الْعَالِمُ.

وكانَ النَّطَاسِيُّ البارِعُ شابًّا جَمِيلَ الصُّورَةِ إلى دَرَجَةِ مُتَناهِيَةٍ، حَتَّى إِنَّ رَبَّ العائِلَةِ اخْتارَ في أمرِهِ، ولم يَعرِفْ كيفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِفَحْصِ الفَتَاةِ!

ولمَّا أَجْرَى فَحَصَهُ أخيرًا قالَ إِنَّ حَياءَ الفَتَاةِ مِنَ الوُقُوفِ عارِيَةٍ أمامَ الطَّيِّبِ لهُوَ مِنَ قَبيلِ البرِّبَرِيَّةِ، وإنَّهُ أمرٌ طَبِيعِيٌّ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ مِنَ دونِ تَحَرُّجٍ.

وكانَ لا يَرى شَيْئًا مُسْتَهْجَنًا في وُقُوفِ كاترينَ أمامَهُ عارِيَةٍ، فَهُوَ يَرى كُلَّ يَوْمٍ في عيادَتِهِ ألوانًا جَدِيدَةً مِنَ أجسامِ النِّساءِ، حَتَّى أَصْبَحَ كُلُّ اغْتِراضٍ مِنْ هَذا القَبيلِ يُثِيرُ دَهْشَتَهُ وأشْمِئزَّاهُ... . وليسَ غَرِيبًا أَنْ يَرى تَحَرُّجَها مِنَ الإِقْدامِ على هَذا الفِعْلِ نَوْعًا مِنَ الهَمَجِيَّةِ والبرِّبَرِيَّةِ، بل الغَرِيبُ أَنْ لا يَرى تَحَرُّجَها نَوْعًا مِنَ الإِهانَةِ المُوجَّهَةِ إِلَيْهِ.

ولم يَجِدْ آلَ شرباتسكي مَندوحةً مِنَ الإِذعانِ أخيرًا. وَمَعَ أَنْ كُلَّ الأَطِباءِ تَلَقَّوا فَتَهُمْ في مَعهَدٍ واحدٍ، ودرَسوا في كُتُبٍ واحِدَةٍ، وَمَعَ أَنْ بَعْضَ النَّاسِ رَعموا أَنَّ هَذا الطَّيِّبَ الدَّائِعَ الصَّيِّتَ لا يَعرِفُ مِنَ الطَّبِّ إِلَّا اسْمَهُ، رَأى ذَوو الأَميرَةِ الأُمِّ والمَقْرَبُونَ مِنْها، بل سَلَّموا جَدَلًا بأنَّ هَذا الطَّيِّبَ وَحدهُ قادِرٌ على مُعالِجَةِ كاترينَ وشِفايَها مِنْ وَعْكَها.

وأَجْرَى الطَّيِّبُ فُحوصَهُ الدَّقِيقَةَ على الفَتَاةِ العارِيَةِ الغارِقَةِ في عَرَيقِ الحَجَلِ والحَياءِ. ولَمَّا انْتَهى بَعْدَ ساعَةٍ، غَسَلَ يَدَيْهِ بِعِنايَةٍ، وَوَقَفَ مَعَ الأَميرِ الأبِ يُحَدِّثُهُ بِصَوْتٍ مُنخَفِضٍ.

وقد أَضغَى إِلَيْهِ الرَّجُلُ وَهُوَ عابِسٌ مُقَطَّبٌ، وَسَعَلَ سُعالَ مَنْ لا يُريدُ أَنْ يُضغِيَ إلى لَعوٍ مِنَ الحَدِيثِ. وكانَ قَليلَ الإِيمانِ بالطَّبِّ، يَمُجُّ الأَطِباءَ، وَيَمُتُّ هَذا الطَّيِّبَ بِنَوْعِ خَاصٍّ لَعرابِيَةِ أَطوارِهِ، وشُدوذِهِ في تَأديَةِ أَعمالِهِ.

وكانَ نَفُورًا بِطَبِيعِهِ مِنَ اسْتِخْدائِ الضَّجَّةِ الَّتِي لا لُزومَ لَها. كانَ يَرغَبُ دائِمًا في مُعالِجَةِ الأُمورِ بُهدوءٍ ولينٍ. ولَعَلَّ نَفُورَهُ مِنْ كُلِّ ما جَرى حَولَهُ نَتَجَ عن إِحاطَتِهِ بِمَرَضِ ابْنَتِهِ، بالسَّبَبِ، ثُمَّ بالدَّواءِ!

وعَلَّقَ، وَهُوَ يُضغِي مُكرَهاً إلى شَرَحِ الطَّيِّبِ، يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِقَولِهِ: «يا لِلْمَعْرورِ الأَحْمَقِ! يا لِلْمَعْرورِ الأَحْمَقِ!»

وقد بادَءَهُ الطَّيِّبُ شُعورَ الكَراهِيةِ والإِخْتِيارِ، وَلِجَنَّتْ كَتَمَ ما خالَجَ إِحساسَهُ، وَأَخْفى إِخْتِيارَهُ، وكُزَّهُه تحتَ قِناعِ الجِدِّ والصَّرامَةِ. وكانَ يَشْمُرُ وَهُوَ يُكَلِّمُهُ أَنَّهُ يَجورُ على نَفْسِهِ

وعلى وَفْتِهِ، وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُخَاطَبَ الْأَمِيرَةَ الرَّوَجَةَ فِي شَأْنِ ابْنَتِهَا.

وَدَخَلَتِ الْأَمِيرَةُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ وَبَرَفَقَتْهَا طَيْبُ الْعَائِلَةِ. فَانْسَحَبَ الْأَبُ وَقَدْ أَصَابَتْهُ سَوْرَةٌ مِنْ اسْتِهْجَانٍ لِهَذِهِ التَّمَثِيلِيَّةِ الَّتِي طَالَتْ فُصُولُهَا.

وَكَانَتِ الْأَمِيرَةُ مُوزَّعَةً الْأَفْكَارِ، مُضْطَرَبَةً مُرْتَبِكَةً، تَشْعُرُ بِأَنَّهَا مُذْنِبَةٌ تُجَاهَ ابْنَتِهَا لِأَنَّهَا السَّبَبُ فِي مَا حَلَّ بِهَا وَأَصَابَهَا.

فَلَمَّا دَنَّتْ مِنَ الطَّيِّبِ الشَّهِيرِ قَالَتْ تُخَاطِبُهُ: «قُلْ يَا سَيِّدِي الطَّيِّبُ مَاذَا وَجَدْتَ؟»

وَوَدَّتْ أَنْ تُضَيَّفَ إِلَى كَلِمَاتِهَا هَذِهِ الْكَلِمَاتِ: «هَلْ هُنَاكَ أَمَلٌ؟»

بَيِّدَ أَنَّ شَفَتَيْهَا اخْتَلَجَتَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنْطِقَ بِهِمَا، بَلْ رَدَّدَتْ: «قُلْ يَا سَيِّدِي الطَّيِّبُ!»

قَالَ: «سَأُطْلِعُكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَا سَيِّدَتِي، بَعْدَ أَنْ أَخْلُوَ قَلِيلًا إِلَى زَمِيلِي».

فَطَاطَبَتِ الْأَمِيرَةُ مُسْتَسْلِمَةً، وَانْسَحَبَتْ وَهِيَ تَتَنَهَّدُ مِنْ كَيْدِ فَطْرَهَا الْهَمِّ، وَبَرَّحَ بِهَا الْغَمُّ.

فَلَمَّا انْفَرَدَ الطَّيِّبَانِ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرَ، سَرَعَ طَيْبُ الْعَائِلَةِ يَشْرُحُ وَجْهَهُ نَظْرَهُ، وَيُبَيِّنُ لَزَمِيلِهِ مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ. وَقَدْ زَعَمَ لَهُ أَنَّ كَاتِرِينَ مُصَابَةً بِالتَّدْرُنِ الرَّئُويِّ . . .

وَمَضَى يَتَكَلَّمُ، وَالطَّيِّبُ الْكَبِيرُ يُصِيحُ صَامِتًا مُقْطَبًا. وَقَاطَعَهُ آخِرًا فَقَالَ: «قَدْ تَكُونُ مُصِيبًا، وَلَكِنْ . . .».

وَأَضْعَى طَيْبُ الْعَائِلَةِ بِانْتِبَاهٍ.

وَاسْتَطْرَدَ النَّطَاسِيَّ الْحَوِيلُ^(١) يَقُولُ: «وَلَا يَغْرُبُ عَنِ الْبَلِّكَ مَا نَلَقَاهُ مِنْ صُعُوبَةٍ فِي

تَشْخِصِ التَّدْرُنِ^(٢) فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ، وَمَا لَمْ تَنْظَهَرَ الْعَوَارِضُ الثَّابِتَةَ اسْتَعَصَى عَلَيْنَا التَّشْخِصُ وَتَحْلِيلُهُ. بَيِّدَ أَنَّ هُنَاكَ عِلَامَاتٍ بَيِّنَةً، مِنْهَا الضَّعْفُ، وَالْإِنْفِعَالُ، وَالْإِضْطِرَابُ، وَهَلُمَّ جَرًّا.

عَلَيْنَا الْآنَ أَنْ نُفَرِّزَ الطَّرِيقَةَ الْمُثَلَّى الَّتِي يَخْلُقُ بِنَا اتِّبَاعُهَا لِمُقَاوَمَةِ الْإِنْهِيَارِ، وَتَغْذِيَةِ الْجِسْمِ مُصَابٍ أَوْ الْمُعْرَضِ لِلْإِصَابَةِ . . .».

وَقَالَ طَيْبُ الْعَائِلَةِ وَهُوَ يَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةً مَآكِرَةً: «إِلَّا أَنْ عَلَيْنَا دَائِمًا أَنْ نَأْخُذَ بَعَيْنِ الْإِغْتِيَارِ

١ الْحَوِيلُ: الْكَثِيرُ الْحِيلَةَ، الْقَادِرُ عَلَى حَلِّ الْمُسْتَعْصِي.

٢ التَّدْرُنُ: دَاءُ السَّلِّ.

الأسباب الروحية، وهي الباعث الأساسي، والعاقل الأول على انهيار المقاومة لدى المريض أو المتعرض للمرض».

فَنظَرَ الطَّيِّبُ الكَبِيرُ إِلَى سَاعَتِهِ وَأَجَابَ: «نَعَمْ، هَذَا أَمْرٌ مُسَلِّمٌ بِهِ...».

وَنظَرَ إِلَى سَاعَتِهِ ثَانِيَةً، وَاسْتَلَى: «عَلَيَّ أَنْ أَغَادِرَ هَذَا المَنْزِلَ بَعْدَ دَقَائِقٍ. أَوْ مَاذَا كُنَّا نَقُولُ؟ التَّغْدِيَةُ، أَجَلَ التَّغْدِيَةِ، ثُمَّ تَقْوِيَةُ الأَعْصَابِ... وَهَذَانِ الأَمْرَانِ صِنَوَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ، وَيَجْدُرُ بِنَا أَنْ نُرَكِّزَ عِنَايَتَنَا عَلَيَّهِمَا مَعًا».

فَقَالَ طَيِّبُ العَائِلَةِ: «وَمَاذَا تَرَى فِي جَوْلَةٍ تَرْفِيهِ إِلَى الخَارِجِ؟»

قَالَ: «لَسْتُ مِنَ المَيَالِينِ إِلَى هَذَا الضَّرْبِ مِنَ العِلَاجِ، وَإِذَا كَانَ المَرَضُ قَدْ دَخَلَ فِي مَرَحَلَتِهِ الأُولَى فَمَا نَفْعُ السَّفَرِ؟ وَهَلْ يُجْدِي الحَلُّ وَالتَّرْحَالُ فَتِيلًا فِي شِفَاءِ المَرِيضِ؟ أَمَّا الأَمْرُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ نَقْصِرَ عَلَيْهِ عِنَايَتَنَا فَهُوَ التَّغْدِيَةُ، أَجَلَ التَّغْدِيَةِ...».

وَجَعَلَ التَّطَاسِيَّ الشَّهِيرُ يَصِفُ الطَّرِيقَةَ المُثَلَى لِتَقْوِيَةِ شَهِيَّةِ كَاتِرِينَ وَحَثَّهَا عَلَى الأَكْلِ.

وَأَضْعَى طَيِّبُ العَائِلَةِ بَانْتِبَاهٍ وَاحْتِرَامٍ لآرَاءِ زَمِيلِهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِلَّا أَنَّ الأُمَّ تُفَضِّلُ السَّفَرَ إِلَى الخَارِجِ، كَمَا أُؤَيِّدُهَا أَنَا فِي رَأْيِهَا، لِأَنَّ الإِبْتِعَادَ عَنِ مَوْطِنِ الذُّكْرِيَّاتِ لَهُوَ أَنْجَعُ عِلَاجٍ لِلْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالمَشَاعِرِ».

قَالَ: «فَلْتَذْهَبِ إِذَا، مَا دَامَتِ الأُمُّ تُصِرُّ عَلَى ذَلِكَ».

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى سَاعَتِهِ، وَتَابَعَ: «أَوْ، لَقَدْ سَبَقَنِي الوَقْتُ».

وَعَجَلَ إِلَى البَابِ، فَالتَقَى الأَمِيرَةَ، وَطَلَبَ إِلَيْهَا أَنْ تَقُودَهُ إِلَى كَاتِرِينَ... .

فَهَتَفَتْ مُنْدَعِرَةً: «أَفَحْصَ طَيِّبِي آخَرَ؟ أَتَوَدُّ أَنْ تَفْحَصَهَا لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ؟»

قَالَ: «لَا، لَا... بل أريدُ أَنْ أُطْرَحَ عَلَيْهَا بِضَعَّةِ أسْئَلَةٍ، أَوْ بِعِبَارَةٍ أَصَحَّ أَنْ أُشْرَحَ الأَمْرَ

قَلِيلًا».

فَقَادَتَهُ الأُمُّ إِلَى قَاعَةِ الإِسْتِقْبَالِ، وَكَانَتْ كَاتِرِينَ هُنَاكَ، كَانَتْ مُضْطَرِبَةً مُتَضَرِّجَةً الحَدِيدِينَ، لِامِعَةِ العَيْنَيْنِ. وَلَعَلَّ تَهَيُّبُهَا كَانَ مِنْ جَرَاءِ الخَجَلِ الشَّدِيدِ الَّذِي شَابَ مَشَاعِرَهَا سَاعَةً تَعَرَّتْ أَمَامَ هَذَا الرَّجُلِ.

فَلَمَّا دَخَلَ الطَّيِّبُ اغْرُورَقَتْ عَيْنَاهَا بِالدَّمْعِ. إِنَّ كُلَّ مَا يُمْتُ إِلَى مَرَضِهَا وَعِلَاجِهَا كَانَ

في نظرها أمراً سخيفاً لا موجب له! وتطبيها بدا لها كأنه محاولة عقيمة لجمع قطع آية خرف مُحطمة وإرجاعها إلى سابق حالتها. فلماذا يُحاولون تطبيها بهذه العقاقير؟ لكنّها لا تستطيع أن تزيد في حزن أمها ومرارتها، وخصوصاً أنّها - أي أمها - ترى نفسها المسؤولة الأولى عما لحق بها من سوء!

وطلب الطيب الشهير إليها أن تجلس، وجلس هو تلقاءها، وطفق مرةً أخرى يُلقني عليها أسئلته المُحتملة، ويجسّ نبضها ويتحسّر جبهتها.

واحتدم غيظها على حين غرة، فقالت بصوت مُتهلّج: «المعذرة يا سيدي الطيب، إنني لا أرى فائدة في ما تفعل، فقد أعدت أسئلتك، وقد تحسّنت رُسخي وجيبي أكثر من عشر مرّات، فما معنى هذا؟!»

فلم يحفل الطيب بكلامها، بل استدار إلى أمها ساعة اندفعت كاترين خارجة، وقال: «انفعال مضدرة الوهن... ضعف شديد في الأعصاب!»

ثمّ أنشأ يشرح للأُم من الوجهة العلميّة، بصفتها امرأة خارقة الذكاء، حالة ابنتها. وقد أصرّ عليها أن تُرغمها على تجرّع نوع خاص من المياه المعدنيّة. ولما أخذت رأيهُ في السّفَر استغرّق الطيب في الفكر، وكأنّه يحاول أن يبيّن في مُشكلة خطيرة. وأخيراً نطق بحكمه، فقال: «في استطاعة كاترين أن تُسافر، شريطة أن لا تستأمن أيّ طبيب أجنبيّ».

وأفرخ رُوع^(١) الأميرة الأُم، ورجعت إليها الطمأنينة. وما إن انصرف الطيب حتى طفقت تتحدّث مع كاترين عن الرحلة الموعودة. وقد تظاهرت الفتاة بالسرور، فأقبلت على أمها تُبادلها الكلام، وتُضغي إليها، ولا تُظهر لها ما يختلج في قلبها من الحسرات والشجون.

* * *

وجاءت داريا، فجلست مع أمها وشقيقتها، ثمّ دلف الأمير الأب إلى الحجرة، فقدم خده لابنته داريا، وقال مُوجّها الحديث إلى زوجته: «أمصممة أنت على الرّحيل؟ وماذا فعلت من أجلي أنا؟»

(١) أفرخ رُوعها: انكشف خوفها وزال.

قالت: «أرى أن تبقى هنا يا ألكسندر، على أن الأمر موكول إليك يا عزيزي».

وانبرت كاترين تقول: «أماه! لماذا لا يأتي معنا؟ إن في رفقته متعة لنا وله».

فدنا الأمير من ابنته ومسح على شعرها بيده، ورفعت الحسناء رأسها ونظرت إليه متوسلة، وقد اغتصبت من أساها ابتماماً واهتت واهية.

كان أبوها كما يلوح لها، الشخص الوحيد الذي يفهمها، مع أنه لا يتحدث كثيراً عنها، وكانت هي الابنة الأثيرة لديه، فهو يحبها، ولهذا لا يبرح يفكر فيها ويعرف ما يصيرها ويتفعلها.

فلما التفت لحاظها بلحاظه في تلك الدقيقة تراءى لها أنه اكتنه ما يختلج في أعماقها، وأنه فهم كل شيء، وسبر حقيقة العلة التي معنت في صدرها. وتصرجت وجتأها، لقد علم أبوها من أمرها ما حرصت على كتمه.

وأقبل الأمير على داريا يحدثها حديث الأب الشفوق، ويسألها عن زوجها ويستوضحها عن حالة بنيتها، ثم عطف فجأة على كاترين وقال: «أتدري ما يخلق بك عمله يا كاترين؟ يجب أن تنهضي من فراشك في ساعة مبكرة، وأن تقولي لنفسك كلما استيقظت: أنا على خير ما يرام، أنا قوية سعيدة، وسأخرج مع أبي في جولة بعيدة».

كان كلامه كلام رجل يحب ابنته ويمحضها الضح، لكن كاترين شعرت كأنها مذبذبة اجترحت من الإثم ما تواخذ عليه، فاضطربت أيما اضطراب - أجل إنه يفهم ويرى - ولم تستطع أن ترد على مقالته، بل انفجرت ببكي، واندفعت من العرفة لا تلوي على شيء.

وحادثته الأم بنظرة لوم وتقريع، وقالت مؤتبه: «أترى نتيجة دعابتك، أنت دائماً...».

وانطلق لسانها في سيل لا ينقطع من الاتهام والتجريح. ثم أزدقت بهدوء: «لكم تحزني حالتها! لكم أدوب شفقة عليها، ومع ذلك فأنت تجهل ما يبئسها وما يسرها، إنها لا تطيق أن يذكر أحد سبب أساها، قتل الإنسان ما أغدره! لئت شعري كيف لا يتنبه المرء أحياناً إلى الختل والحدعية إلا بعد حلول الخيف^(١)!»

وأدرك الأمير وداريا أن الأم كانت تقصد فرونسكي بكلامها.

(١) الخيف: الجور، الظلم.

واستتلت: «ولا أعلم لماذا لا تستن الحكومه من القوانين الرادعة ما تؤدب بها مثل هؤلاء الأوغاد!»

فقال الأمير بانقباض ظاهر وهو يُغادر مكانه: «لا طاقة لي على الإضغاء إلى مقاتلك... إن هناك من القوانين ما يزدع كل طاع متجبر، وما دمت قد تحدتيني فسأخبرك من هو الشخص الجدير باللوم. إنه أنت، وأنت، وأنت، وأنت، ولا أحد سواك!»

وتنفس الشيخ الصعداء ومضى يقول: «إنني كهل مُستضعف، ولو كنت أضغر سناً لما ترددت أبداً في الإقتصاص من هذا الفسل^(١). وأنت، أنت ما فتئت تستدعين هؤلاء الدجالين الذين يُطلقون على أنفسهم الألقاب الطيبة، ليعالجوا ابتك، وكأنهم يملكون من أمر قلبها شيئاً!».

واختزلت^(٢) الأميرة تبكي، وتقدمت منه وهي تُردد: «ألكسندر... ألكسندر...».

وهدأت نائره الأمير، فضمها إليه وجعل يقول: «كفى... كفى... أنت محزونة أيضاً، ولكن ما لنا عن الصبر غنى، ولم يزل هناك أمل في انقشاع الغمة^(٣)...».

وغادر الأمير الغرفة، وتبعته داريا، ولكنها لم تذهب إلى حجريته، بل عرجت على شقيقتها في مخدعها.

(١) الفسل: الذي لا مروءة له.

(٢) اختزلت واستخرط في البكاء: لج فيه واستفرق.

(٣) الغمة: الكربة والحزن.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَعِّعْ لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - مَنْ كَانَ المسؤولُ عن مرضِ كاترين؟
- ٣ - أَتَرَى أَنَّ هذا الفصلَ قد عَقِدَ لُبِّيْنِ أثرَ استهتارِ فرونسكي بعواطفِ كاترين، وبينَ ثَمَّ، ليكونَ دَعْوَةً إلى احترامِ عَوَاطِفِ الآخَرِينَ؟ وَضَحِّحْ ذلكَ .
- ٤ - في هذا الفصلِ غَمَزُ على بعضِ أهلِ العلمِ . أَشِيرُ إلى ذلكَ في موضِعِهِ .
- ٥ - الأُمُّ (أُمُّ كاترين) تَلومُ نَفْسَهَا، فَعَلَامَ تَلومُ نَفْسَهَا؟ دُلَّ على ذلكَ في موضِعِهِ .
- ٦ - الأَمِيرُ (والِدُ كاترين) يَلومُ زَوْجَهُ . هَلْ تَرَاهُ مُحِقًّا في ذلكَ؟ وهل ترى أَنَّ اللَّوَمَ باتَ نافعًا؟ ولماذا؟
- ٧ - هَلْ تَرى أَنَّ الأَمِيرَ شرباتسكي يَتَحَمَّلُ جزءًا من المسؤوليَّةِ؟ وكيفَ؟
- ٨ - أَوْجِزْ مَضمونَ الفصلِ في أسطرٍ قَلِيلَةٍ .

الفصل الثاني

الطَّبَقَةُ الرَّاقِيَةُ فِي بَطْرَسْبِرْج، أَوْ أَعْلَى طَبَقَةٍ فِي الْهَيْئَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ هُنَاكَ، هِيَ بِالضَّرُورَةِ وَاحِدَةٌ، وَفِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ يَعْرِفُ الْآخَرَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَزُورُ الْآخَرَ.

بَيِّدَ أَنَّ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةَ الْعَظِيمَةَ لَهَا أَقْسَامُهَا وَفُرُوعُهَا، وَكَانَ لَأَنَا كَارِنِينَا أَصْدِقَاءُ مُقَرَّبُونَ تَنْتَظِمُهُمْ حَلَقَاتٌ ثَلَاثٌ.

الْحَلَقَةُ الْأُولَى تِلْكَ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَى أَصْدِقَائِ زَوْجِهَا، وَمَنْ تَرْبِطُهُ بِهِمْ أَوْاصِرُ الْعَمَلِ. وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ نَظْرَةَ الْمَهَابَةِ وَالْإِحْتِرَامِ، ثُمَّ أَلَمْتُ بِدَخِيلَتِهِمْ، وَرَأْتُ مَوَاطِنَ الضَّعْفِ فِيهِمْ، كَمَا اطَّلَعْتُ عَلَى مَصَادِرِ الْقُوَّةِ. وَمَا لَبِثْتُ أَنْ بَرِمْتُ بَعْضَ الشَّيْءِ بِعِشْرَتِهِمْ، لِمَا كَانُوا يَجُنْحُونَ إِلَيْهِ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ مِنْ حَدِيثِ السِّيَاسَةِ، وَالسِّيَاسَةُ مَوْضُوعٌ لَا يَرُوقُ لَأَنَا!

وَالْحَلَقَةُ الثَّانِيَةُ، كَانَتْ الْحَلَقَةُ الَّتِي صَعِدَ زَوْجُهَا بَوَسَاطَتِهَا دَرَجَاتِ النَّجَاحِ وَالشُّهُرَةِ، وَأَفْرَادُهَا فِي الْغَالِبِ عَجَائِزٌ بَلَغْنَ مِنَ الْعُمُرِ عِتْيًا^(١)، لَكِنَّهُنَّ اتَّصَفْنَ بِدِمَائِهِ الْخُلُقِ وَالطَّبِيبَةِ وَالْأَرْيَحِيَّةِ. كَمَا اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْحَلَقَةُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الرِّجَالِ الْأَذْكَيَاءِ الْمُطَّلِعِينَ الطَّامِحِينَ بِأَبْصَارِهِمْ إِلَى الدُّرُورَةِ. بَيِّدَ أَنَّهَا شَعَرَتْ لَدَى رُجُوعِهَا مِنْ مَوْسَمِهَا أَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ الْإِنْدِمَاجَ بِأَفْرَادِ هَذِهِ الْحَلَقَةِ، أَمَّا الْأَسْبَابُ فَلَا وُجُودَ لَهَا. إِلَّا أَنَّهَا شَعَرَتْ بِأَنَّ أَفْرَادَ الْحَلَقَةِ هُمْ أَشْخَاصٌ مُرَاوُونَ مُدَاهِنُونَ!

أَمَّا الْحَلَقَةُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي تَوَشَّجَتِ الْأَوْاصِرُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَنَا، فَقَدْ كَانَتْ حَلَقَةَ الْحَفَلَاتِ، وَالسَّهَرَاتِ، أَيْ حَلَقَةَ الدُّنْيَا، دُنْيَا اللَّهْوِ وَالْمُنْتَعَةِ، دُنْيَا الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْأَزْيَاءِ وَالْبَدَخِ. وَكَانَ مِحْوَرُ هَذِهِ الْحَلَقَةِ الْأَمِيرَةَ «بَتْسِي» قَرِيبَةً أَنَا وَفَرُونْسْكِ فِي آنٍ وَاحِدٍ. وَكَانَتْ هَذِهِ

(١) بَلَغْنَ مِنَ الْعُمُرِ عِتْيًا: تَجَاوَزْنَ الْحَدَّ فِيهِ.

الأميرة ثرية يُقدَّر دخلها بمئة وعشرين ألف روبل، وقد مالت إلى أنا وأحبَّتها وأذنَّتها منها.

وكانت تقول لها في معرض الحديث عن الحلقة الثانية: «عندما أصبح امرأة طاعنة في السنَّ أندمج في هذا الرهط الخريف، أما وأنت يافعة شريخة»^(١) فلا تفعلني يا عزيزتي، أجل لا تنخرطي في سلك نزيلات مأوى العجزة».

وقد تجنَّبت أنا في البدء هذا الوسط المترَف لأنَّ وسائلها الماديَّة لا تُتيح لها مجارة المُتممين إلى هذه الحلقة في بذخهنَّ وإسرافهنَّ، إلَّا أنَّ نفسها عافَت الحلقةَيْن الأولى والثانية عقبَ عودتها من موسكو، وطيفت تتردَّد على مُجتمعات هاته الزَّهراء اليانعة، حيثُ التقت فرونسكي؛ ومرَّت في طورٍ عجيبٍ من الشُّرور المضطربِ أسفرَ عنه هذا اللقاء وما تلاه من اجتماعات.

وكانت تجده في كلِّ مكانٍ تذهبُ إليه، ففضغني إلى حديث الحبِّ ينطوُّ به فمه ونظرته.

ولم تُشجِّعه على البوح لها بخلجات فؤاده، إلَّا أنَّ كلماته كانت تجعلها تشعرُ بنوعٍ جديدٍ من أنواع الحياة لا عهد لها به. كانت تشعرُ أنَّ حُبورها يصعدُ إلى عينيها بريقًا، وإلى شفَّتها بسمة... ولم يكن في استطاعتها كتمان ما بها، فالشُّعورُ له صورٌ شتى، وطرقه مُعوجة لا قبَل للمرء بعرفلتها.

تحلَّق القومُ زرافاتٍ زرافاتٍ، في منزلِ الأميرة بتسي، وكان فرونسكي أوَّل القادمين إلى بيت ابنته عمه، وقد تلتفت حوله بعد حينٍ فوجدَ كلَّ الأشخاص الذين توفَّع وجودهم.

وكان فرونسكي في الآونة الأخيرة يُكثرُ من زيارة الأميرة لما لاحظته من صداقتها المتينة لأنا، وكان يصبو دائماً إلى فرصةٍ مؤاتيةٍ يستنحها للتحدُّث إلى فائتةٍ لبي.

في تلك اللَّيلة، دارَ الحديثُ بينَ القومِ عن التَّمثيل والرَّقصِ وحفلاتِ القنصِ.

وتناهى إلى فرونسكي صوتُ حُطى تقرب، فأيقنت الأميرة بتسي أنَّ القادمةَ هي أنا كارنينا، فنظرتُ إلى فرونسكي. وكان الشابُّ يُحدِّقُ إلى البابِ وقد كست وجهه نظرةً عجيبةً. ونهَضَ مُتباطئًا من مقعده. ودلَّقتُ أنا إلى القاعة وهي مرفوعة الرأسِ مُنتصبه القامة، تمشي خفيًا، لا تلتفتُ ولا تطرفُ لها عينٌ. ولما وصلتُ إلى حيثُ كانت المضيفة تقفُ،

(١) شريخة: في أوَّل الشباب.

حَيْثُهَا بِابْتِسَامَةٍ وَصَافَحَتْهَا ضَاعِظَةً عَلَى يَدِهَا بَوْلَاءً، وَمَا عَتَمَتْ أَنْ اسْتَدَارَتْ إِلَى فَرُونْسْكِ وَهِيَ لَا تَزَالُ تَبْتَسِمُ، فَأَخْنَى فَرُونْسْكِ قَامَتَهُ، ثُمَّ قَدَّمَ لَهَا مَقْعَدًا.

فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا، وَاحْمَرَّتْ وَجْهَهَا قَلِيلًا، وَانْتَشَتْ تُصَافِحُ الْأَيْدِي الْمَمْدُودَةَ لِمُصَافَحَتِهَا، بَيْنَمَا رَاحَتْ تُحَدِّثُ بَتْسِي وَتَقُولُ: «كُنْتُ فِي مَنْزِلِ الْكُونْتِسْ لِيَدِيَا، وَحَاوَلْتُ أَنْ أُبَكِّرَ بِالْحُضُورِ، لَكِنِّي مَكَّنْتُ مُرْغَمَةً، قَدْ كَانَ السَّيْرُ جَوْنِ هُنَاكَ، وَهُوَ كَمَا تَعْلَمِينَ مُحَدِّثٌ بَارِعٌ يَسْتَوْلِي عَلَى الْأَسْمَاعِ».

فَقَالَتْ الْأَمِيرَةُ بَتْسِي: «السَّيْرُ جَوْنُ! أَتَعْنِينَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الْمُبَشِّرَ؟»

قَالَتْ: هُوَ بَعِينِهِ. وَقَدْ قَصَّ عَلَيْنَا أَعْرَبَ الْقِصَصِ عَنِ الْحَيَاةِ فِي الْهِنْدِ.

وَانْبَرَتْ الْأَمِيرَةُ «مِيَا كَايَا» تَقُولُ: «إِنَّهُ مُبَشِّرٌ فِيهِ شُدُودٌ غَيْرُ قَلِيلٍ، لَكِنَّ حَدِيثَهُ كَمَا قُلْتِ طَلْبِي لَا يَمَلُهُ الْمُسْتَمِعُ. وَقَدْ وَقَعْتُ إِبَانَ الشَّبَابِ بِحُبِّ قَسٍّ مِنْ هَوْلَاءِ الْمُبَشِّرِينَ».

وَسَادَ الْمَكَانَ جَوٌّ مِنَ الْمَرَحِ، وَدَبَّ النَّشَاطُ فِي نَفُوسِ الضُّيُوفِ، وَقَالَتْ الْمُضَيْفَةُ: «لَا شَكَّ أَنَّهُ رَجُلٌ مُطَّلِعٌ أَدِيبٌ، وَقَدْ اجْتَمَعْتُ إِلَيْهِ فِي بَيْتِ الْأَمِيرِ فِلَادِيمِيرِ».

وَقَالَتْ إِحْدَى الْمَدْعُوتَاتِ: «أَحَقًّا مَا قِيلَ لَنَا مِنْ أَنَّ ابْنَةَ الْأَمِيرِ فِلَادِيمِيرِ سَيُعْلَلُ لَهَا الْكُونْتِ توبوف؟»

-«أَجَلٌ، وَقَدْ انْفَقَتِ الْعَائِلَتَانِ الْكَبِيرَتَانِ».

-«وَهَلْ هُوَ زَوْجٌ سَدَاهُ الْحُبُّ وَلُحْمَتُهُ التَّفَاهُ؟»

وَصَاحَتِ امْرَأَةٌ: «الْحُبُّ؟ هَذَا هُرَاءُ! وَمَا هُوَ الْحُبُّ، وَأَيْنَ نَجِدُهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ؟»

وَقَالَ فَرُونْسْكِ: «الْحُبُّ يَا سَيِّدَتِي أَسَاسُ كُلِّ زَوْجٍ».

-«كَلَّا. فَالزَّوْجُ السَّعِيدُ هُوَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ وَلَيْدَ حُبِّ عَنِيفٍ!»

وَضَحِكَتْ أَنَا، وَضَحِكَتْ الْمُضَيْفَةُ. وَانْفَقَتِ الْأُولَى بَعْتَهُ فَرَأَتْ فَرُونْسْكِ يَرْمُقُهَا بِنَظْرَةٍ تَقْيِضُ غَرَامًا، فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ خَاطَبَتْهُ قَائِلَةً: «جَاءَتْنِي أَخْبَارٌ مُزْعِجَةٌ عَنِ مَرَضِ كَاتَرِينَ...».

فَأَجَابَ وَهُوَ يَعْبَثُ بِحَاجِبِهِ: «أَحَقًّا تَقُولِينَ؟»

فَحَدَجْتُهُ أَنَا بَتَمَعْنِ شَدِيدٍ وَقَالَتْ: «أَوْ لَا يَعْينِكَ هَذَا؟»

-«بِالْعَكْسِ إِنَّهُ يَهْمُنِي وَيَعْمُنِي، فَمَاذَا قَالُوا لَكَ تَمَامًا؟»

فَانْتَصَبَتْ أَنَا وَاقِفَةً، ثُمَّ هَزَّتْ رَأْسَهَا وَدَنَتْ مِنْ بَنَسِي، وَطَلَبَتْ إِلَيْهَا أَنْ تُعْطِيَهَا فِنْجَانًا شَايٍ.

وَبَيْنَا الْمُضَيَّفَةُ تَصُبُّ لَهَا الشَّرَابَ السَّاخِنَ، تَقَدَّمَ فِرُونْسْكِ مِنْهَا وَسَأَلَهَا قَائِلًا: «مَاذَا كَتَبُوا لَكَ؟»

وَنَاجَتْ أَنَا نَفْسَهَا: «كثِيرًا مَا أَظُنُّ الرِّجَالَ لَا يَفْهَمُونَ مَا يَتَّصِلُ بِالشَّرْفِ، مَعَ أَنَّهُمْ لَا يَفْتَأُونَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ وَيَتَشَدَّقُونَ بِهِ».

ثُمَّ إِنَّهَا أَجَابَتْهُ عَنْ تَسْأُولِهِ قَائِلَةً: «وَدِدْتُ أَنْ أُخْبِرَكَ مِنْذُ أَيَّامٍ بِمَرَضٍ كَاتِرِينَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَلْقَكَ...».

وَابْتَعَدَتْ عَنْهُ وَجَلَسَتْ قُرْبَ مَائِدَةٍ عَلَيْهَا عَدَدٌ مِنْ حَافِظَاتِ الصُّورِ.

وَتَبِعَهَا فِرُونْسْكِ فَقَدَّمَ لَهَا فِنْجَانًا الشَّايِ، وَنَظَرَتْ هِيَ إِلَى المَقْعَدِ الخَالِي وَقَالَتْ: «كُنْتُ أَوْدُ أَنْ أُخْبِرَكَ...».

فَقَاطَعَهَا وَهُوَ يَجْلِسُ: «إِنِّي لَا أَفْهَمُكَ، فَمَاذَا تَعْنِينَ؟»

فَأَسْبَلَتْ جَفْنَيْهَا وَقَالَتْ: «أَرَدْتُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِأَنَّكَ تَصَرَّفْتَ تَصَرُّفًا شَائِنًا».

قَالَ: «وَهَلْ تَظُنِّينَ أَنِّي لَا أَعْلَمُ أَنِّي أَخْطَأْتُ؟ وَلَكِنْ مَنْ كَانَ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ؟»

فَرَمَتْهُ بِنَظَرَةٍ صَارِمَةٍ وَقَالَتْ: «وَلِمَاذَا تَقُولُ هَذَا لِي؟»

فَأَجَابَ بِجُرْأَةٍ وَمَرَحٍ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَلَا يُغْضِي: «أَنْتِ تَعْلَمِينَ لِمَاذَا!»

وَظَهَرَ أَنَّهَا هِيَ الَّتِي أَصَابَهَا الاضطرابُ وَليْسَ هُوَ، فَقَدَ أَجَابَتْ مُحَدِّمَةً: «أَنْتِ عَدِيمُ الشُّعُورِ، أَنْتِ رَجُلٌ بِلَا قَلْبٍ!»

بَيِّدَ أَنْ عَيْنَيْهَا قَالَتَا غَيْرَ ذَلِكَ، قَالَتَا إِنَّهُ ذُو قَلْبٍ كَبِيرٍ، وَلِهَذَا السَّبَبُ خَافَتُهُ.

وَأَجَابَ: «مَا قُلْتُهُ الْآنَ قُلْتُهُ عَنْ خَطَايَايَ وَلَيْسَ عَنْ حُبِّ!»

فَارْتَعَشَتْ أَنَا وَأَجَابَتْ: «تَذَكَّرْ أَنِّي مَنَعْتُكَ مِنَ التَّفَوُّهِ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ، هَذِهِ الكَلِمَةُ الكَرِيهَةُ».

لَكِنَّهَا أَبَيَّنَتْ أَنَّهَا فِي كَلِمَتِهَا «مَتَعْتُكَ» اعْتَرَفَتْ لِنَفْسِهَا بِبَعْضِ الْحُقُوقِ عَلَيْهِ، وَأَنَّهَا بِذَلِكَ تُشَجِّعُهُ عَلَى الْمُضِيِّ فِي مَا بَدَأَهُ. . .

وَاسْتَتَلَتْ وَهِيَ تُحَدِّدُ فِيهِ نَظْرًا ثَابِتًا: «عَزَمْتُ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَفْضِي إِلَيْكَ بِرَأْيِي هَذَا، وَجِئْتُ اللَّيْلَةَ خَصِيصِي لِمُقَابَلَتِكَ. أَلَا فَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْمَهْرَلَةَ يَجِبُ أَنْ تَنْتَهِيَ. إِنِّي لَمْ أَشْعُرْ بِالْخَجَلِ أَمَامَ أَيِّ إِنْسَانٍ لِأَنِّي لَمْ أَرْتَكِبْ إِثْمًا أَلَامَ عَلَيْهِ، وَهَا أَنْتَ تُرْغِمُنِي عَلَى الشُّعُورِ بِالْخَجَلِ وَالْحَرَجِ وَكَأَنِّي مُذْنِبَةٌ اجْتَرَحْتُ خَطِيئَةً!»

وَرَنَا إِلَيْهَا الشَّابُّ بِلَحْظٍ مُتَمَمِّعٍ مُتَأَمِّلٍ، فِرَاعَهُ مَا شَاهَدَهُ مِنْ سُطُوعِ جَمَالِهَا. أَذْهَلَهُ هَذَا الرُّوَاءُ الْعَدِيمُ النَّظِيرِ الَّذِي نَضَحَ مِنْ قَسَامَتِهَا، وَمَا أَبْطَأَ أَنْ قَالَ بِهُدُوءٍ وَاتِّزَانٍ: «وَمَاذَا تَقْتَرِحِينَ أَنْ أَفْعَلَ؟ مَاذَا أَضْنَعُ؟ قُولِي».

فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ مَلِيًّا ثُمَّ أَجَابَتْ: «أُرِيدُكَ أَنْ تَرْحَلَ عَنِ بَطْرَسْبِرْج، أَنْ تَذْهَبَ إِلَى مُوسِكُو حَالًا مِنْ دُونِ إِطَاء!»

فَقَالَ وَهُوَ لَا يَرْفَعُ عَيْنَيْهِ عَنْ وَجْهِهَا: «أَمَّا كَدَّةُ أَنْتِ مِنْ رَغْبَتِكَ؟ هَلْ تُرِيدُنِي حَقًّا أَنْ أَذْهَبَ؟»

فَأَجَابَتْ بِصَوْتٍ مَهْمُوسٍ: «أَجَلْ، أَذْهَبُ إِلَى مُوسِكُو، إِلَى كَاتَرِينَ، وَاعْتَدِرُ إِلَيْهَا».

قَالَ: «كَلَّا . . . كَلَّا . . . أَنْتِ لَا تُرِيدِينَ ذَلِكَ!»

قَالَتْ: «إِنْ كُنْتُ تُجِيبُنِي حَقًّا، فَافْعَلْ مَا أَطْلُبُ مِنْكَ، حَقِّقْ رَجَائِي حَتَّى تَعُودَ إِلَيَّ طُمَأْنِينَتِي وَهُدُوءَ بَالِي».

-«أَلَا تَعْلَمِينَ أَنَّكَ الْحَيَاءُ كُلُّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيَّ؟ بَيِّدْ أُنِّي لَا أَتَذَوَّقُ طَعْمَ الطُّمَأْنِينَةِ وَالسَّلَامِ، وَلَا يُمَكِّنُنِي وَالْحَالَةَ هَذِهِ أَنْ أَهْبِكَ السَّلَامَ الَّذِي تَتَشُدُّونَ، وَلَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَفَكَّرَ فِيكَ وَفِي نَفْسِي كَشَخْصِيَّاتٍ مُفْتَرِقَيْنِ، فَأَنْتِ وَأَنَا فِي عُرْفِي شَخْصٌ وَاحِدٌ، وَلَا أَجِدُ أَيَّ أَمَلٍ لَنَا فِي السَّلَامِ، بَلَى لَا أَجِدُ أَمَلًا لِكَلِّينَا لِلشُّعُورِ بِالطُّمَأْنِينَةِ بَلْ عَلَى الْعَكْسِ أَرَى شَفَاءً وَقُنُوطًا».

وَسَمِعَتْ كَلَامَهُ كُلَّهُ، وَجَاهَدَتْ لِتَقُولَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ، لَكِنَّهَا بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ أَغْضَتْ بَعَيْنَيْهَا، ثُمَّ أَحَدَتْهُمَا إِلَى وَجْهِهِ، وَكَانَتْ نَظَرُهَا مُفَعَّمَةً بِالْحُبِّ. . . وَلَمْ تُحْرِجْ جَوَابًا.

وَفَكَّرَ: «إِنِّي أَجْنِي مَا زَرَعْتُ. فَعِنْدَمَا شَرَعَ الْيَأْسُ يَتَغَلَّغِلُ إِلَى فُؤَادِي، وَخَيْلٌ إِلَيَّ أَنْ لَا

نهاية لهذا الأمر، فإذا بي أظفرُ فجأةً بالمنى! إنها تُجيبني! وهي تعترف!«

-«إذن إن فعل هذا من أجلي، لا تُلقي على مسامعي مثل هذه الكلمات، ولنكن صديقين...». قالت أنا، أو بالأحرى قال فمها. أما عيناها فقد قالتا شيئًا مُختلفًا تمامًا الاختلاف.

فأجاب: «لن نكون صديقين وحسب، وأنت تعرفين، فيما أن نكون أسعد أهل الأرض، وإما أن نكون أكثرهم شقاء. وهذا منوط بك أنت».

وحاولت أن تُجيب، ولكنّه استلنى بسرعة: «ولي طلب واحد، وطلبي الذي أوجهه إليك هو أن تمنحني حقّ الأمل في أن يكون لي الحق في الألم كما أتألم الآن. فإن كان هذا أيضًا غير ميسر لي، فمُرني أن أختفي، أن أزول، وسأمضي إلى المجهول، ولن يقع نظرك علي».

-«كلا، فأنا لا أزغب في إبعادك».

فأجاب وصوته يرتعش قليلاً: «فلينق كل شيء على ما هو عليه إذا. ها هوذا زوجك، إنه مقبل».

وكان كارنين زوجها يتقدم في تلك اللحظة بهدوء وثقة، وقد التفت إلى زوجته وفرونسكي، ثم توجه إلى ربة الدار حيث جلس إلى جانبها يحسو فنجان الشاي الذي قدم له، ويجاذبها ألواناً من الحديث، بلهجته المتهكّمة التي أصبحت ملازمة له لا تفارق طبعه، وكأنّها حُلة^(١) أو سجيّة!

قال: «الله درك يا سيدي، فينتك أمسى ملقى الأقداد من الرجال والنساء، وهو وأيم الحق أشبه بقصر رامبويه في فرنسا».

بيد أن الأميرة «بتسي» لم تكن لتتحمل منه مثل هذه اللهجة الساخرة، فبدلت وسعها حتى تمكنت من إزغايه على الخوض في حديث جاد رزين عن التجنيد الإلزامي. ولما هاجمت المشروع وطعنت فيه، نسي الرجل كل شيء آخر، وجعل يذافع بحماسة منقطعة النظر عن الحافز الذي جعل الأمبراطور يصدّر مرسومه.

(١) حُلة: خضلة، طبع وعادة.

وَلَزِمْتُ أَنَا وَفرونسكي مَكَانَهُمَا أَمَامَ المائدةِ الصَّغِيرَةِ . . .

وَهَمَسْتُ سَيِّدَةً فِي أُذُنِ صَدِيقَةٍ لَهَا وَلِأَنَا، وَهِيَ تُومِضُ بَعَيْنَيْهَا: «هَذَا غَيْرُ لَائِقٍ، إِنَّهُمَا يَزُوكِيَانِ مَا يُنَافِي الأَدَبَ!»

وَلَمْ تَكُنْ هَاتَانِ السَّيِّدَتَانِ هُمَا الوَحِيدَتَيْنِ اللَّتَيْنِ اسْتَهْجَنَتَا تَصَرُّفَ أَنَا وَفرونسكي، بَلْ إِنَّ المَدْعُوِّينَ جَمِيعًا قَدْ أَخَذُوا عَلَى الشَّائِبِينَ شُدُودَهُمَا، وَتَهَامَسُوا فِي شَيْءٍ مِنَ الحَقِّقِ عَنِ اغْتِرَالِهِمَا بِقِيَّةِ الضُّيُوفِ، وَكَأَنَّهُمَا لَا يَشْعُرَانِ بِالعُيُونِ تَنْتَهَبُهُمَا، أَوْ كَأَنَّهُمَا لَا يُبْصِرَانِ فِي هَذَا المَكَانِ إِلَّا شَخْصِيَهُمَا.

أَمَّا كَارِنِينُ، فَقَدْ كَانَ الشَّخْصَ الوَحِيدَ الَّذِي لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمَا، بَلْ إِنَّهُ مَضَى يَتَحَدَّثُ بِحَرَارَةٍ وَإِيمَانٍ، وَكَأَنَّ الأَمْرَ لَا يَغْنِيهِ فِي قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ!

وَصَاقَتِ الأَمِيرَةُ بِتَسِي ذَرْعًا بِتَحْوِيلِ الأَفْكَارِ إِلَى أَنَا، فَاخْتَالَتْ عَلَى الانْسِحَابِ مِنْ مَكَانِهَا، وَانْتَجَهَتْ إِلَيْهَا وَخَاطَبَتْهَا بِصَوْتِ مُرْتَفِعٍ: «لَسَدَّ مَا يُعْجِبُنِي رَوْجُكَ بِحَدِيثِهِ الوَاضِحِ المَفْهُومِ، وَيُخَيِّلُ إِلَيَّ، كُلَّمَا اسْتَرَسَلَ فِي كَلَامِهِ، أَنِّي أَصْغِي إِلَى أَكْثَرِ الأَفْكَارِ سُمُومًا، إِلَى أَفْكَارٍ لَا تَصُدِّرُ إِلَّا عَنِ رَجُلٍ طَوِيلِ البَاعِ فَائِقِ الذِّكَاةِ».

فَتَلَأَلَا وَجْهَهُ أَنَا وَأَجَابَتْ: «أَصَبْتُ، أَصَبْتُ . . .». لَكِنَّهَا لَمْ تَسْمَعْ كَلِمَةً مِمَّا قَالَتْهُ الأَمِيرَةُ بِتَسِي، فَسَعَادَتْهَا كَانَتْ مِنْ نَوْعِ آخَرَ. وَمَا لَبِثْتُ أَنْ نَهَضْتُ إِلَى المائدةِ الكَبِيرَةِ، وَاشْتَرَكْتُ فِي مَا أَخَذَ القَوْمُ بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ نِقَاشٍ وَلِجَاجٍ.

وَتَحَفَّرَ كَارِنِينُ بَعْدَ سَاعَةٍ لِمُعَادَرَةِ المَكَانِ، وَطَلَبَ إِلَى رَوْجِهِ أَنْ تَتَأَهَّبَ لِلذَّهَابِ، وَلَكِنَّهَا اعْتَذَرَتْ لَهُ زَاعِمَةً أَنَّهَا تَرَعَّبُ فِي تَنَاوُلِ طَعَامِ العِشَاءِ مَعَ صَدِيقَتِهَا الأَمِيرَةَ بِتَسِي. فَلَمْ يُمَانِعِ الرَّجُلُ أَوْ يُبْصِرَ عَلَى اضْطِحَابِهَا، بَلْ حَيَّا الجَمِيعَ مُودِّعًا وَمَضَى فِي سَبِيلِهِ.

وَكَانَ الحُوذِيُّ التَّرِيُّ البَدِينُ يُحَاوِلُ عَبَثًا تَهْدِئَةَ الجِيَادِ . . . وَكَانَتْ قَدْ هَاجَتْ مِنَ البَرْدِ وَشَرَعَتْ تَضْرِبُ الأَرْضَ بِحَوَافِرِهَا، عِنْدَمَا نَزَلْتُ أَنَا كَارِنِينَا بِصُخْبَةٍ فرونسكي.

وَأَصَاحَتْ أَنَا لِرَفِيقِهَا بَانْتِيَاوِ، وَكَانَ الفَتَى يَقُولُ: «لَمْ تَعِدِي بِشَيْءٍ، وَلَنْ أَطْلُبَ مِنْكَ شَيْئًا، بَيِّدْ أَنَّكَ تَعْلَمِينَ أَنَّ الصَّدَاقَةَ لَيْسَتْ هِيَ كُلُّ مَا أَبْتَغِي . . . أَنْتِ تَعْلَمِينَ أَنَّ هُنَاكَ سَعَادَةٌ وَاحِدَةٌ فَحَسْبُ، سَعَادَةٌ وَاحِدَةٌ لِي فِي هَذِهِ الحَيَاةِ، وَأَنَّ هَذِهِ السَّعَادَةَ تَكْمُنُ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ

تَمَقُّتِيهَا أَنْتِ- الْحُبُّ- أَجَلٌ، الْحُبُّ» .

وَرَدَّدَتْ أَنَا الْكَلِمَةَ بِطُءٍ شَدِيدٍ: «الْحُبُّ . . . الْحُبُّ . . .» .

وَاسْتَتَلْتُ بِسُرْعَةٍ وَهِيَ تَتَحَفَّزُ لِلصُّعُودِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ: «إِنِّي أَمَقُّتُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لِأَنَّهَا تَعْنِي كَثِيرًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيَّ، بَلْ لِأَنَّهَا تَنْطَوِي عَلَى مَعَانٍ هَائِلَةٍ لَا قِبَلَ لَكَ بِالتَّكْهُنِّ بِهَا!»
وَمَدَّتْ إِلَيْهِ يَدَهَا وَحَدَحَتْهُ بِنَظَرِهَا، ثُمَّ اسْتَقَلَّتِ الْعَرَبِيَّةَ .

وَكَانَ لِنَظَرِهَا وَلِلْمَسَمَةِ يَدَهَا فِعْلُ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ، فَقَدْ أَحَسَّ بِالنِّيرَانِ تَنْدَلِجٍ فِي أَحْشَائِهِ، فَرَفَعَ يَدَهُ، وَقَبَّلَ الْمَوْضِعَ الَّذِي لَمَسْتُهُ أَنَا، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى بَيْتِهِ لَا يَكَادُ يَطَأُ الْأَرْضَ مِنْ فَرْطِ زَهْوِهِ وَسَعَادَتِهِ، وَهُوَ مُوقِنٌ كُلَّ الْيَقِينِ أَنَّ مَارَبَهُ أَضْحَى قَابَ قَوْسَيْنِ^(١) أَوْ أَذْنَى، وَأَنَّهُ نَائِلٌ عَنِ قَرِيبٍ مَا هَفَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَتَاقَتْ رَوْحُهُ طِيلَةَ الشَّهْرَيْنِ اللَّذَيْنِ تَصَرَّمَا عَقَبَ اجْتِمَاعِهِ بِهَا فِي مَحَطَّةِ الْقِطَارِ .

(١) أَضْحَى قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَذْنَى: أَضْحَى قَرِيبًا جِدًّا .

أَسْئَلَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ

- ١ - ضَعِّعْ لِهَذَا الْفَصْلِ عِنْوَانًا مَنَاسِبًا .
- ٢ - تَنَمِّي شَخْصِيَّاتِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ إِلَى مُجْتَمَعٍ مُعَيَّنٍ . فَأَيَّ الطَّبَقَاتِ يُمَثِّلُ مُجْتَمَعُ هَذِهِ الشَّخْصِيَّاتِ ؟
- ٣ - لِمَ اخْتَارَ تَوْلِسْتَوِي أَبْطَالَ رِوَايَتِهِ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ الرَّفِيعَةِ؟ أَكَانَ يَرِيدُ أَنْ يَفْضَحَهَا ، أَمْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُقَوِّمَهَا؟
- ٤ - أَذْكَرُ بَعْضَ مَثَالِبِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ مِمَّا تَرَاهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ ، أَوْ مِمَّا رَأَيْتَهُ فِي فُصُولٍ سَابِقَةٍ .
- ٥ - قَالَتْ أَنَا فِي صَدْدِ دِفَاعِ فِرُونْسْكِ عَنِ ضَرُورَةِ الْحُبِّ لِلزَّوْجِ النَّاجِحِ : «جَاءَتْني أَخْبَارُ مُرْعَجَّةٍ عَنْ مَرِيضٍ كَاتِرِينَ» . فَمَاذَا أَرَادَتْ بِقَوْلِهَا هَذَا؟
- ٦ - إِلامَ انْتَهَى الْجِوَارُ بَيْنَ أَنَا كَارِنِينَا وَفِرُونْسْكِ؟
- ٧ - إِذَا كَانَ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ يُنَافِي الْقَوَاعِدَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ الَّتِي تَرْتَكِزُ عَلَيْهَا الْأُسْرَةُ ، فَمَنْ مِنْهُمَا الْمَسْئُولُ؟
- ٨ - أَوْجِزْ مَضْمُونَ الْفَصْلِ فِي أَسْطُرٍ قَلِيلَةٍ .

الفصل الثالث

لم يجد كارنين في تصرف زوجته في تلك الليلة ما تلام عليه، ولكن، لم يفقه ما طرأ على الضيوف من اضطراب، وما أخذوا به أنفسهم من الهمس واللغط. ولهذا تراءى له أن ما فعلته أنا لم يكن يليق بها، وإلى أن يحدثها بذلك صراحة لدى أوبتها.

وقلب الرأي على مختلف وجوهه، ووطن النفس أخيراً على مواجهتها بالحقبة السافرة، ومجابتهها بهذا الكلام: «لا أجد لي مهرباً من إيضاح النقاط التالية لك يا عزيزتي: أولاً: عدم الاستهانة بالرأي العام والدوق واللياقة؛ ثانياً: الحرص على صيانة المعاني الدينية للزواج؛ ثالثاً: التكهّن بما عسى أن يلحق ابننا من المدلّة؛ رابعاً: ما قد يجرّه هذا علينا من الشقاء والعناء!»

وارتفع في الخارج صوت عربة تسير صوب الباب، فجمد الرجل في مكانه وسط الغرفة. وتناهى إلى سمعه صوت خطى لامرأة، فضغط على يده. ومع رضاه عن الكلمات التي أعدها، شعر بالخوف من التفسير والإيضاح... فلو سألته عن الأسباب التي حدثت على مجابتهها بمثل هذا التحذير، لاستغلق عليه الأمر وأزيج القول.

دلقت أنا إلى بيتها مطرقة تعبت بسبلة قبعتها. وكان وجهها يتألق ويتوهج، لكن هذا البريق لم يكن إشراقاً، بل كان أشبه بأجيج حريق مخيف في بهيم ليلة حالكة الإهاب دامية الجلباب.

ولدى شعورها بوجود زوجها، رفعت رأسها وابتسمت، وكأنها استفاقت من نوم!

وقالت وهي تترك قبعتها تسقط من يدها: «أراك ساهراً، فما أعجب هذا منك!»

ومشت إلى حجرة الملابس وهي تئتميم: «إن الوقت متأخر يا ألكسي».

قال: «أنا، لا بد لي من محادثتك».

قَالَتْ مُتَعَجِّبَةً: «مُحَادَثَتِي! . . . فِي أَيِّ مَوْضُوعٍ؟»

وَتَرَيْتِ لَدَى الْبَابِ وَاسْتَتَلْتُ: «وَلِمَاذَا؟ وَمَاذَا تَوَدُّ أَنْ تَقُولَ؟»

وَجَلَسْتُ عَلَى الْأَرِيكَةِ وَتَابَعْتُ: «هَاتِ مَا عِنْدَكَ إِنْ كَانَ لَا بُدَّ اللَّيْلَةَ مِنَ الْحَدِيثِ، مَعَ أَنِّي أَفْضَلُ النَّوْمَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ آخَرَ».

قَالَتْ أَنَا مَا حَضَرَ بَدِيهَتَهَا، وَعَجِبْتُ سَاعَةً سَمِعْتُ نَفْسَهَا، لِمَقْدِرَتِهَا عَلَى الْكُذِبِ. فَهِيَ لَا تَشْعُرُ بِأَيِّ مَيْلٍ إِلَى الرَّقَادِ. وَخِيلَ إِلَيْهَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَنَّهَا مَجْبُولَةٌ بِالنَّفَاقِ، وَأَنَّ قُوَّةَ خَفِيَّةِ تَوَازُرِهَا وَتَشَدُّ عَضْدِهَا.

وَقَالَ الرَّجُلُ: «يَخْلُقُ بِي يَا أَنَا أَنْ أَحْذَرَكَ . . .».

فَقَاطَعَتْهُ مَدْهُوشَةً: «تُحَذِّرُنِي! وَمِمَّ تُحَذِّرُنِي؟»

وَنظَرْتُ إِلَيْهِ نَظْرَةً بَرِيئَةً طَبِيعِيَّةً، حَتَّى كَانَ مِنَ الْمُتَعَذِّرِ عَلَى كُلِّ امْرِئٍ لَا يَعْرِفُهَا كَمَا يَعْرِفُهَا زَوْجُهَا، أَنْ يَجِدَ شَيْئًا غَيْرَ طَبِيعِيِّ فِيهَا، سِوَاءِ أَكَانَ هَذَا الشَّيْءُ فِي لَهْجَتِهَا أَمْ فِي كَلِمَاتِهَا.

أَمَّا زَوْجُهَا، وَهُوَ الْمُلِمُّ بِحَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا، الْعَلِيمُ بِخَلَجَاتِهَا لِإِقْبَالِهَا عَلَيْهِ فِي كُلِّ شَعُورٍ يَحْتَمِلُ فِي صَدْرِهَا، تَسْتَشِيرُهُ وَتَأْخُذُ رَأْيَهُ، فَإِنَّهُ أَمْسَى قَادِرًا، بَعْدَ أَنْ أَظْهَرَتْ عَدَمَ الْإِكْتِرَاطِ بِمَا يَجِيشُ فِي صَدْرِهِ، عَلَى مَعْرِفَةِ الْكَثِيرِ مِنْ أَمْرِهَا مِنْ دُونِ كَلَامٍ وَلَا اسْتِجْوَابٍ.

وَرَأَى أَنَّ أَعْمَاقَهَا الَّتِي كَانَتْ مُفْتَحَ الْمَصَارِيحِ لَهُ قَدْ أُغْلِقَتْ الْآنَ إِلَى الْأَبَدِ . . . وَفَوْقَ ذَلِكَ لَاحَظَ مِنْ صَوْتِهَا وَحِدَّتِهَا أَنَّهَا لَا تَعْبَأُ بِهِ. لَقَدْ دَرَى بِخَفِيَّتِهَا، أَوْ بِالْآخَرَى لَقَدْ عَلِمَ أَنَّ قَلْبَهَا قَدْ انْشَغَلَ بِسِوَاهُ عَنْهُ!

وَخَامِرُهُ شَعُورٌ مَنْ يَرْجِعُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَيَلْقَى الْبَابَ مُوَصَّدًا مُحَكَّمِ الرَّتَاجِ.

يَبْدَأُ أَنَّهُ نَاجِي نَفْسَهُ قَائِلًا: «وَلَكِنْ، رَبِّمَا وَجَدْتُ الْمِفْتَاحَ، فَلَأُحَاوِلُ»

وَانْتَبَرَى يَقُولُ بِصَوْتٍ هَادِيٍّ مُنْخَفِضٍ: «أَرْعَبُ فِي تَحْذِيرِكَ مِنْ قَلَّةِ الْإِكْتِرَاطِ فَلِإِهْمَالِ يُعِيرُ الْقَالَءَ، وَيَجْعَلُ الْمَرْءَ مُضْغَةً فِي الْأَفْوَاهِ. وَخَلَوْتُكَ بِالْكَوْنِ فَرُوسَتِي اللَّيَاءُ كَانَ لَهَا عَوَاقِبُ وَخِيَمَةٌ!»

وَنظَرَ خِلَالَ حَدِيثِهِ إِلَى عَيْنَيْهَا الصَّاحِكَتَيْنِ، فذُعِرَ أَشَدَّ الذُّعْرِ مِمَّا شَاهَدَهُ فِيهِمَا مِنْ
الْغُمُوضِ وَالْإِبْهَامِ، وَسَعَرَ بِلِ أَيْقَنَ أَنَّ مُحَاوَلَتَهُ عَقِيمَةٌ لَا طَائِلَ تَحْتَهَا.

وَأَجَابَتْ أَنَا وَكَانَهَا لَا تَفْهَمُ مَا يَقُولُ: «أَنْتَ لَا تَتَبَدَّلُ يَا عَزِيزِي. تَارَةً تُتَدَدُ بِبُرُودِي
وَجُمُودِي، وَتَارَةً تَسْتَهْجِنُ حَيَوِيَّتِي وَمَرَحِي. وَاللَّيْلَةَ لَمْ أَكُنْ جَامِدَةً مَيْتَةَ الْمَسَاعِرِ، فَهَلْ أَثْقَلْتُ
عَلَيْكَ؟ هَلْ آذَيْتُكَ؟»

وَارْتَعَشَ الْأَلَكْسِيسُ كَارْنِينَ ارْتِعَاشَ الرَّهْبَةِ وَأَجَابَ بِلُطْفٍ: «أَنَا! هَلْ أَنْتِ أَنْتِ؟!»

فَقَالَتْ بَدَهْشَةً صَادِقَةً: «وَمَاذَا جَرَى يَا تُرَى؟ وَمَاذَا تُرِيدُ مِنِّي؟»

وَتَرَدَّدَ كَارْنِينُ وَتَحَسَّسَ جَبْهَتَهُ وَعَيْنَيْهِ. وَقَدْ رَأَى أَنَّهُ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَفْعَلَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ مِنْ
إِطْلَاعِ زَوْجِهِ، أَوْ بِالْأَحْرَى تَسْبِيحِهَا إِلَى الْأَخْطَاءِ الَّتِي يَرَاهَا النَّاسُ وَيَتَشَدَّقُونَ بِهَا، عَنِي كُلَّ
الْعِنَايَةِ بِضَمِيرِهَا وَإِحْسَاسِهَا، وَكَافَحَ أَشَدَّ الْكِفَاحِ لِتَذْلِيلِ الْعَقَبَةِ الَّتِي رَأَاهَا تَنْمُو بِسُرْعَةٍ مُخِيفَةٍ
بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا. وَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَ قَلِيلٍ أَنْ قَالَ بِبُرُودٍ وَهْدُوءٍ: «أَضْرَعُ إِلَيْكَ أَنْ تُصْغِي إِلَيَّ مَا أَقُولُ،
إِنِّي كَمَا تَعْلَمِينَ أَعْتَبِرُ الْغَيْرَةَ، شَيْئًا يَنْطُوي عَلَى الشَّيْنِ وَأَرْبَابًا يَنْقُصِي عَنْهَا، وَأَضِنُّ بِهَا مِنْ أَنْ
تَسْتَرْقِهَا الْغَيْرَةُ فَتَبُدِّدَهَا. بَيِّدْ أَنَّ هُنَاكَ الذُّوقَ، وَحُدُودَهُ، وَشُدُودَهُ... وَلَا يُمَكِّنُ لِلْمَرءِ أَنْ
يَخْتَرِقَ الْحُدُودَ، وَيُحْطَمَ الشُّدُودَ... لَمْ أَبَالِ اللَّيْلَةَ بِمَا جَرَى، وَلَكِنَّ التَّأثيرَ الَّذِي أَحْدَثَهُ
عُزُوفُكَ عَنِ النَّاسِ كَانَ شَيْئًا لِلْغَايَةِ، أَكْثَرَ سُوءًا مِمَّا تَنْظُنُّ!»

فَهَزَّتْ أَنَا كَتِفَيْهَا وَأَجَابَتْ بِقِلَّةِ الْكثيرَاتِ: «لَا أَفْهَمُ مَا تَرْمِي إِلَيْهِ».

وَاسْتَنْتَلَتْ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَفْسِهَا: «إِنَّهُ لَا يُبَالِي، وَلَوْلَا انْتِبَاهُ الضُّيُوفِ لِلْأَمْرِ لَمَا اضْطَرَبَ
وَارْتَبَكَ!»

وَاسْتَنْتَلَتْ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ: «أَنْتِ مُتَوَعِّكٌ يَا الْأَلَكْسِيسِي...». وَانْتَصَبَتْ وَاقْفَةً وَاتَّجَهَتْ صَوْبَ
الْبَابِ. وَلَكِنَّهُ خَطَا إِلَى الْأَمَامِ كَأَنَّهُ يُحَاوِلُ مَنَعَهَا مِنَ الْخُرُوجِ.

وَكَانَ وَجْهُهُ مُكْفَهَرًا، لَمْ تَرَهُ أَنَا مِنْ قَبْلِ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ. كَانَ مُرَبَّدًا يَنْطُوقُ بِالنُّورَةِ
لِعَارِمَةِ الْمُعْتَمِلَةِ فِي أَعْمَاقِهِ.

وَتَرَيْتُمْ مُجْفِلَةً، ثُمَّ كَتَمَتْ مَا دَاخَلَهَا مِنْ اَشْوِيزَارِ، وَقَالَتْ وَهِيَ تَرْفَعُ يَدَهَا إِلَى رَاسِهَا
تَنْزِعَ مِنْ ضَفِيرَتِهَا الدَّبَابِيسَ الْمُدْهَبَةَ: «هَا أَنْدَا أُصِيحُّ إِلَيْكَ، فَهَاتِ مَا عِنْدَكَ، فَأَنَا مَشُوقَةٌ إِلَى

عَجْمُ عودك^(١)، وَسَبْرُ حَقِيقَةِ نَزْوَتِكَ!»

وتَوَلَّاهَا عَجَبٌ شَدِيدٌ. فكيفَ تَنَاتِي لها هَذِهِ المَقْدِيرَةُ؟ كيفَ تَسْتَطِيعُ مُجَابَهَتَهُ بِمِثْلِ هَذَا البُرودِ المَتَهَكِّمِ؟

وَسَرَعَ كَارِنِينَ يَتَكَلَّمُ، قَالَ: «إِنِّي أَعْتَبِرُ التَّغْلُغَلَ إِلَى أَعْمَاقِ مَسَاعِرِكَ وَأَحَاسِيْسِكَ تَطْفُلًا لَا يَجِئُ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْنَحَ إِلَيْهِ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ زَوْجِكَ. بَلْ إِنِّي عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ لِمِثْلِ هَذِهِ الخُطُوَّةِ عَوَاقِبَ وَخِيَمَةً، لِأَنَّ المَرْءَ إِذَا حَاوَلَ اسْتِكْشَافَ الرُّوحِ رَأَى فِي الغَالِبِ مَا يَبْهَظُهُ»^(٢) وَيُخَيِّبُ أَمَلَهُ. فَشُعُورُكَ يَمْلِكُ لَكَ، شُعُورُكَ مُوَكَّوِلٌ إِلَى صَمِيرِكَ؛ غَيْرَ أَنِّي أَشْعُرُ، بَلْ أَعْتَقِدُ أَنَّ الوَاجِبَ الَّذِي يَفْرِضُهُ عَلَيَّ رِبَاطُ الزَّوْجِيَّةِ - وَاجِبِي تُجَاهَكَ أَيُّهَا الزَّوْجَةُ، وَأَمَامَ اللَّهِ - هُوَ أَنْ أَلْفَتَ نَظْرَكَ إِلَى وَاجِبِكَ أَنْتِ. لَقَدْ انْدَمَجَتْ حَيَاتُنَا لَيْسَ بِفِعْلِ الإِنْسَانِ بَلْ بِإِرَادَةِ مِنَ اللَّهِ، وَلَا يَفْصِمُ هَذَا الرِّبَاطَ المُقَدَّسَ إِلَّا جَرِيْمَةٌ، وَلِكُلِّ جَرِيْمَةٍ عِقَابٌ».

وَهَتَمْتُ أَنَا بِسُرْعَةٍ، وَهِيَ لَا تَزَالُ تَعْبَثُ بِشَعْرِيهَا لِتَسْتَخْرِجَ بَقِيَّةَ الدَّابَّيْسِ: «لَا أَفْهَمُ كَلِمَةً مِمَّا تَقُولُ، وَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَيَّ التُّعَاسُ، فَدَعْنِي أَذْهَبَ إِلَى مَرَقَدِي».

فَأَجَابَ مُتَلَوِّعًا: «نَاشِدْتُكَ اللَّهُ أَنْ تُقْلِعِي عَن هَذِهِ اللُّهْجَةِ يَا أَنَا. رَبُّمَا كُنْتُ مُحْطِطًا فِي مَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ لَا يَغْرُبُ عَن بَالِكَ أَنِّي قُلْتُ مَا قُلْتُ، بِحَافِزٍ مِنَ المَصْلَحَةِ المُشْتَرَكَةِ بَيْنَنَا، فَأَنَا زَوْجِكَ، وَأَنَا أُحِبُّكَ!»

وتَلَاشَى مِنْ عَيْبَتِهَا بَرِيْقُ التَّهَكُّمِ، وَأَطْرَقَتْ مُتَأَمِّلَةً مُتَفَكِّرَةً: «الحُبُّ! وَهَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحِبَّ؟ وَلَوْ لَمْ يَسْمَعْ عَن شَيْءٍ اسْمُهُ الحُبُّ لَمَا نَطَقَ قَطُّ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ. إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَعْنَى الحُبِّ، أَجَلْ، إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ!»

ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا وَوَاجَهَتْهُ بِنَظَرِهَا وَهِيَ تَقُولُ: «ثُمَّ أَنِّي لَا أَفْهَمُ مُرَادَكَ يَا أَلِكْسِي، فَكُنْ صَرِيحًا وَأَوْضِحْ!»

قَالَ: «ذَرِينِي أَكْشِفُ لَكَ عَمَّا يَعْتَمِلُ فِي صَدْرِي، إِنِّي أُحِبُّكَ، يَبْدُ أَنِّي لَا أَوَدُّ أَنْ أَتَحَدَّثَ عَن نَفْسِي، لِأَنَّ الشَّخْصَيْنِ اللَّذَيْنِ أُرِيدُ أَنْ أَرُوعِي مَصْلَحَتَهُمَا هُمَا أَنْتِ وَابْنُنا. رَبُّمَا رَأَيْتِ

(١) عَجْمُ عودك: اخْتِيَارُكَ.

(٢) يَبْهَظُهُ: يَشِيقُ عَلَيْهِ، يُتَعَبُّهُ.

ملامي هراء لا مثيل له، وربما كنتُ مُخطئًا في رأيي وتفكيري نتيجة الوهم الزائف. فإن كنتُ كذلك أضرع إليك أن تغفري لي وتصفح عني، أمّا إن كان لظنوني شبح من الحقيقة، فأشألك أن تُعملي الفكر، وأن تتروّي، وأن تبيني ما في صدرك. أرجوك!

وغاب عن بال الرجل القلق أنه قال غير ما أزمع أن يقول.

واغتصبت المرأة ايتسامه مفهورة وأجابته: «ليس لدي ما أقول، وفوق ذلك فالوقت متأخر، وعلينا أن نأخذ لنفسينا قسطًا من الراحة».

وتنفس ألكسيس كارنين الصعداء، ومشى بخطوات بطيئة إلى مخدع النوم.

ولما جاءت بعد دقائق ألفتة مضطجعًا في الفراش. واختلست النظر إلى وجهه فرأت شفثيه القويين المطبقتين، ورأت العينين الجامدتين، وقرأت ما لم تفهم في تلك الأسارير.

واستلقت إلى جانبه وانتظرت أن يتكلم. انتظرت كلامه بمزيج من الخوف والرعدة والتلهف على سماع ما يؤد أن يفصح عنه، ولكنه لزم الصمت، ولم يُغن عنها انتظارها شيئًا.

وانجهدت بفكرها رويدًا رويدًا إلى الرجل الآخر، ونسيت في لمحة كل شيء عن هذا الرائد إلى جانبها - عن زوجها - ورأته، رأت ذلك الشاب، وشعرت بالدم يتدفق حارًا من قلبها... ووخزها ضميرها، لكن نفسها انتشت برحيق الحب.

وفجأة تناهى إليها صوت غطيظ، ثم انقطع الصوت كأن ألكسيس خجل من نفسه. ولكنه لم يلبث أن ارتفع ثانية متقطعًا بلحن رتيب منتظم.

وهمست باسمه: «لقد تأخرت كثيرًا، كثيرًا، ويجب أن أجمع. يجب أن استسلم

للكرى!»

ومع ذلك فقد مّصت عليها اللدائق وهي شاحصة إلى السقف، نُفكرُ ونُفكرُ، وبتراءى

لها إبان إمعانها في الفكر، أنها ترى بعينيها وميض عينيها!

* * *

منذ ذلك اليوم بدأت حياة جديدة في بيت ألكسيس كارنين. لم يحدث شيء غير عادي، واستمرت أنا تخرج إلى المجتمعات كما كانت تفعل. وأكثرت من زياراتها لقصر الأميرة

بتسي حيثُ كانتُ تجتمعُ إلى فرونسكي . وكانتُ تَلْقَاهُ في أمْكِنَةٍ أُخْرَى أَيْضًا، بل إنَّها وَجَدَتْهُ في كُلِّ مَكَانٍ ذَهَبَتْ إِلَيْهِ .

ورَأَى زَوْجَهَا وَأَبْصَرَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا . إِنَّهَا ظَلَّتْ في مَنْأَى عَنْهُ، تَتَجَنَّبُهُ وَتَبْتَعِدُ عَنْهُ وَتُقْفِلُ كُلَّ بَابٍ لِلْحَدِيثِ يُحَاوِلُ فَتْحَهُ .

وَأَكْثَرَتْ مِنَ الخُرُوجِ، وَأَفْهَمَتْ زَوْجَهَا بِتَصَرُّفَاتِهَا أَنَّهَا تَرْغَبُ عَنِ الحِجَاجِ وَتَمُجُّ اللِّجَاجَ، وَلَا تُطِيقُ أَنْ يُحَدِّثَهَا في أَمْرٍ هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا لَا يَعْني سِوَاهَا!

وقد عَافَتْ مَحْضَرَهُ، وَصَدَفَتْ عَنِ الاجْتِمَاعِ إِلَيْهِ؛ أَمَّا أَمَامَ النَّاسِ فَقَدْ حَرَصَ الاثْنَانِ على الظُّهُورِ بِمَظْهَرِ الزَّوْجَيْنِ الْمُتَفَاهِمَيْنِ الْمُتَوَاتِمَيْنِ، مَعَ أَنَّ عِلَاقَاتِهِمَا في المَنْزِلِ كَانَتْ مَا تَقْتَضِي تَدَهُّورًا مِنْ سَيِّئِ إِلَى أَسْوَأَ .

أَلِكْسِيسُ كَارْنِينِ، الرَّجُلُ الشَّدِيدُ المِرَاسِ، الطَّوِيلُ البَاعِ، البَارِعُ، العَظِيمُ القَدْرِ، هَذَا الرَّجُلُ المَشْهُورُ وَجَدَ نَفْسَهُ ضَعِيفًا في بَيْتِهِ، لَا حَوْلَ لَهُ وَلَا طَوْلَ، كَالثَّوْرِ يَحْنِي رَأْسَهُ بِخُضُوعٍ انْتِظَارًا لَصَرْبَةِ الفَاسِ!

وَكُلَّمَا فَكَّرَ هَذَا الرَّجُلُ بِمَا شَابَ حَيَاتُهُ، شَعَرَ بِأَنَّهُ يَخْلُقُ بِهِ أَنْ يُعِيدَ الكَرَّةَ وَيُحَاوِلَ مَرَّةً أُخْرَى . فثَمَّةَ آمَالٍ تَجِيشُ في صَدْرِهِ، ثَمَّةَ آمَالٍ تُهْدِدُ أَحْلَامَهُ، فَقَدْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْقِذَهَا قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَانِ مِنْ بَرَاثِنِ الهَوَانِ .

على أَنَّهُ في كُلِّ مَرَّةٍ حَاوَلَ أَنْ يُفَاتِحَ زَوْجَهُ في الأَمْرِ، كَانَ يَشْعُرُ كَأَنَّ رُوحَ الشَّرِّ الَّتِي تُهَيِّمُ على مَشَاعِرِهَا قَدِ انْتَقَلَتْ إِلَيْهِ هُوَ، وَأَنَّهُ أَضْحَى مِثْلَهَا مُنَافِقًا مُرَائِيًا، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا غَيَّرَ المَوْضُوعَ وَخَاضَ في حَدِيثِ آخَرَ غَيْرَ الَّذِي بَدَأَ بِهِ .

وهكذا مَرَّ الوَقْتُ، مَرَّ يَوْمًا إِثْرَ يَوْمٍ، وَدَارَتْ عَجَلَةُ الزَّمَانِ وَالرَّجُلُ حَائِزٌ في أَمْرِهِ، وَالمَرَأَةُ سَادِرَةٌ في هَوَاهَا، مَا ضِيَّةً في طَرِيقِهَا لَا تَلْوِي على أَحَدٍ؛ فإِلَى أَيْنَ تَقُودُهَا قَدَمَاهَا؟ إِلَى أَيْنَ يُفْضِي بِهَا غُرُورُهَا؟ وَمتى تَسْتَفِيقُ؟ هل تَتَرَجَّعُ أو تَقْدِفُ بِنَفْسِهَا في الأَتُونِ؟

على مَفْرِقِ طَرِيقَيْنِ أَلْفَتْ أَنَا نَفْسَهَا .

إِلَى اليمِينِ طَهْرٌ وَعِقَّةٌ وَنِقَاءٌ . . .

وَإِلَى اليسَارِ فُحْشٌ وَدَنَسٌ وَرِجْسٌ . . .

فإلى أيهما تَنجُ الغائبة^(١)؟
إنَّها على مَفْرَقِ طَرِيقَيْنِ تَقِفُ . . .
والقَدَرُ يَنْتَظِرُ، وزَوْجُهَا المَلْهُوفُ يَنْتَظِرُ!

(١) الغائبة: المرأة التي أغناها جمالها عن الزينة.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَعُ لهذا الفصلِ عُنوانًا مُناسبًا .
- ٢ - ما عواقبُ الخيانةِ الزوجيةِ في رأيِ ألكسيس كارنين؟
- ٣ - لأنَّنا كارنينا ماخِذُ على زوجها كارنين . فماذا تلاحظُ منها في هذا الفصلِ؟ وهل ترى أنَّ لهذه الماخِذِ دورًا في سلوكها الجديد حيالِ فرونسكي؟
- ٤ - أتتري أنَّ موقفَ كارنين كانَ كافيًا للجُم جموحِ زوجِه قبلَ أن تصلَ إلى قعرِ الهُوَّة؟ ولماذا؟
- ٥ - وأنتَ . هل ترى أنَّ أنا كارنينا كانتَ تسيِّرُ حقًا نحوَ الهاويةِ؟
- ٦ - هل ترى أنَّ المؤلفَ أرادَ أن يدينَ المُجتمَع الذي تعيشُ فيه أنا كارنينا؟ وكيف؟
- ٧ - أوجِزْ مضمونَ الفصلِ في أسطرٍ قليلةٍ .

الفصل الرَّابِع

هَذَا الَّذِي كَانَ لِفرونسكي الْوَطْرَ الْوَحِيدَ لِحَوْلِ مَضَى؛ هَذَا الَّذِي أَرْقَهُ وَكَحَلَ عَيْنَيْهِ
بِالسُّهَادِ؛ هَذَا الْأَمَلُ الْجَيَّاشُ تَحَقَّقَ أَحْيَرًا، وَظَفِرَ فرونسكي بِمَا اشْتَهَى وَابْتَغَى.

هَذَا الَّذِي كَانَتْ فَرَايِصُ^(١) أَنَا تَرْتَعِدُ لِمُجَرَّدِ التَّفَكِيرِ فِيهِ؛ هَذَا الَّذِي كَانَ يَقْضُ مَضْجَعَهَا
لَهْوَلِهِ، وَتَرْتَجِفُ أَوْصَالُهَا لِبِشَاعَتِهِ، تَحَقَّقَ أَحْيَرًا، وَكَانَ سَعَادَةً لَهَا، وَكَانَ هِنَاءً، وَكَانَ نِعْمَةً
سَابِعَةً^(٢)!

وَوَقَفَ فرونسكي إِزَاءَهَا أَصْفَرَ الْوَجْهِ، مُخْتَلِجَ الْجُفُونِ، يَزْعَشُ حَنَكُهُ رِعْشَةَ الْإِنْفِعَالِ.
وَجَعَلَ يَبْتَهِلُ وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْهَا أَنْ تَهْدَأَ، وَأَنْ تَسْكُنَ، وَأَنْ تُخَفَّفَ مِنْ غُلُوَائِهَا.

قَالَ فِي صَوْتِهِ نِعْمَةً اسْتِعْطَافٍ مَخْوَفَةٍ: «أَنَا! أَنَا! لَا تَسْتَرْسِلِي فِي مَا أَنْتَ فِيهِ نَاشِدُتُكَ
اللَّهِ».

غَيْرَ أَنْ صَوْتَهُ الْمُتَهَدِّجَ الْمُرتَفِعَ النَّبْرَةَ جَعَلَهَا تُسْبِلُ جَفْنَيْهَا، وَتَحْنِي صَعْدَتَيْهَا^(٣). فَكَانَ أَنْ
أَزْدَادَ شُعُورُهَا بِالْعَارِ وَالصَّغَارِ، ثُمَّ أَنهَارَتْ عَلَى الْأَرْضِ، قَرِيبًا مِنْ قَدَمَيْهِ.

وَمَا لَيْثَتْ أَنْ هَتَفَتْ وَالْهَيْةَ: «الْمَغْفِرَةَ، الْمَغْفِرَةَ... لَقَدْ أَذْنَبْتُ!»

مَا أَمَرَ الْخَطِيئَةَ! شَعَرَتْ أَنَا بِالْعَضَاضَةِ، شَعَرَتْ بِأَنَّهَا خَاطِئَةٌ، مُجْرِمَةٌ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ
صَالِحٍ قَدْ زَالَ مِنْ حَيَاتِهَا، وَأَنَّهَا انْخَفَضَتْ إِلَى الدَّرَكِ^(٤) الْأَسْفَلِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَهَا سِوَى
الْعِقَابِ، وَاسْتِجْدَاءِ الصَّفْحِ.

(١) الْفَرَايِصُ: جَمْعُ فَرِيصَةٍ، وَهِيَ الْعَضَلَةُ الصَّدْرِيَّةُ. ارْتَعَدَتْ فَرَايِصُهَا: فَرَعَتْ أَشَدَّ الْفَرَعِ، خَافَتْ خَوْفًا
شَدِيدًا.

(٢) نِعْمَةً سَابِعَةً: نِعْمَةً وَاسِعَةً.

(٣) صَعْدَتَيْهَا: قَامَتَا الْمُسْتَقِيمَةَ (وَالأَصْلُ الْقَنَاةُ الْمُسْتَقِيمَةُ).

(٤) الدَّرَكُ: أَقْصَى قَعْرِ الشَّيْءِ.

على أَنَّهُ أَحْسَنَ كَمَا يُحْسِنُ قَاتِلٌ يَرَى جُنَّةَ صَحِيَّتِهِ مُسْجَاةً أَمَامَ نَاطِرِيهِ . إِنَّهُ حَرَمَهَا الْحَيَاةَ .
إِنَّهُ قَتَلَهَا ، وَهَا هِيَ جُنَّتُهَا ، الْجُنَّةُ الَّتِي حَرَمَهَا الْحَيَاةَ ، إِنَّهَا جُنَّةُ الْحُبِّ . إِنَّهَا الْمَرْحَلَةُ الْأُولَى
مِنْ حُبِّهَا !

كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ مُرِيعٌ يَضْطَرُّ فِي مُخَيَّلَتِهِ ، كَانَ هُنَاكَ فِكْرٌ هَائِلٌ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي اشْتَرَاهُ
بَثْمَنِ الْعَارِ الرَّهِيْبِ ، الْعَارِ أَوْ الشُّعُورِ بِالْحَجَلِ مِنْ تَعَرِّي رُوحِيهِمَا مِنْ لُبُوسِ الْحِشْمَةِ
وَالْعِضْمَةِ ، حَطَّمَهَا هِيَ ، وَأَذَلَّ كِبْرِيَاءَهُ هُوَ .

على أَنَّهُ بِالرَّغْمِ مِنْ رُغْبِ الْقَاتِلِ الَّذِي يُوَاجِهُهُ الْجُنَّةُ ، يَتَحَتَّمُ عَلَيْهِ أَنْ يُمَزَّقَ أَشْلَاءَهَا إِزْبَا
إِزْبَا ، وَأَنْ يُخْفِيَ أَجْزَاءَهَا ، وَأَنْ يُمَتِّعَ نَفْسَهُ بِمَا ظَفَرَ بِهِ مِنْ طَرِيقِ الْجَرِيْمَةِ !

وَمَا هِيَ إِلَّا فَيْئَةٌ حَتَّى أَلْقَى فَرُونْسَكِي نَفْسَهُ عَلَى الصَّحِيَّةِ ، وَسَحَبَهَا ، وَأَوْسَعَهَا لَثْمًا
وَتَقْبِيلًا ، مَثَلُهُ فِي ذَلِكَ مَثَلُ الْقَاتِلِ الَّذِي يَنْقُضُ بَجُنُونٍ عَلَى جُنَّةِ الْقَتِيلِ الْمَضْرَجِ بَدْمِهِ .

وَقَبَّلَهَا فِي وَجْهِهَا وَكَفَيْهَا وَصَدْرَهَا ، وَأَمْسَكَتْ هِيَ بِيَدِهِ ، وَلَمْ تُبَدِّ حِرَاكًا .

هَذِهِ الْقُبْلَاتُ ، أَي ذَلِكَ الشَّيْءِ الَّذِي اشْتَرَاهُ بَعَارِهَا وَسَنَارِهَا . أَجَلٌ ، وَهَذِهِ الْيَدُ الَّتِي
تَقْبِضُ عَلَيْهَا مِنَ الرُّشْعِ ، هِيَ يَدُ الْمُجْرِمِ شَرِيكِهَا !

وَرَفَعَتْ يَدَهُ إِلَى شَفَتَيْهَا وَقَبَّلَتْهَا ؛ وَجَثَا فَرُونْسَكِي عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَحَاوَلَ أَنْ يَرَى وَجْهَهَا ،
لَكِنَّهَا أَخْفَتْهُ وَلَمْ تَقُلْ شَيْئًا .

وَاشْتَرَجَعَتْ مَا أَذْرَتْهُ الْخَطِيئَةُ مِنْ رَاحَةِ بَالٍ وَضَمِيرٍ ، فَانْتَصَبَتْ وَاقِفَةً وَدَفَعَتْهُ عَنْهَا . وَكَانَ
وَجْهَهَا جَمِيلًا كَعَادَتِهِ ، لَكِنَّهُ كَانَ يَنْطِقُ بِالْأَسَى ، وَكَانَ يَسْتَدِرُّ الْإِشْفَاقَ .

وَقَالَتْ بِصَوْتِ عَذْبٍ حَزِينٍ : «إِنْتَهَى الْأَمْرُ ، وَلَمْ يَبْقَ لِي إِلَّاكَ ، فَتَذَكَّرْ هَذَا» .

وَرَدَّ عَلَيْهَا بِصَوْتِ جَهِيرٍ : «لَنْ أَنْسَى مَا حَيَّيْتُ إِكْسِيرَ الْحَيَاةِ^(١) . لَنْ أَنْسَى فَلْدَةَ مِنِّي . لَنْ
أَنْسَى حَيَاةَ هِيَ قِطْعَةٌ مِنْ حَيَاتِي . لَنْ أَنْسَى السَّعَادَةَ» .

وَكَأَنَّ غَضَبَهَا تَسَرَّبَ مِنْهَا شَرًّا مُحْرِقًا إِلَى نَفْسِهِ ، فَبَدَا مُتَّجِهًا عَبُوسًا ، وَحَاوَلَ الْكَلَامَ ،
إِلَّا أَنَّهَا قَطَعَتْ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ قَائِلَةً : «لَا تَقُلْ شَيْئًا ، أُضْمِتْ ، أُضْمِتْ !»

(١) إِكْسِيرُ الْحَيَاةِ : شَرَابٌ زَعَمَ الْأَقْدَمُونَ أَنَّهُ يُطِيلُ الْحَيَاةَ .

وَنظَرْتُ إِلَيْهِ شَزْرًا وَمَضَتْ مِنَ الْمَكَانِ لَا تَلْوِي عَلَى شَيْءٍ .

خَلِيطٌ مِنَ الْمَشَاعِرِ غَزَا قَلْبَهَا، فَلَمْ تَدْرِ أَهِيَ حَزِينَةٌ أَمْ جَدَلِي؟ وَلَمْ تَدْرِ أَهِيَ سَعِيدَةٌ أَمْ شَقِيَّةٌ؟ وَلَمْ تَدْرِ أَهِيَ فَايِظَةٌ أَمْ مُتَفَائِلَةٌ؟

وَتَعَاقَبَتْ عَلَيْهَا الْأَيَّامُ وَهِيَ أَعْجَزُ مَا تَكُونُ عَنْ سَبْرِ غَوْرٍ هَذَا الشُّعُورِ الْمُتَضَارِبِ . وَمَا أَكْثَرَ مَا خَاطَبَتْ نَفْسَهَا بِقَوْلِهَا: «لَا، لَا أَشْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ أَفَكَّرَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَسَأَفْعَلُ ذَلِكَ بَعْدَ أَيَّامٍ، عِنْدَمَا تَهْدَأُ أَعْصَابِي، وَتَخْمُدُ وَقْدَةُ عَذَابِي» .

عَلَى أَنَّ الْهُدُوءَ الْمَنْشُودَ ظَلَّ فِي مَتْنَيْ عَنَّا، وَظَلَّ فِكْرُهَا يَخْبِطُ فِي الْفَضَاءِ مِنْ دُونِ كَابِجٍ، كَمَا ظَلَّ حُلْمٌ وَاحِدٌ مُزْعَجٌ يُوقِظُهَا كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ نَوْمِهَا مَذْعُورَةٌ مَرْؤُودَةٌ^(١) .

كَانَتْ تَحْلُمُ كُلَّ لَيْلَةٍ أَنَّ الرَّجُلَيْنِ أَضْبَحَا زَوْجِيهَا، وَأَنَّهُمَا يَتَقَاسَمَانِهَا وَيَتَمَتَّعَانِ بِمَحَاسِنِهَا . وَكَانَ الْكُوسِيُّ كَارْنِينَ يَدْرِفُ الدَّمَاعَ السَّخِينِ فَوْقَ صَدْرِهَا، وَيَقُولُ: «مَا أَسْعَدَنَا! مَا أَسْعَدَنَا الْيَوْمَ!» وَفَرُونَسْكَي كَانَ مَعَهَا أَيْضًا، وَكَانَ زَوْجًا لَهَا . وَكَانَتْ هِيَ تَشْرَحُ لَهُمَا الْأَمْرَ ضَاحِكَةً مُعْرِفَةً فِي الضَّحِكِ، كَانَتْ تُنَبِّئُهُمَا أَنَّهُمَا حَازَا مَا صَبَتْ إِلَيْهِ نَفْسَاهُمَا . أَلَيْسَ فِي مَا حَظِيَا بِهِ مَا لَا يَطْمَعُ بِأَكْثَرِ مِنْهُ إِنْسَانٌ، أَلَا يَشْعُرَانِ كِلَاهُمَا بِأَنَّ الْحَيَاةَ اسْتَقَامَ لَهُمَا مُعْجُجًا؟

يَبْدُ أَنَّ هَذَا الْحُلْمَ كَانَ يُعَذِّبُهَا عَذَابَ السَّعِيرِ، وَكَانَ كَالْكَابُوسِ يُنِيخُ عَلَى صَدْرِهَا، وَيَسْلُ حَرَكَتَهَا، وَيُحِيلُهَا إِلَى امْرَأَةٍ شَقِيَّةٍ خَائِرَةٍ^(٢) خَائِرَةٍ، تَتُّنُ مِنَ الْهَوْلِ، وَلَا تَنِي تَتُّنُ!

* * *

ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَى رَحْبِهَا فِي عَيْنِي لَيْفِينَ، وَعَدَا بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ مُوسِكُو يُفَكَّرُ فِي خَبِيئَةِ الْمُرَّةِ، وَفِي هَذَا الْإخْفَاقِ الدَّرِيْعِ الَّذِي مُنِي بِهِ .

وَمَضَتْ الْأَيَّامُ، فَخَفَّتْ وَطَأَةُ غَمِّهِ، وَشَرَعَ يُقَارِنُ بَيْنَ مُصِيبَتِهِ الْجَدِيدَةِ وَمَصَائِبِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي كَانَ يَظُنُّ، كُلَّمَا لَحِقَتْ بِهِ مِنْهَا وَاحِدَةٌ، أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا تَحْتَ وَطَأَتِهَا . وَهَا هِيَ السَّنُونَ تَمُرُّ عَلَيْهِ، فَيَنْسَى مَا تَكَبَّدَهُ، وَيَتَعَلَّبُ عَلَى مَا خِيلَ إِلَيْهِ فِي الْمَاضِي أَنَّهُ نَائِلُهُ الْأَثَافِي^(٣) .

(١) مَرْؤُودَةٌ: مُفْرَعَةٌ .

(٢) خَائِرَةٌ: مُضْطَرِبَةٌ فِيهَا ضَعْفٌ وَفُتُورٌ .

(٣) الْأَثَافِي وَالْأَثَافِي: أَحْجَارُ الْمُؤَقِدِ وَهِيَ ثَلَاثَةٌ . وَنَائِلَةُ الْأَثَافِي يُرَادُ بِهَا كُتُبُ الْمَصَائِبِ وَأَذَاهَا .

وناجى نفسه أحياناً بقوله: «كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّي انْتَهَيْتُ، لَكِنِّي حَيِّتُ وَقَوَيْتُ، وَسَوْفَ أَحْيَا وَأَقْوَى، وَلَنْ تَنَالَ مِنِّي حَيِّتِي مَا عَجَزْتَ عَنْ نَيْلِهِ أَلَمِي الْبَائِدَةُ».

وَمَعَ ذَلِكَ، فَقَدِ لَبِثَ يُفَكِّرُ فِي كَاتِرِينَ بِمِثْلِ الْمَرَارَةِ الَّتِي فَكَّرَ بِهَا عَقَبَ أُوَيْتِهِ. وَكَانَ أَمَلُهُ الْمُنْهَارُ فِي بِنَاءِ بَيْتٍ وَإِنْشَاءِ أُسْرَةٍ يَمْضُهَا وَيَحْزُ فِي قَلْبِهِ. كَانَ يَحْلُمُ بِالْعَيْشِ النَّظِيمِ، وَكَانَتْ أَحْلَامُهُ بِالزَّوْجِ الْجَمِيلَةِ وَالْأَطْفَالِ تُدَاعِبُ مُحَيَّلَتَهُ وَلَا تُفَارِقُهُ لِمَحَّةٍ وَاحِدَةٍ. إِنَّ السَّنِينَ تَمُرُّ عَلَيْهِ سِرَاعًا، وَمَعَ ذَلِكَ فَمَا زَالَ عَزَبًا، وَمَا زَالَ بَيْتُهُ خَالِيًا مِنَ الْمَرْأَةِ الَّتِي تَزْهُو فِيهِ وَتُشْرِقُ، وَتَقْلِبُ جَدْبَهُ حِضْبًا، وَظَلَامَهُ نُورًا، وَهُدُوءَهُ ضَجَّةً!

وَجَاءَ الرَّيْعُ! فَكَسَا الرَّيْفَ بِحُلَّةٍ رَائِعَةٍ الْجَمَالِ، وَزَيَّنَ الدُّنْيَا بِلَوْنِ بَاوِ، وَقَلَّبَ الْكَابَةَ اسْتِبْشَارًا، وَالْإِكْفَهَارِ صَفَاءً، وَالْكَدْرَ رَوْنَقًا.

وَفُوجِيَّ لَيْفِينُ ذَاتَ يَوْمٍ بِمَقْدَمِ صَدِيقِهِ أُوْبَلْنَسْكِ، فَرَحَّبَ بِهِ تَرْحِيبًا صَادِقًا، وَإِنْ تَغَلَّبَتْ لَهْجَةُ التَّعَجُّبِ وَالْإِسْتِعْرَابِ عَلَى صَوْتِهِ وَعِبَارَتِهِ.

وَلَمْ تَخَفْ عَنْ أُوْبَلْنَسْكِ دَهْشَةَ لَيْفِينِ لِقْدُومِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَحْفَلْ ذَلِكَ، بَلْ أَنهَى إِلَيْهِ بِأَنَّهُ جَاءَ لِيَسْتَرْوِحَ نَسِيمَ الرَّيْفِ، وَلِيَمْتَعَ النَّفْسَ بِسَاعَاتٍ هَادِئَةٍ يَقْضِيهَا فِي الْخَلَاءِ، ثُمَّ لِيَبِيعَ مَا يَمْلِكُ مِنَ الْأَرْضِ فِي ذَلِكَ الْإِقْلِيمِ.

وَأَمْتَدَّ بِهِمَا الْحَدِيثُ وَتَشَعَّبَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، إِلَّا أَنَّ أُوْبَلْنَسْكِ لَمْ يَذْكُرْ كَاتِرِينَ أَمَامَ لَيْفِينِ وَلَوْ تَلْمِيحًا.

وَمَعَ ذَلِكَ، فَقَدِ كَانَ لَيْفِينُ يُفَكِّرُ فِيهَا طِيلَةَ السَّاعَةِ الَّتِي قَضَاهَا مَعَ صَدِيقِهِ فِي غُرْفَةِ الْإِسْتِقْبَالِ، وَكَانَ يَرَاهَا بَعَيْنِ مُحَيَّلَتِهِ، فَيَجِفُّ قَلْبُهُ، وَيَنْقَبِضُ صَدْرُهُ، وَتَتَوَلَّاهُ عُصَّةٌ مِنَ أَلَمِ وَحَسْرَةٍ!

وَقَدْ غَبَطَ صَدِيقَهُ عَلَى إِنْسَانِيَّتِهِ وَدَوَقِهِ، لَتَجَبُّهُ الْخَوْضَ فِي حَدِيثِ يَنْكَأُ جِرَاحَاتِ قَلْبِهِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ بِشَوْقٍ شَدِيدٍ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ أَمْرُ كَاتِرِينَ وَفِرُونَسْكِ. وَلَمَّا جَلَسَ الْإِثْنَانِ إِلَى مَائِدَةِ الطَّعَامِ، رَأَى أَنْ يُقْبَلَ عَلَى ضَيْفِهِ بِالسُّؤَالِ عَنِ زَوْجِهِ وَأَوْلَادِهِ، وَعَمَّا أَسْفَرَ عَنْهُ الْخِصَامُ الَّذِي اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَكَانَ سَبَبًا فِي قُدُومِ أَنَا كَارْنِينَا إِلَى مُوسْكَو.

فَمَا إِنْ طَلَبَ إِلَيْهِ التَّحَدُّثَ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ زَوْجِهِ وَأَوْلَادِهِ حَتَّى انْبَرَى أُوْبَلْنَسْكِ يَقُولُ:

«رُؤَيْدَكَ يَا صَاحِبَ وَلَا تَكُنْ عَجُولًا! لَقَدْ نَهَيْتَنِي عَنِ الْإِتِّجَاةِ بِنَظَرِيٍّ وَإِحْسَاسِي نَحْوِ الْمُتَمَعَّةِ، وَعَنْفَتَنِي فِي تَأْدِيبِ، وَلَمْ تَشَأْ أَنْ تَعْتَرِفَ بِمَا لِلْقَلْبِ مِنْ حَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ. فَاعْلَمْ الْآنَ مَا دُمْتَ طَرَفْتَ بَابَ هَذَا الْمَوْضُوعِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِكَ أَنَّ الْحَيَاةَ جَدْبٌ وَمَحْلٌ، بَلْ إِنَّهَا سَعِيرٌ لَا يُطَاقُ إِنْ صَفَرَتْ^(١) مِنَ الْحُبِّ. وَأَصَارِحُكَ الْقَوْلَ بِأَنَّيْ أَمْجُحُ حَيَاتِي إِنْ أَفْقَرْتُ مِنْ نَأْمَةٍ لَدِيدَةٍ تَهْتُرُ أَعْطَافِي حَتَّى يَخْفُقَ قَلْبِي، وَتُهْدَهُدُ مَشَاعِرِي حَتَّى تَرْتَجِفَ أَوْصَالِي. إِنَّنِي هَكَذَا خُلِقْتُ، وَعَلَى هَذَا سَاعِيشُ حَتَّى الْمَوْتِ!»

فَقَالَ لَيْفِينُ وَهُوَ لَا يُخْفِي تَعَجُّبَهُ وَنُفُورَهُ: «وَيْ لَكَ! أَلَيْسَ امْرَأَةً أُخْرَى جَدِيدَةً؟»

قَالَ: «أَجَلْ، هُنَاكَ أَنْثَى أُخْرَى بَرَعَتْ فِي أَفْقِ حَيَاتِي. وَأَيُّ أَنْثَى هِيَ! وَأَيُّ حُورِيَّةٍ! إِنَّهَا مِثَالُ الْجَمَالِ، وَهِيَ مَضْبُوبَةٌ فِي قَالِبِ سَمَاوِيٍّ. إِنَّهَا حُلْمٌ، بَلْ أُغْنِيَةٌ. وَأَصْدُقُكَ أَنِّي أَخَافُ أَحْيَانًا مِنَ التَّفْكِيرِ فِيهَا، أَخَافُ لِأَنَّيْ لَا أَكَادُ أَصْدُقُ بَصْرِي أَحْيَانًا.»

- هَذِهِ غُلُوءٌ لَا مُبَرَّرَ لَهَا.

- «بَلْ هِيَ الْحَقِيقَةُ الْحُلُوءُ الْمُرَّةُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ... وَاعْلَمْ أَنَّ النِّسَاءَ عَلَى أَنْوَاعٍ، وَحَبِيبَتِي الْجَدِيدَةُ تَأْتِي فِي الذُّرُوءِ، فَوْقَ الْجَمِيعِ... وَلَا تَعْلُو عَلَيْهَا امْرَأَةٌ!»

- «أَرَاكَ مَيَّالًا إِلَى اسْتِجْلَاءِ مَا يَكْتَنِفُ الْمُرَّةَ، وَمَا يَعْتَوِرُ حَيَاتَهَا، وَيُلَاسِسُ مَشَاعِرَهَا.»

- «لَا، إِنَّنِي لَا أَعْبَأُ بِدَرْسِ الْأَخْلَاقِ وَالصِّفَاتِ وَالْخَصَائِصِ؛ فَلَدَّتِي لَيْسَتْ فِي سَبْرِ غُورٍ هَذِهِ الْأُمُورِ بَلْ فِي نَقْعِ ظَمْتِي إِلَى الْحُبِّ!»

وَأَخْلَدَ الْإِثْنَانِ إِلَى الصَّمْتِ، وَحَلَقَا فِي سَمَاءِ الْفِكْرِ، ثُمَّ تَمَلَّمَلِ لَيْفِينُ فِي مَقْعَدِهِ، كَأَنَّهُ يَتَأَلَّمُ مِنْ شَيْءٍ، وَقَالَ بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ: «هَلْ غَادَرَ فِرُونْسْكِ مَدِينَةَ مُوسْكَو؟ هَلْ بَارَحَهَا؟»

فَنظَرَ إِلَيْهِ أُوْبِلَنْسْكِ مُتَأَمِّلًا وَأَجَابَ: «أَوْتَسَأَلُنِي عَنِ فِرُونْسْكِ؟ أَوْ، لَقَدْ قَفَلْتُ رَاجِعًا إِلَى بَطْرَسْبِرْجِ عَقَبَ ذَهَابِكَ أَنْتَ. وَهُوَ الْآنَ هُنَاكَ، وَلَا يُزْمَعُ الرُّجُوعَ. عَلَى أَنِّي أَوَدُّ أَنْ أَصَارِحُكَ الْقَوْلَ فِي أَمْرِ طَالَمَا رَغِبْتُ فِي الْجَهْرِ بِهِ لَكَ؛ فَقَدْ أَخْطَأْتُ الْخَطَأَ الْجَمَّ حِينَ خُيِّلَ إِلَيْكَ أَنَّ أَمَالَكَ قَدْ بَدَّدَهَا فِرُونْسْكِ، وَإِنِّي أَخْذُ عَلَيْكَ فِرَارَكَ مِنْ وَجْهِ غَرِيمِكَ، فَمَا أَنْتَ بِالرَّجُلِ الْهَيِّنِ، بَلْ أَنْتَ مِنْ خَيْرِ الرِّجَالِ، فَلِمَ الْخَوْفُ إِذَا؟ وَلِمَ الْفِرَارُ؟ أَلَمْ أَحْثُكَ عَلَى

(١) صَفَرَتْ مِنَ الْحُبِّ: خَلَّتْ مِنْهُ.

التَّقَدُّمُ إِلَيْهَا بَطْلَبِكَ؟ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ الْمُفْضَلُ؟»

وعادَ أوبلنسكي إلى صَمْتِهِ، وعادَ ليفينُ إلى إِطْرَاقِهِ، وَمَضَتْ بِضِعْ دَقَائِقَ والسُّكُونُ مُخَيِّمٌ عَلَى القَاعَةِ، وليفينُ يُناجِي نَفْسَهُ وَيَقُولُ: «إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنِّي رُفِضْتُ. إِنَّهُ يَجْهَلُ أَنَّ كَاتِرِينَ رَدَّتْنِي خَائِبًا مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِي. وَلَكِنْ، أَتَصَدَّقُ المَظَاهِرُ دَائِمًا؟ وَأوبلنسكي، هَلْ يُصْرِحُ بِالحَقِيقَةِ دَائِمًا؟ كَلَّا، كَلَّا. إِنَّهُ مَا كَرُّ يُسِرُّ حَسَوًا فِي ارْتِغَاءٍ^(١)، إِنَّهُ حَبِيبٌ يُظْهِرُ خِلَافَ مَا يُبْطِنُ!»

وعادَ أوبلنسكي الكَلَامَ، فَقَالَ: «لقد أَخْطَأْتُ حَظًّا لَا يُعْتَفَرُ كما قُلْتُ لَكَ، وإِخَالَكِ حَسِبْتَهَا تُؤَثِّرُ فرونسكي بِقَلْبِهَا وَحُبِّهَا، لَكِنَّكَ أَخْطَأْتَ. لَا أَنْكُرُ أَنَّ أُمَّهَا غَرَّتْهَا مَظَاهِرُ الشَّابِّ وَمَكَانَتُهُ وَانْتِمَاؤُهُ إِلَى طَبَقَةِ الثُّبُلَاءِ، فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ وَأَعْرَضْتُ عَنكَ، وَلَكِنْ، أَلَمْ تُحْسَبِ حِسَابَ الأبِّ؟ أَلَمْ تُفَكِّرْ بِكَاتِرِينَ؟ أَلَيْسَتْ هِيَ الَّتِي تَتَزَوَّجُ؟ أَلَا يَعْنِيهَا الأَمْرُ؟»

وصاحَ ليفينُ مُحْتَدِمًا: «على رِسْلِكَ يا هَذَا^(٢)، أَتَنَعْتُ فرونسكي بالثُّبُلِ وَتَشْتَنِي سِوَاهُ مِنْ الخَلْقِ؟ وما هُوَ الثُّبُلُ؟ قُلْ ما هُوَ هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي تُضْفِيهِ عَلَيْهِ مِنْ دُونِ سَائِرِ الرِّجَالِ، أَوْ مِنْ دُونِ مُعْظَمِ الرِّجَالِ الَّذِينَ تَعْرِفُ وَأَعْرِفُ؟ وهل هَذِهِ الصَّفَةُ تَضَعُهُ فَوْقِي أَنَا، أَوْ فَوْقَ أَيِّ رَجُلٍ آخَرَ اسْتَشْنَيْتُهُ مِنْ وَضْفِكَ، وَأَبْعَدْتُهُ عَنِ النُّطَاقِ الَّذِي صَرَبْتُهُ لِمَعْنَى كَلِمَتِكَ؟»

وَانْقَطَعَ ليفينُ عَنِ الكَلَامِ وَهُوَ يَلْهَثُ مِنَ العَيْظِ، ثُمَّ تَابَعَ يَقُولُ: «وَضَعْتَ فرونسكي فِي مَصَافِّ الثُّبُلَاءِ، فَهَلْ تَعْلَمُ مَنْ أبُوهُ؟ وهل يَلِيقُ بِكَ أَنْ تُقَرَّرَ أَشْيَاءٌ لَا يَقْرُهَا العُرْفُ؟ أَوَتَعْلَمُ كَيْفَ حازَ أبُوهُ اللِّقَبَ؟ لَقَدْ تَنَاهَى الرَّجُلُ فِي الصَّغَارِ، وَتَوَسَّلَ بِالوَقِيعَةِ لِيَنَالَ ما تَضْبُو إِلَيْهِ نَفْسُهُ الحَسِيسَةُ. وَفَوْقَ ذَلِكَ، أَلَمْ تَعْمَدِ أُمُّهُ، هِيَ الأُخْرَى، إِلَى التَّوَسُّلِ بِجَمَالِهَا لِبُلُوغِ أَوْطَارِهَا؟ ثُمَّ تَأْتِي أَنْتَ لِتَرْفَعَهُ فَوْقِي، لِتَقُولَ إِنَّهُ مِنَ الثُّبُلَاءِ، مِنَ الصَّفْوَةِ! هُرَاءَ... هُرَاءَ... إِنَّنِي أَحْتَفِرُ الأَلْقَابَ يا صَدِيقِي، عَلَى أَنِّي أَشَدُّ ثُبُلًا مِنْ هؤُلاءِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَهَا، فَأَنَا أُسَلِّسُ لَكَ أَجْدَادِي، وَأُبْرِهِنُ لَكَ عَلَى كَرِيمِ مَحْتَدِيهِمْ، وَبُعْدِهِمْ عَنِ التَّبَدُّلِ، وَعِزَّةِ نَفوسِهِمْ. أَنَا أُثْبِتُ لَكَ أَنَّ نِسَاءَنَا جَمِيعًا كُنَّ خَيْرَ النِّسَاءِ، لَا تَجْسُرُ الواحِدَةَ مِنْهُنَّ عَلَى بَيْعِ جَسَدِهَا، وَلَوْ

(١) يُسِرُّ حَسَوًا فِي ارْتِغَاءٍ: الحَسْوُ: الحِساءُ. الارْتِغَاءُ: الفَقَاقِعُ الَّتِي تَعْلُو السَائِلَ، وَهُوَ مِثْلُ يُضْرَبُ لِمَنْ يُخْفِي شَيْئًا وَيُظْهِرُ غَيْرَهُ.

(٢) عَلَى رِسْلِكَ: عَلَى مَهْلِكَ، تَأَنَّ.

كَانَ فِي مَا تَفْعَلُ الْغِنَى وَالْجَاهُ. أَجَلٌ، نَحْنُ النَّبَلَاءُ، أَمَا هَوْلَاءِ فَهُمْ الْحُثَالَةُ، الْحُثَالَةُ أَوْ الرُّغَاءُ^(١). إِنَّهُمْ الْحُثَالَةُ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْأَلْقَابِ كَمَا لَوْ كَانَتْ تَتَعَلَّقُ بِالْأَوْهَامِ».

وكان أوبلنسكي طيلة ذلك يُحْمِلُنِي فِي صَدِيقِهِ مَشْدُوهَا مَبْهُوتًا لَا يَكَادُ يُصَدِّقُ أُذُنَيْهِ، وَيَظُنُّ فِي الْمُتَكَلِّمِ الظُّنُونَ. أَهْوَى مَجْنُونٌ فَاقِدُ الْحِجَى؟ أَعَمَّتُهُ الْغَيْرَةُ؟ أَهَذَا هُوَ لَيْفِينُ الْهَادِي الرِّصِينُ الَّذِي لَا يَنْسَى قَبْلَ أَنْ يُفَكَّرَ، وَلَا يَنْطِقُ قَبْلَ أَنْ يَرِنَ؟ إِنَّهُ يُلْقِي الْكَلَامَ عَلَى عَوَاهِينِهِ، فِيهَاجِمُ فَرُونْسَكِي، وَيَقْدَحُ فِيهِ، وَيَثْلِبُهُ^(٢). وَلَكِنْ، أَغَابَ عَنْهُ أَنَّهُ يُهَاجِمُ أَيْضًا أوبلنسكي الْجَالِسَ مَعَهُ إِلَى مَائِدَةٍ وَاحِدَةٍ؟ وَهَلْ يَنْسَى أَنَّهُ يَجْلِسُ مَعَهُ حَتَّى يَسْتَرْسِلَ فِي غَضَبِيهِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ؟

وَطَاطَأَ أوبلنسكي رَأْسَهُ، وَقَالَ بِهَدْوٍ وَجِلْمٍ: «قَدْ تَكُونُ مُصِيبًا فِي كُلِّ رَأْيٍ أَبْدَيْتَهُ يَا صَدِيقِي، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَشَأْ أَنْ أُثِيرَ انْفِعَالَكَ، وَمَا وَدِدْتُ إِلَّا أَنْ أَقُولَ لَكَ صِرَاحَةً إِنَّكَ ارْتَكَبْتَ أَبْسَعَ غَلْطَةٍ بَاخْتِفَائِكَ وَنُزُوحِكَ. وَأَعُوذُ فَأَوْجُهُ لَكَ النَّصْحَ؛ إِرْجِعْ إِلَى مُوسِكُو، عُدْ سَرِيعًا، تَوَجَّهْ إِلَى كَاتَرِينِ، تَكَلَّمْ إِلَيْهَا، أَمْكُثْ هُنَاكَ، وَسَتَنْجِحُ الْآنَ حَيْثُ أَخْفَقْتَ مُنْذُ شَهْرٍ!»

فَاضْفَرَّ وَجْهُ لَيْفِينِ، وَكَأَنَّهُ نَدِمَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ، وَأَجَابَ وَهُوَ جَاحِظٌ الْعَيْنَيْنِ: «أَجَادُّ أَنْتَ؟ هَلْ أَذْهَبُ؟ هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ أَنْالَ الْمُنَى؟»

(١) الرُّغَاءُ: صَوْتُ الْإِبِلِ أَوْ الصَّوْتُ الْقَوِيُّ.

(٢) يَثْلِبُهُ: يَعْيبُهُ، يَدُمُّهُ.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَعُ لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا.
- ٢ - أترى أنّ فرونسكي حقّق نصرًا ما؟ وهل ترى، في مقابل ذلك، أنّ أنا كارنينا قد سقطت حقًا في حمأة الرذيلة؟
- ٣ - رأيت كيف صورَ تولستوي الصراعَ العنيفَ في نفسِ أنا كارنينا. فهل أعجبك هذا التصويرُ؟ وما الأسلوبُ الذي اعتمده الكاتبُ في ذلك؟ أهو السردُ أم الحوارُ أم النجوى؟
- ٤ - جعلَ الكاتبُ أوبلنسكي رجلاً باحثًا عنِ المُتعة يُشُدُّ اللدّةَ الحرامَ. فهل تراه يردُّ ذلك إلى عاملٍ وراثيٍّ يسوّغُ انحرافَ الأختِ (أختِ أوبلنسكي) أنا كارنينا؟ أوضّح رأيك في المسألة.
- ٥ - تناوَلَ الكاتبُ الثبلَ ومعانيه على لسانِ ليفين. فهل كان هذا مُحققًا في نعيه لأولئك الذين يحملونَ ألقابَ الثبلاء؟
- ٦ - مَنْ هُمُ الثبلاءُ المُزيّفونَ في نظرِ ليفين؟
- ٧ - هل بدا أخيرًا بصيصُ نورٍ أو بارقةُ أملٍ في نفقِ ليفين المُظلمِ؟
- ٨ - أوجزْ مضمونَ الفصلِ في أسطرٍ قليلةٍ.

الفصل الخامس

هكذا عاد الأمل يُداعِبُ أفكارَ ليفينَ .

هكذا عادَ هذا الأملُ الحُلُوُّ يَهْدُهُ صَدْرُهُ .

ففكَّرَ بكاترينَ، وفكَّرَ بالسَّعَادَةِ . . . وهَيَّجَ الفِكرُ آمالَهُ، فَبَنَى قُصُورَهُ مِنْ جَدِيدٍ، وَنَظَرَ إِلَى الوَرَاءِ وَإِلَى الأَمَامِ، وَقَالَ إِحْسَاسُهُ البَاطِنُ: «عَلَيْكَ بِالزَّوْجِ حَتَّى تُصْبِحَ لَكَ أَنْتِ أَيْضًا مَمْلُوكَتِكَ الخَاصَّةُ» .

كَانَ فَرُونسِكِي فِي أَشَدِّ حَالَاتِ الحُبِّ . إِرْتَمَى فِي لُجَّةِ الهَوَى، وَرَضِيَ عَنِ نَفْسِهِ وَعَنِ هَوَى قَلْبِهِ .

أَحَبَّ أَنَا كَارِنِينَا كَمَا لَمْ يُحِبِّ إِنْسَانٌ آخَرَ امْرَأَةً أُخْرَى . أَحَبَّهَا بِكُلِّ جَوَارِحِهِ؛ أَحَبَّهَا بِمَجْمُوعِهِ، حَتَّى فَنِيَ فِي حُبِّهَا .

وَمَعَ ذَلِكَ فَمَا صَرَفَهُ غَرَامُهُ المُتَلَهَّبُ عَنِ وَاجِبَاتِهِ، وَظَلَّ حَرِيصًا عَلَى أَدَاءِ هَذِهِ الوَاجِبَاتِ، لَا يُهْمِلُ فِي أَمْرِ عَسْكَرِيٍّ، وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنِ الوَفَاءِ بِمَطَالِبِ وَظْفِيفَتِهِ فِي الفَرْقَةِ الَّتِي يَنْتَمِي إِلَيْهَا . فَهَوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَثَرِهِ الضَّبَاطِ، يُحِبُّهُمْ وَيَمَحْضُهُم الوَفَاءَ، وَيُؤَثِّرُهُمْ عَلَى الأَقْرَانِ جَمِيعًا . وَكَانَ الضَّبَاطُ يُبَادِلُونَهُ حُبًّا بِحُبِّ؛ كَانُوا يَحْتَرِمُونَهُ وَيَجْلُونَهُ، وَلَا يَبْخَسُونَهُ حَقَّهُ مِنْ الإِعْجَابِ وَالتَّقْدِيرِ .

وَكَتَمَ مَا فِي قَلْبِهِ، فَلَمْ يُطْلِعْ أَحَدًا عَلَى عِلَاقَتِهِ الجَدِيدَةِ، وَغَرَامِهِ الجَدِيدِ .

كَانَ يَنْعَمُ مَعَهُمْ فِي شُرْبِ وَلَهْوِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقِفْ بِكَلِمَةٍ تَشِي بِهِ وَتُفْضِحُ سِرَّهُ .

كَانَ يُنْكِرُ وَيَكْتُمُ، وَيَتَحَاشَى الخَوْضَ فِي حَدِيثِ القَلْبِ، مَعَ أَنَّ النَّاسَ جَمِيعَهُمْ كَانُوا يَلْهَجُونَ بِذِكْرِ عِلَاقَتِهِ الجَدِيدَةِ، وَيُضْفُونَ عَلَيْهَا أَلْوَانًا خِصْبَةً مِنَ الوَصْفِ . كَانَ حَدِيثَ

الناس، وكانت أنا قِصَّة العام، ففي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وفي كُلِّ نَادٍ لَعَطَ النَّاسُ بِقِصَّةِ غَرَامِيهَا، وقالوا ما شأؤوا عَن عَلاقتها بِالضَّابِطِ الشَّابِّ الَّذِي يَمْلِكُ المَلايينَ .

ومَعَ أَنَّ فِرونسكي كَانَ مِنَ خَيْرَةِ الشُّبَّانِ، وَمِنْ أَغْنَاهُمْ وَأَكْثَرِهِمْ نُفُودًا، رَأَى الكَثِيرُونَ مِنَ الطَّامِحِينَ المُتَطَلِّعِينَ إِلَى التَّقَدُّمِ وَالْفَلَاحِ فِي عَلاقَتِهِ بَأَنَا، سَلَّمَا لَهُ يَصْعَدُ فِيهِ إِلَى أَعْلَى . أَمَّا كَارنِينُ الزَّوْجِ، فَهُوَ فِي رَأْيِهِمُ السَّلْمُ المُؤَدِّي إِلَى الذُّرُوءِ!

وقد تَكَلَّمَتِ النِّسَاءُ فِي حَدِيثِ مُوسكو وَبِطرسبرج، فَقُلْنَ إِنَّ أَنَا جَمِيلَةٌ، لِكِنَّهَا عَابِئَةٌ مُسْتَهْتَرَةٌ . وَارْتَحَنَ إِلَى هَذِهِ العَلاقَةِ، وَوَجَدَنَ فِيهَا مِغْمَزًا يَغْرِسُنَ فِيهِ رِمَاحَ غَيْرَتِهِنَّ مِنْ أَنَا . فَمَنْ مِنْهُنَّ تَمْلِكُ مَا تَمْلِكُ أَنَا؟ مَنْ مِنْهُنَّ تَتَمَتَّعُ بِالْجَمَالِ الْأَخَازِ، وَالزَّوْجِ الواسِعِ النُّفُودِ؟ ثَمَّ . . . مَنْ مِنْهُنَّ تَحُورُ عَشيْقًا مِثْلَ فِرونسكي؟!

وَأَسِفَ البَعْضُ لِهَذَا الحُبِّ، وقالوا، لَقَدْ انْهَارَ صَرِيحُ آخِرِ الشَّرَفِ، وَتَصَدَّعَ بُنيَانُ سَيِّدِهِ رَجُلٌ كَبِيرٌ هُوَ كَارنِينُ، وَتَضَعَّضَ مَا أَقَامَهُ مِنْ دَعَائِمِ السُّلْطَةِ والقُوَّةِ وَالْمَنَعَةِ .

ولم يَأْسَفِ فِرونسكي، ولم تَأْسَأْ أَنَا، وَسَدَرَ الإِثْنَانِ فِي غَرَامٍ يَضْطَرِّمُ وَيُؤْجِ بِنَارِ مَحْرِقَةٍ عَظِيمَةٍ .

* * *

وَرَجَعَتِ الشَّائِعَاتُ حَتَّى تَنَاهَتْ إِلَى وَالِدَةِ فِرونسكي، فَاكْتَأَبَتْ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ، لِكِنَّهَا مَا عَتَمَتْ أَنْ سُرَّتْ وَاعْتَبَطَتْ . فابْنُهَا فِي مَطْلَعِ الشُّبَّابِ، وَلَا مِرْيَةَ^(١) فِي أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى مَا يُنِيرُ عَيْنِيهِ وَيُهْدِبُ حِسَّهُ، وَيُفْتَحُ لَهُ الْأَبْوَابَ عَلَى مَصَارِعِهَا . وَمَنْ هُنَاكَ بَيْنَ النِّسَاءِ مَنْ تَبَدُّ أَنَا فِي جَمَالِهَا وَسَعَةِ إِطْلَاعِهَا وَكِفَاءَتِهَا، حَتَّى تَأْخُذَ بِيَدِ ابْنِهَا فِي طَرِيقِ الطَّبَقَةِ الْمُتَرَفَةِ الْمُهَيِّمَةِ عَلَى الْأُمُورِ؟

وَسُرَّتِ الأُمُّ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا اكْتَشَفَتْ فِي أَسْرَعِ مِمَّا قَدَّرَتْ مَوَاطِنَ الضَّعْفِ فِي المَرْأَةِ الإِمْثَالِيَّةِ أَنَا كَارنِينَا، وَأَيَّقَنْتُ أَنَّهَا كَمِثْلَاتِهَا مِنْ بَنَاتِ حَوَاءَ، ضَعِيفَةٌ تُجَاهَ الحُبِّ، تَسْقُطُ وَلَوْ كَانَ لَهَا أَلْفُ عَاصِمٍ، وَتَتْرَامِي بِمَحْضِ إِرَادَتِهَا فِي البِرْكََةِ الْأَسِنَةِ، وَلَوْ كَانَ هَدْفُهَا الوَحِيدُ فِي 'الحَيَاةِ هُوَ الحِفَاظُ عَلَى الشَّرَفِ وَالكِرَامَةِ وَالدُّكْرِ الحَسَنِ!

(١) لَا مِرْيَةَ: لَا جَدَلَ .

أُمُ فَرُونَسْكِ يَغْمُرُ قَلْبَهَا السُّرُورُ لِعَلَّاقَةِ آثِمَةٍ وَشَجَتْ بَيْنَ قَلْبِ ابْنِهَا وَغَانِيَةِ اسْتَهْرَتْ
بِجَمَالِهَا وَكَمَالِهَا!

الْأُمُ تَفْرُحُ وَتَغْتَبِطُ لِزَلَّةِ زَلَّهَا ابْنُهَا، وَلَوْ دَرَّتْ أَنَّهُ طَوَى كَشْحَهُ^(١) عَنِ مَنَصِبِ خَطِيرِ عَرَضَتْهُ
عَلَيْهِ الْحُكُومَةُ لَجَنَّ جُنُونُهَا، وَلَأَقَامَتِ الدُّنْيَا وَأَقْعَدَتْهَا، وَلَسَلَقَتِ الْمَرَأَةَ (أَنَا) بِلِسَانِ حَادٍّ لَا
يَعْرِفُ مِنْ زَمَانِهِ إِلَّا الْقَدَحَ وَالتَّشْهِيرَ.

أَجَلٌ، أَصَابَ الْأُمُّ مِنْ حُبِّ ابْنِهَا جَدَلٌ عَظِيمٌ! وَلَكِنَّ الْحُكُومَةَ أَصَابَتْهَا مِنْهُ خَبِيئَةٌ،
وَوَضَعَتْ فِي مَلْفِهِ بُقْعَةً سَوْدَاءَ كَبِيرَةً. إِنَّهُ يُرْفُضُ أَجَلَ الْمَنَاصِبِ، وَرَفُضُهُ مُسَبَّبٌ، وَالسَّبَبُ
غَرَامٌ. فَهُوَ مُسْتَضْعَفٌ إِذَا، وَالضَّعِيفُ مَكَانُهُ فِي غَيْرِ الْجَيْشِ. هَذِهِ هِيَ الْبُقْعَةُ السَّوْدَاءُ!

أَمَّا أَخُوهُ فَقَدْ اغْتَمَّ وَاهْتَمَّ، وَلَمْ يُبْرِزْ عَمَّهُ وَهَمَّهُ عِلَاقَةَ أَخِيهِ الْغَرَامِيَّةِ، بَلْ تَرَدَّدِيهِ فِي حُفْرَةٍ
لَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا سَالِمًا، أَيِ اسْتِسْلَامِ أَخِيهِ إِلَى مَا يُؤَخِّرُهُ فِي مِضْمَارِ الْحَيَاةِ، وَيُمَهِّدُ طَرِيقَ
النَّجَاحِ لِسِوَاهُ مِنَ الْأَقْرَانِ وَالْأَنْدَادِ.

وَلَمْ يَعْأُ فَرُونَسْكِ بِالْهَمْسِ، لَمْ يَحْفَلِ التَّجْرِيحِ، بَلْ أَقْبَلَ عَلَى عَاطِفَتِهِ الْجَدِيدَةِ يَحُوطُهَا
بِكُلِّ عِنَايَةٍ، وَيُعْذِّبُهَا، وَيُقَوِّبُهَا، وَيَضْعَلُ الْوَعْتَ^(٢) مِنْ أَجْرَائِهَا.

كَانَ يُحِبُّ الْجَيْشَ كَمَا يُحِبُّ أَنَا، وَبِجَانِبِ حُبِّهِ لِلجَيْشِ وَأَنَا كَانَ مُتَعَلِّقًا بِالْجِيَادِ، فَهُوَ
يُؤَيِّرُهَا عَلَى سَائِرِ الْأَشْيَاءِ. وَلَمَّا تَنَاهَى إِلَى عِلْمِهِ أَنَّ الْجَيْشَ فِي سَبِيلِ إِقَامَةِ سَبَاقِ عَظِيمٍ
تَحْتَ إِشْرَافِ الْقَيْصِرِ سَارَعَ إِلَى ابْتِيَاعِ جَوَادِ أَصِيلِ مَشْهُودٍ لَهُ، وَأَدْخَلَ اسْمَهُ ضِمْنَ أَسْمَاءِ
الْفُرْسَانِ الَّذِينَ سَيَشْتَرِكُونَ فِي هَذَا السَّبَاقِ.

وَعَكَفَ عَلَى التَّمَرِينِ، وَاعْتَنَى بِجَوَادِهِ، وَرَاضَهُ وَدَرَّبَهُ.

وَلَمَّا أَزَفَ مِعَادُ السَّبَاقِ، أَلَمَّ بِالْبَيْتِ الَّذِي أُفْرِدَ لَهُ فِي الْفِرْقَةِ، فَاجْتَمَعَ إِلَى زُمَلَائِهِ وَقَتَا
قَصِيرًا، ثُمَّ اغْتَسَلَ وَطَعِمَ، وَامْتَطَى صَهْوَةَ الْجَوَادِ الْقَوِيِّ، وَحَبَّ^(٣) بِهِ فِي الطَّرِيقِ إِلَى
أَرْبَاضِ^(٤) بَطْرَسْبِرْجِ حَيْثُ تُقِيمُ أَنَا كَارِنِيَا.

(١) طَوَى كَشْحَهُ عَنِ مَنَصِبِ: أَعْرَضَ عَنْهُ.

(٢) الْوَعْتُ: الْعَلِيطُ، الشَّاقُّ، الْخَيْشُ.

(٣) حَبَّ الْفَرَسِ: عَدَا، جَرَى مُسْرِعًا.

(٤) أَرْبَاضِ: مُفْرَدُهَا رَبِضٌ، وَهُوَ هُنَا مَسَاكِينُ الْقَوْمِ مِمَّا حَوْلَ الْمَدِينَةِ.

وَكَانَ قَدْ انْقَطَعَ عَنْهَا لثَلَاثَةَ أَيَّامٍ خَلَتْ، لَا لِأَنَّهُ انشَغَلَ بِأُمُورٍ أُخْرَى، بَلْ لِأَنَّ كَارِنِينَ كَانَ يَلْزَمُ الْبَيْتَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لِعَارِضٍ مِنْ أَلَمِ انْتَابَهُ بَعْتَهُ فِي سَاقِهِ.

أَمَّا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الرَّجُلَ قَصَدَ مَكْتَبَهُ فِي بَطْرَسْبِرْج، وَلِهَذَا عَجَلَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى أَنَا حَتَّى يَجْتَمِعَ إِلَيْهَا قَبْلَ أُوبِيَّةِ زَوْجِهَا.

فَلَمَّا وَصَلَ تَرَجَّلَ وَسَأَلَ الْحَاجِبَ عَنْ سَيِّدَتِهِ، ثُمَّ عَجَلَ بِالصُّعُودِ وَوَجْهَهُ يَطْفَحُ بِشْرًا. وَكَانَتْ أَنَا لَا تَتَنظَّرُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَهُمَا لَيْسَا عَلَى مِعَادٍ. لِهَذَا تَعَمَّدَ أَنْ لَا يُحَدِّثَ صَوْتًا حَتَّى يَفْجَأَهَا بِظُهُورِهِ.

وَدَنَا مِنْ مَخْدَعِهَا، فَتَذَكَّرَ أَنَّ ابْنَهَا فِي الْبَيْتِ. وَابْنُهَا كَمَا أَتَقَنَّ مِنْ قَبْلِ، مُدْرِكٌ يَفْهَمُ، وَذِكِّي يُقَدِّرُ وَيَسْتَسْتَبِجُ.

كَانَ الْوَلَدُ صَغِيرًا، إِلَّا أَنَّ ذِهْنَهُ اجْتَازَ سِنِّهُ، وَفَهَمَهُ سَبَقَ عِلْمُهُ، حَتَّى عَدَا الْعَقَبَةَ الْوَحِيدَةَ الَّتِي تَمَنَعُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ مِنَ الْإِخْتِلَاءِ بِمَحْبُوبِيَّتِهِ.

وَقَدْ طَالَمَا شَعَرَ بِالنُّفُورِ مِنْ هَذَا الطِّفْلِ، وَقَدْ طَالَمَا أَنْحَى عَلَى نَفْسِهِ بِاللَّائِمَةِ لِنُفُورِهِ مِنْ الْإِبْنِ الْبَرِيِّ لِأَنَّهُ يُعْرِقِلُ طَرِيقَ حُبِّهِ لِأُمِّهِ.

وَمَا أَكْثَرَ مَا غَضِبَ مِنَ الْفَتَى لِأَنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ فِي أَثْنَاءِ وُجُودِهِ مِنَ الْإِفْضَاءِ بِكُلِّ مَا يَخْتَلِجُ فِي قَلْبِهِ. فَهُوَ يَمْلِكُ مِنْ قُوَّةِ الْمُلَاحَظَةِ مَا لَا يَمْلِكُهُ الرَّجَالُ، وَسَوْفَ يَتَذَكَّرُ وَلَا شَكَّ، كُلَّ حَرَكَةٍ قَامَتْ بِهَا أُمُّهُ. سَوْفَ تَرَسَّخَ الْأُمُورُ فِي مُحِيطِيَّتِهِ، حَتَّى إِذَا كَبُرَ وَشَبَّ عَنِ الطُّوقِ جَمَعَ الْأَطْرَافَ وَأَمْسَكَ الْخُيُوطَ، وَاسْتَنْتَجَ الْحَقِيقَةَ، وَأَيَّقَنَ مِنْ صِدْقِ مَا يُقَالُ، وَمِنْ صِدْقِ مَا قَدْ يُنْعَتُ بِهِ وَيُوصَمُ، إِنْ تَقَدَّمَ أَحَدٌ بِالْإِنْتِهَامِ!

ظَنَّ فَرُونْسْكِ الطُّنُونَ بِالطِّفْلِ، وَتَرَأَى لَهُ أَنَّهُ يَكْتُمُ مَا فِي نَفْسِهِ، وَإِلَّا لَمَا كَانَ يَنْكُسُ رَأْسَهُ خَجَلًا كُلَّمَا نَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ، وَكُلَّمَا دَاعَبَهُ وَرَبَّتَ خَدَّهُ.

عَلَى أَنَّ الطِّفْلَ كَانَ بَعِيدًا كُلَّ الْعُدَدِ عَنِ الرَّيْبِ، لَا تَرْقَى إِلَى أُمَّهِ الشُّبُهَاتِ فِي تَفْكِيرِهِ وَإِحْسَاسِهِ، وَإِنْ قَادَتْهُ غَرِيزَتُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ إِلَى مَوْطِنِ النُّفُورِ مِنْ فَرُونْسْكِ. وَقَدْ بَدَلْ كَثِيرًا مِنَ الْجُهْدِ الصَّادِقِ لِيَسْتَشْعِرَ الْمِثْلَ نَحْوَهُ، لَكِنَّ جُهْدَهُ فِي هَذَا الْمَضْمَارِ لَمْ يُفْلِحْ فِي كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلٍ، وَظَلَّ شُعُورُ الْإِسْمِثْرَازِ مِنْ صَدِيقِ أُمَّهِ يَتَنَابَهُ كُلَّمَا ضَمَّ الْإِثْنَيْنِ مَجْلِسًا، وَكُلَّمَا

اضْطَرُّ فَرُونْسَكِي إِلَى التَّأْدِبِ فِي حَضْرَتِهِ، وَالتَّكَلُّفِ فِي حَدِيثِهِ مَعَ أَنَا!

هَذَا الصَّغِيرُ النَّافِرُ كَانَ يَتَسَاءَلُ عَنْ مَكَانَةِ فَرُونْسَكِي فِي هَذَا الْبَيْتِ، وَصِلَتِهِ بِأُمِّهِ، وَعِلَاقَتِهِ بِأَبِيهِ.

هَذَا النَّافِرُ الصَّغِيرُ كَانَ يَنْظُرُ بِتَأْمُلٍ، فَيَرَى بِيَصْرِهِ الثَّاقِبِ وَبِصِيرَتِهِ النَّافِذَةِ أَنَّ أَبَاهُ وَسَائِرَ الْخَدَمِ يُكُونُونَ لِفَرُونْسَكِي الْكِرَاهِيَةَ وَالْمَقْتِ، وَيَعْتَبِرُونَهُ شَخْصًا غَيْرَ مَرْغُوبٍ فِيهِ، فَيُدْهَشُ وَيَزْدَادُ نَفُورًا.

وَمَعَ أَنَّ أُمَّهُ كَانَتْ الْوَحِيدَةَ الَّتِي تَعْطِفُ أَمَامَهُ عَلَى فَرُونْسَكِي، فَإِنَّ عَطْفَهَا لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا بُعْدًا عَنِ الشَّابِّ.

والتَّبَسَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَلَمْ يَجِدْ لَتَضَارِبِ الْآرَاءِ تَعْلِيلًا، وَلَمْ يَجِدْ لِاخْتِلَافِ الْمَشَارِبِ تَفْسِيرًا.

وظَلَّ رَأْسُهُ الصَّغِيرُ عَاجِزًا عَنِ اخْتِرَاقِ سُجُبِ الْوَاقِعِ، ظَلَّ الطِّفْلُ فِي جَهْلٍ، لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ لَمْ تَبْلُغْ لَهُ بَعْدُ، وَلِأَنَّ غَرَائِزَهُ لَمْ تَنْمُ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي يُصْبِحُ فِيهِ قَادِرًا عَلَى تَفْهَمِ مَعْنَى الْحُبِّ وَالْعِلَاقَةِ الْجِنْسِيَّةِ... أَوْ لِأَنَّهُ بِكَلَامِ مُفْتَضِّبٍ لَمْ يَبْلُغْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةَ الَّتِي تُمَكِّنُهُ مِنْ سَبْرِ غَوْرِ الْعَوَاطِفِ وَالْأَحَاسِيسِ، وَطَفَرَاتِ الْقُلُوبِ!

كَانَ الطِّفْلُ لِلْأَمِّ وَعَشِيقِهَا بِمَنْزِلَةِ الْبُوصَلَةِ الَّتِي تُرِيهِمَا دَائِمًا النُّقْطَةَ الَّتِي غَادَرَا مِنْهَا مَا يَعْرفَانِ، بَلْ مَا لَا يَوْدَانِ أَنْ يَعْرفَا.

وَلَمْ يَكُنِ الطِّفْلُ فِي الْبَيْتِ سَاعَةً دَخَلَهُ فَرُونْسَكِي؛ وَكَانَتْ أَنَا تَنْتَظِرُ أَوْبَتَهُ مِنْ نُزْهِتِهِ الْيَوْمِيَّةِ، وَقَدْ جَلَسْتُ وَحْدَهَا فِي الشُّرْفَةِ.

وَكَانَ الْمَطَرُ يَسْفُطُ رِذَاذًا، وَقَدْ سَارَعَتْ أَنَا لَدَى تَكَاثُفِ الْغُيُومِ إِلَى إِزْسَالِ خَادِمَيْنِ وَرَاءِ ابْنِهَا، حَتَّى يَضْطَجِبَاهُ فِي طَرِيقِ الْعُودَةِ.

وَتَلَفَعَتْ بَثُوبَ أَبِيصَ مُطَرَّرٍ، وَجَلَسْتُ فِي رُكْنٍ تَحْجُبُهُ الْوُرُودُ. وَكَانَتْ مَحْيِيَّةَ الرَّأْسِ، تَضَعُطُ جَبِينَهَا عَلَى إِنَاءٍ نَظِيفٍ يَسْتَعْمَلُهُ الْبُسْتَانِيُّ لِرَبِّي أَزْهَارِهِ.

وَوَقَفَ فَرُونْسَكِي عَنْ كَثْبِ مِنْهَا، فَلَمْ تَرَهُ. وَمَا كَادَ يَخْطُو نَحْوَهَا حَتَّى أَحَسَّتْ بِوُجُودِهِ، فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا، وَاتَّجَهَتْ إِلَيْهِ بِوَجْهِهَا.

وقال وهو يذنو منها: «أبكِ سوء؟ هل تشعرين بما تؤثرين معه العزلة والافتراء؟»

وصمت. كان بؤده أن لا يضمنت، كان يتلَهف إلى احتضانها ونفع صدى حبه منها. لحيته كبت هذه الثورة التي اعتملت في أعماقه ساعة وقع طرفه عليها، حتى لا يشاهد الخدم ما يجب ألا يشاهدوا.

ومدّت له يدها فصاحت ضاغطة قليلاً على أنامله، ثم أجابت والابتسامة تتراقص على ثغرها، أو بالأحرى تقبل هذا الثغر الرائع: «كلا، إني في خير حال، فماذا جاء بك اليوم؟» قال: «لقد دفعتي الشوق إلى القدوم. ولكن، ما بال يدك ترتعش باردة مفرورة؟ ما بالك يا أنا؟»

-«ليس بي ما يثير القلق، على أنك أخفتني بظهورك المفاجيء».

-«لا تنفمي علي، فأنا أرغب في مشاهدتك كل يوم بل كل ساعة، لو تسنى لي ذلك».

-«وإنني لمُعْتَبِطَةٌ، وأود أن أراك في كل دقيقة».

-«على أنني قلق من أجلك، فأنت متوَعَكَةُ المزاج قليلاً، فهل حدث ما كركبك وأقلقك؟»

-«يق أنه لم يحدث ما يعكّر صفوي».

-«فهل هو الفكر إذا؟ وفيم تفكرين؟»

-«في أمرٍ واحدٍ... في شيءٍ واحدٍ!»

-«وما هو هذا الأمر أو الشيء؟»

وهزت أنا رأسها، ولم تجب.

كانت تفكر حقيقة في أمرٍ واحدٍ لا ثاني له، كانت تفكر في نفسها، أو بالأحرى، في سعادتِها وسقائِها- في التقيضين اللذين اجتمعا على حين غرة في سويدائِها.

وربّ مرّة تساءلت فيها قبلاً عن مبعث أساها، ومنشأ همها؛ وربّ مرّة أنحت على نفسها بالقول الفظ. أهي السراة الأبرار التي تعش على زوجها؟ ألا تحب صديقتها بتسي؟ ومع ذلك، فإنها لا ترمض على نار التبكيت التي تنقل عليها هي!

وغيرُ بتسي من النساء اللواتي لهنَّ أكثرُ من عشيق، ولكنهنَّ جميعاً ينعمن بالهناءِ وراحةِ
البالِ، إلا هي، فهي تتعذبُ وتتألمُ، وتُعاني من وخزِ الضميرِ ما يهونُ إزاءَهُ كلُّ عذابٍ
وَألمٍ.

وهزّت رأسها وكأنها تنفضُ منه ما تراحَمَ فيه من أفكارٍ مُرْمِضَةٍ، وأقبلت عليه تُخاطبُهُ،
وتطرُحُ عليه مُختلفَ الأسئلةِ.

ولكنَّه لم يردِّ على أسئلتِها، بل نبرَّ يقولُ وهو يُقطَّبُ قليلاً: «ولمَ تكتمينَ عني ما يشغلُ
فِكرَكَ؟ لِمَ لا تفتحينَ لي مغالِقَ قلبِكَ؟»
فرنّت إليه بِطرفٍ مُخضَلٍّ^(١) ولزمتِ الصمّتَ.

واستأنفتَ يقولُ: «لا جرمَ»^(٢) أن في صدركِ اضطراباً وانفعالاً، وثقي أن الإفشاءَ إليّ بما
يؤلمُك يُخففُ عنك الوطأةَ، ويزيلُ عن صدري كابوساً ثقيلاً. فتكلّمي ناشدتكِ الله ولا
تُسرّفي في إبلامي».

فقالَتْ بصوتٍ مهموسٍ يسيلُ رِقَّةً وألماً: «أترعُبُ إليّ حقاً أن أتكلّمَ؟»
قالَ متوسّلاً: «أجل... أجل... قولي كلَّ شيءٍ».
فأغضتْ عينيها، وقالت وهي تشرقُ: «إني امرأةٌ حاملٌ».

وارتعدت، وارتعشت، واختلجت شفتاها. ثم رفعت إلى وجهه عيني ساجرتين
حزيتين، وجعلت تُحدقُ في أساريه، كأنها تُريدُ أن تستشيفَ تأثيرَ كلماتها في قلبه.

وألجمَ لسانه، وجمدَ في مكانه. ولم يُعتمَّ أن انحنى إلى الأمام قليلاً ومال برأسه على
صدره، وكان إحساسه الباطنَ طُوقَ يتساءلُ ويقولُ: «من ذا الذي فعلَ بي هذا؟ إني إذا لَدو
وَلِد، فليت لي ولداً! لك الويلُ يا رجلُ! لك الويلُ من مُجرِمِ دامي الأثيابِ، وفاسقِ فاجرِ
ميّتِ الضميرِ! أتبسمُ؟ أستطيعُ أن أتبسمَ وأنا مُجرِمٌ؟ أستطيعُ ذلك، والتبسمُ في حالتي
ضربٌ من الرياءِ؟»

وكانها تتبعثُ مجرى أفكاره، وقرأت في عينيه ما اغتملَ في صدره، فمدت إليه يداً

(١) مُخضَلٌّ: مُبلَّلٌ.

(٢) لا جرمَ: لا بُدَّ.

رَخْصَةً، وَضَعَطَتْ بِهَا عَلَى يَدَيْهِ، وَلِسَانُ حَالِهَا يَقُولُ: «لَا تَزْرَحْ تَحْتَ ثِقَلِ الْيَأْسِ، لَا تَدْعَ رَوْحَكَ تَبْتِنُ، فَلَيْسَتْ هَذِهِ الصَّدْمَةُ إِلَّا نَمْرَةً مِنْ نَمْرَاتِ الْحُبِّ. وَلَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الْحَمْدُ، فَأَنَا بِخَيْرٍ مَا دَامَ قَلْبُكَ عَامِرًا بِالْمَحَبَّةِ وَالْإِخْلَاصِ!»

ولم تكن أنا على صواب في ما حدسته، لم تكن على حق حين صور لها حُبها للرجل آلامه من أجلها بصورة رائعة تحوّل من المعاني ما يجعل عن الوصف، بل تحوّل من القيم الإنسانيّة ما تنحني لها هامة الإنسانيّة احترامًا وتقديرًا...

لم تكن أنا على حق، فهو رجل من الرجال، وهو قد نظر إلى الأمر كما ينظر كل رجل آخر. لقد شعر بالخطر المائل، إنها حامل، ولا مريّة في أن زوجها سيطلع على الحقيقة، ولهذا يتربّب عليه أن يبت الأمر من دون إبطاء.

لقد فكّر في نفسه كمجرّم، لكنّ رهبة الموقف هي التي جسّمته مجرمًا في نظر ذات هذه النفس، وكانت لمحة خاطفة تلاشى فيها المجرّم، وظهر الشاب الذي يريد أن يدبر الأمور قبل استفحال الخطر.

كان فرونسكي على شيء من الاستقامة، إلا أن هذا الجانب من الشهامة لم يكبح جماح الأثرة التي لا يخلو منها قلب إنسان مهما تعالَى وسما، ومهما كانت إنسانيته تبدّ شهوته.

ونظر فرونسكي إليها نظرة الصبّ المستهام، فإذا بقلبه يجف^(١) وبإحساسه يرقّ حتى يكاد أن يكون كالنسيم. وإذا به يأخذ يدها بيده، ويلثمها ويقبلها، ثمّ يوجّه إلى صاحبته حديثه فيقول برقي وهدوء وثقة: «أيّ أنا! يا صنو الروح! يا معبودتي! لقد وسجت بيننا علاقة لذة وشهوة، لكنني لم أخذها كعلاقة رجل يمجن. ولا مفرّ لنا الآن من البتّ والجزم. لا مندوحة لنا من الفضل، أجل، علينا أن نقرّر المستقبل».

قالت وصوتها يئمّ عن قلبها: «فماذا ترتئي؟ ماذا تفعل؟»

قال: «أتجيبني؟ إن كنت تجيبني فاهجري قريتك. أتركه. غادريه، وتعالى، تعالى بي، حتى تنصهر روحانا وتندمج حياتانا».

قالت: «لا شك أن حياتنا قد أضحتنا حياة، وروحنا روحا».

(١) يجفّ (الماضي: وجفّ): يضطرب.

قال: «في السرِّ ذلك، في السرِّ. وَعَلَيْنَا أَنْ نُغْلِنَ عَلَى الْمَلَأِ أَنَّنَا أَصْبَحْنَا مُتَّحِدِينَ مُنْدَمِجِينَ!»

-«على أنني مُتَزَوِّجَةٌ، وأم، فماذا أفعل؟ ما هو الحلُّ؟»

-«أتركه. أتركي زَوْجَكَ. قولي لَهُ إِنَّكَ لَا تُحِبُّنَهُ...».

-«ما أهْوَنَ الْكَلَامَ وَأَصْعَبَ الْأَدَاءَ!»

-«أَتُحِبُّنَهُ؟»

-«كلا، لا أُحِبُّهُ... فَهُوَ ثَقِيلٌ».

-«فماذا يَمْنَعُكَ إِذَا مِنَ الْإِنْضِمَامِ إِلَيَّ؟ أَوْلَدُكَ؟»

فَفَكَّرَتْ وَتَمَعْنَتْ، ثُمَّ أَجَابَتْ: «لا أدري. لا أدري. صَدَّقْ ما أقول. إِنَّني مُخْتَارَةٌ،

أَتَأَلَّمُ. ثُمَّ إِنَّني سَعِيدَةٌ أَيْضًا. أَتَعَلَّمُ؟»

-«فإِذَا؟!»

-«حَبِيبِي... أَلَا تُوفِّرُ عَلَيَّ ما أَكَابِدُهُ؟ أَرْجِي الْقَوْلَ، أَسِدِلْ سِتَارًا عَلَى ما تَوَدُّ أَنْ تُنْهِيَهُ.

إِنَّني لا أدري مَنْ أَنَا، وما أَنَا، وكيف أَنَا، ولم أَنَا، إِنَّني لا أدري!»

وَانْحَنَى عَلَى يَدَيْهَا فَطَبَعَ عَلَيْهَا قُبْلَةً أَوْدَعَهَا كُلَّ ما يَعْجَلُ فِي صَدْرِهِ مِنْ وَجْدٍ وَهَيْامٍ، ثُمَّ

انْتَهَى بَبْصَرِهِ إِلَى الْأُفُقِ الْبَعِيدِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيُطِيلُ التَّحْدِيقَ، وَيُحَاوِلُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ أَنْ يَسْتَشْفِئَ الْعَيْبَ وَيَقْرَأَ ما تُحِبُّهُ لَهُ وَلَهَا الْأَيَّامُ.

وَكَانَتْ الْأَيَّامُ تُخْبِيُ أُمُورًا كَثِيرَةً، كَانَتْ تَنْطَوِي عَلَى مُفَاجَأَتِ.

كَانَتْ تَزْخَرُ بِالْفَرَحِ وَالتَّرْحِ، وَبِالْأَمَلِ وَالْأَلَمِ. كَانَتْ حَافِلَةً بِكُلِّ ما يَخْفِلُ بِهِ الزَّمَانُ مِنْ

عَجَائِبَ وَطَرَائِفَ، يُطَلِّقُ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ تَارَةً اسْمَ الْمَأْسَاةِ، وَيَدْعُوهَا تَارَةً أُخْرَى السَّعَادَةِ.

وَإِنْسَانٌ أَعْجُوبَةٌ.

وَدَهْرُهُ أَعْجُوبَةٌ.

وَمَصِيرُهُ أَعْجُوبَةٌ.

وَعَبَّرَتْ صَفْحَةً وَجْهَهَا عَنِ مَذَلَّةٍ وَانْكِسَارٍ وَانْهِيَارٍ، وَقَالَتْ، وَقَالَتْ أَنَا، وَصَوْنُهَا بَيْنَهُ عَنِ حَيْرَتِهَا: «لَا يَعْلَمُ، أَوْاهُ! إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ».

فَأَجَابَهَا فَرُونْسْكِ بِبَيِّنَاتٍ: «لَا أَحْفَلُهُ، لَا أُبَالِي بِهِ، وَلِيَعْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ، فَأَنْتِ مُثْقَلَةٌ بِالْهُمُومِ، وَلَا يَخْلُقُ بِي أَنْ أَدْعَكَ تَرْزَحِينَ تَحْتَ وَطَأَتِهَا، فَقَدْ تَسْحَقُكَ».

قَالَتْ: «وَمَاذَا تَرَانِي فَاعِلَةٌ؟ مَاذَا تَرْتَنِي؟»

قَالَ: «أَرَى أَنْ تَكُونِي صَرِيحَةً، فَتَمِطِي لَهُ اللَّثَامَ عَنِ الْحَقِيقَةِ؛ أَصْدَقِيهِ الْقَوْلَ ثُمَّ أَتْرُكِيهِ وَشَأْنَهُ. لَا تَوْجِسِي خِيفَةً، لَا تَفْرَعِي».

فَلَاخَ عَلَى فَمِهَا شَبَحَ ابْتِسَامَةً، وَأَجَابَتْ فِي شَيْءٍ مِنَ السُّخْرِيَّةِ: «وَإِذَا فَعَلْتُ، إِذَا قُلْتُ لَهُ الْحَقِيقَةَ، أَتَدْرِي مَا يَكُونُ مَوْقِفُهُ؟ إِنَّهُ سَيَرْمُقُنِي بِنَظَرِهِ الْمُتَهَكِّمِ مُتَأَمِّلاً مُتَفَحِّصًا، ثُمَّ يُجِيبُنِي قَائِلًا: «فَأَنْتِ تَعْتَشِقِينَ، أَنْتِ تُحِبِّينَ رَجُلًا آخَرَ إِذَا! يَا عَجَبًا أَلَمْ أُحَذِّرْكَ؟ ثُمَّ، أَلَا تَخَافِينَ الْمَغَبَّةَ؟ أَتُرْتَمِينَ فِي حَضْنِهِ مِنْ دُونِ اكْتِرَافٍ؟ وَمَا رَأَيْتِ فِي الْأُصُولِ الدِّينِيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ؟ مَا بِأَيْتِكَ فِي التَّقَالِيدِ الْمَرْعِيَّةِ الْجَانِبِ؟ أَصِيخِي إِلَيَّ، أَعِيرِنِي سَمْعَكَ... إِنِّي جِدُّ حَرِيصٍ عَلَى اسْمِي، وَلَنْ أُتِيحَ لَكَ أَنْ تَلَوْنِي هَذَا الْإِسْمَ بِقَاذُورَاتِكَ، وَأَنْ تُلْصِقِي الْعَارَ بِاسْمِي...».

وَلَمْ تَنْطِقْ بِاسْمِهِ وَلَدِّهَا، فَهِيَ تُجَلُّهُ وَتُحِبُّهُ، وَلَا تَسْمَحُ بِإِشْرَاكِهِ فِي أَيِّ فَضِيحَةٍ.

وَتَنَفَّسَتْ الصُّعْدَاءَ، وَاسْتَنْتَلَتْ: «سَيَقُولُ هَذَا، وَسَيَزِيدُ، سَيُخَيِّرُنِي بِحَزْمٍ أَنَّهُ لَنْ يَدْعَنِي وَشَأْنِي، وَأَنَّهُ سَيَتَمَسَّكَ بِي حَتَّى لَا أَذْهَبَ، سَيَتَمَسَّكَ بِي لَا لِأَنَّهُ يَهْوَانِي، بَلْ لِأَنَّهُ يَخْشَى الْفَضِيحَةَ، وَيَخْشَى الْقَالَةَ الَّتِي يَرَاهَا شَرًّا مِنَ الْفَضِيحَةِ، وَأَنَّهُ لَنْ يُحْجِمَ عَنِ اللَّجْوِ إِلَى الْقَانُونِ لِيَمْنَعَنِي مِنَ التَّصْرُفِ بِحِمَاقَةٍ. وَأَنَا مُوقِنَةٌ أَنَّهُ سَيَقْرُنُ الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ، وَيُقَدِّدُ تَهْدِيدَهُ بِكُلِّ دِقَّةٍ. إِنَّهُ رَجُلٌ مُخِيفٌ مَتَى حَزَبَ الْأُمُرَ^(١)، وَلَهُ مِنْ إِرَادَتِهِ مَا يُدَلِّلُ بِهِ الصُّعَابَ مَهْمَا بَلَغَتْ شِدَّتُهَا، هُوَ كَذَلِكَ، وَأَنْتِ لَا تَعْرِفُهُ. هُوَ قَاسٍ كَأَقْسَى مَا يَكُونُ الرَّجَالُ، وَهُوَ مَتَى غَضِبَ هَدَّدَ، وَمَتَى هَدَّدَ تَفَدَّدَ».

فَهَرَّ فَرُونْسْكِ رَأْسَهُ وَقَالَ: «يَجِبُ أَنْ لَا تَقُلَّ إِرَادَتُهُ إِرَادَتَنَا، يَجِبُ أَنْ نَضْمَدَ وَأَنْ كَافِحَ. فَصَارِحِيهِ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلِنَتَنَظَّرْ، ثُمَّ لِنَعْمَلْ؛ أَوْ بِالْأُخْرَى لِنُقَابِلَ إِجْرَاءَتِهِ بِإِجْرَاءَاتِ

(١) حَزَبَ الْأُمُرَ: اسْتَدَّ.

مُضَادَّةً، وَاللَّهُ وَحْدَهُ يُقَرِّرُ السَّائِجَ وَالْمَصَائِرَ».

ولما لم يحظَ منها بجوابٍ مضى يقول: «أهجره، أتركي بيته، لا تُراعي يا أنا».

قالت: «وماذا يجري من بعد متى هجرته وغادرت بيته؟ هل أقيم معك كعشيقة؟

كخليفة؟»

فحدّذ فيها عينا يتطأيرُ منها الشرُّ وهتَفَ: «أنا!»

ولانتَ نظرته فجأةً، ورنا إليها مُستعطفًا.

وأزدفت: «أجل، أهجره، فانتقل من بيت الزوج إلى بيت العشيقي. فأحطم كل شيء،

وأهدم مُستقبلي ومُستقبل...».

وحاولت أن تقول- ابني- لكنَّ لسانها عصاها مرّة أخرى، فاكتفت بما قالت.

وعجزَ فرونسكي عن فهم موقفيها تجاه الوضعية التي بلغاها. إنها صادقة تمثت النفاق

والرياء، فكيف يتسنّى لها أن تضبر على حياة مليئة بالنفاق والرياء؟ كيف تستطيع أن تستمرّ

وأن تمضي، وأن تقنع، وهي المرأة الحرة الأبية!

ولم يظنّ فرونسكي إلى السبب، وغاب عنه أنها تُصحي من أجل ابنيها؛ لم يفهم ذلك

لأنه لم يبُل شعور الأب بعدًا!

لشدّ ما كانت ترتجف فرقا كلما تراءى لها ابنيها يعيش في بيت يكتنفه العار! لشدّ ما

كانت تجزع كلما فكرت بهذا الطفل البريء، وبمصيره المظلم إن هي استجابت لتأمة التزوّج

التي تراودها، فغامرت بكل شيء!

ورنت إلى فرونسكي بلحظٍ مغرورٍ بالدموع، وقالت والأسى يُلغمُ لسانها: «حبيبي،

مئبة قلبي... استجب لي، وتجنّب الخوض في مثل هذه المعاني الشائكة، أرجوك،

أرجوك».

قال: «على أننا يا أنا...».

فَقَاطَعْتُهُ بِسُرْعَةٍ وَقَالَتْ: «لَا تُضَاعِفْ مِنْ آلامِي، لَا تُضِفْ عَذَابًا إِلَى عَذَابِي. أَبْتِهَلُ إِلَيْكَ أَنْ تَرْفُقَ بِي. أَرْفُقْ بِي».

-«أَنَا...».

-«وَإِنِّي أَهْيَبُ بِكَ أَنْ تَتْرُكَ الْأَمْرَ لِي، وَسَاءَتَصَرَّفَ وَفَقَّ الْمَصْلَحَةَ الْمُشْتَرَكَةَ. فَأَنَا مُلِمَّةٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَقْدَرُ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَرَى الْهَائِيَةَ السَّحِيقَةَ... فَاصْبِرْ وَأَقْصِرْ، وَكُنْ كَرِيمًا».

-«لَاكَ ذَلِكَ يَا حَبِيبَةُ، لَنْ أُثْقَلَ عَلَيْكَ وَلَنْ أُلْحِفَ. بَيِّدْ أَنْ قَلَقِي عَظِيمٌ، وَخَوْفِي عَلَيْكَ أَعْظَمُ، وَلَا يَلِيقُ بِي أَنْ أَتَخَلَّى عَنْكَ وَأَنْتِ تُعَانِينَ هَذَا الْحَرَجَ».

-«أَشْكُرُ لَكَ. أَشْكُرُ لَكَ. فَأَنْتِ طَيِّبٌ كَرِيمٌ، وَلَسْتُ أَشُكُّ فِي أَنَّكَ لَا تَتَأَخَّرُ عَنِ إِتْيَانِ الْمُشْتَحِيلِ مَتَى اقْتَضَى الْأَمْرُ رُكُوبَ مَرَائِبِ الْخَطَرِ».

-«وَالَّذِي يُدْهِئُنِي يَا أَنَا تَضْحِيَّتُكَ الْكُبْرَى، مِنْ أَجْلِي أَنَا... وَهَلْ فِي إِمْكَانِي أَنْ أَنْسَى نُبْلَكَ؟ هَلْ فِي طَاقَتِي أَنْ أَجْحَدَ النُّعْمَةَ الَّتِي أُسْبِعْتَ عَلَيَّ سَاعَةَ ظَفَرْتُ بِكَ؟»

فَرَمَتْهُ بِنَظَرَةٍ سَاجِيَةٍ^(١) تَنْطِقُ بِالْحُبِّ وَأَجَابَتْ: «إِنِّي تَاعَسَةٌ وَمَعَ ذَلِكَ أَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ. لَقَدْ أَحْبَبْتُ أَحْيِرًا وَالْحُبُّ سِحْرٌ عَجِيبٌ، الْحُبُّ مَعْنَى خَالِدٍ مِنْ مَعَانِي الْحَيَاةِ».

-«وَلَكِنَّكَ قَانِطَةٌ!»

-«أَنَا! أَحْيَانًا أَشْعُرُ بِالْيَأْسِ، وَلَكِنَّ الْحُبَّ يُلَاشِي مِنْ قَلْبِي هَذَا الْيَأْسَ».

وَارْتَفَعَ صَوْتُ الصَّبِيِّ، فَتَوَرَّدَتْ وَجْتَنَاهَا، وَاخْتَلَجَتْ شَفَتَاهَا، وَرَقَّتْ عَيْنَاهَا، حَتَّى سَالَتِ الرَّقَّةُ دَمْعًا مِنْهُمَا، وَنَهَضَتْ وَاقْفَةً، وَنَظَرَتْ حَوْلَهَا، ثُمَّ تَحَوَّلَتْ بِنَظَرِهَا إِلَى الْحَدِيقَةِ.

وَمَا عَتَمَتْ أَنْ ائْتَدَعَتْ نَحْوَ فَرُونْسَكِي، فَلَفَّتْ ذِرَاعَهَا حَوْلَ عُنُقِهِ، وَقَبَّلَتْهُ بِشَعْفِ قُبْلَةٍ أَوْدَعَتْهَا خُلَاصَةً مَا يَهِيحُ مَشَاعِرَ الْحُبِّ فِي سُؤْنِدَائِهَا، وَقَالَتْ: «إِذْهَبْ يَا حَبِيبَ الرُّوحِ، إِذْهَبْ بِسَلَامٍ، وَفَكَرْ فِيَّ، فِي أَنَا».

(١) نَظَرَةٌ سَاجِيَةٌ: نَظَرَةٌ هَادِيَةٌ طَوِيلَةٌ.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا.
- ٢ - «مَنْ مِنْهُنَّ تَحَوَّرَ عَشيقًا مثلَ فرونسكي؟» عبارةٌ قالها تولستوي على لسانِ نساءِ الطَّبقةِ الرَّفِيعَةِ في بطرسبرج. إلامَ كانَ يرمي؟ فَكَّرْ ثُمَّ أَجِبْ.
- ٣ - لِمَ اغْتَبَطَتْ والدَةُ فرونسكي للعلاقةِ التي قامَتْ بينَهُ وبينَ أنا كارنينا؟ وعلامَ يدلُّ هذا في أخلاقِ الطَّبقةِ الرَّفِيعَةِ هناك؟
- ٤ - ما السرُّ الَّذي كَشَفَتْ عنه أنا أمامَ فرونسكي؟ وكيفَ تَلَقَّاهُ؟
- ٥ - كانَ للطفلي «سيرج» دورٌ في هذا الفصلِ. فما الَّذي أرادَ الكاتِبُ أَنْ يُقدِّمَهُ إلى القارئِ من خلالِ هذا الدَّورِ؟
- ٦ - أنا تَتَأَلَّمُ لعلاقتها غيرِ الشرعيَّةِ بفرونسكي. فِلِمَ تَتَأَلَّمُ وكثيراتٍ من مثيلاتها لا يتألَّمَن؟ أَيْكونُ الضَّميرُ المُتَقَيِّظُ فيها وراءَ ذلك، أم إِنَّه أمرٌ آخرُ؟ فَكَّرْ ثُمَّ أَجِبْ.
- ٧ - باتتِ العلاقةُ بينَ أنا وفرونسكي أَكْثَرَ تعقيدًا. فما الَّذي جعلها كذلك؟
- ٨ - «إنَّها (أنا) صادقةٌ تمقَّتُ التفاقَ والرِّياءَ». كيفَ تعلَّلُ سلوكها وهي كذلك؟ وهل أرادَ تولستوي أن يدينَ زواجها؟ حاولْ أن تبحَثَ في هذا.
- ٩ - لم تكنْ أنا تُريدُ لابنها أن يعيشَ في بيتِ يَكْتَنُفُهُ العارُ. فكيفَ رَضِيتَ لنفسِها إذا أن تعيشَ العارَ؟ ولماذا اختارتَ لابنها هذا المصيرَ أخيرًا؟
- ١٠ - أوجِزْ مضمونَ الفصلِ في أسطرٍ قليلةٍ.

الفصل السادس

لَمْ يَطْرَأَ جَدِيدٌ عَلَى عَلاَقَةِ الرَّوَجَيْنِ، فَهُمَا أَمَامَ الْمَلَأِ خَيْرِ الْأَزْوَاجِ، ابْتِسَامَاتٌ مُتَبَادِلَةٌ، وَكَلِمَاتٌ مُجَامِلَةٌ، وَعَوَاطِفٌ مُتَقَلِّبَةٌ بَيْنَ الْقَلْبَيْنِ.

عَلَى أَنَّ كَارْنِينَ أَكَبَّ عَلَى عَمَلِهِ، فَعَدَا أَشَدَّ إِقْبَالًا عَلَيْهِ مِنْ ذِي قَبْلُ، حَتَّى عَجِبَ مِنْهُ الْجَمِيعُ، وَرَأَوْا فِي نَشَاطِهِ بَادِرَةً لَا مُسَوِّغَ لَهَا.

وَلَمَّا وَلَّى فَضُلُ الشِّتَاءِ بَرَزَهُ وَزَمَهْرِيرِهِ وَثَلَجِهِ، ارْتَحَلَ إِلَى إِحْدَى مُدُنِ الْمِيَاهِ الْمَعْدِنِيَّةِ حَيْثُ مَكَتَ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ قَفَلَ رَاجِعًا فِي أَوَّلِ الصَّيْفِ، لِيَسْتَأْنِفَ نَشَاطَهُ بِمَا عُرِفَ عَنْهُ مِنْ هِمَّةٍ وَحِرْصٍ.

وَلَزِمَ بَطْرَسْبِرْجَ فَلَمْ يُبَارِحْهَا، وَإِنْ كَانَ حَرْهَا فِي الصَّيْفِ شَدِيدًا لَا يُطِيقُهُ النَّاسُ.

أَمَّا أَنَا زَوْجُهُ فَقَدْ بَارَحْتُ بَطْرَسْبِرْجَ إِلَى مَنْزِلِ زَوْجِهَا الرَّيْفِيِّ فِي «بَيْتْرَهوف». وَكَانَ الْمَنْزِلُ هَذَا صَغِيرًا جَمِيلًا مُؤَثَّنًا بِسَاطَةِ وَدَوَقِ سَلِيمٍ.

أَمَّا مَا جَرَى بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَهَوَّ أَنْ فَرُونْسْكِ قَدْ غَادَرَ بَيْتَ كَارْنِينَ فِي بَيْتْرَهوفِ، وَذَهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَسْتَعِدَّ لِلْسَّبَاقِ.

وَكَانَ الْمَسْئُولُونَ قَدْ أَعَدُّوا الْعُدَّةَ وَاتَّخَذُوا الْأَهْبَةَ لِكَيْ يَخْفَلَ ذَلِكَ النَّهَارُ بِسَبَاقِ مُثِيرٍ يَغْلُقُ ذِكْرَهُ فِي الْأَذْهَانِ.

فَأَقَامُوا أَرْبَعَةَ أَشْوَاطٍ، أَوَّلُهَا سَبَاقُ الْفُرْسَانِ، ثُمَّ الضُّبَاطِ، ثُمَّ الْأَمِيَالِ الثَّلَاثَةِ، وَأَخِيرًا السَّبَاقِ الَّذِي اشْتَرَكَ فِيهِ فَرُونْسْكِ.

وَمَا كَادَ فَرُونْسْكِ يَصِلُ إِلَى الْحَلْبَةِ حَتَّى نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ مَرَّ بِهِ، وَلَمْ يَعُدْ يُفَكِّرُ إِلَّا فِي جَوَادِهِ، وَفِي الْجُهْدِ الَّذِي يَخْلُقُ بِهِ أَنْ يَبْذُلَهُ لِيَفُوزَ بِالْقُدْحِ الْمُعْلَى.

وحان ميعادُ الشَّوْطِ الأخيرِ، واعتلى فرونسكي ظَهَرَ جَوادِهِ، ووقفَ في الصَّفِّ،
 وشخصَ إلى ما يمتدُّ أمامَ ناظرَيْهِ، ولم ينظرْ في ما يكتنِفُهُ. لم يرَ أحدًا، ولم يعبأ بأحدٍ. إنَّه
 فارسٌ، ومُسابِقٌ. وفرونسكي! إنَّه فرونسكي، وعليه أن يبرهنَ للملأ أنَّه جديرٌ بالإسمِ الَّذي
 يحمِلُ، وباللقبِ الَّذي يزيْنُ هذا الإسمَ، أو الَّذي يزيْنُهُ هذا الإسمُ!
 وكانوا سبعةَ عَشَرَ فارسًا. وأعطيت إشارةُ البدءِ، واندفعَ فرونسكي، ولكنَّه اندفعَ متأخرًا
 بعضَ الشيءِ.

وبدا لأوَّلِ وهلةٍ أنَّ فرونسكي لا يملكُ أمرَ نفسه ولا أمرَ جَوادِهِ «فراو- فراو». لكنَّه
 عقَدَ العزمَ، فحثَّ الجَوادَ؛ واستجابَ «فراو- فراو» فسبقَ غيرهَ، ولم يبقَ أمامَهُ إلاَّ جَوادٌ
 واحدٌ.

وكانَ «فراو- فراو» خفيماً في عدوهِ، ماهرًا في اجتيازِهِ العَقَباتِ المَوْضوعَةِ.

ومعَ ذلكَ فإنَّه لم يستطعَ أن يتفوقَ على خصمِهِ الجَوادِ الأذمِّ المُنْدَفِعِ إلى الأمامِ،
 أمامَهُ، يعدو وكأنَّه يسابقُ الرِّيحَ.

غيرَ أنَّ فرونسكي أخطأَ قَبْلَ النِّهَايَةِ. كانَ جَوادُهُ يَقْفِزُ فَوْقَ الحاجزِ الأخيرِ، وكانَ عليه
 أن ينحسَهُ برفقٍ، لكنَّ انفعالاً أنساهُ واجِبُهُ، فضربَ بطنَ الجَوادِ بعنفٍ، وارتبكَ الجَوادُ
 فتعثرتْ قوائِمُهُ بالحاجزِ، ووقعَ على الأرضِ.

وأنَّ فرونسكي، أنَّ مِنَ القَهْرِ؛ لقد أخطأَ فخذَلَ الجَوادِ المسكينَ! وأسرعَ رجالُ
 الإسعافِ إليه. ولم ينسَ فرونسكي ما حاقَ به في ذلكَ اليومِ، بل رَسَحَتْ ذِكْرَاهُ في رأسِهِ.
 وكانَ يتحسَّرُ دوماً، وكانَ يُنحي على نفسه باللائمةَ.

لقد سَرَ السِّباقُ، فليتحسَّرْ، ولكنَّ الشيءَ الَّذي قَهَرَهُ وأرَمَضَ شعورَهُ هوَ يقينُهُ بأنَّه خذَلَ
 «فراو- فراو»، بعدَ أن كادَ الجَوادُ العَظِيمُ يَفوزُ بقصَبِ السَّبْقِ.

هذا ما جرى في أصيلِ ذلكَ اليومِ، وأثرَ في فرونسكي تأثيرًا بالغًا.

أما أنا فقدَ قَصَّتْ أشهرَ الصَّيفِ في «بيترهوف»، بينما مكثتُ كارنينُ في بطرسبرج، يُرهِقُ
 نفسه بالعملِ لكي ينسى، وماذا ينسى؟ وكلِّما حاولَ أن يتوصَّلَ إلى معرفةِ الشيءِ الَّذي يسعى

إلى نسيانِهِ، ازدادَ رَغْبَةً في التَّهَرُّبِ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ تَفْكِيرِهِ، حَتَّى يَبْقَى هَذَا الشَّيْءُ غَامِضًا مُبْهَمًا .

كَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَحْتَفِرُ الْغَيْرَةَ وَيَمْتَقُتْهَا، وَكَانَ يُقَاسِي كَثِيرًا مِنْ شُعُورِ الْمَذَلَّةِ كُلَّمَا اخْتَلَجَ فِي صَدْرِهِ الشُّكُّ .

وَقَدْ شَكَّ فِي امْرَأَتِهِ، وَارْتَابَ رَبِيَّةً شَدِيدَةً بِمَا دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مِنْ حَدِيثِ بَعْدَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمَشْهُومَةِ الَّتِي قَضِيَا شَطْرًا مِنْهَا فِي مَنْزِلِ الْأَمِيرَةِ بَسِي .

وَمَا أَكْثَرَ مَا أَلَمَهُ شُكُّهُ، لِكِنَّهُ حَرَصَ عَلَى أَلَّا يَجْعَلَ أَنَا تُحِيطُ عِلْمًا بِمَا يُعَدُّهُ . وَهَكَذَا نَأَى بِمَشَاعِرِهِ عَنْهَا، وَابْتَعَدَ طَاقَتَهُ عَنْ كُلِّ مَكَانٍ كَانَتْ تُوجَدُ فِيهِ . وَبِذَلِكَ جُهِدَ الْجَبَارِيَةُ لِتُبْعِدَهَا عَنْ تَفْكِيرِهِ، وَبِذَلِكَ يُقْصِي هَذِهِ الْأَوْضَارَ^(١) أَوْ الشُّكُوكَ الَّتِي دَهَمَتْهُ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ .

وَأَغْرَقَ نَفْسَهُ فِي الْعَمَلِ، لِكَيْ يُغْرِقَ بِذَلِكَ هُمُومَهُ فِي لُجَّةٍ لَا يَطُولُهَا الْفِكْرُ الْمُضْطَرِبُ . وَكَانَ كُلَّمَا عَجِبَ لِتَرَاحِمِ الْعَمَلِ، يُفْنِعُ نَفْسَهُ أَنَّ الظُّرُوفَ هِيَ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى تَكَاتُرِ الْأَعْبَاءِ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي عَمِلَ عَلَى الْإِكْتِنَارِ مِنْهَا .

فَلَمَّا ظَعَنْتَ^(٢) أَنَا فِي صَيْفِ ذَلِكَ الْعَامِ إِلَى مَصِيفَيْهِمَا الرَّيْفِيِّ، فِي أَرْبَاضِ بَطْرَسْبِرْجِ أَبَتْ الْكُونْتِس «لِيدِيَا إِيْفَانُونَا» أَنْ تَذَهَبَ إِلَى الْمَكَانِ نَفْسِهِ .

وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ مِنَ الْمُعْجَبَاتِ بِكَارِنِينَ، الْمُجِبَّاتِ لِأَنَّ زَوْجَتِهِ، بَيَّدَ أَنَّهَا فِي ذَلِكَ الْعَامِ أَفْنَتْ أَنْ تُرَافِقَ أَنَا، وَلَمْ تَتَوَرَّعْ عَنِ التَّلْمِيحِ لِرُؤُوسِهَا بِسَبَبِ تَرُدُّهَا فِي الذَّهَابِ، بَلْ أَفْهَمَتْهُ مِنْ طَرْفِ خَفِيِّ أَنَّ عِلَاقَةَ امْرَأَتِهِ بِفَرُونْسْكِ أَمْرٌ كَرِيهُ، وَأَنَّ هَذِهِ الصَّدَاقَةَ الْوَثِيقَةَ هِيَ الَّتِي حَبَسَتْهَا عَنِ انْتِجَاعِ الْمَصِيفِ الَّذِي تَلُودُ بِهِ أَنَا .

وَقَدْ حَقَّقَ كَارِنِينَ أَشَدَّ الْحَقِّقِ مِنْ هَذَا التَّلْمِيحِ، وَأَجَابَهَا بِخُسُونَةٍ لِادِّعَاءِ، وَأَفْهَمَهَا أَنَّهُ يَتَّقُ بَرُوجِهِ وَيَرْبَأُ بِهَا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَا يَشُكُّ فِي تَصَرُّفَاتِهَا .

وَصَعَّرَ لِلْمَرْأَةِ حَذَّ^(٣) بَعْدَ تِلْكَ الْحَادِثَةِ، وَلَمْ يَرْضَ عَنْهَا، وَلَمْ يُكَلِّمَهَا .

يَا لِلرَّجُلِ الَّذِي عَصَفَتْ بِهِ الرِّيحُ! فَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ حَتَّى لَا يُبْصِرَ النَّاسَ، فَلَمْ يُبْصِرْهُمْ؛

(١) الْأَوْضَارُ (جَمْعُ الْوَضْرِ): الْأَوْسَاحُ .

(٢) ظَعَنْتَ: رَحَلْتَ .

(٣) صَعَّرَ حَذَّ: أَمَالَهُ أَنْفَهُ وَتَكَبَّرَا .

لَقَدْ أَضْبَحَ يَخْشَاهُمْ .

يا للرجل! أصم أذنيه كي لا يسمع ما يتهامس به الناس، فلم يسمع لغتهم؛ لقد أصبح
يرهب جانبيهم!

وكرهت نفسه الحياة، وعافت كل ما فيها، ونأى بفكره عن كل ما يريب، حتى لا تمزق
الريب قلبه .

وشعر، ونفسه والهة، أنه زوج مخدوع. شعر بذلك، مع أنه كافح المشاعر حتى لا
يشعر .

لقد حزن كثيرا، وأسلم قياده للأسى . وما كان حزنه لغيره، أو لأسف على حب
ضائع، بل كان حزنه نتاج شعوره بأن كرامته قد أهدرت، وأن اسمه قد نلّم . هذا هو الشيء
الذي ملأ شغاف قلبه بالألم .

سمع في ما سلف قصص الخيانة؛ قيل له عن زوج غدرت به امرأته، فأجاب: «إنه
المسؤول أولا وأخرا . فلو أخلص، ولو استقام، لما فكرت هي بالخيانة! ثم لو تدارك هذا
الرجل المخدوع أمر زوجه، لما وقع المنكر، وسلم شرفه واسمه وبيته» .

أما وقد أصيب بالكربة عينها، فهو يرى نفسه أعجز من أن يتلافى الخطب، هو يشعر
كما يشعر العريق ساعة يتلاشى أمله في النجاة، فيستسلم إلى اليم المتلاطم، ليموت .

ومع ذلك فقد تنهى في إنكار الواقع، بل تمادى في الإنكار، وأسرف في عدم
الإعتراف، وما موقفه السليبي هذا إلا من قبيل تخوفه وتوجسه، واعتقاده بأن أي شك لا
يعمد إلى مقاومته، قد يفضي به إلى الدرك الأسفل!

وقد تجنّب زوجه، ولم يجتمع إليها طيلة الفترة التي قضتها في المصيف . ولكنه، في
اليوم الذي جرى فيه سباق الفرسان والضباط، انطلق إلى «بيترهوف» وهو عازم على
اضطحاب أنا إلى ميدان السباق، لما يعلّق على ظهورها معه أمام الناس من أهمية كبرى .

فقد كان من المقرر أن يشهد الأمبراطور سباق ذلك اليوم، ولا جرم أن جميع السراة
والأعيان والتبلاء سيأتون أيضا .

ولكنه ما كاد يصل إلى الدارة الصغيرة حتى صرّف من ذهنه فكرة مرافقتها .

وما كادت هي تبصر به يترجل من العربية، وكانت حينذاك تستكمل زيتتها، حتى افسح

جَلْدُهَا، وَتَوَلَّاهَا مِنْ أُذُنَيْهِ الْكَبِيرَتَيْنِ نُفُورًا وَاشْمِئزَاؤًا.

وَابْتَدَرَتْ نَفْسَهَا تَقُولُ لِنَفْسِهَا: «أَوَا! هَلْ يُزْمَعُ قَضَاءُ اللَّيْلِ هُنَا؟»

على أَنَّهَا بَادَرَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ تَكَلَّفَتْ الْبِشْرَ وَالشُّرُورَ، وَمَدَّتْ إِلَيْهِ يَدَهَا، وَصَافَحَتْهُ بِأَشَّةٍ، وَقَالَتْ وَكَلَامُهَا بَيْنَهُمَا عَمَّا يَزْدَجِمُ فِيهِ مِنَ الْمُدَاهِنَةِ وَالرِّيَاءِ: «قَدِمْتُ أَهْلًا يَا عَزِيزِي، وَإِنِّي لَمَسْرُورَةٌ لِمُقَدِّمِكَ، لِأَنَّ هَذَا يُتَبَحُّ لِي مُشَاهَدَةَ السَّبَاقِ... فَهَلْ تَمَكُّتُ اللَّيْلَةَ هُنَا؟ إِنَّ بَتْسِي قَادِمَةٌ عَمَّا قَرِيبٍ لِمُرَافَقَتِي إِلَى الْمِيدَانِ».

فَتَجَهَّمَتْ وَجْهَ كَارِنِينَ حِينَ سَمِعَ اسْمَ الْمَرْأَةِ الَّتِي يَمُكُّتُ وَيَحْتَقِرُّ، وَقَالَ: «وعلى هذا لَنْ أُفَرِّقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا، وَسَأَذْهَبُ بِمُفْرَدِي إِلَى الْحَلْبَةِ».

-«فاجلس إذا حتى آتيتك بالشراب الساخن».

وَجَلَسَ كَارِنِينُ مِنْ دُونِ أَنْ يَتَكَلَّمَ. وَدَعَتْ أَنَا خَادِمَتَهَا فَأَمَرَتْهَا أَنْ تَأْتِيَ بِفِنْجَانٍ مِنَ الشَّايِ، وَأَنْ تُبَيِّنَ الْإِبْنَ بِمُقَدِّمِ أَبِيهِ.

وَمَا لَبِثَتْ أَنْ اسْتَدَارَتْ إِلَى زَوْجِهَا، وَقَالَتْ وَهِيَ تَتَفَرَّسُ فِي وَجْهِهِ الْعَابِسِ الْمُتَقَبِّصِ: «مَاذَا دَهَاكَ؟ هَلْ ثَمَّةَ مَا يُؤْلِمُكَ؟»

وَعَجِبَتْ مِنْ هَذَا الرِّيَاءِ. لَقَدْ اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ كَمَا رَأَتْ!

وَقَالَ هُوَ بِهَدْوٍ: «أَصَبْتُ، فَأَنَا مِنْهُمْ فِي أَعْمَالِي، وَأَنَا مُتَعَبٌ مِنْ كَثْرَتِهَا».

فَأَظْهَرَتْ الْإِهْتِمَامَ، وَطَفِقَتْ تَسْأَلُهُ وَتَسْتَوْضِحُ مِنْهُ، ثُمَّ أَلْحَتْ عَلَيْهِ فِي قَضَاءِ بَعْضِ الْوَقْتِ مَعَهَا فِي «بِيتْرهوف»، على أَنْ يَنْزِعَ إِلَى الرَّاحَةِ وَيُخَلِّدَ إِلَى الْهُدُوءِ.

وَقَدْ تَكَلَّمَتْ كَمَا لَوْ كَانَتْ تُعْنِي مَا تَقُولُ؛ كَانَتْ تَتَكَلَّمُ بِلَهْجَةِ الْإِخْلَاصِ، لَكِنَّ الْإِخْلَاصَ كَانَ فِي مَعْرِزِلٍ عَنِ مَشَاعِرِهَا.

وَسَبَرَ كَارِنِينُ عَوْرَهَا، فَلَمْ يُصَدِّقْ حَرْفًا مِنْ كَلَامِهَا، بَلْ أَيْقَنَ أَنَّهَا حَرِيصَةٌ مِثْلَهُ عَلَى اسْتِيقَاءِ الْمَظَاهِرِ، وَالِاخْتِفَاطِ بِالظَّاهِرِ.

وَقَدْ اِزْتَبَكَتْ أَنَا اِزْتِيَاكًا شَدِيدًا لِكَلِمَاتِ الْإِلْفِكِ^(١) الَّتِي هَضَلْتُ^(٢) بِهَا، لَمْ تَرْتَبِكْ فِي

(١) الْإِلْفُ: الْكَذِبُ.

(٢) هَضَلْتُ بِالْكَلامِ: انْطَلَقْتُ بِهِ.

حَضْرَتِهِ، بَلْ خَجَلْتُ بَعْدَ ذَهَابِهِ، وَتَوَلَّاهَا مَا يُشْبِهُ الْحُزْنَ عَلَى سَجِيَّةٍ مُحْتَضِرَةٍ لَنْ يَبْقَى لَهَا
وُجُودٌ.

وَجَاءَ الطِّفْلُ «سِيرَجٌ» فَأَنْقَذَ بِمَجِيئِهِ الْمَوْقِفَ الْمُتَوَتِّرَ. وَنَظَرَ إِلَى أُمِّهِ مَلِيًّا، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى
أَبِيهِ، وَأَغْضَى حَيَاءً.

وَأَذْنِي كَارِنِينَ ابْنَهُ مِنْهُ، فَرَبَّتْ خَدَّهُ مُلَاطِفًا، وَقَبَلَهُ، وَحَدَّثَهُ، وَدَاعَبَهُ، لِكِنَّةٍ فَعَلَ هَذَا كُلَّهُ
بِفُتُورٍ وَتَكَلُّفٍ.

وَخَفَقَ قَلْبُ الطِّفْلِ، وَانْقَبَضَ صَدْرُهُ. وَمَا عَتَمَ أَنْ نَظَرَ إِلَى أُمِّهِ مُسْتَجِيرًا، فَتَقَطَّرَتْ كَبِدُهَا
أَسَى، وَرَأَتْ بَعِينَ مُخَيَّلَتَهَا دَعَائِمَ بَيْتِهَا تَنْهَاطِي وَتَنْهَارُ.

غَيْرَ أَنَّهَا تَدَارَكَتِ الْأَمْرَ، فَأَقْبَلَتْ عَلَى الطِّفْلِ تَحْتَضِينُهُ وَتُقْبَلُهُ، ثُمَّ أَمْسَكَتُهُ مِنْ يَدِهِ وَقَادَتْهُ
إِلَى الشَّرْفَةِ.

وَتَنَاهَى إِلَيْهَا صَوْتُ عَرَبِيَّةٍ قَادِمَةٍ، فَقَالَتْ تُخَاطِبُ زَوْجَهَا: «هَا هِيَ بَتْسِي، إِنِّي رَاحِلَةٌ».
وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ فَصَافَحَتْهُ مُودَعَةً.

وَلَمَّا قَبَّلَ الرَّجُلُ يَدَ زَوْجِهِ، أَجْفَلَتْ مِنَ الْقُبْلَةِ، لِكِنَّةٍ تَمَالَكَتْ نَفْسَهَا، فَابْتَسَمَتْ
وَأَسْرَعَتْ بِالذَّهَابِ.

عَلَى أَنَّهَا لَبِثَتْ تُفَكِّرُ بِشَفَتَيْهِ، وَبِالْقُبْلَةِ الْكَرِيهَةِ الَّتِي طَبَعَهَا عَلَى يَدِهَا. إِنَّهَا تَمَقَّتُهُ! إِنَّهَا
تَمَقَّتْ أذُنِيهِ! إِنَّهَا تَمَقَّتْ شَفَتَيْهِ.

وَهَذَا هُوَ الْحُبُّ،

حُبُّ الْعَشِيقِ الْأَثِيرِ،

حُبُّ الْخَلِيلِ،

الْحُبُّ الدَّنِيسُ الْمُحَرَّمُ،

إِنَّهُ دَوْمًا أَشْهَى وَالَّذِي مِنْ حُبِّ الْخَلِيلِ...

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا.
- ٢ - يَسُودُ التَّفَاقُ عِلاَقَاتِ الطَّبَقَةِ الرَّفِيعَةِ فِي بَطْرَسْبِرْجِ وَمُوسْكُو. أَشِيرُ إِلَى مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فِي هَذَا الْفَصْلِ مِنَ الرَّوَايَةِ.
- ٣ - كَيْفَ حَاوَلَ كَارْنِينُ أَنْ يُنْسِيَ مَأْسَاتَهُ؟ وَإِلَامَ انصَرَفَ؟
- ٤ - أَتَرَى فِي انصِرَافِ كَارْنِينِ بِكَلْبِيَّتِهِ إِلَى الْعَمَلِ ضَرْبًا مِنَ الْهَرُوبِ، أَمْ حَالًا مِنَ الْانْتِحَارِ الْدَاخِلِيِّ؟
- ٥ - أَأَنْتَ رَاضٍ عَنِ تَصَرُّفِ كَارْنِينٍ مَعَ زَوْجِهِ الْخَائِنَةِ؟ وَمَاذَا كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَ؟
- ٦ - مَا الَّذِي كَانَ يَجْعَلُ كَارْنِينًا يَقِفُ هَذَا الْمَوْقِفَ مِنْ زَوْجِهِ الْخَائِنَةِ؟ وَهَلْ تَرَى مُسَوِّغًا مِنْطَقِيًّا لِمَوْقِفِهِ هَذَا؟
- ٧ - أَكَانَ كَارْنِينُ يَرْضَى لِأَحَدٍ أَنْ يُعَرِّضَ بِحَيَاتِهِ الزَّوْجِيَّةَ أَوْ أَنْ يَتَنَاوَلَ زَوْجَتَهُ بِكَلَامِ السُّوَاءِ؟ وَلِمَاذَا؟
- ٨ - هَلْ لِعِلَاقَةِ فَرُونْسْكِ بِأَنَا كَارْنِينَا أَثَرٌ فِي خَسَارَتِهِ السَّبَاقِ؟ وَكَيْفَ؟
- ٩ - أَوْجِزْ مِضمونَ الْفَصْلِ فِي أَسْطُرٍ قَلِيلَةٍ.

الفصل السابع

جَلَسْتُ أَنَا فِي الْمُرْتَمَعِ الْكَبِيرِ الَّذِي تَحْتَهُ الطَّبَقَةُ الْعُلْيَا مِنَ الْأَشْرَافِ وَالسَّرَاةِ، وَجَلَسَتِ
الْأَمِيرَةُ بَتْسِي إِلَى جَانِبِهَا.

وَوَصَلَ كَارْنِينُ فِشَاهَدَ زَوْجَهُ وَشَاهَدَ صَاحِبَتَهَا، وَعَضَّ عَلَى نَوَاجِذِهِ مِنَ الْقَهْرِ الْمَكْبُوتِ .
وَرَأَتْهُ أَنَا، وَاخْتَلَسَتِ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ الْمَتَّجِّهِمِ الَّذِي يُنْبِئُ بِالثُّورَةِ الْهَائِلَةِ الْمُتَدَلِّعَةِ
النِّيَّانِ، الَّتِي تَعْمَلُ بِقُوَّةٍ فِي صَدْرِهِ .

وَفَكَّرْتُ بِفِرُونَسْكِ . الرَّجُلَانِ هُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ: الزَّوْجُ الْمَمْجُوجُ^(١)، وَالْعَشِيقُ
الْمُفْضَلُ! ذَاكَ بِأَذُنَيْهِ الْمَقِيبَتَيْنِ، وَهَذَا بِقَامَتِهِ الْمَمْشُوقَةِ، وَشَبَابِهِ الْعَضُّ، وَقَلْبِهِ الَّذِي يَنْبُضُ
بِالْحُبِّ .

رَأَتْ زَوْجَهَا بِبَصَرِهَا، وَرَأَتْ عَشِيقَهَا بِبَصِيرَتِهَا، فَتَقَمَّتْ عَلَى الْأَوَّلِ لِأَنَّهَا لَا تُحِبُّهُ مَعَ أَنَّهُ
زَوْجُهَا، وَهَفَّتْ إِلَى الثَّانِي لِأَنَّهَا تُحِبُّهُ، وَلَوْ كَانَ حُبُّهَا لَهُ يَعْنِي دَمَارَهَا وَتَقْوُضَ دَارِهَا!

وَلِلَّهِ فِي خَلْقِهِ شُؤُونٌ . لَقَدْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَخَلَقَ مَعَهُ النَّزَعَاتِ، وَالْعَوَاطِفَ، وَالْمَشَاعِرَ،
فَأَصْبَحَ الْإِنْسَانُ كَالرِّيشَةِ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ، وَأَصْبَحَتِ الرِّيحُ تَلُكُ الْعَوَاطِفَ وَالْمَشَاعِرَ
وَالنَّزَعَاتِ الَّتِي تَجِيشُ، وَتَجِيشُ، وَتَتَوَرُّ، وَتَقُورُ، وَلَا تَهْدَأُ وَفِي دَاخِلِهِ خَلْجَةٌ مِنْ حَيَاةٍ!

وَتَتَبَّعَتْ خُطُوبَاتِ زَوْجِهَا، وَتَتَبَّعَتْ بِبَصِيرَتِهَا التَّحْوَلَ الْفِكْرِيَّ الَّذِي أَصَابَهَا عَقَبَ تَوَطُّدِ
صَدَاقَتِهَا بِفِرُونَسْكِ، وَدَهَشَتْ مِمَّا اسْتَتَجَتْ . كَانَتْ مُعْجَبَةً بِزَوْجِهَا مِنْ قَبْلُ، كَانَتْ تَرَاهُ
عَظِيمًا، أَمَّا الْآنَ فَمَا هُوَ إِلَّا حَفَنَةٌ مِنْ تُرَابٍ! أَوْ قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ حَشَبٍ، يَتَحَرَّكُ كَمَا
تَتَحَرَّكُ الْأَلَةُ، وَتَدُلُّ حَرَكَتَهُ وَمَشِيئَتَهُ عَلَى اغْتِدَادِهِ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْكِسَارِهِ، وَعَلَى شُعُورِهِ بِمَا يَشْعُرُ
بِهِ الرَّجُلُ الْحَطِيرُ الْكَبِيرُ .

(١) الْمَمْجُوجُ: الْمَكْرُوهُ وَالْمَنْبُودُ .

كَانَ يُحِبُّ أَنْ يُقَابِلَهُ النَّاسُ بِالتَّجَلَّةِ وَالْإِجْبَارِ، وَكَانَتْ أَنَا تَعْرِفُ فِيهِ هَذِهِ الْخِلَّةَ، لَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَهْجِنَهَا كَمَا طَفِقَتْ تَفْعَلُ عَقَبَ وَقَوَعِهَا فِي حُبِّ فَرُونسِكِي. كَانَتْ تَرْجُو أَنْ يَكُونَ دَائِمًا مُحْتَرَمًا مُبْجَلًا، فَأَصْبَحَتِ الْيَوْمَ أَوَّلَ مَنْ يَكْرَهُ فِيهِ مِثْلَهُ إِلَى الظُّهُورِ بِمَظْهَرِ الرَّجُلِ الَّذِي لَهُ فِي الدَّوْلَةِ شَأْنٌ وَمَرْكَزٌ وَمَكَانَةٌ!

وُخِيلَ إِلَيْهَا، وَهُوَ يُنْقَلُ طَرْفُهُ هُنَا وَهُنَا، أَنَّهُ يُرِيدُ مِنَ الْخَلْقِ جَمِيعًا أَنْ يَقِفُوا فِي ذُعْرِ لَدَى مُرُورِهِ. فَتَضَاعَفَ حَقْفُهَا، وَتَضَاعَفَ بُغْضُهَا.

وَأَبَتْ عَيْنَاهَا أَنْ تَتَحَوَّلَا عَنْهُ، وَأَبَى ذَهْنُهَا أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنِ الْإِنْسَانِ الَّذِي أَحَبَّهُ حُبًّا لَا يَبْلُغُهُ مَجْمُوعُ حُبِّ النِّسَاءِ كُلِّهِنَّ.

وَابْتَعَتِ الْبُكَاءَ... وَلَمْ تَدْرِ السَّبَبَ.

وَأَيْقَظَهَا مِنْ سُروودِهَا صَوْتُ صَدِيقَتَيْهَا يَهْمِسُ فِي أُذُنَيْهَا: «هُوَذَا زَوْجُكَ يَا أَنَا، هُوَذَا زَوْجُكَ».

وَسَمِعَتْهَا تُخَاطِبُهُ، وَهُوَ يَدْنُو، بِقَوْلِهَا: «إِنَّهَا هُنَا أَيُّهَا الْكُونَتِ، زَوْجَتُكَ هُنَا، أَلَمْ تُبْصِرْ بِهَا؟»

فَابْتَسَمَ الرَّجُلُ وَأَجَابَ: «لَا، لَمْ أَرَهَا، وَلَا أُوَاحِدٌ بِسَهْوِي، فَالْمَظَاهِرُ فَخْمَةٌ تَخْلُبُ الْأَنْظَارَ، وَتَشْدَهُ الْأَبْصَارَ، وَتُذْهِلُ الْعَقْلَ وَالْإِحْسَانَ».

وَالْتَفَتَ إِلَى أَنَا ضَاحِكًا، وَدَنَا مِنْهَا كَمَا يَفْعَلُ سَائِرُ الْأَزْوَاجِ، وَأَلْقَى يَدَهُ عَلَى يَدِهَا.

وَمَرَّ بِهِ قَائِدٌ فِي الْجَيْشِ فَحَيَّاهُ وَوَقَفَ مَعَهُ. وَأَنْشَأَ الْإِنْتَانِ يَتَجَادَبَانِ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ؛ وَطَفِقَ كُلُّ مِنْهُمَا يُبْدِي رَأْيَهُ فِي السَّبَاقِ، وَمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ السَّبَاقُ، وَكَيْفَ يَبْدَأُ، وَكَيْفَ يَنْتَهِي.

وَقَدْ أَعْرَبَ لَهُ كَارْنِينُ عَنِ إِشْفَاقِهِ عَلَى حَيَاةِ الْفُرْسَانِ الْمُهَدَّدَةِ بِالضِّيَاعِ، فَالْحَطَرُ يُحْدِقُ بِالْمُتَسَابِقِ مَا دَامَ الْقَائِمُونَ بِالسَّبَاقِ يَحْرُصُونَ عَلَى وَضْعِ الْحَوَاجِزِ الْمُرتَفِعَةِ فِي طَرِيقِهِ.

وَأَصْعَتِ أَنَا، وَبَدَأَ لَهَا فَرُونسِكِي الرَّشِيقُ الشُّجَاعُ مُتَمَرِّعًا فِي الثَّرَى، بَدَأَ لَهَا مُنْطَرِحًا أَرْضًا وَهُوَ يَنْزِفُ دَمًا.

وَنَظَرْتُ إِلَى زَوْجِهَا، وَازْدَادَتْ كَرَاهِيَةً لَهُ، فَقَدْ نَبَّهَهَا إِلَى مَا يَتَهَدَّدُ حَبِيبُهَا، وَكَأَنَّهُ تَعَمَّدَ

أَنْ يُخَيِّفَهَا حَتَّى تَفْقِدَ طَمَأْنِينَتَهَا.

وَاسْتَعْرَقَتْ فِي الْفِكْرِ: «هَذَا الرَّجُلُ، الرَّجُلُ ذُو الْأَذُنَيْنِ الْكَبِيرَتَيْنِ، الرَّجُلُ الْمَقِيْتُ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُوقِرَهُ النَّاسُ وَيُوقِرَهُ حَقُّهُ مِنَ الْمَدْحِ، أَفِي اسْتِطَاعَتِهَا أَنْ تُحِبَّهُ؟ أَفِي اسْتِطَاعَتِهَا أَنْ تُقْصِي مِنْ قَلْبِهَا مَقْتَهَا لَهُ؟ إِنَّهُ نَسِيحٌ وَحْدِهِ فِي إِثَارَةِ نَفْسِهَا. إِنَّهُ عَدُوُّهَا وَلَا غَرَوْ».

مَسْكِينَتُهُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي أَعْمَاهَا حُبُّهَا فُخِّلَ إِلَيْهَا أَنْ عَدُوُّهَا رَابِضٌ فِي قَلْبِ زَوْجِهَا.

مَسْكِينَتُهُ أَنَا، فَقَدْ غَابَ عَنْهَا أَنْ تَزُرَّ زَوْجِهَا كَانَتْ صَادِرَةً عَنِ أَلَمِ دَفِينِ يُذْمِي قَلْبَهُ، وَيُرْغِزُ صَبْرَهُ، وَيَهْدُرُ كَرَامَتَهُ... غَابَ عَنْهَا أَنْ كَارِنِينَ كَانَ يَتَأَلَّمُ أَلَمًا شَدِيدًا، وَأَنَّ الْإِكْتَارَ مِنَ الْكَلَامِ كَانَ يَصْرِفُهُ عَنِ أَفْكَارِهِ الْمُدْلَهَمَةِ، وَيُبْعِدُهُ عَنِ مَوَاطِنِ الْأَلَامِ الْمُبْرِحَةِ.

غَابَ عَنْهَا ذَلِكَ، وَلَمْ تَعُدْ تُفَكِّرُ فِيهِ إِلَّا كَرَجُلٍ شَاءَ سُوءَ طَالِعِهَا أَنْ يُضْبِحَ زَوْجِهَا!

* * *

وَلَمَّا كَانَتْ نَفْسُهَا تَتَوَقَّعُ إِلَى إِقْلَاءِ اللَّوْمِ عَلَى زَوْجِهَا، حَتَّى لَا يَنَالَهَا مِنْ ذَنْبِهَا أَدَى لِرَوْجِهَا، فَقَدْ أَبَتْ لَهَا هَذِهِ النَّعْسُ الْحَوْبَاءُ^(١) إِلَّا الْخُصُومَةَ لِهَذَا الزَّوْجِ!

وَلَمَّا أَعْمَاهَا حُبُّهَا، فَمَا عَادَتْ تَعْرِفُ نَفْعَهَا مِنْ ضُرِّهَا، رَأَتْ فِي زَوْجِهَا كُلَّ شَرٍّ وَسُوءٍ!

وَلَمَّا شَرِهَتْ نَفْسُهَا إِلَى اللَّذَّةِ الْجَدِيدَةِ، وَاسْتَحْيَتْ أَنْ تَعْتَرِفَ بِفُجُورِهَا، رَأَتْ فِي زَوْجِهَا الْفُجُورَ مُتَجَسِّمًا مُتَجَسِّدًا!

وَاضْطَفَّ الْفُرْسَانُ مُتَاهِبِينَ لِلسَّبَاقِ، وَسَادَ الصَّمْتُ، وَسَكَنَتْ الضُّوْءُ.

وَانْتَهَى بَعْدَ حِينِ الشُّوْطِ الْأَوَّلِ، وَتَبِعَهُ الثَّانِي، وَالثَّلَاثُ. ثُمَّ حَانَ مِعَادُ الشُّوْطِ الْأَخِيرِ الَّذِي يَشْتَرِكُ فِيهِ فِرُونَسْكِ. وَخَفَقَ قَلْبُ أَنَا خَفَقَةَ الْإِنْفِعَالِ وَالْحَوْفِ، وَرَفَعَتْ مِنْظَارَهَا إِلَى عَيْنَيْهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَى الشَّابِّ الْجَمِيلِ، وَلَا تُحَوِّلُ عَنْهُ نَاطِرَهَا.

وَرَأَى كَارِنِينَ مَا انْصَرَفَتْ زَوْجُهُ إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَرْقُبُهَا صَامِتًا جَامِدَ الْوَجْهِ. وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ فِي وَجْهِهَا الْمُضْفَرِّ، وَيَدِهَا الْمُرْتَعِشَةَ، وَمَلَامِحِهَا الْمُتَشَنَّجَةَ. وَأَيَّقَنَ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَرَى سِوَى شَخْصٍ وَاحِدٍ، وَلَمْ تَكُنْ تُفَكِّرُ إِلَّا فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ، وَأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ آخَرَ، حَتَّى زَوْجِهَا

(١) الْحَوْبَاءُ: الْآثِمَةُ، الْمُدْبِيَةُ.

وَوَلَدَهَا، لَمْ يُعَدِّ لَهُ وُجُودٌ فِي رَأْيِهَا وَتَفْكِيرِهَا.

عَمِيرٌ أَنَّهُ، لَمَّا أَجَالَ طَرْفَهُ فِي سَائِرِ الْمَوْجُودِينَ، نَاجَى نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: «إِنَّهَا كَعَمِيرِهَا، لَقَدْ عَمَّ الْإِنْفِعَالُ، وَلَمْ يَبْقَ إِنْسَانٌ سِوَايَ أَنَا لَمْ يَطْرَأَ عَلَيْهِ مَا أَصَابَهَا».

وَاسْتَدَارَ إِلَيْهَا ثَانِيَةً وَتَصَفَّحَ أَمَائِرَهَا، وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ. لَقَدْ رَأَى كُلَّ شَيْءٍ، وَعَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ. وَهَالَتْهُ الْمَعْرِفَةُ، وَأَنْتَ حُشَاشَتُهُ^(١)!

وَتَسَاقَطَ بَعْضُ الْمُتَسَابِقِينَ، وَخَفَّ رِجَالُ الْإِسْعَافِ لِتَجَدُّدِهِمْ.

وَصَاحَتِ امْرَأَةٌ رَقِيقَةً: «أَمَجْرَزَةٌ؟ وَهَلْ ثَمَّةٌ مَا يُوجِبُ هَذِهِ الْأَلْوَانَ الْمُتَعَدِّدَةَ مِنْ

الْمَاسِي؟»

أَمَّا أَنَا فَقَدْ جَمَدْتُ كَالْتَّمَالِ. كَانَتْ شَاخِصَةً إِلَى الْأَمَامِ، وَكَانَ بَصَرُهَا لَا يُفَارِقُ فَارِسًا مِنْ الْفُرْسَانِ؛ كَانَتْ تُتَابِعُ فَرُونْسَكِي وَلَا تَحْفَلُ زَوْجَهَا؛ وَكَانَتْ تَبْتَهِلُ فِي سِرِّهَا إِلَى اللَّهِ أَنْ يَحْمِيَهُ.

وَتَقَدَّمَ فَرُونْسَكِي، لِكَيْتَهُ سَقَطَ، وَسَقَطَ مِنْظَارُ أَنَا، وَزَفَرْتُ، وَنَهَضْتُ، ثُمَّ قَعَدْتُ.

وَقَالَ كَارْنِينُ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ: «لِنَذْهَبْ، هَيَّا، هَيَّا...».

وَلَمْ تَكْتَرِثْ لِأَقْوَالِهِ، بَلْ أَصَاحَتْ إِلَى مَا كَانَ يُقَالُ، وَتَنَاهَى إِلَيْهَا أَنَّ فَرُونْسَكِي صَدَعَ سَاقًا. فَحَاوَلَتْ أَنْ تَرَى، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَرَ شَيْئًا.

وَخَاطَبَهَا زَوْجُهَا ثَانِيَةً، طَالِيًا إِلَيْهَا مُرَافِقَتَهُ وَالْعَوْدَةَ مَعَهُ، بَيِّدًا أَنَّهَا انْكَمَشَتْ مُجْفَلَةً، وَقَالَتْ مُحْتَدِمَةً: «إِذْهَبْ أَنْتِ، أَمَّا أَنَا فَسَأَبْقَى هُنَا».

وَجَاءَ ضَابِطٌ مِنَ الْحَرَسِ فَأَخْبَرَ الْقَيْصَرَ بِمَا حَدَثَ، وَعَلِمَتْ أَنَا أَنَّ فَرُونْسَكِي لَمْ يُصَبِّ بِأَذَى، فَتَنَهَّدْتُ بَارْتِيَا، وَحَلَّ الْأَمَلُ فِي تَقَاطِيعِهَا مَحَلَّ الْيَأْسِ.

وَبَكَتُ، وَبَكَتُ مِنَ الْإِطْمِئْنَانِ. وَرَأَاهَا زَوْجُهَا تَذْرِفُ الدَّمْعَ، فَدَنَا مِنْهَا وَوَقَّفَ فِي وَجْهِهَا حَتَّى لَا يَرَاهَا الْعَيْرُ وَهِيَ تَسْتَعْبِرُ.

وَخَاطَبَهَا مَرَّةً ثَالِثَةً، فَقَالَ: «لِمَاذَا تَتَشَبَّهِينَ بِالْعِنَادِ، هَلْمِي مَعِي... قُلْتُ لَكَ هَلْمِي!»

(١) الْحُشَاشَةُ: بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ.

وَأَجَابَتْهُ الْأَمِيرَةُ بِتَسِي قَائِلَةً: «سَأَرْجِعُ مَعَهَا يَا أَلِكْسِي، فَلَا تُلْحِفْ عَلَيْهَا».

لِكِنَّهُ حَدَجَهَا بِنَظْرَةٍ صَارِمَةٍ، وَقَالَ: «لَقَدْ أَثَّرَ هَذَا السَّبَاقُ فِيهَا تَأْثِيرًا مُخِيفًا، وَلَا بُدَّ لَهَا مِنَ الْعَوْدَةِ مَعِي».

وَفَطِنَتْ أَنَا إِلَى مَا أَظْهَرَهُ زَوْجُهَا مِنَ التَّصَلُّبِ، فَاثْتَصَبْتُ وَاثِقَةً، وَوَضَعْتُ يَدَهَا فِي يَدِهِ. وَمَشَتْ مَعَهُ كَمَا تَمْشِي كُلُّ زَوْجَةٍ مَعَ زَوْجِهَا.

مَشَتْ مَعَهُ، لَكِنَّ قَلْبَهَا ظَلَّ فِي مَكَانِهِ لَا يَبْرُحُ وَلَا يَرِيمُ.

مَشَتْ طَائِعَةً، لَكِنَّهَا خَلَفَتْ وَرَاءَهَا شُعُورَهَا، وَدُعَاءَهَا، وَحُبَّهَا، وَحَبِيبَهَا.

* * *

هُكَذَا سَارَ الرَّوْجَانِ الْمُتَبَاعِدَانِ جَبَّنَا إِلَى جَنْبِ، وَهُمَا يُوزَعَانِ التَّجِيَّاتِ وَالِابْتِسَامَاتِ عَلَى الْمَعَارِفِ وَالْأَصْدِقَاءِ، حَتَّى عَجِبَ لَهُمَا النَّاسُ، وَسَاءَلُوا عَنْ حَقِيقَةِ الْعَلَاقَةِ الَّتِي تَشِجُ بَيْنَ الرَّوْجَيْنِ. أَهْيَ، كَمَا يُشَاعُ وَيُدَاعُ، عِلَاقَةٌ تَتَّسِمُ بِطَايِعِ الْحَفَاءِ، أَمْ إِنَّ الثُّفُورَ حَدِيثُ خُرَافَةٍ، وَالصَّدَاقَةَ هِيَ الطَّايِعُ الْغَالِبُ بِالرَّغْمِ مِنْ قِصَّةِ الْغَرَامِ الَّتِي تَدَاوَلَتْهَا الْأَلْسُنُ؟

كَانَتْ أَنَا فِي شُغْلٍ بِتَفْكِيرِهَا، كَانَتْ تُفَكِّرُ بِفِرُونْسْكِ وَالْخَوْفِ مُسْتَحْوِذٍ عَلَى مَشَاعِرِهَا، وَكَانَتْ تَضْرَعُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَحْفَظَهُ وَيَصُونَهُ وَيَدْرَأَ عَنْهُ كُلَّ مَكْرُوهٍ.

وَلَمَّا اسْتَقَلَّتِ الْعَرَبِيَّةَ وَجَلَسَ زَوْجُهَا إِلَى جَانِبِهَا، نَظَرَتْ إِلَيْهِ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ، فَلَمْ تَرَ إِلَّا أذُنَيْهِ! وَخَثَرَتْ^(١) نَفْسُهَا، وَتَوَلَّاهَا اللَّغُوبُ^(٢). فَيَا لِلْأُذُنَيْنِ الْكَبِيرَتَيْنِ! يَا لِلْأُذُنَيْنِ الْكَرِيهَتَيْنِ!

عَلَى أَنَّ كَارِنِينَ ظَلَّ فِي جُمُودِهِ وَبُرُودِهِ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا وَلَا يُكَلِّمُهَا. وَقَدْ نَأَى بِتَفْكِيرِهِ عَنْهَا، وَإِنْ كَانَ يَتَرَمَّضُ^(٣) فِي دَاخِلِهِ عَلَى نَارٍ. لَقَدْ هَالَهُ مِنْهَا اسْتِهْتَارُهَا بِالْعُرْفِ وَالنَّقَالِيدِ، وَأَخَافَهُ تَهَوُّرُهَا الشَّدِيدُ، وَعَدَمُ احْتِفَالِهَا بِالنَّاسِ. وَشَعَرَ أَنَّ وَاجِبَهُ يَفْرُضُ عَلَيْهِ تَنْبِيهِهَا إِلَى سُوءِ الْمَصِيرِ إِنْ هِيَ تَمَادَتْ فِي الْغَيِّ^(٤)، وَأَسْرَفَتْ فِي اسْتِهْتَانَتِهَا بِاسْمِهِ وَمُرْكَزِهِ بَيْنَ النَّاسِ.

(١) خَثَرَتْ نَفْسُهَا: غَثَّتْ وَاضْطَرَبَتْ.

(٢) اللَّغُوبُ: التَّعَبُ وَالِإِغْيَاءُ الشَّدِيدَانِ.

(٣) يَتَرَمَّضُ: يَتَحَرَّقُ.

(٤) الْغَيِّ: الضَّلَالُ.

على أَنَّهُ حَارَ فِي أَمْرِهِ، فَكَيْفَ يَبْدَأُ الْحَدِيثَ؟ وَمَاذَا يَقُولُ؟

ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَجْمَعَ عَزِيمَتَهُ الْمُسْتَتَةَ، وَأَنْبَرَى يَقُولُ بِصَوْتٍ شَارِدٍ كَأَنَّهُ مَذْهُولٌ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ: «لَكُمْ يَنْفُرُ قَلْبِي مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْمَشَاهِدِ! إِنَّهَا قَسْوَةٌ لَا مُسَوِّغَ لَهَا، إِنَّهَا كَالطُّقُوسِ الْبَالِيَةِ الَّتِي يُكْرَرُهَا الْإِنْسَانُ بِالرَّغْمِ مِنْ تَفَاهَيْهَا وَمَضَرَّتَيْهَا».

فَأَجَابَتْ وَهِيَ تَحْدِثُهُ بِنَظَرَةٍ يَفِيضُ مِنْهَا اللَّوْمُ وَالِاخْتِفَارُ وَالِاسْتِهْجَانُ: «إِنِّي لَا أَفْهَمُكَ، فَأَوْضِحْ. أَوْضِحْ مَقْصِدَكَ».

فَانْتَبَهَتْ بِنَظَرِهِ إِلَيْهَا، وَقَالَ فِي حِدَّةٍ ظَاهِرَةٍ: «لَا مِرْيَةَ فِي أَنَّ الْوَاجِبَ يَقْتَضِي مُصَارَحَتَكَ بِمَا يَجُولُ فِي ذَهْنِي. وَلَا أَمْلِكُ مِنْ نَفْسِي أَمْرَ النَّاسِ، لِكَيْتِكَ زَوْجِي، وَقَدْ شَطَطَتْ وَغَلَوَتْ وَارْتَكَبَتْ مِنَ الْأُمُورِ مَا يَتَنَافَى وَاللِّيَاقَةَ، أَيِ إِنَّكَ أَسَاتِ التَّصَرُّفِ».

قَالَتْ: «وَمَا هُوَ دَلِيلُكَ عَلَى ذَلِكَ؟»

قَالَ: «نَسِيتِ نَفْسِكَ سَاعَةَ كَبَا الْجَوَادُ بِرَاكِبِهِ، وَكَأَنَّكَ وَحِيدَةٌ، كَأَنَّكَ كُنْتِ تَجْلِسِينَ بِمُفْرَدِكَ. لَقَدْ جُنَّ جُنُونُكَ، وَنَطَقْتَ أَسَارِيرُكَ بِالْجَزَعِ الشَّدِيدِ. وَإِنِّي يَا سَيِّدَتِي أُذَكِّرُكَ بِمَا بَهَتْكَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ مَضَى. أُذَكِّرُكَ بِوَاجِبِكَ فَاحْرِصِي عَلَى سَمْعَتِي، وَذُودِي^(١) عَنِ اسْمِي».

فَهَزَّتْ رَأْسَهَا وَاسْتَمَرَّتْ تُضْعِي مِنْ دُونِ أَنْ تَنْبَسَ بِحَرْفٍ.

وَمَضَى هُوَ يَقُولُ: «إِنَّ مَا يُعْنِينِي مِنَ الْأَمْرِ الْآنَ هُوَ تَصَرُّفُكَ أَمَامَ النَّاسِ، أَمَا عَلَّقْنَا الدَّاخِلِيَّةَ فَقَدْ طَوَيْتُ كَشْحِي عَنْهَا^(٢)».

وَلَاخَ فَرُونَسْكِ لِنَاظِرَيْهَا فَلَمْ تُضْعِ إِلَى كَلَامِ زَوْجِهَا، وَلَمْ تُحَاوِلْ أَنْ تَسْبَحَ مَا يَقُولُ.

وَمَا كَادَ كَارِنِينُ يَنْتَهِي مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى اخْتَلَسَتْ إِلَيْهِ نَظْرَةً مَتَهَكِّمَةً سَاخِرَةً، فَاسْتَعَرَ أَوَارُ غَيْظِهِ، وَأَخَذَ يَحْرِقُ عَلَيْهَا الْأَرْمَ^(٣) وَهُوَ يُتَابِعُ حَدِيثَهُ: «أَكَلَامِي تَافَهُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ، أَمْ ظَنَنْتِي خِيَالًا لَا مُعْتَمَدًا عَلَيْهِ؟ إِنْ كَانَ ذَلِكَ فَالْمَعْدِرَةَ عَلَى تَسْرُعِي، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ... إِنْ لَمْ يَكُنْ...».

(١) ذودي: دافعي.

(٢) طَوَيْتُ كَشْحِي عَنْهَا: أَعْرَضْتُ عَنْهَا، أَهْمَلْتُهَا.

(٣) يَحْرِقُ عَلَيْهَا الْأَرْمَ: يَحْكُ أَشْنَانَهُ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ مِنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ.

وعيلَ صَبْرُ أُنَا فِي تِلْكَ الْفَيْئَةِ وَضَاقَ صَدْرُهَا، فَتَنَفَّسَتْ الصُّعْدَاءُ مِنْ شِدَّةِ مَا نَالَهَا مِنَ الْكَرْبِ، وَأَجَابَتْ بِصَوْتٍ عَمِيقٍ، وَلَهَجَةٍ صَارِمَةٍ مُنْعَمَةٍ بِالْقَسْوَةِ: «أَصَبْتَ الْيَقِينَ فِي ظَنِّكَ، فَأَنَا سَاعَةٌ ارْتَمَى الْحَبِيبُ مَثُ فَرَقَا. وَاعْلَمْ أَنِّي أَسْمَعُ صَوْتَكَ فَقَطُّ، وَلَكِنِّي لَا أَفْهَمُكَ، فَهُوَ قَدْ أَضْحَى يِلَاءَ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ... هُوَ... أَتَفْهَمُ؟ هُوَ... وَحُبِّي لَهُ لَا نِهَائَةَ لَهُ. حُبِّي عَظِيمٌ كَأَنَّهُ الْبَحْرُ، عَظِيمٌ كَأَنَّهُ الْفَضَاءُ. حُبِّي لَهُ عَظِيمٌ كَبُغْضِي لَكَ، وَكَخَوْفِي مِنْكَ».

وَإِنْ كَمَشَتْ عَلَى نَفْسِهَا، وَأَعْمَضَتْ عَيْنَيْهَا، وَأَجْهَشَتْ، ثُمَّ اسْتَحْرَطَتْ فِي الْبُكَاءِ^(١).

الرَّجُلُ الْكَبِيرُ الْقَدْرُ صُعِقَ مِنَ الْهَوْلِ! صَعَقَتْهُ كَلِمَةٌ!

الرَّجُلُ الْحَوِيلُ الَّذِي مَلَكَ الْقُلُوبَ وَاسْتَوَلَى عَلَى الْأَلْبَابِ، يَهْتَزُّ مِنْ قَمَّةِ رَأْسِهِ إِلَى أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ كَرِيشَةٍ ضَعِيفَةٍ تَعْصِفُ بِهَا الرِّيحُ!

مَا كَادَ كَارِنِينَ يُسْتَوْعِبُ الْمَعْنَى حَتَّى فَفَرَ قَلْبُهُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ... لَقَدْ ظَهَرَ الْمَخْفِيُّ آخِرًا، ظَهَرَ بُوْضُوحٍ وَجَلَاءٍ، عَلَى لِسَانِ امْرَأَتِهِ. كَانَ مُلِمًّا بِالْحَقِيقَةِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَجَاهَلُهَا حَتَّى لَا يَنْهَارَ وَيَسْقَطُ، فَهَلْ فِي طَاقِيهِ الْآنَ أَنْ يَتَجَاهَلُهَا؟ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوَاصِلَ هَذَا الدَّوْرَ الَّذِي آذَاهُ بِصَبْرٍ وَجَلْدٍ وَاحْتِمَالٍ؟

فَهَلْ يَتَكَلَّمُ؟ وَمَا جَدْوَى الْكَلَامِ؟ مَا فَائِدَتُهُ؟ لَقَدْ انْقَضَى كُلُّ شَيْءٍ، وَنَفَذَ الْمَقْدُورُ، وَغَدَرَ بِهِ الدَّهْرُ فِي مَوْطِنِ الْحَسَاسِيَّةِ مِنْ حَيَاتِهِ، فَهَلْ يَسْتَسْلِمُ؟ هَلْ يُلْقِي السَّلَاحَ؟ أَيَقْضِي عَلَى مُسْتَقْبَلِهِ مِنْ دُونَ كِفَاحٍ؟

إِنَّهُ شُجَاعٌ، وَعَاطِفَةٌ لَيْسَتْ كُلُّ شَيْءٍ. إِنَّهُ يَعِيشُ لِهَدَفٍ، وَهَدَفُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ وَيَتَقَدَّمَ، بِاسْتِمْرَارٍ وَمِنْ دُونَ انْقِطَاعٍ.

وَدَنَتْ الْعَرَبَةُ بِخِيُولِهَا الْمُطَهَّمَةِ مِنَ الْمَنْزِلِ، فَقَالَ كَارِنِينَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَتِهِ الْبَاكِئَةِ: «لَنْ أَعْذَلِكَ، عَلَى أَنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي التَّمَسُّكِ بِالْجِرْصِ، إِحْرَاصِي مَا وَسَعَكَ الْأَمْرُ عَلَى اسْمِي وَسُمْعَتِي، وَسَأَفْكَرُ فِي مَا يَخْلُقُ بِي أَنْ أَفْعَلَ. التَّرْمِي جَانِبَ التَّعَقُّلِ رَيْثَمَا أَبْتُ فِي مَصْبِرِي وَمَصْبِرِكَ، وَلَا تُرْغَمِينِي عَلَى رُكُوبِ مَتْنِ الشَّدَّةِ. هَذَا هُوَ مَطْلَبِي الْوَحِيدُ، فَتَمَكَّرِي مَلِيًّا، وَتَرَوِّي، وَإِلَّا لَحِقَتْكَ نَدَامَةٌ، وَلَنْ أُلَامَ، فَقَدْ أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرَ».

(١) اسْتَحْرَطَتْ فِي الْبُكَاءِ: اسْتَدَلَّتْ فِيهِ وَلَجَتْ.

وَكَبَّحَ الْحُوذِيَّ جِمَاحَ حَيْلِهِ، فَوَقَفَتِ الْعَرَبَةُ، وَنَزَلَ كَارْنِينُ وَأَعَانَ زَوْجَهُ عَلَى النَّزُولِ، ثُمَّ صَافَحَهَا مُخْتَبِرًا لَهَا هَامَتَهُ، وَرَجَعَ مِنْ حَيْثُ أَتَى. رَجَعَ إِلَى بَطْرَسْبِرْجٍ وَهُوَ يَشْعُرُ كَمَنْ أُصِيبَ بَطْعَنَةٍ نَجْلَاءً فِي حِمَاطَتِهِ^(١)، يَشْعُرُ شُعُورَ الْمُذْنَفِ الَّذِي بَرَّحَ بِهِ السَّقْمُ حَتَّى أَشْفَى^(٢)!

وَصَعِدَتْ أَنَا إِلَى مَخْدَعِهَا فِي «بِتْرَهوف» فَأَعْلَقَتِ الْبَابَ عَلَيْهَا وَأَنْطَرَحَتْ عَلَى مَرْقَدِهَا. وَشُرْعَانَ مَا نَسَيْتُ مُصَيَّبَتَهَا، نَسَيْتُهَا سَاعَةً طَرَقَتْ خَادِمَتُهَا الْبَابَ عَلَيْهَا، وَقَدَّمَتْ إِلَيْهَا رُفْعَةً صَغِيرَةً كَتَبْتُهَا صَدِيقَتُهَا الْأَمِيرَةَ بَتْسِي.

وَلَمَّا فَضَّضَتِ الْوَرَقَةَ وَتَلَّتْ مَا سَطَّرَ فِيهَا انْفَرَجَتْ شَفَتَاهَا عَنِ ابْتِسَامَةٍ مُشْرِقَةٍ، وَهَتَفَتْ وَهِيَ تَضْحَكُ مُعْتَبِطَةً:

«إِنَّهُ سَلِيمٌ لَمْ يُصَبِّ بِأَذَى.

إِنَّهُ مُعَافَى لَمْ يَلْحَقْ بِهِ سُوءٌ.

فِيَا لَفَرَحَتِي! يَا لَفَرَحَتِي!

فرونسكي... مَا أَخْلَاكَ وَمَا أَشْهَاكَ!

فرونسكي... أَنْتَ الْحَيَاةُ وَأَنْتَ الْأَمَلُ.

وَكُلُّ شَيْءٍ خِلاَ ذَلِكَ، فَهُوَ عَدَمٌ مِنَ الْعَدَمِ».

(١) الْحِمَاطَةُ: سُودَاءُ الْقَلْبِ وَحَبَّتُهُ، صَمِيمُ الْقَلْبِ.

(٢) أَشْفَى الْمُدْنَفُ (الْعَلِيلُ): امْتَنَعَ شِفَاؤُهُ أَوْ قَارَبَ الْمَوْتَ.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - أَسْتَحِقُّ الطَّبَقَةَ العُلْيَا من الأشرافِ المُرتَفَعِ الكَبِيرِ الَّذِي جَلَسْتُ فيه؟ ولماذا؟
- ٣ - رَسَمَ الكَاتِبُ لِأَلِكْسِي كارنين صورةً جَدِيَّةً كَلَّ الجِدِّ ولأنا صورةً لاهيةً كَلَّ اللُّهُو . فهل لهاتين الشَّخصيَّتينِ أَنْ تَنسَجَمَا وتَحَابَّتا؟ ولماذا؟
- ٤ - تَضَخَّمَتْ عيوبُ أَلِكْسِي كارنين في عَيْنِي أَنَا . كيفَ عَلاَّ الكَاتِبُ ذَلِكَ في نَفْسِها؟ أَكَانَ تَعْلِيلُهُ مُقْنَعًا؟ وهل يَنْطَبِقُ ما في نَفْسِي أَنَا على قولِ الشاعِرِ؟
وعينُ الرُّضَاعِ عن كَلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
ولكنَّ عينَ الكَرهِ تُبدي المَسَاوِيا
- ٥ - هل تَرى أَنَّ الأَميرةَ بتسي توفَّرُ لَأنا بَعْضًا من الحِمايَةِ أو الدَّعْمِ المَعنويِّ؟ وكيفَ ذلك؟
- ٦ - في هذا الفصلِ انكشَفَ السُّتْرُ وتَمَّتِ المُصَارَحَةُ . فماذا تَرى أَلِكْسِي كارنين فاعلاً؟
- ٧ - لِمَ احتَدَمَ غَضَبُ أَنَا كارنينا فصارحتُ زوَجِها بحبِّها العَظيمِ لفرونسكي وبكرهها لهُ؟
تُرى أَكانتْ مُجِئَةً في غَضَبِها هذا؟
- ٨ - ارْزِطْ، في أسطرٍ قَلِيلَةٍ، بينَ أحداثِ القِسمِ الثَّاني من الرُّوايةِ .

القسم الثالث

الفصل الأول

ما كَانَ لِلإِنسَانِ فِي كُلِّ أَوَانٍ أَنْ يَحْدُسَ مَا يَتَجَاوَبُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ مِنْ أَصْدَاءِ
الأَحَاسِيْسِ الْمُخْتَلِفَةِ الخَلَجَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ؛ وَمَا كَانَ لِأَحَدٍ، سِوَاءِ أَكَانَ قَرِيبًا إِلَى الْكُفَيْسِ
كَارِنِينَ أَمْ كَانَ بَعِيدًا عَنْهُ، أَنْ يَكُنَّهُ حَقِيقَةً مَا جُبِلَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ الْفَدُ.

فَهُوَ، فِي مَخْطَرِهِ، جَامِدٌ صُلْبٌ لَا تَلِينُ لَهُ عَاطِفَةٌ وَلَا يَرِقُّ إِحْسَاسٌ. وَهُوَ، فِي مَا يَتَبَيَّنُ
مِنْ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ، رَجُلٌ قَلَمًا يُشْفِقُ وَنَدْرًا مَا يَرْتِي، وَلَا يَخَافُ حَتَّى مِنْ هَادِمِ اللَّذَاتِ.

يَبْدُ أَنَّ الْحَقِيقَةَ الَّتِي لَا مِرَاءَ فِيهَا^(١)، هِيَ أَنَّهُ كَانَ يَدُوبُ شَفَقَةً وَيَسِيلُ لَوْعَةً كُلَّمَا أَصْغَى
مُرْغَمًا إِلَى امْرَأَةٍ أَوْ طِفْلٍ يَبْكِيَانِ.

نَاهِيكَ بِالْعَبْرَاتِ، وَنَاهِيكَ بِوَقْعِ مَشْهَدِهَا عَلَى قَلْبِهِ الْحَسَّاسِ. وَمَا أَكْثَرَ مَا جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ
وَهِيَ تَشْفَعُ الدَّمْعَ، فَيَصْدُقُ أَلَمُهَا، وَيَتَأَلَّمُ هُوَ مَعَهَا، ثُمَّ يُلَبِّي طَلَبَهَا وَلَوْ كَانَ لَا يَتَّقَى فِي
شَيْءٍ مَعَ الْحِكْمَةِ وَالْعَدَالَةِ.

وَبَلَغَتْ بِهِ الرَّقَّةُ أَنَّهُ لَمْ يَتَمَالَكْ نَفْسَهُ عَنِ التَّفَجُّعِ لِأَنَّا زَوْجِهِ حِينَ صَارَحَتْهُ بِمَا يَشْجُهَا
بِفِرْوَيسِكِي مِنْ عِلَاقِقَ، وَاسْتَخْرَطَتْ مِنْ بَعْدُ تَبْكِي بُكَاءَ مَرِيْرًا. لَقَدْ أَلَمَّ بِهِ سَاعَتَدَاكَ مَا يُلِمُّ بِهِ
عَادَةً عِنْدَمَا يَرَى الْمَدَامِيعَ، فَنَسِيَ سَيِّئَتَهَا، وَلَمْ يَخْفَلْ خِيَانَتَهَا، بَلْ إِنَّ نَفْسَهُ الرَّقِيقَةَ ذَرَفَتْ هِيَ
الأُخْرَى الدَّمْعَ الغَزِيرَ مَعَ عَيْنِي أَنَا.

مَا أَكْثَرَ مَا تَأَلَّمَ كَارِنِينُ لِمَا وَعَاهُ! مَا أَكْثَرَ مَا فَعَلَتْ قِصَّةُ الخِيَانَةِ فِي فُؤَادِهِ! لَكِنَّ الدَّمْعَ
غَلَبَ عَلَى شُعُورِ العَيْظِ، فَرَتَى لَهَا وَوَدَّ لَوْ تَكْفُفُ عَنِ النَّحِيبِ.

ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ مُسْرِعًا، وَاسْتَقَلَّ العَرَبَةَ، وَتَنَهَّدَ مِنْ كَيْدِ حَرَى. وَمَا لَيْتَ أَنْ تَنْفَسَ الصُّعْدَاءُ

(١) لَا مِرَاءَ فِيهَا: لَا جِدَالَ فِيهَا.

كَأَنَّهُ يُبْعَدُ أَوْشَابًا^(١) عَلِقَتْ بِنَفْسِهِ... وَشَعَرَ كَمَنْ أُفْرِجَ عَنِ مَخْنِقِهِ، شَعَرَ أَنَّهُ تَخَلَّصَ إِلَى الْأَبْدِ مِنْ رَابِطَةِ حُبِّ طَالَمَا شَغَلَتْ تَفْكِيرَهُ، وَأَنَّهُ تَحَرَّرَ أَيْضًا مِنْ غَيْرَتِهِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي اسْتَرْقَتْهُ وَاسْتَعْبَدَتْهُ.

فِيَا لِلرَّجُلِ الْغَامِضِ! أَيْنَسَى الْخِيَانَةَ بِمِثْلِ هَذِهِ السَّرْعَةِ؟ أَخِيَانَةُ الزَّوْجَةِ لَا تَزِيدُ فِي تَأْثِيرِهَا عَنِ اقْتِلَاعِ ضَرْسٍ مُؤَلِّمٍ مِنَ النَّمِّ؟

وَهَلِ الْإِعْتِرَافُ بِالْخِيَانَةِ يَزِيدُ شَقَاءَ الرَّجُلِ الْمُخْدُوعِ، أَوْ إِنَّهُ يَرْفَعُ عَنِ كَاهِلِهِ جِمْلًا طَالَمَا نَاءَ مِنْ ثِقَلِهِ، وَطَالَمَا تَعَدَّبَ؟

وَهَزَّ كَارِنِينَ رَأْسَهُ. إِنَّهُ الْآنَ حُرٌّ، إِنَّ نَفْسَهُ حُرَّةٌ وَرُوحَهُ حُرَّةٌ، وَفِي مِكْتَبِهِ الْآنَ أَنْ يَتَصَرَّفَ كَيْفَمَا شَاءَ، فِي طَوْقِهِ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ دُونِ أَنْ يَشْغَلَ فِكْرَهُ أَمْرٌ آخَرٌ.

أَلَمْ هَائِلٌ يَلْمُ بِهِ، ثُمَّ لَا يَلْبِثُ أَنْ يُمْحَى وَيَزُولَ... وَبِسُرْعَةِ الْبَرَقِ الْخَاطِفِ...

وَنَاجَى نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: «تَبًّا لَهَا! لِمَ أَحْقَدُ عَلَيْهَا؟ أَلَيْسَتْ زَوْجَتِي امْرَأَةً كَسَائِرِ النِّسَاءِ؟ أَلَيْسَتْ أَنَا مَخْلُوقًا ضَعِيفًا لَا كِرَامَةَ لَهُ وَلَا شَرَفَ؟ إِنَّهَا غَدَرَتْ بِي، وَلَكِنْ، أَلَمْ أَنْتَظِرْ مِنْهَا الْخِيَانَةَ؟ أَلَمْ أَنْتَوِّعَ فِي كُلِّ حِينٍ أَنْ تَأْتِيَ الْمُنْكَرَ، وَتَجَنِّحَ إِلَى الْمُوْبِقَةِ؟

فَلِمَ إِذَا الْحُزْنَ؟ لِمَ الشَّجْنَ؟ وَمَاذَا يَنْفَعُ التَّمَرُّغُ فِي أَوْحَالِ الْأَلَمِ وَالْعَذَابِ؟ أَلْأَضْحَى بِرَاحَتِي وَهَنَائِي فِي سَبِيلِهَا؟ أَأَقْتُلُ نَفْسِي حَتَّى تَعِيشَ وَتَحْيَا وَتَرْتَعَ فِي حَمَائِنِهَا؟ كَلَّا... لَقَدْ تَوَقَّعْتُ كُلَّ هَذَا مِنْ قَبْلُ، وَتَحَقَّقَ مَا أَنْتَظَرْتُ وَتَوَقَّعْتُ، فَلْيَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا أَرَادَتْهُ وَلَنْ أُنْحِيَ عَلَيْهَا بِاللَّائِمَةِ، لَنْ أَفْعَلَ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُحْطَمَهَا وَيَقْصِمَ ظَهَرَ حَبِيبِهَا!»

وَخَيَّلَ إِلَيْهِ الْوَهْمَ أَنَّ حُبَّهُ لِابْنِهِ قَدْ نَضَبَ مَعِينَهُ، وَأَنَّ الْعُلَامَ أَضْحَى غَرِيبًا بَعِيدًا، لَا يَعْنِيهِ فِي شَيْءٍ. هُوَ وَأُمُّهُ، هُوَ وَأُمُّهُ الَّتِي أَوَدَّتْ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَعَصَفَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ، أَضْحَى فِي نَظَرِهِ غَرِيبِينَ لَا يَهْمُهُ مِنْهُمَا إِلَّا مَا يُحْزِنُ سِوَاهُ مَتَى شَابَ نَفْسَهُ قَلْقٌ. وَيَتَحَتَّمُ عَلَيْهِ الْآنَ أَنْ يُلَاشِي قَلْقَ نَفْسِهِ حَتَّى تَعُودَ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، وَأَنْ يُنْقِيَ رُوحَهُ مِمَّا عَلِقَ بِهَا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ هُدُوءُهُ، وَيَعُودَ إِلَيْهِ اتِّزَانُهُ، فَيُزَاوِلَ أَعْمَالَهُ بِمَا أُثِرَ عَنْهُ مِنَ الْهِمَّةِ وَالْكَفَاءَةِ.

وَطَفِقَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ: «وَمَا بِالِي أَسْعَى إِلَى شَقَائِي؟ وَهَلْ تَسْتَحِقُّ كُلَّ هَذَا الْعِنَاءِ

(١) الْأَوْشَابُ (جَمْعُ وَشِبٍ): الْأَوْشَابُ، أَخْلَاطُ النَّاسِ.

والتَّحْرِقُ عَلَى الرَّمْضَاءِ امْرَأَةً خَلَعَتِ الْعِذَارَ^(١) وَاذْتَكَبَتِ الْمَعَاصِي؟ أَمَا يَخْلُقُ بِي أَنْ أُنَبِّحَ عَنِ الدَّوَاءِ؟ أَمَا يَلِيقُ بِي أَنْ أُنَبِّحَ عَنِ الْحَلِّ الْمَلَائِمِ حَتَّى أَخْلُصَ مِنْ هَذِهِ الْأَذْرَانِ؟ أَأَنَا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَصَابَهُ عَلَى يَدِ زَوْجِهِ هَذَا الْبَلَاءُ؟ أَأَنَا الرَّجُلُ الْأَخِيرُ الَّذِي مَرَّعَتْ زَوْجُهُ شَرَفَهُ بِالْأَوْحَالِ؟ كَلَّا، ثُمَّ كَلَّا. فَهُنَاكَ كَثِيرُونَ غَيْرِي امْتَحَنُوا بِمِثْلِ مَا امْتَحَنْتُ، هُنَاكَ أَزْوَاجٌ آخَرُونَ جَنَحَتْ نِسَاؤُهُمْ إِلَى الرَّذِيلَةِ مِنْ دُونِ أَنْ يَخْفَلَنَ سُمْعَةٌ وَلَا اسْمًا وَلَا شَرَفًا! وَقَدْ سَجَرَ مِنْهُمْ النَّاسُ وَتَهَكَّمُوا عَلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي مِنْ دُونِ النَّاسِ رَثِيْتُ لِحَالِهِمْ وَسَجَرْتُ مِنْ نِسَائِهِمْ لِأَنَّ الدَّائِرَةَ فِي النَّهَايَةِ سَتَدُورُ عَلَيْنَهُنَّ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرْنَ! فَمَاذَا يَلِيقُ بِي أَنْ أَفْعَلَ؟ هَذَا هُوَ السُّؤَالُ الَّذِي يَتَطَلَّبُ الْجَوَابَ السَّرِيعَ الْحَاسِمَ.

ورأى بعينٍ مُخَيَّلِيَةٍ وَجوهَ رِجَالٍ اذْتَكَبَتْ نِسَاؤُهُمُ الْمَعْصِيَةَ، وَأَنْشَأَ يَسْتَعْرِضُ رَدَّ الْفِعْلِ، وَالْإِجْرَاءَ الَّذِي تَوَسَّلَ بِهِ كُلُّ زَوْجٍ خَدَعَتْهُ امْرَأَتُهُ فَظَلَمَتْهُ.

وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ قَاتَلَ عَشِيقَ زَوْجِهِ، وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ رَضِيَ بِالْأَمْرِ الْوَاقِعِ، فَأَغْضَى وَتَجَاهَلَ، وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ هَجَرَ امْرَأَتَهُ، وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ تَحَرَّمَ^(٢) أَنْفَاسَهَا، وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ سَعَى إِلَى الطَّلَاقِ مِنْهَا.

أَمَّا فِكْرَةُ الْمُبَارَزَةِ فَقَدْ اسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ رَأَى فِيهَا خَطَرًا مُحَقَّقًا، فَهُوَ إِنْ قَتَلَ غَرِيمَهُ تَرَزَّعَتْ حَيَاتُهُ، وَهُوَ إِنْ قُتِلَ بِيَدِ غَرِيمِهِ لَمْ يَبْقَ لَهُ كِيَانٌ فِي هَذَا الْكَوْنِ.

وَسَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَّخِذَ الْإِجْرَاءَاتِ الْقَانُونِيَّةَ لِتَطْلِيقِ امْرَأَتِهِ، وَلَكِنْ كَيْفَ يَصْبِرُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى رُؤْيَةِ أَنَا تَنْتَقِلُ بَيْنَ أَحْضَانِ الرَّجَالِ! إِنَّهَا لَنْ تَقْتَرِنَ بَعْدَ طَلَاقِهَا مِنْهُ، لِأَنَّ الْكَنِيسَةَ تُحَرِّمُ زَوَاجَ الْمُطَلَّقَةِ. إِنَّهُ لَمْ يَعْذُ يَشْعُرُ نَحْوَهَا بِالْمَحَبَّةِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَرُغِبُ فِي رُؤْيِهَا تَنْدَهُورًا إِلَى الدَّرَكِ. فَهَلْ هُوَ الْإِشْفَاقُ، أَوْ هِيَ الْأَثْرَةُ؟

وَتَمَلَّمَلَ كَارِنِينَ وَتَلَدَّدَ^(٣)، ثُمَّ شَخَّصَ مِنَ النَّافِذَةِ وَجَعَلَ يُنْقَلُ طَرْفُهُ الشَّارِدَ فِي مَا يُحِيطُ بِهِ... إِنَّهُ فِي مَازِقٍ، وَالْحَبْلُ مُشْدُودٌ عَلَى مَخْنَقِهِ، فَمَا الْعَمَلُ؟ مَا الْعَمَلُ؟

إِنَّهُ يُحِبُّ الْإِنْتِقَامَ. لَقَدْ اكْتَشَفَ هَذَا الْآنَ، وَلَنْ يُفْسِحَ فِي الْمَجَالِ لِأَنَا، لَنْ يَدَعَهَا تَنْعَمُ

(١) خَلَعَتِ الْعِذَارَ: خَلَعَتِ الْحَيَاءَ، ائْتَبَتْ هَوَاهَا.

(٢) تَحَرَّمَ أَنْفَاسَهَا: أَهْلَكَهَا.

(٣) تَلَدَّدَ: تَلَبَّتْ (أَقَامَ) فِي مَكَانِهِ مُتَحَيِّرًا.

بِحُبِّهَا بِحُرِّيَّةٍ وَاشْتِقَالٍ.

فَهُوَ لَنْ يِقَاتِلَ دِفَاعًا عَنِ عِرْضِهِ، وَهُوَ لَنْ يُطَلِّقَ دَرْءًا لِلْفَضِيحَةِ، ثُمَّ تَجَبَّأَ لِمَا قَدْ يُبِيحُهُ لَهَا مِنْ حُرِّيَّةِ التَّمَتُّعِ بِحُبِّهَا، وَهُوَ لِذَلِكَ سَيَحْتَفِظُ بِهَا رَوْجَةً بِالْإِسْمِ، وَيَبْذُلُ مَا فِي طَاقَتِهِ لِلْحِيلُولَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَشِيْقِهَا. ثُمَّ يُسَدِّدُ سِتَارًا صَفِيْقًا مِنَ الْكِتْمَانِ عَلَى مَا حَدَثَ، حَتَّى لَا تَشْهَرَ الْقَضِيْحَةُ فَيَسْمَعَ بِهَا الْقَاصِي وَالِدَانِي.

وَفَضْلًا عَنِ ذَلِكَ، إِزْتَاخَ لِمَا وَطَّنَ عَلَيْهِ النَّفْسَ، وَعَلَّلَ اِزْتِيَاحَهُ إِلَى نَأْمَةٍ^(١) الْحَبِيْرَ الَّتِي يَعْتَقِدُ أَنَّهَا تَعْتَمِلُ بِاسْتِمْرَارٍ فِي قَرَارَاتِهِ. عَلَّلَ اِزْتِيَاحَهُ بِأَنَّهُ نَاجِمٌ عَنِ أَمَلِهِ أَنْ تَنْتَهِيَ أَنَا وَنَهْيًا^(٢) إِلَى نَفْسِهَا، وَأَنْ تَرْعُوِي أَنَا قَبْلَ قَوَاتِ الْأَوَانِ فَتَنْدَمَ وَتُكْفِرَ عَمَّا اجْتَرَحْتَهُ، وَعَمَّا اقْتَرَفْتَهُ، وَعَمَّا أَتَيْتَهُ مِنَ الْمُنْكَرِ.

* * *

الْخَائِتَةُ! دَمَدَمَ يَقُولُ، وَهُوَ يَحْرُقُ عَلَيْهَا الْأَرَمَ وَيَضْرِفُ بِأَسْنَانِهِ^(٣) . . .

وَوَقَفَتِ الْعَرَبَةُ فَتَزَلَّ مِنْهَا، ثُمَّ صَعِدَ إِلَى مَكْتَبِهِ وَجَلَسَ قَلِيْلًا، وَمَا أَبْطَأَ أَنْ تَنَاوَلَ وَرَقًا وَقَلَمًا وَجَعَلَ يَكْتُبُ:

«سَابِرٌ بَوَّعْدِي لَكَ وَأَطْلِعُكَ عَلَى قَرَارِي بِصَدْدِكَ. كُنْتُ حَمَقَاءَ فِي مَا صَنَعْتِ، وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أَفْصِمَ كُلَّ صِلَةٍ تَشْجُنِي بِشَخْصِكَ، إِلَّا أَنِّي عُدْتُ فَعَدَلْتُ عَنِ هَذَا الرَّأْيِ حَتَّى لَا أَتَحَدَّى اللَّهُ فِي مَا أَوْجَبَهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَحَتَّى لَا أَفْرُقَ بَيْنَ مَنْ وَصَلَهُمَا بِرِبَاطِ الدِّينِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ انْجِرَافَ زَوْجٍ أَوْ زَوْجَةٍ عَنِ الْجَادَّةِ لَا يَقْسِرُ الْمُسَاءَ إِلَيْهِ عَلَى فَضْمِ الشَّرِيْكَةِ الزَّوْجِيَّةِ حَتَّى لَا تَتَقَوَّضَ بِذَلِكَ دَعَائِمُ الْعَائِلَةِ، وَيُقْضَى عَلَى ثَمَرَاتِ الزَّوْاجِ وَهِيَ الْأَوْلَادُ! وَعَلَيْهِ فَلَا مَنْدُوْحَةَ لِي عَنِ اسْتِيقَانِكَ فِي كَتْفِي^(٤) حِفَاطًا عَلَى اسْمِي وَاسْمِكَ، وَإِشْفَاقًا عَلَى وَدَلِنَا الْمُسْكِينِ. وَإِنِّي وَائِثٌ مِنْ أُنَّاكَ تُوَافِقِينَ عَلَى خُطَّتِي، وَتُسَاعِدِينِي حَتَّى نَتَمَكَّنَ مِنْ تَخْطِي الْعَقَبَاتِ، فَلَا أَضْطَرُّ إِلَى اتِّخَاذِ سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْخُطُوَاتِ. وَرَغْبَةً مِنِّي فِي إِفْنَاعِكَ بِصَوَابٍ رَأْيِي أَرَى أَنْ

(١) نَأْمَةُ الْحَبِيْرِ: صَوْتُ الْحَبِيْرِ.

(٢) نَهْيٌ إِلَى نَفْسِهَا: تَعَوُّدٌ إِلَيْهَا.

(٣) يَضْرِفُ بِأَسْنَانِهِ: يَحْكُ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ فَيُسْمَعُ لَهَا صَوْتُ.

(٤) فِي كَتْفِي: فِي جَانِبِي وَتَحْتَ ظِلِّي أَوْ رِعَايَتِي.

نَجْتَمِعَ فِي مِيعَادِ لَتَبَادُلِ الرَّأْيِ وَتَوْحِيدِ الطَّرِيقَةِ، لِأَنَّ هَدْفِي فِي رِعَايَةِ ابْنِي هُوَ هَدْفُكَ وَلَا غَرَوْ. فَتَعَالَى إِلَى بَطْرَسْبِرَجِ قَبْلَ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ الْمُقْبِلِ وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَلَكَّنِّي أَوْ تَتَأَخَّرِي».
 وَقَرَأَ مَا خَطَّهُ، فَوَافَقَ عَلَى كُلِّ كَلِمَةٍ، وَارْتَاحَ إِلَى كُلِّ مَعْنَى. وَمَا هِيَ إِلَّا دَقِيقَةٌ حَتَّى كَانَتْ الرِّسَالَةُ فِي طَرِيقِهَا مَعَ مَبْعُوثٍ خَاصٍّ إِلَى زَوْجَتِهِ فِي بِيْتَرِهَوْفِ.

* * *

أَمَا أَنَا فَكَانَتْ فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهَا، كَانَتْ مُورِّعَةَ الْفِكْرِ، مُبَلِّبَةَ النَّفْسِ، مَلْهُوفَةً مُشْتَتَةً، لَا تَكَادُ تَشْفِرُّ عَلَى أَمْرٍ، أَوْ تَهْدَأُ عَلَى حَالٍ. كَانَتْ تُفَكِّرُ وَلَا تُفَكِّرُ، وَكَانَتْ تَهْمَسُ فِي مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَلَا تَكَادُ تَعِي مَا يَمْلَأُ عَلَيْهَا حَيَاتَهَا وَيَسْتَوِعِبُ فِكْرَهَا.

لَقَدْ تَأَجَّمَ^(١) غَيْظُهَا حِينَ جَابَهَا حَسِبُهَا بِرَأْيِهِ، وَقَالَ لَهَا إِنَّهَا أَضْحَتْ فِي مَرْكَزِ صَعْبٍ عَسِيرٍ لَا انْجِلَالَ لَهُ. وَمَعَ أَنَّهَا غَضِبَتْ وَاحْتَدَمَ غَيْظُهَا وَعَلَتْ مَرَاجِلُ هَذَا الْغَيْظِ فِي أَعْمَاقِهَا، لَمْ يَسْعَهَا سِوَى التَّسْلِيمِ بِمَا قَالَهُ فِرُونْسْكِ؛ إِنَّ مَرْكَزَهَا مُحْرَجٌ لِلْغَايَةِ، وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْبَحْثُ عَمَّا يُزِيلُ تِلْكَ الْجِبَالَ مِنَ الْعَقَبَاتِ الَّتِي تَعْتَرِضُ الْآنَ سَبِيلَهَا.

وَصَارَحَتْ زَوْجَهَا بِمَا حَصَلَ، جَهَرَتْ لَهُ بِمُفُورِهَا مِنْهُ، وَبِمِيلِهَا إِلَى فِرُونْسْكِ، وَأَفْتَعَتْ نَفْسَهَا بَعْدَ ذَهَابِهِ بِأَنَّ عَمَلَهَا كَانَ عَمَلًا حَكِيمًا أَمَلَتْهُ أَصَالَةُ الرَّأْيِ؛ فَهِيَ لَا تَقْوَى بَعْدَ الْيَوْمِ عَلَى مُتَابَعَةِ الْحَيَاةِ مَعَهُ، هِيَ لَا تَقْوَى عَلَى مُوَاصَلَةِ حَيَاةٍ يُفْعِمُهَا الْكُذْبُ وَالتَّصْنَعُ وَالرِّيَاءُ.

وَلَكِنَّهَا شَكَّتْ، فِي مَا بَعْدُ، فِي مَا قَامَتْ بِهِ، وَأَيَقَنَتْ أَنَّهَا رَمَتْ بِنَفْسِهَا فِي التَّهْلُكَةِ. عَلَى أَنَّهَا عَادَتْ فَطَمَأَنْتْ نَفْسَهَا وَعَلَّلَتْهَا بِقُرْبِ انْفِرَاجِ الْغُمَّةِ، فَالْصَّرَاحَةُ مَهْمَا قَسَتْ تُبَدُّ السُّحْبَ، وَهِيَ بِصَرَاحَتِهَا لَمْ تَعُدْ تَحْتَاجُ إِلَى التَّفَاقِ وَالرِّيَاءِ وَالْكَذْبِ. وَعَلَى زَوْجِهَا الْمَمْجُوجِ الْآنَ أَنْ يَتَدَبَّرَ أَمْرَهُ بِمَا يَرَاهُ، عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ اللَّازِمَ، وَلَنْ تُبَالِي هِيَ بِمَا يَفْعَلُ، وَلَنْ تُرَاعَ مِمَّا يَقُومُ بِهِ.

(١) تَأَجَّمَ غَيْظُهَا: اسْتَدَّ.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصل عنوانًا مناسبًا.
- ٢ - للكشف عن نفسيّاتِ أشخاصِ القصةِ أساليبٌ مختلفةٌ. فأَيُّ أسلوبٍ اتَّبَعَ تولستوي في تصويرِ نفسيّةِ ألكسيس كارنين؟
- ٣ - صِرَاعُ نَفْسِيٍّ مَرِيئٌ عاناهُ كارنين، فأَيُّ أساليبِ القَصِّ صَوَّرَ الكاتِبُ هذا الصِّرَاعَ؟
- ٤ - هَلْ بَدَأَ لَكَ الرَّجُلُ ذا إرادةٍ قويّةٍ؟ وهل تَراهُ يُريدُ نَشْرَ الفضيحةِ وتعميمِها؟ ولماذا؟
- ٥ - هَلْ كانَ ما أَرادَهُ كارنين مِنَ اسْتِيقَاءِ أَنَا في كَتْفِهِ إجراءً مقبولًا؟ ولماذا؟
- ٦ - ما الحَلُّ الَّذِي تَراهُ أَنْتَ مُمكِنًا وأَسْلَمَ مِنْ سِوَاهُ؟ عِلْلُ إِجابَتِكَ.
- ٧ - أَوْجِزْ مَضمونَ الفَصلِ في أَسْطُرٍ قَليلَةٍ.

الفصل الثاني

على أنها ما كادت تهجع في تلك الليلة وتستيقظ صباحاً حتى خيل إليها أنها حلفت في أعالي الجوّ لتسقط مرةً واحدةً وتتخطم، وأنَّ المنطق كان يوجب عليها أن تلتزم جانب الرّيث، وتتعلّق بحبل الحذر والرّويّة قبل أن ترمي بنفسها في التهلكة، وقبل أن تتردى في جرفٍ سحيقٍ لا قرار له.

فمن أين لها هذه الجرأة؟ وكيف استطاعت أن تواجه زوجها باعترافها؟

ومهما يكن فقد فات زمن الندامة والتّحسّر على شيءٍ حصل. وزوجها الآن يعلم من الأمر ما تعلم، وسيفعل شيئاً، فلتتظّر ما يفعل!

فهل ترى يُعني عنها اعترافها؟ وهل كان من الحكمة أن تُفصح قبل أن تُعدّ العدة لأسوأ النتائج؟

إنَّ زوجها حويلٌ ذو نفوذٍ وصحبة، وهو لن يقف مكتوف اليدين. فهل فكرت قبل الإقدام في ما يجري؟ هل فكرت في حالها حين يقع البلاء وتذيع قصة الخيانة، ويعرفها الملاء؟ إنها الآن تنتظر الضربة، وقد تكون ساحقة، وقد لا تكون. وظلّت أنا تنتظر وهي مُقصّمة الظهر حزينة النفس.

والعجيب في الأمر أن ما ظننته واضحاً بعد اعترافها بات غايضاً تكنتفه ظلماتٍ حالكة، كنفسها، وكإحساسها، وكمشاعرها.

وتناهت في الهجس والتّوجس، وصور لها الوهم أن فرونسكي يلهو بها، وأنه لا يهواها، وأنه لن يلبث أن يتنكر لها متى لفظها زوجها. فأين تذهب؟ وإلى من تلجأ؟

ودار في خلدتها وهي تتلوى من ألم الروح والقلب، أن حُسن الكلام لا يبيّم كما قيل إلا بحُسن العمل، فأين منها حُسن العمل حتى تُحسّن الكلام؟ أليس هذا ما طوّح بها؟ أليس

هَذَا مَا جَعَلَهَا تَرْكِبُ الْخُرْقِ^(١)، فَتَبُوْحُ بِسِرِّهَا قَبْلَ تَأْكُدِهَا مِنْ دَوَائِهَا؟

إِنَّهَا لَمْ تَسْتَعْمِلِ الرَّأْيَ، فَلْتَدُقْ عَلَقَمَ سُخْفِهَا، وَلْتَسْتَظِرَّ قَرَارَ زَوْجِهَا، وَلْيَكُنْ مَا يَكُونُ!
وَتَرَأَى لَهَا ثَانِيَةً أَنْ فَرُونَسْكِ مُنْصَرِفٍ عَنْهَا، وَأَنَّ مَا أَظْهَرَهُ كَانَ خِلَافَ مَا شَعَرَ بِهِ؛
وَتَسَاءَلَتْ عَمَّا يَخْلُقُ بِهَا أَنْ تَفْعَلَ. أَتَرَامِي عَلَيْهِ أَمْ تَجْفُوهُ؟ وَلَكِنْ، كَيْفَ تَبْتَعِدُ وَتَتَأَى وَهِيَ
الآنَ مَوْسُومَةٌ بِمَيْسَمِ الْخِزْيِ، يَا أَبَاها زَوْجِهَا، وَيَقْلُوها^(٢) غَيْرَ زَوْجِهَا مِنْ مُدْعِي الشَّرْفِ؟
لَقَدْ قَالَتْ لِرِزْوِجِهَا كَلَامًا كَثِيرًا، فَهَلْ سَمِعَ الْكَلَامَ أُنَاسٌ آخَرُونَ؟ رُبَّمَا سَمِعُوهُ، وَرُبَّمَا
وَعَوْهُ وَتَفَهَّمُوهُ.

وَعَادَتْ إِلَى النَّدَامَةِ، فَفَرَعَتْ نَفْسَهَا وَعَذَلَتْهَا^(٣) عَلَى كَثْرَةِ كَلَامِهَا. ثُمَّ وَلَجَتْ عَلَيْهَا
الْغُرْفَةَ خَادِمَتُهَا وَهِيَ تَحْمِلُ إِلَيْهَا شَرَابًا سَاخِنًا، فَصَاحَتْ فِي وَجْهِهَا، ثُمَّ طَلَبَتْ إِلَيْهَا أَنْ
تَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ أَتَتْ. غَيْرَ أَنَّ الْمَرْأَةَ تَجَاهَلَتْ الْأَمْرَ وَقَالَتْ بِهَدْوٍ: «يَا سَيِّدَتِي... إِنْ ابْنُكَ
سِيرِجٌ يَنْتَظِرُكَ، فَهُوَ كَالْعَادَةِ يَرْعُبُ فِي التَّحَدُّثِ إِلَيْكَ».

وَتَلَا ذَلِكَ صُوتُ الْغُلَامِ وَهُوَ يُنَادِي أُمَّهُ، وَقَدْ شَابَتْ صَوْتُهُ رَنَّةً أَلَمٌ.

فَتَوَلَّى أَنَا الْخَوْفُ، وَاضْفَرَّ وَجْهَهَا، وَتَسَاءَلْتُ: «مَا الْخَطْبُ؟ مَا الْخَطْبُ؟»

فَأَجَابَتِ الْخَادِمَةُ: «لَعَلَّهُ يَكُونُ قَدْ تَعَثَّرَ فَسَقَطَ، أَوْ لَعَلَّ شَيْئًا أَغْضَبَهُ وَأَثَارَ أَلَمَهُ».

فَنَهَضْتُ أَنَا وَهَرَعْتُ إِلَى ابْنِهَا مُتَلَهِّفَةً مُضْطَرِبَةً، وَلَمَّا اطْمَأَنَّتْ إِلَى سَلَامَتِهِ خَاطَبْتُهُ بِلَهْجَةٍ

مُؤَنِّيَةٍ، فَقَالَتْ: «أَلَمْ أَنْهَكَ عَنِ الْمُخَاطَرَةِ فِي اللَّعِبِ؟ أَلَا تَسْمَعُ نَصَائِحِي يَا سِيرِجُ؟»

فَقَالَ وَهُوَ يُطْرِقُ حَيَاءً: «سَمِعًا وَطَاعَةً يَا أُمَاهُ، لَنْ أَرْجِعَ إِلَى الْخُشُونَةِ كَرَّةً أُخْرَى!»

فَعَانَقْتُهُ وَقَبَّلْتُهُ، وَابْتَسَطْتُ أَسَارِيرَ الْغُلَامِ بَعْدَ انْقِبَاضِهَا، فَلَصِقَ بِهَا وَهُوَ يَبْتَسِمُ وَيَقُولُ

مُتَسَائِلًا: «أَتُحِبِّينِي كُلَّ الْحُبِّ يَا أُمَاهُ؟»

قَالَتْ: «وَهَلْ تَشْكُ فِي حَيِّي؟»

وَنَاجَتْ نَفْسَهَا: يَا إِلَهِي! أَلَا أُحِبُّهُ؟ أَلَا أَفْتَدِيهِ؟ أَلَا أَقْدِمُ إِلَيْهِ حَيَاتِي؟»

(١) الْخُرْقُ: الْحِمَاقَةُ.

(٢) يَقْلُوها: يُغْضِبُها.

(٣) عَذَلَتْهَا: لَامَتْهَا.

وَأَعْرُورَتْ عَيْنَاهَا بِالْذُمُوعِ، فَبَادَرَتْ إِلَى الرَّجُوعِ وَهِيَ تُتَمِّمُ وَالِهَةً مَلْهُوفَةً: «أَجَلْ! إِنِّي أَحِبُّهُ، أَحِبُّهُ...».

كَانَ ظَهْرُ ابْنِهَا أَشْبَهَ بِالنَّسْمَةِ الْمُنْعِشَةِ، تَهُبُّ عَلَى الْقَلْبِ الْمَهِيضِ فَتَنْفُخُ الْحَيَاةَ فِي مَوَاتِهِ، وَتُبْدِلُ بِالْمِوَةِ أَمَلًا، وَتُعْطِيهِ الْقُوَّةَ وَالْجَلَدَ وَالِاحْتِمَالَ.

وَجَعَلَتْ تَتَذَكَّرُ. رَجَعَتْ بِمُخَيَّلَتِهَا إِلَى الْوَرَاءِ، طَفِقَتْ تَسْتَعِيدُ حَوَادِثَ الْمَاضِي. لَقَدْ أَنْجَبَتْ سِيرَجَ وَعَدَّتْهُ بِلَبْنِهَا، وَسَقَتْهُ مَاءَ حَنَانِهَا، وَأَثَرَتْ سَعَادَتَهُ عَلَى سَعَادَتِهَا. كَانَ يَمْرُضُ أَحْيَانًا، فَتَخُنُّ^(١) نَفْسُهَا! وَكَانَ يَبُتُّ، فَيُظْلِمُ الْكَوْنُ فِي نَاطِرِهَا! إِنَّهَا شَكَّتْ مُنْذُ قَلِيلٍ فِي نَفْسِهَا وَرُوحِهَا؛ وَلَكِنْ رُوعَهَا أَفْرَخَ^(٢) الْآنَ، بَدَّدَهُ سُعُورٌ بِالثِّقَةِ وَالِإِيمَانِ. فَرُونَسْكِ... وَرُؤُوسِهَا... إِنَّهُمَا فِي كِفَّةٍ، أَمَا ابْنُهَا فَهُوَ يَحْتَلُّ الْكِفَّةَ الرَّاجِحَةَ. فَلْيَبْقَ مُسْتَحْوِدًا عَلَى حَبَّةِ الْفُوَادِ، وَلْيَبْقَ فِي مَعْزِلٍ عَنِ الْعَاطِفَةِ الَّتِي تَمَحَّضَ عَنْهَا رِجْسُ الْحَيَاةِ.

وَأُولَى بِهَا أَنْ تَذَهَبَ، أُولَى بِهَا أَنْ تَضْطَحِبَ ابْنُهَا إِلَى بُقْعَةٍ نَائِيَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، لِيَعِيشَا مَعًا بَعِيدًا عَنِ الْأَحْزَانِ وَعَنِ مُسَبِّبِي الْأَحْزَانِ!

وَعَقَدَتِ الْعِزْمَ عَلَى مُبَارَحَةِ الدِّيَارِ، عَزَمَتْ عَلَى الرَّحِيلِ إِلَى مُوسْكَو. وَقَامَتْ لِسَاعَتِهَا، فَانْتَضَتْ^(٣) مِنَ «الدَّرَجِ» فَلَمَّا مَسْنُونًا^(٤) وَوَرَقًا أَبْيَضَ، وَكَتَبَتْ:

إِلَى زَوْجِي:

«إِنِّي رَاحِلَةٌ مَعَ وَالِدِي، فَأَنَا لَنْ أَمُكُّ مَعَكَ بَعْدَ الَّذِي حَدَّثْتَ، فَالْوَدَاعُ!

إِنَّ الْقَانُونَ أَمْرٌ غَرِيبٌ عَنِّي، لَا أَعْرِفُهُ وَلَا أَفْهَمُهُ. وَإِنِّي، وَالحَالَةَ هُذِهِ، لَنْ أَبْحَثَ عَمَّنْ مِنَ الْوَالِدَيْنِ هُوَ الْأَحَقُّ بِتَرْبِيَةِ الْإِبْنِ. إِنَّهُ ابْنِي، تَغْزِيَتِي، سَلُوتِي، فَلَا تَتَجَبَّرْ، وَلَا تَعْتَنِمِ الْفُرْصَةَ لِقَهْرِي وَسَلْبِي ثَمْرَةَ أَحْشَانِي».

(١) تَخُنُّ: تَجِيشٌ وَتَضْطَرِبُ.

(٢) أَفْرَخَ رُوعَهَا: ذَهَبَ حَوْفَهَا.

(٣) انْتَضَتْ: اسْتَلَّتْ.

(٤) فَلَمَّا مَسْنُونًا: فَلَمَّا مَبْرِيًا.

وَبَيْنَا هِيَ تُعِيدُ تِلَاوَةَ مَا كَتَبَتْ، دَخَلَتْ الْوَصِيفَةَ، فَمَزَقَتْ الرِّسَالَةَ شَذَرَ مَذَرَ^(١). وناوَلَتْهَا الْمَرْأَةَ «مَطْرُوفًا»، فَفَضَّتُهُ مُتَوَثِّرَةً الْأَعْصَابِ، فَإِذَا الْخَطُّ خَطُّ زَوْجِهَا، وَإِذَا الْإِمْضَاءُ إِمْضَاؤُهُ.

وَقَرَأَتْ مَا جَاءَ فِيهَا وَاضْفَرَّ لَوْنُهَا حَتَّى حَاكَى وَجْهَهَا وَجْهَ مَيْتَةٍ مَسْلُوبَةِ الْحَيَاةِ . . .

إِنَّهُ اللَّؤْمُ الْمُتَجَسِّمُ، إِنَّهُ يُطَالِبُهَا بِالرُّجُوعِ إِلَى بَطْرَسْبِرْجِ قَبْلَ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ الْمُقْبِلِ، وَهُوَ يُلَوِّحُ لَهَا مُهْدَدًا، كَأَنَّهُ يُنذِرُهَا بِكُلِّ شَرٍّ إِنْ تَمَرَّدَتْ وَعَصَتْ وَلَمْ تَرْجِعْ.

هَا هِيَ الْمَصَائِبُ تَتْرَى. هَا هِيَ التَّوَازِلُ تَجْتَاحُ حَيَاتِهَا. هَا هِيَ الْآلَامُ تَمْلَأُ صَدْرَهَا.

هَذِهِ الْمَشَاعِرُ الْمُتَضَارِبَةُ. . . ! تَرَدَّدَتْ ثُمَّ اغْتَرَفَتْ. وَلَمَّا اغْتَرَفَتْ نَدِمَتْ وَحَزِنَتْ، وَقَالَتْ لِنَفْسِهَا إِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَعْمَلُ عَمَلَهَا. وَلَمَّا جَاءَ الْآنَ زَوْجُهَا يَهْبِئُهَا الصَّفْحَ وَالْغُفْرَانَ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهَا الْإِسْتِمْرَارَ فِي الْعَيْشِ مَعَهُ، أَظْلَمَتِ الْمَسْكُونَةُ فِي عَيْنَيْهَا، وَتَرَاءَى لَهَا أَنَّ سَعَادَتَهَا وَلَّتْ، وَأَنَّ عَيْشَهَا قَدْ ذَوَتْ نُضْرَتُهُ، وَكَأَنَّهُ كَانَ يَسْلُبُهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْنَحُهَا الْأَمَانَ وَالْإِطْمِئْنَانَ!

فَمَاذَا دَهَاها حَتَّى أَصَابَهَا مِنْ لَبِنِهِ كُلُّ سُوءٍ؟ وَجَعَلَتْ تَقُولُ وَهِيَ مُحْتَدِمَةٌ هَائِجَةٌ: «مَا أَقْسَاهُ! عَجَبًا! كُلُّهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ يُضْفِي عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِ الْمَدِيحِ مَا يَضَعُهُ فِي مَصَافِّ الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ. كُلُّهُمْ يُبَجِّلُونَهُ، وَيُعَظِّمُونَهُ، وَيَصِفُونَهُ بِالرَّجُلِ الْعَادِلِ الَّذِي يُرْعَى الْحَقَّ، إِلَّا أَنَا! أَنَا! وَمَنْ يَعْرِفُهُ أَكْثَرَ مِنِّي؟ لَقَدْ عَاشَرْتُهُ زَمَنًا، وَخَبِرْتُهُ، وَسَبَرْتُ غَوْرَ نَفْسِهِ. وَهَلْ فِي الدُّنْيَا مَنْ هُوَ أَقْسَى قَلْبًا مِنْهُ؟ أَلَمْ يَذَلِّ نَفْسِي، رِيْقَهُزْ رُوحِي، وَيُمِثَّ عَاطِفَتِي؟ ثَمَانِي سِنِينَ قَضَيْتُهَا فِي كَنَفِهِ هِيَ وَلَا غَرَوَ ثَمَانِيَةَ قُرُونٍ، لَمْ يَشْعُرْ هَذَا الرَّجُلُ الصَّلِيفُ الْمَعْرُورُ طَوَالَهَا أَنِّي امْرَأَةٌ رَقِيقَةٌ تَطْمَحُ بِبَصَرِهَا إِلَى الْحُبِّ!»

وَتَمَلَّمَتْ، وَهَزَّتْ رَأْسَهَا، ثُمَّ تَابَعَتْ مُنَاجَاتِهَا: «وَمَعَ ذَلِكَ صَبِرْتُ وَصَابِرْتُ، وَشَغَلْتُ نَفْسِي بِأُمُورِ الْعَائِلَةِ، وَعَلَلْتُهَا بِالْفَرَجِ بَعْدَ الصِّيقِ؛ وَبَذَلْتُ وَشَعِي لِكَيْ أُحِبَّهُ، فَلَمْ أُوَفِّقْ، وَأَسْبَعْتُ عَلَى وَوَلَدِي أَعْظَمَ الْحُبِّ، وَكَلَّأْتُهُ بِكُلِّ عِنَايَةٍ وَحَدْبٍ، عَسَى أَنْ يَكُونَ لِي فِي ذَلِكَ عَوْضٌ مِنْ هَوَى الرَّجُلِ، فَهَلْ وَفَّقْتُ؟ هَلْ اِكْتَفَيْتُ؟ وَهَا أَنَذَا أَخْضَعُ لِلْعَاطِفَةِ الْمَسْجُوبَةِ، وَهَا أَنَذَا أَلِينُ.

(١) شَذَرَ مَذَرَ: تَفَقَّأَ.

وَيَأْتِي هُوَ الْآنَ فِيهِدُّنِي بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ، يُهْدِدُنِي بِالكَرِيهَةِ إِنْ عَصَيْتُ لَهُ أَمْرًا، وَسِلَاحُهُ
الْمَاضِي الْحَدِيثِ هُوَ سِيرَجٌ، فَهَلْ يَأْخُذُهُ مِنِّي؟ أَيَحْرِمُنِي أَعَزَّ مَا أَمْلِكُ؟
أَفَأَجَازِفُ بِسِيرَجٍ؟ وَكَيْفَ تَكُونُ حَيَاتِي مِنْ دُونِهِ؟ أَوْ كَيْفُنِي حَبِيبِي؟ وَمَا لَذَّةُ الْعَيْشِ مَعَهُ إِنْ
كَانَ سَبَبَ الْجِرْمَانِ وَأَسَاسَ الْكَارِثَةِ؟

إِنَّ الْإِكْسِيسَ يَعْزِضُ عَلَيَّ الْإِسْتِمْرَارَ فِي حَيَاتِي الزَّوْجِيَّةِ، وَهَذَا جَمِيلٌ؛ بَيِّدَ أَنْ لَهُ مَعْنَى
خَطِيرًا، وَمَعْنَاهُ اخْتِيَارُ الْجَحِيمِ وَإِثَارُ نَارِ السَّعِيرِ.

أَوْهَ! لَطَالَمَا عَنَّ لِي خَاطِرُ الذَّهَابِ وَالْإِبْتِعَادِ، فَلِمَ يَطْلُبُ إِلَيَّ الْمُسْتَحِيلُ؟ لِمَ يَرِيدُنِي أَنْ
أَدَاوِمَ حَيَاةَ الثَّقَافِ وَالرِّيَاءِ وَالْكَذِبِ؟ إِنَّهُ يَنْتَقِمُ... يَنْتَقِمُ... وَهَذِهِ سَجِيئَتُهُ، وَهَذَا طَبْعُهُ!
وَسَأَلْتُ مِنْ مُقَلَّتَيْهَا دَمْعَةً مُحْرِقَةً، وَاسْتَطَرَدْتُ: «سُحْقًا لَكَ يَا زَوْجِي! أَيُّهَا الْكَذُوبُ الَّذِي
يَمْلَأُ قَلْبَكَ الْبَاطِلَ! حَسِبْتُ؛ فَأَنَا أَرْجَحُ عَقْلًا، وَلَنْ أَدْعَكَ تَنْعُمَ بِلَذَّةِ انْتِقَامِكَ!»

وَاسْتَخَرْتُ فِي بُكَاءٍ مَرٍّ، وَسَحَّ^(١) دَمْعُهَا مِذْرَارًا؛ وَظَلَّتْ فِتْرَةً وَهِيَ تَشِيخٌ وَتَرْفُزٌ وَتَيْشٌ.
وَكَانَ شَأْنُهَا شَأْنَ الْإِنْسَانِ الْمَغْلُوبِ، الْمَقْهُورِ، الْمَغْلُولِ الْيَدَيْنِ، الْمَشْلُولِ الْحَرَكََةِ، الَّذِي
يَمَرَّدُ وَلَا يَجْهَرُ بِتَمَرُّدِهِ، وَيَعْصِي وَلَا يُعْلِنُ الْعُضْيَانَ، خَوْفًا مِنَ السَّيْفِ الْمُضَلَّتِ عَلَى عُنُقِهِ!
إِنَّ ابْنَهَا هُوَ هَذَا السَّيْفُ الْمَسْلُوبُ، وَلَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تَنْخَلِيَ عَنْهُ طَائِعَةٌ رَاضِيَةٌ... لَا
يُمَكِّنُهَا أَنْ تَقْبَلَ بِفِرُونَسْكِ وَتَقْفِدَ سِيرَجًا.

وَدَخَلَتِ الْخَادِمَةَ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، فَأَغْضَتْ طَرْفَهَا حَتَّى لَا تُحْرَجَ سَيِّدَتِهَا إِنْ نَظَرَتْ،
وَقَالَتْ: «لَا يَزَالُ مَبْعُوثُ سَيِّدِي يَنْتَظِرُ الْجَوَابَ».

فَقَالَتْ أَنَا وَهِيَ تُشِيخُ بِوَجْهِهَا: «فَلْيَنْتَظِرْ فَيَنَّهُ أُخْرَى، وَسَأُعْطِيهِ الْجَوَابَ الْمَشْنُودَ».
وَغَادَرَتْهَا الْخَادِمَةُ، وَفَكَرَّتْ هِيَ فِي مَا تَكْتُبُ. أَتَكْتُبُ لَعَنَتِهَا أَمْ رَجَاءَهَا؟ أَتَكْتُبُ نَفْسَتِهَا
أَمْ تَوْسَلُهَا؟ أَتُخْبِرُهُ بِأَنَّ الْحَيَاةَ مَعَهُ سَرٌّ مِنَ الْمَوْتِ، وَأَنَّ الْحَيَاةَ مِنْ دُونِ ابْنِهَا وَيَلُّ دُونَهُ كُلُّ
وَيْلٍ؟ مَاذَا تَكْتُبُ؟ مَاذَا تَكْتُبُ؟

وَأَمْسَكَتْ بِالْقَلَمِ، وَشَخَّصَتْ إِلَى الْأَمَامِ جَاحِظَةَ الْعَيْنَيْنِ، وَجَمَّعَتْ: «لِمَ لَا أَفْرَعُ إِلَيْهِ،

(١) سَحَّ الدَّمْعُ: سَالَ.

إلى حبيبي؟»

وَحَطَّتْ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ: «لَقَدْ قَرَأْتُ مَا كَتَبْتَ!»

فرونسكي... هذا الشَّابُّ النَّبِيلُ الثَّرِيُّ الحَسَنُ الصُّورَةَ، كَانَ، بِالرَّغْمِ مِنْ شَبَابِهِ وَجَاهِهِ، مَجْبُولًا عَلَى حُبِّ النِّظَامِ. فَهَوَّ يُعْنَى قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ بِاسْتِيقَاءِ شُؤْنِهِ الخَاصَّةِ الشَّخْصِيَّةِ فِي مَعَزِلٍ عَنْ عَاطِفَتِهِ وَمَلْهَاتِهِ.

كَانَ يُرَاجِعُ أُمُورَهُ، وَلَا يَفْتَأُ يَصْحَحُ مَا أَعْوَجَّ وَمَا تَدَهَوَّرَ، ثُمَّ يُحَاوِلُ أَنْ يَقَوْمَ الإِغْوَجَاجَ وَيَتَلَفَى الأَخْطَاءَ، لِيَرْجِعَ، كَمَا كَانَ فِي كُلِّ حِينٍ، قَوِيًّا مَنِيعًا لَا شُبُهَةَ فِي مَرَكَزِهِ وَمَقَامِهِ.

فَلَمَّا حَانَ يَوْمُ السَّبَاقِ نَهَضَ مِنْ نَوْمِهِ مُبَكَّرًا، وَغَادَرَ فِرَاشَهُ، فَاغْتَسَلَ وَلَبَسَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى أَوْرَاقِهِ وَوَنَائِقِهِ يَنْظُرُ فِيهَا وَيُدْرُسُ مُحتَوِيَاتِهَا. وَقَدْ اكْتَشَفَ أَنَّ عَلَيْهِ مَالًا لِلنَّاسِ كَثِيرًا؛ لَكِنَّهُ لَمْ يُرِعْ، فَمُورِدُهُ غَزِيرٌ، وَثِرْوَتُهُ لَا تَوْتُرُ فِيهَا هَذِهِ الدُّيُونُ النَّافِهُةُ.

وَنَظَرَ فِي كُلِّ اخْتِمَالٍ، وَأَيَّنَّ أَنَّ فِي السَّبَاقِ خَطَرًا عَلَى الحَيَاةِ، فَكَتَبَ بِاسْمِ أَخِيهِ جُلَّ إِبْرَادِهِ السَّنَوِيِّ لِيَسْتَوْلِيَ عَلَيْهِ فِي حَالِ مَوْتِهِ. وَكَانَ، فِي الحَقِيقَةِ، قَدْ وَهَبَهُ هَذَا المَبْلَغَ الطَّائِلَ مُنْذُ مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ لِمَا انْتَابَ حَالَهُ هَذَا الأَخِ مِنْ اضْطِرَابٍ وَتَرَعُزُعٍ مَالِيٍّ بَعْدَ اقْتِرَانِهِ. وَشَرَعَ فِرُونسْكَي يَسْتَعِينُ بِأُمَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَشَعَفَهُ عَنْ طَبِيبَةٍ خَاطِرٍ. بَيَّنَّ أَنَّهَا كَفَّتْ يَدَهَا لَمَّا أَيْقَنْتْ مِمَّا رَأَتْهُ وَسَمِعَتْهُ، وَهُوَ أَنَّ عِلَاقَةَ ابْنِهَا بِأَنَا كَارِنِينَا أَخَذَتْ تَسْتَنْزِفَ مَالَهُ وَقُوَاهُ، وَتَدْفَعُ بِهِ سَرِيعًا إِلَى مَهْوَاةٍ سَحِيقَةٍ.

وَأَيْفَ فِرُونسْكَي، فَجَفَا أُمَّهُ وَانْقَطَعَ عَنْهَا. عَلَى أَنَّهُ اخْتَارَ فِي أَمْرِهِ، فَكَيْفَ يُدَبِّرُ المَالَ؟ هَلْ يَسْتَرْجِعُ مَا أُعْطِيَ؟ هَلْ يَفْعَلُ ذَلِكَ؟ وَمَاذَا تَقُولُ زَوْجَ أَخِيهِ إِنْ فَعَلَ؟

وَلَمَّا انْتَابَهُ هَذَا الفِكْرُ، وَرَأَى أَنَّ لَا مَحِيصَ مِنَ الوُصُولِ إِلَى قَرَارٍ سَرِيعٍ، هَزَّ رَأْسَهُ وَقَالَ: «كُلُّ شَرِيفٍ مِنَ الرِّجَالِ يُقَدِّسُ دِينَ المَيْسِرِ^(١)، وَيَدْفَعُهُ وَلَوْ بَاعَ نَفْسَهُ، مَعَ أَنَّهُ فِي حِلٍّ مِنْ دَفْعِ الدُّيُونِ العَادِيَةِ الأُخْرَى أَوْ إِزْجَاءِ دَفْعِهَا! وَكُلُّ شَرِيفٍ مِنَ الرِّجَالِ لَا يَكْذِبُ إِلاَّ عَلَى المَرْأَةِ، كُلُّ رَجُلٍ شَرِيفٍ لَا يَخْدَعُ إِلاَّ زَوْجَ الجَمِيلَةِ، كُلُّ رَجُلٍ شَرِيفٍ لَا يُغْضِي عَنْ إِهَانَةِ

(١) المَيْسِرُ: القِمَارُ.

بَلْ يَكِيلُ الْإِهَانَةَ لِسِوَاهُ فِي غَيْرِ تَحَرُّجٍ أَوْ تَرَدُّدٍ.

وما لَبِثَ أَنْ انْتَهَى إِلَى قَرَارٍ، فَالَى أَنْ يَبِيعَ خَيْلَهُ، وَيَبِيعَ بَعْضَ الْعَقَارِ، وَيَدْفَعَ مَا عَلَيْهِ حَتَّى لَصَانِيعِ الثِّيَابِ.

وَعَرَّجَ بِفِكْرِهِ عَلَى قَلْبِهِ، وَمُتَلَّتْ لَهُ أَنَا فِي مُخَيَّلَتِهِ، فَخَفَقَ فُؤَادُهُ، وَلَمْ يَرَ عَجَبًا فِي عِلَاقَتِهِ، فَهَذَا مَبْدَأُهُ، وَيَجِبُ أَنْ لَا يُؤْتَبَهُ ضَمِيرُهُ؛ إِنَّ الْمَرْأَةَ الْفَاتِنَةَ وَهَبْتُهُ مِنْ نَفْسِهَا وَمِنْ جَسَدِهَا مَا أَفْعَمَهُ بِالْوَجْدِ، فَلَيْسَتْ مَيِّمَةً، وَلَنْ يَحْفَلَ الزَّوْجُ، بَلْ لَنْ يُبِيعَ لَهُ التَّدْخُلَ فِي مَا لَا يَعْنيهِ!

غَيْرَ أَنَّهَا حَامِلٌ، وَالجَنِينُ الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِي أَحْشَائِهَا هُوَ ثَمَرَةٌ حُبِّهِمَا الْمُتَبَادَلِ، وَمَا عَلَى أَنَا الْآنَ سِوَى الْإِنْفِصَالِ، لَتَنْفَصِلَ عَنْ زَوْجِهَا وَلْتَبَقَ لَهُ هُوَ.

وَعَادَ فَخَطَّ الرَّأْيَ، وَأَلْفَى فِي نَصِيحَتِهِ كُلَّ خَرَقٍ، وَقَالَ يُنَاجِي نَفْسَهُ: «مَتَى عَمَلْتُ بِنَصِيحَتِي وَجَبَ عَلَيَّ أَنْ أَجَارِيهَا، فَأَهْجُرَ فِرْقَتِي، وَأَنْضَمَّ إِلَيْهَا، وَأَذْهَبَ بَعِيدًا، وَرَبَّمَا أُعَادِرُ رُوسِيَا».

وَلَمْ يَطْرَحِ الْفِكْرَ جَانِبًا، أَوْ يَصِلَ إِلَى رَأْيٍ حَسَنٍ يَرْتَاحُ إِلَيْهِ، وَيَقِيَّ يَتَقَلَّبُ بَيْنَ الشُّكِّ وَالْيَقِينِ، يَجْذِبُهُ الْحُبُّ وَيَكْبُحُ جِمَاحَهُ الْوَاجِبُ، حَتَّى جَاءَهُ رَسُولٌ مِنَ لُدُنِ الْأَمِيرَةِ بَتْسِي يُنَبِّئُهُ بِأَنَّ أَنَا كَارِنِينَا تَرَعَبَ فِي الْإِجْتِمَاعِ إِلَيْهِ فِي مَنْزِلِهَا، أَيَّ فِي مَنْزِلِ الْأَمِيرَةِ بَتْسِي!

فَرَدَّهُ مِنْ حَيْثُ جَاءَ عَلَى أَنْ يَتَّبَعَهُ بَعْدَ حِينٍ.

وَاعْتَمَلَتِ الْكَابَةُ فِي صَدْرِهِ، وَشَعَرَ بِالْأَسَى، شَعَرَ شُعُورَ مَنْ يَرْتَكِبُ إِثْمًا، وَيُعَرَّرُ بِإِنْسَانٍ. لَكِنَّهُ دَهَشَ أَيَّمَا دَهَشٍ لِتَنَاقُضِهِ وَتَضَارُبِ نَزْعَاتِهِ، وَهَزَّ رَأْسَهُ مَغِيظًا، ثُمَّ نَهَضَ لِسَاعَتِهِ وَقَصَدَ بَيْتَ الْأَمِيرَةِ.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - أَنَا الآنَ في قلبي عاصفٍ . فهل ترى قلقها هذا مشروعًا؟ ولماذا؟
- ٣ - في هذا الفصلِ، باتَ المُستقبلُ الغامضُ كابوسَ أَنَا . فهل هي مُحقِّقةٌ في ذلك؟ ولماذا باتَ المُستقبلُ هاجسها؟
- ٤ - نَدِمْتُ أَنَا على ما باحثَ به إلى زَوْجِها؟ فهل يَنْفَعُها النَّدمُ؟ ولمَ النَّدمُ إِذَا؟
- ٥ - سألَ سيرجُ أمَّهُ: «أَتُحِبِّينِي كُلَّ الحَبِّ يا أمَّاه؟» . أترى لهذا السؤالِ خلفيةً ما؟ وما دافعُه إلى هذا التساؤلِ؟
- ٦ - الزَّوْجُ والعشيقُ في كِفَّةٍ والابنُ في أُخرى . فأَيُّ الكِفَّتَيْنِ أَرْجَحُ؟ ولماذا؟
- ٧ - خَرَجْتُ أَنَا عن الصَّراطِ، لكنَّها بَقِيَتْ أُمَّا . هل ترى أَنَّ الأمومةَ التي تُحِسُّها في أعماقها تشفعُ لها في نفسِ القارئِ؟ علِّلْ إِجابَتَكَ .
- ٨ - كَتَبَ كارنينُ إلى زوجتهِ، وهذه سَرَعَتْ تكتبُ له . فماذا أَرادَ كُلُّ مِنْهُما أَنْ يقولَ للآخرِ؟ وأَيُّهما كانَ أَكثَرَ عقلائيَّةً في ما كَتَبَ؟
- ٩ - جاءَ على لسانِ فرونسكي، وفي حديثٍ له معَ نَفْسِهِ، تحديدٌ لبعضِ خصالِ الأشرافِ . فما رأيكَ في هذه الخصالِ؟ وهل هي حَقًّا خصالَ شريفة؟ علِّلْ إِجابَتَكَ .
- ١٠ - أَوْجِزْ مضمونَ الفصلِ في أسطرٍ قليلةٍ .

الفصل الثالث

لَمْ تَهْدَأْ هَوَاجِسُ فِرُونْسِكِي، وَطَفِقَ يَتَسَاءَلُ طَوْلَ الطَّرِيقِ عَنِ سَبَبِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُسْتَعْجِلَةِ، وَعَنِ السَّبَبِ الَّذِي جَعَلَ أَنَا تَطْلُبُ إِلَيْهِ مُوَافَاتَهَا إِلَى بَيْتِ الْأَمِيرَةِ صَدِيقَتِهَا. وَسَأَلَ نَفْسَهُ، وَهُوَ لَا يَجِدُ لِسُؤَالِهِ جَوَابًا: تُرَى، أَحَدَتْ مَا عَصَفَ بِطُمَأْنِينَةِ حَبِيبَتِهِ وَأَمْنِهَا وَدَعَتِهَا؟

وَدَلَفَ مِنْ بَابِ الْحَدِيقَةِ، وَأَنْبَأَهُ حِسُّهُ أَنَّ أَنَا تَجْلِسُ فِي مَكَانٍ مَا تَحْتَ الشَّجَرِ، فَمَشَى فِي الْمَمَرِّ الضَّيِّقِ، وَمَا لَبِثَ أَنْ اهْتَدَى إِلَيْهَا فَدَنَا مِنْهَا وَحَيَّاهَا وَصَافَحَهَا.

وَضَعَطَتْ هِيَ عَلَى يَدِهِ، وَارْتَعَشَتْ أَصَابِعُهَا. وَرَنَتْ إِلَيْهِ بِطَرْفِ فَاتِنٍ مُنْفَعِلٍ، وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ: «أَخْبِرْنِي، هَلْ أَقْلَقْتُكَ؟ هَلْ أَعْضَبْتُكَ؟»

فَرَمَتْهَا بِلَحْظٍ مُتَأَمِّلٍ، وَلَهَفَتْ نَفْسُهُ، فَهِيَ مُوزَّعَةٌ الْبَالِ، شَارِدَةٌ اللَّبِّ، فَلِيقَةِ، فَرِزَعَةٍ. وَأَجَابَ بَعْدَ قَلِيلٍ: «لَيْسَ بِي عَضْبٌ مِنْكَ، بَلْ أَنَا مُضْطَرَّبٌ لِأَجْلِكَ، خَائِفٌ عَلَيْكَ، فَأَنْتِ يَا أَنَا أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي».

وَنَسِيَتْ هَمَّهَا، نَسِيَتْ شَجَنَهَا، وَوَدَّتْ لَوْ أَهْلَكَتْ نَفْسَهَا مِنْ أَجْلِهِ، فَهِيَ تُجِبُهُ كَالْعِبَادَةِ.

وَمَا لَبِثَتْ أَنْ قَالَتْ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ: «لَقَدْ نَكَأْتُ الْجُرْحَ، وَكَاشَفْتُ الْكُفْسَ بِجَلِيلَةِ الْأَمْرِ، فَكُنْتُ صَرِيحَةً مَعَهُ، وَلَوْ كُنْتُ كَمَا أَظُنُّ، عَدْوَةٌ لِنَفْسِي».

وَكَانَ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ كَلِمَاتِهَا الْأَخِيرَةَ قَدْ رَكَنَ إِلَى الْفِكْرِ، وَاسْتَرْسَلَ فِي تَقْلِيلِ الرَّأْيِ. كَانَ يُفَكِّرُ فِي الْوَسِيلَةِ الَّتِي يُبْعِدُ بِهَا الشُّوْءَ عَنِ حَبِيبَتِهِ، فَلَمَّا وَعَى مَا تَقُولُ حَدَجَهَا بِنَظْرَةٍ حَادَّةٍ، ثُمَّ أَجَابَ: «لَقَدْ أَصَبْتِ فِي مَا فَعَلْتِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الصَّرَاحَةَ مَطْلُوبَةٌ فِي حَالِنَا، فَلْيَعْلَمْ الْحَقِيقَةُ، وَلِنُكُنْ حَذِرِينَ مُتَرَبِّصِينَ مِنْ دُونِ حِقْدٍ أَوْ ضِغْنٍ».

وَتَأَمَّلَتْ أَسَارِيرَ وَجْهِهِ، وَحَاوَلَتْ أَنْ تَسْتَشْفَّ حَقِيقَةَ مَشَاعِرِهِ.

إِلَّا أَنَّهُ عَنَى فِي مَا قَالَ أَنَّهُ مُسْتَعِدُّ لِمُوجَهَةِ أَسْوَأِ النَّتَائِجِ حَتَّى الْقِتَالِ، فَهُوَ لَنْ يَتَرَدَّدَ عَنِ مُبَارَزَةِ الزَّوْجِ الْمَثْلُومِ الْعَرَضِ.

وَمَعَ أَنَّهَا أَيْقَنْتْ، بَعْدَ أَنْ قَرَأَتْ كَلِمَةَ زَوْجِهَا، أَنْ لَا مَدْوَحَةَ لَهَا عَنِ النُّزُولِ عِنْدَ إِرَادَتِهِ، لَيْثُ، مَعَ ذَلِكَ، تَرْجُو أَنْ تَتَّعَبِرَ الْحَالُ، وَيَتَّقَلِبَ الْمِيزَانَ عَقِبَ اجْتِمَاعِهَا بِفِرُونْسْكِ. كَانَتْ تَتَوَقَّعُ أَنْ يَشُدَّ فِرُونْسْكِ أَرْزَاهَا، وَأَنْ يَقُولَ مِنْ دُونِ تَرَدُّدٍ: «هَلْمِي... هَلْمِي...» اهْجُرِيهِ! دَعِيهِ! وَتَعَالَيْ مَعِي!

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، فَشَعَرَتْ أُنْدَاكَ بِتَقْوُضِ الرَّجَاءِ وَضِيَعَةِ الْأَمَالِ.

وَهَاجَ كَامِنْ حُزْنِهَا، فَأَخْرَجَتْ وَرَقَةَ زَوْجِهَا، وَقَالَتْ وَهِيَ تُقَدِّمُهَا لَهُ: «اقْرَأ... اقْرَأ مَا يُرِيدُ مِنِّي هَذَا الرَّجُلُ!»

فَأَخَذَ الْوَرَقَةَ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقْرَأْهَا، بَلْ نَظَرَ إِلَيْهَا مُسْجَعًا وَقَالَ: «كِلِي الْأَمْرَ لِي، فَأَنَا لَا يَغْنِينِي فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَعَادَتُكَ، وَلَا يُرْضِينِي إِلَّا رَاحَتُكَ، فَبِقِي بِمَا أَقُولُ». قَالَتْ: «أَنَا لَا أَشُكُّ فِي صِدْقِ طَوَيْتِكَ، فَأَرْجُو أَنْ تَقْرَأَ الرَّسَالَهَ».

فَلَبَّى الشَّابُّ رَجَاءَهَا وَقَرَأَ الرُّقْعَةَ، أَوْ تَظَاهَرَ بِأَنَّهُ قَرَأَهَا، إِلَّا أَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ كَانَ مُتَّجِهَاً بِفِكْرِهِ إِلَى الْقِتَالِ الَّذِي أَيْقَنْتْ أَنَّ الزَّوْجَ سَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ. كَمَا كَانَ يُفَكِّرُ فِي مَا يَعْقُبُ ذَلِكَ مِنْ فَضِيحَةٍ لثَلَاثَتِهِمْ: لِلزَّوْجِ، وَلِأَنَا، وَلَهُ هُوَ.

وَلَمَّا سَأَلَتْهُ عَنْ رَأْيِهِ، وَنَعَتْ عَلَى زَوْجِهَا تَشْبِيهُهُ وَحُمَقَهُ أَجَابَ: «أَجَلٌ... أَجَلٌ... إِنَّهُ كَذَلِكَ، عَلَى أَنَّ الْأُمُورَ يَجِبُ أَنْ تَجْرِي فِي مَجْرَاهَا، وَالنَّتِيجَةُ الطَّبِيعِيَّةُ لَا بُدَّ أَنْ تَأْتِي فِي حِينِهَا».

- «إِذَا؟»

- «لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَدُومَ الْحَالُ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ».

- «وَمَاذَا تَعْنِي؟»

- «ذَرِينِي أَفَكِّرُ، فَالْفِكْرُ قَمِينٌ بِإِضْفَاءِ الثُّورِ عَلَى الظُّلْمَةِ، وَسَتَتَحَدَّثُ مَلِيًّا فِي الْعِدَاةِ».

فَقَاطَعَتْهُ مُنْفَعِلَةً مُحْتَمِدَةً: «وَمَاذَا تُرَاكَ تَقُولُ؟ أَلَا تَرَى أَنَّهُ يُهَدِّدُنِي بِجِرْمَانِي مِنْ سِيرَجِ

ابْنِي؟»

فَقَالَ وَهُوَ لَا يُحَوِّلُ نَاطِرِيهِ عَن وَجْهِهَا: «إِنَّكَ مُخَيَّرَةٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لَا نَالِكَ لَهُمَا: إِمَّا أَنْ تَتَخَلِّيَ عَن وَلَدِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَسْتَمِرِّي هَذَا الْمَرْعَى الْمُدِلَّ».

- «أَتَذْكُرُ الْمَدَلَّةَ؟ مَاذَا تَقْصِدُ؟»

- «أَقْصِدُ الْمَوْقِفَ الْمُلْتَطَخَ لِكَلِينَا، وَلِزَوْجِكَ أَيْضًا وَلِوَلَدِكَ».

فصاحتُ مُتَأَوِّهَةً: «أَنْتِ آخِرُ مَنْ تَوَقَّعْتُ أَنْ يَتَفَوَّهَ بِهِذِهِ الْكَلِمَاتِ... أَنْتِ آخِرُ رَجُلٍ انْتَهَرْتُ أَنْ يُدْمِيَ قَلْبِي، وَيُضَيِّفَ جِرَاحًا إِلَى جِرَاحَاتِي. إِنَّنِي مُدٌّ وَقَعْتُ فِي حُبِّكَ لَمْ أَعُدْ أَقِيمٌ وَزَنَا لِلْعُرْفِ وَالتَّقْلِيدِ؛ لَقَدْ تَبَدَّلَ الْأَمْرُ وَأَصْبَحْتُ لَا أَحْيَا إِلَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَلَسْتُ أَقْوَى عَلَى مُتَابَعَةِ الْحَيَاةِ إِلَّا إِذَا تَسَمَّتُ أَرْجَكَ!»

- «عَلَى رِسْلِكَ يَا أَنَا، فَإِنَّ حُبِّي لَكَ هُوَ الْآخِرُ وَاسِعٌ كَاتِسَاعِ الْوُجُودِ، وَأَصْدُقُكَ الْقَوْلَ إِنْنِي أَشْعُرُ بِالزَّهْوِ كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِيكَ، فَلَا تُسَيِّئِي فَهَمَّ مَا أَقْصِدُ».

- «وَيْقُ، بِالزَّهْوِ يَا فَرُونْسَكِي، أَنِّي لَا أَسْتَشْعِرُ التَّدَامَةَ، فَأَنَا...».

وَنظَرْتُ فِي مَا حَوْلَهَا، وَهَمَّتْ مَدَامِعُهَا. وَلَهَيْتُ نَفْسُ الشَّابِّ، وَتَوَلَّاهُ أَسَى شَدِيدٌ، وَوَدَّ لَوْ بَكَى، وَدَّ لَوْ جَمَعَ الدُّنْيَا بِيَدَيْهِ وَقَدَّمَهَا لَهَا عُرْبُونًا عَلَى إِخْلَاصِهِ وَمَحَبَّتِهِ. لَكِنَّهُ تَجَلَّدَ، فَقَدْ يَكُونُ مُخْطِئًا، قَدْ لَا يَكُونُ فِي قَلْبِهِ حُبٌّ وَهَوَى، بَلْ عَاطِفَةٌ، عَاطِفَةٌ جَيَّاشَةٌ طَارِئَةٌ فَحَسْبُ».

وَتَرَدَّدَ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ: «أَمَا مِنْ خَلَاصٍ؟ أَمَا مِنْ سَبِيلٍ إِلَى الطَّلَاقِ؟»

وَلَمْ تُجِبْ، وَظَلَّ هُوَ يُحَدِّقُ إِلَى تَقَاطِعِهَا الْجَمِيلَةِ.

وَاسْتَتَلَى بَعْدَ فَيْتَةٍ: «وَإِذَا اسْتَحَالَ الطَّلَاقُ، فَهَلْ يَسْتَحِيلُ الْهِجْرَانُ؟ خُذِي ابْنَكَ وَاتْرُكِي زَوْجَكَ، وَسَاءَتَدَبَّرُ مَا يَتَلَوُ ذَلِكَ».

قَالَتْ: «رُبَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ، وَرُبَّمَا فَعَلْتُ غَيْرَهُ، وَسَأَقَابِلُهُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، وَلَنْ أَرْجِعَ قَبْلَ أَنْ أَبْتَ الْمَسْأَلَةَ».

قَالَ: «نِعِمَّا الرَّأْيُ رَأْيُكَ، فَلَنْتَنْظِرَ وَلَنْكُنَّ مِنَ الصَّابِرِينَ».

وَدَهَبَ فَرُونْسَكِي فِي سَبِيلِهِ. وَجَاءَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ فَعَادَرَتْ مَصِيفَهَا مُتَوَجِّهَةً إِلَى بَيْتِهَا فِي بَطْرَسْبِرْجِ.

وَصَلَّتْ أَنَا إِلَى الْمَنْزِلِ، وَتَرَجَّلْتُ مِنْ عَرَبِيَّهَا، وَهَمَّتْ بِالدَّرَجِ فَصَعِدَتْهُ مُتَّيِدَةً مُفَكَّرَةً.
وَسَأَلْتُ عَنْ زَوْجِهَا، فَلَمْ يُجِبْهَا أَحَدٌ بِمَا يَشْفِي الْغَلِيلَ. وَتَوَعَّرَ صَدْرُهَا غَضَبًا، فَعَنُفْتُ فِي
السُّؤَالِ، فَأُخْبِرْتُ أَنَّهُ فِي خَلْوَةٍ مَعَ مُسَاعِدِهِ.

وَانْتظَرْتُ أَنَا، حَتَّى إِذَا عِيلَ صَبْرُهَا، أَمَرْتُ أَحَدَ الْخَدَمِ بِأَنْ يُنْبِئَ سَيِّدَهُ بِمَقْدَمِهَا. وَرَجَعَ
الْخَادِمُ وَلَمْ يَأْتِ كَارِنِينَ.

وَتَوَجَّهْتُ هِيَ إِلَى قَاعَةِ قَرْيَةٍ مِنْ مَكْتَبِهِ، وَجَعَلْتُ تُحَدِّثُ خَادِمَةً وَتَرْفَعُ صَوْتَهَا مَتَعَمِّدَةً؛
وَلَكِنَّهَا أَخْفَقَتْ فِي تَنْبِيهِ زَوْجِهَا إِلَى وَجُودِهَا وَإِلَى تَفَادِ صَبْرِهَا.

وَلَمَّا ذَهَبَ الْمُسَاعِدُ دَلَفْتُ إِلَى غُرْفَةِ الْمَكْتَبِ، فَأَلْفَتُ زَوْجَهَا مُكْبًا عَلَى أَوْرَاقِهِ، وَقَدْ
ارْتَدَى مَلَاسُهُ الرَّسْمِيَّةَ.

وَرَفَعَ الرَّجُلُ رَأْسَهُ وَرَأَاهَا، وَتَحَرَّكَ فِي مَكَانِهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَنْتَصِبْ وَاقْفًا، بَلْ شَخَّصَ إِلَيْهَا
مُضْفِرَ اللَّوْنِ مُنْقَبِضَ الْجَبِينِ مُتَوَثِّرًا مُنْفَعِلًا.

وَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَ قَلِيلٍ أَنْ وَقَفَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ مِنْهَا فَصَافَحَهَا بِحَرَكَةٍ مُتْكَلِّفَةٍ، وَحَنَى لَهَا رَأْسَهُ
بِائْتِسَامِيَّةٍ مُعْتَصِيَّةٍ، وَقَالَ بِصَوْتٍ فَاتِرٍ: «لَقَدْ جِئْتُ الْآنَ كَمَا أَرَى، وَهَذَا يَسْرُنِي وَيَجْعَلُنِي
أَرْحُبُ بِمَقْدَمِكَ».

وَتَهَاكَّتْ عَلَى أَرِيكَةِ وَثِيرَةٍ، وَقَعَدَ هُوَ قَرِيبًا مِنْهَا. وَلَمَّا حَاوَلَ الْكَلَامَ أَغْيَاهُ الْقَوْلُ،
وَأُزْتِجَ عَلَيْهِ الْبَيَانُ.

وَكَانَتْ أَنَا قَدْ أَعَدَّتِ الْعِدَّةَ لِكُلِّ اِحْتِمَالٍ، وَاسْتَعَدَّتْ لِمُقَابَلَةِ الْعُنْفِ بِالْعُنْفِ، وَالتَّهْجُمِ
بِالتَّهْجُمِ، إِلَّا أَنَّهَا مَا كَادَتْ تُبْصِرُ بَوَاجِهُ الشَّاحِبِ الَّذِي ارْتَسَمَ عَلَى صَفْحَتِهِ مَا خَالَجَ قَلْبَهُ
مِنْ أَلَمٍ وَحُزْنٍ، حَتَّى رَثَّتْ لَهُ رِثَاءً شَدِيدًا، وَكَادَتْ تَبْكِي.

كَانَ يَتَخَوَّفُ سَيِّئًا، وَكَانَتْ مِثْلَهُ تَخْشَى أَمْرًا. فَالْخِيَانَةُ الزَّوْجِيَّةُ مَخُوفَةٌ، وَأَخُوفٌ مِنْهَا
جِلْمُ الزَّوْجِ وَأَنَاثَةُ وَتَفْكِيرُهُ.

وَانْتظَرْتُ الْمَرْأَةَ عَلَى أَحْرَّ مِنَ الْجَمْرِ، وَاسْتَعَرَ الْقَلْقُ فِي أَحْشَائِهَا.

وَتَكَلَّمَ هُوَ آخِرًا، فَقَالَ: «وَكَيْفَ تَرَكْتِ سِيرَجَ؟»

فَجَزَعَتْ أَنَا أَشَدَّ الْجَزَعِ، فَهَا هُوَذَا يَسْتَهْلُ حَدِيثَهُ بِالتَّكَلُّمِ عَلَى ابْنَيْهَا.

عَيْرَ أَنْ جَزَعَهَا انْقَلَبَ فِي مِثْلِ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَفَتَحَهَا إِلَى دَهْشَةٍ وَشَدِهِ، فَقَدَ عَقَبَ يَقُولُ:
«وَلَا مَدْوَحَةٌ لِي الْآنَ عَنِ مُغَادَرَةِ الْبَيْتِ، وَلَنْ أَعُودَ فِي مَوْعِدِ الْغَدَاءِ».

فَقَالَتْ بَلِينُ: «وَلِكِنِّي أَرْغَبُ، أَنَا الْأُخْرَى، فِي الذَّهَابِ إِلَى مُوسَى».

فَأَجَابَ بِسُرْعَةٍ: «يَجْدُرُ بِكَ أَلَّا تَرْحَلِي، بَلِ امْكُثِي».

وَلَفَّهُمَا سُكُونٌ مُمِضٌ، بَدَّدَتْهُ أَنَا بِقَوْلِهَا: «إِنَّكَ أَشْرَفُ مِنِّي يَا أَلِكْسِيسُ! لَقَدْ أَسَأْتُ
إِلَيْكَ، وَأَرَدْتُ أَنْتَ صُلْحًا، وَأَدَيْتُكَ، فَاعْتَفَرْتُ كَرِيمًا! وَلِكِنِّي شَرِيرَةٌ، شَرِيرَةٌ، وَلَنْ أَرْتَدِعَ.
لَقَدْ أَلْنَتِ الْقَوْلَ، وَإِنِّي أَجْتَرِي عَلَيْكَ، فَأُخْبِرُكَ أَنَّ دُونَ إِصْلَاحِ الْأَمْرِ حَرْطُ الْقِتَادِ، وَأَنَّ مَا
انْصَدَعَ لَنْ يُرَأَبَ أَبَدًا».

فَحَدَجَهَا بِنَظَرَةٍ غَاضِيَةٍ، وَكَأَنَّ حَقْدَهُ مَا انْفَكَّ يَبْحَثُ عَنِ الْعِلَلِ، وَأَجَابَ: «لَا شَكَّ أَنَّ
حُسْنَ الْكَلَامِ لَا يُعَيِّرُ مَا فِي النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ. غَيْرَ أَنِّي أَصِرُّ عَلَى وُجُوبِ بَقَائِكَ، فَاحْذَرِي
مَعَبَّةَ الْعُضْبَانِ، وَثِقِي أَنِّي أَغْمِضُ عَيْنِي عَلَى الْقَدَى، وَسَأُبْقِيهِمَا مُغْمَضَتَيْنِ مَا بَرِحَتْ حَرِيصَةٌ
عَلَى عَدَمِ تَلَوِيهِ اسْمِي بِانْحِطَاطِكَ! وَأَنِّي لَأَرْجُو أَنَّ لَا تُرْغِمَنِي بِحِمَاقَتِكَ وَتَهَوُّرِكَ عَلَى
رُكُوبِ الْمَرْكَبِ الْحَشِينِ الَّذِي يُمْلِيهِ عَلَيَّ حِرْصِي عَلَى اسْمِي وَمَرْكَزِي».

فَنَكَّسَتْ طَرْفَهَا، وَتَمَتَّتْ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ مَهْمُوسٍ: «أَتَبْقَى صِلَتِي بِكَ كَمَا كَانَتْ، صِلَةٌ
زَوْجٍ بَزَوْجِهَا، مِنْ كُلِّ وُجُوهِهَا؟»

فَلَمْ يُجِبْهَا، بَلِ ظَلَّ يَتَأَمَّلُ فِيهَا وَيُفَكِّرُ فِي مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ.

وَكَأَنَّ مَوْقِفَهُ وَعِنَادَهُ اسْتَلَّ مِنْ قَلْبِهَا مَا اسْتَشْعَرَتْهُ مُنْذُ دَقَائِقَ مِنَ الشَّفَقَةِ وَالرِّثَاءِ،
فَاسْتَتَلَّتْ: «لَا، لَا، لَنْ أَكُونَ لَكَ زَوْجًا بَعْدَ الْيَوْمِ، بَلِ سَأَكُونُ رَفِيقًا قَرِيبًا بِجَسَدِهِ مِنْكَ،
بَعِيدًا بِرُوحِهِ وَعَاطِفَتِهِ وَإِحْسَاسِهِ، عَنكَ».

فَصَحَّحَكَ سَاحِرًا، أَوْ تَضَاحَكَ، وَقَالَ: «أَيْنَ ذَكَوُوكُ؟ هَلْ عَصَفَتْ بِهِ حَالَتُكَ الْمُزْرِيَةُ الَّتِي
تَرَدَّيْتَ فِي حِمَائَتِهَا؟^(١) إِنِّي، إِذْ بَيَّنْتُ لَكَ مَرَامِي، لَمْ أَرْمِ قَطُّ إِلَى مُرَاوَلَةٍ مَا انْقَطَعَ بَيْنَنَا مِنْ
عِلَاقَةِ زَوْجِيَّةٍ. فَمَاضِيكَ النَّقِيَّ سَيَبْقَى مُخَلَّدًا فِي ذَاكِرَتِي؛ لَنْ أَمْزِجَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَاضِرِكَ
الْمَسِينِ، وَسَأُنَاقِي عَنكَ مُجَارَاةً لَشُعُورِي وَرَغْبَتِكَ».

(١) فِي حِمَائَتِهَا: فِي وَحْلِهَا.

وَبَدَّدَتْ جُرْأَتُهَا، وَلَمْ تَدْرِ مَا تَقُولُ. فَهَوَ عَلَى حَقٍّ، وَالْبَرِيءُ شُجَاعٌ، أَمَّا الْمُذْنِبُ...
وَالْبَرِيءُ ذَلِيقُ اللِّسَانِ، أَمَّا الْمُذْنِبُ...

وَاسْتَجَمَعَتْ مِنَ الضَّعْفِ قُوَّةً، فَقَالَتْ: «أَبْنُ، أَفْصَحَ عَنِ نِيَّاتِكَ، مَاذَا تَبْتَغِي مِنِّي؟»

فَقَالَ فِي حَزْمٍ وَصِرَاحَةٍ: «سَأَتَغَاضَى كَمَا قُلْتَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا عَنِ رُؤْيَةِ هَذَا الرَّجُلِ فِي مَنْزِلِي، فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَقْبِلِيهِ هُنَا. ثُمَّ احْرَصِي عَلَى أَنْ لَا تُثِيرِي رِيْبَ النَّاسِ لِيَلَّا يَعْلَمُوا لِعَطْفِهِمْ. وَهَذَانِ طَلَبَانِ مُتَوَاضِعَانِ كَمَا تَعْلَمِينَ، هَذَا طَلَبَانِ إِنْ وَقِيَتْ بِهِمَا وَقِيَتْ نَفْسِكَ مِنْ كُلِّ سَوْءٍ مُنْتَظَرٍ».

وَلَمْ تَرَ أَنَا فِي كَلَامِ زَوْجِهَا مَا يُثِيرُ نِقَمَتَهَا، فَهَوَ عَلَى حَقٍّ فِي حِرْصِهِ؛ وَهِيَ، هِيَ...
لَقَدْ عَلِقَ قَلْبُهَا بِالغَايَاتِ، فَمَاذَا يَضِيرُهَا لَوْ جَارَتْهُ فَلَمْ تَقْضِ عَلَيْهِ الْقِضَاءَ الْمُبْرَمَ؟

وَغَادَرَهَا أَلِكْسِيسُ. مَضَى الرَّجُلُ الْمَهِيضُ الْجَنَاحِ فِي سَبِيلِهِ، وَكَانَ مَثْلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ
يَتَعَلَّقُ بِخَيْطٍ وَاهٍ لَا يَلْبُثُ أَنْ يَقْطِعَ، أَوْ يَتَشَبَّهُ بِخَسْبَةِ صَغِيرَةٍ لَا تُبْطِئُ أَنْ تَقْلِتَ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ، لِيَعْوَصَ فِي لُجَّةِ سَحِيقَةٍ لَا قَرَارَ لَهَا!

لَقَدْ رَكَنَ إِلَى رَأْيِهِ، وَأَيَّقَنَ أَنَّ طَرِيقَتَهُ تِلْكَ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمَأْمُونَةُ، وَهَذَا شَأْنٌ كُلُّ وَائِقٍ مِنْ
نَفْسِهِ، مُعْتَدٌّ بِمَقْدَرَتِهِ مُؤْمِنٌ بِرَجَاحَةِ تَفْكِيرِهِ...

أَمَّا الْعَاقِبَةُ، فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا عِلَامُ الْغُيُوبِ! وَأَمَّا النَّيْجَةُ فَهِيَ سِرٌّ مَكْنُونٌ سَوْفَ تَتَمَخَّضُ
عَنْهُ الْأَيَّامُ!

أَسْئَلَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ

- ١ - صَنَعَ لِهَذَا الْفَصْلِ عُنْوَانًا مُنَاسِبًا .
- ٢ - لِمَاذَا ضَرَبْتَ أَنَا مَوْعِدًا لِعَشِيقِهَا فِي مَنَزِلِ الْأَمِيرَةِ «بَتْسِي»؟ أَلَا يَدُلُّ هَذَا عَلَى أَنَّ لِلْأَمِيرَةِ دَوْرًا فِي رِعَايَةِ حُبَّهْمَا؟
- ٣ - دَارَ حِوَارٌ طَوِيلٌ بَيْنَ أَنَا وَفِرُونْسْكِ . هَلْ كَانَ هَذَا الْحِوَارُ مُلَائِمًا لِلْمَوْقِفِ؟ وَهَلْ كَانَ مُلَائِمًا لِشَخْصِيَّةِ الْمُتَكَلِّمِ؟ عِلَّلْ إِجَابَتَكَ .
- ٤ - مَا نَظَرْتِكَ إِلَى مُكَاشَفَةِ أَنَا زَوْجِهَا بِالْأَمْرِ؟ أَهِيَ جُرْأَةٌ، أَمْ صِرَاحَةٌ، أَمْ وَقَاحَةٌ؟ عِلَّلْ مَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ .
- ٥ - أَلَا تَرَى مَعْنَى أَنَّ أَنَا تَحَدَّثُ الْمُجْتَمَعَ مِنْ حَوْلِهَا وَخَرَجْتُ فِي مَسَلِكِهَا عَنِ الْمَأْلُوفِ؟ فَعَلَامَ يَدُلُّ سَلُوكُهَا هَذَا؟
- ٦ - قَارِنِ بَيْنَ شَخْصِيَّتِي فِرُونْسْكِ وَكَارِنِينَ، مُسْتَفِيدًا مِنْ الْحِوَارِ الَّذِي دَارَ بَيْنَ أَنَا وَكُلِّ مِنْهُمَا .
- ٧ - أَوْجِزْ مَضْمُونَ الْفَصْلِ فِي أَسْطُرٍ قَلِيلَةٍ .

الفصل الرابع

عاشَ الزَّوْجَانِ فِي بَيْتِهِمَا كَمَا يَعِيشُ غُرَبَايَانِ قَضَتْ عَلَيْهِمَا الظُّرُوفُ أَنْ يَتَجَاوَرَا . عَاشَا مَعًا ، وَلَكِنَّهُمَا كَانَا بَعِيدَيْنِ كُلَّ البُعْدِ ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمَا كَانَا يَتَقَابِلَانِ وَيَتَحَادَثَانِ ، وَلَا يُظْهِرَانِ مَا يَعْتَمِلُ فِي قَلْبِ كُلِّ مِنْهُمَا مِنَ التُّقُورِ وَالجَفْوَةِ .

عَلَى أَنَّهُ تَجَنَّبَ طَاقَتَهُ الجُلُوسَ مَعَهَا إِلَى مَائِدَةِ طَعَامٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَانَ لِهُدَا يَتَنَاوَلُ طَعَامَهُ خَارِجَ المَنْزِلِ .

كَمَا أَنَّهَا امْتَلَكَتْ لِرَغْبَتِهِ ، فَتَجَنَّبَتْ دَعْوَةَ حَبِيبِهَا إِلَى بَيْتِهَا ، وَلَوْ أَنَّهَا كَانَتْ تَلْتَقِيهِ كَثِيرًا خَارِجَ المَنْزِلِ .

وَعَلِمَ كَارِنِينُ مِنْ أَمْرِ زَوْجِهِ كُلِّ شَيْءٍ ، لَكِنَّهُ طَوَى كَشْحَهُ عَنْهَا وَعَنْ أَخْبَارِهَا ، وَلَمْ يُفَاتِحْهَا بِشَيْءٍ مِمَّا يَمَسُّهَا وَيَتَّصِلُ بِعَلاَقَتِهَا المُحَرَّمَةِ .

وَقَدْ دَاخَلَ الرَّجُلُ مِنْ مَوَدَّةِ زَوْجِهِ لِفِرَونِسْكِي مَا مَلَأَ قَلْبَهُ اشمِئزَازًا ، فَمَقَّتَهَا وَاخْتَفَرَهَا ، وَأَيَّقَنَ أَنَّ هَذِهِ العَلاَقَةَ لَنْ تَبْقَى سِرًّا ، بَلْ إِنَّهَا مِنَ الأُمُورِ الَّتِي تُفْشَو سَرِيعًا وَتُظْهِرُ إِلَى العِيَانِ ، وَلَا يَلْبِثُ النَّاسُ أَنْ يَتَحَدَّثُوا بِهَا .

إِنَّهُ لَذَنْبٌ عَظِيمٌ ، وَسُكُوتُهُ ذَنْبٌ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ !

وَكَأَنَّ أَنَا وَثِقْتُ بِوَعْدِهِ وَأَطْمَأْنَنْتُ إِلَى خَوْفِهِ ، فَتَمَادَتْ فِي عَيْهَا ، وَأَسْرَفَتْ فِي اتِّصَالِهَا بِحَبِيبِ قَلْبِهَا .

وَكَانَ مِنْ شَأْنِ غُلُوَانِهَا أَنْ تَزِيدَ النَّارَ انْدِلَاعًا ، وَأَنْ يَنْسَدِلَ سِتَارُ السَّقَاءِ عَلَى البَيْتِ الهَادِي ، فَلَا يَنْعَمُ صَاحِبُهُ بِسَاعَةِ صَفَاءٍ ، وَلَا يَغْرِفُ السَّلَامَ إِلَى قَلْبِهِ مَدْخَلًا !

وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يَرْجُو أَنْ تَعُودَ أَنَا إِلَى رُشْدِهَا ، فَتَرْعَوِي نَادِمَةً سَادِمَةً^(١) وَتُقْلِعَ عَنِ الفُحْشِ

(١) سَادِمَةٌ : نَادِمَةٌ مُعْتَاطَةٌ .

شَفَقَةً عَلَى بَيْنِهَا مِنَ الْإِنْهِيَارِ، وَمُسْتَقْبَلِ ابْنِهَا مِنَ الزَّوَالِ .

كَانَ صَبْرُهُ لِأَمَلٍ فِي انْبِلَاجِ الْفَجْرِ بَعْدَ الْحُلُكَةِ الرَّهِيْبَةِ .

أَمَّا أَمَلُهَا فَكَانَ الْاسْتِمْرَارَ، الْاسْتِمْرَارَ فِي النَّهْلِ مِنْ مَنَبَعِ الْحُبِّ حَتَّى تَزْتَوِي . وَأَنَّى لَهَا أَنْ تَتَّقَعَ صَدَى النَّفْسِ؟ أَنَّى لَهَا أَنْ تَكْتَفِي، وَالْعَاطِفَةُ فِي صَدْرِهَا جَيَاشَةٌ فَوَارَةٌ، تَقْوَى مَعَ الْأَيَّامِ وَيَزْدَادُ عُثْوَانُهَا!

وجارى فرونسكي حبيبتة، فوكل أمره للقدر، وتساقى معها في كل يوم كؤوس الهوى
دهاقاً^(١)!

لكنَّ حالته كانت كحالتها، اضطرابٌ وقلقٌ وتوجُّسٌ وانتظارٌ . وكذلك كانت حالة الزوج
الصَّابِرِ عَلَى صِيمِ .

ولمَّا مَضَى مِنَ الشَّتَاءِ نِصْفُهُ، قَضَى فرونسكي أسبوعاً مُتَعَبًا، كَلَّ فِيهِ مِنْ كَثْرَةِ الْحَرَكَةِ،
وَأَرْهَقَتْ أَعْصَابُهُ الرَّسْمِيَّاتُ الَّتِي أَرْغَمَ عَلَى مُرَاعَاتِهَا .

فقد وَفَدَ عَلَى الْبِلَادِ صَنِيفٌ لَهُ مَكَانَةٌ وَقَدْرٌ . وَكَانَ هَذَا الْوَافِدُ الْأَجْنِبِيُّ أَمِيرًا شَاءَ أَنْ يُلِمَّ
بِطِرْسَبِرْجِ زَائِرًا، فَاخْتَارَتِ الْحُكُومَةُ فرونسكي لِصَاحِبِهِ فِي حَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ . وَقَدْ بَرِمَ الشَّابُّ
بَرَمًا شَدِيدًا، لَكِنَّهُ كَتَمَ مَا فِي نَفْسِهِ، وَأَمْضَى أَيَّامَهُ مَعَ الْأَمِيرِ، يَسْرُحُ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُلَبِّي
طَلْبَاتِهِ، وَيَضْبِرُ عَلَى تَرْثَرَتِهِ . وَكَانَ هَذَا الْأَمِيرُ أَيْضًا مُتَهَافِتًا عَلَى اللَّهْوِ، يَغْشَى مَطَارِحَهُ، وَلَا
يَرْبُأُ بِنَفْسِهِ عَنِ انْتِهَابِ اللَّذَّةِ وَلَوْ عَلَى حِسَابِ اسْمِهِ وَمَالِهِ . وَقَدْ قَسِرَ فرونسكي عَلَى مُصَاحَبَتِهِ
وَمُمَاشَاتِهِ فِي عَبْتِهِ حِينَ مِنَ الْوَقْتِ، لَمْ يُكْحَلْ عَيْنِيهِ فِي أَثْنَائِهِ بِمُشَاهَدَةِ حَبِيبَتِهِ .

وَاتَّفَقَ، وَهُوَ فِي إِبَانِ انْهِمَاكِهِ مَعَ الْأَمِيرِ الثَّقِيلِ، أَنْ رَجَعَ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ مُبَكَّرًا إِلَى
مَسْكَنِهِ، فَوَجَدَ فِي انْتِظَارِهِ رُقْعَةً بَحْطًا أَنَا، فَفَضَّهَا مُسْتَعْجَلًا وَقَرَأَهَا، فَإِذَا فِيهَا:

«أَنَا مَرِيضَةٌ وَتَاعَسَةٌ، لَا أَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ، وَلَا أَقْوَى عَلَى الْعَيْشِ مِنْ دُونِ أَنْ أَرَكَ!
فَتَعَالَ اللَّيْلَةَ . . . إِنَّ زَوْجِي أَلِكْسِيْسَ يَذْهَبُ إِلَى دَارِ الْحُكُومَةِ فِي السَّابِعَةِ وَيَقْفُلُ رَاجِعًا فِي
الْعَاشِرَةِ . تَعَالَ، أَرْجُوكَ» .

وَكَانَ فرونسكي قَدْ حَظِيَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ بِرُبُوبَةِ «الْكُولُونِيلِ»، فَغَادَرَ الثُّكُنَةَ الْعَسْكَرِيَّةَ وَأَوْى

(١) دِهَاقٌ: مُنْتَلِئَةٌ .

إلى مَسْكَنِ صَغِيرٍ جَمِيلٍ .

وتَبَلَّغَ بِيَعْضِ الطَّعَامِ، ثُمَّ نَضَا عَنْهُ مَلَابِسَهُ وَرَقَدَ فِي فِرَاشِهِ. لَكِنَّهُ لَمْ يَنَمْ، وَظَلَّ مُحَدِّقًا إِلَى السَّقْفِ، يُفَكِّرُ بَأَنَّا، وَيَرَى وَجْهَهَا وَقَدَّهَا، وَيَسْمَعُ كَلَامَهَا وَضِحْكَهَا .

ودَاعَبَ الوَسْنَ عَيْنِيهِ بَعْدَ سَاعَةٍ، فَأَغْفَى، وَلَمْ يُفِقْ إِلَّا وَالظَّلَامُ يُسْرِبِلُ الدُّنْيَا بِغِلَالِيهِ السَّوْدَاءِ .

وَعَادَرَ فِرَاشَهُ مُسْرِعًا، وَاغْتَسَلَ، وَتَأْتَقَ، وَرَكِبَ عَرَبَةً صَغِيرَةً مُتَوَجِّهًا إِلَى مَنْزِلِ مَحْبُوبِيهِ .
وَلَمَّا وَصَلَ كَانَتِ السَّاعَةُ تُشِيرُ إِلَى الثَّامِنَةِ .

وَتَهَيَّبَ الدُّخُولَ، فَكَيْفَ يَجْسُرُ؟ أَلَا يَزِدُّهُ شُعُورُهُ؟ أَلَا يَضْرِبُهُ ضَمِيرُهُ؟

لَكِنَّهُ عَادَ فَفَضَّ مِنْ ذَهْنِهِ هَذِهِ الْأَفْكَارَ، وَخَطَا إِلَى صَحْنِ الدَّارِ. إِلَّا أَنَّهُ فَوَجَّعَ بَكَارِنِينَ نَفْسِهِ يَخْرُجُ مِنْ عُرْفَةٍ جَانِبِيَّةٍ. وَجَمَدَ الرَّجُلَانِ، وَوَقَفَا يَتَبَادَلَانِ النَّظْرَاتِ .

وَقَرَأَ كُلُّ مِنْهُمَا شَيْئًا خَطِيرًا مَحْفُورًا فِي وَجْهِ الْآخِرِ. وَتَفَصَّدَ جَبِينُ الزَّوْجِ بِالْعَرَقِ، وَبَرَّقَتْ عَيْنَا فَرُونْسَكِي، وَظَلَّ يُحَدِّقُ إِلَى الْوَجْهِ الشَّاحِبِ الْمُضْفَرِّ، وَهُوَ حَائِرٌ لَا يَدْرِي مَا يَفْعَلُ .

إِلَّا أَنَّ كَارِنِينَ مَسَّ طَرْفَ قُبُعَتِهِ بِإِضْبَاعِهِ، ثُمَّ انْحَرَفَ قَلِيلًا وَعَادَرَ الْبَيْتَ .

ذَهَبَ الزَّوْجُ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ، وَدَخَلَ الْعَشِيقُ خِذْرَ الزَّوْجِيَّةِ، دَخَلَ الْمَخْدَعَ الَّذِي رَكَنَتْ إِلَيْهِ زَوْجَةٌ مَجْنُونَةٌ!

وَحَدَّثَ كَارِنِينَ نَفْسَهُ مِنْ دُونِ أَنْ يَفْقَهُ مَا قَالَهُ لِسَانُهُ .

وَلَوْحَ فَرُونْسَكِي بِيَدِهِ، وَقَالَ: «مُصَادَفَةٌ... مُصَادَفَةٌ حَسَنَةٌ. لَا أَبَالِيهِ، لَا أَخْفِلُهُ. وَلَكِنْ، مَا خَطْبُهُ؟ لِمَ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا؟ لِمَ لَا يَذُبُّ^(١) عَنْ شَرَفِهِ بِمُقَاتَلَتِي؟ تَبَّأَ لَهُ مِنْ رِغْدِيدِ! أَلَا يَتَحَرَّكُ حَتَّى أَنْهِيَ الْمَسْأَلَةَ وَأَبْتُ الْأَمْرَ؟

وَتَقَدَّمَ إِلَى عُرْفَةِ أَنَا، وَطَرَقَ الْبَابَ خَفِيمًا وَفَتَحَهُ. كَانَتْ أَنَا بِأَدِيَةِ الْإِنْفِعَالِ، تَذَرَعُ

(١) يَذُبُّ: يَدْفَعُ.

المَكَانَ^(١) مُهْتَاجَةً مُضْطَرِبَةً. وما شاهدته يَدْخُلُ حَتَّى هَتَفْتُ وَهِيَ تَشْرُقُ: «هذا مُرِيعٌ! إِنَّهُ لَا يُحْتَمَلُ!»

قَالَ: «خَفَّفِي عَنكَ يَا أَنَا، مَاذَا دَهَائِكُ؟ مَاذَا أَلَمَّ بِكَ؟»

قَالَتْ: «عَذَابٌ، عَذَابٌ، تَوَثَّرَ شَدِيدٌ وَانْفِعَالٌ وَهِيَاجٌ دَائِمَانِ، وَأَنَا أَتَحَرَّقُ لَيْلَ نَهَارَ عَلَى نَارٍ مُتَلَطِّئَةٍ. لَقَدْ كَطَّنْتِي^(٢) حَالَتِي وَبَهَظَّنْتِي^(٣) وَضَعَيْتِي، لَنْ أَضِيرَ أَكْثَرَ مِمَّا صَبِرْتُ. ثُمَّ تَتَلَكَّأُ أَنْتَ وَتَتَأَخَّرُ، وَتَمْضِي السَّاعَاتُ وَأَنَا أُعْلَلُ النَّفْسَ، فَمَاذَا جَرَى يَا تُرَى؟»

وَدَنْتَ مِنْهُ، وَطَرَفُهَا يَتَمَلَّى أَسَارِيرَهُ، فَبَانَ فِي لَحْظِهَا الْفَاتِنِ مَعْنَى عَمِيقٍ مِنْ مَعَانِي الْحُبِّ الرَّاسِخِ.

وَجَلَسَ الْإِنْتَانِ، وَلَفَّ هُوَ ذِرَاعَهُ حَوْلَ خَصْرِهَا، وَقَبَّلَهَا، وَهَدَّهَدَ حَدَّهَا، حَتَّى إِذَا مَا هَدَأَ نَائِرُهَا، رَنَّتْ إِلَيْهِ مَتَوَدِّدَةً وَقَالَتْ: «إِخَالِكُمَا تَقَابَلْتُمَا وَجْهًا لَوْجِهِ، فَهَلْ تَكَلَّمْتُمَا؟»

قَالَ: «لَمْ تَبَادَلِ الْكَلَامَ بَلِ النَّظْرَاتِ».

قَالَتْ: «خَيْرًا فَعَلْتُمَا».

قَالَ: «إِلَّا أَنِّي أَعْجَبُ مِنْ هَذَا الْحَطِّ، فَقَدْ ذَكَرْتِ أَنَّهُ ذَاهِبٌ إِلَى دَارِ الْحُكُومَةِ، فَكَيْفَ...؟»

فَقَاطَعَتْهُ قَائِلَةً: «لَا أَعْلَمُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا، أَوْ بِالْآخِرَى لَمْ أَعُدْ أَعْلَمُ. فَقَدْ ذَهَبَ وَعَادَ، ثُمَّ ذَهَبَ كَرَّةً ثَانِيَةً كَمَا رَأَيْتَ».

قَالَ: «لَعَلَّهُ يُبَيِّتُ أَمْرًا».

قَالَتْ: «لَا أَبَهُ، فَلْيُضْمِرْ كُلَّ الشَّرِّ. أَمَّا أَنْتَ، فَحَدِّثْنِي عَنِ أَمِيرِكَ».

قَالَ: «إِنَّهُ مُتَعَبٌ، وَضُحْبَتُهُ تُفْعِمُنِي سَأْمًا، وَهُوَ الْيَوْمَ مُتَوَعِّكٌ يَلُودُ بِمَرْقَدِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ».

فَفَرَّقَرْتُ أَنَا مُغْتَبِطَةً، لِكِنَّهَا سُرْعَانَ مَا قَالَتْ مُقْطَبَةً: «عَلَى أَنْكَ أَرْجَيْتَ مَعَهُ وَقَتًا طَيِّبًا،

(١) تَذَرَعُ الْمَكَانَ: تَذَهَبُ فِيهِ وَتَجِيءُ (وَالْأَصْلُ أَنَّهَا تَقِيْسُهُ).

(٢) كَطَّنْتِي: عَمَّنْتِي وَأَتَقَلَّنْتِي.

(٣) بَهَظَّنْتِي: أَثْقَلَنْتِي، سَبَّبْتُ لِي مَشَقَّةً.

وَصَحِبْتُهُ إِلَى مَلاهي المَدِينَةِ كُلِّهَا. وَأَنْتَ رَجُلٌ، وَالرَّجَالُ لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الْجِتْنَاءِ لَذَّةٍ.

فَنَظَرَ إِلَيْهَا مَنهوتًا، وَأَفْزَعَهُ فِي مُحَيَّاها تَقَلُّصُ غَاضِ مَعَهُ جَمالِها، وَوَلَى رِيَّها، وَلَكِنَّهُ كَتَمَ اشمِئزازَهُ وَرُعبَهُ وَأَجابَ: «لا صِلَّةَ لي بِالْمُجُونِ، فَقَدْ صَدَفْتُ عَنْهُ مُنذُ زَمَنِ، وَثِقي أَنَّ صُحْبَتِي لِلأَميرِ تَوَلَّاني مِنْها ضَجْرٌ لا يَعدِلُهُ ضَجْرٌ».

فَتَقَرَّسَتْ فِيهِ مُرتابَةً مُشكَّكَةً، وَقالتْ: «على أَنِّي وَقَفْتُ على أَخبارِ اللَّيْلَةِ الحَمراءِ الَّتِي أَحياها الأَميرُ».

- «وماذا في ذلك؟ وما شأني به؟»

- «أَلَمْ تُسهِمِ مَعَهُ فِي الحَفْلَةِ؟»

- «لا. فَقَدْ كُنْتُ فِي مَعزِلِ عَنِ الجَميعِ بِفِكرِي».

- «وماذا تقولُ عَنِ الفَتاةِ المُسْتَهْتِرَةِ الَّتِي تَعَرَّتْ وَرَقَصَتْ رَقَصَتِها الصَّاخِبَةَ؟»

- «وهل ألامُ أنا؟ هل أَمْنَعُ ما يُريدُهُ صاحِبُ الحَفْلَةِ؟»

- «وَيَ لَكُمُ يا رِجالَ اليَومِ! تَقْتَرِفونَ الفاجِشَةَ ثُمَّ تُنكِرُونَ! وَتَرْتَكِبونَ المُنكَرَ ثُمَّ تَنصَلونَ!

وَأنا، أَنا الَّتِي أَهواكَ وَأَعْبُدُكَ، هل أَعْرِفُ عَنكَ إِلا النُّزَرَ اليَسيرَ، هل أَعْرِفُ ما تَقومُ بِهِ فِي غَفْلَةٍ عَنِّي؟»

- «كَفَّاكِ لَعوًا يا أَنا فَأَنْتِ تُجْهِدينَ نَفْسَكَ فِي ما لا طائِلَ تَحْتَهُ، أَنْتِ تُثيرينَ أَلَمِي،

وَعَذابي بِهَذِهِ التُّرْهاتِ!»

- «أَصَبْتَ، أَنا أَفَعَلُ هَذا لِكِنَّ وَحَدَتِي قاسِيَةً، قاسِيَةً لا تُجارِياها فِي قَسوتِها مِلااةُ امْرَأَةٍ،

أَلا فَلتُغَضِّ وَلتُنْسِ!»

وَقَبَّلَتْهُ، وَبادَلَتْها القُبْلَةَ.

كانت في المدة الأخيرة قد قصرت همته، وقللت من حبه لها بما أبدته من علامات

الغيرة، حتى شعر بالرابطة الوثيقة تنحل عراها، وبالعلاقة الوطيدة تنقطع حلقاتها.

كان يستغضب كلامها من قبل، وكان كل ما تقوله يحسن موقعه في قلبه. وما أكثر ما

ناجى نَفْسَهُ قَائِلًا: «لِتُحِبَّنِي فَقَطْ، لِتُحِبَّنِي! فَأُصْبِحَ أَسْعَدَ أَهْلِ الْأَرْضِ طُرًّا».

ولكن، لما أَحَبَّهُ هذا الحُبَّ الجارِفَ، وَعَشِقْتُهُ وتَدَلَّهَتْ بِهِوَاهُ، وَتَبَعَ ذَلِكَ غَيْرَةٌ نَهَاشَةٌ اتَّقَدَّتْ نيرانها، واضْطَرَمَّتْ كأفوى ما تكون، تَلَاشَى حُبُّهُ الْأَوَّلَ، وَجَعَلَ يُفَكِّرُ وَيَعْجَبُ وَيَتَضَايِقُ. ثُمَّ إِنَّ شُعُورَ الْهِنَاءِ الَّذِي تَسَرَّبَ إِلَى قَلْبِهِ، يَوْمَ أَعْرَبَتْ لَهُ عَنْ حُبِّهَا، لَمْ يُعَدِّ لَهُ وُجُودًا. وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّهُ جَعَلَ يَتَحَسَّرُ عَلَى الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ، وَيَرَى فِيهَا سَعَادَتَهُ الْفَائِيَةَ، وَيَوَدُّ لَوْ رَجَعَتْ، يَوَدُّ لَوْ فَقَدَ مَا كَسَبَ، يَوَدُّ لَوْ بَقِيَ كَمَا كَانَ.

لَقَدْ تَبَدَّلَتِ الْحَالُ، وَتَبَدَّلَتْ أَنَا، وَلَمْ تَعُدْ كَمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلُ، لَمْ تَعُدْ جَمِيلَةً يَنْضَحُ الْحُسْنُ مِنْ مُحَيَّاها وَجَسَدِهَا. لَمْ تَعُدْ كَمَا كَانَتْ غَائِيَةً بَسَامَةً الثُّغْرِ، رَيَانَةً الْقَدِّ؛ جَدَابَةٌ الْكَلِمَةِ... أَلَمْ يَرَوْهَا سَاعَةً غَضِبَتْ؟ أَلَمْ يَشْهَدْ تَقَاطِعَهَا تَقَلُّصُ عَنْ كُرِّهِ وَغَيْرِهِ؟

ثُمَّ أَلَمْ يَجِنِ مَا يُرِيدُ؟ فَلِمَ يُسْرِفُ فِي هَوَاهُ إِذَا، مَا دَامَ قَدْ حَصَلَ عَلَى كُلِّ مَا ابْتِغَاهُ؟ وَهَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِدَّ فِيهَا أَكْثَرَ مِمَّا وَجَدَ؟

وَهُوَ فِي كُلِّ طَوْرِ مِنْ أَطْوَارِ حَيَاتِهِ كَانَ يَعْتَدُّ بِقُوَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَيُؤْمِنُ بِأَنَّهُ لَا يَعْجِزُ فِي كُلِّ وَقْتٍ عَنِ الْإِفْلَاحِ عَنْ حُبِّ امْرَأَةٍ مَهْمَا كَانَ رَاسِخَ الْجُدُورِ، وَأَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْفِيَ عَنْ عَادَةٍ مَهْمَا كَانَتْ مُمْتَكِنَةً مِنْ حَيَاتِهِ، فَكَيْفَ الْحَالُ مَعَ هَذَا الْحُبِّ الْجَدِيدِ الَّذِي لَمْ يَعُدْ جَدِيدًا؟ كَيْفَ الْحَالُ مَعَ حُبِّهِ لَامْرَأَةٍ ظَهَرَ لَهُ مِنْ غَيْرَتِهَا مَا مَلَأَ فُؤَادَهُ نُفُورًا وَرَغْبَةً فِي الْإِبْتِعَادِ؟

وَقَدْ لَاحَظَتْ فِيهِ أَنَا مَا أَخَافُهَا، فَجَعَلْتُ تَقُولُ وَصَوْتُهَا يَفْضَحُ نَدَامَتَهَا:

«لَنْ أَخْضَعَ لِنَأْمَةِ الْغَيْرَةِ، وَسَأَطْرَحُهَا جَانِبًا مَهْمَا كَانَ الْأَمْرُ، فَأُخْبِرُنِي الْآنَ، حَدِّثْنِي عَنْ الْأَمِيرِ صَاحِبِكَ، وَعَنْ سَبَبِ بَرْمُوكَ بِهِ وَبِرْفَقَتِهِ».

فَضَحِكَ فَرُونْسُكِي وَقَالَ: «إِنَّ عَادَاتِهِ قَبِيحَةً مُسْتَهْجَنَةً، وَقَدْ فَكَّرْتُ مِرَارًا فِي إِغْفَاءِ نَفْسِي مِنْ مُصَاحَبَتِهِ، لَكِنِّي صَبَرْتُ عَلَى كُرِّهِ حَتَّى لَا أُسِيءَ إِلَى مَرَكَزِي. إِنَّهُ وَالْحَقُّ يُقَالُ حَيَوَانٌ بِهِيْمٌ عَقِدٌ عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ، حَتَّى يَطُوفُوا بِهِ فِي أَنْحَاءِ الْبِلَادِ، وَحَتَّى يَرَاهُ كُلُّ الْعِبَادِ».

فَابْتَدَرْتُهُ مُتَعَجِّبَةً مُسْتَفْهِمَةً: «وَكَيْفَ تُسْأَلُ لَكَ نَفْسُكَ هَذَا الْقَوْلَ، وَمَكَانَتَهُ فِي الْعِلْمِ وَالْإِطْلَاقِ لَا يَجْهَلُهَا إِنْسَانٌ؟»

«أَصَبْتُ، إِلَّا أَنَّهُ أَخْلَى رَأْسَهُ مِنَ الْفِكْرِ، وَكَأَنَّهُ عِنْدَمَا جَمَعَ الْعِلْمَ، جَمَعَ مَعَهُ الْجَهْلَ، أَوْ كَأَنَّهُ عِنْدَمَا حَصَلَ عَلَى الْمَعْرِفَةِ حَصَلَ عَلَى عَدَمِ الْمَعْرِفَةِ!»
فَضَحِكْتُ أَنَا.

وَاسْتَطَرَدَ هُوَ يَقُولُ: «فَمِنْ وَاجِبِ الْعَالِمِ أَنْ يَعْطَى، مِنْ وَاجِبِهِ أَنْ يَقَوْمَ النَّاسَ بِلِسَانِهِ، وَيُؤَدِّبَهُمْ بِحُكْمِيَّتِهِ، وَيَكُونَ لَهُمُ الْقُدْوَةَ الْحَسَنَةَ بِأَتْرَانِهِ. أَمَّا هُوَ فَلَا يُظْهِرُ إِلَّا الْحُجَّةَ عَلَى خَرَقِهِ وَسَمَّهِهِ وَتَفَاهَةِ فِكْرِهِ وَعَمَلِهِ».

قَالَتْ: «زِدْنِي إِيْضَا حَا، فَقَدْ أَثْرَتَ فُضُولِي».

قَالَ: «وَفَضْلًا عَنْ كُلِّ هَذَا، فَهِيَ صَنِيعَةُ الشَّهْوَةِ يُؤَثِّرُ النِّسَاءَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ آخَرَ، وَيَتَّبِعُ الرَّذِيلَةَ إِلَى أَقْصَى الْمَعْمُورَةِ!»

فَتَجَهَّمَ وَجْهَهَا، وَتَقَبَّصَتْ سِخْتَهَا، وَقَالَتْ مُحْتَدَّةً: «وَهَذَا نَقْضُكُمْ جَمِيعًا أَيُّهَا الرِّجَالُ، تَرَكَبُونَ الْأَهْوَالَ لَتَنَالُوا رَغْبَةَ النَّفْسِ الْجِنْسِيَّةِ، وَتَبْسُطُونَ الْيَدَ بِالْمَالِ، لَتُدْرِكُوا أَوْطَارَكُمْ مِنْ النِّسَاءِ... إِنَّ الْمَرْأَةَ هِيَ حَيَاتِكُمْ. إِنَّهَا الْهَوَاءُ الَّذِي تَتَشَقَّقُونَ، وَالطَّعَامُ الَّذِي تَأْكُلُونَ، وَالْمَاءُ الَّذِي تَشْرَبُونَ! هَذَا مَا عَايَيْتُهُ فِيكُمْ مَعَشَرَ الرِّجَالِ، وَهَذَا مَا عَهَدُهُ غَيْرِي مِنْ بَنَاتِ حَوَاءَ».

فَحَمَلَتْ فِيهَا مَشْدُوهَا مَبْغُوتًا.

وَاسْتَلَّتْ وَقَدْ زَادَتْ هِيَا جَا وَحَنَقًا: «وَأَنْتِ! هَلْ تُنْكِرُ أَنْ غَرِيضَتِكَ أَمَلْتُ عَلَيْكَ التَّمَتُّعَ بِمَنْظَرِ الرَّاقِصَةِ الْعَارِيَّةِ؟»

فَقَالَ مُحْتَدِمًا قَلِيلًا: «حِلْتُ أَنْتِ قُلْتِ مُنْذُ قَلِيلٍ أَنْتِ تَخَلَّيْتِ عَنِ الْغَيْرَةِ، فَمَاذَا دَهَاكِ؟»
ثُمَّ عَادَ فَابْتَسَمَ، وَدَنَا مِنْهَا وَقَبَّلَهَا مُسْتَرْضِيًا.

وَقَالَتْ: «لَقَدْ فَتَّقَ لِي حُبِّي لَكَ أَنْ يَنْصَبَ كَلَامِي عَلَى مَا يَمَسُّ غَرَامِي، فَلَا تَلْمَنِي، لَا تَلْمِ امْرَأَةً لَعَجَبَهَا الْحُبُّ، فَتَأَلَّمَتْ وَتَعَدَّبَتْ. وَأَطْرُنُ أَنَّ الْمُجِبِّينَ مَتَعَرِّضُونَ دَوْمًا لِمِثْلِ هَذِهِ التَّرَعَاتِ الْمُتَعَارِكَةِ الْمُتَضَارِبَةِ».

قَالَ: «أَجَلْ! إِنَّ الْمُجِبِّينَ عُرْضَةٌ فِي كُلِّ حِينٍ لِهَذِهِ الْأَحَاسِيسِ».

قَالَتْ: «هَلَّا أَخْبَرْتَنِي عَنِ التِّقَاتِكَ بَرَّوَجِي؟ وَكَيْفَ تَمَّ ذَلِكَ؟»

قَالَ: «لَمَّا دَخَلْتُ الْبَابَ فُتِحَ عَلَيَّ حِينَ غَرَّةٍ بَابِ آخَرَ بَرَزَ مِنْهُ الْأَلْكَيْسِيُّ، فَخَفَقَ قَلْبِي،

ولكنِّي سررتُ، لأنِّي ظننتُهُ رجلاً يسوي حسابَهُ معَ المُحسِنِ والمُسيءِ على حدِّ سِوَاءِ .

قالتُ: «فماذا فعلَ باللهِ عَلَيْنَا؟»

قال: «مَسَّ قُبَعَتَهُ بِأَنْمَلَتِهِ، وَوَقَفَ كَأَنَّهُ سُمِّرَ إِلَى الْأَرْضِ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَضَى مُسْرِعًا كَمَا

بدا» .

قالتُ: «وَيْلَهُ، وَوَيْلَ جُمُودِهِ وَضُمُودِهِ! إِنِّي أَكَادُ أَجْرُنَ مِنْ غَمُوضِهِ!»

وضحكُ فرونسكي، وضحكتُ أنا. أما الزَّوْجُ، أما ألكسيس كارنين الزَّوْجُ، فهو لم يضحك، بل قَبِعَ في مَكْتَبِهِ في مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُتَأَخَّرَةِ، يُفَكِّرُ، وَيُفَكِّرُ، وَيَتَأَلَّمُ.

* * *

وهل هناك ألمٌ أبلغُ أثرًا من ألمِ زَوْجِ داسِتِ امرأتِهِ على كرامَتِهِ، وحطَّمتِ شرفَهُ،

وامتَهنتِ اسمَهُ؟

كانَ كارنينُ يُفَكِّرُ بالقتْلِ، ويُفَكِّرُ بالطلاقِ، ويُفَكِّرُ بالهجرِ، لكنَّهُ لم يَصِلْ إلى نَتِيجَةٍ في

تفكيرِهِ، وكأنَّهُ لم يُفَكِّرْ قطُّ.

ومضى فرونسكي يقولُ، بعدَ أن ضحكَ هوَ ومَعشوقَتُهُ مَلِيًّا: «وما أَعَسَرَ زَوْجِكَ على

الفَهْمِ! أَهُوَ جَبَانٌ أمْ شُجَاعٌ؟ أَهُوَ شَرِيفٌ أمْ خَائِنٌ؟ أَهُوَ قَوِيٌّ أمْ خَائِرٌ؟ أَهُوَ عَاقِلٌ أمْ أَبْلَهُ؟

إِنَّهُ وَاحِدٌ مِنَ اثْنَيْنِ، لكنِّي لا أَعْلَمُ أَيُّ الْوَاحِدَيْنِ هُوَ، وَلا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَعْلَمَ. فَلَوْ كَانَ فَظًّا

عَلِيظًا لَارْتَحَتُ، لكنَّهُ هَادِيٌّ، رَزِينٌ، وَهَذَا مَا يَزِيدُنِي اضْطِرَابًا وَقَلَقًا. وَلَوْ تَحَدَّثَانِي وَدَعَانِي

إلى المُبَارَاةِ، لا غَبَطْتُ نَفْسِي وَلكنَّهُ يراني أَلْجُ بَيْتَهُ، فَيَتْرُكُ لي الحُرِّيَّةَ وَيَتْرُكُ المَجَالَ. أَلَيْسَ

في تَصَرُّفِهِ ما يُرِيدُكُ وَيُحَيِّرُ؟»

قالتُ: «إِنَّهُ بَلِيدُ الحِجْسِ بَطِيءُ الإِذْرَاكِ، لكنَّهُ لثِيمُ الطَّنَبِ أَيْضًا» .

قال: «قَدْ تَكُونِينَ مُحَطِّطَةً، وَإِخَالَهُ يَتَأَلَّمُ كَمَا يَتَأَلَّمُ رَجُلٌ ذَبِيحًا» .

فَضَحِكْتُ سَاحِرَةً وَأَجَابَتُ: «هُوَ يَتَأَلَّمُ! وَهَلْ يَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلُ مَعْنَى الأَلَمِ؟ هَذَا الرَّجُلُ

الْأَنَابِيُّ الطَّامِعُ الطَّامِحُ لا يُفَكِّرُ إِلَّا في بُلُوغِ مَآرِبِهِ مِنَ الحَيَاةِ. وَمَآرِبُهُ الأَوَّلُ اخْتِلَالُ الذَّرْوَةِ

ولو تَوَسَّلَ بالبَاطِلِ» .

- «ولكنَّهُ، كما قُلْتُ لَكَ، يَتَرَمَّضُ على نيرانِ العذابِ» .

- «وعلى ماذا تبني حكمك؟ ألا تراه يُدْعَى وَيَرْضَخُ وَيَقْبَلُ الأَمْرَ الواقع؟ ألا تراه يَرْضَى لامرأته أن تَعشَقَ عليه؟»

فَعَجِبَ مِنْهَا وَدَهَشَ مِنْ كَلِمَاتِهَا .

وَاسْتَلْتِ: «إِنَّهُ نَسِيحٌ وَحِدِهِ، فَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَقْضِيَ عَلَى الْمَرْأَةِ الَّتِي خَانَتْهُ يَطْلُبُ إِلَيْهَا أَنْ تَبْقَى مُعَزَّزَةً مُكْرَمَةً. أَتَعْلَمُ لِمَاذَا يُرِيدُنِي أَنْ أَبْقَى مَعَهُ؟ لِأَنَّهُ لَا يَزْغِبُ فِي عَرْقَلَةٍ مَسَاعِيهِ الرَّامِيَةِ إِلَى تَذْلِيلِ الصَّعَابِ الَّتِي تَعْتَرِضُ طَرِيقَ مَجْدِهِ. هَذَا هُوَ السَّبَبُ، أَفَهَمْتِ؟»

وَازْدَادَ فَرُونْسَكِي عَجَبًا .

وَمَضَتْ أَنَا تَقُولُ وَعَيْنَاهَا تَشْعَانِ بِبَرِيقِ غَرِيبٍ، وَعَضَلَاتُ وَجْهَهَا تَتَوَتَّرُ وَتَنْكَمِشُ: «تَبًّا لَهُ! لَقَدْ عَذَّبَنِي وَاشْتَرَفَنِي. وَإِنِّي أَمْقُتُهُ» .

وَتَضَاعَفَ عَجَبُ الشَّابِّ .

وَأَتَمَّتْ أَنَا، وَنَظَرْتُهَا تَرِقُّ بَعْتَةً، وَأَسَارِيرُهَا تَنْبَسِطُ، وَلَوْنُهَا يَصْفُو بَعْدَ كَدْرٍ: «وَلَكِنْ... إِنَّا قَدْ نَكُونُ مُحْطِئِينَ، وَكُلُّ مُتَكَهِّنٍ قَدْ يُصِيبُ وَقَدْ يُخْطِئُ» .

* * *

فَلِمَاذَا هَدَأَتْ نَائِرَتُهَا فَجَاءَتْ؟ وَلِمَاذَا رَقَّتْ شَمَائِلُهَا^(١) فِي مِثْلِ وَمَضَّةِ بَرْقٍ؟

لَمْ يَعْلَمْ فَرُونْسَكِي سِرَّ هَذَا الْإِنْقِلَابِ . لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ شَيْئًا خَفِيًّا تَمَلَّمَلَ فِي أَحْشَائِهَا . لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ثَمْرَةَ حُبِّهَا الْأَثِيمِ تَتَحَرَّكُ حَيْثُ وَضَعَهَا .
لَمْ يَعْلَمْ، لَمْ يَعْلَمْ... .

(١) الشَّمَائِلُ (جَمْعُ شَمِيلَةٍ): الطَّبَاعُ، الْأَخْلَاقُ، الْخِصَالُ .

أسئلة تحليلية

- ١ - صُغ لهذا الفصل عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - ما الذي قدّمه السرد في مطلع هذا الفصل؟ وهل شعرت بالملل؟
- ٣ - هل ترى أنّ الحوار أشدّ تشويقًا للقارئ؟ ولماذا؟
- ٤ - بأيّ أساليب العرض القصصيّ صوّر الكاتب مظاهر الغيرة لدى أنا كارنينا؟ هل نجح في ذلك؟ وهل كان مقنعًا؟ علّل ما تذهب إليه .
- ٥ - كيف بدت لك أنا كارنينا في هذا الفصل؟ أهى بعيدة النظر أم قصيرة؟ ولماذا؟
- ٦ - بدأ الخطّ البيانيّ لحُبّ فرونسكي يأخذ في هذا الفصل منحنى معاكسًا هو منحنى الانحدار. دلّ على ذلك في موضعه، وعلّل أسبابه .
- ٧ - هل كان كارنن على صواب في الموقف الذي اتّخذه من زوجته الخائنة؟ علّل ما تذهب إليه .
- ٨ - أترى في هدوء كارنن هدوءًا دائمًا أم الهدوء الذي يسبق العاصفة؟ علّل إجابتك .
- ٩ - أوجز مضمون الفصل في أسطر قليلة .

الفصل الخامس

بَعْدَ أَنْ التَقَى أَلِكْسِيسَ عَشِيقَ امْرَأَتِهِ فِي بَيْتِهِ، ذَهَبَ إِلَى مَكْتَبِهِ، فَقَضَى فِيهِ سَاعَةً، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى دَارِ الْأُوبرَا، وَانزَوَى فِي مَقْصُورِيهِ يَتَأَمَّلُ فِي الْخَلْقِ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يَرَى كُلَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَرَاهُ.

وَعَادَ بَعْدَ مُتْتَصِفِ اللَّيْلِ إِلَى بَيْتِهِ، وَلَاذَ بَغْرِفَتِهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَنَمْ، بَلْ جَعَلَ يَدْرَعُ الْحُجْرَةَ وَهُوَ مُسْتَعْرِقٌ فِي الْفِكْرِ. وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى طَرَقَتْ سَمْعُهُ دَقَاتُ السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ.

كَانَ مُتَوَعِّرَ الصَّدْرِ، يَشْمُرُ بِالْغَيْظِ وَالْمَوْجِدَةِ، وَيَتَمُّ عَلَى زَوْجِهِ لِأَنَّهَا ضَرَبَتْ غُرْضَ الْحَائِطِ^(١) بِتَحْذِيرِهِ وَاسْتَقْبَلَتْ عَشِيقَهَا فِي بَيْتِهِ... وَهُوَ لِهَذَا لَمْ يَبْقَ لَهُ خِيَارٌ بَيْنَ الصَّفْحِ وَالْقِصَاصِ، وَسِعَافِئِهَا، وَيَسْعَى إِلَى طَلَاقِهَا بَعْدَ أَنْ يَحْرِمَهَا مِنْ ابْنِهَا.

وَمَا تَبَلَّجَ الْفَجْرُ وَرَنَّتْ ذُكَاءُ^(٢)، حَتَّى انْدَفَعَ خَارِجًا مِنْ غُرْفَتِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا فِي مَخْدَعِ النَّوْمِ، وَهُوَ يُزْمِعُ أَنْ يَضْبَّ عَلَى رَأْسِهَا جَامَ غَضْبِهِ^(٣)، وَيَشْفِي غَلِيلَهُ مِنْهَا.

كَانَ أَلِكْسِيسَ كَارْنِينَ رَجُلًا مُتَّيِدًا مُتَأَنِّيًا، لَا يَتَحَرَّكُ سَاعَةً يَثُورُ غَضْبُهُ حَتَّى لَا يُوقَعُهُ تَهَوُّرُهُ فِي الْمَازِقِ. كَانَ صَبُورًا يُفَكِّرُ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلَ، وَيَعْمَلُ بَعْدَ أَنْ يَضَعَ الْخُطَّةَ اللَّازِمَةَ.

وَقَدْ فَكَّرَ طَوِيلًا فِي سَاعَاتِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَلَمْ يَسْكُنْ غَضْبُهُ وَلَمْ تَخَفَّ جِدَّةُ هِيَاجِهِ. لَقَدْ صَفَحَ لَهَا عَنْ زَلَّتِهَا الْكُبْرَى، وَأَدْعَنَ لِلْقَدْرِ فَأَدِنَ لَهَا - لِزَوْجِهِ - أَنْ تَلْتَقِيَ عَشِيقَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ مَا عَدَا بَيْتَهُ. وَحَذَّرَهَا مِنْ مَعْيَةِ التَّفَرُّدِ بِهِ فِي هَذَا الْبَيْتِ، لَكِنَّهَا تَجَاهَلَتْ تَحْذِيرَهُ وَسَخِرَتْ مِنْهُ، وَاسْتَعْفَلَتْهُ فَاسْتَضَافَتْ عَشِيقَهَا. يَا وَيْلَهَا! يَا وَيْلَهَا!

(١) ضَرَبَتْ غُرْضَ الْحَائِطِ بِتَحْذِيرِهِ: لَمْ تُبَالِ تَحْذِيرَهُ.

(٢) رَنَّتْ ذُكَاءُ: تَحَبَّرَتْ الشَّمْسُ فِي مَكَانِهَا فَلَا تُحَسُّ حَرَكَتَهَا، وَذُكَاءُ اسْمٌ لِلشَّمْسِ.

(٣) جَامَ غَضْبِهِ: كَأْسَ غَضْبِهِ.

ورأته أنا يَدْخُلُ عَلَيْهَا وَعَيْنَاهُ تَبْرُقَانِ حَنَقًا، فَأَوْجَسَتْ خِيفَةً، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَطُنَّ قَطُّ أَنَّهُ سَيَأْخُذُ مِنْ هَذِهِ الْهَفْوَةِ ذَرِيعَةً لِإِنْتِقَامِهِ شِفَاءً لِعَلِيلِهِ.

خُيِّلَ إِلَيْهَا أَنَّ زَوْجَهَا فَقَدَ كُلَّ رُجُولَةٍ. خُيِّلَ إِلَيْهَا أَنَّهُ أَحْمَقُ مَخْبُولٌ لَا يَخْفِلُ الْمَكَارِمَ، وَلَا يُقِيمُ وَزْنَ لِلشَّرَفِ.

فلَمَّا رَأَتْهُ مُقْبِلًا وَفِي عَيْنَيْهِ شَرَرٌ كَأَنَّهُ النَّارُ، وَجَفَّ قَلْبُهَا خَوْفًا، وَوَجَبَ وَجِبَ الذُّعْرُ وَالرَّهْبَةُ.

وَنظَرَتْ إِلَيْهِ مَسْأَلَةً، فَرَأَتْ فِي عَيْنَيْهِ الشَّرَّ مُجَسَّمًا، وَرَأَتْ فِي حَرَكَتِهِ الْوَيْلَ مُتَأَجِّمًا^(١)، وَاسْتَنْتَجَبَتْ أَنَّهُ آتٍ إِلَيْهَا لِيُسَوِّيَ الْأَمْرَ مَعَهَا.

وَصَدَقَ حَدْسُهَا، فَقَدْ كَانَ مُتَجَهِّمًا، وَتَهَجَّمَ عَلَيْهَا بِالْكَلامِ فَحَمَلَتْ غَيْرَ مُصَدِّقَةٍ.

ثُمَّ انْتَهَى إِلَى خِزَانَةِ ثِيَابِهَا، فَفَتَحَ «جَارورًا» صَغِيرًا تَضَعُ فِيهِ أَوْاقِهَا الْخَاصَّةَ، فَصَاحَتْ: «أَقْصِرْ... إِبْتَعِدْ... لَا تَمُدَّ يَدَكَ!»

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَرَدَّدْ بَلْ دَفَعَ يَدَهُ دَاخِلَ «الدَّرَجِ» وَاسْتَخْرَجَ رُزْمَةً صَغِيرَةً مِنَ الرَّسَائِلِ.

فَوَبَّتْ كَمَنْ أَصَابَهُ مَسٌّ، وَأَمْسَكَتْ بِيَدِهِ، لَكِنَّهُ دَفَعَهَا عَنْهُ بَعْنِفٍ، وَوَضَعَ الرُّزْمَةَ فِي جَيْبِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «هَذِهِ الرَّسَائِلُ، رَسَائِلُ غَرَامِكِ، إِنَّهَا لِي، أَضَبَحْتَ لِي، وَسَأَسْتَعْمِلُهَا فِي مَا أَنْتَوِي الْقِيَامَ بِهِ».

وَصَرَخَتْ أَنَا فِي وَجْهِهِ، وَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ تَقْرِيعًا شَدِيدًا، إِلَّا أَنَّهُ حَدَجَهَا بِنَظْرَةٍ صَارِمَةٍ مُتَوَعِّدَةٍ، وَقَالَ: «لَنْ يُجَدِّدَكَ احْتِجَاؤُكَ نَفْعًا، وَلَنْ يَعُودَ عَلَيْكَ صَحْبُكَ إِلَّا بِالْأَذَى، فَاجْلِسِي وَأَصْبِحِي».

فَصَدَعَتْ بِالْأَمْرِ مَشْدُوهَةً، وَجَلَسَتْ وَانْتَهَزَتْ قَوْلَهُ.

وَتَكَلَّمَ الرَّجُلُ، فَكَانَ كَمَنْ يَنْطِقُ بِالْحُكْمِ.

قَالَ: «أَلَمْ أَنْبِئْكَ؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنِ مُقَابَلَةِ عَشِيقِكَ فِي بَيْتِي؟»

قَالَتْ وَلِسَانُهَا يَنْعَثُرُ فِي حَلْقِهَا: «أَرَدْتُ أَنْ أُطْلِعَهُ عَلَى أَمْرٍ... أَرَدْتُ أَنْ أُخْبِرَهُ أَنْ...».

(١) مُتَأَجِّمًا: مُشْتَدًّا.

فعارضها بصوتٍ مُتَهَدِّجٍ: «أَرَدْتِ فَقَطْ أَنْ تُقَابِلِيهِ، وَأَنْ تُقْضِي مَعَهُ بَعْضَ الْوَقْتِ».

فصاحتُ: «تَبَّأَ لَكَ! أَلَا تَتَّقِنَعُ؟»

قال: «أَبِكَلِمَاتِكَ أَقْتِنَعُ؟ هَلْ أَوْمِنُ بِمَا تَزْعُمِينَ، وَأَنْتِ... أَنْتِ الَّتِي...؟»

- «أَيُّهَا الْقَاسِي!»

- «أَنَا لَسْتُ بِالْإِنْسَانِ الْقَاسِي، بَلْ أَنَا رَجُلٌ دَيْسَ شَرَفُهُ، وَهَيْتَكَ عِرْضُهُ. وَأَنْتِ، أَلَسْتِ

لِصَّة؟ وَحَبِيبُكَ مَنْ هُوَ حَبِيبُكَ؟»

- «أَيُّهَا الْقَاسِي!»

- «أَلَا لِي أَنْهَكَ عَنْ مُقَابَلَةِ عَشِيقِكَ فِي بَيْتِي تَصِمِينِي بِالْقَسْوَةِ؟ أَلَا لِي أُحَاوِلُ أَنْ أَعَايَبِكَ

عَلَى خِيَانَتِكَ لِي تَقُولِينَ إِنِّي مُتَعَنَّتُ لَا أَرْحَمُ؟»

- «إِنَّكَ وَضِيعٌ! وَمَتَى اجْتَمَعَتِ الْقَسْوَةُ مَعَ الضَّعْفِ تَنَاهَى الرَّجُلُ فِي الصَّغَارِ».

فَحَمَلَتْ إِلَيْهَا مُتَعَجِّبًا، وَتَسَاءَلَ فِي مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ عَنِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ، وَتَسَاءَلَ عَنِ

طَبِيعَتِهَا، فَهَلْ هِيَ زَوْجَتُهُ أَنَا؟ هَلْ هِيَ الْأُنْثَى الَّتِي عَاشَرَهَا سِنِينَ طَوِيلَةً؟

وَلَمَّا انْتَصَبَتْ وَاقْفَةً وَمَشَتْ نَحْوَ الْبَابِ لِتَذْهَبَ، اغْتَرَضَ سَبِيلَهَا، وَقَالَ وَهُوَ يُشِيرُ بِيَدِهِ

إِشَارَةَ الْأَمْرِ النَّاهِي: «اجْلِسِي! لَا تُبَارِحِي الْمَكَانَ، فَلَئِنْ مَعَكَ كَلَامٌ كَثِيرٌ».

فَهَزَّتْ كَتِفَيْهَا وَحَاوَلَتْ تَجَبُّهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَبِضَ عَلَى ذِرَاعِهَا وَضَغَطَ بِشِدَّةٍ حَتَّى صَرَخَتْ، ثُمَّ

دَفَعَهَا فَانْهَارَتْ عَلَى مَرْقَدِهَا وَهِيَ تَتَأَوَّهُ وَتَنْشِجُ.

وَرَمَاهَا، وَهُوَ مَائِلٌ فَوْقَهَا كَمَا يَمُتِلُ إِلَهُ النَّقْمَةِ، بِنِظَرَةٍ اخْتِقَارٍ سَاحِقَةٍ وَقَالَ: «أَنْتِ تُثِيرِينَ

غَضَبِي، وَتَأْخُذِينَ عَلَيَّ اغْتِرَاضِي عَلَى وُجُودِ عَشِيقِكَ فِي بَيْتِي، أَلَا فَاغْلَمِي أَنَّكَ أَقْسَى مَنْ

صَادَفْتُ مِنَ النِّسَاءِ السَّاقِطَاتِ! أَنْتِ لَا تَخَافِينَ شَيْئًا، أَنْتِ لَا تُشْفِقِينَ عَلَى زَوْجٍ وَفِيَّ وَابْنِ

طِفْلِ مَا زَالَ مُسْتَقْبَلُهُ يَتَرَجَّحُ فِي كِفَّةِ مِيزَانٍ. فَكَيْفَ يُطَاوِعُكَ قَلْبُكَ؟ كَيْفَ؟»

وَأَنْتِ الْمَرْأَةُ تَحْتَ ضَرْبَاتِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَذَرَفَتْ عَيْنَاهَا دُمُوعًا غَزِيرَةً، وَلَمْ تَنْطِقْ

بِحَرْفٍ، فَقَدْ سَلِمَتْ لَهُ فِي قَرَارَتِهَا بِحَقِّهِ، فَهُوَ مَظْلُومٌ، وَهِيَ بَاطِلَةٌ.

وَاسْتَطْرَدَ هُوَ يَقُولُ: «وَهَلْ هُنَاكَ فِي تَعَابِيرِ اللُّغَةِ وَاللُّغَاظِهَا مَا لَا يَنْطَبِقُ السَّيِّئُ مِنْهُ عَلَى

حَالَتِكَ الْمُرْزِيَةِ؟»

فَأَجَابَتْ مُتَلَعِمَةً: «وَأَنَا أَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ فَلَا تَتَمَادَ فِي وَصْفِ مَا أَعْرِفُ».

- «فَكَيْفَ صَرَبْتِ بِتَحْذِيرِي إِذَا عُرِضَ الْحَائِطُ؟»

- «وَمَاذَا تَطْلُبُ الْآنَ؟ أَبِنْ عَنِ مَأْرَبِكَ، أَمِطِ اللَّثَامَ عَنِ مَقْصِدِكَ».

- «فَاعْلَمِي إِذَا أَنِّي سَأَلَجَأُ إِلَى الْقَانُونِ حَتَّى يُتَقَدَّنِي مِنْ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ النَّكَرَاءِ، سَأَفْعَلُ مَا

يَلِيقُ بِي فِعْلُهُ، قَبْلَ أَنْ تُفِيقِي أَنْتِ أَوْ عَشِيْقُكِ مِنْ نَشْوَرَتِكُمَا، وَقَبْلَ أَنْ تَفِيْنَا إِلَى نَفْسَيْكُمَا».

قَالَتْ: «افْعَلْ مَا يَخْلُو لَكَ، فَلَيْسَ أَحَبَّ إِلَيَّ نَفْسِي مِنْ وَضْعِ حَدِّ لِهَذِهِ الْمَأْسَاءِ الَّتِي طَالَ

أَمْرُهَا».

- «حَتَّى تُكْرَسِي لَهُ وَقْتِكَ كُلَّهُ، حَتَّى تَنْعَمِي بِحُبِّكَ الْمُلَوِّثِ!»

- «كَفَى، كَفَى... فَالَلُّغُو فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ لَا يُغْنِي عَنِ الْآلَامِ».

- «وَمَاذَا يُغْنِي عَنِ الْآلَامِ؟»

- «أَلَا تَشْعُرُ بِالْإِبَاءِ؟ أَلَا تُشْفِقُ عَلَى امْرَأَةٍ صَرَغَتْهَا النَّائِبَاتُ؟ أَوَتُظَنُّنِي سَعِيدَةً بِمَا آلَتْ

إِلَيْهِ نَفْسِي؟ إِنِّي أَتَعَذَّبُ!»

- «إِنِّي أَشْفِقُ عَلَى نَفْسِي أَيْضًا، نَفْسِي الَّتِي رَبَّأْتُ بِهَا^(١) عَنِ الْمُنْكَرِ، فَابْتُلَيْتِ بِمَا هُوَ شَرٌّ

مِنَ الْمُنْكَرِ».

وَعَظَّمَتْ فِي نَاطِرِهَا جَرِيْمَتَهَا، وَأَنْبَأَهَا حِشْهًا بِأَنَّهُ أَهْلٌ لِكُلِّ شَفَقَةٍ، فَأَيْنَ الرَّجَالُ الَّذِينَ

يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَحْتَمِلُوا مَا اخْتَمَلَهُ؟ أَيْنَ الرَّجَالُ الَّذِينَ يَكْتَبُونَ مَشَاعِرَهُمْ وَيَتَعَذَّبُونَ بِصَمْتِ

وَشُكُونِ وَوَحْدَةٍ؟

وَلِكِنَّهَا جَمَّجَمَتْ بِأَسَى: «وَمَاذَا تَرَانِي فَاعِلَةً، لَقَدْ تَلَاشَتْ قُوَّتِي وَتَخَلَّتْ عَنِّي إِرَادَتِي».

قَالَ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَجِ كَلِمَاتِهَا: «لَقَدْ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ كَمَا أَرَى، وَأُعْلِمُكَ أَنِّي مُسَافِرٌ غَدًا

إِلَى مُوسَكُو، وَأَنِّي عَنِ هَذَا الْمَنْزِلِ مُبْتَعِدٌ لَا أَرُومُ رُجُوعًا. سَأَلَجَأُ إِلَى مُحَامِيٍّ، وَأَطْلُبُ إِلَيْهِ

أَنْ يَقُومَ بِالْإِجْرَاءِ الَّتِي أَسْؤِي بِهَا مَسْأَلَتِكَ، سَأَطْلُبُ طَلَاقَكَ. أَمَّا ابْنِي فَسَأَبْعَثُ بِهِ لِعَيْشِ

فِي كَنْفِ شَقِيْقَتِي».

(١) رَبَّأْتُ بِهَا: نَزَّهْتُهَا.

فَارْتَعَدَتْ فَرِيصَتُهَا وَجَحَّطَتْ عَيْنَاهَا وَهَتَمَتْ بِصَوْتِ يُدَيْبِ الْجَمَادِ: «أَتَحْرِمُنِي حُشَاشَتِي؟
أَتَنْزِعُ مِنِّي فِلْدَةً كَبِدِي؟»

- «لا مندوحة لي عن ذلك، فهذا أمرٌ يُحْتَمُّه الواجبُ».

- «أَوَتَنْتَقِمُ مِنِ امْرَأَةٍ يَأْسِيهِ مُسْتَضْعَفَةٌ؟»

- «بل أنقذُ طفلاً من حمأة».

- «يَبْدُ أَنْكَ لَا تُحِبُّهُ».

- «وهل أبقيت لي مجالاً لأحبَّ؟»

- «فانتركه لي إذا تعزيتي وسألوانا!»

- «بل إنني أخذه منك؛ هذا واجبٌ يفرضه عليّ التقليدُ والشرفُ».

وَحَطَا خُطْوَتَيْنِ نَحْوَ الْمَخْرَجِ، فَاغْتَرَضَتْ سَبِيلَهُ وَقَالَتْ مُتَضَرِّعَةً: «ارْحَمْنِي. اترك لي
ابني. لا تصفح، لا تغفز، بل افعل هذا فقط، افعله، أرجوك!»

وَشَرِقَتْ بَدْمِعُهَا وَزَفَرَتْ، فَحِيلَ إِلَى الرَّجُلِ أَنَّهَا تَنْفُخُ النَّارَ. لَكِنَّهَا تَمَالَكَتْ وَقَالَتْ: «مَنْ
ذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْلُبَ الْأُمَّ ابْنَهَا؟ مَنْ غَيْرُ الشَّيْطَانِ؟!»

قَالَ: «الشَّيْطَانُ الَّذِي يَرْحَمُ أَحْيَانًا. فسيرجُ طفلٌ، وخيرٌ له أن يعيشَ وحيدًا من غيرِ أمٍّ،
من أن تكونَ له أمٌّ خلعتِ العذارَ وارتكبتِ المعاصي».

قَالَتْ: «أَلَا تَخَافُ رَبَّكَ يَا أَلِكْسِيسَ كَارْنِينَ؟ فَكَّرْ بِمَا أَنْتَ فَاعِلٌ، فَكَّرْ بِقَلْبِ تَسْعَى إِلَى
تَمْزِيغِهِ إِزْبَا إِزْبَا. أَحْكُمْ عَلَيَّ بِالْعَذَابِ وَالْمَوْتِ، وَلَكِنْ لَا تَسْلُبْ نَوْرَ عَيْنِي، لَا تَقْتَلِغْ قَلْبِي
مِنْ بَيْنِ أَضْلَاعِي!»

فَلَمْ يُجِرِ الرَّجُلُ جَوَابًا، وَظَلَّ وَاقِفًا جَامِدًا مُسْتَغْرِقًا فِي الْفِكْرِ.

وَأَتَمَّتْ: «كُنْ رَحِيمًا، وَلَوْ أَسَأْتُ إِلَيْكَ، يَرْفَعُ عَنْكَ اللَّهُ آلامًا كَثِيرَةً!»

قَالَ: «إِنِّي أَرْحَمُ الْإِنْسَانَ لَضَعْفِهِ، وَلَكِنْ عَلَيَّ أَنْ أَعْنَى بِوَلَدِي فَلَا أتركه لينشأ في
أحضانٍ فاسقة».

نَاعَوْلَتْ أَنَا، وَارْتَمَتْ عَلَى الْأَرْضِ؛ وَظَلَّتْ فِي مَكَانِهَا وَهِيَ تَشْجُحُ وَتَتَّجِبُ.

وَنظَرَ إِلَيْهَا زَوْجَهَا قَلِيلًا، ثُمَّ غَادَرَ الْحُجْرَةَ وَهُوَ يُتَمَتِّمُ: «أَنْتِ اخْتَرْتِ هَذَا الْمَصِيرَ، فَلْتَسَلِّمْظِي بَعْلَقَمِ جَرِيرَتِكَ».

أَمَّا سَبَبُ اخْتِيَارِ كَارِنِينَ مَدِينَةَ مُوسْكَو لِكِي يُجْرِي فِيهَا طَلَاقَهُ مِنْ زَوْجِهِ، فَيَرْجِعُ إِلَى أَنْ أَعْمَالُهُ كَانَتْ تَتَطَلَّبُ مِنْهُ الْقِيَامَ بِزِيَارَةِ لِمُوسْكَو وَالْمَكْتَبَ فِيهَا زُهَاءَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ، وَإِلَى أَنَّهُ كَلَّمَا بَعْدَ عَن بَطْرَسْبِرْجِ خَفَّتْ وَطَأَةُ اللَّعْطِ. وَالْحَدِيثُ فِي شَأْنِهِ الْخَاصِّ أَكْرَهُ مَا يَخَافُ.

وَقَدْ طَعَنَ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَبَعْدَ أَنْ اسْتَرَاحَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ^(١)، ذَهَبَ إِلَى مُحَامٍ شَهِيرٍ مَشْهُودٍ لَهُ بِالْبِرَاعَةِ وَطُولِ الْبَاعِ.

وَانْتَهَرَ كَارِنِينَ فِي قَاعَةِ الْإِسْتِقْبَالِ حَتَّى بَرِمَ وَعَيْلَ صَبْرُهُ. وَلَمَّا رَأَى أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ يَطُولُ قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَ الرَّجُلُ مِنْ مُقَابَلَةِ زُبَيْهِ جَمِيعًا، أَرْسَلَ لَهُ بِطَاقَتَهُ. وَمَا أَسْرَعَ مَا جَاءَ الْمُحَامِي مُهْرُوْلًا! فَحَيَّاهُ وَبَشَّ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ صَحَبَهُ إِلَى مَكْتَبِهِ.

وَلَمَّا اسْتَبَّ الْمَقَامَ بِالرَّجُلَيْنِ وَتَبَادَلَا كَلِمَاتِ الْمُجَامَلَةِ، دَخَلَ كَارِنِينَ فِي صُلْبِ الْمَوْضُوعِ، فَمَالَ عَلَى الْمُحَامِي يَقُولُ: «إِنَّ مَا جِئْتُكَ مِنْ أَجْلِهِ قَضِيَّةٌ خَاصَّةٌ لَا مَفْرَ لَكَ مِنْ إِحَاطَتِهَا بِالْكَيْمَانِ وَالسَّرِيَّةِ».

فَأَجَابَ الْمُحَامِي وَهُوَ يُقَطِّبُ قَلِيلًا، «وَلَا أُحْتَاجُ إِلَى تَنْبِيهِ يَا سَيِّدِي، فَمَسْئُولِيَّةُ الْمُحَامِي كَمَسْئُولِيَّةِ الطَّيِّبِ».

وَتَأَمَّلَ فِيهِ كَارِنِينَ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، وَاسْتَطْرَدَ: «أَنْتِ تَعْرِفُنِي وَلَا غَرْو؟»

قَالَ: «أَجَلٌ، فَأَنْتِ وَزِيرٌ مِنْ زُرَّاءِ رُوسِيَا، وَهَذَا شَرَفٌ عَظِيمٌ لِي».

وَلَمْ يُجِبْهُ كَارِنِينَ، بَلْ ظَلَّ صَامِتًا شَاخِصًا أَمَامَهُ. وَمَا عَتَمَ أَنْ ابْتَدَرَ الْمُحَامِي يَقُولُ: «أَلَا فَاعْلَمُ إِذَا أَنَّ هَذَا الْوَزِيرَ زَوْجٌ مَخْدُوعٌ لَا يَرَى نُدْحَةً مِنْ طَلَبِ الطَّلَاقِ».

فَقَالَ الْمُحَامِي: «وَأَنْتِ تُرِيدُ مِنِّي أَنْ أَنْهِيَ الْمَسْأَلَةَ بِحَسَبِ مَشِيئَتِكَ».

قَالَ: «هَذَا مَا أَتَيْتُكَ مِنْ أَجْلِهِ، عَلَى أَنْ تَفْعَلَ اللَّازِمَ لِيَبْقَى لِي حَقُّ الْإِحْتِفَاطِ بِوَلَدِي».

(١) وَعْثَاءُ الْفَرِّ: مَشَقَّتُهُ.

- «ثُمَّ؟»

- «ثُمَّ، أَوَدُّ أَنْ أَجْعَلَكَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ أَمْرِي، إِنِّي الْآنَ هُنَا لِأَحْطَى بِمَشُورَتِكَ وَرَأَيْكَ. قَدْ يَفْتَضِرُّ عَمَلُكَ الْآنَ عَلَى إِسْدَاءِ مِثْلِ هَذَا الرَّأْيِ وَتِلْكَ الْمَشُورَةِ، وَقَدْ يَفْتَضِي قِيَامَكَ بِالْإِجْرَاءَاتِ حَتَّى آخِرِ مَرَحَلَةٍ مِنْهَا. وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَبْغَيْهِ مِنْ تَطْلِيقِ زَوْجِي يَرْتَهِنُ بِبَعْضِ الشُّرُوطِ، وَهَذِهِ الشُّرُوطُ هِيَ لَازِمَةٌ لِي، وَرُبَّمَا يَضْطَرُّنِي عَدَمُ تَوَافُرِهَا إِلَى عُدُولِي عَمَّا أُرِيدُ.»

- «فَهَلْ لَكَ أَنْ تُحِيطَنِي عِلْمًا بِالْخُطُوبَاتِ الَّتِي يَخْطُوهَا الْمَرْءُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ؟»

- «أَوْتَبْغِي مِنِّي أَنْ أُسْرِدَ عَلَيْكَ التَّفَاصِيلَ؟»

- «نَعَمْ، افْعَلْ إِنْ كَانَ هَذَا لَا يُرْهِقُكَ وَيَبْدُدُ وَقْتَكَ.»

- «اعْلَمْ أَنَّ التَّشْرِيْعَ فِي بِلَادِنَا يُجِزُّ الطَّلَاقَ فِي أَحْوَالٍ مُعَيَّنَةٍ، أَوَّلُهَا: عَجْزُ فِي الْجِسْمِ أَوْ نَقْصُ مَعِيْبٍ فِي تَرْكِيبِ الرَّجُلِ أَوْ الْمَرْأَةِ الطَّبِيعِيِّ؛ ثَانِيًا: هَجْرٌ طَوِيلٌ الْأَمْدِ، أَوْ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ تَعَيُّبُ أَحَدِ الطَّرْفَيْنِ لِمُدَّةٍ لَا تَقُلُّ عَنْ خَمْسَةِ أَغْوَامٍ؛ ثَالِثًا: الْخِيَانَةُ الثَّابِتَةُ. فَمَا هِيَ قَضِيَّتُكَ؟ وَإِلَامَ تَسْتَنِدُ؟»

فَأَطْرَقَ كَارِنِينُ وَلَمْ يُجِبْ.

وَاسْتَلَى الْمُحَامِي وَهُوَ يَهْزُ رَأْسَهُ: «فَفِي حَالَتِكَ إِذَا، حَالَةَ الْخِيَانَةِ الزَّوْجِيَّةِ، يَكُونُ الْجُرْمُ مَتَّفِرِّعًا إِلَى شُعْبَتَيْنِ: زِنَى الزَّوْجَةِ بِمُوَافَقَةِ الزَّوْجِ، وَوُقُوعُهَا فِي الْفَحْشَاءِ فِي غَفْلَةٍ مِنْ زَوْجِهَا!»

قَالَ: «وَمَاذَا تَعْنِي؟ أَوْضِحْ!»

قَالَ: «قَدْ يَتَّفِقُ أَنْ يَرَى الزَّوْجَانِ أَنَّ عِلَاقَتَهُمَا شَابَتْهَا غُيُومٌ تَلَبَّدَتْ فِي سَمَائِهَا حَتَّى حَجَبَتْهَا وَكَدَّرَتْهَا، فَيَنْفَصِلَانِ مُتَّفَقَيْنِ، وَتَعْمِدُ الزَّوْجَةُ إِلَى الْحَيَاةِ مَعَ حَبِيْبِهَا. وَهَذِهِ الْخِيَانَةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ فِي الْقَضَاءِ، فَرِسَالَةٌ وَاحِدَةٌ تَكْفِي لِلظَّفَرِ بِالْحُكْمِ، وَالْإِشْهَادُ عَلَيْهِمَا فِي الْجُرْمِ الْمَعْرُوفِ هُوَ كَذَلِكَ دَلِيلٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِثْبَاتٍ. فَمَا هِيَ قَضِيَّتُكَ، وَكَيْفَ تُرِيدُنِي أَنْ أُسِيرَ بِهَا؟»

وَنَظَرَ إِلَى كَارِنِينِ مُتَسَائِلًا، وَاحْمَرَّ وَجْهُ الْأَخِيرِ وَلَمْ يُجِرْ جَوَابًا.

وَأَرَدَفَ الْمُحَامِي يَقُولُ: «عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ شُجَاعًا فَتُفْضِي إِلَيَّ بِالْحَقِيقَةِ، لَا تَخْشَ سُوءًا، فَكُلُّنَا فِي الْمُصِيبَةِ سَوَاءٌ!»

وَتَمَلَّمَ كَارْنِينُ فِي مَجْلِسِهِ، ثُمَّ انْتَصَبَ وَاقْفًا، وَقَالَ وَهُوَ يَتَأَهَّبُ لِيَذْهَبَ: «عَلَيَّ أَنْ أُقَلِّبَ الْفِكْرَ عَلَى مُخْتَلِفِ وُجُوهِهِ، فَذَرْنِي أَتَأَمَّلُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَسَأَرْجِعُ إِلَيْكَ».

قَالَ: «أَنْتَ فِي أُمُورِكَ مُخَيَّرٌ، فَافْعَلِ الْإِلَازِمَ، وَثِقْ أَنِّي عَلَى قَدَمِ الْإِسْتِعْدَادِ لِحَدَمَتِكَ فِي كُلِّ حِينٍ».

وَمَضَى كَارْنِينُ فِي سَبِيلِهِ وَهُوَ يَتَعَثَّرُ فِي مَشِيئِهِ. لَقَدْ كَرَبَهُ الْأَمْرُ حَتَّى انْحَنَّتْ هَامَتُهُ مِنَ الْهَمِّ، فَمَشَى فِي الطَّرِيقِ مُتَيَّدًا مُسْتَعْرِقًا فِي الْفِكْرِ، وَهُوَ مَوْفِقٌ أَنَّهُ أَشْقَى شَقِيٍّ فِي الْوَرَى.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - حَلِّ شَخِصِيَّةَ أَلِكْسِيْسِ كَارْنِيْنِ مِنْ خِلَالِ الْحَوَارِ الطَّوِيلِ الَّذِي دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ الْخَائِنَةِ فِي هَذَا الْفَصْلِ مِنَ الرَّوَايَةِ .
- ٣ - هَلْ أُعْجِبْتَ بِلُغَةِ الْحَوَارِ هَذَا؟ وَهَلْ جَاءَتْ مُلَائِمَةً لِشَخِصِيَّةِ الْمُحَاوِرِ؟ عَلِّ ما تَذْهَبُ إِلَيْهِ .
- ٤ - تَمَادَتْ أَنَا كَارْنِيْنَا فِي التَّوَسُّلِ إِلَى زَوْجِهَا وَاسْتَعْطَفِيْهِ كَيْ يُبْقِيَ لَهَا ابْنَهَا سِيرِج . فَهَلِ اسْتَدْرَكَ ذَلِكَ إِشْفَاقَكَ؟ وَلِمَاذَا؟
- ٥ - قَدْ تَرَى فِي شَخِصِيَّةِ كَارْنِيْنِ مَا لَا يُعْجِبُكَ فِي مَوْقِفِهِ مِنْ أَنَا فِي هَذَا الْحَوَارِ . فَهَلِ تَرَى فِيهِ نَمُودَجًا لِبَعْضِ النَّاسِ ، أَوْ تَرَاهُ مُتَّفَرِّدًا شَادًّا فِي مَوْقِفِهِ هَذَا؟ عَلِّ ما تَذْهَبُ إِلَيْهِ .
- ٦ - قَالَ الْمُحَامِي: «كُلُّنَا فِي الْمُصِيبَةِ سَوَاءٌ». مَاذَا تَحْمِلُ هَذِهِ الْعِبَارَةُ مِنْ دَلَالَاتٍ؟
- ٧ - عَرَفْتَ فِي هَذَا الْفَصْلِ الْمَنْصَبَ الَّذِي يَشْعَلُهُ كَارْنِيْنِ . فَمَا هُوَ؟
- ٨ - أَوْجِزْ مَضْمُونَ الْفَصْلِ فِي أَسْطُرٍ قَلِيلَةٍ .

الفصل السادس

مشى كارنين، وما زال يَضْرِبُ في الطَّرِيقِ على غَيْرِ هُدَى، حَتَّى التَّقَى بَعْتَةَ استيفان أوبلنسكي شَقِيقَ زَوْجَتِهِ أَنَا.

وقد أَجْفَلَ سَاعَةَ رَأَه، فَهُوَ مُنْصَرِفٌ بِذِهْنِهِ عَنِ الْجَمِيعِ، كَارِهٌ لِكُلِّ مُقَابَلَةٍ، لَا يَزْعَبُ فِي التَّحَدُّثِ مَعَ إِنْسَانٍ، وَلَا سِيَّما هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يُدَكِّرُهُ بَأَنَا وَحَيَاتِنِهَا.

وَحَيَاتُهُ بِإِيْمَاءَةٍ، وَاسْتَمَرَّ يَمْشِي، غَيْرَ أَنَّ أوبلنسكي اسْتَدَارَ على عَقْبِيهِ وَهَرَوَلَ وَرَاءَهُ، ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ مُشْرَبٍ بِالْعَبَثِ: «أَتَأْتِي إِلَى مُوسِكُو وَلَا تُعْرِجُ عَلَيْنَا؟ أَتَأْتِي مِن دُونِ أَنْ تَطْرُقَ بَابَنَا؟ هَذَا عَجِيبٌ، هَذَا أَمْرٌ يُذْهِلُ!»

فَقَالَ كارنينُ بِصَوْتِ خَشِينٍ أَجَشٍّ: «إِنِّي فِي شُغْلٍ عَنِ الْجَمِيعِ، وَلَيْسَ لَدَيَّ مِنْ وَقْتِي فَسْحَةٌ أَزُورُ فِيهَا الْأَصْدِقَاءَ».

وَلَمْ يَأْبَهُ أوبلنسكي لِحِفَائِهِ، بَلْ تَابَعَ يَقُولُ بِصَوْتِهِ الْجَهْورِيِّ: «لَا مَنْدُوحةَ لَكَ عَنِ المَجِيءِ فَتَحُنْ فِي شَوْقٍ شَدِيدٍ إِلَيْكَ... وَاعْلَمْ أَنَّنَا مَدْعُوْنَ غَدًا إِلَى الإِخْتِفَالِ الرَّائِعِ الَّذِي يُحْيِيهِ آلُ شِرْبَاتسكي بِمُنَاسِبَةٍ خَطْبَةِ كَاترِين. أَوْتَعَلَّمُ مِنَ الخَطِيبِ؟ إِنَّهُ لَيْفِين. وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْ حُضُورِ الحَفْلَةِ مَعَنَا».

- «وَلِكَيْنِي رَاجِلٌ إِلَى بَطْرَسْبِرَج».

- «فَلتَأْتِ إِذَا لُتْشَارِكْنَا طَعَامَ الغَدَاءِ، لِأَنَّ دَارِيَا تَرَعَبُ كَثِيرًا فِي رُؤْيَتِكَ».

- «لَنْ أَتَمَكَّنَ مِنْ ذَلِكَ».

- «حَاوِلْ، أَرْجُو أَنْ تُحَاوِلَ».

وَرَمَقَهُ بَعِيْنَيْنِ مُتَوَسِّلَتَيْنِ لِأَنَّ إِزَاءَهُمَا خُشُونَةٌ كارنين. لَقَدْ كَانَ مُصَمِّمًا على مُجَافَاةِ هَذَا الرَّجُلِ؛ كَانَ عَازِمًا على الإِبْتِعَادِ عَنْهُ، حَتَّى لَا يُضْطَرَّ إِلَى مُصَاحَبَةِ شَقِيقِ زَوْجَتِهِ؛ لِكَيْتَهُ أَحْسَنَ

بَعْدَ هَذَا الْإِلْحَاحِ، بِالْمِيلِ إِلَيْهِ، وَخَجَلَ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ جَفْوَتِهِ.

وَتَنَاهَى إِلَيْهِ وَهُوَ يُفَكِّرُ، صَوْتُ أوبلنسكي يَسْأَلُ: «وماذا يَحُولُ دُونَ مَجِيئِكَ؟ هَلْ ثَمَّةَ ما يُقْلِقُ بِالْك؟»

فَفَكَّرَ كَارْنِينُ قَلِيلًا وَأَجَابَ: «لَمْ يَعُدْ بَيْنَنَا رِبَاطٌ كَالسَّابِقِ، لَقَدْ فَصَّمْتَهُ أَنَا بِمَحْضِ إِرَادَتِهَا.»

فصاح الرَّجُلُ مُشْدُوهاً: «أفي حُلْمٍ أَنَا؟ وهل تقول الحقيقة؟»

قال: «كلها يا صديقي، كلها. وما مجيئي اليوم إلى موسكو إلا لأنهي علاقتي بها بالطلاق!»

واضفرَّ وجهه أوبلنسكي؛ لم يكن يتوقع هذه المفاجأة الهائلة. ماذا؟ أيزمُعُ كارنين أن يُطلق زوجته؟ وما السببُ يا ترى؟

وترنَّح وتعرَّز، ثم تما لك نفسه قليلاً، وقال متلعثماً: «ما الخطبُ؟ هل جرى ما يقتضي الطلاق؟»

- «أجل. فقد حادَتْ أختك عن الصراط!»

- كُنْ عاقلاً يا ألكسيس كما أعهدك، فكَرَّ في الأمرِ قَبْلَ أَنْ تُقَدِّمَ، لا تُكُنْ عَجولاً فتندم!»

- «بيد أن الحالة عَدَتْ لا تُطاقُ، وازتكتبت أنا أبشع فعلٍ ترتكبه امرأة في مثل مقامها ومنزلتها!»

- «وي! أحقُّ هذا؟»

- «وأكثر منه!»

- «على أن العجلة تعقبها الندامة، فترَو، وترَو!»

- «ما أكثر ما لزمْتُ جاذة الروية والصبر! ولا مريّة أن جمودي شجعها على التمادي.»

- «ما أروع ما سمعت! هذا أمرٌ لا أكادُ أصدفه! ففكرناشدتك الله، فكَرَّ. فلَكَ مَرَكزُكَ، وَلَكَ سُمعتُكَ، وَلَكَ ابْنُكَ.»

- «فَكَرْتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. لَكِنَّهَا لَمْ تُفَكِّرْ يَوْمَ دَأَسَتْ كِرَامَتِي، وَتَلَمَّتْ عِرْضِي، وَاسْتَبَاحَتْ شَرَفَ ابْنِي، لَمْ تُفَكِّرْ... لَمْ تُفَكِّرْ... وَكَأَنَّهَا جُنْتُ، وَكَأَنَّهَا فَقَدَتِ الْحِجْبِي^(١) وَالنُّهْي^(٢)!»
- «تَعَالَ إِلَيْنَا، تَعَالَ، قَدْ تَجِدُ السَّلْوَى وَالرَّأْيَ السَّدِيدَ لَدَى دَارِيَا، فَهِيَ مُخْلِصَةٌ لِأَصْدِقَائِهَا، تَتَمَنَّى لَهُمْ كُلَّ خَيْرٍ».

وَتَرَدَّدَ كَارْنِينُ وَلَمْ يَنْسُ بِنْتِ شَفِيَّةَ.

وَتَابَعَ أُوْبِلَنْسَكِي يَقُولُ فِي تَوْسُّلٍ وَاسْتِعْطَافٍ: «غَدَا... غَدَا... تَعَالَ إِلَى بَيْتِنَا غَدَا».

- «وَلِكِنِّي فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِي عَظِيمَةٍ يَا صَاحِبِي، فَقَدْ آلَيْتُ أَنْ أَنَأَى بِجَانِبِي عَنْكُمْ، وَهَذَا أَنْتَدَا تُلِحُّ عَلَيَّ فِي أَنْ أَرْوِّكُمْ».

- «وَمَاذَا يَحْدُوكَ عَلَى إِحْلَالِ الْقَطِيعَةِ مَكَانَ الْوَادِ؟»

- «لَأَنَّ انْفِصَامَ عِلَاقَتِي بِزَوْجَتِي يُوجِبُ عَلَيَّ الْإِبْتِعَادَ عَنْ سَائِرِ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ».

- «عَلَى أَنْ صَدَاقَتُنَا رَاسِخَةٌ لَا يَخْلُقُ بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُعَكِّرَهَا. أَنَا مُخْلِصٌ فِي قَوْلِي، وَلَمْ أَكُنْ لَكَ طَوَالَ أَيَّامِي إِلَّا التَّجِلَّةَ وَالْإِجْبَارَ وَالْحُبَّ...».

- «وَأَنَا أَشْكُرُ لَكَ طَيِّبَةَ قَلْبِكَ».

- «فَهَلْ تَأْتِي إِذَا؟»

- «لَا أَرَى غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَدْ سَلَبْتَنِي حُجَّتِي».

وَتَصَافَحَ الرَّجُلَانِ، وَابْتَسَمَ أَلِكْسَيْسُ كَارْنِينِ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ، ثُمَّ افْتَرَقَا عَلَى مِيعَادٍ.

لَمْ يَسْتَطِعْ كَارْنِينُ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ حَدِّهِ، لَا، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَسْتَبْدِلَ بِأَدَبِ النَّفْسِ قِلَّةَ نَدْوَقِي.

وَرَضَخَ لِلْإِلْحَاحِ وَاسْتَجَابَ لِنِدَاءِ الصَّدَاقَةِ، وَجَاءَ بَيْتَ أُوْبِلَنْسَكِي فِي مُتْتَصِفِ نَهَارِ الْيَوْمِ تَالِيًا.

(١) الْحِجْبِي (جَمْعُهُ أَحْجَاءُ): الْعَقْلُ.

(٢) النُّهْي (مُفْرَدُهُ نُهْيَةٌ): الْعَقْلُ.

وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ فِي طَوْرِ الشَّبَابِ يُدْعَى بوشكينَ . وقد تَعَرَّفَ بِهِ كارنينُ، وازتَاحَ إِلى حَدِيثِهِ، وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، فَالشَّابُّ صِحَافِيٌّ مَشْهُودٌ لَهُ بِطُولِ البَاعِ .

وَتَنَاوَلَ الجَمِيعُ طَعَامَهُمْ، وَتَجَادَبُوا وَهُمْ يَأْكُلُونَ أَلْوَانًا مِنَ الحَدِيثِ المُمْتَعِ الرَّصِينِ .

وما زالَ البَحْثُ يَتَنَقَّلُ بِافكارِهِمْ مِنْ طَوْرِ إِلى طَوْرِ حَتَّى رَسَا فِي نِهَايَةِ الأَمْرِ عَلَى مَوْضِعِ المَرَأَةِ الرُّوسِيَّةِ، وَهُوَ مَوْضِعٌ شائِكٌ طالَمَا أَفْلَقَ بِأَلِ الحُكُومَةِ وَأَزَعَجَ رِجَالَهَا، وَسَبَّبَ كَثِيرًا مِنَ القَالَةِ بَيْنَ أَوْسَاطِ الشَّعْبِ .

فالمَرَأَةُ لُغَزٌ مُحَيَّرٌ، تَارَةً يَرى النَّاسُ أَنَّهَا جَدِيرَةٌ بِكُلِّ تَقْدِيرٍ، فَيُطَالِبُونَ لَهَا بِالمُساوَاةِ، وَتَارَةً أُخْرَى يَصْمُونَهَا بِالنَّقْصِ وَالتَّفَاهَةِ وَيُصِرُّونَ عَلَى بَقَائِهَا حَيْثُ هِيَ .

أما الصَّحَافِيُّ القَدِيرُ فَقَدْ كَانَ مِنَ الفِئَةِ الَّتِي تُطالِبُ لِلْمَرَأَةِ بِالمُساوَاةِ، لَا تَرْضَى مِنْهَا بَدِيلًا . فَهُوَ يَرى أَنَّ المُساوَاةَ لو تَحَقَّقَتْ لَنَهَضَتْ مِنْ دُونِ شِكِّ بِالمَرَاقِ المُتَأَخِّرَةِ وَالتَّوَاخِي المُتَخَلِّفَةِ، وَلَاشَتْ إِلى حَدِّ كَبِيرٍ ما تَجَنَّحَ إِليه المَرَأَةُ مِنْ خِيانَةٍ . فلو تَسَاوى الرَّجُلُ وَالمَرَأَةُ فِي نَظَرِ القانُونِ، لَخَافَ الرَّجُلُ عاقِبَةَ الخِيانَةِ كما تَخافُهَا المَرَأَةُ، وَلَتَرَدَّدَ الإِثْنانِ مِثَّةَ مَرَّةٍ قَبْلَ أَنْ يُقْدَمَا عَلَى اسْتِباحَةِ ذِمَارِ العِلاقَةِ الزَّوْجِيَّةِ المُقَدَّسَةِ .

وَفَرَعَ أوبلنسكي، وَعَتَفَ نَفْسَهُ عَلَى قِلَّةِ تَبَصُّرِهِ، وَأَنعَدَمَ جِرْصِهِ، فَالصَّحَافِيُّ ثَرثارٌ بِطَبِيعَتِهِ، وَلو تَثَبَّتَ مِنْ عَدَمِ طَرَقِ هَذَا المَوْضِعِ بِسابقِ تَدْبِيرٍ لَما تَحَرَّجَ المَوْقِفُ وَتَأَزَّمَ .

وَقَدْ تَجَهَّمَ وَجْهَ كارنينَ، وَبدا عَلَيْهِ الإِنْفِعالُ، إِلا أَنَّهُ كَبَتَ مِشاعِرَهُ، وَصَبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا، حَتَّى إِذا فَرَغَ الجَمِيعُ مِنَ الطَّعامِ، ابْتَسَمَ كارنينُ ابْتِسامَةً مُعْتَصِبَةً لِكَي يُظْهَرَ لِأوبلنسكي أَنَّ ما سَمِعَهُ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ . وما عَتَمَ أَنَّ قالَ مُوجِّهاً الحَدِيثَ إِلى الصَّحَافِيِّ بِصَوْتِ هادِيٍّ مُشْرَبٍ بِلَهْجَةِ التَّهْكُمِ وَالسُّخْرِيَّةِ، مَشُوبٍ بِشَيْءٍ مِنَ العِظِظِ المَكْتُومِ: «وعلى أَنَّ الأَمْرَ لَا يَعدُو الإِغرابَ عَن رَأْيِي لَكَ وَرَأْيِي لِي، وَإِخالُ أَنَّ رَأْيَكَ يُناقِضُ رَأْيِي؛ فَالمَرَأَةُ مَخْلُوقٌ مُتَأَخَّرٌ يَجِبُ تَسْيِيرُهُ وَتَوْجِيهُهُ، وَعلى هَذَا يَتَعَدَّرُ وَضَعُها فِي مِصافِ الرَّجُلِ، أَي فِي المَقامِ الَّذِي وَصَلَ إِليه» .

ولَما هَمَّ بِالإِنْتِقالِ إِلى قاعةِ الإِسْتِقبالِ اسْتَوْقَفَهُ بوشكينُ، وَقَالَ: «إِنَّ الخِيانَةَ كما أَكْذَبْتُ لَكَ هِيَ وَليدَةُ الفارِقِ الَّذِي تُؤَيِّدُهُ، يا سَيِّدِي، أَلَمْ تَسْمَعْ البَارِحَةَ ما جَرى؟»

- «وماذا جرى؟»

- «لقد تحدّى الكونت بركنكوف غريمه في زوجته، وتبارز الاثنان فقتل العشيق لساعته».

ولهفت نفس أوبلنسكي، وودّ لو اشتطاع أن ينبّه الرجل الثرثار إلى تهوّه، ودّ لو صفعه على وجهه. وحاول أن يصرّف الاثنين عن متابعة الحديث، فدعاهما إلى مغادرة مأدبة الطعام. غير أن كارنين حدّجه بنظرة صارمة، وألقت إلى الصحفيّ وسأله، وكأنه لم يسمع كلّ كلامه: «وما السبب؟ ماذا جرى؟ أشجار، أم خلاف في المبدأ؟»

قال الصحفيّ: «إنها الخيانة الزوجيّة كما قلت لك، ولا شيء غيرها. وقد أثنى الجميع على الزوج، فهو شجاع دلال بحزم على شجاعته، واستأهل بذلك كلّ تقدير».

وعضّ كارنين على نواجذِهِ، وتنفّس الصعداء من شدة ما ألمّ به من الكرب. وأخنى رأسه، ثمّ مشى برّقي إلى قاعة الاستقبال فتهاكك على مقعد صغير، وجلست داريا إلى جانبه واسترقت إليه نظرات خائفة وجلّة، لكنّها لم تستشّف ما خالج صدر الرجل الغامض، فتملّمت في ضيق وقالت: «لكم سبب لي حضورك من سرور وانسراح يا سيدي، فأنت دائماً في القلب، أنت صديق يرتاح الإنسان إليه كلّ الاّرتياح».

فتكلّف كارنين الاّبتسام وأجاب: «هذا واجب تقتضيه العشرة والألفة يا سيدي؛ وإنّي، وإيم الحقّ، جدل لهذه الفرصة».

- «وكم تراك تمكث بيننا؟»

- «سأرحل على التوّ، فأعمالي كثيرة، وهي تضطرّني إلى التجوال في المناطق البعيدة عن موسكو».

وفتحت داريا فاهها لتتكلم، لكنّها أطبقته من دون أن تتكلّم. ورامها كارنين بنظرة لطيفة شجعتها على ما تريد، فابتدرته تقول: «لقد داخلني من مودة أنا ما جعلني دائماً في شوق إليها، فكيف هي الآن؟»

قال: «إنّها وافرة الصّحة والهناء».

وقطب قلباً وتوترت عضلات وجهه.

قَالَتْ: «وَمَعَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَا أَطْلُبُهُ مِنْكَ هُوَ مِنَ الْأَشْرَارِ الَّتِي يَجِبُ كَتْمُهَا، فَإِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَنْ تَبْنِي هَمَّكَ، وَتُطْلِعَنِي عَلَى دَفِينِ أَمْرِكَ».

- «إِعْلَمِي أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ شَدِيدُ الْوَطْأَةِ عَلَى نَفْسِي، فَحَوْلِي إِنْ أَرَدْتِ دَفْنَهُ إِلَى اتِّجَاهِ آخَرَ».

- «أَطْلُبُ الصَّفْحَ يَا صَدِيقِي، بَيِّدْ أَنِّي أُلْحُ، فَأُنَبِّئُ بِالْخَبْرِ الْيَقِينِ، وَلَا تَكْتُمُ مَا سَوْفَ يَنْفُسُو زَيْشِيْعُ».

- «إِنَّ زَوْجَكَ، إِنْ صَدَقْتَ فِرَاسَتِي، فَصَّرْ عَلَيْكَ خَبْرِي».

- «إِنَّهُ قَدْ فَعَلَ، وَلَكِنْ بِيَجَازٍ. فَمَاذَا تَأْخُذُ عَلَيَّ أَنَا؟ مَاذَا فَعَلْتَ حَتَّى اسْتَوْجَبْتِ الْعِقَابَ؟»

- «إِفْتَرَفْتُ أَحَطَّ جَرِيْمَةٍ يُمَكِّنُ أَنْ تَقْتَرِفَهَا امْرَأَةٌ مُتَزَوِّجَةٌ».

- «أَكَاذُ أَنْ أُكْذِبَ سَمْعِي يَا أَلِكْسِيْسِ كَارْنِيْنِ».

- «بَلْ صَدَّقِي كُلَّ كَلِمَةٍ. لَقَدْ نَكَّثْتَ أَنَا بَعْدَهَا، وَطَعَنْتِ زَوْجَهَا فِي قَلْبِهِ وَشَرَفِهِ».

- «وَمَاذَا فَعَلْتَ؟»

- «إِزْنَكَيْتِ الْفَاحِشَةَ، إِزْنَسَتْ فِي أَحْضَانِ الْفُجُورِ، شَرِبَتْ مِنَ الْمِيَاهِ الْآسِنَةِ الَّتِي تَسْمُ شَارِبَهَا بِالرَّذِيْلَةِ وَالْخَنِ».

- «لَا، لَا، لَنْ أُصَدِّقَ!»

- «هَذَا شَأْنُكَ، وَلَكِ أَنْ تَصَدَّقِي كَلَامِي، أَوْ تُنْسِبِيهِ إِلَى الْكُذْبِ الْوَضِيْعِ».

- «أَنَا وَائِقَةٌ مِنْ اسْتِقَامَتِكَ، مُوقِنَةٌ بِكَرَمِ طِبَاعِكَ، لَا أَرْتَابُ، وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَرْتَابَ فِي نَوَايَاكَ. غَيْرَ أَنَّ الْخِيَانَةَ لَمْ تَخْطُرْ لِي عَلَى بَالٍ، فَأَنَا أَعْرِفُ أَنَا وَأَخْتَرِمُهَا، وَأُقَدِّرُ رَجَاحَةَ عَقْلِهَا».

فَتَلَهَّبَ كَارْنِيْنُ غَضَبًا، وَهَتَفَ مُتَأَجِّمًا مُحْتَدِمًا: «أَنْتِ تُدَافِعِينَ لِمَجَرَّدِ الدَّفَاعِ، أَوْ لِأَنَّ صَدِيقَتِكَ عَزِيْزَةٌ عَلَى نَفْسِكَ، لَا تَرْضِيْنَ لَهَا الْمَدْلَةَ وَالْهَوَانَ. وَلَكِنْ، مَا قَوْلُكَ فِي اعْتِرَافِهَا؟ لَقَدْ اعْتَرَفَتْ لِي هِيَ بِمَخْضِ إِرَادَتِهَا، اعْتَرَفَتْ بِعَلَاقَتِهَا الْأَيْمَةِ. وَهَلْ يُعَدُّ الْكَلَامُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ إِنْسَانٌ بِعِلْوِ اخْتِيَارِهِ لَعْنًا وَهَرَاءً، وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَ اعْتِرَافًا؟»

- «إِعْتَرَفْتُ! . . .» .

- «وَقَالَتْ إِنَّهَا تَنْظُرُ إِلَى السَّنِينَ الَّتِي فَضَّضَتْهَا مَعِيَ كَأَنَّهَا سِنُو بُؤْسٍ وَشَقَاءٍ، وَإِنَّ مَا تَبَقِيَ لَهَا مِنَ الْعُمُرِ سَوْفَ تَعْرِفُ جَيِّدًا كَيْفَ تَقْضِيهِ» .

- «أَوْهَ! وهل في مِكَتِّي أَنْ أُوَفِّقَ بَيْنَ صَدِيقَتِي أَنَا وَالخِيَانَةَ الزَّوْجِيَّةِ؟ أَنَا، تِلْكَ الْمَرْأَةُ الْعَاقِلَةُ الْأَيُّهُ، أَتَرَدَّى فِي مِثْلِ هَذَا الْجَرْفِ!»
وَعَصَّتِ الْمَرْأَةُ بِرَيْقِهَا، وَاخْتَنَقَ صَوْتُهَا .

أَمَّا كَارْنِينُ فَقَدْ أَثَّرَ فِيهِ كَثِيرًا مَا شَاهَدَهُ مِنْ أَلَمِ دَارِيَا وَرِقَّتِيهَا، فَسَارَعَ يَقُولُ: «تَغَاضَيْتُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَلَمْ أَرِدْ أَنْ أَعَابِيهَا مَعَ أَنْ ذَنْبُهَا أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُعْتَفَرَ؛ لَكِنَّهَا اسْتَعَلَّتْ سُكُوتِي وَصَفْحِي فَعَمِلَتْ عَلَى قَتْلِ إِحْسَاسِ الشَّفَقَةِ فِي نَفْسِي . لَكَمْ كُنْتُ أَوْدُ أَنْ تَفِيءَ أَنَا إِلَى نَفْسِهَا وَتَسْتَعِيدَ رُشْدَهَا، لَكِنَّهَا تَمَادَتْ يَا عَزِيزَتِي دَارِيَا حَتَّى بَلَغَتْ الرُّوحَ التَّرَاقِيَّ^(١) . . .» .

وَتَنَفَّسَ الرَّجُلُ الْمَهِيضُ الْجَنَاحَ مِنْ كَبِدِ حَرَى، وَتَابَعَ يَقُولُ: «كُلُّنَا يَخَافُ الشُّكَّ، لِأَنَّهُ يَمْرُغُ^(٢) الصَّدْرَ، وَلَكِنْ مَتَى انْقَلَبَ الشُّكُّ يَقِينًا مَزَقَ الرُّوحَ . أَجَلْ، مَزَقَ الرُّوحَ الشَّفَافَةَ الْهَيْوَلِيَّةَ الرَّيْقَةَ . لَقَدْ ذَهَبَ الْأَمَلُ يَا دَارِيَا، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا، لِأَنِّي كُلَّمَا نَظَرْتُ رَأَيْتُ الرَّجْسَ مُجَسِّمًا، وَالْفُحْشَ مُنْطَبِعًا بِصُورَةِ مُرْوَعَةٍ فِي أَسَارِيرِهَا» .

- «هَذَا مُخِيفٌ يَا كَارْنِينُ» .

- «وَأَخَوْفُ مِنْهُ مَا طَفِقْتُ أَشْعُرُ بِهِ مِنْ نُفُورٍ شَدِيدٍ مِنَ الطُّفْلِ الْبَرِيِّ . أَتُصَدِّقِينَ؟ لَقَدْ أَضْبَحْتُ أَنْفَرُ مِنْ ابْنِي!»

- «يَا لَكَ مِنْ شَقِيٍّ!»

- «إِنِّي أَشْقَى مِنْ وُجِدَ، إِنِّي التَّعَاسَةُ الَّتِي تَفْرَعُ مِنْهَا كُلُّ تَعَاسَةٍ عَرَفَهَا الْإِنْسَانُ» .

- «وَعَلَامَ عَوَّلْتُ؟ هَلْ عَزَمْتَ عَلَى طَلَاقِهَا؟»

- «وَهَلْ لِي نُدْحَةٌ مِنْ ذَلِكَ؟ أَلَدَلِيكَ غَيْرُ هَذَا الْحَلِّ؟»

(١) التَّرَاقِي: مُفْرَدُهَا «تَرْقُوه»، وَهِيَ الْعَظْمُ الَّذِي فِي أَعْلَى الصَّدْرِ بَيْنَ ثُغْرَةِ النَّخْرِ وَالْعَاتِقِ .

(٢) يَمْرُغُ الصَّدْرَ: يُمْرَقُهُ .

فَلَاذَتْ دَارِيَا بِالصَّمْتِ، وَأَعْمَصَتْ عَيْنَيْهَا ثُمَّ فَتَحَتْهُمَا، فَإِذَا بِالدموعِ تَرَفَّرَتْ فِي حَدَقَتَيْهِمَا، وَإِذَا بِهَا تَقُولُ: «لَا يَسْتَعْصِي عَلَي مِثْلِكَ البَحْثُ عَن حَلِّ آخَرَ».

- «وَكَيْفَ؟ هَلْ أَبْقَى كَمَا أَنَا الْآنَ؟ هَلْ أَصْبِرُ عَلَى هَذَا الضَّيْمِ؟ لَقَدْ أَعْمَلْتُ الفِكْرَ طَوِيلًا، فَمَا اهْتَدَيْتُ إِلَى وَسِيلَةٍ أُخْرَى سِوَى الطَّلَاقِ، أَمْ إِنَّكَ تُرِيدِينَ مِنِّي أَنْ يَكُونَ لزوجتي زَوْجٌ ثَانٍ».

فَتَصَاعَدَ الدَّمُ إِلَى وَجْهِهَا، وَاسْتَعْبَرَتْ عَيْنَاهَا، وَأَنْشَأَتْ تُتَمِّمُ بِهِمْسٍ: «مَا أَضْعَبَ المَوْقِفَ! مَا أَضْعَبَ المَوْقِفَ!»

ثُمَّ اسْتَدَارَتْ بَعْتَهُ وَالتَفَتَتْ، وَمَا عَثَمَتْ أَنْ أَرَدَفَتْ: «ولِكن، مَا قَوْلُكَ بِمَا حَرَمَهُ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ؟ أَوْ تُجِيزُ مَا يَمْنَعُهُ اللهُ؟ أَوْ تُضْرِبُ بِوَصِيَّةِ اللهِ؟ أَوْ تَقْسُو حَيْثُ حَنَّنَا اللهُ عَلَى الرَّحْمَةِ؟ وَمَاذَا يَخْذُتُ؟ مَاذَا يَجِلُّ بِهَا مَتَى أَضْبَحْتَ بِلَا زَوْجٍ وَوَلَدٍ؟ أَتَرْضَى لَهَا بِالنَّهَائَةِ الرَّهِيبةَ الَّتِي تَنْتَظِرُهَا إِنْ تَحَلَّيْتَ عَنْهَا؟»

- «مَا أَكْثَرَ مَا أَرْمَظُنِي هَذَا الفِكْرُ! وَمَا أَكْثَرَ مَا عَذَّبَنِي! بَيِّدْ أَنِّي رَأَيْتُ أَحْيَرًا أَنْ أَسْحَقَ نَأْمَةَ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةَ، وَأَبْحَثَ عَمَّا يَنْفَعُنِي وَيُخَفِّفُ أَلْمِي».

- «إِذَا...».

- «مَنْحَتُهَا الفُرْصَةَ لِتَتَوَبَّ وَتَرْجِعَ، مَنْحَتُهَا الفُرْصَةَ لِتُقْلِعَ، فَلَمْ تَرْتَدِعْ، بَلْ أَسْرَفْتَ فِي اسْتِهْتَارِهَا، وَوَصَلَ بِهَا جُنُونُهَا إِلَى دَرَجَةٍ لَمْ تَتَوَرَّعْ مَعَهَا عَنِ اسْتِغْدَامِ عَشيقِهَا إِلَى بَيْتِهَا، بَيْتِي أَنَا. أَبْعَدَ هَذَا كُلَّهُ تَطْلِبِينَ إِلَيَّ أَنْ أُحْجِمَ عَنِ الطَّلَاقِ؟»

- «نَعَمْ، مَا زِلْتُ مُصِرَّةً عَلَى اسْتِحْلَافِكَ بِكُلِّ عَزِيزٍ وَغَالٍ أَنْ تَنْزِعَ هَذِهِ الفِكْرَةَ الكَرِيهَةَ مِنْ رَأْسِكَ».

- «وَبِمَاذَا تُشِيرِينَ؟ مَاذَا أَفْعَلُ غَيْرَ ذَلِكَ؟»

- «أَلِكْسِيْسُ كَارِنِينَ! كُنْ إِنْسَانًا. كُنْ ذَلِكَ الإِنْسَانُ الَّذِي عَرَفْتُ وَأَحْبَبْتُ. كُنْ إِنْسَانًا، وَضَحَّ مِنْ أَجْلِ رَوْحِهَا الخَائِزَةِ. ضَحَّ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَا تُضَحَّ بِامْرَأَةٍ ضَلَّتِ السَّبِيلَ؛ لَا تُقَذِّفْ بِهَا فِي الحِمَاةِ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ وَسَوْفَ يُكَافِيكَ وَيُجَازِيكَ».

- «وَمَا الحِيلَةُ؟ أُنْبِئِينِي».

- «فَكَرُّ أَنْتَ، وَلَا تُفَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَى الْيَأْسِ».

- «طَالَمَا فَكَّرْتُ، وَطَالَمَا قَدَحْتُ زِنَادَ الْفِكْرِ، فَلَمْ أَصِلْ إِلَى نَتِيجَةٍ. عَلَى أَنِّي لَا أَنْكِرُ فَضْلَكَ، وَلَا يَسْعُنِي إِلَّا شُكْرُكَ. إِنِّي ذَاهِبٌ الْآنَ فَتَمِّمَ مَا يَضْطَرُّنِي إِلَى مُبَارَحَتِكُمْ».

- «تَرَيْتَ يَا كَارِنِينَ، إِنِّي قَلِيلًا، وَلَا تَهَبِ التَّقَالِيدَ الْبَالِيَةَ، بَلْ ثَبِّتْ إِلَى الْأَمَامِ، وَاطْفِرْ بِنَزْعَتِكَ الْإِنْسَانِيَّةَ السَّامِيَةَ».

- «تَطْلُبِينَ الْمُحَالَ».

- «بَلْ أَطْلُبُ الْمُسْتَحِيلَ مِنْ شَخْصٍ قَادِرٍ عَلَى كُلِّ مُسْتَحِيلٍ. أَلَمْ يَفْعَلْ بِي زَوْجِي مَا فَعَلْتَهُ أَنَا بِكَ؟ أَلَمْ أَبَاغْتَهُمَا مُتَلَبِّسِينَ هِيَ وَزَوْجِي؟ وَصَمَّمْتُ عَلَى أَنْ أَبْتَعِدَ عَنْهُ، أَنْ أَهْجَرَ بَيْتَهُ، لَكِنَّ أَنَا جَاءَتْ مُهْرِعَةً وَحَدَّثْتَنِي حَدِيثَ الرَّحْمَةِ، فَفِئْتُ إِلَى نَفْسِي، وَثَابَ إِلَيَّ رُشْدِي، وَأَنْقَذْتُ بَيْتِي مِنَ الدَّمَارِ».

- «وَكَيْفَ تَشْعُرِينَ الْيَوْمَ؟»

- «رَجَعْتُ إِلَيَّ سَعَادَتِي بِفَضْلِ أَنَا، وَلَنْ يَعْزُبَ^(١) عَنِّي مَهْمَا امْتَدَّ الْأَجَلُ مَا فَعَلْتَهُ وَمَا آذَنَهُ. لَقَدْ صَفَحْتُ وَعَفَوْتُ، فَانْسُجْ عَلَى مَنَوَالِي، وَاصْفَحْ صَفْحًا جَمِيلًا تَلْقُ عَاقِبَةً جَمِيلَةً».

فَهَزَّ رَأْسَهُ بِشِدَّةٍ وَأَجَابَ: «يُؤَسِّفُنِي أَنْ أَخَيَّبَ رَجَاءَكَ، فَلَسْتُ قَادِرًا عَلَى الصَّفْحِ! لَا يُمْكِنُ ذَلِكَ، فَدُونَ الْعَفْوِ خَرِّطُ الْقِتَادَ!»

- «أَوْتُخَلِّفُ ظَنِّي فِيكَ؟»

- «قُلْتُ يُؤَسِّفُنِي ذَلِكَ. وَتَأَكِّدِي أَنَّ إِضْرَارِي لَا يَبِيحُ عَن ظُلْمٍ أَوْ طُغْيَانٍ أَوْ قَسْوَةٍ وَتَحَجُّرٍ. أَنَا لَا أَكْرَهُ أَيَّ شَخْصٍ فِي الْوُجُودِ، عَلَى أَنَّهَا عَلَّمَتْنِي الْمَقْتِ، عَلَّمَتْنِي الْمَقْتِ الشَّدِيدَ الَّذِي يَتَلَطَّى وَيَسْتَعْرِ».

وَطَفَرَتْ عَبْرَةً مُحْرِقَةً مِنْ عَيْنَيْهِ، فَمَسَحَهَا بِظَهْرِ يَدِهِ وَاسْتَلَى: «مَا أَجْمَلَ الصَّفْحَ يَا دَارِيَا سَاعَةً يَسْتَحِقُّهُ الْإِنْسَانُ، أَمَا أَنْ تَصْفَحِي عَنِ امْرَأَةٍ فَاجِرَةٍ حَطَمَتْ بَيْتَهَا، وَمَا زَالَتْ، فَجَرِيْمَةٌ نَكَرَاءُ، وَإِحَالُ أَنْ اللَّهُ تَعَالَى لَا يُبَارِكُ مَنْ يَصْفَحُ عَنْهَا!»

(١) يَعْزُبُ عَنِّي: يَغِيْبُ عَنِّي.

وَصَمَتَ فَيْنَةً ثُمَّ مَضَى يَقُولُ: «ولا أرى في ما أَبَدَيْتِ رَأْيًا سَدِيدًا، لا أرى في ما قُلْتِ ما يَقْوَى على ثَنِي عَن عَزِيْمَتِي. إِنَّني صَمَمْتُ مَلِيًّا، وَصَبَرْتُ مَلِيًّا، لِكِنِّي مُضْطَرٌّ الْآنَ إِلَى أَنْ أُدَافِعَ عَن نَفْسِي حَتَّى أَطْوِئَنَّ فِي بَيْتِي وَبَلَدِي».

يا لَشِدَّةَ العَيْشِ مَتَى حَزَبَ الأُمْرُ!

يا لِلنَّفْسِ مَتَى جَرَى ما يُضْعِفُها وَيُدْلِها!

وَكُلُّنا سَواءٌ، أَرْضينا أَمْ كَرِهنا.

كُلُّنا سَواءٌ، نَخْضَعُ، ثُمَّ نَتَمَرَّدُ، وَنَضْبِرُ، ثُمَّ يَنْقُدُ صَبْرُنا.

كُلُّنا سَواءٌ، وَكُلُّنا هَباءٌ...

* * *

ذَهَبَ كارنِينُ في جَوْلَتِهِ العَمَلِيَّةِ في ضَواحي مَوسكو وفي الأَمَكِنَةِ البَعِيدَةِ، ثُمَّ قَفَلَ راجِعًا بَعْدَ بِضْعَةِ أَيَّامٍ وَهُوَ مُعَوَّلٌ على اسْتِثْنافِ السَّعْيِ لِلظَّفَرِ بِالطَّلَاقِ.

ولِكِنَّهُ ما كادَ يَسْتَرِيحُ في الفُنْدُقِ مِن وَعْثاءِ السَّفَرِ، حَتى وَصَلَتْهُ بَرَقِيَّةٌ مِن بَطرسبرج، ما إنِ اطَّلَعَ على مُحتَواها حَتى دُهَشَ وَتَوَلَّاهُ الإِضْطِرابُ، كما أَصابَهُ هَلَعٌ شَدِيدٌ.

فَقَدَ جِاءَ في البَرَقِيَّةِ: «أنا أَكادُ أَفارقُ الحِياةَ، فَعُدْ بِسُرْعَةٍ، تَعالِ قَبْلَ فِواتِ الأَوانِ، لِأَنَّ نَفْسِي المُعَدَّبَةَ لَنْ تَهْجَعَ في لَحْدِها وَتَسْتَرِيحَ قَبْلَ أَنْ أَنالَ صَفْحَكَ وَغُفْرانَكَ».

«أنا»

وَأَدْخَلَ الشُّكُّ في رُوعِهِ أَنَّ أَنا تَروُمُ خَدَعُهُ، وَأَنَّ حَالتَها طَيبَةٌ لا تَسْتَدْعِي القَلَقَ وَالخَوفَ.

ولم يَحْزِمِ أَمْرُهُ على شَيْءٍ، بَلْ أَعادَ تِلاوَةَ البَرَقِيَّةِ، وَتَمَعَّنَ في الكَلِماتِ وَالْمَعانِي، وَتَساءَلَ عَن خَطِيبِها. تُرى هَلْ أَصابَها مَكْرُوهٌ؟ إِنَّ الجِنينَ الَّذي حَمَلَتْهُ سِفاحا أَبى أَنْ يَبْقَى ليعيشَ شَقِيًّا مَنبوذًا مَقْصِيًّا..!

إِنَّها تَطْلُبُ العُفْرانَ. أَفَيَبْحُلُ عَلَیْها بِمَشِيئِها الأَخيرةَ؟ أَفَيَحِيبُ رَجاءَ امرَأَةٍ مُحتَضِرَةٍ؟

كَلّا. كَلّا. وَإِنسانِيَّتُهُ الصَّادِقَةُ تَتَمَرَّدُ على إِرادَتِهِ إِنَّ أَرَمَعَ على رَفْضِ مُلتَمَسِها، وَتَرَكَها

تموت والحسرة تنهش كبدها.

وقام لساعته، فرتب شؤونه، وانتظر موعد القطار، فركب في طريقه إلى بطرسبرج، وهو يتهل إلى الله أن يصل قبل أن تلفظ المشفية^(١) أنفاسها الأخيرة.

ولكنه، في الوقت عينه، كان يؤكد لنفسه أنه لن يتأخر لمحة عن الرجوع إن اكتشف باطلها، وعلم أنها عررت به وخذعته لحاجة في نفسها ونفس حبيبها!

وتقابل وجهها لوجه مع الحاجب، فابتدره يسأله عن زوجته، فأخى الرجل هامته وابتسم ثم أجاب: «إنها مريضة يا سيدي، وقد وضعت أمس مولوداً أنثى».

فبات وجه كارنين كوجوه الموتى، وسمر إلى الأرض، وألجم لسانه فلم ينطق. وود في تلك اللحظة الحالكة لو قال له الحاجب: «لقد قضت سيدي نحبها!»

لكنها مريضة كما قال الرجل، فلعلها تبي^(٢) من مرضها، لعلها تنهار فيتخرم روحها القديرة الموت الزوام^(٣)!

وعاد يسأله: ماذا أصابها؟ ما هو وصيها^(٤)؟

قال: «لا أدري بالتمام، على أن الطبيب لا يبارح مخدعها».

وتقدم كارنين مطاطئ الرأس، يشعر بالمضض المتناهي ويكاد ينوء تحت ثقل الصربات المتلاحقة.

وأخذت عينه في زاوية معطفاً عسكرياً، فحملق فيه مدعوراً، وما عتم أن سأل خادماً آخر عن صاحبه. فتردد الخادم وأجاب: «إنه... إنه معطف الكونت فرونسكي».

وتلفت حوله، وخطا إلى الأمام مجفلاً محتاراً. وإذا بباب غرقة أنا يفتح بسكون، وتخرج منه القابلة بثوبها الأبيض. فلما شاهدته حيته ببسمة طافية وابتدرته تقول: «لقد أتيت، ولهذا من حسن الحظ، فهي لا تفتأ تطلبك وتردد اسمك».

(١) المشفية: المشرفة على الموت.

(٢) تبي من مرضها: تشفى من مرضها.

(٣) الموت الزوام: الموت الكريه.

(٤) وصيها: وجعها.

وَارْتَفَعَ صَوْتُ أَحْسَنُ يُهَيَّبُ بِالْقَابِلَةِ أَنْ تُسْرِعَ بَأَنِيَةِ الثَّلْجِ، فَأَدْرَكَ أَنَّهُ الطَّيِّبُ الْمُدَاوِي،
وَأَنَّهُ يَحُثُّ الْخَادِمَ عَلَى الْإِسْرَاعِ بِإِحْضَارِ الثَّلْجِ. وَلَوْلَا أَنَّ حَالَةَ أَنَا سَيِّئَةٌ لَمَا عَلَا صَوْتُ
الطَّيِّبِ، وَلَمَا تَهَدَّجَ غَضَبًا.

وَدَلَفَ رَبُّ الْبَيْتِ إِلَى حُجْرَةٍ صَغِيرَةٍ تَجَاوِرُ مَخْدَعَ النَّوْمِ فَرَأَى فِرُونْسْكِ جَالِسًا عَلَى
الْأَرِيكَةِ، وَسَمِعَهُ يَنْشِجُ بِالْبُكَاءِ.

وَتَنَاهَى إِلَى الشَّابِّ الْمَكْتَبِ رِكْزُ^(١) خَفِيفٌ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، وَوَقَعَ طَرْفُهُ عَلَى كَارِنِينَ،
فَارْتَجَفَ وَارْتَعَشَ، وَتَمَلَّمَلْ فِي مَكَانِهِ كَأَنَّهُ يُنْوِي الْوُقُوفَ، ثُمَّ عَادَ فَتَرَاحَى وَمَالَ بِرَأْسِهِ إِلَى
جَانِبٍ.

وَعَادَ فَهَضَّ وَاقْفَا وَتَقَدَّمَ مِنْ كَارِنِينَ خُطْوَةً، وَقَالَ: إِنَّ زَوْجَتَكَ تَسِيرُ بِسُرْعَةٍ نَحْوَ
الْمَوْتِ، إِنَّهَا تُحْتَضِرُ. وَأَصَارِحُكَ بِأَنِّي طَوَّعُ أَمْرِكَ فِي كُلِّ مَا تَطْلُبُ، عَلَى أَنْ تَتْرَكَنِي الْآنَ
فَلَا تَطْرُدْنِي.

وَأَنْشَى كَارِنِينَ بِرَأْسِهِ كَأَنَّهُ لَا يَوَدُّ أَنْ يَرَى فِرُونْسْكِ، ثُمَّ عَجَلَ فَتَقَدَّمَ مِنَ الْمَخْدَعِ، وَوَقَفَ
مُرْهَفًا أُذُنِيهِ.

أَصَاحَ كَارِنِينَ، وَتَنَاهَى إِلَيْهِ صَوْتُ امْرَأَتِهِ، فَحَاوَلَ أَنْ يَلْتَقِطَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَتَفَوَّهُ
بِهَا. كَانَتْ تُتْرَبِرُ بِسُرْعَةٍ، وَتَهْضُلُ^(٢) بِكَلِمَاتِهَا بِصَوْتِ قَوِيِّ النَّبْرَةِ، وَكَأَنَّهُ بَتَّ فِي أَمْرٍ تَرَدَّدَ فِيهِ
كَثِيرًا. فَدَفَعَ الْبَابَ بِرَفْقٍ وَدَخَلَ، وَأَلْقَى عَلَى الْمُحْتَضِرَةِ نَظْرَةً وَجِلَّةً، فَإِذَا بِهَا مُسْتَلْقِيَةً عَلَى
مَضْجِعِهَا، وَقَدْ جَحَظَتْ عَيْنَاهَا، وَتَضَرَّجَ مُحْيَاهَا، وَتَفَصَّدَ الْعَرَقُ مِنْ جَبِينِهَا. وَكَانَتْ تَهْدِي
بِكَلِمَاتٍ مُتَقَطَّعَةٍ لَا مَعْنَى لَهَا. كَانَتْ تَهْدِي وَتَقُولُ:

«يَا أَلِكْسِيْسَ كَارِنِينَ... يَا أَلِكْسِيْسَ... وَي! اسْمٌ وَاحِدٌ لِكِلَيْهِمَا! أَمُصَادَقَةٌ هِيَ أُمُّ
نَيْمَةَ مُضْبُوبَةٌ عَلَى رَأْسِي؟! أَلِكْسِيْسَ كَارِنِينَ، أَيْنَ أَنْتِ أَيُّهَا الزَّوْجُ الرِّضِيُّ الْخُلْتِي؟ أَمَا تَأْتِي؟
لَقَدْ دَعَوْتُكَ، فَأَتِ.. أَنْتِ كَرِيمُ النَّفْسِ، أَنْتِ سَمِحٌ لَا تُعَاقِبُ، فَتَعَالِ، أَرْجُوكِ. أَكَادُ
أَخْتِنِي... أَكَادُ أَمُوثُ. أَعْطُونِي مَاءً. أَعْطُونِي دَوَاءً... مَاذَا جَرَى لِي؟ وَأَيْنَ طِفْلَتِي؟
إِحْمُوهَا مِنْ كُلِّ سَوْءٍ. أَطْعِمُوهَا. أَرْضِعُوهَا. وَلِكَيْتَهُ سَيَتَعَدَّبُ سَاعَةً يَسْمَعُ وَيَرَى. فَمَا

(١) رِكْزُ: صَوْتُ خَفِيفٍ.

(٢) تَهْضُلُ أَوْ تَهْضُلُ بِالْكَلامِ: تُكْزِرُ مِنْهُ عَلَى اضْطِرَابٍ، تَنْطَلِقُ فِيهِ.

الْعَمَلُ؟ رَبَّاهُ! مَا الْعَمَلُ؟...».

وَرَدَّ عَلَيْهَا الطَّيِّبُ وَهُوَ يَمْسَحُ عَلَى جَبِينِهَا الْمُتَهَبِّ بِمَنْدِيلٍ مُبْتَلٍ: «إِنَّهُ هُنَا يَا سَيِّدَتِي أَنَا،
إِنَّ زَوْجَكَ مَعَكَ هُنَا».

فَلَمْ تَعِ مَا قَالَهُ، وَلَمْ تَرَ بَعَيْنَيْهَا الْمُفْتَحَتَيْنِ إِلَّا أَشْبَاحًا وَأَطْيَافًا، وَمَضَتْ هِيَ تَهْدِي
وَتَقُولُ: «أَيْنَ طِفْلَتِي، حَبِيبَتِي؟ هَاتُوهَا... إِنَّنِي أَرْغَبُ فِي رُؤْيَيْهَا... مَا بَالُهُ تَمَنَعُ؟ لِمَ لَمْ
يَأْتِ؟ وَيَلَاهُ! إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ، فَقَدْ آلَى أَلَا يَصْفَحَ عَنِّي.. أَنَا واثقةٌ مِنْ ذَلِكَ. فَهُوَ شَدِيدُ
الْمِرَاسِ، يَخْلُمُ كَثِيرًا، وَيَضِرُّ طَوِيلًا. فَإِذَا غَضِبَ لَا يَسْتَلُّ الْغَضَبَ مِنْ قَلْبِهِ شَيْءً، حَتَّى
الْمَوْتُ...».

وَتَفْتَحَتْ عَيْنَاهَا الْمُفْتَحَتَانِ، وَانْجَابَتِ الْعِشَاوَةُ الَّتِي كَانَتْ تُظَلِّلُهُمَا، فَرَأَتْ زَوْجَهَا،
وَاضْطَرَبَتْ، وَازْتَعَدَتْ. وَمَا أَسْرَعَ مَا صَرَخَتْ بِصَوْتٍ مُبْحُوحٍ: «هُوَ هُنَا، فَلْيَعْلَمْ أَنِّي مُطْمَئِنَّةٌ
لَا أَرْهَبُ نَظْرَتَهُ الصَّارِمَةَ... أَمَا الْمَوْتُ... أَوْه! ائْتِعِدْ يَا مَوْتُ، ائْتِعِدْ! أَيُّهَا الطَّيِّبُ،
إِضْغَعْ شَيْئًا... اذْرَأْ الْمَوْتُ عَنِّي».

وَلَمْ يُطِقْ كَارِنِينَ صَبْرًا، وَذَابَ قَلْبُهُ شَفَقَةً، فَانْحَنَى ثُمَّ جَلَسَ عَلَى حَافَةِ السَّرِيرِ، وَرَبَّتْ
يَدَهَا السَّاخِنَةَ، وَأَمْسَكَ بِهَا كَأَنَّهُ يَوَدُّ أَنْ يُطْمِئِنَّ زَوْجَهُ إِلَى صَفْحِهِ. وَمَا لَيْتَ أَنْ أَعْمَضَ
عَيْنَيْهِ؛ وَمِنْ جَفْنَيْهِ الْمُسْبَلَيْنِ سَحَّتْ عَبْرَاتُ رَجُلٍ لَا يَضْطَعُنَّ عَلَى امْرِئٍ وَلَا يَحْمِلُ
سَخِيمَةً^(١).

وَلَكِنَّ يَدَ زَوْجَتِهِ اخْتَلَجَتْ فِي يَدِهِ، فَحَدَقَ إِلَيْهَا مُسْتَطَلِعًا، وَانْبَرَتْ أَنَا تَقُولُ: «أَلَا شُكْرًا
عَلَى مَجِيئِكَ، وَلَسْتُ أَرْغَبُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ، فِي مَغْفِرَتِكَ، فَاصْفَحْ عَنِّي، إِضْرِبْ
صَفْحًا عَنِ سَيِّئَتِي!»

وَقَالَ الرَّجُلُ الْمُتَأَلِّمُ: «أَنَا...».

لَكِنَّهَا لَمْ تَتْرُكْهُ يَتِيمًا، بَلْ تَابَعَتْ: «أَنَا أَمْضِي بِسُرْعَةٍ إِلَى عَالَمِ الْمَجْهُولِ، وَقَدْ طَلَبْتُكَ،
تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ أَنْ تَأْتِي، وَهَا أَنْتَ هُنَا، وَلَنْ أُنْسَى، وَأَنَا هُنَاكَ... بَعِيدًا، أَنْتَ كَرِيمٌ رَحِيمٌ
مُتَأَصِّلٌ فِي الشَّرْفِ».

(١) السَّخِيمَةُ: الضَّغِينَةُ، الْحَقْدُ.

وَبَدَّلَتْ حَالُ كَارْنِينُ، وَانْتَقَلَ بِهِ الشُّعُورُ مِنَ الْأَلَمِ الشَّدِيدِ إِلَى الْإِطْمِئْنَانِ الْمُتَنَاهِي .
 وَتَذَكَّرَ بَيْنَاتٍ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، تَذَكَّرَ كَلِمَاتٍ رَائِعَةً نَطَقَ بِهَا السَّيِّدُ الْمَسِيحُ وَهُوَ يُوصِي
 بِالصَّفْحِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَيُحِثُّ الْإِنْسَانَ عَلَى أَنْ يُحِبَّ حَتَّى عَدُوَّهُ. وَأُفْعِمَ شُعُورَهُ بِسُمُو هَذِهِ
 الْمَحَبَّةِ. أَجَلْ، أُفْعِمَ قَلْبُهُ بِرَوْعَةِ هَذِهِ الْعَاطِفَةِ النَّبِيلَةِ: أَحِبَّ عَدُوَّكَ... أَحِبَّ عَدُوَّكَ...
 أَحِبَّ مَنْ يَبْغُضُكَ. وَجِثَا قُرْبَ السَّرِيرِ، وَانْحَنِ بِرَأْسِهِ حَتَّى لَامَسَ جَبِينَهُ يَدُ أَنَا وَاسْتَخْرَطَ
 فِي الْبُكَاءِ .

وَجَمَدَ الْكُلُّ فِي أَمَاكِينِهِمْ مَشْدُوهِينَ، وَتَحَرَّكَتْ أَنَا فِي مَكَانِهَا، فَمَسَحَتْ عَلَى رَأْسِهِ
 الْخَالِي مِنَ الشُّعْرِ بِيَدِهَا، وَتَمَتَّتْ بِصَوْتِ الظَّافِرِ الْجَدِلِ: «إِنَّهُ صَفَحَ... صَفَحَ... فَيَا
 لِلرَّجُلِ النَّبِيلِ! بَيْدَ أَنَّنِي أَوْدُ أَنْ أَرَاهُ، أَرَى الشَّابَّ، الشَّابَّ. فَأَيْنَ هُوَ؟ ادْعُوهُ إِلَيَّ...» .
 وَهَتَفَتْ: «فرونسكي... فرونسكي...» .

وَجَاءَ الشَّابُّ الْمُلتَاعُ، وَحَدَّدَ فِي الْمَرِيضَةِ حَبِيبَتِهِ نَظْرَةَ الْمُتَأَمِّلِ الْفَاحِصِ، وَلَهْفَتْ نَفْسُهُ،
 فَأَشَاحَ وَجْهَهُ وَتَأَوَّهَ وَزَفَرَ .

لَكِنَّهَا ابْتَدَرَتْهُ تَقُولُ: «مَا بِالْكَ؟ أَلَا تَصْبِرُ عَلَى مَكْرُوهٍ؟ أَلَا تَنْظُرُ إِلَيْهِ، إِلَى زَوْجِي؟ أَنْظُرْ
 إِلَيْهِ، إِلَى الرَّجُلِ الْكَبِيرِ، إِلَى الْمَلَائِكِ الطَّاهِرِ» .
 فَلَمْ يَتَحَرَّكَ فَرُونْسْكِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ .

وَخَاطَبَتْ أَنَا زَوْجَهَا عِنْدِيذٍ، فَقَالَتْ: «أَدُنْ مِنْهُ يَا أَلِكْسِيسَ، وَأَرِغْمُهُ عَلَى الْإِتِّجَاهِ إِلَيَّ
 بِعَيْنِي» .

فَامْتَثَلَ كَارْنِينُ، وَدَنَا مِنْ فَرُونْسْكِ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ مَا تَطْلُبُ أَنَا .
 وَقَالَتْ الْمُحْتَضِرَةُ بِلَهْجَةٍ قَوِيَّةٍ وَصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ: «أَلِكْسِيسَ! أَمْدُدْ لَهُ يَدَا بَيْضَاءَ نَفْيَةٍ،
 صَافِحُهُ... صَافِحُهُ...» .

وَلَمْ يَتَرَدَّدِ الرَّجُلُ، بَلْ مَدَّ لِعَشِيقِ زَوْجِهِ يَدَهُ وَصَافِحَهُ، وَضَعَطَ عَلَى كَفِّهِ... وَانْهَمَرَتْ
 مِنْ عَيْنِيهِ الدَّمُوعُ .

وَهَتَفَتْ وَهِيَ تَبْتَسِمُ وَعَيْنَاهَا تَلْمَعَانِ: «رَبَّاهُ! إِنِّي لَكَ شَاكِرَةٌ، وَلِلْمَوْتِ مُسْتَعِدَّةٌ. فَقَدْ
 صَفَحَ مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ، وَصَفَحَتْ أَنْتَ يَا رَبِّي!»
 وَانْكَفَأَتْ عَلَى جَنْبِهَا وَأَغْمَضَتْ عَيْنَيْهَا وَلَهَثَتْ شَدِيدًا .

خَرَجَ الْجَمِيعُ، وَالْيَأْسُ مِنْ حَيَاتِهَا يَفْوَى عَلَى الْأَمَلِ .
وَانْتَصَفَ اللَّيْلُ، وَكَانَتْ حَالُهَا تَتَدَهَوْرُ وَتَنْحَطُّ، حَتَّى إِنَّ الطَّيِّبَ جَاهَرَ الْجَمِيعَ بِأَنَّ مَا
تَبَقِيَ لَهَا لَا يُنْحَى إِلَّا بِالذَّقَائِقِ .

وَمَضَى فَرُونسِكِي إِلَى دَارِهِ حَزِينًا مُكْتَبِبًا .

وَطَلَّ الْأَلْكَيْسِ صَاحِبًا مُسْتَقِظًا مُفَكِّرًا، يَنْتَظِرُ الْخَبَرَ الْمَشْهُومَ الْمَحْتَمَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَهُوَ
وَاجِفُ الْقَلْبِ، رَاجِفُ الْجَسَدِ .

وَانْقَضَتْ سَاعَاتُ اللَّيْلِ مِنْ دُونِ حَادِثٍ، وَجَاءَ فَرُونسِكِي فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، فَحَيَّاهُ كَارْنِينُ
وَقَادَهُ إِلَى الْغُرْفَةِ الصَّغِيرَةِ الْمَجَاوِرَةِ لِمَخْدَعِ أَنَا، وَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ قَلِيلًا، وَرَجَّاهُ أَنْ لَا يَبْرَحَ
الدَّارَ، فَقَدْ تَطَلَّبُ أَنَا رُؤْيَتَهُ .

وَمَضَى يَوْمَانِ آخِرَانِ وَالْمَرِيضَةُ تَتَرَجَّحُ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، وَالطَّيِّبُ، حَائِرٌ يَعْجَبُ لِهَذَا
الْكَفَاحِ الرَّهِيْبِ، وَيَكَادُ أَنْ يَذْهَلَ عَنِ نَفْسِهِ لَصُمُودِ أَنَا وَمُقَاوَمَتِهَا .

وَانْقَضَى الْيَوْمُ الثَّلَاثُ، وَطَرَأَ عَلَيْهَا تَحَسُّنٌ طَفِيفٌ، فَاسْتَبَشَرَ الطَّيِّبُ وَأَعْلَمَ زَوْجَهَا أَنَّ
مَجَالَ الْأَمَلِ قَدْ اتَّسَعَ مِنْ جَدِيدٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَتَّحَقَّقْ إِلَّا بِأَعْجُوبَةٍ سَمَاوِيَّةٍ . . . وَمَضَى يَوْمَانِ
آخِرَانِ عَظُمَ فِيهِمَا رَجَاءُ الطَّيِّبِ، وَأَيَقَنَ أَنَّ الْمَرِيضَةَ فِي طَوْرِ الْإِبْلَالِ لَا الْإِنْجِلَالِ .

فِي سَاعَةِ الظَّهِيرَةِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ انْفَرَدَ الْأَلْكَيْسِ بِعَشِيقِ زَوْجِهِ فِي تِلْكَ الْغُرْفَةِ الصَّغِيرَةِ،
وَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ بِتَوَدَّةٍ وَتَمَهُّلٍ .

وُحِيلَ لَفَرُونسِكِي أَنَّ الزَّوْجَ الْمَخْدُوعَ يَزْغَبُ فِي بَتِّ أَمْرِهِمَا، وَأَنَّهُ مَا جَاءَهُ الْيَوْمَ إِلَّا
لِيُطْلِعَهُ عَلَى قَرَارِهِ، وَلِهَذَا عَجَّلَ فِقَاطِعَهُ بِقَوْلِهِ: «يَا الْأَلْكَيْسِ كَارْنِينِ، أَنَا مُبْلَبِلُ الْفِكْرِ الْيَوْمَ،
مُوزَعُ النَّفْسِ، فَأَرْجِي الْأَمْرَ، فَهُوَ يُعَذِّبُنِي كَمَا يُعَذِّبُكَ» .

وَتَحَرَّكَ مِنْ مَكَانِهِ فِي طَرِيقِ الْبَابِ . غَيْرَ أَنَّ الْأَلْكَيْسِ اعْتَرَضَ سَبِيلَهُ قَائِلًا: «لَا تَتَعَجَّلْ يَا
سَيِّدِي، بَلْ أَعِزَّنِي سَمْعَكَ فَأَنَا شَدِيدُ الرَّغْبَةِ فِي إِحَاطَتِكَ بِشُعُورِي الْحَقِيقِيِّ . . .» .

وَصَمَتَ فَيْنَةً، ثُمَّ مَضَى يَقُولُ: «كُنْتُ قَدْ اعْتَرَمْتُ الطَّلَاقَ، وَإِخَالُكَ سَمِعْتَ بِمَا صَمَّمْتُ
عَلَيْهِ . وَقُمْتُ بِالْإِجْرَاءَاتِ الْأُولَى تَمْهِيدًا لِإِعْلَامِ زَوْجَتِي بِالذَّعْوَى، وَمَعَ ذَلِكَ كُنْتُ خَائِفًا

أَتَرَدُّدٌ وَأَفْكَرٌ وَأَتْحِيرٌ. وَلَمَّا وَصَلْتَنِي بِرَفِيقَتِهَا بِخَبْرٍ وَعَكَبْتَهَا، لَمْ تَتَبَدَّلْ حَالِي، بَلْ عُدْتُ أَدْرَاجِي وَرَغَبْتِي فِي الْإِنْتِقَامِ لَا تَزَالُ تَجِيشُ بِهَا نَفْسِي. ثُمَّ جَرَى مَا جَرَى وَأَثْرُ فِي الْمَوْتِ الْمَائِلِ، فَتَذَكَّرْتُ وَذَكَّرْتُ، وَأَخَذْتُ الْعِبْرَةَ، وَاهْتَدَيْتُ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَعَقَوْتُ، أَجَلَ عَفْوَتِي. وَلِلصَّفْحِ يَا صَدِيقِي وَقَعَ عَظِيمٌ عَلَى النَّفْسِ؛ إِنَّهُ مِصْفَاةُ الْأَذْرَانِ، وَلَذَّةُ النَّفْسِ الْكُبْرَى... الصَّفْحُ... إِنَّهُ لَسِيرٌ سَمَاوِيٌّ!»

وَكَفَّ عَنِ الْكَلَامِ، وَنَظَرَ إِلَى فَرُونْسِكِي مَلِيًّا، وَعَادَ يَقُولُ بِاللَّهْجَةِ الرَّقِيقَةِ نَفْسَهَا: «لَقَدْ ضَاعَتْ نَفْسِي بِالْدُنْيَا، وَصَعُرَ الْإِنْسَانُ فِي عَيْنِي، أَي فِي عَيْنِ الْإِنْسَانِ، وَرَأَيْتُ كُلَّ شَيْءٍ لَا يَسْتَحِقُّ مَا نُضْفِيهِ عَلَيْهِ مِنَ الْخُطُورَةِ؛ رَأَيْتُ كُلَّ شَيْءٍ حَقِيرًا، إِلَّا السَّانِحَةَ الَّتِي نَسْتَمِدُّهَا مِنْ قُوَّةِ الْخَالِقِ أَيًّا كَانَتْ، كَالشُّعُورِ الْجَمِيلِ، وَالْمَغْفِرَةِ، وَكَلِمَةِ الدِّينِ، وَالْيَتِّ أَنْ أَنْسَى، أَلَيْتُ أَنْ أَنْزِلَ عَنِّي حَقِّي، أَلَيْتُ أَنْ أَتَقَبَّلَ الصَّفْعَةَ كَمَا تَقْبَلُهَا هَادِيٌّ^(١). إِنْ زَوْجَتِي مُدْنِيَّةٌ، وَلِكِنِّي لَا أَمْلِكُ حَقَّ عِقَابِهَا، وَإِنِّي، إِذْ أَفْعَلُ هَذَا، أَبْتِهَلُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُدِيمَ لِي هَذَا الشُّعُورَ الْجَدِيدَ الْحَمِيدَ».

وَاسْتَعْبَرْتُ عَيْنَاهُ، وَانْحَدَرَتْ مَدَامِعُهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَتَجَسَّمَتِ الْمَهَابَةُ فِي تَقَاطِعِهِ، حَتَّى دُهِشَ فَرُونْسِكِي وَتَوَلَّاهُ الذُّهُولُ.

وَاسْتَطْرَدَ كَارِينُ يَقُولُ: «وَلَكَّ إِنْ شِئْتَ أَنْ تُضَاعِفَ كَيْلَ الْمَهَابَةِ، فَأَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ لَا أَبْهَ لَشَيْءٍ. لَكَ أَنْ تُدَلِّنِي وَتَقَهَّرَنِي وَتَجْعَلَنِي مُضْغَةً فِي الْأَقْوَامِ؛ بَيِّدَ أَنِّي لَنْ أَتَخَلَّى عَنْهَا، سَأَعْنِي بِهَا، وَسَأَذُبُ عَنْهَا حَتَّى النِّهَايَةِ!»

وَحَمَلَنِي فَرُونْسِكِي فِي وَجْهِهِ مَشْدُوهَا لَا يَفْهَمُ وَلَا يَعِي.

وَإِنَّ كَارِينُ حَدِيثُهُ وَهُوَ يُطْرُقُ مُسْتَسْلِمًا: «يَخْلُقُ بِكَ الْآنَ أَنْ تَلُودَ بَيْتِكَ؛ ابْنُ هُنَاكَ وَانْتَظِرِ الْكَلِمَةَ، فَرُبَّمَا شَاءَتْ أَنْ تَرَكَ، رُبَّمَا بَعَثَتْ فِي طَلَبِكَ».

وَبَدَّلَ الرَّجُلَانِ نَظْرَاتٍ غَيْرَ نَظْرَاتِهِمَا الْأُولَى، وَخَامَرَ قَلْبَ فَرُونْسِكِي إِحْسَاسٌ بِالضَّعْفِ وَالْهَوَانِ، وَرَأَى نَفْسَهُ صَغِيرًا قَمِيًّا، رَأَى نَفْسَهُ قَرْمًا أَمَامَ هَذَا الطُّورِ الْمُتَعَالِي.

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَهْرَعَ إِهْرَاعًا إِلَى الْخَارِجِ وَكَأَنَّهُ يَفِرُّ مِنْ شَيْءٍ رَهيبٍ!

(١) الهادي: يعني به السيد المسيح.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصلِ عُنْوَانًا مُنَاسِبًا .
- ٢ - ما تَقْوِيمُكَ لِمَا دَارَ بَيْنَ كَارِنِينَ وَأُوبَلْتَسْكِي مِنْ حِوَارٍ فِي شَأْنِ أَنَا؟
- ٣ - مَا الْغَرَضُ الَّذِي أَذَاهُ إِقْحَامُ بوشكين في أحداثِ الرِّوَايَةِ؟ أَعْمَلْ عَلَى تَطْوِيرِ الْأَحْدَاثِ؟
أَأَضَافُ بَعْدًا جَدِيدًا إِلَى مَعَانِيهَا وَغَايَاتِهَا؟ أَعَمَّقَ بَعْضَ الْمَعَانِي أَمْ لَا؟
- ٤ - مَا الدَّورُ الَّذِي حَاوَلْتَ دَارِيَا أَنْ تَلْعَبَهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ؟ هَلْ كَانَتْ مُخْلِصَةً فِي مَا تَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ؟ هَلْ كَانَتْ مُحِقَّةً؟ وَهَلْ كَانَ بِمَقْدُورِ كَارِنِينَ أَنْ يَتَعَقَّلَ أَكْثَرَ مِمَّا تَعَقَّلَ؟
عَلَّلْ مَا تَذَهَبُ إِلَيْهِ مِنْ رَأْيٍ أَوْ تَوَجُّهِ .
- ٥ - الزَّوْجُ وَالْعَاشِقُ الْآنَ أَمَامَ الزَّوْجَةِ الْعَاشِقَةِ فِي حَضْرَةِ الْمَوْتِ . هَلِ اسْتَطَاعَ تَوْلَسْتَوِي أَنْ يَغُورَ إِلَى أَعْمَاقِ النُّفُوسِ أَمَامَ عَتَبَةِ الْمَوْتِ؟ وَمَا نَظَرْتُكَ إِلَى مَوْفِيفِ كَارِنِينَ؟
أَأَعْجَبُكَ أَمْ لَا؟ عَلَّلْ مَا تَذَهَبُ إِلَيْهِ .
- ٦ - أَتَرَى أَنَّ هَذَا الْمَوْقِفَ الْإِنْسَانِيَّ سَيُعَيَّرُ مِنْ وَاقِعِ الْحَالِ إِذَا كُتِبَتِ الْحَيَاةُ لِلْمُحْتَضِرَةِ؟
- ٧ - قَالِ كَارِنِينَ: «إِنَّ الصَّفْحَ سِرٌّ سَمَاوِيٌّ». أَتَوَافِقُهُ فِي ذَلِكَ؟ وَهَلْ تَرَى أَنَّ لِلصَّفْحِ مَنْزِلَةً
سَامِيَةً فِي نَفْسِ تَوْلَسْتَوِي؟ عَلَّلْ مَا تَذَهَبُ إِلَيْهِ .
- ٨ - أَوْجِزْ مِضمونَ الْفَصْلِ فِي أَسْطُرٍ قَلِيلَةٍ .

الفصل السابع

إِنْ كَانَ شَيْءٌ يَنْطَلِقُ بِالذَّنْبِ، فَوَجْهُ فَرُونْسْكِ كَانَ أَبْلَغَ نَاطِقٍ بِذَنْبِ صَاحِبِهِ. فَقَدْ انْدَفَعَ خَارِجًا، وَهُوَ يَتَعَمَّرُ وَيَقُولُ: «وَيْلَاةُ! عَلَامَ يَضْفَحُ هَذَا الرَّجُلُ؟ إِنَّهُ لَوْ أَرَادَ الْإِنْتِقَامَ لَمَا تَأَلَّمْتُ. وَلَكِنَّهُ وَقَدْ صَفَحَ، تَبَيَّنْتُ أَنِّي عَلَى ضَلَالٍ. فَيَا أَيُّهَا الْحُبُّ الْمُسْتَبِدُّ لَقَدْ جَعَلْتَ صَدْرِي يَرْزُحُ تَحْتَ جِمْلِكَ الثَّقِيلِ!»

وَتَحَمَلَ الصَّدْمَةَ الَّتِي أَغْقَبَهَا صَفْحُ كَارْنِينِ، وَتَجَلَّدَ، وَمَشَى فِي الطَّرِيقِ، وَفِي قَلْبِهِ نَارٌ تَتَأَجَّجُ، وَفِي نَفْسِهِ حَيْرَةٌ وَتَسَاوُلٌ: «كَيْفَ يَغْفِرُ الرَّجُلُ، وَقَدْ لَحِقَ بِهِ مَا لَحِقَ مِنَ الْعَارِ؟!»

لَمْ يَفْهَمْ شَيْئًا، فَسَارَ عَلَى غَيْرِ هُدًى، وَلَمْ يَدْرِ أَيْنَ يَذْهَبُ. سَارَ مَتَمَهَّلًا مُطْرِفًا تَكَادُ نَفْسُهُ مِنْ شُعُورِ الضَّعْفِ وَالصَّغَارِ تَتَمَرَّقُ أَبَادِيدَ^(١)، وَتَكَادُ رَوْحُهُ مِمَّا لَوَّثَهَا مِنَ الْعَارِ تَحْمُدًا وَقَدْتَهَا، وَتَخْبُو سُغْلَتَهَا. وَيَكَادُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَقْصَى عَنِ مَكَانِ مَوْبِوءِ حَمَلٍ إِلَيْهِ هُوَ نَفْسُهُ جُرْثُومَةُ الرَّجْسِ!

وَتَضَاعَلَ فِي عَيْنِي ذَاتِهِ، وَبَحَثَ عَنِ كِرَامِيهِ فَلَمْ يَجِدْ كِرَامَتَهُ. وَتَسَاءَلَ عَلَى مَضْضِ كَيْفَ سَمَحَ لِنَفْسِهِ أَنْ يَفْقِدَ الشَّرْفَ وَالْعِزَّةَ... وَشَعَرَ بِأَنَّهُ كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ لَوْ فَقَدَ حَيَاتَهُ وَبَقِيَ سَيِّدًا شَرِيفًا مِنْ أَنْ يَفْقِدَ شَرَفَهُ وَتَبْقَى لَهُ حَيَاةٌ دَنَسَةٌ.

وَنظَرَ بَبْصِيرَتِهِ إِلَى كَارْنِينِ، الزُّوجِ الْمَخْدُوعِ، وَقَالَ: «أَكْرِمُ بِهِ مِنْ رَجُلٍ، كَيْفَ تَنْصَرِفُ نَفْسُهُ عَنِ الْبَغْضَاءِ... سَقِيًا لَهُ مِنْ إِنْسَانٍ كَبِيرٍ، كَيْفَ تَتَحَوَّلُ رَوْحُهُ إِلَى التَّوَاحِي الرَّائِعَةِ... إِنْ فِي جَسَدِهِ عَنَاصِرَ قِيَمَةٍ نَادِرَةٍ!...».

وَلَبِثَ يُزِيرُ لِنَفْسِهِ كَمَنْ بِهِ مَسٌّ. وَلَبِثَ يَتَكَلَّمُ بِعَجَلَةٍ وَوَجِيفٍ. وَلَبِثَ يُثْنِي عَلَى الرَّجُلِ النَّبِيلِ، غَرِيمِهِ، حَتَّى أَتَقَنَّ أَنَّ الْآيَةَ قَدْ انْقَلَبَتْ، وَأَنَّهُ أَضْحَى هُوَ ذَلِكَ الْمَخْلُوقَ الْوَضِيعَ التَّذَلَّ، بَيْنَمَا سَمَا كَارْنِينُ إِلَى أَعْلَى عَلَيَّتَيْنِ، وَتَسَمَّتِ الذَّرْوَةَ، وَتَرَبَّعَ عَلَى الْقِمَّةِ. فَأَيْنَ هُوَ مِنْهُ؟

(١) أَبَادِيدُ (جَمَعَ لَا مُفْرَدَ لَهُ): مُبَدَّدَةٌ، مَتَفَرِّقَةٌ.

أَيْنَ هُوَ مِنْهُ؟!

وَوَصَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَاسْتَلْقَى عَلَى مَقْعَدٍ وَثِيرٍ مُرِيحٍ، وَحَاوَلَ أَنْ يُغْرِقَ آلامَهُ بِالنَّوْمِ، فَجَفَاهُ النَّوْمُ، وَبَا عَنهُ.

وَعَجِبَ... إِنَّهُ قَضَى الْأَيَّامَ الثَّلَاثَةَ الْمَاضِيَةَ بِبِلَالِيهَا مُسَهَّدًا لَا تَعْمُضُ لَهُ عَيْنٌ، وَهَا هُوَذَا الْآنَ أَرِقُ لَا يَجِدُ سَبِيلًا إِلَى الرَّاحَةِ...

وَعَتَفَ نَفْسُهُ عَلَى ضَعْفِهَا، وَقَرَعَهَا عَلَى تَهَاوُفِهَا، وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنَمْ...

وَقَارَنَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَارِنِينَ، فَإِنَّ أُنَيْنَ الثُّكْلَى^(١)، وَتَقَلَّبَ فِي مَكَانِهِ عَلَى الْمَقْعَدِ، ثُمَّ زَفَرَ... وَوَدَّ لَوْ قَضَى نَحْبَهُ عَلَى التَّوَّ، وَدَّ لَوْ تَخَرَّمَتْهُ الْخُتُوفُ^(٢) حَتَّى يَخْلُصَ مِنْ هَذَا الشُّعُورِ الْمَخُوفِ...

* * *

إِنَّهُ الضَّمِيرُ، الضَّمِيرُ الْمُعَذَّبُ. لَقَدْ انْفَصَلَ الضَّمِيرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَنِ الْجَسَدِ، بَلِ انْفَصَلَ عَنِ الرُّوحِ، وَجَعَلَ يَبْحَثُ فِي الْحَقَائِقِ، وَيَسْبُرُ غَوْرَ الصَّالِحِ وَالطَّالِحِ. فَلَمَّا قَوِيَ هَاجِمٌ صَاحِبُهُ مُهَاجِمَةً ضَارِيَةً، حَتَّى أَبْغَضَ فِرُونَسْكِ نَفْسَهُ، وَحَتَّى أَيَقَنَ أَنَّهُ يَعِيشُ فِي وَهْمٍ، لِأَنَّهُ ضَعِيفٌ ضَعْفَ الْأَنْدَالِ، لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ سُلْطَانًا عَلَى شَهَوَاتِ نَفْسِهِ...

وَحُخِّلَ إِلَيْهِ، وَضَمِيرُهُ يَسُوطُهُ^(٣) بِشِدَّةٍ، أَنَّهُ صُرْصُورٌ يَعِيشُ مِنْ أَبْجَرَةِ التَّنِّ وَالْأَقْدَارِ، وَمِنْ حَيَاتِهِ تَنْبَعُ اللَّغْنَةُ الْأَبْدِيَّةُ.

فَأَيُّ إِحْسَاسٍ كَانَ يُخَامِرُهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ الرَّهِيْبَةِ؟ وَهَلْ كَانَ لِيَنْخَطِرَ عَلَى بَالِهِ مَا خَطَرَ الْآنَ، لَوْ لَمْ تَمْرُضْ أَنَا، وَلَوْ لَمْ يَضْفَحِ الْكُفَيْسُ؟

لَقَدْ اخْتَلَسَ اللَّذَّةَ مِنْ أَنَا وَعَلَى غَفْلَةٍ مِنْ زَوْجِهَا، فَلِمَ لَمْ يُؤْتَبَهُ ضَمِيرُهُ إِلَّا بَعْدَ وَقُوعِ الْحَطْبِ؟

إِنَّ الطَّمْعَ رَذِيلَةٌ فِي كُلِّ حِينٍ! وَهُوَ مَهْلِكَةٌ مَتَى تَنَازَعَتْ صَاحِبَهُ مَشَاعِرُ الْخَوْفِ، وَمَتَى

(١) الثُّكْلَى: الْمَرْأَةُ الَّتِي مَاتَ ابْنُهَا أَوْ زَوْجُهَا، الْمَرْأَةُ الْمَفْجُوعَةُ.

(٢) تَخَرَّمَتْهُ الْخُتُوفُ: مَاتَ.

(٣) يَسُوطُهُ: يَضْرِبُهُ بِالسَّوْطِ، يُعَذِّبُهُ.

رَأَى صَاحِبُهُ مَا يُدَكِّرُهُ بِالنَّهَائِيَةِ، وَمَا يَكْشِفُ لَهُ عَن حَقَائِقِ تَثَبُّتِ أُمُورًا غَامِضَةً تَحْسُرُ الْقِنَاعَ
عَن وَجْهِ الْحَيَاةِ الَّذِي مُوَهِّتٌ حَقِيقَتُهُ.

وَوَتَّبَ مِنْ مَكَانِهِ كَمَنْ لَدَعْتَهُ أَفْعَى، وَصَاحَ: «هَلْ أَمُوتُ؟ هَلْ أَقْتُلُ نَفْسِي؟»

وَعَادَ فَانطَرَحَ ثَانِيَةً عَلَى الْمَقْعَدِ وَهُوَ يَتَمَتُّمٌ: «كَلَا. كَلَا. فَلَدَيَّ أُمُورٌ أُخْرَى. فَأَنَا فِي
أَوَّلِ عُمْرِي، وَمُسْتَقْبَلِي بِاسْمِ زَاهِرٍ، وَالْجَيْشُ يُرِيدُنِي، وَالْبَلَاطُ يَطْلُبُنِي، وَالْمُجْتَمَعُ يَرْعَبُ فِي
وُجُودِي، فَلَأَنْتُمْ، لِأَنْتُمْ».

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْمَ، لَمْ يَنْمَ، وَظَلَّ صَاحِبًا مُسْتَقِظًا، وَظَلَّتِ الْأَفْكَارُ السَّوْدَاءُ تَتَنَاشُهُ^(١)، وَظَلَّ
يَهَيِّمُ فِي كُلِّ وَاِدٍ سَحِيقٍ مِنَ الْهَمِّ.

وَصَاحَ وَهُوَ يَقْفِزُ مَجْنُونًا: «لِأَنْتُمْ... لِأَنْتُمْ...».

وَتَنَاوَلَ مِنَ «الدُّرُجِ» شَيْئًا أَسْوَدَ ضَخْمًا.

وَمَزَّقَ الشُّكُونَ دَوِيًّا شَدِيدًا.

وَتَرَنَّحَ... وَتَرَنَّحَ...

وَسَقَطَ...

لَمْ يَكُنْ أَلِكْسِيسُ كَارْنِينِ لِيُؤْمِنَ بِشِفَاءِ زَوْجَتِهِ، وَقَدْ رَأَاهَا مُشْفِيَةً تَكَادُ تَلْفِظُ أَنْفَاسَهَا.

وَلِهَذَا سَارَعَ إِلَى الْوُقُوعِ فِي الْغَلَطِ، فَصَفَحَ وَعَفَا، وَقَدْ دَاخَلَ نَفْسَهُ مِنْ تَوْبَتِهَا اعْتِقَادًا
وَيَقِينًا.

وَاتَّصَحَ لَهُ غَلَطُهُ بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ، رَأَى غَلَطَهُ بَشْعًا، وَسَمِعَهُ يَصْرُخُ فِي وَجْهِهِ: «يَا
وَيْلَكَ!...».

وَلَكِنَّهُ مَا كَانَ لِيَمْلِكَ نَفْسَهُ مِنَ الصَّفْحِ عَنْهَا سَاعَةً شَاهِدَهَا تَبْكِي مِنَ النَّدَمِ وَتَتَلَوَّى مِنَ
الْأَلَمِ... مَا كَانَ لِيَسْتَطِيعَ غَيْرَ ذَلِكَ وَهِيَ مُسْجَاةٌ أَمَامَهُ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ، تَدْرِفُ الدَّمْعَ

(١) تَتَنَاشُهُ: تَنَاوَسُهُ.

وَتَسْتَجِدِي الْعَفْو؛ وَقَدْ ذَرَفَ مَعَهَا الدَّمْعَ السَّخِينِ. بَكَى كَطِفْلِ وَالِهِ^(١) حَزِينٍ، كَمَا كَانَ يَبْكِي دَائِمًا كُلَّمَا التَّقَى مُتَأَلِّمًا، وَوَاجَهَ مُتَلَوِّعًا!

وَمَا عَتَمَ أَنْ غَفَرَ وَعَفَا، وَنَسِيَ نُكْرًا^(٢) فَرُونَسْكِ، وَأَحَبَّ ابْنَهُ، وَعَتَفَ نَفْسَهُ عَلَى تَنَكُّرِهِ لَهُ، وَوَلَامَهَا عَلَى تَجَنُّبِهِ وَالتُّقُورِ مِنْهُ، وَهُوَ الْبَرِيُّ الضَّعِيفُ، وَزَادَ عَلَى ذَلِكَ فَحَبَا الطُّفْلَةَ التَّغْلَةَ^(٣) بِعَطْفِهِ وَحَنَانِهِ، وَأَحَبَّهَا وَاعْتَنَى بِهَا.

لَقَدْ وَلَدَتْهَا أُمُّهَا سِفَاحًا، بَيِّدَ أَنَّهُ أَشْفَقَ عَلَيْهَا لِمَا رَأَهُ مِنْ صِغَرِ حَجْمِهَا، وَضَعْفِهَا، وَلِمَا سَمِعَهُ مِنْ بُكَائِهَا. كَانَ قَوِيًّا يَشْعُرُ بِقُوَّتِهِ، وَكَانَ إِنْسَانًا يَشْعُرُ بِضَعْفِ غَيْرِهِ، وَلِهَذَا كَانَتْ شَفَقَتُهُ عَلَى الطُّفْلَةِ عَظِيمَةً لَا تُضَاهِيهَا شَفَقَةٌ.

وَتَضَاعَفَ مَيْلُهُ إِلَيْهَا عِنْدَمَا لَاحَظَ أَنَّ الْكُلَّ انْصَرَفُوا عَنْهَا غَيْرَ عَابِثِينَ بِهَا، فَشَرَعَ يَتَأَمَّلُ صَفْحَةَ وَجْهِهَا، وَيَسْتَبْحِ كُلَّ حَرَكَةٍ تَأْتِيهَا، فَيَهْفُو قَلْبُهُ لَهَا وَيَشْتَدُّ شَوْقُهُ إِلَيْهَا، وَيَقْضِي مَعَهَا أَكْثَرَ مَا يَسْتَطِيعُ مِنْ وَقْتٍ.

وَالْعَجِيبُ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ الْعَجِيبِ، أَنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ بِالْهَنَاءِ وَصَفَاءِ النَّفْسِ وَرَاحَتِهَا إِذَا نَ خَلُوتِهِ بِهَذِهِ الطُّفْلَةِ. وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ وُجُودَ الطُّفْلَةِ كَانَ يَسْتَلُّ أَيَّ شُعُورٍ بِالْحَقْدِ وَالْمَوْجِدَةِ قَدْ يُدَاخِلُ قَلْبَهُ.

عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ مُضِيَّهُ عَلَى هَذِهِ الْوَتِيرَةِ أَمْرٌ لَهُ نِهَابَةٌ، فَمِثْلُهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْطَعَ الصَّلَةَ بَيْنَ شُعُورِهِ وَشُعُورِ سِوَاهُ، فَهُوَ إِنْسَانٌ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُرَاوِدَ نَفْسَهُ مَا رَاوَدَهَا مِنَ الْغُلِّ كُلَّمَا فَكَّرَ بِزَوْجَتِهِ وَخِيَانَتِهَا.

لَقَدْ حَثَّتْهُ طَبِئَتُهُ وَشَفَقَتُهُ عَلَى الصَّفْحِ، وَلَكِنَّ نَفْسَهُ كَانَتْ غُرْضَةً لِمَشَاعِرِ أُخْرَى غَيْرِ الطَّبِئَةِ وَالرَّحْمَةِ، مَشَاعِرَ تَنِمُّ عَنْ تَمَرُّدٍ عَلَى الْوَضْعِ الَّذِي أَلْفَى نَفْسَهُ يَتَعَاركُ فِي خِصْمِهِ.

وَمَا أَكْثَرَ مَا صَوَّرَ لَهُ الْوَهْمُ النَّاسَ عُيُونًا مُحَدَّقَةً إِلَيْهِ، تَتَعَجَّبُ مِنْهُ، وَتَتَهَكَّمُ عَلَى شَخْصِهِ، وَتَسْأَلُ: أَيْنَ الرَّجُولَةُ؟ أَيْنَ الرَّجُولَةُ...؟

(١) وَالِهِ: شَدِيدُ الْحُزْنِ.

(٢) التُّكْرُ: الشَّيْءُ الْمُتَكَرِّرُ.

(٣) الطُّفْلَةُ التَّغْلَةُ: ابْنَةُ الرَّانِيَةِ، الْابْنَةُ الْمَطْعُونُ فِي نَسَبِهَا.

وكان يترأى له أن امرأته تخلس إليه نظراتها الوجلة، وتشيح بوجهها عنه كلما حدق إلى أساريرها، حتى لا يلتقي الناظران. كان يترأى له أنها تود أن تفضي إليه بما يعتمل في صدرها، لكنّها لا تلبث أن تُحجم خوفاً ومهابة!

وطغى عليه الهم من جديد، فأصبح لا يرى إلا ساهم الطرف كئيب النفس مُقَطَّبَ الجبين.

وجاء مرّة إلى بيته وعيئه ثقيل، وبأسه مريض، فلمح في زاوية الملايس معطفاً ثميّاً، فدعا الخادم وسأله قائلاً: «لمن هذا؟ من في البيت؟» فأجاب الخادم: «إنه معطف الأميرة بتسي يا سيدي».

وصمّت كارنين، ولكنّه لمح شبح ابتسامه واهية ترتسم على فم الخادم لتلاشى بسرعة خاطفة.

وتساءل: أما من نهاية لهذه الحالة؟ أما من خلاص للبؤس؟ إن الجميع طفقوا في الآونة الأخيرة يُعنون به وبزوجته. بل إنهم كلهم جعلوا يتبعون أخبارهما، ويتسقطون أبناءهما، ويتهامسون، ويلغظون، ثم يهزون الرؤوس، ويلوحون بالأيدي.

أفليس لهذا الأمر نهاية؟ أويقدّر على الاستمرار؟ الاستمرار؟

ولما أخبره الخادم أن الاميرة بتسي في البيت، زاد ألم نفسه، فهو يتفر من هذه المرأة، ولا يشعر نحوها بأي عاطفة من الود.

ولم يجد مندوحة عن تقبل الأمر الواقع، فتقدّم من غرفة زوجته، وطرق الباب ودخل. لكن، قبل أن يفعل ذلك، تنهى إليه كلام كان يقال في الداخل، وسمع من دون أن يسترق السمع، صوت الأميرة بتسي تقول: «وهذا هراء لا معتمد عليه، يا عزيزتي! فكيف ترفضين ملتصقة رجل يحب؟ كيف تسول لك نفسك مثل هذه القسوة؟ إن فرونسكي يُزعم أن يظعن عن بطرسبرج، وهو يزعب قبل رحيله في مقابلتك والتحدث إليك، لآخر مرّة، فلا تردّيه خائباً، لا تفعلي ذلك في الوقت الذي أشعر فيه أن زوجك نفسه لو سئل للبي طلبه من دون تردّد!»

وسمع زوجته تردّد قائلة: «وهل تظنين أنني أتجاهل طلبه لكّي أوفرّ بذلك على زوجي ما

قَدْ يُكَابِدُهُ مِنَ الْأَلَمِ؟ أَلَا فَاغْلَمِي أَنِّي أَرُدُّ هَذَا الطَّلَبَ مِنْ أَجْلِي أَنَا، فَأَقْلِعِي يَا بَتْسِي عَنْ هَذَا الْكَلَامِ، أَقْلِعِي نَاشِدَتِكَ اللَّهُ».

- «إِنَّ هَذِهِ الْقِسْوَةَ لَا مَثِيلَ لَهَا؟ أَنْضَفَعِينَ وَجْهَ رَجُلٍ ضَحَى بِكُلِّ شَيْءٍ وَحَاوَلَ أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ؟»

- «وَهَذَا مَا يَجْعَلُنِي أَصِرُّ عَلَى تَجَنُّبِهِ».

وَرَأَى عَلَيْهِمَا الصَّمْتُ حِينَ دَخَلَ كَارْنِينُ؛ وَنَظَرَتْ الْمَرْأَتَانِ إِلَى الْوَجْهِ الْمُتَغَضِّنِ الْمُتَقَبِّضِ بِقَلْبِي وَتَوَجُّسِ.

وَمَا عَمَّتْ أَنَا أَنْ حَيَّتُهُ بِإِيْمَاءٍ، أَمَا بَتْسِي فَسُرْعَانَ مَا اسْتَعَادَتْ رِبَاطَةَ جَأْشِهَا، وَقَالَتْ سَاحِرَةً: «هَذِهِ نِعْمَةٌ كُبْرَى، فَأَنَا لَمْ أَكْحَلْ عَيْنِي بِمَرَاكَ مِنْذُ أَمَدٍ طَوِيلٍ. فَمَاذَا حَبَسَكَ عَنِّي؟» فَلَمْ يُعْنَ بِالرَّدِّ عَلَيْهَا.

وَلَكِنَّهَا أَتَمَّتْ قَائِلَةً: «مَا أَكْبَرَكَ! مَا أَكْبَرَ نَفْسِكَ! لَقَدْ أَطْلَعْتُ عَلَى جَلِيَّةِ الْأَمْرِ، وَعَلِمْتُ مِنْ مَسَائِلِكَ مَا مَلَأَنِي إِعْجَابًا بِشَمَائِكَ!»

وَنَكَسَ الْأَلْكُيسُ رَأْسَهُ، وَانْحَى فَلْتَمَ رَاحَةَ زَوْجِهِ، وَطَرَحَ عَلَيْهَا بَعْضَ الْأَشْيَاءِ مُسْتَفْسِرًا عَنْ صِحَّتِهَا فِي تَكَلُّفٍ مَنْ يَقُومُ بِوَأَجِبِ كَرِيمٍ.

وَلَمَّا طَمَأَنَّتُهُ إِلَى أَنَّهَا فِي أَحْسَنِ حَالٍ، وَأَنَّهَا تَشْكُرُ لَهُ غَيْرَتَهُ وَإِخْلَاصَهُ، هَزَّ رَأْسَهُ وَقَالَ: «وَلَكِنَّ عَيْنِيكَ لَا تَبْرِقَانِ وَلَا تَشْعَانِ، وَيُحَيِّلُ إِلَيَّ أَنَّكَ مَا زِلْتِ مَرِيضَةً لَمْ يُفَارِقْكَ وَصَبُّكَ، وَلَمْ تَنَحَلْ عَنكَ الْحُمَى الْمَلْعُونَةَ!»

وَانْبَرَتِ الْأَمِيرَةُ بَتْسِي تَقُولُ، وَكَأَنَّهَا تُعْتَفُ نَفْسَهَا، أَوْ كَأَنَّ الْأَمْرَ يُعْنِيهَا قَبْلَ أَنْ يُعْنِيَ سِوَاهَا: «قَدْ أَكُونُ الْمَلُومَةَ عَلَى ذَلِكَ، فَرُبَّمَا أَرْهَقْتُهَا بِحَدِيثِي، وَلَا عَجَبَ فَمَوَدَّتِي وَمَحَبَّتِي تَشْفَعَانِ لِي».

وَلَمَّا لَمْ يَبْدُ مِنَ الرَّجُلِ أَيُّ جَوَابٍ، تَحَفَّرَتْ لِلنُّهُوضِ وَهِيَ تُتِمُّ قَائِلَةً: «وَأَرَى الْآنَ أَنْ أَذْهَبَ فِي سَبِيلِي...».

فَهَتَمَتْ أَنَا مُعْتَرِضَةً: «لَا... لَا تَذْهَبِي يَا عَزِيزَتِي، فَلَا بُدَّ لِي مِنْ إِطْلَاعِهِ عَلَى جَلِيَّةِ الْأَمْرِ».

وَشَعَرَ أَلِكْسِيسَ بِأَنَّهَا تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ شَيْئًا .

وَاسْتَبَلَّتْ أَنَا مُوجِّهَةً الْحَدِيثَ إِلَيْهِ: «وَاعْلَمُ أَنَّ الْكُونَتَ فِرُونْسِكِي أَعْرَبَ عَنِ رَغْبَتِهِ فِي الْقُدُومِ إِلَيْنَا الْيَوْمَ قَبْلَ سَفَرِهِ إِلَى الْخَارِجِ، وَهُوَ لِهَذَا أَرْسَلَ صَدِيقَتِي بَتْسِي . . .» .

وَتَفَسَّسَتِ الضُّعْدَاءُ، كَمَنْ يَعْتَمِلُ فِي صَدْرِهِ هَمٌّ رَازِحٌ، وَاسْتَطَرَدَتْ: «عَلَى أَيْ رَفَضْتُ، وَرَجَوْتُ بَتْسِي أَنْ تُنْهِيَ إِلَيْهِ قَرَارِي» .

وَسَارَعَتْ بَتْسِي تَقُولُ: «أَوْ عَلَى الْأَصْحَحِّ أَنْطَبِ مَسْأَلَةَ بَتِّ الْمَوْضُوعِ بِرُوجِكَ أَلِكْسِيسَ كَارِينِ!» .

وَقَالَتْ أَنَا مُحْتَدِمَةً: «هَذَا مُحَالٌ، مُحَالٌ . . . وَلَنْ أَرَاهُ مَهْمَا كَانَتِ الْأَسْبَابُ، وَمَهْمَا كَانَتِ النَّتَائِجُ» .

وَنَظَرْتُ إِلَى زَوْجِهَا مُتَأَمِّلَةً، وَأَلْقَيْتُ رَأْسَهَا عَلَى الْوِسَادَةِ مَنُهَوَكَةً، وَتَمَتَّتْ بِضَعْفٍ وَخَوْرٍ: «لَنْ أَقَابِلَهُ . إِنَّ مَا مَضَى قَدِ انْقَضَى . . . انْقَضَى . . .» .

وَخَطَا الرَّجُلُ خُطْوَةً إِلَى الْأَمَامِ، وَلَمَسَ يَدَهَا، وَأَمْسَكَ بِهَا، وَكَأَنَّهُ يَشْكُرُ لَهَا تَعَقُّلَهَا .
وَتَفَرَّتْ أَنَا مِنْ لَمْسَتِهِ، وَوَدَّتْ لَوْ سَحَبَتْ يَدَهَا مِنْ يَدِي، بَيِّدَ أَنَّهَا أَحْجَمَتْ وَتَمَالَكَتْ نَفْسَهَا .

وَتَكَلَّمَ الرَّجُلُ الْمُتَعَلِّقُ بِخَيْطِ وَاهِ مِنَ الْأَمَلِ فِي عَوْدَةِ الرَّشْدِ، فَقَالَ: «هَذِهِ أَصَالَةٌ، وَإِنِّي أَشْكُرُ لِكَ تَعَقُّلِكَ!»

وَتَحَوَّلَ بِنَاطِرِيهِ إِلَى بَتْسِي، وَاسْتَلَجَتْ أَهْدَابُهُ، وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ شَيْئًا، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ لُجُودَهَا .

كَانَ كَارِينُ يَرَى بَتْسِي امْرَأَةً خَارِجَةً عَلَى الْعُرْفِ . كَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا كَأَنَّهَا الْجَبْرُوتُ وَالْقِسْوَةُ، وَيَرَى فِيهَا الْحَائِلَ بَيْنَ عَاطِفَتِهِ وَكُلِّ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالشَّفَقَةِ وَالصَّفْحِ .

وَأَذْرَكَتِ الْمَرْأَةُ الْفَطِنَةُ مَا خَالَجَهُ آنَذَاكَ، فَانْتَصَبَتْ وَاقْفَةً، وَقَالَتْ: «أَنَا ذَاهِبَةٌ يَا حَبِيبَتِي أَنَا، وَسَأَعْرِجُ عَلَيْكَ غَدًا، فإِلَى اللَّقَاءِ الْقَرِيبِ» .

وَغَادَرَتِ الْمَخْلَعَ، لَكِنَّ أَلِكْسِيسَ هَرَوَلَ وَرَاءَهَا ثُمَّ اسْتَوْقَفَهَا . وَلَعَلَّهُ كَانَ يَرُومُ أَنْ يَرْفَعَ الثَّقَابَ لَهَا عَنِ حَقِيقَةِ مَا يَعْتَمِلُ فِي صَدْرِهِ نَحْوَهَا .

ولَكِنَّهُ تَرَدَّدَ. وما عَتَمَتْ، وَقَدْ رَأَتْ تَرَدُّدَهُ، أَنْ قَالَتْ: «أَنْتَ رَجُلٌ بِكُلِّ مَا فِي كَلِمَةٍ
الرُّجُولَةِ مِنْ مَعْنَى. أَنْتَ رَجُلٌ ذُو قَلْبٍ وَإِحْسَاسٍ. فَأَنْتَ إِنْسَانٌ...».
وَابْتَسَمَتْ، فَلَمْ يَدْرِ، أَكَانَتْ ابْتِسَامُهَا ابْتِسَامَةَ السَّاحِرِ، أَمْ ابْتِسَامَةَ الْجَادِّ الْجَاهِرِ
بِالْحَقِيقَةِ.

وَتَابَعَتْ بِصَوْتِهَا الْمُشْرَبِ ثِقَةً: «أَنْتَ كَبِيرٌ يَا أَلِكْسِيسُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلِهَذَا أَجْسُرُ فَأَبْتُكَ
نُصَحَ صَدِيقَةٍ مُخْلِصَةٍ، فَذَرَاهَا تُقَابِلُ فِرُونْسِكِي. دَعُوهَا تَجْتَمِعُ بِهِ. وَهُوَ إِنْ كُنْتَ لَا تَعْلَمُ ذَاهِبٌ
إِلَى مَكَانٍ نَاءٍ سَحِيقٍ، إِلَى مُقَاتَعَةِ طَاشُقَنْدَ».

فَحَدَّجَهَا بِنَظَرَةٍ صَارِمَةٍ لَائِمَةٍ، وَأَجَابَ: «مَا أَعْلَى نَصِيحَتِكَ! وَمَا أَجْدَرَ الْإِنْسَانَ بِاتِّبَاعِهَا!
بَيِّدْ أَنْ زَوْجَتِي كَمَا يَتَرَاءَى لِي، هِيَ الْإِنْسَانُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ حَقَّ بَتِّ هَذَا الْمَوْضُوعِ.
أَفَلَا تُوَافِقِينَ؟ أَلَا أَقُولُ الصُّدُقَ وَالصَّوَابَ؟»

فَعَجِبَتِ الْمَرْأَةُ، وَتَوَلَّتْهَا دَهْشَةً؛ لَكِنَّهَا شَعَرَتْ بِعَجْزِهَا، بَلْ أَحَسَّتْ بِالرَّهْبَةِ وَالخَوْفِ،
فَعَجَّلَتْ فِي الذَّهَابِ، وَانْدَفَعَتْ مِنَ الْبَابِ لَا تَلْوِي؛ أَمَّا هُوَ فَقَدْ عَادَ أَذْرَاجَهُ إِلَى مَخْدَعِ
زَوْجِهِ.

فَلَمَّا دَخَلَ الْمَخْدَعُ رَأَى عِلَامَاتِ الْقَلْقِ تَتَجَلَّى بِوُضُوحٍ عَلَى أَمَايِرِهَا، وَلَمَحَ الدُّمُوعُ تُبَلُّ
حَدِيثِهَا، فَخَاطَبَهَا مُلَاطِئًا: «كُنْتُ عَاقِلَةً الْيَوْمَ يَا أَنَا، فَتَقَبَّلِي ثَنَائِي وَدُعَائِي. أَنْتِ مَا زِلْتِ
جَمِيلَةَ النَّفْسِ صَافِيَةَ التَّفَكِيرِ، وَأَمَّا لَيْكِ^(١) عَلَى مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ، فَهُوَ مُسَافِرٌ عَمَّا قَرِيبٍ، وَلَا
حَاجَةَ لِرُؤْيَيْهِ».

فَنَبِرَتِ الْمَرِيضَةُ النَّاقِيَةُ تَقُولُ مُنْفَعَلَةً: «أَلَمْ أَقُلْ هَذَا؟ فَلِمَ التَّكْرَارُ إِذَا؟»

وَفَكَّرَتْ قَلِيلًا، وَرَأَتْ فِرُونْسِكِي بِعَيْنِ خَيَالِهَا، وَخَفَقَ قَلْبُهَا، وَنَاجَتْ نَفْسُهَا الْوَالِهَةَ: «إِنَّهُ
ذَاهِبٌ إِلَى بَعِيدٍ فَلَنْ أَحْدَثَهُ. إِنَّهُ مُسَافِرٌ، فَمَا جَدْوَى الْإِجْتِمَاعِ بِهِ؟ وَهَلْ نَمَّةٌ فَائِدَةٌ مِنْ ذَلِكَ؟
أَلَا تَتَكَأُ الْمُقَابَلَةَ جُرْحًا انْدَمَلَّ، وَتَبَعَتْ أَسَى خَفَّ وَشَجَا قَلَّ؟ وَلَكِنْ، أَلَا أُحِبُّهُ؟ وَهَلْ يَخْلُقُ
بِهِ أَنْ يُعَادِرَ الدِّيَارَ مِنْ دُونِ أَنْ يُودَّعَ الْمَرْأَةَ الَّتِي فَيَنْتَ فِيهِ، وَالَّتِي سَيَحْرَمُهَا الرَّدَى شَوْقًا
وَتَدَلُّهَا؟»

(١) مَالَأَهُ عَلَى أَمْرٍ: جَارَاهُ فِيهِ وَوَافَقَهُ عَلَيْهِ.

وصَعَدَتْ ناظِرِيهَا المُسْتَعْبِرَيْنِ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا، فعاوَدَهَا سُعُورٌ بِالِاشْمِئزازِ عَنِيفٌ جَارِفٌ،
وكادَتْ تَتَمَرَّدُ عَلَى الأَوْضَاعِ، كادَتْ تَصِيحُ بِإِلَاءِ فِيهَا: «وَيْلَكَ! وَوَيْلَكَ! أَخْرُجْ! اغْرُبْ عَن
وَجْهِ!»

وَلِكِنِّهَا قَالَتْ بِصَوْتِ خَافِتٍ: «أَلَا أَنَّهُ الحَدِيثُ فِي هَذَا الشَّانِ، ودَعَ الأُمُورَ تَجْرِي فِي
طَرِيقِهَا المَرْسُومِ».

قال: «على أَنِّي أَذْكُرُكَ بِرَأْيِي، فَأَنْتِ حُرَّةٌ فِي كُلِّ ما تَفْعَلِينَ».

- لَنْ أَغْدِلَ عَن قَرَارِ اتَّخَذْتُ، أَوْ أَناقِضَ وَعَدًّا قَطَعْتُ، فَأَقْصِرْ، أَرْجُوكَ».

وُدْهِشَ كارنِينُ. إِنَّها تَتَكَلَّمُ مَعَهُ كما تَتَكَلَّمُ مَعَ خادِمِ حَقِيرٍ، إِنَّها نافِدةُ الصَّبْرِ ضَيْقَهُ
الصَّدْرِ. ولا تَثُورُ عَصَبِيَّتِها إِلَّا مَتى خَلَّتْ إِليهِ. فَهَلْ يَتَسَنَّى لَهُ المُضِيِّ فِي حَيَاةِ تَعَصُّ فِيها
الآلامُ؟ هَلْ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَصْبِرَ إِلى الأَبَدِ؟

* * *

يا لِلرَّجُلِ الَّذِي قَصَمَتْ ظَهْرَهُ امْرَأَةٌ!

يا لِلرَّجُلِ الَّذِي لاشَتْ أَمَلَهُ زَوْجَةٌ!

وما المَرَأَةُ؟ ما المَرَأَةُ؟

ما المَرَأَةُ إِلَّا مَخْلُوقٌ يَفْتِنُهُ المَظْهَرُ،

أَمَّا الجَوْهَرُ، فلا وَزْنَ لَهُ فِي رَأْيِها وَتَفْكِيرِها.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - دَخَلَ فرونسكي في صراعٍ مريرٍ تَكَشَّفَتْ له فيه حَقَائِقُ لم يَكُن ليراهَا مِنْ قَبْلُ . ما هذه الحَقَائِقُ؟ وما الَّذِي كَانَ وراءَ تَكَشُّفِهَا لَهُ؟
- ٣ - هَل تَرى الكَاتِبَ مَعَ ما ذَهَبَ إليه فرونسكي في هذا الصَّرَاعِ؟ وهل كَانَ مِنْ دُعَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي تَصِلُ إلى هذا المُسْتَوَى مِنْ رِقَّةِ الضَّمِيرِ وَسُمُو النَّفْسِ؟ عِلِّلْ ما تَذَهَبُ إليه . وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ؟
- ٤ - مِنَ الْمُتَّصِرِ الْحَقِيقِيِّ في هذا الفَصْلِ؟
- ٥ - كَانَ لِلْأَمِيرَةِ بتسي دورٌ في تَصْعِيدِ أَحْدَاثِ هذه الرِّوَايَةِ . فَهَل تَرَاهَا نَسِيحَ وَحْدِهَا في مُجْتَمَعِ الطَّبَقَةِ الرَّفِيعَةِ، أَوْ هِيَ نَمُوذَجٌ لكثِيرَاتٍ مِنْ أمثالِهَا؟ أَوْضِحْ ذلكَ .
- ٦ - أَأَنْتَ مَطْمِئِنٌّ إلى تَوْبَةِ أَنَا كارنينا؟ ولماذا؟
- ٧ - تُرى، أَكَاثَتْ أَنَا كارنينا تَسْتَحِقُّ كُلَّ هذا الصَّفْحِ مِنْ زَوْجِهَا؟ ولماذا؟
- ٨ - أَوْجِزْ مضمونَ الفصلِ في أسْطُرٍ قَلِيلَةٍ .

الفصل الثامن

خَرَجْتُ بتسي وتَلَفَّتْ حَوْلَهَا باحثةً عَن عَرَبِيَّتِهَا . وَلَكِنَّهَا رَأَتْ وَجْهًا تَعْرِفُهُ، مَا كَادَتْ تَتَأَمَّلُ فِيهِ حَتَّى أَلْفَتْ تِلْقَاءَهَا أوبلنسكي .

وبادَلَهَا الرَّجُلُ النَّظْرَاتِ، وَهَتَفَ بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَهَا وَأَدْرَكَ مَنْ تَكُونُ: «أَنْتِ هُنَا؟ أَنْتِ أَيُّهَا الأَمِيرَةُ؟ هَذِهِ سَاعَةٌ حَظٌّ وَسَعَادَةٌ، وَمَا كُنْتُ لِأَحْظَى بِهَا لَوْ قَصَدْتُ لُقْيَاكَ!»

وكانَ أوبلنسكي قَدِ اضْطَرَّتْهُ بَعْضُ الأَعْمَالِ الخَاصَّةِ إِلَى الحُضُورِ مِنْ موسكو إِلَى بطرسبرج، وَكَانَتِ الأَيَّامُ الَّتِي يَتَعَبَّيْهَا عَن بَيْتِهِ مِنْ أَجْمَلِ أَيَّامِ حَيَاتِهِ .

وَأَجَابَتْهُ الأَمِيرَةُ بتسي ضاحِكَةً مُسْتَبْشِرَةً: «وماذا جاء بك أَيُّهَا الصَّدِيقُ؟ أَعلى مَوْعِدِ أَنْتَ - مَوْعِدِ عَرَامٍ؟»

فبادَلَهَا ضِحْكُهَا، ثُمَّ انْحَنَى فَلْتَمَّ يَدَهَا وَأَجَابَ: «إِنِّي حَقًّا عَلَى مَوْعِدِ، وَلَكِنْ، مَوْعِدُ عَمَلٍ ويا لِلْأَسْفِ!»

- «فادْهَبْ إِذَا» .

- دَعِينِي أَرَاكَ، أَوَدُّ أَنْ أَجْتَمِعَ إِلَيْكَ» .

- «وَمَنْ أُنْبَأُكَ أَنِّي أَرْضَى بِالتَّلْقَاءِ؟»

- نَحْنُ صَدِيقَانِ، والأَصْدِيقَاءُ يَرْعَبُونَ فِي تَدْلِيلِ كُلِّ صَعْبٍ» .

- «وَلَكِنَّكَ خَطِرٌ!»

- أَنَا! إِنِّي رَجُلٌ مُنْهَمِكٌ فِي العَمَلِ، إِنِّي أَبُ يَدَأُ عَلَى خِدْمَةِ أَوْلَادِهِ، ثُمَّ إِنِّي عَلاوَةً عَلَى ذَلِكَ أَعْنَى بِالبَحْثِ عَن حُلُولِ المُعْضَلَاتِ النَّاسِ . . .» .

وَنظَرَ إِلَيْهَا نَظْرَةً ذَاتَ مَعْنَى، وَأَوْمَضَ بَعَيْنِهِ، فَأَيَقَنَتِ المَرَأَةُ أَنَّهُ يُشِيرُ مِنْ طَرَفِ خَفِيِّ إِلَى شَقِيقَتِهِ أَنَا وَرُوجِهَا، فَقَالَتْ باهْتِمَامٍ: «هَذَا جَمِيلٌ مِنْكَ، فَمُ بِاللَّازِمِ، إِفْعَلِ المُسْتَحِيلَ حَتَّى

تَزِيلَ كَرِيهَا، وَتَرْفَعَ عَنْهَا وَفَرَّ عَمَّهَا.

وَقَطَّبَ أوبلنسكي قَلِيلًا، وَقَالَ بَعْدَ تَفْكِيرٍ: «فَاعْلَمِي إِذَا أَنِّي مَا جِئْتُ إِلَى بَطْرَسْبِرْجِ إِلَّا لِهَذِهِ الْغَايَةِ».

- «لَقَدْ تَأَزَمَتِ الْحَيَاةُ فِي بَيْتِ شَقِيقَتِكَ، وَأَصْبَحَ السَّائِدُ فِيهِ تَوَثَّرَ وَتَرَقَّبَ وَرَبَنَكَةُ لَا مَزِيدَ عَلَيْهَا. ثُمَّ، أَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَمِيعَ هُنَا يَسْلُقُونَهَا وَيَسْلُقُونَهُ بِالسِّيَةِ حِدَادٍ؟ أَتَعْلَمُ أَنَّ الْكُلَّ يَلْغَطُ بِاسْمَيْهِمَا وَيَلُوكُ سَمْعَتَهُمَا؟ فَأَنْتِ الْآنَ لَا تَرَى أَنَا تِلْكَ النَّاصِرَةَ الرَّاهِرَةَ، بَلْ تَرَى أَنَا الْمُصْفَرَّةَ الشَّاجِبَةَ الْهَزِيلَةَ الْعَايِسَةَ الْوَجُوهَ. لَقَدْ تَنَازَعَتِ الْخُطُوبُ أَحَاسِيْسَهَا، وَعَصَفَتِ الْهُمُومُ بِسَعَادَتَيْهَا؟ إِنَّنِي حَزِينَةٌ، حَزِينَةٌ. وَيَجِبُ عَلَى الزَّوْجِ، زَوْجِهَا، أَنْ يَفْصَلَ فِي الْأَمْرِ وَيَبْتَ، فَحَالَةُ التَّرَقُّبِ وَالْإِنْتِظَارِ نَسْتَنْتَرِفُ بِمَاعِهَا، وَتُحَطِّمُ أَعْصَابَهَا».

وَتَنْتَفَسُ أوبلنسكي الصُّعْدَاءَ، وَأَجَابَ: «أَجَلٌ. أَجَلٌ. إِنْ الْحَالَ لَا تُطَاقُ، عَلَى أَلْكُوسِيسِ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا حَاسِمًا. وَسَاوَدَبَّرُ الْأَمْرَ طَاقَتِي، وَإِنْ كُنْتُ مَعْنِيًا أَيْضًا بِمَصْلَحَتِي الدَّائِيَّةِ. فَقَدْ خَلَعَ عَلَيَّ قَيْصِرُنَا الْمُقَدِّي وَسَامَ الْجِدَارَةِ، وَهُوَ مَشْكُورٌ عَلَى مِئْتِئَةٍ».

- «أَحْسَنَ مَوْلَانَا بِعَمَلِهِ وَأَصَابَ! وَالْآنَ اسْتَوْدِعْكَ اللَّهُ فَأَنَا ذَاهِيَةٌ...».

وَصَافَحَتْهُ، وَأَخْنَى قَلَمَ الْيَدِ الْبِيضَاءِ، وَأَثْنَى صَاعِدًا إِلَى بَيْتِ شَقِيقَتِهِ وَهُوَ يَبْتَسِمُ، وَقَدْ نَسِيَ هَمَّهُ.

وَدَخَلَ مَخْدَعَ أَنَا فِقْبَلَهَا قُبْلَةَ الْأَخِ الْخَنُونِ، وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا. فَأَجَابَتْهُ وَهِيَ تَدْمَعُ: «مَا أَشْقَى شَقِيقَتِكَ يَا عَزِيزِي! إِنَّ صَبَاحِي كَطَهْرِي وَمَسَائِي، هَمٌّ وَكَرْبٌ وَشَجْوٌ مُقِيمٌ. أَمَا لَيْلِي فَهِيَ الطَّامَةُ الْكُبْرَى، هُوَ الْمُصِيبَةُ الَّتِي لَا أَخْلَصُ مِنْهَا إِلَّا وَقَدْ بَلَغَتْ رُوحِي التَّرَاقِي!»

فَهَذَهْدَ خَدَّهَا عَاطِفًا وَقَالَ: «إِهْدِي، إِهْدِي، أَخْتَاهُ... وَكُونِي كَعَهْدِي بِكَ صَابِرَةً قَوِيَّةً الْعَزِيمَةَ، ثُمَّ تَسْجَعِي وَابْتَسِمِي لِلْحَيَاةِ، فَلَنْ تَلْبَتِ الْحَيَاةُ أَنْ تَبْتَسِمَ لِكَ بِمَلءِ فِيهَا».

- «يَبْدُ أَنْ شَقَائِي لِحَالَةِ نَفْسِيَّةِ طَارِيَّةٍ، فَقَدْ سَمِعْتَ...».

فَقَاطَعَهَا مُتَعَجِّلًا: «لَا يَهْمُنِي ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا يَهْمُنِي حَالُكَ».

- «ثُمَّ، يُقَى يَا أَخِي أَنِّي أَكْرَهُ زَوْجِي مِنْ كُلِّ قَلْبِي. أَكْرَهُهُ... أَوْتَدْرِي السَّبَبَ؟ أَكْرَهُهُ لِأَنَّهُ مُسْتَقِيمٌ! أَكْرَهُهُ لِأَنَّهُ فَاضِلٌ! أَكْرَهُهُ لِأَنَّهُ يَرْحَمُ وَيَعْفُو!»

- «ماذا تقولين؟!» .

- «أَجَلٌ أَكْرَهُهُ لِهَذِهِ الْحَسَنَاتِ، وَلَا أَكَادُ أَطِيقُ النَّظَرَ إِلَى أَمَاثِرِهِ» .

- «المسكين! وهل آذاك؟»

- «نَعَمْ وَلَا . كُلُّ شَيْءٍ كَانَ يَهُونُ غَيْرَ صَمْتِهِ . كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا هَذَا الْهُدُوءَ، هَذَا الْغُمُوضَ .

إِنَّ نَفْسَهُ غَايِضَةٌ مُبْهَمَةٌ . إِنَّهُ مُخِيفٌ!»

- «ولكن...» .

- «ولكن ماذا؟ ماذا بعدَ ولكن؟ لم أسمع برجلٍ في مثلِ نُبْلِهِ، لم أسمع برجلٍ يَتَحَمَّلُ

مَا تَحَمَّلَهُ . وَإِنِّي لَوْ قُورِنْتُ بِهِ، لَخَرَجْتُ بِصِفْرِ كَامِلٍ! وَمَعَ ذَلِكَ فَمَقَّتِي لَشَخِصِهِ لَا حُدُودَ لَهُ

وَلَا سُدُودًا! أَنَا نَذْلَةٌ، أَمْ أَنَا أَحَقُّدُ عَلَى كُلِّ مَنْ سَبَقَنِي فِي شَرَفِهِ وَخُلُقِهِ وَصِفَاتِهِ؟» .

فهاجَ وَجَدُ أوبلنسكي، فَرَفَعَ إِلَيْهَا يَدًا آمِرَةً، وَقَالَ: «صَمْتًا، صَمْتًا، فَأَنْتِ تَهْدِينَ . أَنْتِ

مُسْتَضْعَفَةٌ أَضْنَاكَ الْمَرَضُ، وَفَتَّ فِي عَضْدِكَ السَّقَمُ» .

- «كَلَّا، بَلِ دَعَنِي أَتَكَلَّمُ» .

- «غَيْرِ أَنْتِي لَا أَرَى فِيهِ مَا تَرَيْنَهُ يَا أَنَا» .

- وَلِمَ لَا يَتْرُكُنِي وَشَأْنِي؟ لِمَ لَا يَنْبِذُنِي حَتَّى أَعْرِفَ أَيْنَ أَنَا؟ وَأَيْنَ أَضَعُ قَدَمِي؟ وَكَيْفَ

أَحْيَا؟ وَكَيْفَ أَتَنَفَّسُ؟ أَتَعْلَمُ أَنِّي أَكَادُ أَخْتِنُقُ؟!»

- «أَزُودِي^(١) يَا أُخْتَاهُ، فَلَيْسَ كَالصَّبْرِ وَالْأَنَاةِ تُعَالِجُ بِهِمَا الْأُمُورَ، وَثِقِي أَنَّ لِكُلِّ مُعْضِلَةٍ

حَلًّا، وَلِكُلِّ أَرْزَمَةٍ انْفِرَاجًا» .

- «عَلَى أَنْتِي لَا أَحِجُّ إِلَّا الشُّدُودَ وَالْقَيْدَ، وَلَا أَرَى إِلَّا ظُلُمَاتٍ مُتْرَاكِمَةً . فَهَلِ لِي

مَنْدُوحَةٌ عَنِ الْمَوْتِ؟ أَلَيْسَ الْمَوْتُ خَلَاصِي مِنْ شَقَائِي وَعَذَابِي؟»

- «هُرَاءُ، هُرَاءُ . بَلِ إِنَّكَ تَهْدِينَ يَا أَنَا . وَقَدْ أَعْمَنُكَ حَالَتُكَ، فَلَمْ تَعُودِي تَرِينَ إِلَّا

النَّاجِيَةَ الْمُظْلِمَةَ مِنْ حَيَاتِكَ . أَمَا يَخْلُقُ بِنَا الْآنَ أَنْ نَحُلَّ الْعُقْدَةَ؟ فَهَلْمِي نَحْلَلِ الْأُمُورَ رُوَيْدًا

رُوَيْدًا» .

(١) أزودي: رُوَيْدِكَ، تَمَهَّلِي .

- «إِفْعَلْ مَا بَدَا لَكَ».

- «لَقَدْ بَنَى عَلَيْكَ رَجُلٌ حَوِيلًا، لَكِنَّ سِنَّهُ تَزِيدُ كَثِيرًا عَنِ سِنَّكَ؛ وَرَضِيَتْ أَنْتِ بِهِ مِنْ دُونَ أَنْ تُبَادِلِيهِ عَاطِفَةَ الْحُبِّ، بَلِ افْتَرَنْتِ بِهِ وَنَفْسُكَ عَنِ الْحُبِّ بَعِيدَةٌ».

- «أَصَبْتُ، وَقَدْ أَخْطَأْتُ فِي مَا فَعَلْتُ».

- «وَمَا نَفْعُ التَّمَجُّعِ لِحَطِّ لَا سَبِيلَ إِلَى مُلَافَاتِهِ؟ يَتَرْتَّبُ عَلَيْنَا الْآنَ أَنْ نَسْتَمِرَّ فِي عَرْضِ صَفْحَةِ حَيَاتِكَ. لَقَدْ تَبَعَ ذَلِكَ شَيْءٌ طَبِيعِيٌّ، فَأَغْرِمْتِ بِشَابِّ يُضَاهِيكَ سِنًّا وَحُسْنًا؛ وَهَذَا أَيْضًا حَطًّا لَا يُتَدَارَكُ».

وَهَزَّتْ أَنَا رَأْسَهَا مُوَافِقَةً.

وَاسْتَأْنَفَ يَقُولُ: «وَاسْتَشَفَّ زَوْجُكَ الْحَقِيقَةَ، فَأَغْضَى ثُمَّ غَفَرَ... فَهَلْ لَكَ أَنْ تَضِيرِي عَلَيَّ مَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ؟ هَلْ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَعِيشِي فِي كَنَفِ رَجُلٍ غَفَرَ بِالرَّغْمِ مِنَ الْإِسَاءَةِ؟»

- «أَوْهَ! إِنِّي أَتَحَبُّطُ فِي لُجَّةِ الْحَيْرَةِ».

- «أَلَمْ تَقُولِي مُنْذُ لِحَظَاتٍ إِنَّكَ تُفَضِّلِينَ الْمَوْتَ عَلَى الْحَيَاةِ مَعَهُ؟»

وَلَمْ تُجِبْ أَنَا.

وَأَرْدَفَ: «أَلَمْ تَقُولِي إِنَّكَ تَمَقْتِينَهُ؟»

فصاحت: «كَلَّا، كَلَّا، لَمْ أَقُلْ. وَلَوْ فَرَضْنَا أَنَّي قُلْتُ، فَلَسْتُ فِي قَوْلِي إِلَّا مُغَالِيَةً، أَوْ إِنِّي أَهْرِفُ^(١) بِمَا لَا أَعْرِفُ!»

- «فَلَأُشْرَخَ لَكَ الْأُمُورَ...».

- «كَفَى، فَلَنْ أَفْهَمَ كَلِمَةً، لَقَدْ ارْتَبَكَ تَفْكِيرِي، وَوَقَفْتُ عَلَى حَافَةِ جُرْفٍ^(٢) تَلِيهِ هُوَّةٌ

سَحِيقَةُ الْغُورِ، وَلَنْ أَنْجُوا!»

- «وَمَنْ أَدْرَاكِ أَنَّ الْحِيلَةَ تَعْجِزُ عَنِ إِنْقَاذِكِ؟ أَلَيْسَ فِي وُسْعِنَا أَنْ تَتَلَقَّكَ فِي مُتَتَصِفِ

الطَّرِيقِ إِلَى الْغُورِ السَّحِيقِ؟ فَأَبِينِي عَنِ حَقِيقَةِ مَشَاعِرِكَ، إِكْشِفِي لِي كُلَّ شَيْءٍ، قَوْلِي مَا تُرِيدِينَ».

(١) أَهْرِفُ: أَهْذِي.

(٢) الْجُرْفُ: مَا أَكَلَتْهُ الشُّيُولُ مِنَ الْأَرْضِ أَوْ شِقُّ الْوَادِي إِذَا حَفَرَ الْمَاءُ فِي أَسْفَلِهِ.

- «لَقَدْ تَجَمَّدَ شُعُورِي، وَتَحَجَّرَ إِحْسَاسِي وَلَمْ يَبْقَ لِي غَايَةٌ، وَلَمْ يَبْقَ هَدَفٌ!»
- «وَلَا جَرَمَ أَنَّ قَرِينَكَ يَتَأَلَّمُ مِنْ هَذَا الشُّعُورِ أَيْضًا، وَلَا بُدَّ وَالْحَالَةَ هَذِهِ مِنْ إِنْهَاءِ
الْأَمْرِ، فَلِمَ لَا تَلْجَأَانِ إِلَى الطَّلَاقِ؟»
فَأَطْرَقَتْ وَاسْتَعْرَقَتْ فِي الْفِكْرِ.
وَنَهَضَ وَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: «سَأَجْتَمِعُ الْآنَ إِلَيْهِ، فَعَسَى أَنْ يُؤَفِّقَنِي اللَّهُ إِلَى مَا فِيهِ مَصْلَحَةٌ
الطَّرَفَيْنِ».

* * *

خَطَا أوبلنسكي داخِلًا، فَلَمَّا وَقَعَ طَرْفُهُ عَلَى وَجْهِ كَارْنِينَ الْمُتَجَهِّمِ فَارَقَتْهُ شَجَاعَتُهُ،
وَتَوَلَّاهُ حَيْرَةً عَظِيمَةً. لِكَيْتَهُ اسْتَجَمَعَ سَنَاتَ عَزِيمَتِهِ وَخَاطَبَهُ مُتَلَعِيمًا: «أَخَافُ إِنْ حَدَّثْتُكَ قَلِيلًا
أَنْ أُثْقِلَ عَلَيْكَ يَا أَلِكْسَيْسِ».
قَالَ: «قُلْ مَا بَدَا لَكَ...».

وَتَمَلَّمَلَ الرَّجُلُ الْمَكْدُودُ فِي مَجْلِسِهِ، وَأَزْدَفَ: «قُلْ إِنَّمَا أَرْجُوكَ أَنْ لَا تُطِيلَ، فَأَنَا مُتَعَبٌ
مَكْدُودٌ».

- «أَجَلُ، أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ شَيْئًا...».

- «هَاتِ مَا عِنْدَكَ وَلَا تَتَرَدَّدْ».

- «إِنِّي أَحِبُّ أَنَا شَقِيقَتِي، وَأَشْفُقُ عَلَيْهَا».

وَصَمَتَ، وَتَلَفَّتْ بَقَلَتِي. وَلَمَّا لَمْ يُجِرْ كَارْنِينُ جَوَابًا تَابِعَ يَقُولُ: «وَأَرْغَبُ رَغْبَةً صَادِقَةً فِي
مُبَاحَثَتِكَ بِشَأْنِ شَقِيقَتِي هَذِهِ، وَبِعَلَّاقَتِهَا الشَّاذَّةِ بِكَ زَوْجًا لَهَا».

وَصَعَدَ كَارْنِينُ نَظْرًا حَزِينًا فِي وَجْهِ مُحَدِّثِهِ، ثُمَّ أَغْضَى بَعَيْنَيْهِ، وَأَخَذَ عَنِ الْمَكْتَبِ وَرَقَةً
مَدَّ بِهَا يَدَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ: «أَظُنُّ أَنَّ فِي هَذِهِ الْوَرَقَةِ مَا يُعْنِي عَنْ كُلِّ كَلَامٍ، فَاقْرَأْهَا، إِنَّ شَقِيقَتَكَ
سَيِّمَتْ مِنْ زَوْجِهَا، وَبَرِمَتْ بِطِفْلِهَا، وَكَرِهَتْ الْحَيَاةَ الْمُسْتَقِيمَةَ، فَلَمْ أَجِدْ مَدْوَحَةً عَنْ كِتَابَةِ
هَذِهِ الرِّسَالَةِ إِلَيْهَا».

وَتَنَاوَلَ أوبلنسكي الْوَرَقَةَ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى كَارْنِينِ، وَمَا لَبِثَ أَنْ انْهَمَكَ فِي الْقِرَاءَةِ.

وقد جاء في الرسالة:

«إِنَّ الْحَيَاءَ صَغْبَةٌ، وَأَنْتِ كَمَا أَيْقَنْتُ لَا تَرَعَيْنِي فِي قُرْبِي، أَنْتِ تَكْرَهِينَ زَوْجَكَ، وَهَذَا يَحْزُنُ فِي صَدْرِي، لَكِنَّهَا الْحَقِيقَةُ. الْحَقِيقَةُ الْمُرَّةُ الْمُمِصَّةُ!»

لَقَدْ أَلَمْتُ بِكَ وَغَكَّةً شَدِيدَةً انْحَلَّتْ مِنْ وَطْأَتِهَا قُؤَاكِ، وَلَا أَنْكِرُ أَنِّي مَثٌ فَرَقًا حِينَمَا رَأَيْتُكَ تَتَهَافَتِينَ مِنَ السَّقَمِ، وَتَنْهَارِينَ مِنَ الْإِغْيَاءِ. وَإِنِّي بَعْدَ أَنْ شَاهَدْتُ وَصَبِكَ عَاهَدْتُ نَفْسِي عَلَى نِشْيَانِ الْمَاضِي، وَقَرَّرْتُ أَنْ أَقْلِبَ صَفْحَةَ جَدِيدَةً مِنْ صَفْحَاتِ حَيَاتِنَا... وَلَمْ يُدَاخِلْنِي نَدَمٌ عَلَى مَا وَطَّدْتُ الْعَزْمَ عَلَيْهِ. وَمَا شَابَ إِحْسَاسِي حَسْرَةً عَلَى ضَعْفِ قَلْبِي، فَقَدْ شِئْتُ أَنْ أُعْطِيكَ فُرْصَةَ التَّوْبَةِ، كَمَا شِئْتُ أَيْضًا أَنْ أَعْغِصَلَ أُذْرَانَ الْمَاضِي وَأَقْدَارَهُ. بَيِّدَ أَنِّي أَخَفَقْتُ وَبُؤْتُ بِالْحَيِيَّةِ.

إِنِّي الْآنَ أَتَنْظُرُ رَدَّكَ، فَقَوْلِي وَلَا تُخْفِي شَيْئًا. أُطَلِّبِي مَا يُسَبِّبُ لَكَ الْهَنَاءَ وَالْعَيْشَ الرَّضِيَّ، وَثَقِي أَنِّي أَلْبِي طَلْبَكَ، وَأَفْعَلُ الْمُسْتَحِيلَ لِأَوْفَرِ لَكَ السَّعَادَةَ وَهُدُوءَ الْبَالِ».

وَمَدَّ أُوْبِلِنْسْكِي يَدَهُ بِبُطْءٍ، وَأَرْجَعَ الرِّسَالَةَ إِلَى كَارِنِينَ، وَحَدَّقَ إِلَيْهِ غَيْرَ مُصَدِّقٍ، وَنَاجَى نَفْسَهُ، وَتَمَتَّمَ، وَغَمَّغَمَ، لَكِنَّ الْكَلِمَاتِ لَمْ تَخْرُجْ وَاضِحَةً مِنْ فَمِهِ.

وَرَانَ عَلَى الْغُرْفَةِ سُكُونٌ رَهِيْبٌ، وَصَمَتَ الرَّجُلَانِ كَأَنَّ عَلَى رَأْسَيْهِمَا الطَّيْرَ^(١). وَمَا عَتَمَ كَارِنِينُ أَنْ خَاطَبَ صَدِيقَهُ قَائِلًا: «أَوْعَيْتَ مَعْنَى كَلِمَاتِي؟ أَفَهَيْتَ مَعْرَى عِبَارَاتِي؟»

قَالَ: «أَجَلْ، لَقَدْ قَرَأْتُ وَفَهَيْتُ. فَهَيْتُ كَلِمَاتِكَ، وَفَهَيْتُ شَخْصِيَّتَكَ وَجِلَّتِكَ^(٢)».

- «أَلَا تَرَى مَعِيَ أَنِّي طَلَبْتُ إِلَيْهَا أَنْ تُحِيطَنِي عِلْمًا بِرَغْبَتِهَا كَيْ أَسْتَطِيعَ أَنْ أَخْدِمَهَا وَأُنِيلَهَا مَا تَصْبُو إِلَيْهِ؟»

- «عَلَى أَنَّهَا كَمَا أُتِيقُ شَارِدَةٌ كَمَنْ طَارَتْ نَفْسُهُ شَعَاعًا^(٣). إِنَّهَا مُوزَّعَةُ الْفِكْرِ مُرْتَبِكَةٌ، وَإِخَالَ صَفْحَكَ عَمِلَ عَلَى مُضَاعَفَةِ وَلَهْ نَفْسِهَا. وَسَوْفَ تَزِيدُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ مِنْ أَشْجَانِهَا، لِأَنَّهَا سَتُضَاعَفُ مِنْ عُلوِّكَ وَمِنْ انْخِفَاضِهَا».

(١) كَأَنَّ عَلَى رَأْسَيْهِمَا الطَّيْرَ: تَعْبِيرٌ يُرَادُ بِهِ أَنَّهُمَا جَامِدَانِ لَا يَتَحَرَّكَانِ.

(٢) جِلَّتِكَ: طَبِيعَتِكَ، طَبِئَتِكَ.

(٣) شَعَاعًا: مُتَفَرِّقَةً.

- «صَدَقْتَ . . . فما الْعَمَلُ إِذَا؟ وَكَيْفَ أَنْتَصِرُ؟ كَيْفَ أَعْجِمُ عَوْدَهَا»^(١)؟

- «إِحْسِمِ الْمَوْقِفَ، لَا تَتَرَدَّدْ وَلَا تَتَرَيَّثْ، فَأَنْتَ وَحَدَاكَ الشَّخْصُ الَّذِي يَجْدُرُ بِهِ الْقَطْعُ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ».

- «أَتُرِيدُ مِنِّي أَنْ أَنْهِيَ الْمَسْأَلَةَ؟ قُلْ . . . عَلَى أَيِّ وَجْهِ؟ فِي أَيِّ صَوْرَةٍ؟ قُلْ . . . نَاشِدْتُكَ اللَّهَ».

- «أَلَمْ تَعَزِّمْ مُنْذُ زَمَنٍ عَلَى فَصْمِ زَوَاجِكُمَا بِالطَّلَاقِ؟ فَإِنْ بَدَأَ لَكَ الْآنَ أَنَّ الطَّلَاقَ هُوَ الْحَلُّ الْأَوْحَدُ، فَلِمَ لَا تَلْجَأُ إِلَيْهِ؟»

- «إِنِّي عَلَى قَدَمِ الْإِسْتِعْدَادِ لِكُلِّ مَا يَرْفَعُ عَنْ كَاهِلِهَا الْعِبَاءَ الثَّقِيلَ».

- «اعْلَمْ يَا كَارِنِينُ أَنَّ الزُّجَاجَ مَتَى انْصَدَعَ لَا يُرَابُّ، وَأَنَّ عِلَاقَتِكُمَا أَضْحَتْ كَالزُّجَاجَةِ الْمُنْحَطِمَةِ، فَانْتَهِيَا مِنَ الْأَمْرِ بِالْفِرَاقِ، وَاحْسِمَا الْمُسْكِلَةَ بِالْبِعَادِ»،
- «أَوْضِحْ يَا صَاحِبِ»^(٢).

- «أَعْنِي أَنَّ الطَّلَاقَ هُوَ خَيْرُ عِلَاجٍ فَاجْتَنِعْ إِلَيْهِ».

وَتَنَفَّسَ كَارِنِينُ الصُّعْدَاءَ، وَزَفَرَ زَفْرَةً مُحْرِقَةً وَدَفَنَ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَأَنْهَى أُوْبَلِنْسْكِ كَلَامَهُ بِقَوْلِهِ: «فَإِنْ لَمْ يُفَكِّرْ أَيُّ مِنْكُمَا فِي زَوَاجِ ثَانٍ، هَانَ الْأَمْرُ، وَأَصْبَحَتْ أَنَا حُرَّةً، وَزَالَتْ أَحْزَانُكَ وَالْأَمَلُ».

* * *

أَلَمْ يُعْمَلِ الْفِكْرَ؟ هَلْ أَمْضَى هَذِهِ الْأَيَّامَ كُلَّهَا مِنْ دُونِ أَنْ يَسْعَى إِلَى حَلِّ مُوَافِقٍ؟ وَهَلْ يُرْضِيهِ هَذَا الْحَلُّ؟ كَلَّا . . . كَلَّا . . .

إِنَّ شَقِيْقَ زَوْجَتِهِ يَرَى فِي الطَّلَاقِ خَلَاصَهُ وَخَلَاصَ أَنَا، فَهَلِ الطَّلَاقُ حَقًّا هُوَ الْحَلُّ الْأَوْحَدُ؟ هَلْ فِي الطَّلَاقِ خَلَاصٌ لَهُ وَلِزَوْجَتِهِ وَلَا بِنِيهِ؟ كَلَّا . . . كَلَّا . . .

شَقِيْقُ زَوْجَتِهِ يَرَى هَذَا، وَلَكِنْ، أَتَى لِشَقِيْقِ زَوْجَتِهِ الْحَصَافَةُ وَالْعَقْلُ؟ إِنَّهُ لَمْ يُدْخِلْ فِي

(١) أَعْجِمُ عَوْدَهَا: أَعْرِفُ حَقِيقَتَهَا، أَمْتَحِنُهَا وَأَخْتَبِرُهَا.

(٢) يَا صَاحِبِ: يَا صَاحِبِي (مُنَادَى مُرَحِّمٍ).

حِسابِهِ مِثْلَ مَا أَدْخَلَ كَارْنِينُ، مَا يَقْتَضِيهِ الطَّلَاقُ مِنْ إِجْرَاءَاتٍ وَأَعْمَالٍ لَا تَجْرُ عَلَيْهِ إِلَّا
الْفَضِيحَةَ وَالتَّشْهِيرَ. أَلَيْسَ الزَّوْجُ مُطَالِبًا بِالِاعْتِرَافِ جَهَارَةً، وَعَلَى مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ، بِخِيَانَةِ
امْرَأَتِهِ؟ ثُمَّ أَلَا يُقَسِّرُ الزَّوْجُ عَلَى الْمُثُولِ أَمَامَ الْقَاضِي وَالِاعْتِرَافِ بِمَا رَأَى، وَبِمَا سَمِعَ، بَلْ
عَلَى الْإِعْتِرَافِ بِأَنَّ الْمَوْلُودَةَ الْجَدِيدَةَ هِيَ ابْنَةُ السَّفَاحِ وَالزَّنَا؟!!

لا . . . لا . . . إِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ!

وَلَا يَقْوَى عَلَى اتِّهَامِ أَنَا، فَقَدْ أَحَبَّهَا حُبًّا عَظِيمًا، وَقَدْ تَدَلَّهَ بِهَا. ثُمَّ، أَلَمْ يَغْفِرْ لَهَا وَهِيَ
تُقَاسِي الْمَرَضَ؟

وَوَلَدُهُ! هَلْ فَكَّرَ هَذَا الْأَبْلَهُ (أُوبِلِنْسْكِي) بِوَلَدِهِ؟ أَتَبْرَكُهُ لِأَمِّهِ حَتَّى تَقْضِي عَلَيْهِ وَعَلَى
مُسْتَقْبَلِهِ؟

وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ، أَفَيَقِي ابْنَهُ حَامِلًا اسْمَهُ، أَمْ تُبَدِّلُ الْمَرْأَةَ اسْمَهُ نِكَايَةً بِهِ؟!

وَأَنَّ الرَّجُلَ الْمَهِيضُ أَنْيْنَ الثُّكْلَى، وَزَفَرَ مِنْ كَيْدِ حَرَى. وَأَصَابَهُ الدُّوَارُ، وَغَامَتْ عَيْنَاهُ،
فَدَعَمَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ، وَنَسِيَ وُجُودَ أُوبِلِنْسْكِي، نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ، وَشَلَّ دِمَاغُهُ، فَلَمْ يُفَكِّرْ؛ وَوَقَفَ
هَذَا الدِّمَاغُ الْمُتَعَبُّ عَلَى مَفْرَقِ طَرِيقَيْنِ، وَجَمَدَ فِي مَكَانِهِ حَائِرًا لَا يَدْرِي أَيَّ الطَّرِيقَيْنِ
يَسْلُكُ!

وَنَبَهُهُ صَوْتُ أُوبِلِنْسْكِي مِنْ شُرُودِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَأَضْغَى. كَانَ أُوبِلِنْسْكِي يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ،
وَكَأَنَّهُ لَا يَرَى مَا آتَابَهُ، كَانَ يَقُولُ: «مَاذَا تَرْتَنِّي؟ وَمَا هِيَ شُرُوطُكَ الَّتِي تَطْلُبُ الطَّلَاقَ
بِمُقْتَضَاهَا، أَوْ بِالْأُخْرَى تِلْكَ الَّتِي تَطَالِبُ أَنَا بِالْوَفَاءِ بِهَا؟ إِنَّ أَنَا كَمَا أُوقِنُ لَا تُرِيدُ شَيْئًا بِنَتِّهِ
مِنْكَ».

وَهْتَفَ كَارْنِينُ بِصَوْتٍ مُتَحَشِّرِجٍ: «مَاذَا فَعَلْتُ؟ مَاذَا ازْتَكَبْتُ حَتَّى أُمْنَى بِكُلِّ هَذَا الشَّقَاءِ؟
مَا هِيَ جَرِيرَتِي حَتَّى يُعَاقِبَنِي اللَّهُ هَذَا الْعِقَابَ؟ أَوْه! أَوْه!».

وَائْتَفَأَ بِوَجْهِهِ عَلَى الْمِنْصَلَةِ وَهُوَ يَنْشِجُ.

وَاسْتَتَلَى أُوبِلِنْسْكِي: «لَشَدَّ مَا أَشْعُرُ مَعَكَ! لَشَدَّ مَا أَتَأَلَّمُ مِنْ أَجْلِكَ! وَلَكِنْ . . .
وَلَكِنْ . . . مَا الْعَمَلُ؟ إِنِّي أَتَقَلَّبُ مِثْلَكَ عَلَى وَقْدِ الْحِيرَةِ، وَلِلْحِيرَةِ أَحْيَانًا لَطَى مُتَاجِجُ
النِّيرَانِ».

ولم يُحَرِّكْ كَارِنِينَ سَاكِئًا، وَلَبِثَ يُفَكِّرُ. لَقَدْ اسْتَعْرَقَ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي فِكْرِ هَادِيٍّ رَصِينٍ،
كَانَ يُفَكِّرُ فِي الْقَوْلِ الْمَأْثُورِ «مَنْ صَفَعَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ، فَأِدِرْ لَهُ الْأَيْسَرَ». كَانَ يُفَكِّرُ فِي
الْجِلْمِ وَالصَّفْحِ، وَيُفَكِّرُ فِي الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ. لِكَيْتَهُ زَمَجَرَ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ فَكَانَ الصَّوْتُ كَأَنَّهُ
غَيْرُ صَوْتِهِ: «لَيْكُنْ ذَلِكَ. سَوْفَ أَسْعَى إِلَى الطَّلَاقِ. سَوْفَ أَتْرُكُهَا وَأَتْرُكُ ابْنِي».

وَاتْتَصَبَ وَاقْفًا، وَاَنْدَفَعَ نَحْوَ النَّافِذَةِ، وَجَعَلَ يَرُودُ الْمَكَانَ بِطَرْفِهِ الْكَلِيلِ، وَجَعَلَتْ
الدَّمُوعُ تَنْهَرُ مِنْ عَيْنَيْهِ، فَلَمْ يَرَفَأْهَا وَلَمْ يُجَفِّفْهَا، بَلْ لَزِمَ مَكَانَهُ جَامِدًا لَا يَتَحَرَّكُ.

وَقَدْ اخْتَلَطَ شُعُورُ الْأَلَمِ وَالْحُزَنِ فِي قَرَارَتِهِ، بِشُعُورِ التَّضْجِيَةِ بِالذَّاتِ، وَإِثَارِ الْآخِرِ عَلَى
النَّفْسِ الْعَزِيزَةِ!

وَهَتَفَ أُوْبِلِنْسْكِ يَقُولُ بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ مَبْجُوحٍ: «مَا اسْمِي قَلْبِكَ، وَأَرْقِ شُعُورَكَ يَا
أَلِكْسِيس!»

ولم يُحِزْ كَارِنِينَ جَوَابًا، فَقَدْ كَانَتْ عِبْرَاتُهُ تَتَرَفَّرُ فِي عَيْنَيْهِ، وَتَتَجَمَّعُ فِي أَنْفِهِ وَفِيهِ.

وَاسْتَلَى أُوْبِلِنْسْكِ وَهُوَ يَتَحَفَّزُ لِلذَّهَابِ: «مَا أَعْظَمَ الْمَأْسَاءَ! لَكِنَّكَ بَرَهَنْتَ لِي عَلَى أَنَّكَ
أَضْلَبُ عَوْدًا مِنْ أَنْ تُحَطِّمَ النُّكْبَةَ وَتَسْلُبَ حِجَاكَ، وَتَحْرِمَكَ نُبْلِكَ وَكَرَمَكَ وَرَوْعَةَ
إِحْسَائِكَ».

وَمَضَى الرَّجُلُ فِي سَبِيلِهِ. وَسُرْعَانَ مَا افْتَرَّتْ شَفْتَاهُ عَنِ ابْتِسَامَةِ الظَّافِرِ الْمُتَّصِرِ. لَقَدْ
نَسِيَ الْأَلَمَ، وَنَسِيَ الرَّجُلَ الْمُتَأَلِّمَ، وَلَمْ يَعْذُ يَذْكُرْ إِلَّا نَجَاحَهُ فِي مُهْمَّتِهِ.

فَهَا هُوَ كَارِنِينَ يُعْزِمُ عَلَى الطَّلَاقِ، وَهَا هِيَ أَنَا تَرْتَاخُ مِنْ عَذَابِهَا، وَتَبْتَعِدُ عَنْ زَوْجِهَا.

وَأَنْشَأَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ: «أَلَمْ أَكُنْ مَاهِرًا؟

أَلَمْ أَكُنْ كِيمَاوِيَا بَارِعًا؟

أَلَمْ أَنْجَحْ فِي اسْتِنْبَاطِ الْعَقَّارِ الَّذِي أَنْقَذَ ثَلَاثَةَ أَشْخَاصٍ؟

أَلَسْتُ مَاهِرًا؟!»

وَضَحِكَ مِلءَ فِيهِ.

لَمْ يَكُنْ لَيْمًا...

ولم يَكُنْ دَنِيًّا . . .
ولَكِنَّهَا طَبِيعَتُهُ، سَجِيَّتُهُ، جِبَلَّتُهُ!
هَذَا هُوَ سَتِيفَانُ أَوْبِلِنْسْكِي!
وَلَنْ يَتَّعَبِرَ!

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - أترى في سؤالِ بتسي لأوبلنسكي «أعلى موعدٍ أنت - موعدٍ غرام؟» إدانةً للمُجمَعِ الذي يعيشان فيه، أم ترى فيه شيئًا آخر؟ علّل ما تذهب إليه .
- ٣ - ما الحلُّ الذي اقترحه أوبلنسكي على كارنين؟ وهل تراه حلًّا معقولًا؟ علّل إجابتك .
- ٤ - لِمَ لَمْ يَكُنْ كارنينُ يرغَبُ في الطلاقِ؟ وهل كان مُحققًا في ذلك؟
- ٥ - أترى الكاتبَ هنا معَ تماسكِ الأسرةِ أم معَ تمزُّقِ شملِها؟ وما دليلك على ذلك؟
- ٦ - أترى أنَّ كارنينَ كانَ مؤمنًا برسالةِ المسيح؟ أشيرُ إلى ما يثبتُ ذلكَ في الفصلِ .
- ٧ - وهل ترى أنَّ الكاتبَ كانَ وراءَ هذا الإيمانِ، ووراءَ هذه الإنسانيةِ العميقةِ في نفسِ كارنين؟ علّل ما تذهب إليه .
- ٨ - أوجزْ مضمونَ الفصلِ في أسطرٍ قليلةٍ .

الفصل التاسع

إنتَحَرَ فرونسكي، لِكِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، فَقَدِ ارْتَعَشَتْ يَدُهُ بِالْمُسَدَّسِ، فأنْحَرَفَتِ الرَّصَاصَةُ وَلَمْ تُصَبِّ مِنْهُ مَقْتَلًا .

غَيْرَ أَنَّ الرَّصَاصَةَ اخْتَرَقَتْ جَسَدَهُ، وَاسْتَنْزَفَتْ دَمَهُ، وَلَوْ لَمْ يُسَارِعْ ذَوُوهُ إِلَى نَجْدَتِهِ لَمَا بَقِيَتْ مِنْهُ قَطْرَةٌ، وَلَقَضَى بَعْدَ سَاعَةٍ نَحْبَهُ .

وَفَتَحَ فرونسكي عَيْنَيْهِ الذَّابِلَتَيْنِ، وَتَلَفَّتْ مُتَعَجِّبًا، فَرَأَى زَوْجَةَ شَقِيهِهِ مُكَبَّئَةً عَلَيْهِ، وَهِيَ تُعْنَى بِهِ وَتُضَمِّدُ جِرَاحَهُ بِحَنَانٍ، فَسَارَعَ يَقُولُ: «أَيُّ فَارِيَا! كُنْتُ أَعْبَثُ بِالْمُسَدَّسِ فَانْطَلَقْتُ مِنْهُ رِصَاصَةً. أَفَهَمْتُ؟ لَقَدْ انْطَلَقْتُ قِضَاءً وَقَدْرًا...» .

فَهَزَّتِ الْمَرْأَةُ رَأْسَهَا، وَابْتَسَمَتْ وَرَبَّتْ جَبْهَتَهُ .

وَمَضَى يَقُولُ بِصَوْتِهِ الْوَاهِي: «أَحْذَرِي يَا فَارِيَا! فَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ يَلْغَطَ النَّاسُ بِقِصَّتِي، وَيَتَسَاءَلُوا عَنِ السَّبَبِ، لَقَدْ أُصِيبْتُ اتِّفَاقًا» .

فَقَالَتْ وَهِيَ تَضْحَكُ قَلِيلًا: «عَلَى أَنْ تَعِدَنِي بِأَلَّا تَنْطَلِقَ الرَّصَاصَةُ مِنْ تَلْقَائِهَا مَرَّةً ثَانِيَةً» .

فَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، وَرَأَتِ الْمَرْأَةَ عَلَى نَعْرِهِ الْجَمِيلِ افْتِرَارَةَ حُزْنٍ وَأَسَى، فَطَاطَأَتْ رَأْسَهَا وَبَكَتْ... فَالْجَمَالُ الْحَزِينُ لَهُ وَقَعَ عَلَى الْقَلْبِ أَشَدَّ مِنْ وَقَعِ الْجَمَالِ الضَّاحِكِ .

لَقَدْ كَانَ فرونسكي فِي حُزْنِهِ أَرْوَعَ مِنْهُ فِي سُورِهِ، كَانَ فِي تَرْجِهِ أَجْمَلَ مِنْهُ فِي فَرَجِهِ!

وَزَالَ عَنْهُ الْخَطَرُ بَعْدَ أَيَّامٍ، وَقَوِيَتْ رُوْحُهُ، وَاسْتَدَّتْ عَزِيمَتُهُ، وَفَارَقَهُ ذَلِكَ الْيَأْسُ الْمَرِيرُ الَّذِي انْتَابَهُ عَلَى حِينِ غَفَلَةٍ! وَخِيلَ إِلَيْهِ أَنَّ دَمَهُ أَزْبَأَ شُعُورَهُ، وَأَنَّ عَارَهُ قَدْ غَسَلَهُ هَذَا النَّقِيْعُ الَّذِي نَزَفَ مِنْ قَلْبِهِ! كَمَا خِيلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ يَمْسِيَّ مَرْفُوعَ الرَّأْسِ بَيْنَ الْأَنَامِ، وَأَنْ يُحَدِّقَ إِلَى الْعُيُونِ مِنْ دُونِ وَازِعٍ مِنْ خَجَلٍ أَوْ حِيَاءٍ .

يَدَّ أَنَّهُ مَا زَالَ يُحِبُّ أَنَا، وَمَا زَالَ يَشْعُرُ نَحْوَهَا بِتِلْكَ الْعَاطِفَةِ الْمُتَهَبِّةِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ
غَيْرَتِهَا الرَّغْنَاءِ الَّتِي أَظْهَرْتَهَا فِي الْآوِنَةِ الْأَخِيرَةِ عَلَى أَنْوَاعٍ وَأَشْكَالٍ.

وَلَمَّا عَرَضَ عَلَيْهِ أُولُو الْأَمْرِ مَنْصِبًا رَفِيعًا فِي بِلَادِ نَائِيَّةٍ، هِيَ وِلَايَةُ طَاشَقَنْدِ، لَمْ يَتَرَدَّدْ
لَمَحَّةً، بَلْ وَافَقَ عَلَى الْاضْطِلَاعِ بِهِ فَوْرًا.

وَمَضَتْ الْأَيَّامُ، وَاقْتَرَبَ مِعَادُ سَفَرِهِ إِلَى تِلْكَ الْوِلَايَةِ النَّائِيَّةِ، فَوَجَفَ قَلْبُهُ رَهْبَةً، وَنَدِمَ
عَلَى تَسْرُعِهِ فِي قَبُولِ الْمَنْصِبِ، وَوَدَّ لَوْ عَدَلَ؛ لَكِنَّ كَرَامَتَهُ مَنَعَتْهُ مِنْ إِظْهَارِ ضَعْفِهِ، فَطَفِقَ
يَتَأَهَّبُ لِلسَّفَرِ وَيَسْتَعِدُّ لِلرَّحِيلِ.

غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يَتَسَوَّفُ الْأَبْصَارَ إِلَى لُقْيَاهَا، كَانَ يَتَلَهَّفُ إِلَى الْاجْتِمَاعِ بِهَا وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً
قَبْلَ رَحِيلِهِ.

وَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ كَاشَفَ الْأَمِيرَةُ بِتَسِيِ بَرَعَتِيهِ، فَلَمْ تُكْذِبِ الْمَرْأَةَ خَبِيرًا، فَسَارَعَتْ إِلَى
أَنَّا تُطْلِعُهَا عَلَى مَا يَطْمَعُ فِيهِ فَرُونسْكِ. فَلَمَّا تَمَنَّعَتْ أَنَا وَصَنْتُ عَلَى حَبِيبِهَا بِسَاعَةِ وَاحِدَةٍ
يَشْفِي بِهَا عَلِيلَهُ، وَعَلِمَ فَرُونسْكِ بِمَا كَانَ، قَالَ لِلْأَمِيرَةِ وَهُوَ يُظْهِرُ الصَّبْرَ وَالتَّجَلُّدَ وَعَدَمَ
الْإِكْتِرَاطِ: «عَسَى أَنْ يَكُونَ فِي هَذَا كُلِّ الْخَيْرِ لِي وَلَهَا، فَمَنْ يَعْلَمُ؟ قَدْ تَخَوَّنِي عَزِيمَتِي لَوْ
اجْتَمَعَتْ إِلَيْهَا».

وَجَاءَتْهُ الْأَمِيرَةُ بِتَسِيِ بَعْدَ يَوْمٍ لَتَرَفَّ إِلَيْهِ بُشْرَى مَا عَزَمَ عَلَيْهِ كَارْنِينُ مِنْ طَلَاقِ زَوْجَتِيهِ.
وَكَانَ أُوْبِلِنْسْكِ شَقِيقُ أَنَا قَدْ أَطْلَعَهَا عَلَى فَحْوَى حَدِيثِهِ مَعَ كَارْنِينِ.

فَنَهَضَ فَرُونسْكِ وَتَوَجَّهَ لِسَاعَتِهِ إِلَى بَيْتِ مَحْبُوبَتِهِ وَهُوَ لَا يَكَادُ يَطَأُ الْأَرْضَ تَيْهَا وَعُجْبًا.
وَلَمَّا دَخَلَ مَخْدَعَ أَنَا، أَلْفَاها تَنْتَظِرُ مَقْدَمَهُ عَلَى أَحَرَّ مِنَ الْجَمْرِ، فَانْطَرَحَ قَرِيبًا مِنْهَا،
وَجَعَلَ يَلْتِمُ نَعْرَهَا وَوَجْتِيَّتِهَا، ثُمَّ أَطْبَقَ عَلَى يَدَيْهَا يُقْبَلُهُمَا وَيَضَعُطُهُمَا إِلَى وَجْهِهِ.

وَمَا عَتَمَتْ أَنَا أَنْ قَالَتْ: «أَنَا الْآنَ لَكَ يَا حَبِيبِي، أَنَا لَكَ إِلَى الْأَبَدِ، فَاصْنَعْ بِي مَا
تَشَاءُ».

فَأَجَابَ بِصَوْتٍ يَنْضَحُ حُبْرًا: «أَفِي حُلْمٍ أَنَا؟ هَلْ أَصْبَحْتُ لِي أَنَا مِنْ دُونِ مُنَازَعِ؟»
قَالَتْ: «هُوَ ذَاكَ، إِلَّا أَنِّي سَأَفْعَلُ مَا أُرِيدُ مِنْ دُونِ أَنْ أَنْتَظِرَ مِنْهُ بَادِرَةً مِنْ إِحْسَانِ،
سَأَفْعَلُ مَا يَحِلُّ لِي، وَلِيَكُنْ رَدُّ الْفِعْلِ مَا يَكُونُ... فَإِنْ طَلَّقَنِي خَيْرًا يَفْعَلُ، وَإِنْ أَبِي غَادَرْتُهُ.»

لا يَشْغَلُ بالي الآنَ إِلَّا مَصِيرُ ابْنِي».

ولم يُدْرِكْ فرونسكي كَيْفَ أَنْ فَرَحَتْهَا بِاللِقَاءِ لَمْ تُغْنِ عَنِ انشغالِ بالها بابنِها ومَصيرِهِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ الْأَهْلَ وَالْإِخْوَانَ عِنْدَ النَّوَابِغِ، وَأَنَّ الْوَلَدَ عِنْدَمَا يَدْلَهُمُ الْجَوُّ، وَتُظْلِمُ الدُّنْيَا فِي نَظَرِ الْأُمِّ.

وَوَجَدَ أَحْيَرًا فِي نَفْسِهِ مَا يَقُولُ، فَخاطَبَهَا بِصَوْتِ حَنُونٍ: «لا تُرْجِعِي نَفْسِكَ الْآنَ يَا أَنَا، فَقَدْ رَكِبْنَا الْأَهْوَالَ فِي حُبِّنا وَتَجَشَّمْنَا الْأَخْطَارَ، وَلَا يَضَعُبُ عَلَيْنَا بَعْدَ الَّذِي قاسَيْنَاهُ إِيجَادُ الْحَلِّ الْمَلَائِمِ. أَمَا الْآنَ فَفَكَّرِي فِي سَعَادَتِنَا، فَكَّرِي فِي هَنَاتِنَا، وَاغْلَمِي أَنِّي لَا أَرَى فِي الدُّنْيَا شَيْئًا كَالرَّضَى. فَارْضِي وَاسْتَبْشِرِي».

فَأجابَتْ وَهِيَ تُعَانِقُهُ: «إِنَّ حُسْنَ الثَّقَةِ بِكَ يُؤْنِسُنِي يَا فرونسكي، وَها أَنذا أَرْضَى بما صارَ إِلَيْهِ أَمْرِي، وَسَأَنْتَقِلُ مِنْ بَيْتِهِ مَهْمَا كَلَّفَنِي الْأَمْرُ...».

وَصَمَّتْ بَعْنَةً، ثُمَّ هَتَفَتْ بِصَوْتِ الْمُتَذَكِّرِ الْمُتَأَلِّمِ: «لَيْتَنِي مَتْ! لَيْتَنِي مَتْ!»

قَالَ: «حَنانِيكَ يا أَنَا! لِمَ كُلُّ هَذَا التَّقَلُّبِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ؟ لِمَ تُسَلِّمِينَ نَفْسَكَ إِلَى الْمَوْتِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ تَدْعُوكِ إِلَى ذَلِكَ؟»

قَالَتْ: «لَقَدْ فَقَدْتُ الصَّوَابَ يا حَبِيبِي، وَلَمْ أَعُدْ أَدْرِي فِي أَيِّ وَقْتٍ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَصْمُتَ. لَمْ أَعُدْ أَدْرِي مَتَى يَخْلُقُ بِي أَنْ أَحْزَنَ، وَمَتَى يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَجْذَلَ! إِنَّنِي مَجْنُونَةٌ... مَجْنُونَةٌ...». وَهَمَّتْ^(١) الدَّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهَا، وَضَمَّهَا فرونسكي إِلَى صَدْرِهِ، وَقَبَّلَهَا مِرارًا.

رَجَعَ فرونسكي إِلَى مَنْزِلِهِ، فَكَتَبَ يَرْفُضُ الْمَنْصِبَ الْجَدِيدَ، وَلَمْ يَأْبَهُ لِمَا يُسَبِّهُ رَفْضُهُ مِنْ أَضْرَارٍ، وَكَانَ هُمُّهُ نَيْلَ مُبْتَغَاهُ.

وَغادَرَتْ أَنَا بَيْتَهَا...

هَجَرَتْ زَوْجَهَا...

(١) هَمَّتِ الدَّمُوعُ: انْسَكَبَتْ.

هَجَرَتْ ابْنَهَا . . .

هَجَرَتْ سَعَادَتَهَا . . .

وَسَعَادَةُ الْإِنْسَانِ هُدُوٌّ وَاسْتِثْبَابٌ .

وَوَضَعَتْ مَعَهُ إِلَى أوروپَا، وَأَقَامَ الْإِثْنَانِ فِي إِيطَالِيَا، وَلَمْ يُطَلِّقْهَا زَوْجُهَا .

فَقَدْ رَفَضَتْ هِيَ الطَّلَاقَ حَتَّى لَا تَشْعُرَ بِأَنَّهَا مَدِينَةٌ لَهُ!

* * *

وَنَظَرَ الزَّوْجُ (أَلِكْسِيْسُ كَارْنِيْن) فِي مَا حَوْلَهُ، وَالْأُمُّ مَصِيرُهُ وَمَصِيرُ ابْنِهِ، أَلْمَةُ مَصِيرِ الْمَرْأَةِ
الَّتِي أَحَبَّ، لِكِنَّهُ نَاجَى نَفْسَهُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ عَلِمَ بِرَحِيلِ أَنَا بِقَوْلِهِ: «تَبَّ لِي مِنْ أُمَّة!»

لَقَدْ التَّمَسْتُ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ،

وَحَاوَلْتُ مُعَالَجَةَ مَا لَا يُعَالَجُ،

وَسَعَيْتُ إِلَى رَأْبِ صَدْعٍ مِنْ زُجَاجٍ،

فَكُنْتُ:

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَوْهِنَهَا

فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْزَنُ الْوَعْلُ» .

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَعِ لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - أترى أَنَّ الانتحارَ سَبِيلٌ إلى الخِلاصِ من المَشاكِلِ؟ ولماذا؟
- ٣ - الانتحارُ جَرِيمةٌ يُعاقَبُ عليها، وَنَقِيصَةٌ تَصِمُ شَخْصِيَّةَ المُنتَحِرِ؛ لذا حاولَ فرونسكي التَّهَرُّبَ من نُهْمَةِ مُحاولَةِ الانتحارِ . فكَيْفَ حاولَ التَّهَرُّبُ؟
- ٤ - ما زالتِ الأَميرَةُ بتسي تلعبُ دورًا في إِذكاءِ الخِلافِ بينَ الرُّوَجينِ . دُلَّ على هذا الدَّورِ في مَوْضِعِهِ مِنَ الفصلِ .
- ٥ - ما الخَبْرُ السَّارُّ الَّذِي زَفَّتُهُ الأَميرَةُ بتسي إلى الكونتِ فرونسكي؟
- ٦ - هَجَرَتْ أَنَا طفلَها وزوجَها لتعيشَ مَعَ عشيقِها . ماذا تقولُ في امرَأةٍ كهذه؟ عِلِّقْ قولَكَ بمواقِفَ من الفصلِ .
- ٧ - كَيْفَ تَبْدو لَكَ أَنَا في هذا الفصلِ؟ أهَي سعيدهُ أم حزينَةُ؟ أهَي هادِئَةُ أم قَلِقَةٌ؟ عِلِّقْ حالتَها النَّفْسِيَّةَ .
- ٨ - ما الحالُ التي آلَ إليها أَلِكْسيس كارنين في هذا الفصلِ؟ وهل يُحسدُ عليها؟
- ٩ - اربطْ، في أسطرٍ قليلةٍ، بينَ أحداثِ القِسمِ الثَّالثِ مِنَ الرِّوايةِ .

القسم الرابع

الفصل الأول

هكذا افترقت أنا عن زوجها، وذهبت مع فرونسكي إلى أوروبا. وانتهى بهما المطاف في إيطاليا حيث صرنا شهرًا ثلاثة زارا خلالها المدين الإيطالية الشهيرة روما، وناپولي، والبندقية، وغيرها.

ولم يلبثا أن اتخذا لهما مسكنًا في مدينة صغيرة هادئة وعاشا في نعيم من الحياة. كان نهارهما يبدأ بالسعادة وينتهي بالهناء. كان نهارهما تشرق في سمائه شمس الاتفاق والصفاء والمحبة.

وما ذكرت أنا في الأيام الأولى شيئًا عن كارنين أو عن ابنها سيرج. كانت تخشى الذكريات، كانت تخافها ولا تود أن تفكر فيها. ثم أن السعادة التي قطفت ثمراتها البانعة كانت عميمة، فاضت حتى غمرت قلبها وإحساسها وعاطفتها.

كان الماضي في رأيها حُلْمًا مُفزعًا وضاعوطًا^(١) ثقيلًا يضيق عليها أنفاسها. كان كارنين مخيفًا، وكان مرضها مُرعبًا، وكانت توبئها الموقته رهيبه أيضًا. كان كل شيء كالحلم، وكانت الذكريات أضغاث أحلام، وقد استيقظت الآن فألقت نفسها تعيش في كنف فرونسكي، وتنعّم معه بالحب والوجد والصبابة.

واغترفت في ما بينها وبين نفسها ذات يوم أنها مصدر شقاء لزوجها، لكنّها هزت منكيها وقالت: «وما نفع التندّم؟ ألسنت مصيبة في فراري منه؟ ألم أوفر عليه ضعف ما هو فيه الآن من أسي؟»

وناجت عقلها في يوم آخر بقولها: «ومع أنه فقد الكثير، تبقى خسارتي أجسم وأعظم. لقد خسرت ولدي، ثم خسرت شرفي وكرامتي!»

(١) الضاعوط: الكابوس.

وَاسْتَعَاذَتْ بِحُبِّ ابْنَتِهَا مِنْ فِرْوَيسِكِيِّ عَنْ حُبِّهَا لِسِرِّجٍ، فَتَعَلَّقَتْ بِالطُّفْلِ تَعَلُّقًا أَشْبَهَ
بِالْعِبَادَةِ، وَكَانَتْ تَلُوذُ بِهَذَا الْحُبِّ كُلَّمَا أَثْقَلَ عَلَى رَأْسِهَا فِكْرَ مُمِضٍ أَسْوَدَ.

وَكَانَ الْمَرَضُ الَّذِي أَوْشَكَ أَنْ يَقْضِيَهَا عَلَيْهَا سَبَبًا فِي تَشْبِيْهِهَا بِالْحَيَاةِ، فَأَصْبَحَتْ تُحِبُّ
الْحَيَاةَ وَتَرَى الْجَانِبَ الزَّاهِيَّ مِنْهَا، وَأَصْبَحَتْ تَتَعَلَّبُ عَلَى يَأْسِهَا بِصَرْفِ فِكْرِهَا عَمَّا يُدْخِلُ
الْيَأْسَ فِي قَلْبِهَا. ثُمَّ إِنَّ انْفِرَادَهَا بِخَلِيلِهَا حَبَّبَ إِلَيْهَا الْحَيَاةَ، فَهُوَ نَسِجٌ وَخِدِي، رَجُلٌ قَرِيبٌ
إِلَى الْقَلْبِ، لَطِيفٌ، ظَرِيفٌ، إِنْسَانٌ.

كَانَتْ تَرْنُو إِلَيْهِ، وَتَعْجَبُ لِقَدِّهِ الْمَمْشُوقِ، وَبُنْيَتِهِ الْقَوِيَّةِ، وَنَظَرْتِهِ الْوَائِقَةَ النَّافِذَةَ.

وَقَدْ تَبَدَّلَ إِحْسَاسُهَا شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى أَضْحَتْ عِبَادَتُهَا لَهُ مَصْدَرًا شُعُورٍ بِالنَّقْصِ وَعَدَمِ
الْمُسَاوَةِ. فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى فِي رَوَائِهِ وَبَهَائِهِ، مَعَ أَنَّهَا مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ.

وَلَكِنَّهَا حَرَصَتْ عَلَى أَلَّا يَنْطَنَ إِلَى إِحْسَاسِهَا الْجَدِيدِ هَذَا، لِأَنَّهُ إِنْ فَعَلَ زَالَ حُبُّهَا لَهَا،
فَحُبُّ الرَّجُلِ يَنْقَلِبُ إِلَى أَنْقَاضٍ مَتَى اطْمَأَنَّ إِلَى حُبِّ الْمَرْأَةِ. وَمَا لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ شَكٌّ
وَهَاجِسٌ مِنْ رَبِيَّةٍ فَلَنْ يُدْكِي نَارَ حُبِّهِ شَيْءٌ آخَرَ!

فَهَلْ كَانَ فِرْوَيسِكِيِّ سَعِيدًا هُوَ الْآخَرُ؟ هَلْ جَلَبَ إِلَيْهِ قُرْبُهُ مِنْ حَبِيْبَةِ قَلْبِهِ مَا يَشْتَهِي مِنْ
رَاحَةٍ وَهَنَاءٍ؟

لَا، لَقَدْ كَانَ يُفَكِّرُ دَائِمًا فِي آلامِهِ، فِي أَسْقَامِهِ. كَانَ يُفَكِّرُ فِي عِزَّةِ نَفْسِهِ الْمَهْدُورَةِ،
وَمُسْتَقْبَلِهِ الْمُحْطَمِّ. وَكَانَ يُقَارِنُ بَيْنَ مَا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ وَمَا تَخَلَّى عَنْهُ، فَيَرْتَاغُ وَيَلْتَاغُ، وَلَكِنَّهُ
يَكْتُمُ مَا اعْتَلَجَ فِي صَدْرِهِ، وَيُسَدِّلُ سِتَارًا كَثِيفًا عَلَى مَا اخْتَمَرَ فِي فُؤَادِهِ.

وَأَيَقَنَ، وَهُوَ يُقَلِّبُ الْفِكْرَ فِي إِحْدَى خَلَوَاتِهِ، أَنَّ الْإِنْسَانَ يُخْطِئُ حِينَ يَتَرَاءَى لَهُ أَنَّ فِي
تَحْقِيقِ الْمُنَى سَعَادَةَ الرَّجُلِ أَوْ الْمَرْأَةِ. فَتَمَّةٌ أُمُورٌ أُخْرَى لَا يَتِمُّ هُنَاكَ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِهَا، تَمَّةٌ
أُمُورٌ عَمِيقَةٌ الْأَغْوَارِ فِي قَرَارَةِ هَذَا الْإِنْسَانِ، لَا يَهْتَدِي إِلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ تَأَمُّلٍ وَتَفَكُّرٍ، وَمُقَارَنَةِ
وَمُقَابَلَةِ.

فَهُوَ مَثَلًا قَدْ سُرَّ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ لِقَضْمِ عِلَاقَتِهِ بِالْجَنِّسِ، لَكِنَّهُ مَا كَادَ يَتَبَعَدُ عَنْهُ حَتَّى أَحْسَرَ
بِفِرَاغِ فِي حَيَاتِهِ لَا سَبِيلَ إِلَى مَلْتِهِ.

وهو قد اغتبط لرفضه المنصب الجديد، بيد أنه نظر في ما بعد، فرأى المعاني تذب
شيئا فشيئا من أفتي حياته.

وهو قد جدل ساعة خيل إليه أن الراحة من العمل قد تهيأت له؛ لكن تقاعده عن كل
نشاط انقلب في ربح وجزير إلى عذاب منقطع النظير، وحيرة لا مثيل لها.
وجعل يقرأ، وجعل يتبع أخبار السياسة، وجعل يرسم...

ورسم صورة للحاضنة الصبية التي جلبتها أنا لرعاية الطفلة، وكانت الفتاة مليحة على
جانب كبير من القسامة^(١). فحرك الغيرة في قلب أنا انهماك فرونسكي في رسم صورتها.
وكانت غيرتها سحابة في سماء سعادتها، وكانت سحابة ما عتمت أن اتسعت وكبرت
وتضخمت، وجعلت تمتد زويدا زويدا وتكاثف وتكفهر.

وأصبح ديدنه^(٢) في تلك الأشهر تقلبا وتبدلا وقلقا داخليا؛ وسرعان ما سيم ما أخذ به
نفسه من الرسم والتصوير، كما صجر عندما دأب على القراءة، وعندما استرسل في متابعة
أخبار السياسة.

وانتهى به الأمر إلى شعوره بالملل الشديد من حياته في هذه المدينة الإيطالية. ولما
أفضى لآنا بما خامر صدره، شاطرته هي شعوره بالملل، واتفق الاثنان على الرجوع إلى
بطرسبرج.

تقلب كارنين في أخضان الحيرة ساعة تأكد له ما شاهده وسمعه، وعرف أن
المطلوب منه أن يطلق سراح زوجته ويعطيها كامل حريتها.

استولت عليه الحيرة، واستحوذ القلق على مشاعره، فلهفت نفسه، وطاش حلمه،
وجمدت حركته، فلم يفعل شيئا، بل قنع بما تكفل به الدهر، وأسلم زمام أمره إلى الأيام
لتضع ما تشاء.

لقد مضت أنا في سبيلها، غادرته مع خليلها؛ ذهبت بعيدا، فلم يبتس. فقد تجمدت

(١) القسامة: الجمال.

(٢) ديدنه: عادته.

إحساسه، وتوقف ذهنه عن الحركة.

ولكنه عاد إلى طبيعته، وإلى حياته، وإلى أفكاره القائمة السوداء عندما استوضحت المربية عما يجب أن يرتدي سيرج من الملابس، وعما يستحسن أن يأكل ويشرب. لقد تعقد الموقف، وتراكت المحن على رأسه فأخنى هامته، وأخنى كاهله، وتلبت يتنظر مستسلما للضربات التالية.

وما أكثر ما استغرق في الفكر بعد أن عاد إليه رُشده! وما أكثر ما عجب من شذوذه! فكيف يؤول صفحه ونقمته؟ كيف يؤول شفقتة وقسوته؟ ثم كيف يفسر حبه الشديد لابنه زوجته النغلة؟

ألا يتهكم عليه الناس؟ ألا يتحرقونه؟

وبدل كارنين جهد الجابرة لكي يظهر أمام الجميع بمظهر اللامبالاة. ففي البيت كان يتصرف أمام الخدم بهدوء وثقة كأن شيئاً لم يحدث. وفي مكتب الوزارة، كان هذا الوزير الخطير يدبر أمور وزارته بجد ودقة، ويتنسم أمام مرؤوسيه، ولا يظهر من قلبه الدفين ما ينم عن ألم وشقاء.

غير أن النفس البشرية لا تتحمل أكثر من طاقتها، وكارنين إنسان كغيره من الناس، له في نفسه نواح قوية ونواح ضعيفة.

وقد صبر وصابر، وتجلد واحتمل، وكافح النائية، إلا أن الشراة قويت ثم اشتعلت فامتدت إلى مشاعره وأحاسيسه.

كارنين القوي الإرادة، الوزير القدير، تحمّل المصيبة، غير أن صانع ثياب جاء مرة إلى بيته يطالب بأثمان ملابس زوجته فحطم مجيئه مقاومة كارنين، فانهار الرجل، وتلاشت قوة الإنسان فيه، واستحوذ الضعف عليه.

وامتنع عن الجميع، فلم يعد يقابل أحداً، وود من وراء ذلك أن يتفادى ما خيل إليه أنه يراه متجسماً في عيون الناظرين إليه من نظرات الاحتقار والاستهجان.

كان شهيراً يحترمه الناس بقدر ما يخافونه ويقدر ما يحسدونه. لكنه طفق يرى أن خوف

النَّاسِ مِنْهُ انْقَلَبَ إِلَى شِمَاتِهِ، وَحَسَدَهُمْ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى سُخْرِيَةٍ. وَأَيَّقَنَ أَنَّ مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَعْرِفُهُ إِلَّا وَسَيَسْلُقُهُ بِلِسَانٍ حَادٍّ وَأَنَّهُ لَنْ يُشْفِقَ عَلَيْهِ وَلَنْ يَرْحَمَهُ... وَالْإِنْسَانُ كَالْحَيَوَانِ مَتَى رَأَى إِنْسَانًا آخَرَ مَكْسُورَ الْقَلْبِ مَهِيضَ الْجَنَاحِ، عَمِلَ عَلَى تَحْطِيمِهِ وَإِهْلَاكِهِ.

وَجَاشَ الْأَلَمُ فِي صَدْرِهِ، وَزَادَ الطَّيْنَ بِلَّةً مَا رَأَهُ وَلَمَسَهُ مِنْ وَخْدَتِهِ. وَالْوَحْدَةُ قَاسِيَةٌ مَرِيرَةٌ مَتَى تَكَاثَرَتْ غُمُومُ الْإِنْسَانِ، وَمَتَى تَفَاقَمَتِ آلامُهُ وَأَسْقَامُهُ.

وَالرَّجُلُ هَذَا عَاشَ عُمُرَهُ نَافِرًا بِطَبْعِهِ، مُتَرَفِّعًا بِسَلِيْقَتِهِ، يَبْتَعِدُ قَدْرَ طَاقَتِهِ عَنِ الْمُجْتَمَعَاتِ؛ وَإِنْ اِمْتَرَجَ بِهَا أَحْيَانًا فَلِمَصْلَحَتِهِ وَلِرِفْعَتِهِ فَحَسَبُ.

وَتَزَوَّجَ هَذَا الرَّجُلُ امْرَأَةً حَسَنَاءَ جَمِيلَةً فَأَحَبَّهَا وَشُغِفَ بِهَا. وَكَانَ حُبُّهُ لِأَنَّا شَامِلًا مَشَاعِرَهُ وَأَحَاسِيْسَهُ كُلَّهَا، حَتَّى انْتَهَى بِهِ الْأَمْرُ أَخِيرًا إِلَى النَّظَرِ إِلَيْهَا كَامْرَأَةٍ، وَكصَدِيقَةٍ، وَكْمُسَاعِدَةٍ، وَكَأَبٍ وَأُمٍّ وَأَخٍ وَأُخْتٍ.

لَقَدْ أَضْحَتْ لَهُ أَنَا كُلَّ شَيْءٍ، كُلَّ شَيْءٍ لَهُ قِيَمَةٌ وَقَدْرٌ.

فَلَمَّا تَكشَّفَتِ الْحَقِيقَةُ عَن ظُلْمَتِهَا الدَّامِسَةِ، تَلَفَّتِ الرَّجُلُ فِي مَا حَوْلَهُ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا.

وَتَلَفَّتْ ثَانِيَةً حَوْلَهُ فَمَا وَجَدَ الصَّدِيقَ الَّذِي يَأْتِمِنُهُ عَلَى سِرِّهِ، وَيُشْرِكُهُ فِي هَمِّهِ.

وَانطَوَى عَلَى نَفْسِهِ، يَبِينُ وَيَزْفِرُ، وَكَأَنَّ قَلْبَهُ يَرْزُخُ تَحْتَ ثِقَلٍ مِنْ مَضَضِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ.

أَسْئَلَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ

- ١ - ضَعُ لِهَذَا الْفَصْلِ عُنْوَانًا مَنَاسِبًا .
- ٢ - اعْتَرَفْتُ أَنَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَفْسِهَا بِأَنَّهَا خَسِرَتْ وَلَدَهَا وَشَرَفَهَا وَكْرَامَتَهَا . ثَرَى ، لِمَ فَعَلْتَ إِذَا مَا سَبَبَ لَهَا هَذِهِ الْخَسَارَةَ الَّتِي لَا تُعَوِّضُ؟ وَهَلْ يَكْفِي الْمَرْأَةَ أَنْ تَهْوَى غَيْرَ زَوْجِهَا كَيْ تَفْعَلَ ذَلِكَ؟ عَلِّلْ مَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ .
- ٣ - هَلْ شَعَرْتَ أَنَا إِزَاءَ فَرُونْسْكِ بِالنَّقْصِ وَعَدَمِ الْمَسَاوَاةِ؟ وَمَاذَا سَبَبَ لَهَا ذَلِكَ؟
- ٤ - هَلْ بَدَأَ لَكَ فَرُونْسْكِ ، فِي هَذَا الْفَصْلِ ، نَادِمًا عَلَى أَمْرٍ مَا؟ وَمَا هُوَ؟
- ٥ - أَلَا تَرَى أَنَّ الْكَاتِبَ كَانَ يَصُورُ ، فِي سِيَاقِ رِوَايَتِهِ ، تَفَكُّكَ الْأُسْرَةَ الرُّوسِيَّةَ فِي مَجْتَمَعِ النُّبْلَاءِ ، وَالْمَدَى الَّذِي أَوْصَلَتْ هُوَلاءِ إِلَيْهِ حَيَاةَ التَّبَدُّلِ وَالِاسْتِهْتَارِ وَتَعَلُّقُهُمْ بِسَفَاسِيفِ الْعَيْشِ؟ عَلِّلْ رَأْيَكَ .
- ٦ - يَقُولُ الْكَاتِبُ بِلِسَانِ كَارْنِينِ «الْإِنْسَانُ كَالْحَيَوَانَ مَتَى رَأَى إِنْسَانًا آخَرَ مَكْسُورَ الْقَلْبِ مَهْيُضَ الْجَنَاحِ عَمِلَ عَلَى تَحْطِيمِهِ وَإِهْلَاكِهِ» . أَأَنْتَ مَعَهُ فِي هَذَا الْحُكْمِ؟ عَلِّلْ إِجَابَتَكَ بِمَا تُشَاهِدُهُ حَوْلَكَ مِنْ حَيَاةِ النَّاسِ .
- ٧ - أَوْجِزْ مَضمونَ الْفَصْلِ فِي أَسْطُرٍ قَلِيلَةٍ .

الفصل الثاني

وَمَعَ أَنَّ كَارِنِينَ أَمَرَ الخَدَمَ أَلَّا يُدْخِلُوا أَحَدًا بَيْتَهُ، فَإِنَّ الكُونْتِس لِيديا إيفانوفنا صَرَبَتْ غُرْضَ الحَائِطِ بِاِحْتِجَاجَاتِ الخَدَمِ وَهَرَعَتْ إِلَيْهِ فِي حُجْرَتِهِ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ الَّذِي كَانَ يَتَخَبَّطُ فِي أَفْكَارِهِ وَيَتَصَوَّرُ مِنْ آلامِهِ.

وَلَمَّا رَفَعَ إِلَيْهَا رَأْسَهُ وَنَظَرَ مُغْضَبًا صَاحَتْ بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ: «عَلَامَ كُلِّ هَذَا الإِحْتِجَابِ؟ أَوَأَنْتِ الرَّجُلُ الوَحِيدُ الَّذِي يُصَابُ بِالكَارِثَةِ؟»

فَأَجَابَهَا بِجَفَاءٍ: «إِنِّي لَسْتُ مُحْتَجِبًا عَنِ أَحَدٍ بَلْ أُرِيدُ الخَلْوَةَ اسْتِشْفَاءً مِنْ وَعَكَةِ طَارِئَةٍ!» فَهَزَّتِ المَرْأَةُ رَأْسَهَا، وَتَمَتَّتْ بِصَوْتٍ مَهْمُوسٍ: «يَا لَكَ مِنْ رَجُلٍ مَعْبُونٍ! كَانَ الأَوْلَى بِهَا أَنْ تَرعى مَرَكَزَكَ وَمَكَانَتَكَ وَإِنْسَانِيَّتَكَ.»

وَخَالَسَهَا كَارِنِينُ النَّظَرَ فَرَأَى فِي وَجْهِهَا تَقَلُّصًا، وَفِي أَمَاثِرِهَا انْطِيعَاتٍ حُزْنٍ وَانْفِعَالٍ، فَأَيَقَنَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ فِي شُعُورِهَا نَحْوَهُ وَأَنَّهَا تَكَادُ تَسْتَسْلِمُ لِلْبُكَاءِ.

وَاسْتَأْنَفَتِ المَرْأَةُ حَدِيثَهَا قَائِلَةً: «وَيَخْلُقُ بِكَ يَا صَدِيقِي أَنْ تَتَجَمَّلَ بِالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ، فَلَا تُرْخِ العِنَانَ لِأَشْجَانِكَ. لَا أَنْكِرُ أَنَّ رُزْأَكَ بَاهِظٌ لَا يُحْتَمَلُ، عَلَى أَنَّ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ.»

وَلَانَ الرَّجُلُ كَمَا يَلِينُ الشَّيْءُ تَحْتَ صَرَبَاتِ مِطْرَقَةٍ. لِأَنَّ كَارِنِينُ وَهَتَفَ بِصَوْتِ حَزِينٍ: «حَطَّمْتِنِي الكَارِثَةُ يَا عَزِيزَتِي، فَأَمْسَيْتُ شَبَحَ رَجُلٍ! إِنِّي الآنَ أَخَافُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَلْ مِنْ نَفْسِي، فَمَا العَمَلُ؟»

- «سُؤَالَ لَا جَوَابَ لَهُ. اسْتَمِرِّي، تَكَلَّمِي، ففِي الكَلَامِ تَفْرِيجٌ، وَفِيهِ سَلْوَى لِلقَائِطِ المَكْرُوبِ.»

- «تَأَكِّدِي يَا عَزِيزَتِي أَنَّنِي لَا آسَفُ عَلَى شَيْءٍ فَقَدْتُ، لِأَنَّ مَا فَقَدْتُ لَا وُجُودَ لَهُ فِي رَأْيِي وَإِحْسَاسِي! إِلَّا أَنَّ مَا يَكْظُنِّي هُوَ نَظَرَاتُ النَّاسِ وَهَمَسَاتُهُمْ... قَدْ يَكُونُ فِي مَا أَتَخَيَّلُهُ

ظَنُّ لَا صِحَّةَ لَهُ، بَلْ وَهُمْ وَرَجُمَ بِالْغَيْبِ، عَلَى أَنِّي لَا أَمْلِكُ نَفْسِي مِنَ الْإِعْتِقَادِ أَنَّ النَّاسَ لَا يَعْتَوْنَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ قَدَرَ اعْتِنَائِهِمْ بِأَخْبَارِي».

- «على رسلك يا كارنين، إنَّ النَّاسَ فِي شُغْلٍ عَنِ حَوَادِثِ غَيْرِهِمْ، وَثِقَ أَنْ كُلَّ مَنْ سَمِعَ بِقِصَّتِكَ، وَأَحَاطَ بِمَا أَبَدَيْتَهُ مِنْ شَهَامَةٍ وَتَرْفَعٍ وَشَجَاعَةٍ، لَا يَسَعُهُ إِلَّا الثَّنَاءُ عَلَيْكَ وَإِظْهَارُ إِعْجَابِهِ بِكَ وَبِرُجُولَتِكَ».

وَلَوْحَ كَارْنِينُ بِيَدِهِ فِي وَجْهِ الْمَرْأَةِ، كَأَنَّهُ يَأْمُرُهَا بِالسُّكُوتِ، فَلَمَّا قَطَعَتْ حَدِيثَهَا قَالَ مُحْتَدِمًا: «مَا لِي وَلِهَذَا الْكَلَامِ أَيُّهَا الْكُونْتِس، عَلَى أَنِّي أَوَدُّ أَنْ أُطْلِعَكَ عَلَى مَدَى شَقَائِي وَتَعَاسَتِي. وَهَلْ يُمَكِّنُ لِمَخْلُوقٍ أَنْ يَتَحَمَّلَ أَكْثَرَ مِنْ طَاقَتِهِ؟ هَلْ يُمَكِّنُ لَهُ أَنْ يَضْمُدَ تَحْتَ وَطْأَةٍ هَمٍّ ثَقِيلٍ ثِقَلِ الْجِبَالِ؟ أَلَا فَاغْلَمِي أَنَّ آلامِي جَسِيمَةٌ، وَأَنِّي الْآنَ مُلْزَمٌ بِرِعَايَةِ شُؤُونِ بَيْتِي، وَالتَّنَظَّرِ فِي أَعْمَالِ الْخَدَمِ، وَمُرِيَّةِ سِيرِجِ، وَالْمَطْبَخِ، وَالْحَدِيقَةِ، وَالْبُسْتَانِي! وَثَالِثُهُ الْأَثَافِي، أُصَابُ بِهَا مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ، أُصَابُ بِهَا كُلَّمَا رَنَا إِلَيَّ سِيرِجٌ بِنَظْرَةٍ مُسَائِلَةٍ. لَقَدْ لِهَفْتُ نَفْسِي لِمَا قَرَأْتُهُ فِي هَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ الْمُتَسَائِلَتَيْنِ الْمُضْضِرَّعَتَيْنِ الْمُؤَدَّبَتَيْنِ. إِنَّ سِيرِجَ غُلَامٍ رَزِينٍ مُحْتَشِمٍ، وَلَكِنَّهُ رَقِيقٌ مُرْهَفٌ الْجِسِّ مُلْتَهَبٌ الْعَاطِفَةِ، يَتَأَلَّمُ فَيَكْتُمُ، وَيَحْزَنُ فَيَبْكِي فِي الْخَفَاءِ!»

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تَتَأَوُّهُ: «تَرَفَّقْ بِنَفْسِكَ، إِزْحَمْ هَذِهِ النَّفْسَ يَا أَلْكَسِيسَ. لَا تُشْرِفْ فِي يَأْسِكَ فَلَنْ أَصْدِقَاءَ كَثِيرُونَ، وَأَنَا أَوْلَهُمْ، فَانْتَرِعْ مِنْ فِكْرِكَ أُمُورَ الْمَنْزِلِ وَتَدْبِيرَهُ وَاتْرُكِ الْأَمْرَ لِي أَنَا».

قَالَ: «أَجَلْ لَا بُدَّ لِمَنْزِلِي مِنْ امْرَأَةٍ تَقُومُ عَلَى شُؤُونِهِ، فَهَلْ تَفْعَلِينَ ذَلِكَ؟»

قَالَتْ: «حُبًّا وَكِرَامَةً، سَأَكُونُ شَقِيقَتَكَ الْمُخْلِصَةَ».

وَنَهَضَ كَارْنِينُ مِنْ مَكَانِهِ فَصَافَحَهَا وَلَمَسَ جَبِينَهَا بِشَفْتَيْهِ إِعْرَابًا لَهَا عَنْ شُكْرِهِ وَتَقْدِيرِهِ.

سَبَبَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الْعَرِيقَةَ فِي الْحَسَبِ، الْكَرِيمَةَ الْمَحِيدِ، عَلَى مَخَافَةِ اللَّهِ؛ كَانَتْ تَقِيَّةً وَرِعَةً، تُصَلِّي أَنَاءَ النَّهَارِ، وَتَتَهَجَّدُ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ، وَتُفَكِّرُ فِي التَّوْبَةِ وَالِإِبْتِهَالِ كُلَّمَا جَنَحَتْ إِلَى الْمَعْصِيَةِ.

وَكَانَتْ قَدْ تَزَوَّجَتْ ثَرِيًّا شَابًّا، ذَاقَ مِنَ الْحَيَاةِ مَا زَهَّدَهُ بِالْمَرْأَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ الْمُحْتَشِمَةِ.

وَقَدْ رَأَى فِي زَوْجِهِ مَا نَفَّرَهُ مِنْهَا، رَأَى فِيهَا إِخْلَاصًا وَتَدَيُّنًا، فغَادَرَهَا مُغَادِرَةَ الْقَالِي^(١)، وَهَجَرَهَا وَلَمَّا يَنْقُضِ عَلَى زَوَاجِهِمَا أَكْثَرُ مِنْ شَهْرَيْنِ.

وَشُدِّهَتِ الْمَرْأَةُ، وَلَمْ تَعْرِفْ لِهَجْرَانِ زَوْجِهَا لَهَا سَبَبًا. وَتَلَبَّثَتْ تَنْتَظِرُ عَوْدَتَهُ وَالْأَمْلُ يُدَاعِبُ صَدْرَهَا. فَلَمَّا أَخْلَفَ الْفَتَى ظَنِّهَا، طَوَّتْ نَفْسَهَا عَلَى نَفْسِهَا، وَطَمَسَتْ صَوْرَتَهُ الَّتِي حَفَرَهَا الْحُبُّ فِي قَلْبِهَا الْفَتِي، وَاتَّجَهَتْ بِأَبْصَارِهَا إِلَى عَالَمِ آخَرَ، وَطَفِقَتْ تَرعى الْبِرَّ وَتَعْمَلُ مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

وَمَا لَبِثَتْ أَنْ حَصَّتْ إِحْدَى الْمَوْسَسَاتِ الْخَيْرِيَّةِ بِنَشَاطِهَا وَخِدْمَاتِهَا، وَجَعَلَتْ تُلْمُ بِالْيُبُوتَاتِ الْكَبِيرَةِ تَنْفِيذًا لِأَهْدَافِهَا الْخَيْرِيَّةِ. وَكَانَ ذَلِكَ نَذِيرًا بِتَحَوُّلِ خَطِيرٍ فِي حَيَاتِهَا وَفِي طِبَاعِهَا، فَقَدَ عَلِقَتْ بِالْعَائِلَاتِ النَّبِيلَةِ، وَكَلَفَتْ نَفْسَهَا بِالِإِخْتِلَاطِ بِأَفْرَادِ هَذِهِ الْأَسْرِ، وَأَصْبَحَ الْمَرْءُ يَجِدُهَا فِي كُلِّ حِينٍ فِي بَيْتٍ مِنْ هَذِهِ الْبُيُوتِ، أَوْ فِي نَادٍ يَضُمُّ التُّخْبَةَ وَالصَّفْوَةَ وَالْخِلَاصَةَ!

وَكَانَ كَارِنِينَ أَكْثَرَ مَنْ حَوَّمَتْ حَوْلَهُ الْمَرْأَةُ الْمُخْفِقَةُ فِي زَوَاجِهَا؛ وَلَا عَجَبَ، فَكَارِنِينَ وَزَيْرٌ خَطِيرٌ يَمْنَى كُلُّ إِنْسَانٍ أَنْ يَحْظِيَ بِقُرْبِهِ، وَيَفُوزَ بِنَظَرَةٍ مِنْ عَيْنِيهِ.

وَقَدْ أَحَبَّتْهُ أَيْضًا لِتَمَسُّكِهِ بِحَبْلِ التَّقْوَى، وَابْتِعَادِهِ عَنِ عِبَثِ أُنْبَاءِ الطَّبَقَةِ الْمُتْرَفَةِ، وَبِالنَّالِي لِصُدُوفِهِ عَنِ التَّبَدُّلِ وَالِاسْتِهْتَارِ. فَلَمَّا أُصِيبَ بِمَا أَدْمَى قَلْبَهُ وَحَطَّمَ شُعُورَهُ، رَجَحَتْ فِي قَرَارِهَا كِفَّةَ الشُّرُورِ عَلَى كِفَّةِ الْإِشْفَاقِ، فَهِيَ تَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ تُوثِقَ الْأَوَاصِرَ، وَتُوشِّجَ الْعُرَى. وَقَدْ فَعَلَتْ ذَلِكَ وَنَجَحَتْ فِي مَا أَقْدَمَتْ عَلَيْهِ كَمَا رَأَيْنَا.

وَتَنَاهَى إِلَيْهَا بَعْدَ حِينٍ خَبْرُ أُوْبِيَةِ أَنَا وَعَشِيْقِيهَا إِلَى بَطْرَسْبِرْجِ، فَطَارَتْ نَفْسُهَا شِعَاعًا^(٢)، وَخَافَتْ أَنْ يَكُونَ رُجُوعُهُمَا إِذَا نَا بَابْتِعَادِهَا عَنِ الرَّجُلِ الْحَزِينِ أَلِكْسِيسِ كَارِنِينَ.

لِهَذَا عَزَمَتْ عَزْمًا أَكِيدًا أَنْ لَا تَأْلُوَ جُهْدًا فِي الْحُورُولِ بَيْنَ كَارِنِينَ وَامْرَأَتِي الَّتِي دَاسَتْ عَلَى شَرْفِيهِ، وَطَعَنْتْ قَلْبَهُ الْكَبِيرَ بِنَضْلِ الْخِيَانَةِ وَالْعَدْرِ.

وَطَفِقَتْ مُنْذُ حَلَا فِي الْمَدِينَةِ تُرَاقِبُهُمَا وَتُحْصِي كُلَّ حَرَكَةِ يَقُومَانِ بِهَا؛ طَفِقَتْ تُسَجِّلُ كُلَّ

(١) الْقَالِي: الْكَارِيَةُ، الْمُبْغِضُ.

(٢) طَارَتْ نَفْسُهَا شِعَاعًا: كِتَابَةٌ عَنِ خَوْفِهَا اشْتَدَّ الْخَوْفُ.

ما تراه وتسمعه من أعمالهما .

ولما دَرَتْ أَنَّهُمَا يُرْمَعَانِ مُغَادِرَةَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَرْعَةِ فَرُونْسِكِي فِي الرَّيْفِ، سَكَنَ خَوْفَهَا،
وَانْفَتَأَ اضْطِرَابُهَا^(١)، وَقَرَّتْ عَيْنُهَا. لَقَدْ احْتَفَظْتُ بِكَارِنِينَ، وَلَا تُرِيدُ شَيْئًا آخَرَ! كَمَا أَنَّ الْحَوَّ
وَالْإِنصَافَ يُمْلِيَانِ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَعْتَرِفَ لَهَا بِأَنَّ قَلَقَهَا كَانَ أَيْضًا بِسَبَبِ إِشْفَاقِهَا عَلَى
الرَّجُلِ مِنْ أَنْ يَزِيدَ وُجُودُ امْرَأَتِهِ الْفَاجِرَةَ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ حَرَجِهِ وَشَقَائِهِ!

وَمَصَّتِ الْأَيَّامُ وَالْكَوْنَتُسُ لِيَدِيَا إِيْفَانُونَا تُدِيرُ شُؤُونَ الْبَيْتِ كَأَحْسَنِ مَا يَتَمَنَّى رَجُلٌ أَعْمَالِ
كَكَارِنِينَ. كَأَنَّكَ تَتَفَانِي فِي خِدْمَتِهِ، وَتَحْرَصُ عَلَى مَرْضَاتِهِ، وَتَتَمَسَّكَ بِكُلِّ مَا تَلَحُّظُهُ يَتَمَسَّكَ
هُوَ بِهِ .

وَلَكِنَّهَا فُوجِحَتْ فِي صَبَاحِ يَوْمِ مَشُومٍ بِكِتَابٍ يَصِلُهَا مِنْ أَنَا كَارِنِينَا، فَلَمَّا فَضَّتْهُ وَقَرَأَتْهُ،
تَوَلَّتْهَا مَوْجَةٌ مِنَ الْخَوْفِ وَالْإِنزِعَاجِ. وَقَدْ جَاءَ فِي الْكِتَابِ:

«عزيرتي الكونتس إيفانوفنا!

لَوْلَا مَا أَلْمَسُهُ فِيكَ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَمَخَافَةِ اللَّهِ، وَالتَّقَانِي فِي خِدْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُعَدَّبَةِ،
لَمَا تَجَاسَرْتُ عَلَى الْإِتِّصَالِ بِكَ .

إِنَّ ابْنِي سِيرَجَ يَعْيشُ فِي كَتَفِ أَبِيهِ كَمَا تَعَلِّمِينَ. وَأَنَا أُمٌّ يَا سَيِّدَتِي، وَفِرَافُهُ حَطَمَ قَلْبِي.
وَأَضَافُ شَقَاءً إِلَى شَقَائِي . . .

وَأَنْتِ امْرَأَةٌ، وَالْمَرَأَةُ تَقْدَّرُ شُعُورَ الْأُمِّ الْمَحْرُومَةِ مِنْ رُؤْيَى ابْنِهَا، لِهَذَا ابْتَهَلُ إِلَيْكَ أَنْ
تَأْذَنِي لِي فِي رُؤْيَيْهِ مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ. وَمِنْ بَعْدُ، سَأَبْتَعِدُ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ، وَعَنِ النَّاسِ
قَاطِبَةً .

كَانَ فِي وُسْعِي لَوْ شِئْتُ، الظَّفَرُ بِأَرْبِي بِاتِّصَالِي بِالْكَسِيسِ، بِيَدِ أَنْي وَدِدْتُ أَنْ أُجَبِّهُ
الْعَذَابَ وَالْآلَامَ، فَاخْتَرْتُكَ أَنْتِ، وَأَمَلِي وَطَيْدُ أَنْ لَا تَرُدِّيَنِي خَائِبَةً، فَتَضْطَرِّبِنِي إِلَى الْإِتِّجَاهِ
إِلَيْهِ مُبَاشَرَةً .

وَالرَّجَاءُ أَنْ تُنِيبِنِي عَنِ الْوَسِيلَةِ الَّتِي أَتَمَكَّنُ بِهَا مِنَ الْإِجْتِمَاعِ إِلَى ابْنِي. أَأَجِيءُ إِلَيْكُمْ،
أَمْ تُرْسِلِينَهُ إِلَيَّ، أَمْ تَرْتَبِينَ مَكَانًا آخَرَ؟

(١) انفتأ اضطرابها: هَذَا اضطرابها .

لا أَتَوَقَّعُ رَفْضَكَ يَا سَيِّدَتِي، وَثَقِي أَنَّ كَارِنِينَ لَنْ يَبْخُلَ عَلَيَّ بِهَذَا الْمُتَمَسِّسِ، فَهَوَ، كَمَا
أَعْهَدُهُ دَوْمًا، كَبِيرُ الْقَلْبِ كَرِيمُ النَّفْسِ.
هَذَا، وَإِنِّي أَنْتَظِرُ رَدَّكَ عَلَيَّ أَحَرَّ مِنَ الْجَمْرِ».

«أَنَا»

تَأَمَّلَتِ الْمَرْأَةُ فِي مَعَانِي الرِّسَالَةِ، وَفَكَّرَتْ مَلِيًّا ثُمَّ انْدَفَعَتْ إِلَى كَارِنِينَ فِي غُرْفَتِهِ. فَلَمَّا
أَبْصَرَ بِهَا قَادِمَةً، وَقَرَأَ فِي صَفْحَةِ وَجْهِهَا مَا أَبْنَاهُ بِخَطْوَرَةِ الْمَسْأَلَةِ، وَجَفَّ قَلْبُهُ، لَكِنَّهُ قَالَ
بصوتِ المُستَسَلِمِ الَّذِي اعتادَ تَلْقَى المَصَائِبِ: «تَكَلَّمِي يَا عَزِيزَتِي، مَاذَا جَاءَ بِكَ؟»
قَالَتْ: «شَرٌّ، قَدْ تَرَاهُ كَبِيرًا، وَقَدْ تَسْتَضِعِرُهُ إِنْ كُنْتُ حَلِيمًا. وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَنِّي لَا أَتَوَخَّي
إِلَّا خَيْرَكَ وَرَاحَتَكَ، كَمَا أَتَمَنَّى دَوْمًا أَنْ أُبْعِدَكَ عَنْ كُلِّ مَا يُذَكِّرُكَ بِمُصِيبَتِكَ، عَلَى أَنْ غَيْرِي
مِنَ النَّاسِ لَا يَنْشُدُ إِلَّا إِزْعَاجَكَ وَإِقْلَاقَكَ».

وصممتِ المرأة، وتأملت في الوجه المقطب ل ترى تأثير كلماتها في صاحبها، ثم
استثلت: «وإني اليوم استلمت رسالة من... من أنا. لقد أتت المدينة، وهي تطلب...».
ولم يدعها كارنين تئيم، بل اختطف الورقة من يدها وهو يرتجف، ولو أنه يمتنع،
وتلاها. ثم نكس طرفه وقال بصوت حزين: «كنت أنتظر كل شيء يا كونتس، كنت أنتظر
هذا».

وران الصنم على الإثنيين. وعاد كارنين فقال: «وليس من حقي أن أردّها، ليس من
الإنسانية في شيء أن أذرها»^(١) عن ابنها!

قالت: «ما أعظم نفسك أيها الصديق! ما أتقى قلبك وأضفى حسك! ألا تجد للشر أثرًا
في القلوب؟ ألا ترى النواحي المظلمة في النفوس؟ سقيا لك، سقيا لك!»

قال: أخطأت... أخطأت... فالشر كامن في كل قلب، وإني أراه وألمسه، غير أنني
لا أقابله بالمثل، بل أشحفه بالتسامح، وعلى هذا فلسفت أرى من العدل في شيء أن...
أن...».

(١) أن أذرها عن ابنها: أن أردّها عنه وأمتعها من رؤيته.

وَتَوَقَّفَ ذَهْنُهُ بَعْتَهُ، وَانْحَبَسَ الْكَلَامُ فِي حَلْفِهِ... وَرَمَقَ مُجِدِّثُهُ بِنَظَرَةٍ اسْتِغَاثِيَّةٍ، قَالَتْ هِيَ عَلَى أَثَرِهَا: «إِنَّ كَلَامَكَ عَجِيبٌ. وَفِي رَأْيِي أَنَّا لَلصَّفْحِ حُدُودًا، وَلِلنَّسْيَانِ مَدَى لَا يُتَجَاوَزُ. لَقَدْ تَهَنَّكَتُ أَنَا وَارْتَمَتْ فِي حَمَاةٍ فَاجِرَةٍ، عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَرَ رَحْمَتَكَ بِقَدْرِ مَا تَعَشَّقَتْ فِي نَفْسِهَا فَسَوَّتَهَا. لَقَدْ قَابَلْتِ الْكَرَمَ بِالْعَدْرِ، وَالرَّحْمَةَ بِالْجَوْرِ. وَهَا هِيَ تَوْمٌ بَطْرَسْبِرَجٍ لَتَذَكَّرَ النَّاسَ بِحُبِّهَا، وَخِيَانَتِهَا. فَلِمَاذَا رَجَعْتَ؟ لِمَاذَا رَجَعْتَ؟ أَلَيْسَ فِي إِبْلَامِكَ؟ أَلَيْسَ فِي إِبْلَامِكَ؟ أَسْقَامِكَ؟»

وَهَزَّ كَارِنِينُ رَأْسَهُ، وَبَادَلَ الْمَرْأَةَ نَظَرَاتِ الْحَيْرَةِ وَالسَّأُولِ، ثُمَّ أَجَابَ: «كَلَامُكَ حِكْمَةٌ وَصَوَابٌ، عَلَى أَنَّي غَفَرْتُ وَعَفَوْتُ، وَلَنْ أَرْجُمَهَا بِالْحَجَرِ الْأَوَّلِ؛ دَعِيَ سِوَايَ يَفْعَلُ هَذَا، وَلَتَأْتِ إِلَى الْبَيْتِ، لَتَأْتِ فَتَجْتَمِعُ بِابْنِهَا».

قَالَتْ: «أُمْتَا كَذَّ أَنْتَ مِنْ إِخْلَاصِهَا لِابْنِهَا؟ أَلْتُحِبُّهُ وَقَدْ كَرِهَتْ أَبَاهُ؟ أَنْتِ رَحِيمٌ، بَيِّدَ أَنْ رَحْمَتَكَ لَا يَجِبُ أَنْ تَعْدَى الْأَصُولَ فَنُؤَذِي وَوَلِيدَكَ. فَمَاذَا يَقُولُ الْعُلَامُ سَاعَةَ يَرَى أُمَّهُ؟ وَمَاذَا يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِهِ الصَّغِيرِ سَاعَةَ يَتَكَلَّمُ مَعَهَا؟ أَلَمْ نُخَيِّرْهُ أَنَّهَا ذَهَبَتْ إِلَى عَالَمٍ آخَرَ؟ أَلَمْ نَقُلْ لَهُ إِنَّهَا قَصَّتْ وَمَاتَتْ؟ أَلَا يُصَلِّي مِنْ أَجْلِ رُوحِهَا وَخَلَاصِ رُوحِهَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ قَبْلَ أَنْ يَلُودَ بِفِرَاشِهِ؟ كَيْفَ؟ كَيْفَ؟!»

قَالَ: «مَا أَضْعَبَ الْأَمْرَ! أَجَلٌ، كَيْفَ؟»

قَالَتْ: «فَعَلَامَ عَوَّلْتَ الْآنَ؟ فَكَّرْ مَلِيًّا».

قَالَ: «لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْدَحَ زِنَادَ الْفِكْرِ، فَرَأْسِي مُتَعَبٌ».

قَالَتْ: «أَرَى أَنْ تَرَدَّهَا، وَتُفْهِمَهَا أَنَّكَ لَا تَرْغَبُ فِي تَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِهَا... فَهِيَ امْرَأَةٌ فَقَدَتِ الْقِيَمَ الْإِنْسَانِيَّةَ، حَتَّى انْهَارَتْ فِي قَرَارَتِهَا، الْمَحَبَّةُ السَّامِيَّةُ... إِبْعَثْ إِلَيْهَا بِمَنْ يُخَيِّرُهَا بِقَرَارِكَ، وَجَنِّبْ نَفْسَكَ، وَجَنِّبْ طِفْلَكَ كُلَّ هَذِهِ الْأَلَامِ وَالْأَحْزَانِ... وَذَرْنِي، وَذَرْنِي أَكْتُبُ إِلَيْهَا!»

قَالَ: «اكْتُبِي... اكْتُبِي...».

وَسَارَعَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى تَسْوِيدِ رُفْعَةٍ صَغِيرَةٍ. فَلَمَّا قَرَأَهَا كَارِنِينُ لَمْ يَعْترِضْ، بَلْ تَجَلَّدَ طَاقَتَهُ، وَأَمَرَ بِإِزْسَالِهَا.

وَأَمْضَى هُوَ سَاعَاتِ ذَلِكَ النَّهَارِ مُنْقَبِضَ الصَّدْرِ، وَالِةَ النَّفْسِ، شَارِدًا سَاهِمًا، لَا يُفَكِّرُ
إِلَّا فِي أَحْزَانِهِ، وَلَا يَرَى فِي دُنْيَاهُ إِلَّا ظُلُمَاتٍ حَالِكَةً تَكْتَنِفُهَا ظُلُمَاتٌ . . .

أَمْضَى سَاعَاتِ ذَلِكَ النَّهَارِ وَالِدُنْيَا تَضِيقُ شَيْئًا فَشَيْئًا فِي نَاطِرِيهِ، وَالْأَمَلُ يَذُوبُ رُوَيْدًا
رُوَيْدًا فِي عَيْنِيهِ، وَالْحَيَاةُ تَتَقَلَّبُ وَكَأَنَّهَا مَوْتُ . . . مَوْتُ . . .

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَعُ لهذا الفصلِ عنوانًا مُناسِبًا .
- ٢ - قالَت ليديا تُخاطِبُ كارنينَ: «إِنَّ النَّاسَ فِي شُغْلٍ عَنِ حَوادِثِ غَيْرِهِمْ». أَتَرَى أَنَّكَ ذَلِكَ، وَأَنَّ مَا يَدْهَبُ إِلَيْهِ مَنْ يَشْعُرُ بِالنَّقِيصَةِ، مِنْ أَنَّ النَّاسَ لَا يَفْتَأُونَ يَلُوكُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ، لَيْسَ سِوَى وَهْمٍ؟ عَلِّلْ إِجابَتَكَ بِما تَراهُ مِنْ حِياةِ النَّاسِ حِوَالِكَ .
- ٣ - فِي شَخْصِيَّةِ الكونْتَس ليديا إيفانوفنا وزوجها حَالَةٌ مَنَاقِضَةٌ لِحَالَةِ أَنَا كارنينا وزوجها . علامَ يَدُلُّ هَذَا فِي مَجْتَمَعِ النَّبَلَاءِ الرُّوسِ؟ عَلِّلْ إِجابَتَكَ .
- ٤ - إِلامَ انْتَهَى زِواجُ الكونْتَس ليديا إيفانوفنا؟ وَمَنْ المَسْؤُولُ عَنِ ذَلِكَ؟
- ٥ - ما مَعْلُومَاتُ الطِّفْلِ سِيرِجِ عَنِ اخْتِفاءِ أُمِّهِ؟
- ٦ - ماذا جِاءَ فِي رِسالَةِ أَنَا؟ وَهَلْ اسْتِجابَ كارنينُ طَلَبَها؟ وَمَنْ كانَ وِراءَ ذَلِكَ؟
- ٧ - قالَ كارنينُ: «لن أَرْجُمَها بِالحِجْرِ الأَوَّلِ»، وَهذِهِ عِبارَةٌ ذاتُ أَصْلِ دِينِي . فَهَلْ تَذَكُرُ شَيْئًا مِنْ هَذَا فِي أَحَدِ الكِتابِ السَّمَاوِيَّةِ؟ أَيْنَ وَرَدَ؟ وَكَيْفَ؟
- ٨ - أَوْجِزْ مَضمونَ الفِصلِ فِي أَسطُرٍ قَلِيلَةٍ .

الفصل الثالث

رَفَضَ كارنينُ رَجَاءَ زَوْجَتِهِ، وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ رَدَّهَا خَائِبَةٌ أَشْبَهُ بِطَعْنِهَا فِي صَمِيمِ قَلْبِهَا. وَالْعَجِيبُ فِي أَمْرِ الرَّجُلِ أَنَّهُ شَعَرَ بِكَثِيرٍ مِنَ النَّدَمِ لِمَا قَامَ بِهِ، وَطَافَتْ فِي مُخَيَّلَتِهِ صُورٌ مِنَ الْمَاضِي، وَرَأَى زَوْجَتَهُ وَرَأَى نَفْسَهُ، وَأَحْصَى أَخْطَاءَهُ وَزَلَّاتِهِ، وَأَخَذَ عَلَى نَفْسِهِ جُمُودَهُ وَشُدُودَهُ، وَاعْتَرَفَ فِي مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذِهِ النَّفْسِ الْخَائِرَةِ^(١) أَنَّهُ حَثَّهَا بِسُلُوكِهِ عَلَى الْإِنْجِرَافِ وَالْوُقُوعِ.

كَمَا تَذَكَّرَ، وَالْأَسَى آخِذٌ مِنْهُ كُلُّ مَا آخِذٌ، تَصَرُّفَاتِهِ الْمُذْهَلَةَ بَعْدَ تَكْشُفِ الْحَقِيقَةِ. وَتَنَدَّى جَبِينُهُ مِنَ الْعَرَقِ، عَرَقِ الْخَجَلِ وَالْحَيَاءِ، الْخَجَلِ مِنْ أَعْمَالٍ نَسَبَهَا الْآنَ إِلَى الطَّيِّبِ، وَالْحَيَاءِ مِنْ تَصَرُّفَاتٍ مَا كَانَ لِيُقَدَّمَ عَلَيْهَا لَوْ تَأَنَّى وَتَرَيَّتْ وَأَعْمَلَ الْفِكْرَ.

وَلَقَدْ جَاءَتْ أَنَا إِلَى بَطْرَسْبِرْجِ وَجَاءَ مَعَهَا فَرُونْسْكِ. جَاءَ بَعْدَ غَيْبَةٍ طَوِيلَةٍ وَحَلَا فِي فُنْدُقٍ عَظِيمٍ، فَاحْتَلَّ فَرُونْسْكِ حُجْرَةً خَاصَّةً بِهِ، وَخَصَّ أَنَا وَطِفْلَتُهُ وَالْمَرْيِيَّةَ بِجَنَاحٍ مُسْتَقِلٍّ. جَاءَ إِلَى بَطْرَسْبِرْجِ لِأَنَّ حَيَاتَهُمَا فِي إِيطَالِيَا بَلَغَتْ فِي قَبْنَةِ أَوْجِ الْهِنَاءِ، وَفِي فِتْرَةٍ أَطْوَلَ عَلِقْتُ تَنَحُّدِرُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا عَلَى سَفْحِ الصُّبْرِ وَالْمَلَلِ، حَتَّى أَوْشَكْتُ أَنْ تَصِلَ إِلَى الدَّرَكِ. وَمَا إِنْ ازْتَاخَ فَرُونْسْكِ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ حَتَّى قَصَدَ مَنْزِلَ شَقِيقِهِ فَأَلْفَى هُنَاكَ وَالِدَتَهُ، وَعَلِمَ أَنَّهَا جَاءَتْ مِنْ مُوسْكَو مُؤَخَّرًا لِقَضَاءِ رَدْحٍ مِنَ الْوَقْتِ وَفَاءً لِوَعْدِ قَطْعَتِهِ عَلَى نَفْسِهَا. وَقَدْ سُرَّتْ أُمُّهُ كَثِيرًا عِنْدَمَا رَأَتْهُ مُقْبِلًا، كَمَا أَنَّ زَوْجَةَ أَحِيهِ فَارِيَا هَتَمَتْ مُرَحَّبَةً لَدَى دُنُوهِ مِنْهَا.

وَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ الْمَرْأَتَانِ تَسْأَلَانِيهِ عَنِ حَالِهِ وَعَنِ أَعْمَالِهِ، وَعَنِ رِحْلَتِهِ إِلَى أُوْرُوبَا وَمَكَثِهِ فِي إِيطَالِيَا، إِلَّا أَنَّهُمَا تَجَنَّبَتَا كُلَّ حَدِيثٍ عَنِّي أَنَا.

(١) النَّفْسُ الْخَائِرَةُ: الثَّقِيلَةُ وَالْمُضْطَرِبَةُ.

ولما خاطبهُ شقيقُهُ لم يزع شعوره، بل فاتحه من دون مواربة بما عرفه الجميع من علاقته
بأنا.

وقطب فرونسكي حاجبيه، ورمق أخاه بنظرة قاسية وأجاب: «لا تُرُع يا أخي، فهني
بمنزلة الزوج، ولن أعتَم أن أفترن بها في القريب العاجل. أما الآن فأنا أطلب إليك أن
تشرح الأمر ليوالديتي ولزوجك».

فقال شقيقُهُ: «على أتي أنهيب الموقف، ولا أود أن أثير الاضطراب في بيتي؛ فوالدتك
تأبى لك ما يضر بك».

فقاطعهُ فرونسكي مُحتمداً: «لا أخفل الناس إذا كُنْتُ واثقاً من صواب عملي. بيد أنني
ان استهنتُ بالناس فلن أرضى لذويي أن يصعروا لي ولها خدودهم. واعلم أنني أحتم عليكم
جميعاً أن تعاملوها معاملةتكم لزوجتي، وإلا فسيتهي ما بيننا بالقطعية والتنائي».

واستمع الأخ الأكبر مبهوتاً إلى كلمات شقيقه، وأثر الصمت، ولعلهُ صمت مكرها حتى
يُقبي على ضحية أخيه، فهو يعطف عليه ويوجهه إلى أقصى حد.

عندما رجع فرونسكي من إيطاليا، كان ينظر بشوق إلى اليوم الذي يستعيد فيه مركزه في
الحكومة ومكانته في المجتمع.

كان فرونسكي بعيد النظر، ذكياً متقفاً يحدس في حديه، ويتكهن فلا يخطئ.
إلا أنه في هذه المرة تنكّب الجادة^(١) في ما أعدّه وفي ما انتظره.

فهو قد اكتشف والأسى يجز في قلبه أن الأبواب التي كانت مفتحة المصاريع قد أغلقت
دونه الآن، وأن المنازل التي كان أصحابها يهشون في وجهه لم تعد ترضى بمقدميه.
وأيقن أنه طمس اسمه بعمله كما طمست أنا اسمها.

ولم يحتف به اخفاء صادقاً إلا الأميرة بتسي. فقد رحبت به أيما ترحيب، وأغربت له
عن سرورها بمقدم أنا؛ لكنها لما درت أن الطلاق لم يمم بين الزوجين اتحلّت أعداراً سنى
لتذهب في سبيلها.

(١) تنكّب الجادة: حاد عن الصواب.

يَدَّ أَنْ هَذِهِ الْأَمِيرَةَ أَلَمَّتْ بِالْفُنْدُقِ بَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ وَاجْتَمَعَتْ إِلَى أَنَا، وَجَادَبْتُهَا أَطْرَافًا مِنْ الْحَدِيثِ الْمُتَكَلِّفِ الْمُفْعَمِ رِيَاءً وَبُهْتَانًا.

ولم تنسَ بتسي أن تنوّه بفضلها وشجاعتها، وبإقدامها من دون مُبالاةٍ على زيارةِ أَنَا.

كما أَنهَا حَرَصَتْ عَلَى التَّحَدِيثِ عَنِ الطَّلَاقِ، فَقَالَتْ: «لَا تَطْنِي بِي الظُّنُونُ يَا أَنَا، فَأَنَا لَسْتُ بِالْمَرْأَةِ الَّتِي تَتَّقِدُ بِمِثْلِ هَذِهِ الثَّرَهَاتِ، غَيْرَ أَنَّ النَّاسَ تَحْتَلِفُ يَا عَزِيزَتِي، وَأَنَا وَاثِقَةٌ مِنْ أَنَّ صَدِيقَاتِكَ جَمِيعُهُنَّ سَيَتَجَنَّبْنَ زِيَارَتَكَ، وَلَنْ تَعُودَ الْجِيَاءُ إِلَى مَجْرَاهَا قَبْلَ وَقُوعِ الطَّلَاقِ، وَحُدُوثِ مَا يُضْفِي عَلَى عِلَاقَتِكَ بِفِرُونسِكِي صِفَةً قَانُونِيَّةً».

وَدَهَبَتْ بِتْسِي فِي سَبِيلِهَا مُهْرَعَةً كَأَنَّهَا تَفِرُّ مِنْ خَطَرٍ مُرِيعٍ.

وَقَدْ أَضْعَى فِرُونسِكِي إِلَى كُلِّ كَلِمَةٍ نَطَقَتْ بِهَا الْمَرْأَةُ، أَضْعَى مُتَفَكِّرًا مَتَمَعْنَا، وَأَدْرَكَ أَنَّ كُلَّ مُحَاوَلَةٍ يَبْدُلُهَا لِإِدْخَالِ أَنَا الْمُجْتَمَعَاتِ سَيَكُونُ مَالَهَا الْحَيَبَةُ وَالْإِخْفَاقُ.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ رَأَى أَنْ يَبْذُلَ وَشَعَهُ، وَأَنْ يَشْرَعَ فِي إِقْنَاعِ ذَوِيهِ وَأَهْلِيهِ بِتَقْبُلِ أَنَا.

أَمَّا وَالِدَتُهُ فَلَمْ يَرَّ أَنْ يَبْذُلَ مَعَهَا أَيَّ مَسْعَى، فَهِيَ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ مُتَمَعِضَةٌ تَنْفِرُ مِنْ أَنَا، وَتَحْقِدُ عَلَيْهَا لِيَقِينَهَا بِأَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ هِيَ أَسَاسُ الْبَلَاءِ، وَأَنَّهَا سَبَبُ تَحَلِّي ابْنِهَا عَنِ وَطِيفَتِهِ فِي الْجَيْشِ وَفِي الْحُكُومَةِ.

وَبَدَأَ فِرُونسِكِي مُحَاوَلَاتِهِ بِزَوْجَةِ أَخِيهِ، فَقَدْ جَاءَهَا ذَاتَ يَوْمٍ، وَابْتَدَرَهَا بِمَا خَالَجَ صَدْرَهُ، فَفَكَّرَتِ الْمَرْأَةُ ثُمَّ رَدَّتْ عَلَيْهِ وَوَجَّهَهَا بِتَضَرُّجٍ: «لَسْتُ فِي شَكِّ قَطُّ مِنْ أَنَّكَ تُجَنِّبُنِي وَتَحْتَرِمُنِي. إِنَّكَ كَمَا أَتَى تَعْلَمُ مَبْلَغَ تَعَلُّقِي بِكَ وَمَحَبَّتِي إِيَّاكَ. فاعْلَمْ إِذَا أَتَى مَا اعْتَرَضْتُ عَلَى عِلَاقَتِكَ بِأَنَا، وَمَا حَاوَلْتُ التَّنَكُّرَ لَكَ أَوْ إِسْدَاءَ التُّضْحِ أَوْ زَجْرَكَ بِكَلَامٍ مَعْسُولٍ».

وَصَمَّتِ الْمَرْأَةُ، وَتَهَدَّتْ مُنْفَعِلَةً، ثُمَّ تَابَعَتْ تَقُولُ: «أَنَا يَا عَزِيزِي أَقْدَرُكَ وَأَعْجَبُ بِكَ، وَأَنَا أَيْضًا لَا أَدْخِرُ وَشَعًا فِي إِرْضَائِكَ؛ وَلِكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَلْبِي طَلْبَكَ هَذَا. لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصَادِقَ أَنَا فَأَزُورَهَا وَتَزُورَنِي، وَأَخْذُ يَبِيدُهَا فَأَقُودُهَا إِلَى أُنْدِيَةِ الطَّبَقَةِ الرَّاقِيَةِ... إِنَّنِي أُمُّ وَلِي ثَلَاثُ فَيَاتٍ، وَلِفَيَاتِي مُسْتَقْبَلٌ، وَلَا نُذْحَةٌ لِي مِنْ دَرٍّ كُلِّ مَا يَشِينُ، عَنِّي وَعَنْهُنَّ».

وَهَبَّ فِرُونسِكِي وَاقِفًا، وَصَاحَ وَهُوَ يَضْرِفُ بِأَسْنَانِهِ: «تَبَّا لَكَ! تَبَّا لِلنِّسَاءِ جَمِيعًا! أَكُلْكُرَنَّ

نَقِيَّاتٌ تَقِيَّاتٌ؟ أَكُلْكُرَنَّ طَاهِرَاتٌ وَرِعَاتٌ؟ أَوْلَيْسَتْ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ أَكْثَرِكُنَّ؟»

فَقَالَتْ فَالِيا لاهِئَةً: «حَنانِيكَ يا أَلِكْسِي، لا تُغْضِبْ، لا تُنْقِمْ عَلَيَّ».

قالَ وَهُوَ يُغْضِي بِطَرْفِهِ وَيَخْفِضُ صَوْتَهُ: «لَسْتُ بِغاضِبٍ عَلَيْكَ، بَلْ أنا حائِقٌ على نَفْسي وعلى هَذا المُجْتَمَعِ الزَّائِفِ النَّاهِشِ المُتَرَبِّصِ. أنا حائِقٌ على كُلِّ مَنْ يَدَّعي النُّبْلَ والشَّرَفَ، لأنَّ كُلَّ مُدَّعٍ مِنْهُم لا يَمُتُ بِصِلَةِ إِلى هَذِهِ الصِّفاتِ. إِنني ذاهِبٌ الآنَ إِلى غَيْرِ رَجَعَةٍ وَلَنْ أرى أَحَدًا مِنْكُمْ بَعْدَ اليَوْمِ.

رَأى الشَّابُّ كُلَّ شَيْءٍ، وَأيقَنَ بَعْدَ إِخْفافِهِ أَنَّهُ لَنْ يثْبِتِي أَحَدًا عَن مَوْفِقِهِ، وَأَنَّ أنا لَفَطَّتها المُجْتَمَعاتُ، وَأَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ أَمسى مَنبُودًا مَقْصِيًّا.

أَجَلٌ، أَدْرَكَ أَنَّهُما انقَلَبا إِلى إِنسانينِ غَرِيبينِ، يَزِدِرِيهما الجَميعُ، ولا يَودُّ أَحَدٌ أَنْ يَتَّصِلَ بِهما، حَتَّى لا تَلْتَصِقَ بِشَخِصِهِ مِنْ أَذْرائِهِما قَدارَةً.

وَشَعَرَ شُعورَ مَنْ ائْتَرَفَ إِنما نَمَّ طُلِبَ إِليه أَنْ يُسَلِّمَ نَفْسَهُ لِلقَتْلِ. شَعَرَ أَنَّ هَذا الطَّلَبَ لا ضَرورَةَ لَهُ، وَعَزَمَ على مُقاوِمَةِ التِّيَّارِ، وعلى العَمَلِ كَرَجُلٍ لَهُ أَلْفُ نَفْسٍ.

لَكِنَّهُ شُرَعانَ ما فَقدَ عَزيمَتَهُ وَعَزَمَهُ بَعْدَ أَنْ رَأى النَّاسَ كُلَّهُم يَتَنَكَّرُونَ لَهُ، وَيَسْتَخِفُّونَ بِهِ، وَيَنْظُرُونَ إِلى أَنَا نَظَرَهُمْ إِلى امْرَأَةٍ خَبِيثَةٍ نَجِسَةٍ.

شُرَعانَ ما اسْتَسَلَّمَ لِلبَّاسِ والقُنُوطِ، عِندما زادَتْ أَنَا نَفْسُها مِنْ آلامِهِ، بما شابَّ طِباعَها وَأَعْمالَها في الآوِنَةِ الأَخيرةِ مِنْ تَبَدُّلٍ عَجيبٍ مُذهِلٍ.

وَشَكَّ وارتابَ، فَهِيَ تَحْنُو عَلَيْهِ، حَتَّى لَكَانَها خُلَاصَةَ الحُبِّ وَجَوهَرُهُ، وَهِيَ تَرَبُّبًا بِنَفْسِها^(١)، وَتَمْتَنِعُ عَنهُ، وَتَزوَرُّ، حَتَّى لَكَانَها كَرِهَتَهُ وَعافَتَهُ. نَمَّ إِنَّها تَبْدو أحيانًا مَهْمومَةً مُسْتَعْرِقَةً في تَفْكيرٍ مُحزِنٍ مُبْصَرٍّ. فَمَماذا يَعمَلُ في صَدْرِها يا تُرى؟ اترى هِيَ ما جَرى، أم هِيَ تَعْلَمُ بِأَمْرِ آخَرَ؟

وَتَساءَلَ القَتى، إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَهْتَدِ إِلى جَوابٍ.

تَساءَلَ في جَزَعٍ...

إِنَّ أَمْرَهُ مَبْنِيٌّ على الحَيرةِ.

(١) تَرَبُّبًا بِنَفْسِها: تُتْرَهُ نَفْسُها.

إِنَّهُ اسْتَصْغَرَ مَا يَسْتَعْظِمُهُ الْخَلْقُ .
إِنَّهُ اسْتَهَانَ بِعَظِيمِ الذُّنُوبِ .
إِنَّهُ خَالَفَ الْقَوَاعِدَ وَالْأُسُسَ .
إِنَّهُ وَتَبَّ مِنْ عَلِيٍّ ، فَلَمْ يُحَلِّقْ ،
بَلْ سَقَطَ سَقَطَةً شَدِيدَةً ، عَلَى وَجْهِهِ !

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - هَل تَرى أَنَّ كارنينَ كَانَ مَسْئُولًا عَنِ انْحِرَافِ زَوْجَتِهِ كَمَا خُيِّلَ إِلَيْهِ؟
- ٣ - فرونسكي في هذا الفصلِ بَيْنَ أَهْلِهِ . فَهَل تَقْبَلُهُ أَهْلُهُ قَبْلَ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ الْمُجْتَمَعُ؟ وَلِمَاذَا؟
- ٤ - لِمَ ابْتَعَدَ النَّاسُ عَنِ فِرُونسْكِ وَأَنَا؟ أترى في هذا دليلًا على مَسْلِكِهِمُ التَّنْظِيفِ ، أم على أمرٍ آخَرَ؟ أَوْضِحْ مَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ .
- ٥ - لَقَدْ انْتَهَتْ أَنَا وَفِرُونسْكِ إِلَى أَرْزَمَةِ حَقِيقِيَّةٍ . فَهَل تَرى لَهُمَا خَلَاصًا مِنْهَا؟ وَكَيْفَ؟
- ٦ - أَكُنْتَ تَتَوَقَّعُ لِلْعَاشِقَيْنِ مِثْلَ هَذَا المَصِيرِ؟ وَلِمَاذَا؟
- ٧ - أَوْجِزْ مضمونَ الفصلِ في أسْطُرٍ قَلِيلَةٍ .

الفصل الرَّابِع

أَنَا امْرَأَةٌ وَأُمٌّ.

وما رَجَعْتُ إلى بطرسبرج إِلَّا بحافِزٍ من شَوْقِهَا إلى وَلَدِهَا. لَقَدْ نَسِيتُهُ وَقَتًا في عَمْرَةٍ فَرَحَّيْهَا بفرونسكي، ونَسِيتُهُ أو تَنَاسَتُهُ انْدِفَاعًا وِرَاءَ عَاطِفَتِهَا الجَدِيدَةِ.
أَجَلْ، إِنَّهَا امْرَأَةٌ وَأُمٌّ.

وقد فَفَلَّتْ رَاجِعَةً، وَكَانَتْ كُلَّمَا افْتَرَبَتْ مِنْ بطرسبرج اِزْدَادَتْ انْفِعَالًا وَتَهَيُّجًا، وَكَانَ قَلْبُهَا يَخْفُقُ بِشِدَّةٍ، وَكَانَ صَدْرُهَا يَعلُو وَيَهِيْطُ، وَكَانَتْ تَتَرَنَّمُ بِاسْمِ سِيرِج، وَتَهَمُّسُ بِهِ وَكَأَنَّهُ مَوْجُودٌ بِقُرْبِهَا، وَكَأَنَّهُا تُنَاغِيهِ وَتُدَلِّلُهُ.

وَدَنَا القِطَارُ مِنْ مَشَارِفِ المَدِينَةِ، وَاخْتَرَقَ ضَوَاجِحِهَا، فَتَطَلَّعَتْ مِنْ النَّافِذَةِ بِعَيْنَيْنِ شَاطِصَتَيْنِ، وَطَفَقَتْ سَاعَةً دَخَلَ المَحَطَّةَ يَهْدُرُ وَيُزْمَجِرُ، وَيَتَرَيَّثُ، تُحَدِّقُ إِلَى الأَطْوَرَةِ^(١) والأَرَصِفَةِ، وَكَأَنَّهُا تَتَوَقَّعُ أَنْ تَجِدَهُ فِي اسْتِيقَابِهَا!

على أَنَّهُ لَمْ يَدُرْ فِي خَلْدِهَا طَوَالَ رِخْلِهَا أَنَّ العِراقِيلَ قَدْ تَوَضَّعَ فِي طَرِيقِهَا، وَأَنَّهَا قَدْ تَرَدُّ خَائِيَةً مَفْهُورَةً مَتَى طَلَبَتْ رُؤْيَةَ الغَلامِ. لَمْ يَطْرَأْ عَلَيْهَا مِثْلُ هَذَا الفِكْرِ، فَكُلُّ أُمَّ لَهَا الحُرِّيَّةُ فِي الإِجْتِمَاعِ إِلَى وَلَدِهَا، كُلُّ أُمَّ لَهَا الحَقُّ فِي مُقَابَلَةِ ابْنِهَا وَمُحَادَثَتِهِ وَمُعَانَقَتِهِ. وَمَنْ؟ مَنْ يَجْرُو عَلَى الحِيلُولَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ؟ مَنْ يَجْسُرُ عَلَى الإِغْتِرَاضِ؟

وَعَشِيَّتِ المَدِينَةَ الكَبِيرَةَ، وَذَهَبَتْ مَعَ فِرونسكي إِلَى الفُنْدُقِ. وَمَضَتْ السَّاعَاتُ، وَمَضَى يَوْمٌ وَيَوْمَانِ وَثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ. وَأَيَّقَنْتْ مِمَّا شَاهَدَتْ وَسَمِعَتْ، أَنَّهَا امْرَأَةٌ نُبِدَتْ كَمَا تُنْبَدُ النِّوَاءُ، وَأَنَّ دُونَ اجْتِمَاعِهَا إِلَى ابْنِهَا خَرَطَ القِتَادِ!

وَأَعْمَلَتِ الحِيلَةَ فَلَمْ تَهْتَدِ إِلَى السَّبِيلِ، وَقَدَحَتْ زِنَادَ الفِكْرِ، فَجَعَعَ الفِكْرُ كَلِيلًا عَلِيًّا.

(١) الأَطْوَرَةُ: مُفْرَدُهَا طَوَارٌ، وَهُوَ فُشْحَةٌ فِي الدَّارِ أَوْ نَحْوِهَا.

وَابْتَأَسْتُ أَنْ . إِنَّهَا تُرِيدُ وَلَدَهَا ، تُرِيدُ أَنْ تَرَاهُ وَتُقَبِّلَهُ .

وراودتها نفسها على الذهاب إلى منزلها، منزلها في يوم مضى، لكنها تهيبت الموقف،
وآثرت الانتظار والترقب. فمن يعلم؟ قد تصادف زوجها. من يعلم؟ قد يقصدها الخدم، وقد
يحولون بينها وبين دخول بيتها!

فماذا تفعل؟ ماذا تفعل؟ أتكتبُ له رُقعةً تنضرعُ إليه فيها أن يُشفقَ عليها؟ أتلازمُ الطريقَ
حتى ترى سيرجَ أبقافاً؟ وهل يجديها ذلك نفعاً؟ وماذا يقول سيرج متى فعلت ذلك؟

لقد تلاشت كلمات الشوق والحُب التي حفظتها لابنها عن ظهر قلب. لقد زالت تلك
الكلمات التي رددتها عشرات المرات وهي تُغذُّ السير^(١) إلى بطرسبرج.

وتناهى إليها خبر الكونتس إيفانوفنا، وسمعت بما فعلته مع زوجها، وأدركت أنها المرأة
التي يتسنى لها مساعدتها على نيل مُبتغاها، فبعثت إليها بتلك الرسالة. رَضِيَتْ لِنَفْسِهَا أَنْ
تُمرَّغَ كِبْرِيَاءَهَا فِي الْوَحْلِ، رَضِيَتْ أَنْ تَسْتَعِظِفَ امْرَأَةً غَرِيبَةً فِي أَمْرٍ لَا يَعْنِي سِوَاهَا، رَضِيَتْ
بِالْإِمْتِهَانِ لِكَيْ تَتَمَكَّنَ مِنْ رُؤْيَةِ ابْنِهَا . فَمَاذَا كَانَتِ النَّتِيجَةُ؟

لقد جاءها جوابُ ا لمرأة الجاف، جاءها فحطم قلبها. إنهم يدفعونها دفعا عن ابنها،
فوين أين لهم الحق؟ من أين؟

وتألمت وحدها من دون أن تُشرك أحداً في ألمها. ولم يكن حبيبها يذري شيئاً من
محاولتها، فقد كتمت عنه الخبر خشية أن يبدر منه ما يخذس إحساسها ويضاعف في عذاب
نفسها.

كانت تُحب فرونسكي، ولكنها أدركت وهي تسوق طريقها إلى بطرسبرج أن حبها لسيرج
يزوب كثيراً على حبها لفرونسكي، كما أيقنت وهي تستعبر أن الفرق بين الحبين هو الطهر:
حُبٌّ طاهرٌ، وحُبٌّ فاجرٌ. وأشفقت على نفسها، إن هو سخر منها ومن حبها لولدها، أن
ينقلب هواها إلى اشمزاز، بل إلى اختقار، بل إلى كراهية ومقت.

لهذا آثرت الكتمان حتى لا تفقد الشيء الوحيد الذي احتفظت به.

إنها شقيّة، شقيّة...

(١) تُغذُّ السير: تسرع فيه.

إِنِّهَا مُعَذِّبَةٌ. خَلَعَتِ الْعِدَارَ^(١)، وَلَكِنَّهَا خَلَعَتْ مَعَهُ كُلَّ هَنَاءٍ وَرَاحَةٍ بِالٍ.

إِنِّهَا عَائِرَةٌ خَائِرَةٌ، وَكَانَتْ تَنْظُرُ مِنْ قَبْلِ أَنْ غَرَامَهَا هُوَ الْبَلَسْمُ الشَّافِي، فَإِذَا بِهَا تَجِدُ أَنَّ هَيَامَهَا كَانَ سُمَا قَضَى عَلَى حَيَاتِهَا وَخَلَفَهَا شِلْوًا^(٢) مُحَطَّمًا مُهْمَلًا!

* * *

بَكَتْ أَنَا سَاعَةً تَلَّتْ رَدَّ الْكُونَسِ وَرَفَضَهَا. بَكَتْ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَلْبَثْ أَنْ تَقَمَّتْ نِقْمَةً شَدِيدَةً، وَجَعَلَتْ تَسْأَلُ مُتَوَعَّرَةَ الصَّدْرِ عَنْ فِحَةِ الْمَرْأَةِ الدَّخِيلَةِ وَجُرْأَتِهَا.

ثُمَّ رَاحَتْ تُحَدِّثُ نَفْسَهَا قَائِلَةً: «أَمَا كَفَانِي مَا لَقَيْتُ؟ إِنَّهُمْ وَلَا عَزْوٌ يَعْمَلُونَ عَلَى قَتْلِي، عَلَى قَتْلِي. إِنَّهُمْ يَزْعَبُونَ فِي سَحْقِ فُوَادِي، بَلْ إِنَّهُمْ يَبْحَثُونَ عَمَّا يَفْهَرُ سِيرَجٌ وَيُعَذِّبُهُ. لَكِنِّي أُمٌّ وَسَأُقَاوِمُ، وَسَأَقْفَهُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ الشَّيْطَانَةَ».

وَكَانَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ عِيدٌ مِيلَادٍ سِيرَجَ، فَاسْتَيْقَظَتْ فِي سَاعَةٍ مُبَكَّرَةٍ، وَخَرَجَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَابْتَاعَتْ مَا يُحِبُّهُ سِيرَجٌ وَمَا يَطْلُبُ افْتِنَاءَهُ. ثُمَّ رَجَعَتْ أَذْرَاجَهَا إِلَى الْفُنْدُقِ، فَتَنَاوَلَتْ طَعَامَ الْإِفْطَارِ، وَأَسْدَلَتْ عَلَى مُحَيَّاهَا نِقَابًا أَسْوَدَ، وَاسْتَقَلَّتِ الْعَرَبَةَ مُتَوَجِّهَةً إِلَى مَنْزِلِ زَوْجِهَا.

وَجَعَلَتْ، وَالْجِيَادُ تُخَبُّ فِي الطَّرِيقِ الْمُعَبَّدِ، تُصَلِّيُ وَتَبْتَهَلُ. وَأَخَذَتْ تَضْرَعُ إِلَى اللَّهِ أَنْ تَصِلَ فِي سَاعَةٍ يَكُونُ فِيهَا زَوْجُهَا مُسْتَعْرِقًا فِي النَّوْمِ، وَيَكُونُ الْخَدْمُ مِنْهُمْ كَمِينَ فِي عُرْفِ أُخْرَى، حَتَّى لَا تُضْطَرَّ إِلَى شِرَاءِ ضَمَائِرِهِمْ بِالْمَالِ، إِنْ هُمْ فَظَنُوا إِلَى شَخْصِهَا، أَوْ أَنْ تُكْذِبَ فَتَزْعُمَ، مِنْ دُونِ أَنْ تَرَفَعَ النِّقَابَ الَّذِي تَلْتَمِثُ بِهِ، أَنَّهَا امْرَأَةٌ مُوفِّدَةٌ كَرَسُولٍ فِي أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ، وَأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِسِيرَجِ ابْنِ سَيِّدِهِمْ وَبِعِيْدِهِ السَّعِيدِ.

وَوَصَلَتْ، فَتَرَجَّجَتْ، وَقَرَعَتْ بَابَ الْحَدِيقَةِ، فَجَاءَهَا الْبَوَّابُ، فَحَيَّيْتُهُ بِكَلِمَةٍ لَطِيفَةٍ وَأَسْقَطْتُ فِي يَدِهِ قِطْعَةً مِنَ الْفِضَّةِ. وَنَظَرَ إِلَيْهَا الرَّجُلُ مَشْدُوهَا، ثُمَّ حَنَى رَأْسَهُ وَفَتَحَ الْبَابَ.

وَلَمَّا دَخَلَتْ سَأَلَهَا عَنْ بُغْيَتِهَا، فَهَزَّتْ كَتِفَيْهَا، وَأَنْسَلَّتْ فِي الْمَمَرِّ مُسْرِعَةً مُهْرَوْلَةً. وَاقْتَحَمَتِ الْبَابَ، فَوَاجَهَهَا الْخَادِمُ الشَّيْخُ، وَكَانَ يُحِبُّهَا وَيَحْتَرِمُهَا، لَكِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهَا، بَلْ سَأَلَهَا مُسْتَفْهِمًا: «أَلَيْكَ حَاجَةٌ يَا سَيِّدَتِي؟»

(١) خَلَعَتِ الْعِدَارَ: تَهَيَّكْتَ مِنْ غَيْرِ حَجَلٍ.

(٢) شِلْوًا (جَمَعُهُ أَشْلَاءٌ): غَضُو، بَيَّئَةٌ مِنْ جُنَّةٍ.

فَأَجَابَتْ وَهِيَ تُحَاوِلُ أَنْ تُبَدِّلَ صَوْتَهَا وَتُغَيِّرَ نَبْرَتَهَا: «إِنِّي مُوفِدَةٌ مِنْ قِبَلِ الْأَمِيرِ سَكَارُوفٍ، أَوْ مِنْ قِبَلِ ابْنِ الْعُلَامِ، لِأَقْدَمَ لَسِيرَجٍ هَدَايَا الْعِيدِ السَّعِيدِ».

قَالَ: «بِيدَ أَنْ سِيرَجٌ لَا يَزَالُ نَائِمًا، فَهَلْ لَكَ فِي الْإِنْتِظَارِ! أَتَنْتَظِرُنِي رَيْشَمَا يَتَّبَعُهُ مِنْ رُقَادِهِ؟»

فَهَزَّتْ رَأْسَهَا مُوَافِقَةً، وَوَقَّفَتْ فِي اسْتِسْلَامٍ.

وَتَلَبَّتْ الْخَادِمُ الشَّيْخُ يَخْتَلِسُ إِلَيْهَا نَظَرَاتِ الْمُسْتَشْكِكِ الْمُرتَابِ، وَلِكِنَّهَا لَمْ تَأْبَهُ لَهُ، فَقَدَّ شَعْلَهَا عَنْهُ فِإِفْكَرٌ كَثِيبٌ.

لَقَدْ أَجَالَتْ طَرْفَهَا فِي مَا حَوْلَهَا، فَتَذَكَّرَتْ الْمَكَانَ. كَانَ كُلُّ شَيْءٍ بَاقِيًا عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ. كَانَتْ الْأَرَائِكُ وَالْمَنَاصِدُ وَالصُّورُ فِي مَكَانِهَا الْمَعْهُودِ، وَكَانَ بَيْتُهَا، بَيْتُهَا، إِلَّا أَنَّهَا تَنَازَلَتْ عَنْهُ بِمَحْضِ إِرَادَتِهَا. فَهَلْ هِيَ نَادِمَةٌ؟ هَلْ تَوَلَّتْهَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَوْجَةٌ مِنْ نَدَمٍ عَلَى مَا انْحَرَفَتْ عَنْهُ؟

لَا أَحَدٌ يَعْلَمُ. لَقَدْ فَكَّرَتْ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ كَثِيرًا.

فَكَّرَتْ، وَبَكَى قَلْبُهَا، وَلَكِنَّ الدُّمُوعَ تَحَجَّرَتْ فِي مَاقِيهَا فَلَمْ تَسِلْ وَلَمْ تَنْهَمِرْ، وَمَا بَكَى إِلَّا قَلْبُهَا!

وَسَهَا عَنْ بَالِهَا مَا جَاءَتْ مِنْ أَجْلِهِ، وَغَابَ عَنْهَا أَنَّهَا مُتَنَكِّرَةٌ، وَأَنَّهَا يَجِبُ أَنْ تَبْقَى كَذَلِكَ حَتَّى تَتَمَكَّنَ مِنْ رُؤْيَةِ وِلْدِهَا.

وطلبت إلى الخادم بلا وعي منها، أن يعينها على خلع معطفها...

فانحنى لها الخادم باحترام، ومدَّ يده فتناول المعطف الذي نصته عنها بسرعة، ووضعهُ فِي مَكَانٍ مِنَ الرَّذْهَةِ الْكَبِيرَةِ، ثُمَّ انثنى يُرَدِّدُ: «أَرْجُو أَنْ تَنْتَظِرِي بِضَعِ دَقَائِقٍ».

وحملت إليها، وأجفلت، ونكصت إلى الوراء، وكأنه يرى شبحًا!

لَقَدْ عَرَفَهَا الرَّجُلُ، عَرَفَهَا مِنْ مَلَابِسِهَا، بَلْ مِنْ أَرْجِحِهَا^(١). عَرَفَهَا مِنْ حَرَكَتِهَا، لَقَدْ عَاشَ

(١) الْأَرْجُ: فَنُوحِ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ.

طويلاً في هذا البيت، عاش فيه قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَهُ عَرُوسًا لَسِيدِهِ.

وانحنى مُتَبَهِّرَ الأنفاسِ، وخاطبها بِصَوْتِ مُتَهَدِّجٍ: «أنا طَوْعُ أَمْرِكِ يا سَيِّدَتِي، لِمَ لَمْ تَكْشِفِي لِي عَنِّ شَخْصِكَ؟ لِمَ لَمْ تُطْلِعِي عَنِّي عَلَى رَغَبَتِكَ؟ وَلَكِنْ...».

وظنَّتْ أَنَّا أَنَّ الرَّجُلَ فَطِنَ، بَعْدَ أَنْ رَحَّبَ بِهَا وَاعْتَدَرَ، إِلَى أَوَامِرِ سَيِّدَتِهِ الْجَدِيدَةِ الْكُونَتَسِ. ظنَّتْ ذَلِكَ، وَحَاوَلَتْ أَنْ تَقُولَ شَيْئًا، لَكِنَّهَا انْتَنَتْ بِسُرْعَةِ الْبَرَقِ، وَأَنْشَأَتْ تَعْدُو، ثُمَّ صَعِدَتْ فِي «الدَّرَجِ» الْمُفْضِي إِلَى غُرْفَةِ ابْنِهَا.

وَتَعَقَّبَ الْخَادِمُ خُطَاها مُنْبَهِّرَ الْإِنْفَاسِ يَلْهُثُ مِنْ نِيرِ السَّنِينِ. تَبِعَهَا وَهُوَ يَقُولُ: «عَلَى رِسْلِكَ يَا سَيِّدَتِي، إِنْ تَظَرِّي قَلِيلًا، إِنْ تَظَرِّي رَيْثَمَا أُتِبَهُ سَيِّدِي الصَّغِيرِ إِلَى مَقْدَمِكَ».

وَلَكِنَّهَا لَمْ تَسْمَعْ كَلِمَاتِهِ، بَلِ اسْتَمَرَّتْ تَعْدُو مُهْرَوْلَةً، وَهِيَ تَصِيحُ: «لَا... لَا... لَنْ تَمْنَعَنِي، لَنْ يَمْنَعَنِي إِنْسَانٌ، لَنْ يَجْرُوَ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ».

وَدَفَعَتْ الْبَابَ فَانْفَتَحَ، وَدَلَّغَتْ إِلَى الْمَخْدَعِ، فَوَقَعَ طَرْفُهَا عَلَى فِلْدَةٍ كَبِيدِهَا.

وَكَانَتْ لَمَحَّةً، لَمَحَّةً هَائِلَةً!

رَأَتْ الْأُمَّ ابْنَهَا. كَانَ يَجْلِسُ فِي سَرِيرِهِ، وَيَفْرِكُ عَيْنَيْهِ بِيَدَيْهِ الصَّغِيرَتَيْنِ.

رَأَتْ الْأُمَّ ابْنَهَا، ففَاضَ قَلْبُهَا بِالْعَاطِفَةِ الْحَبِيسَةِ، فَاضَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ: «سِيرَج...».

وَرَدَدَتْ الْكَلِمَةَ: «سِيرَج...».

وَكَانَ صَوْتُهَا خَافِتًا لَمْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ.

وَقَالَتْ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ: «سِيرَج...».

وَتَضَاءَلَ فَرُونَسْكِ فِي عَيْنِهَا؛ تَضَاءَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ؛ تَضَاءَلَ الْوُجُودُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا سِيرَجُ، لَمْ يَبْقَ إِلَّا هَذَا الْعُلَامُ.

يَا نَلَامُ.

غَيْرَ أَنَّ الْعَاطِفَةَ مُدْبِدْبَةً، نَبِيصُ ثُمَّ يَنْصُبُ مَعِينَهَا؛ وَالْمُؤَثَّرَاتُ الَّتِي تُشْعِلُ اللَّهَيْبَ، تَحْمَدُ أَحْيَانًا وَتَسْتَحِيلُ إِلَى ثُلُجٍ يَتَرَاكُمُ عَلَى الْعَاطِفَةِ.

لَقَدْ تَضَاءَلَ حَبِيبُهَا فِي تِلْكَ الدَّقِيقَةِ فِي نَاطِرِيهَا، فَهَلْ يَبْقَى كَذَلِكَ بَعْدَ سَاعَةٍ؟!

وَخاطَبَتْ نَفْسَهَا: «إِنَّهُ نَحِيلٌ شاحِبٌ. فماذا أصابُهُ؟ لِمَ حَلَّ بِهِ الهُزَالُ؟ هل يُعَذِّبُونَهُ؟ هل يَضْطَهِدُونَهُ؟ ولكنَّهُ سيرج، أليس هُوَ؟»

* * *

وَلاحَتْ مِنْ سيرجِ التِفَاتِةِ فأَبْصَرَ والدَتَهُ، وَنَدَّتْ مِنْ صَدْرِهِ صَرَخَةً تَعَجُّبٍ...
لَقَدْ تَبَيَّنَ فِيهَا المَرَأَةُ الَّتِي رَئِمَتْهُ^(١) وَحَدَبَتْ عَلَيْهِ، وَلِكِنَّهُ حَمَلَقَ مَشْدَوْهَا...
إِنَّهَا هُنَا، وَمَا قِيلَ لَهُ عَنْ ذَهَابِهَا كَذِبٌ...
إِنَّهَا هُنَا، وَمَا قِيلَ لَهُ عَنْ مَوْتِهَا كَذِبٌ...
وَدَدَّتْ مِنْهُ أَنَا، وَحَدَقْتُ إِلَى وَجْهِهِ، وَقَالَتْ وَهِيَ تَشِيخُ: «وَلَدَاهُ...»
وَقَالَ العُلامُ وَعَبْرَاتُهُ تَغْسِلُ وَجْتِيهِ: «أُمَاهُ...»
وَوَقَعَتِ الكَلِمَةُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى قَلْبِهَا.

وَتَرَامَى الإِثْنَانِ عَلَى بَعْضِهِمَا، وَاحْتَضَنَتِ الأُمُّ طِفْلَهَا بِشِدَّةٍ، وَأَنْكَمَشَ هُوَ فِي حِضْنِهَا
مَسْرورًا سَعِيدًا.

وَهَتَفَ ثَانِيَةً: «أُمَاهُ...».

وَقَبَّلَهَا... وَأَغْمَضَتْ هِيَ عَيْنَيْهَا!

يَا لَلْأُمِّ...!

مَهْمَا فَعَلَتْ، وَمَهْمَا ارْتَكَبَتْ،

فَهِيَ أُمٌّ...!

* * *

وَبَرَ الصَّبِيُّ يَقُولُ بَعْدَ لَحَظَاتٍ: «أُمَاهُ...». وَوَضَعَ ذِرَاعَهُ عَلَى كَتِفِهَا فِي غُنْجٍ وَدَلالٍ،
وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا يَتَحَسَّسُ وَجْهَهَا وَيُتَمِّمُ: «إِنَّ اليَوْمَ عِيدُ ميلادِي، وَكُنْتُ وَاثِقًا مِنْ أَنَّكَ
سَتَأْتِينَ...». وَدَبَّلَتْ عَيْنَاهُ، فَأَغْمَضَتْهُمَا وَأَغْفَى.

(١) رَئِمَتْهُ: غَطَّنَتْ عَلَيْهِ وَلَئِمَتْهُ.

وطلَّتْ تَحْتَضِنُ الْجَسَدَ الصَّغِيرَ، وَلَبِثَتْ تَنْظُرُ إِلَى الْوَجْهِ الْمَلَائِكِيِّ بِحُنُوءٍ، بَلْ نَظَرَتْ إِلَيْهِ نَظْرَةً مَنُومَةً^(١). وما عَمَّتْ آلامُها أَنْ رَجَحَتْ عَلَى آمالِها، فَعَلَبَها الْيَأْسُ، واسْتَحْرَطَتْ فِي الْبُكَاءِ.

وَفَتَحَ الْعُلَامُ عَيْنَيْهِ فِي تِلْكَ الْفَيْئَةِ، وَرَأَى أُمَّهُ تَذْرِفُ الدَّمْعَ، فَهَتَفَ يَقُولُ مُنْزَعِجًا: «ماذا يُبْكِيكَ يا أُمِّي؟ ماذا؟»

ولَمَّا لَمْ تُجِبْهُ بِكَلِمَةٍ أَعَادَ الْكَرَّةَ، فَقَالَ مُهْتاجًا: «لماذا...؟ لماذا تَبْكِينَ؟»

فَقَالَتْ وَقَدْ رَأَتْ مِنْ قَلْبِهِ مَا زَادَهَا قَلَقًا: «إِنِّي أَبْكِي مِنْ سُرُورِي بِهَذَا الْلِقَاءِ، فلا تَبْتَسِسْ يا سِيرُجُ، لا تُشْكُ فِيَّ فَأَنَا أُمُّكَ، أَفَدِيكَ بِرُوحِي».

وَضَحِكَ الْعُلَامُ جَدِيلًا، واسْتَلَّتْ: «دَعْنِي أُسَاعِدُكَ فِي ارْتِدَاءِ ثِيَابِكَ. مَنْ يُسَاعِدُكَ الْآنَ؟ مَنْ مِنَ النَّاسِ؟»

وَخَنَفَتْهَا عِبْرَةٌ، فَأَمْسَكَتْ.

وَأَقْبَلَ سِيرُجٌ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِمَرَحٍ، وَيَضْحَكُ وَيُقْرِفُ، وَقَدْ بَانَ فِي أَمَائِرِهِ نُورٌ هُوَ وَلَا شَكَّ نُورُ الْهِنَاءِ وَالسَّعَادَةِ لظَفَرِهِ بِأُمَّه.

وَمَا لَبِثَ أَنْ ارْتَمَى عَلَى صَدْرِها يُعَانِقُها وَيُقَبِّلُها.

وَقَالَتْ أَنَا: «وماذا قالوا لك عني؟ هل أخبروك أنني ميتة؟»

قال: «لم أصدق كلامهم، بل انتظرتك طويلاً».

قالت: «أحقاً كنت تنتظرني؟».

قال: «نعم، وكنت واثقاً من أنك ستأتين يا أمّاه».

وَقَبَلَتْ الْأُمُّ ابْنَهَا، وَأَمْسَكَ هُوَ بِيَدِها وَجَعَلَ يَلْتِمُها وَيُمَرِّرها عَلَى وَجْهِه، هَدَفَ لَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَأَشْرَقَ مُحْيَاً.

وَتِلْكَ هِيَ سَعَادَةُ الطِّفْلِ!

وَجَاءَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ الْخَادِمُ الشَّيْخُ فَفَتَحَ الْبَابَ بِهُدُوءٍ، وَرَأَى الْأُمَّ تَحْنِضُ ابْنَهَا،

(١) مَنُومَةٌ: مَوْلَعَةٌ.

فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وَقَالَ: «لَا، لَا أَسْتَطِيعُ... وَسَأَرْجِعُ بَعْدَ قَلِيلٍ!»

وَكَانَ الْخَدَمُ جَمِيعًا قَدْ سَمِعُوا بِمَجِيءِ الْأُمِّ، فَتَوَلَّاهُمُ الْإِضْطِرَابُ وَالْخَوْفُ، وَأَشْفَقُوا أَنْ تَبْقَى الْأُمُّ، فَيَرَاهَا سَيِّدُهُمْ فِي السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ، عِنْدَمَا يُلِمُّ بِغُرْفَةِ ابْنِهِ.

وَمَا كَانَ مِنَ الْمُرِيَّةِ إِلَّا أَنْ انْدَفَعَتْ إِلَى حُجْرَةِ سِيرَجٍ، وَكَانَ الْغُلَامُ عِنْدَمَا دَخَلَتْ، يَزُوي لَأُمِّهِ حِكَايَاتٍ عَمَّا يَفْعَلُهُ، وَيُخْبِرُهَا كَيْفَ يُمْضِي وَقْتُهُ. وَكَانَتْ الْأُمُّ تُضْغِي إِلَيْهِ، وَتُنْصِتُ بِلَذَّةٍ وَنَشْوَةٍ إِلَى جَرَسِ صَوْتِهِ.

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تُفَكِّرُ فِي السَّاعَةِ الرَّهِيْبَةِ، سَاعَةِ انْصِرَافِهَا، وَكَانَتْ تَشْعُرُ بِأَنَّهَا سَتَمُوتُ حَسْرَةً مَتَى ذَهَبَتْ مِنْ دُونِهِ.

وَلَمَّا ذَهَبَتْهَا الْمُرِيَّةُ لَمْ تَرْفَعْ بَصَرَهَا، بَلْ لَمْ تَشْعُرْ بِوُجُودِهَا إِلَّا عِنْدَمَا قَبَلَتْ الْمَرْأَةَ ذِرَاعَهَا، وَرَحَّبَتْ بِهَا حَامِدَةً لِلَّهِ عَلَى سَلَامَتِهَا، شَاكِرَةً لَهَا قُدُومِهَا فِي يَوْمِ عِيدِ ابْنِهَا.

وَاسْتَحْزَنْتِ الْمُرِيَّةُ تَبْكِي وَهِيَ تَتَكَلَّمُ، وَأَعَادَتِ الْكُرَّةَ، فَقَبَلَتْ يَدَ سَيِّدَتِهَا وَقَبَلَتْ خَدَّهَا، ثُمَّ هَمَسَتْ فِي أُذُنِهَا بِضَعِّ كَلِمَاتٍ، مَا كَادَتْ تَعِيهَا أَنَّا حَتَّى فَرَّ اللَّوْنُ مِنْ وَجْهِهَا.

وَمَا عَتَمَتْ أَنْ أَحَاطَتْ سِيرَجٌ بِذِرَاعِهَا وَقَبَلَتْهُ وَهِيَ تَنْشِجُ، وَقَالَتْ: «حَبِيبِي... يَا حَبِيبِي...».

وَحَاوَلَتْ أَنْ تَقُولَ كَلِمَةً أُخْرَى، أَنْ تَقُولَ وَدَاعًا، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِيعَ. عَلَى أَنَّ الطِّفْلَ قَرَأَ الْكَلِمَةَ مُنْطَبِعَةً مَعَ الْأَلَمِ عَلَى أَسَارِيرِهَا، فَعَبَسَ قَلِيلًا وَاعْرُورِقَتْ عَيْنَاهُ بِالْذُمُوعِ.

وَقَالَتْ بَعْدَ أَنْ اسْتَجْمَعَتْ قُوَّتَهَا: «أَذْكُرْنِي دَائِمًا يَا سِيرَجُ، أَذْكُرْنِي...».

وَدَنَا مِنْهَا الْغُلَامُ حَتَّى التَّصَقَّ بِجَسَدِهَا، وَتَشَبَّتْ بِمَلَابِسِهَا وَهُوَ يَقُولُ: «كَلَا... كَلَا... لَا تَذْهَبِي بَلِ امْكُثِي مَعِي!»

- «عَلَى أَنِّي مُضْطَرَّةٌ يَا حَبِيبِي إِلَى الدَّهَابِ».

- لَا، لَا تَذْهَبِي فَأَبِي لَنْ يَأْتِيَ الْآنَ، يُقِي مِنْ ذَلِكَ!»

فَرَنْتَ إِلَيْهِ بِظَرْفٍ مُخْضَلٍّ، وَعَلِمْتَ مِنْ تَقَاطِيعِهِ أَنَّهُ يَبْغِي التُّصَحَّ وَالْإِرْشَادَ، وَأَنَّهُ يَسْأَلُهَا إِنْ كَانَ يَتَحَنَّنُ عَلَيْهِ، اسْتَعْلَقَ بِأَبِيهِ، فَقَالَتْ: «سِيرَجُ... هُوَ أَبُوكَ، فَأَجِبْهُ، أَجِبْهُ كَثِيرًا، لِأَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي، وَاصْفَلْ بِأَحْسَنِ، فَأَنَا أَسَأْتُ إِلَيْهِ، وَأَضْرَرْتُ بِهِ، أَمَا هُوَ، فَقَدْ كَانَ نَبِيلًا كَرِيمًا،

وَسَوْفَ تَعْلَمُ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَكْبُرَ وَتَبْلُغَ طَوْرَ الشَّبَابِ».

فَهْتَفَ سِرْجٌ مُعَارِضًا: «هَذَا لَعْنٌ، لَعْنٌ. وَهَلْ هُنَاكَ مَنْ يُفْضَلُكَ يَا أُمًّا؟ هَلْ هُنَاكَ مَنْ يَفُوقُكَ فِي حُبِّهِ لِي؟»

وَنَسَّجَ الطِّفْلُ وَأَلْقَى رَأْسَهُ الْجَمِيلَ عَلَى كَيْفِهَا، فذَابَتْ حُشَاشَتُهَا وَتَمَتَّتْ مَتَلَوَعَةً:
«حَبِيبِي . . . حَبِيبِي . . . حَبِيبِي . . .».

وَقَبَّلَتْهُ مِرَارًا . . .

وَفُتِحَ الْبَابُ، وَوَقَفَ كَارِنِينُ عَلَى عَتَبَتِهِ وَهُوَ لَا يَنْظُرُ وَلَا يَسْمَعُ. وَجَمَدَ الطِّفْلُ مَاخُوذًا،
وَمَشَتْ أَنَا بِتَوَدُّةٍ، حَتَّى إِذَا مَا مَرَّتْ قَرِيبًا مِنْ زَوْجِهَا، أَخْنَى هَذَا رَأْسَهُ بِيْطَاءٍ وَوَقَارٍ.

وَشَعَرَتْ بِالْتُّغُورِ الشَّدِيدِ، وَعَجِبَتْ كَيْفَ طَاوَعَهَا قَلْبُهَا عَلَى تَوْصِيَةِ ابْنِهَا بِوُجُوبِ مَحْضِ
أَبِيهِ كُلِّ حُبِّهِ وَوِدَادِهِ!

وَأَسَلَّتْ مِنَ الْبَابِ بَعْدَ أَنْ اخْتَطَفَتْ مِنَ الْأَرْضِ رِزْمَةَ الْأَلْعَابِ وَالْهَدَايَا الَّتِي أَحْضَرَتْهَا
مَعَهَا لِسِرْجٍ. وَقَدْ حَمَلَتْ الرِّزْمَةَ بِيَدَيْهَا، وَهِيَ لَا تَدْرِي مِنْ أَمْرِ حَرَكَتِهَا هَذِهِ شَيْئًا . . .
وَقَفَلَتْ رَاجِعَةً إِلَى الْفُنْدُقِ.

رَغِبَتْ أَنَا عَنْ شَوْقِي فِي رُؤْيَا ابْنِهَا، وَسَعَتْ إِلَى بَطْرِسِرْجٍ وَفِي قَلْبِهَا حَنِينٌ عَظِيمٌ إِلَيْهِ؛
لَكِنَّهَا لَمْ تَقْدِرْ مَا سَيُصِيبُهَا عَقَبَ ذَلِكَ، وَلَمْ تَكُنْهُ التَّأْتِيرَ الْمُخِيفَ الَّذِي سَيَطْرُقُ عَلَى إِحْسَاسِهَا
سَاعَةً تُفَارِقُ وَلَدَهَا لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ.

فَلَمَّا هَمَّتْ وَاقِفَةً وَأَنْسَحَبَتْ، شَعَرَتْ أَنَّهَا تَرَكَتْ مُهَجَّتَهَا فِي حُجْرَةِ الْغُلَامِ. وَعِنْدَمَا
أَلَمَّتْ بِالْفُنْدُقِ قَعَدَتْ عَلَى كُرْسِيِّ كَبِيرٍ فِي الشَّرْفَةِ، وَأَرْسَلَتْ الطَّرْفَ عَلَى سَجِيئِهِ يَرُودُ
الْمَدِينَةَ . . .

وَتَأَوَّهَتْ بَعْدَ قَلِيلٍ، وَدَخَلَتْ مَخْدَعَهَا، فَانْهَارَتْ قُرْبَ الْمِدْفَاقَةِ وَالذَّمُوعِ تَسِيلُ غَزِيرَةً مِنْ
عَيْنَيْهَا.

وَطَفِقتُ تُحَدِّثُ نَفْسَهَا قَائِلَةً: «يَا لَشَقَوَتِي! لَقَدْ ذَهَبَ مِنِّي، لَمْ أَعُدْ لَهُ أُمًّا، لَمْ أَعُدْ لَهُ
أُمًّا. لَقَدْ انْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ، وَرَجَعْتُ إِلَى عَارِي. إِنِّي الْآنَ وَحِيدَةٌ، وَحِيدَةٌ كَمَا كُنْتُ قَبْلًا».

وَجَاءَتْهَا الْمُرِيَّةُ بِطِفْلَتِهَا، فَأَخَذَتْهَا مِنْهَا. وَجَعَلَتْ الطِّفْلَةَ تَعْبَثُ بِيَدَيْهَا الصَّغِيرَتَيْنِ

المُكْتَنَزَتَيْنِ بَثُوبِ امِّهَا، وَهِيَ تَفْتَحُ فَمَهَا مُبْتَسِمَةً، وَتُومِضُ بَعَيْنَيْهَا ضَاحِكَةً.
وَقَبَّلَتْ أَنَا ابْنَتَهَا بِحَنَانٍ، وَضَعَطْتُ عَلَى جَسَدِهَا الصَّغِيرِ، لَكِنَّهَا أُيْقِنْتُ أَنَّ حُبَّهَا لِسِيرَجٍ
يَفُوقُ كَثِيرًا حُبَّهَا لِهَذِهِ الطِّفْلَةِ.

إِنَّ الطِّفْلَةَ آيَةٌ فِي الْجَمَالِ، لَكِنَّ حُبَّهَا لَهَا غَيْرٌ مُتَّصِلٍ الْجُدُورِ كَحُبِّهَا لِابْنِهَا. لَقَدْ كَرِهْتُ
أَبَا سِيرَجٍ، بَيِّدَ أَنْ حُبَّهَا لِسِيرَجٍ تَضَاعَفَ حَتَّى مَلَأَ عَلَيْهَا حَيَاتَهَا.

وَفَوْقَ ذَلِكَ فَالظُّرُوفُ وَالْمُلَابَسَاتُ الَّتِي جَاءَتْ فِيهَا هَذِهِ الطِّفْلَةُ إِلَى الْحَيَاةِ تَخْتَلِفُ كُلَّ
الِاخْتِلَافِ. وَلِهَذَا أَهْمِلُ أَمْرَهَا وَتُنُوسِي، وَتُنُوسِيَتْ هِيَ، وَكَأَنَّهَا لَمْ تُوَجَدْ. إِنَّهَا بِضِعَّةٍ مِنْ
نَفْسِهَا، وَلَكِنْ بِضِعَّةٍ لَا كَيَانَ لَهَا، خِلَافًا لِسِيرَجٍ.

وَفَطِنْتُ، وَالْفِكْرُ يَطُوفُ بِعَقْلِهَا فِي أَفْقٍ فَسِيحٍ، إِلَى مَحْفَظَةِ الصُّورِ، فَاسْتَحْرَجْتُهَا وَجَعَلْتُ
تُقَلِّبُ الصُّورَ الْمُثَبَّتَةَ دَاخِلَهَا، وَتَتَأَمَّلُ فِي وَجْهِ ابْنِهَا.

وَوَقَعَ طَرْفُهَا عَلَى صُورَةِ لِفرونسكي، فَتَنَاوَلْتَهَا وَحَدَّدَتْ عَيْنَيْهَا فِيهَا وَفَكَّرَتْ: «أَلَيْسَ هُوَ
السَّبَبُ فِي مَا حَصَلَ؟ فِي كُلِّ مَا حَصَلَ؟»

لَكِنَّهَا رَاحَتْ تَتَأَمَّلُ فِي تَقَاطِيعِهِ النَّبِيلَةِ، وَنَظَرْتِهِ الَّتِي تَنبُثُ عَنْ شَهَامَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَرُجُولَةٍ.
وَشَعَرْتُ بِالْحَنِينِ إِلَيْهِ، وَبِحُبِّ جَارِفٍ لَمْ تَشْعُرْ بِمِثْلِهِ مُنْذُ حِينٍ.

وَتَسَاءَلْتُ عَنْ مَكَانِهِ، وَتَسَاءَلْتُ عَمَّا عَسَى أَنْ يَفْعَلَ مَتَى رَجَعَ، وَعَمَّا هُوَ فَاعِلٌ الْآنَ.
وَحَدَّدْتُ نَفْسَهَا وَعَقَارِبُ الشَّكِّ تَلْسَعُهَا فِي قَلْبِهَا، فَقَالَتْ: «تُرَى أَيْنَ هُوَ؟ وَكَيْفَ يَرْضَى
أَنْ يَتْرُكَنِي وَحِيدَةً؟»

وَلَكِنَّهَا نَسِيَتْ فِي عَمْرَةٍ تَفْكِيرِهَا أَنَّ فِرُونسكي لَمْ يُبَارِحْ حُجْرَتَهُ.

فَلَمَّا تَدَكَّرَتْ ذَلِكَ أَرْسَنْتَ مَنْ يَسْتَدْعِيهِ إِلَيْهَا، فَرَدَّ عَلَيْهَا بِأَنَّ لَدَيْهِ ضَيْقًا عَزِيزًا هُوَ الْأَمِيرُ
يَاشْفِينُ، وَأَنَّهُ لَنْ يَلْبَثَ أَنْ يُلِمَّ بِهَا فِي جَنَاحِهَا مَعَ الضَّيْفِ الْكَرِيمِ إِنْ سَمَحَتْ وَأَذِنَتْ.

فَقَطَّبْتُ أَنَا، وَخِيلَ إِلَيْهَا أَنَّ فِرُونسكي يَتَحَاشَى الْخَلْوَةَ مَعَهَا حَتَّى لَا تُخْرِجَهُ بِأَسْئَلَتِهَا؛
وَدَاخَلَ رَوْعَهَا أَنَّهُ كَفَّ عَنْ حُبِّهَا، وَأَنَّهُ لَا يُلَازِمُهَا إِلَّا مُجَافَةً وَإِشْفَاقًا.

وَاسْتَعْرَضْتُ فِي مُحَاوَلَتِهَا كُلِّ مَا مَرَّ بِهَا فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ الْمُنْصَرِمَةِ.

وَتَرَأَى لَهَا أَنَّ كُلَّ الْحَوَادِثِ الَّتِي وَقَعَتْ تُؤَيِّدُ شُكُوكَهَا، وَأَنَّ فِرُونسكي طَفِيقٌ فِي الْأَيَّامِ

الأخيرة يَجْنَحُ إِلَى الكَذِبِ والمُرَاوَعَةِ، وَأَنَّهُ جَعَلَ يَتَهَرَّبُ مِنْهَا، وَيَتَحَلُّ الأَعْدَارَ، وَيَتَعَلَّلُ بالحُجَجِ . . .

وكأدت تَفْقُدُ صَوَابَهَا. لَقَدْ غَزَا رَأْسَهَا فِكْرٌ قَاتِمٌ قَلَبَ الشَّكِّ يَقِينًا، فصاحت مُتَأَجِّمَةً^(١) مُتَسَخِّطَةً: «وَيْلَهُ، وَوَيْلَهُ! أَجْدِرُ بِهِ أَنْ يُمِطَ لِي اللِّثَامَ عَنْ حُبِّهِ، حَتَّى لَا يُسْرِفَ فِي تَعْذِيبِي وَإِذَائِي. أَجْدِرُ بِهِ أَنْ يَرْفُقَ بِي فَلَا يَتَنَاهَى فِي إِيلَامِي!»

وتساءلت عَمَّا يَخْلُقُ بِهَا عَمَلُهُ إِنْ تَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ وَهَجَرَهَا فرونسكري. ولَمَّا اسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهَا الحَيْرَةُ، طَارَ صَوَابُهَا، فَفَرَعَتِ الجِرْسَ بِشِدَّةٍ. وَلَمْ تَنْتَظِرْ مَجِيءَ المُرَبِّبَةِ، بَلْ أَسْرَعَتْ إِلَى المِرَاةِ تَتَرَيُّنُ وَتَضْفِرُ شَعْرَهَا. وما لَبِثَتْ أَنْ تَلَفَّعَتْ بِأَبْهَى حُلِيِّهَا، وَكَأَنَّهَا تُزْمِعُ أَنْ تُوقِعَهُ فِي حَبَائِلِهَا مِنْ جَدِيدٍ.

وَرَجَعَتْ بَعْدَ قَلِيلٍ إِلَى رَذْمَةِ الإِسْتِيقْبَالِ الصَّغِيرَةِ، وَجَلَسَتْ تُفَكِّرُ. وما هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى فُرِعَ الجِرْسُ، فَهَبَّتْ وَاقِفَةً وَفَتَحَتِ البَابَ وَقَلْبُهَا يَخْفُقُ بِشِدَّةٍ. وَدَلَفَ إِلَى القَاعَةِ رَجُلَانِ، كَانَ أَوْلَهُمَا الأَمِيرَ ياشفين، وَكَانَ الثَّانِي فرونسكري.

فَهَشَّتْ أَنَا فِي وَجْهِ الصَّيْفِ وَرَحَّبَتْ بِهِ أَجْمَلُ تَرْحِيبٍ. وَلَمَّا جَلَسَتْ مَعَهُ اخْتَلَسَتْ النِّظْرَ إِلَى فرونسكري، فَأَلْفَتَهُ مِنْهُمِكَأً فِي تَأْمُلِ صُورِ سِيرَجِ التِّي نَسِيَتْهَا مُبَعَثَرَةً عَلَى المَائِدَةِ.

وَلَمْ يَلْبَثْ فرونسكري أَنْ اتَّخَذَ لَهُ مَجْلِسًا بِجَانِبَيْهَا، وَخَاضَ مَعَهُمَا فِي حَدِيثِ السَّبَاقِ، ثُمَّ فِي حَدِيثِ الحَلِّ وَالتَّرْحَالِ. ثُمَّ جَالُوا وَصَالُوا فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ عَنِ أوروبَّا، وَحَوَاضِرِهَا، وَمُدُنِهَا، وَمَلَاهِيهَا.

وَكَانَ فرونسكري طِيلَةً ذَلِكَ يَنْظُرُ إِلَى سَاعَتِهِ. وَلَمَّا تَأَهَّبَ الصَّيْفُ لِيَذْهَبَ، دَعَتْهُ أَنَا إِلَى الرُّجُوعِ فِي المَسَاءِ لِنَتَأَوَّلَ طَعَامِ العِشَاءِ مَعَهُمَا.

وَقَدْ لَبَّى الأَمِيرُ دَعْوَتَهَا مَسْرُورًا، وَمَضَى فِي سَبِيلِهِ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى فرونسكري مُتَسَائِلًا.

وَقَالَ لَهُ الشَّابُّ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ البَابِ: «إِسْتِغْنِي، يَا عَزِيزِي، وَسَأَلْحَقُ بِكَ سَرِيعًا».

وَلَمَّا غَابَ شَبْحُ الأَمِيرِ عَنِ نَاطِرِي أَنَا، تَقَدَّمَتْ مِنْ فرونسكري، وَأَمْسَكَتُهُ مِنْ يَدِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَى عَيْنَيْهِ بِاجْتِهَادٍ عَنِ شَيْءٍ، وَفَكَّرْتُ . . . فَكَّرْتُ كَثِيرًا!

(١) مُتَأَجِّمَةً: عَاضِبَةً غَضَبًا شَدِيدًا

وأخيراً قالت بإغراءٍ وتوسُّلٍ: «إِنِّقْ، إِنِّقْ قَلِيلًا يَا حَبِيبِي. هَلْ أَسَأْتُ صُنْعًا فِي دَعْوَتِهِ إِلَى العِشَاءِ؟»

قال: «كَلَّا، بَلْ إِنَّكَ أَحْسَنْتِ بِلَفْتِكَ وَلِبَاقَتِكَ».

وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَوَجْهُهُ يَطْفَحُ بِشْرًا.

وَضَعَطَتْ أَنَا عَلَى يَدِهِ، وَقَالَتْ وَهِيَ تُذْنِي وَجْهَهَا مِنْ وَجْهِهِ: «أَيَّ حَبِيبِي فَرُونسِكِي! أَبَاقِ أَنْتِ عَلَى عَهْدِكَ؟ إِنِّي بَرِمَةٌ^(١) بِحَيَاتِي، وَلَا يُزِيلُ سَأْمِي إِلَّا يُقْتِي بِحَنَانِكَ وَحُبِّكَ. فَمَتَى نُسَافِرُ؟ مَتَى؟»

فَرَمَقَهَا بَعَيْنٍ مُسْتَشْفِئَةٍ وَأَجَابَ: «لَنْ نَمُكِّثَ هُنَا طَوِيلًا، فَلَا تُرَاعِي يَا أَنَا». وَابْتَعَدَ عَنْهَا...

فَارْتَاعَتْ، إِلَّا أَنَّهَا كَتَمَتْ شُعُورَهَا، وَأَدَارَتْ لَهُ ظَهْرَهَا وَهِيَ تَقُولُ بِجَفَاءٍ: «فَاذْهَبْ إِذَا... إِنَّ صَاحِبَكَ فِي انْتِظَارِكَ، إِذْهَبْ... لَا تَتَأَخَّرْ!»

وَدَارَتْ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ، وَحَدَجَتْهُ بِنَظْرَةٍ غَرِيبَةٍ، لَمْ يَمْلِكْ فَرُونسِكِي مِنْ شِدَّتِهَا إِلَّا أَنْ ارْتَعَشَ وَارْتَعَدَ.

وَلَكِنَّهُ أَحْنَى هَامَتَهُ قَلِيلًا، وَمَضَى لَا يَلُوي.

(١) بَرِمَةٌ: ضَجِرَةٌ.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصلِ عنوانًا مُناسِبًا .
- ٢ - أترى أَنَّ أُنَّا كارنينا كانتِ مُحِقَّةً في تَصَوُّرِ نَفْسِها أُمًّا، وَأَنَّ الوِلادَةَ وَحَدَها تَكْفِي لاجْتِسابِ حَقوقِ الأُمومَةِ، أَمْ إِنَّكَ تَرى شَيْئًا آخَرَ؟ أَوْضِحْ ما تَذَهَبُ إِلَيْهِ .
- ٣ - عُلِّلْ غِيابُ الأُمِّ بالموتِ . فَهَلْ صَدَّقَ الطِّفْلُ ذلكَ؟ ولماذا؟
- ٤ - كَيْفَ كانتِ لِحِظَةُ لِقائِ الأُمِّ والابنِ؟ وهَلْ أثَّرَتْ فيكَ؟
- ٥ - جَرى ما جَرى، وانحرفَتْ أُنَّا وخالعتِ العِذارَ . فَهَلْ تَرى أَنَّ مِن حَقِّها أَنْ تَرى ابنتِها؟ ولماذا؟
- ٦ - أترى أَنَّ مخالَفَةَ القَوانينِ والأَعِرافِ تَسْتَحِقُّ أَنْ يَلْقَى فاعِلُها العَذابَ الَّذي لَقِيَتْهُ أُنَّا؟ عُلِّلْ رَأْيَكَ .
- ٧ - لِمَ بدأ الشُّكُّ يَتَسَرَّبُ إلى رُوحِ أُنَّا، ونازُ الغِيرةِ تَتَأَجَّجُ في صَدْرِها؟ أترى في سُلوكِ فِرونسكي ما يَدَعُو إلى الشُّكِّ والغِيرةِ، أَمْ تَرى شَيْئًا آخَرَ؟ وما هو؟
- ٨ - أترى أَنَّ عُقْدَةَ الرِّوايةِ اقْتَرَبَتْ مِنَ الحَلِّ في هذا الفِصلِ، أَمْ تَراها اِزْدادَتْ تَعقِيدًا؟ أَوْضِحْ ما تَذَهَبُ إِلَيْهِ .
- ٩ - أَوْجِزْ مضمونَ الفِصلِ في أسطرٍ قَليلَةٍ .

الفصل الخامس

رَجَعَ فرونسكي بَعْدَ سَاعَاتٍ إِلَى الفُنْدُقِ فَلَمْ يَجِدْ أَنَا بَلْ قِيلَ لَهُ لِمَا سَأَلَ عَنْهَا إِنَّهَا غَادَرَتِ المَكَانَ مَعَ سَيِّدَةِ أَلْمَثَ بِهَا بَعْدَ ذَهَابِهِ .

فدُهَشَ، وَتَسَاءَلَ عَنِ هَذَا الشُّذُوذِ الَّذِي لَاحَظَهُ فِي حَرَكَاتِ أَنَا وَتَصَرُّفَاتِهَا فِي الآوِنَةِ الأَخِيرَةِ، وَعَجِبَ مِنْ خُرُوجِهَا وَتَأْخُرِهَا . ثُمَّ فَطِنَ إِلَى تِلْكَ النُّظْرَةِ المُرِيبَةِ الَّتِي حَدَّثَتْهُ بِهَا، وَالَّتِي أَصَابَهُ مِنْهَا رَعْشَةٌ وَوَجَلٌ .

وَقَرَّ رَأْيُهُ، بَعْدَ إِعْمَالِ الفِكْرِ، عَلَى مُجَابَهَتِهَا بِظُنُونِهِ، فَلَزِمَ قَاعَةَ الإِسْتِقبَالِ الصَّغِيرَةَ وَقَدِ آلَى أَنْ يَنْتَظِرَهَا كَمَا يَفْصِلُ فِي المَسْأَلَةِ .

وَرَجَعَتْ أَنَا بَعْدَ سَاعَاتٍ طَوِيلَةٍ، لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ وَحِيدَةً، بَلْ كَانَ بِرِفْقِهَا عَمَّتُهَا العَائِسُ الطَّاعِنَةُ فِي السَّنِّ الأَمِيرَةُ أوبلنسكي . وَكَانَتْ هَذِهِ المَرْأَةُ هِيَ الَّتِي قَدِمَتِ الفُنْدُقَ بَعْدَ ذَهَابِهِ .

وَتَجَاهَلْتُ أَنَا رَبِّكَهَ فرونسكي واضطرابه، وَجَعَلْتُ تُثْرِي بِحَدِيثِ فَكِهِ فَرِحَ، وَتَصِفُ لَهُ مَا قَامَتْ بِهِ مَعَ عَمَّتِهَا فِي ذَلِكَ اليَوْمِ .

وَلَمْ يَخْفَ عَنِ فرونسكي انْفِعَالِ أَنَا وَنَهَيْجُهَا، فَأَيَّقَنَ أَنَّهَا تُبْطِنُ سِرًّا دَفِينًا . فَحَاوَلَ أَنْ يَخْلُوَ إِلَيْهَا، وَحَاوَلَ أَنْ يَسْتَدْعِيَهَا إِلَى مَخْدَعِ نَوْمِهَا، لَكِنَّهَا تَجَنَّبَتْهُ طَاقَتْهَا وَلَمْ تَحْفَلْ إِشَارَتَهُ أَوْ إِيمَاءَتَهُ .

وعِيلَ صَبْرُهُ وَضَاقَ صَدْرُهُ، وَتَفَاقَمَ الخَطْبُ فِي نَظَرِهِ، وَعَظُمَتْ رَيْبَتُهُ، وَخِيلَ إِلَيْهِ فِي تِلْكَ الدَّقِيقَةِ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا فِي تِلْكَ الدَّقِيقَةِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُجِبْهَا مُنْذُ زَمَانٍ بَلْ أَحَبَّهَا وَفَنِيَ فِيهَا فِي تِلْكَ الدَّقِيقَةِ أَيضًا !

فيا لِلغَيْرَةِ، يا لِلغَيْرَةِ! كَيْفَ تُحِيلُ مَوَاتِ العَاطِفَةِ حَيَاةً لِلعَاطِفَةِ!

يا لِلغَيْرَةِ! ويا لِلمَرْأَةِ الدَّاهِيَةِ! كَيْفَ تُلْهِبُ النِّيرانَ فِي قَلْبِ الرَّجُلِ، وَكَيْفَ تُدْكِ بِذَلِكَ

عاطفةً حُبِّهِ مَتَى خَمَدَتْ وَهَمَدَتْ وَاسْتَكَاثَتْ .

لَقَدْ جُنَّ جُنُونٌ فَرُونَسْكِ، وَكَادَ لَوْلَا بَقِيَّةٌ مِنْ عَقْلِ أَنْ يَرْتَكِبَ الشَّطَطَ^(١) بِحُضُورِ الْأَمِيرَةِ الْعَجُوزِ، فَهُوَ يَبْغِي الْمَعْرِفَةَ، وَهُوَ يَوَدُّ أَنْ يُحِيطَ عِلْمًا بِحَقِيقَةِ مَا فَعَلَتْهُ أَنَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يُصَدِّقْ، أَوْ كَانَ رَيْبَهُ الَّتِي عَظَّمَهَا مَرَحٌ أَنَا قَدْ حَثُّهُ عَلَى وَجُوبِ التَّحَقُّقِ أَنَّهَا لَمْ تَرْتَكِبْ أَمْرًا إِذَا!^(٢)

أَحَبَّهَا فِي الْمَاضِي وَأَحَبَّهُ .

وَقَلَّ حُبُّهُ فِي الْحَاضِرِ وَنَمَا حُبُّهَا لَهُ .

فَلَمَّا لَمَسَتْ رَجَحَانَ كِفَّةً عَلَى كِفَّةٍ، وَأَيَّقَنْتْ أَنَّ الْأَيَّامَ الْقَادِمَةَ سَتَكُونُ فِيهَا نِهَايَةَ حُبِّهِ بِلِ نِهَايَةَ حَيَاتِهَا، تَوَسَّلَتْ بِاللَّهَاءِ، اللَّهَاءِ الْغَرِيزِيِّ، اللَّهَاءِ الَّذِي اسْتَعَاصَتْ بِهِ الْمَرْأَةُ عَنِ الضَّعْفِ، وَرَمَتْ أَنَا سَهْمَهَا فَأَصَابَ .

وَمَا هُوَذَا يَتَحَرَّقُ عَلَى نَارٍ وَيَوَدُّ أَنْ يَكْتَشِفَ الْأَسْرَارَ .

وَجَاءَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ رَسُولٌ لِلْأَمِيرَةِ بَتْسِي يَعْذِرُ بِالنِّيَابَةِ عَنِ سَيِّدَتِهِ لِاضْطِرَارِهَا إِلَى التَّخْلُفِ وَعَدَمِ الْحُضُورِ، وَيَرْجُو أَنَا أَنْ تُوَفِّقَهَا إِلَى بَيْتِهَا .

غَيْرَ أَنَّ أَنَا اعْتَدَرْتُ لِلرَّسُولِ وَبَيَّنْتُ لَهُ مِنَ الْحُجَجِ مَا أَقْنَعُهُ، فَأَجَابَهَا وَهُوَ يَنْحَنِي بِاحْتِرَامٍ: «إِنَّ شَيْئًا وَشَاءَ أَصْدِقَاؤُكَ أَنْ تَشْهَدُوا الْمُعْنِيَةَ بَاتِي فِي دَارِ الْأُوبْرَا فَبَاسْتِطَاعَتِي أَنْ تَدَبَّرَ لَكُمْ مَقْصُورَةً خَاصَّةً» .

فَقَالَتْ أَنَا وَعَيْنَاهَا تَلْمَعَانٍ: «إِنَّ مِنْ دَوَاعِي سُرُورِي أَنْ أَذْهَبَ، وَإِنِّي الْآنَ أَوْدُ أَنْ أَسْتَبْقِيكَ لِتَتَنَاوَلَ الطَّعَامَ مَعَنَا» .

فَحَمَلَقَ فَرُونَسْكِ بَعِينِيهِ غَيْرَ مُصَدِّقٍ أُذْنِيهِ . مَاذَا أَلَمَّ بِهَا فَجَعَلَهَا تُلِحُّ عَلَى رَسُولِ بَتْسِي فِي الْبَقَاءِ وَتَنَاوُلِ الْعِشَاءِ؟ ثُمَّ مَاذَا حَدَاها عَلَى قَبُولِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْأُوبْرَا، وَهِيَ تَعْلَمُ عَنِ يَقِينِ أَنَّهَا سَتَلْتَقِي الطَّبَقَةَ الْعُلْيَا الَّتِي تَجَاهَلْتَهَا وَتَجَبَّنْتَهَا وَلَمْ تَحْفَلْ بِمَقْدَمِهَا إِلَى بَطْرَسْبِرْجِ؟ وَرَأَتْ الْحِيرَةَ مُرْتَسِمَةً فِي عَيْنِيهِ فَرَادَ بَرِيْقُ عَيْنِيهَا، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ بِتَحَدٍّ نَظْرَةً تَجَمَّعَ فِيهَا مَرَحٌ

(١) يَرْتَكِبُ الشَّطَطَ: يَتَّبَعِدُ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ وَاللِّيَاقَةِ .

(٢) إِذَا: فَظِيْعًا .

وَقنُوطٌ، كما انْبَنَقَ مِنْهَا شَرَرٌ عَجِيبٌ أَخَافُهُ وَأَذْهَلُهُ فِي وَقْتِ وَاحِدٍ.

وَأَتَقَدَّ الْمَوْفَقَ حُضُورُ الْأَمِيرِ يَاشْفِينِ. وَلَمْ يُعْتَمِ الْجَمِيعُ أَنْ أَحَاطُوا بِمَائِدَةِ الطَّعَامِ
وَأَقْبَلُوا عَلَى الْأَكْلِ يَلْتَهِمُونَهُ وَعَلَى الْخَمْرِ يَرِشِفُونَهَا.

وَعَبَّتْ أَنَا مُقَدَّارًا كَبِيرًا، وَطَفَفْتُ تَرْنُو إِلَى الْأَمِيرِ يَاشْفِينِ بَنَظَرَاتٍ مُدَلِّةٍ مُغْرِبِيَّةٍ، وَلَمْ تَبْخُلْ
عَلَى الرَّسُولِ بِمِثْلِ تِلْكَ النَّظَرَاتِ.

وَكَتَمَ فَرُونَسْكِ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ غِلٍّ، وَمَا لَبَّتْ بَعْدَ فَرَاغِهِمْ مِنْ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ أَنْ اصْطَحَبَ
الْأَمِيرَ إِلَى حُجْرَتِهِ حَيْثُ جَلَسَا يُدْخَنَانِ وَيَتَحَادَثَانِ.

وَصَعِدَ بَعْدَ حِينٍ، فَأَلْفَى أَنَا مُتَلَفَعَةً بِثُوبٍ قَشِيبٍ صُنِعَ فِي بَارِيسَ خِصِيصًا لَهَا. كَمَا أَنَّهَا
زَيَّنَتْ رَأْسَهَا الْجَمِيلَ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْحَرِيرِ الْمُطَعَّمِ. فُبِهَتْ، وَأَثَّرَ فِيهِ هَذَا الْجَمَالُ، وَخِيَلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ
لَمْ يَرِ مِثْلَهُ مِنْ قَبْلُ.

وَسَأَلَهَا قَائِلًا: «هَلْ تُزْمِعِينَ الذَّهَابَ إِلَى دَارِ الْأَوْبَرِ؟»

قَالَتْ: «نَعَمْ إِنِّي ذَاهِبَةٌ لَا مَحَالَةَ، فَمَاذَا يُخِيفُكَ؟»

قَالَ: «لَسْتُ بِخَائِفٍ وَإِنَّمَا أَنَا مُتَعَجِّبٌ».

فَأَغْضَتْ عَنْ تَهَكُّمِهِ وَغَضَبِهِ وَقَالَتْ: «إِنِّي مُصَمِّمَةٌ عَلَى الذَّهَابِ، فَقَدْ مَضَى عَلَيْنَا زَمَنٌ
وَنَحْنُ نَحْيَا فِي عُزْلَةٍ وَوَحْشِيَّةٍ».

فَهَتَفَتْ، وَصَوْتُهُ يَكَادُ يَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى صَوْتِ زَوْجِهَا يَوْمَ أَهَابَ بِهَا أَنْ تَرَعُويَ، قَالَ:
«أَنَا! فَكَّرِي، فَكَّرِي. مَاذَا أَصَابَكَ؟»

قَالَتْ: «أَجْدُرُ بِي أَنْ أَطْرَحَ عَلَيْكَ أَنَا هَذَا السُّؤَالَ».

قَالَ: «وَلِمَ تَتَجَاهَلِينَ مُتَعَمِّدَةً الْحَقِيقَةَ الْجَلِيلَةَ؟ أَلَا تُبْصِرِينَ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ ذَهَابُكَ إِلَى
الْأَوْبَرِ مِنْ خُرْقٍ وَأَفْنٍ؟»

قَالَتْ: «إِنِّي ذَاهِبَةٌ مَعَ الْأَمِيرَةِ».

فَلَوَّحَ بِيَدِهِ وَاسْتَلَى، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ كَلِمَاتِهَا: «تَعَقَّلِي يَا أَنَا، فَأَنْتِ... أَنْتِ...».

فَعَارَضَتْهُ مُحَدِّمَةً، وَصَاحَتْ: «كَفَى، كَفَى... وَاعْلَمْ أَنِّي لَا أَنْرَدُّدُ عَنْ إِثْبَانِ مَا أَتَيْتُ

وَلَوْ أَلْفَيْتُ نَفْسِي مُنْجَرِفَةً بِذَلِكَ التَّيَّارِ الْكَرْبِيِّ الَّذِي جَرَفْتَنِي بِهِ الْحَيَاةُ مَعَ زَوْجِي لَسِنِينَ
وَسِنِينَ» .

وَنظَرْتُ إِلَيْهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهَا وَتَابَعْتُ بِصَوْتِ عَمِيقٍ: «أَيُّ أَلِكْسِيِّ فَرُونْسِكِيِّ! إِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي
يَعْنِينَا بِالذَّرَجَةِ الْأُولَى هُوَ هَلْ يَشِجُ بَيْنَنَا حُبٌّ؟ هَلْ تَصِلُ بَيْنَ قَلْبَيْنَا عَاطِفَةٌ؟ هَلْ يَرِيبُ رُوحِينَا
إِخْلَاصٌ وَتَزَاهَةٌ وَإِضْرَارٌ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ فِي الْإِخْلَاصِ إِلَى مَا لَا نِهَآيَةَ لَهُ؟ هَذَا هُوَ مِخْوَرُ
حَيَاتِنَا الْآنَ، هَذَا هُوَ الْهَوَاءُ الَّذِي نَتَنَفَّسُ، وَالضِّيَاءُ الَّذِي نُبْصِرُ الدُّنْيَا مِنْ خِلَالِهِ. أَمَّا النَّاسُ،
أَمَّا النَّاسُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْمَادِّيَّةَ، مَادِّيَّةَ السَّفْسَطَةِ وَالْهَذَرِ وَقِلَّةِ الْحَذَرِ فِي مَا يَقُولُونَ وَفِي مَا
يَفْعَلُونَ، فَلَسْنَا نُقِيمُ لَهُمْ وَزْنَآ! وَسَأَبْقِي مَعَكَ لِأَنِّي أَهْوَاكَ، سَأَبْقِي أَعِيشُ فِي كَنَفِكَ إِنْ كُنْتُ
عَلَى حُبِّي مُقِيمًا وَلِعَهْدِكَ لِي أَمِينًا» .

وَصَعَدَ فِيهَا طَرْفُهُ الْمَأْخُودَ. إِنَّهَا بَارِعَةُ الْجَمَالِ؛ إِنَّ كُلَّ جُزْءٍ أَوْ ثِيْبَةٍ فِي قَدِّهَا يُسَخِّحُ
حَمْدًا لِمَنْ سَبَّكَهَا فِي هَذَا الْقَالِبِ؛ لِكَيْتَهُ كَانَ مُتَأَثِّرًا مِنْ شُدُودِهَا، فَقَالَ وَعَيْنَاهُ تَشِيَانِ
بِامْتِعَاضَةٍ: «وَهَلْ بِي حَاجَةٌ إِلَى إِثْبَاتِ صِدْقِي وَمَحَبَّتِي؟ أَوْلَسْتُ الْآنَ عَاشِقًا يَضْرَعُ إِلَى
مَحْبُوبِيهِ أَنْ تَعْدِلَ عَمَّا وَطَّئْتَ النَّفْسَ عَلَيْهِ فَلَا تَذْهَبِ إِلَى الْأَوْبَرَا؟»

فَقَالَتْ: «أَنْتِ غَامِضٌ اللَّيْلَةَ يَا فَرُونْسِكِي، وَلَسْتُ أَرَى فِي ذَهَابِي مَأْخُذًا أَوْ سُبَّةً. فَلَا أَمِيرُ
يَاشْفِينُ صَدِيقُ أَمِينٌ، وَالْأَمِيرَةُ الْعَجُوزُ أَفْضَلُ مِنْ سِوَاهَا، فَمَاذَا فِي ذَهَابِي مَعَهُمَا؟»

وَذَهَبُوا إِلَى دَارِ الْأَوْبَرَا، ذَهَبَتْ أَنَا بِصُحْبَةِ الْأَمِيرِ يَاشْفِينِ وَالْأَمِيرَةِ أُوْبَلِنْسِكِيِّ وَرَسُولِ
بِتْسِيِّ، وَتَبِعَهُمْ فَرُونْسِكِي بَعْدَ سَاعَةٍ. فَلَمَّا غَشِيَ الْمَكَانَ كَانَتْ الْأَنْوَارُ تَشِعُّ مُتَوَهِّجَةً وَكَانَ
الْجَمِيعُ يُصَفِّقُونَ بِحَمَاسَةٍ مُنْقَطِعَةِ النَّظِيرِ لِلْمُمَثَّلَةِ الْمُغْنِيَّةِ .

وَأَجَالَ فَرُونْسِكِي طَرْفَهُ فِي الْحَشْدِ، فَشَاهَدَ وُجُوهًا جَمِيلَةً يَعْرِفُهَا، وَرَأَى رِجَالًا كَثِيرِينَ
كَانُوا فِي مَا مَضَى يَخْطُبُونَ وَدَّهُ. وَلَا حَظَّ أَنَّ الْكَثِيرِينَ وَالْكَثِيرَاتِ يَتَّجِهُونَ بِأَبْصَارِهِمْ إِلَى
إِحْدَى الْمَقْصُورَاتِ، فَأَيَّقْنَ أَنَّهَا مَقْصُورَةٌ أَنَا، فَصَوَّبَ إِلَيْهَا نَظْرَةً مِنْ وَرَاءِ الْمِنْظَارِ الْمُكَبَّرِ،
وَرَأَاهَا. رَأَى رَأْسَهَا الصَّغِيرَ الْجَمِيلَ، وَتَبَيَّنَ افْتِرَازَتَهَا^(١) السَّاحِرَةَ الْعَذْبَةَ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَلْمَحَ

(١) الافترازة: الانبساطة.

الشُّعْلَةَ الَّتِي أُبْتَنِّتُ مِنْ وَجْهِهَا، وَكَذَلِكَ الْهَالَةَ السَّاطِعَةَ الَّتِي أَحَاطَتْ ذَلِكَ الْوَجْهَ الْفَاتِنَ بِكُلِّ مَظَاهِرِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْإِبَاءِ.

وَمَعَ ذَلِكَ، فَقَدْ خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّ جَمَالَهَا فَقَدَ كَثِيرًا مِنْ رَوْقِهِ السَّابِقِ، وَأَنَّهُ اخْتَلَطَ بِالشَّرِّ وَأَنْصَهَرَ مَعَ الْأَذِيَّةِ.

وَفَجْأَةً اشْتَرَعَتْ انْتِبَاهَهُ حَرَكَةٌ غَيْرُ عَادِيَّةٍ فِي الْمَقْصُورَةِ الْمُجَاوِرَةِ لِمَقْصُورَةِ أَنَا، فَرَكَّزَ مِنْظَارَهُ عَلَيْهَا، وَعَرَفَ مَنْ فِيهَا. كَانَتْ فِيهَا عَائِلَةٌ مِنَ الْعَائِلَاتِ الْوَثِيقَةِ الصَّلَةِ بِأَنَا، وَكَانَتْ رَبَّةُ تِلْكَ الْعَائِلَةِ قَدْ هَمَّتْ بِمِعْطُفِهَا تَرْتَدِيهِ بِعَصْبِيَّةٍ ظَاهِرَةٍ، بَيْنَمَا وَقَفَ زَوْجُهَا وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يُهْدِيَّ مِنْ ثَائِرَتِهَا. وَخَرَجَتِ الْمَرْأَةُ، وَتَلَكَّأَ الزَّوْجُ وَجَعَلَ يَخْتَلِسُ النَّظْرَاتِ إِلَى وَجْهِ أَنَا فِي ضِرَاعَةٍ وَاسْتِجْدَاءٍ. غَيْرَ أَنَّهَا تَجَاهَلْتُهُ وَلَبِثَتْ تُجَادِبُ أَصْحَابَهَا أَطْرَافَ الْحَدِيثِ، وَإِنْ بَدَأَ جَلِيًّا أَنَّهَا وَمَنْ مَعَهَا كَانُوا قَدْ أَصَابَهُمْ قَلْقٌ وَاضْطْرَابٌ لِمَا حَدَّثَتْ فِي الْمَقْصُورَةِ الْمُجَاوِرَةِ.

وَعَجِبَ فَرُونسْكِ وَلَمْ يَنْهَمْ مَا حَدَّثَتْ، بَيِّدَ أَنَّهُ أَيَقِنَنَّ أَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَجْلِسُ فِي تِلْكَ الْمَقْصُورَةِ تَعَمَّدَتْ أَنْ تُلْحِقَ الْإِهَانَةَ بِأَنَا.

وَشَاءَ أَنْ يَعْرِفَ الْحَقِيقَةَ، فَسَارَعَ إِلَى مَقْصُورَةِ شَقِيقِهِ، فَالْتَقَى زَوْجَتَهُ عَلَى بَابِ الْمَقْصُورَةِ، فَصَافَحَهَا وَوَقَفَ يُحَادِثُهَا.

وَقَالَتْ فَارِيَا: «يَا لِلْمَرْأَةِ الْوَقِيحَةِ لَقَدْ ارْتَكَبَتْ أَمْرًا دَنِيًّا!»

قَالَ: «وَمَاذَا حَدَّثَتْ؟»

قَالَتْ: «أَمَا سَمِعْتَ؟»

قَالَ: «لَا، لَمْ أَسْمَعْ، فَمَاذَا جَرَى؟»

قَالَتْ: «كَانَتْ أَنَا كَارِنِيَا تَتَّجَادِبُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ مَعَ السَّيِّدِ كَارِنَاسُوفَ، عِنْدَمَا هَبَّتْ زَوْجَتُهُ الْأَخِيرَ وَاقِفَةً وَتَقَوَّهَتْ بِعِبَارَةٍ نَابِيَّةٍ، وَوَصَمَتْ أَنَا بِالنَّقِيسَةِ، ثُمَّ غَادَرَتِ الْمَكَانَ!»

فَفَكَّرَ فَرُونسْكِ مَلِيًّا. وَبَيْنَا هُوَ يُنْصِتُ إِلَى فَارِيَا، دَنَا مِنْهُ شَخْصٌ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُلِمَّ بِأَمِّهِ فَهِيَ تَرَعَّبُ فِي رُؤْيَيْتِهِ.

فَمَشَى مِنْ دُونِ أَنْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ، وَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ، فَحَيَّاها وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا، فَقَالَتْ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ نَظْرَاتٍ ذَاتِ مَعَانٍ: «أَرَأَيْكَ مُبْتَعِدًا عَنْهَا، فَلِمَ لَا تَذْهَبُ إِلَيْهَا؟ أَمَا تَرَى جَمَالَهَا

الفاثين؟ أما تراه يُزري بجمالِ المُعَنِّيَةِ الأولى؟!»

فقال مُحتدًا: «أفصري، أفصري...».

قالت: «هذا لسانِ حالِ الجميعِ، وأنا أُرَدُّ كَلِماتِ النَّاسِ، لَيْسَ إِلَّا».

فتلَّفتِ فرونسكري حوله، ثمَّ غادرَ أمَّهُ وهو يكادُ ينفجرُ مِنَ العَيْظِ. وقد نَمَّ على أنا مَجِيئِها إلى الأوبرا، وغَضِبَ كثيرًا بسببِ رُعونتها. ألمَ يَنصَحُها بالأناة؟ ألمَ يَتَوَسَّلْ إليها أَنْ تَعْدِلَ عَنِ المَجِيءِ؟ لَقَدْ تَأَجَّم غَيْظًا، وَلَكِنَّهُ أَشْفَقَ عَلَيْها، وكادَ يَبْكِي تَوَجُّعًا لها.

وسارَعَ مُتَّجِهاً إلى مَقْصورتِها، ووقَّفَ تِلْقَاءَها. فلَمَّا رَأَتْهُ قالتِ ساخِرَةً: «ها أنتِ قَدْ جِئْتِ أخيرًا، ولكن... ولكن...».

وأُطْفِئَتِ الأنوارُ، فعادَ مِنْ حَيْثُ أتى.

وحانتَ مِنْهُ التِّفائَةُ بَعْدَ حِينٍ، فألْفَى مَقْصورةَ أَنَا خالِيَةً، فنَهَضَ مِنْ مَكَانِهِ وغادرَ الدَّارَ مُسرِّعًا، وانطلقَ إلى المُنْذِقِ وَقَلْبُهُ يَتَمَرَّعُ^(١) أَلَمًا وحَسْرَةً.

ودخَلَ قاعةَ الإِسْتِقبالِ المُلْحَمَّةَ بجناحِ أَنَا، فرأها تَجْلِسُ على الأريكةِ بِمَلايِسِ السَّهْرَةِ، وقد شَخِصَتْ إلى الأمامِ بِطَرْفِ شارِدِ بائِسٍ.

ورأته أَنَا فتململتُ.

وهتَفَ هوَ بِصوتِ شديدٍ: «أنا...».

ووثبتتِ مِنْ مَكَانِها قائلةً: «فرونسكري! أنتَ السَّبَبُ. أنتَ السَّبَبُ...».

قال: «بل أنتِ. أنتِ مجنونَةٌ. ألمَ أَبْتهِلَ إِلَيْكَ أَنْ لا تَذْهَبِي؟ ألمَ أَتَضَرَّعُ أَنْ تَمْكُنِي معي هُنا؟»

قالت: «أوه! ما أَبشَعَ كَلامَ هذِهِ المَرْأَةِ الوَواحِ! لَقَدْ قالتِ لِزَوجِها: اِبْتَعِدْ... اِبْتَعِدْ...»

لا تَجْلِسِ قَريبًا مِنْ هذِهِ المَخْلُوقَةِ المُلَطَّخَةِ!»

قال: «أوتُقيمينَ وَزنا لثُرثرةَ بَلْهاء؟»

قالت: «إني اكرهك، أكرهُ بُرودَكَ وجمودَكَ!»

(١) يَتَمَرَّعُ: يَتَقَطَّعُ.

قال: «برودي وجمودي؟»

قالت: «أجل، أجل... لو كنت تُحِبُّني لَمَا دَهَبْتُ اللَّيْلَةَ إِلَى دَارِ الْأَوْبَرِ».

وَرَنْتُ إِلَيْهِ بِطَرْفٍ مُخْضَلٍّ، فَكَادَ دَمْعُهُ يَسِيلُ مِنْ عَيْنَيْهِ، وَشَعَرَ بِالتَّعَاسَةِ، وَرَثَى لَهَا، وَجَعَلَ يُلْقِي عَلَى مَسَامِعِهَا كَلِمَاتِ الْحُبِّ، وَيُؤَكِّدُ لَهَا أَنَّهَ مَشْغُوفٌ بِهَا، وَأَنَّ حُبَّهَا قَدِ اسْتَوْعَبَ فِكْرَهُ، وَمَلَأَ قَلْبَهُ وَحَيَاتَهُ.

وَهَدَأَتْ أَنَا، فَدَنْتُ مِنْهُ وَقَبَّلْتُهُ؛ وَنَامَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ قَرِيرَةً الْعَيْنِ نَاعِمَةً الْبَالِ.

أَمَّا هُوَ فَقَدْ نَطَقَ بِكَلِمَاتِ الْحُبِّ مُكْرَهًا. وَعَجِبَ لِنَفْسِهِ، فَتَوَلَّاهُ مِنْ اشمِزازه مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ذُهُولٌ وَدَهْشَةٌ.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفَصْلِ عُنْوَانًا مُنَاسِبًا .
- ٢ - أترى أَنَّ المَسَلَكَ الَّذِي سَلَكَتُهُ أَنَا فِي هَذَا الفَصْلِ مِنَ الرِّوَايَةِ يَحُلُّ مَشَاكِلَهَا، أَمْ يَزِيدُهَا تَعْقِيدًا؟ أَوْضِحْ مَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ مِنْ رَأْيٍ .
- ٣ - تُرى، أَكَانَتْ زَوْجَةُ السَّيِّدِ كَارِنَاسُوف تَفْعَلُ مَا فَعَلْتَ لَوْ أَنَّ زَوْجَهَا تَبَادَلَ الحَدِيثَ مَعَ امْرَأَةٍ مُحْتَشِمَةٍ؟ عِلِّلْ إِجَابَتَكَ .
- ٤ - حَاوَلْتُ أَنَا إِثَارَةَ غَيْرَةِ عَشيقِهَا فَرُونسِكِي . فَهَلْ تَرَى ذَلِكَ يُؤَثِّرُ فِي الرَّجُلِ؟ وَإِلَى أَيِّ مَدَى؟
- ٥ - أَرَأَيْتَ فَرُونسِكِي صَادِقًا فِي التَّعْبِيرِ عَنِ حُبِّهِ فِي خِتَامِ الفَصْلِ؟ وَلِمَاذَا؟
- ٦ - أترى أَنَّ الاضطرابَ الَّذِي انْتَهَتْ إِلَيْهِ أَنَا كَانَ مُتَظَرًّا، أَمْ تَرَاهُ مُفَاجِئًا للقارئِ؟ عِلِّلْ مَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ .
- ٧ - بِأَيِّ الأَسَالِبِ الرِّوَايَةِ عَرَضَ الكَاتِبُ أَحْدَاثَ هَذَا الفَصْلِ؟ أبالسردِ المُبَاشِرِ، أَمْ بالنَّجْوَى الدَّاخِلِيَّةِ، أَمْ بِالْحِوَارِ؟ وَهَلْ كَانَ مُوَفَّقًا فِي أُسْلُوبِ عَرَضِهِ هَذَا؟ أَوْضِحْ رَأْيَكَ .

الفصل السادس

كَانَتْ دَارِيَا وَأَوْلَادُهَا الصَّغَارُ قَدْ تَوَجَّهُوا إِلَى قَرْيَةِ لَيْفِينَ زَوْجِ كَاتِرِينَ لِيَقْضُوا مَعَ الزَّوْجَيْنِ جَانِبًا مِنْ فَضْلِ الصَّيْفِ. وَهُنَاكَ بَلَّغَهُمْ نَبَأَ رُجُوعِ فَرُونْسِكِي وَمَعَهُ أَنَا إِلَى مَرْعِيَةِ.

فَأَزْمَعَتْ دَارِيَا أَنْ تَزُورَ أَنَا. وَمَعَ أَنَّهَا كَانَتْ تَعْلَمُ بِقِصَّةِ فَرُونْسِكِي وَشَقِيْقَتَيْهَا، وَمَا تَبِعَ تَعَرَّفَ الشَّابَّ بَأَنَّا مِنْ حَوَادِثَ صَرَفْتَهُ صَرَفًا عَنِ شَقِيْقَتَيْهَا، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَرَ فِي كُلِّ ذَلِكَ مَا يَعُوقُهَا عَنِ زِيَارَتِهَا.

وَوَصَلَتْ دَارِيَا بَعْدَ مَسِيرَةِ نَهَارٍ كَامِلٍ فِي الْعَرَبِيَّةِ، فَاسْتَقْبَلَتْهَا أَنَا أَجْمَلَ اسْتِقْبَالٍ، وَعَانَقْتُهَا، وَقَبَّلْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: «رُبَّمَا عَجِبْتِ يَا عَزِيزَتِي لِمَا أَظْهَرُهُ مِنْ سَعَادَةٍ وَهَنَاءٍ، عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا لَحِقَ بِي مِنْ مَصَاعِبٍ وَمَتَاعِبٍ. أَلَا فَاغْلَمِي أَنَّ الْعِصَا السَّحْرِيَّةَ قَدْ أَصَابَتْ قَلْبِي، فَتَجَوَّثُ مِنْ حَيَاةٍ مُرْهِقَةٍ مُبْصِئَةٍ مَقِيَّتَةٍ، لِأُظْفَرَ بِحَيَاةٍ هَانِيَّةٍ سَعِيدَةٍ».

وَاخْتَلَسَتْ إِلَى ضَيْفَتِهَا نَظْرَةً مُتَأَمِّلَةً. وَقَالَتْ دَارِيَا: «وَهَذَا يَمْلَأُ قَلْبِي سُورًا يَا أَنَا. بِيَدِ أَنِّي طَالَمَا تَسَاءَلْتُ عَنْ سَبَبِ امْتِنَاعِكَ عَنِ الْكِتَابَةِ إِلَيَّ، فَلِمَاذَا يَا تُرَى لَمْ تَكْتُبِي؟»
قَالَتْ: «تَسْأَلِنِي لِمَاذَا؟ إِغْلَمِي أَنِّي لَمْ أَجْرُؤُ عَلَى الْكِتَابَةِ».

قَالَتْ: «لَمْ تَجْرُئِي! وَهَلْ تَخَافِينَ مِنِّي؟»

قَالَتْ: «وَكَيْفَ تَنْظُرِينَ إِلَى حَالَتِي؟ وَمَاذَا تَنْظُنِينَ أَنِّي جَدِيدَةٌ بِفِعْلِهِ؟»

- «لَا أُرِيدُ أَنْ أُبْدِي رَأْيًا، إِنِّي أُحِبُّكَ وَقَدْ أَحْبَبْتُكَ دَائِمًا... وَمَتَى كَلِيفَ إِنْسَانٍ بِإِنْسَانٍ آخَرَ فَهُوَ لَا يَرَى فِيهِ إِلَّا حَسَنَاتِهِ وَخَيْرَهُ».

وَتَرَفَّرَقَتِ الدُّمُوعُ فِي مُقْلَتِي أَنَا، فَانْكَسَتْ رَأْسَهَا وَظَهَرَ عَلَيْهَا التَّرْدُّدُ، وَمَا لَيْثَتْ أَنْ قَالَتْ:
«مَهْمَا رَأَيْتِ فِيَّ فَأَنَا جِدُّ مُعْتَبِطَةٍ لِقُدُومِكِ».

وَرَأَتْ دَارِيَا دُمُوعَ صَدِيقَتَيْهَا، فَتَأَثَّرَتْ كَثِيرًا، وَمَدَّتْ يَدَهَا فَرَبَّتَتْ صَدْرَهَا وَهِيَ تَقُولُ:

«خَفَّفِي عَنْكَ يَا أَنَا، إِصْبِرِي وَلَا تَسْتَسْلِمِي لِلْيَأْسِ».

فَابْتَسَمَتْ أَنَا وَقَالَتْ: «أَلَا تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَمْكُنِي مَعِيَ بَعْضَ الْوَقْتِ؟»

- «كَلَّا يَا عَزِيزَتِي، فَأَنَا لَا يُمَكِّنُنِي تَرْكُ أَطْفَالِي وَحَدَهُمْ».

فَامْسَكْتُهَا أَنَا مِنْ يَدِهَا، وَمَسَّتْ مَعَهَا إِلَى رَذَهَةِ الْإِسْتِيقَالِ، ثُمَّ جَلَسَتْ بِجَانِبِهَا عَلَى أَرِيكَةٍ وَثِيرَةٍ، وَجَعَلَتْ تُحَدِّثُهَا وَتَسْأَلُهَا عَنْ شُؤْنِهَا. وَمَا لَيْتُ دَارِيَا أَنْ حَدَّثَتْهَا عَنْ بَنِيهَا وَبَنَاتِهَا، وَعَنْ تَوْبَةِ زَوْجِهَا، شَقِيقِ أَنَا. وَعَظَفْتُ بَعْدَ ذَلِكَ تَسْأَلُهَا عَنْ حَيَاتِهَا فِي الرَّيْفِ وَعَنْ مَدَى شَوْقِهَا إِلَى ابْنِهَا سِيرَجَ.

وَشَاءَتْ أَنَا أَنْ تُحَوِّلَ دَقَّةَ الْحَدِيثِ، فَقَالَتْ: «لَكُمْ كُنْتُ أَتَمَنَّى لَوْ دَعَوْتُمْكُمْ إِلَى قَضَاءِ بِيضَةِ أَيَّامٍ مَعَنَا فِي مَزْرَعَةِ فَرُونْسِكِيِّ...».

وَتَصَاعَدَ الذَّمُّ بَعْثَةً إِلَى وَجْهِهَا لَدَى ذِكْرِهَا اسْمَ عَشِيقِهَا.

وَأَجَابَتْ دَارِيَا بِلِسَانٍ مُتَلَعِّمٍ دَلَّ عَلَى حَيْرَتِهَا: «هَذَا جَمِيلٌ وَلَكِنْ... وَلَكِنْ...».

وَسَارَعَتْ أَنَا تَقُولُ: «إِنِّي أَهْدِي، وَأُرَدِّدُ أَقْوَالَ لَا تَتَحَقَّقُ، وَلَعَلَّ زِيَارَتِكَ الْمُفَاجِئَةَ جَعَلْتَنِي أَتَحَلَّى عَنْ وَقَارِي. أَمَّا مَا أَوَدُّ أَنْ أُبَيِّنَهُ لَكَ، فَهُوَ أَنَّ امْرَأَةً اخْتَارَتْ مَا رَأَتْهُ مُنَاسِبًا لَهَا، حَتَّى تَقْضِيَ أَيَّامَهَا فِي عَيْشِ حُلُوٍ وَبَالٍ حِلُوٍ».

وَجَاءَ فَرُونْسِكِي فَاضْطَحَبَ الْمَرَاتِينَ إِلَى الْحَدِيقَةِ، ثُمَّ اسْتَقَلُّوا زَوْرَقًا صَغِيرًا رَادُوا بِهِ النَّهْرَ. وَقَدْ سُرَّتْ دَارِيَا مِنْ الْمَنَاطِرِ الْخَلَّابَةِ الَّتِي شَاهَدَتْهَا، كَمَا أَنَّ فَرُونْسِكِي وَشَخْصِيَّتَهُ الْجَدَّابَةَ سَاهَمَا كَثِيرًا فِي مُضَاعَفَةِ سُورِهَا وَمُتَعَّتِهَا.

وَلَمْ تَمْلِكْ، وَهِيَ تَتَأَمَّلُ فِي الشَّابِّ، أَنْ نَاجَتْ نَفْسَهَا بِقَوْلِهَا: «إِنَّهُ نَعَمَ الشَّابُّ، جَمِيلٌ، كَيْسٌ، حُلُوُ الشَّمَائِلِ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ أَنَا مَعْذُورَةٌ فِي تَعَلُّقِهَا بِهِ».

وَرَجَعُوا مِنَ النَّهْرِ فَجَلَسُوا فِي الْحَدِيقَةِ ثُمَّ جَاسُوا خِلَالَهَا. وَأَنْتَهَرَ فَرُونْسِكِي فُرْصَةَ ابْتِعَادِ أَنَا عَنْهُمَا فَأَنْشَأَ يُحَدِّثُ دَارِيَا وَيَقُولُ: «إِنَّكَ كَمَا أَتَيْتُ صَدِيقَةً مُخْلِصَةً لِأَنَا، وَتَقْدِيرِينَ مَصَاعِبَهَا، كَمَا تُقْدِرِينَ مَوْقِفَهَا الْحَرِجَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُجْتَمَعِ».

فَقَالَتْ دَارِيَا: «أَجَلْ، إِنِّي صَدِيقَةٌ وَمُحِبَّةٌ، وَلَكِنْ...».

فَقَاطَعَهَا قَائِلًا: «وَأَشْعُرُ أَنِّي الْمَسْئُولُ عَنْ كُلِّ مَا لِحَقِّ بَأَنَا مِنْ مَكْرُوهٍ، وَهَذَا يُضَاعِفُ

هَمِّي وَيُضِيفُ إِلَى حِمْلِي أَنْقَالًا كَثِيرَةً».

- «لَا تَكُنْ مُسْرِفًا فِي التَّشَاؤِمِ يَا صَدِيقِي؛ إِنَّكَ شَهْمٌ، بَيِّدَ أَنْ غُلُوكَ فِي تَحْمِيلِ الْمَسْئُولِيَّةِ خَطَأً لَا يُسَوِّغُهُ شَيْءٌ».

- «كَلَّا، بَلْ أَنَا الْمَسْئُولُ، وَأَنَا الْمَلُومُ. وَاعْلَمِي أَنَّ أَنَا تَعِيشُ فِي جَحِيمٍ مِنَ الْفِكْرِ؛ وَإِخَالُكَ تَعْجِزِينَ عَنِ إِدْرَاكِ مَا تَتَرَمَّضُ فِيهِ أَنَا مِنْ عَذَابٍ، وَخُصُوصًا فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي فَضَيْنَاهَا فِي بَطْرَسْبِرَج».

- «بَيِّدَ أَنْكُمَا غَادَرْتُمَا بَطْرَسْبِرَجَ، وَتَخَلَّصْتُمَا مِنْ تِلْكَ الْهَمَّاسَاتِ الْمُجْرِمَةِ الَّتِي فَتَحَتْ كُلُومَ أَنَا وَنَكَأَتْ جُرُوحَهَا. وَإِنْ أَنْتُمَا تَخَلَّيْتُمَا عَنِ الْمُجْتَمَعِ مِنْ دُونِ أَنْ تَأْسَفَا عَلَى ذَلِكَ، حُزْنًا الرَّاحَةَ النَّفْسِيَّةَ وَالْهُدُوءَ وَالِاسْتِقْرَارَ».

- «أَصَبْتِ يَا دَارِيَا، وَأَضْدُفُكِ أَنَّ أَنَا قَدْ تَغَيَّرْتُ كَثِيرًا مُنْذُ مَجِيئِنَا، وَهِيَ تَبْدُو الْآنَ مُنْشَرِحَةً مُعْتَبِطَةً. فَهَلْ تَدُومُ سَعَادَتُهَا؟ وَهَلْ يَتْرُكُنَا النَّاسُ وَشَانُنَا؟ ثُمَّ، هَلْ نَسْتَطِيعُ نَحْنُ أَنْ نَسْتَمِرَّ وَأَنْ نُنَجِّبَ الْأَطْفَالَ مِنْ دُونِ أَنْ نُثِيرَ صَجَّةَ حَوْلِنَا؟ وَكَيْفَ لَنَا إِنْ فَعَلْنَا أَنْ نَكْسُوَ أَطْفَالَنَا بِالصَّفَةِ الرَّسْمِيَّةِ، الصَّفَةِ الَّتِي تُبْعَدُ عَنْهُمْ الْعَارَ وَالشَّنَارَ^(١)؟ وَالْقَانُونَ يَا دَارِيَا، الْقَانُونَ عَقَبَةٌ لَا يَسْعُنَا تَخْطِئُهَا. إِنَّ لِي ابْنَةً مِنْ أَنَا لَكِنَّهَا فِي نَظَرِ الْقَانُونِ ابْنَةُ أَلِكْسِيسِ كَارْنِينِ! وَإِنْ أَنْجَبْنَا عَدَا وَكَلْدَا آخَرَ، فَهُوَ أَيْضًا ابْنُ أَلِكْسِيسِ كَارْنِينِ، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ لَا يَحْمِلُ اسْمِي بَعْدَ مَوْتِي وَلَا يَرِثُ مَالِي. «وَإِنَّا لَوْ أُوتِينَا مِنَ الْهِنَاءِ أَكْمَلُهُ، وَمِنَ السَّعَادَةِ أَمَّتْهَا، فَسَيَقْتَضِينَا دَائِمًا أَمْرًا، سَنَفْتَقِرُ إِلَى الصَّلَةِ الرَّسْمِيَّةِ، الصَّلَةِ الَّتِي أَوْجَبَتْهَا التَّقَالِيدُ، وَجَعَلَتْ مِنْهَا حَقِيقَةً مُعْتَرَفًا بِهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ».

وَتَأَوُّةَ فَرُونْسَكِي، وَصَمَّتَ قَلِيلًا، ثُمَّ اسْتَتَلَى: «أَنْتِ وَلَا شَكَّ تَقْدِيرِينَ هَذِهِ الْوَضْعِيَّةَ. وَإِنِّي كُلَّمَا فَاتَحْتُ أَنَا بِهِذِهِ الْمَسْأَلَةَ، تَتَأَجَّجُ نَارُ غَضَبِهَا، فَتَشُورُ نَائِرْتُهَا. فَأَنَا لَا تَوَدُّ أَنْ تَرَى الْحَقِيقَةَ، وَأَنَا أُحِبُّهَا، لَكِنَّ الْحُبَّ لَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ يَبْغِي لِرَجُلٍ مِثْلِي أَنْ يُعْنَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ، بَلْ هُنَاكَ وَاجِبَاتٌ كَثِيرَةٌ يَلِيْقُ بِالرَّجُلِ أَنْ يَضْطَلِعَ بِهَا. إِنِّي وَجَدْتُ هَذَا الْعَمَلَ، وَقَدْ وَجَدْتُهُ فِي هَذَا الْمَكَانِ؛ وَلَكِنَّ، أَلَا تَرَيْنَ مَعِيَ أَنَّ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَضْمَنَ قَبْلَ مَوْتِهِ مَنْ يَرِثُهُ وَيَحْمِلُ

(١) الشَّنَارُ: الْعَارُ، أَقْبَحُ الْعَيْبِ.

اسمَهُ وَلَقَبَهُ؟ إِنَّ هَذَا يُنْقِضُنِي يَا سَيِّدَتِي، وَنَفِي أَنَّهُ يُحْزِنُنِي كَثِيرًا.

وَصَمَتَ الشَّابُّ، وَبَانَ الحُزْنَ فِي تَقَاطِعِهِ الوَاسِمَةِ.

وَأَجَابَتْ دَارِيَا: «أَصَبْتَ، وَإِنِّي أَقْرُكَ عَلَى كُلِّ مَا أَبَدَيْتَ، لَكِنِّي لَا أَجِدُ الوَاسِلَةَ الكَفِيلَةَ بِوَضْعِ الأُمُورِ فِي نِصَابِهَا، فَمَاذَا بَرِّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ؟ قُلْ، أَلَدَيْكَ رَأْيٌ وَفِكْرَةٌ؟»

قَالَ: «أَجَلْ، عَلَى أَنَا أَنْ تَتَدَبَّرَ الأَمْرَ، عَلَيَّهَا أَنْ تَحْضَلَ عَلَى الطَّلَاقِ، قَبْلَ أَنْ أَرْفَعَ إِلَى القَيْصِرِ رَجَائِي بِإِقْرَارِ شَرِيعَةِ ابْنَتِي وَإِلْحَاقِهَا بِعَائِلَتِي بِصِفَةِ رَسْمِيَّةٍ. وَلَا يَتَطَلَّبُ هَذَا الأَمْرُ جُهُودًا كَثِيرَةً، فَكَارِنِينَ مُسْتَعِدًّا لِتَنْفِيزِ الطَّلَاقِ، وَيَتَحَتَّمُ عَلَى أَنَا أَنْ تَطْلُبَ إِلَيْهِ ذَلِكَ فِي خِطَابٍ تُرْسِلُهُ فِي القَرِيبِ العَاجِلِ. قَدْ أَتَجَنَّى عَلَيْهَا إِنْ طَالَبْتُهَا بِاتِّبَاعِ هَذِهِ الخُطَّةِ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ بُدٌّ، وَأَرَى أَنْ أَفُوضَ إِلَيْكَ الأَمْرَ، فَهَلْ تَتَحَدَّثِينَ إِلَيْهَا بِهَذَا الشَّانِ؟ إِنَّ لَكَ دَالَّةَ الصَّدَاقَةِ عَلَيْهَا، فَاخْتَلِي بِهَا وَكَلِّمِهَا».

قَالَتْ: «سَأَفْعَلُ ذَلِكَ، لَنْ أَتَأَخَّرَ».

قَالَ: «أَشْكُرُ لَكَ عَطْفَكَ وَإِخْلَاصَكَ يَا سَيِّدَتِي».

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، قَبْلَ أَنْ تَلُوذَ دَارِيَا بِغِرَاشِهَا، جَاءَتْ أَنَا إِلَى حُجْرَتِهَا بِمَلَابِسِ النَّوْمِ، وَجَلَسْتُ بِجَانِبِهَا. وَكَانَتْ قَدْ أَعْرَبَتْ لَهَا قَبْلَ ذَلِكَ عَنْ رَغْبَتِهَا فِي التَّحَدُّثِ إِلَيْهَا سَاعَةً تَخْلُو إِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى.

فَلَمَّا جَاءَتْ فِي تِلْكَ الهِدَاةِ مِنَ اللَّيْلِ، اخْتَارَتْ فِي أَمْرِهَا وَلَمْ تَدِرْ مِنْ أَيْنَ تَبْدَأُ الحَدِيثَ. كَانَ رَأْسُهَا مُفَعَّمًا بِالأَفْكَارِ الَّتِي أَرْمَعَتْ أَنْ تُفْضِي بِهَا إِلَى دَارِيَا، عَلَى أَنَّهَا مَا كَادَتْ تَخْلُو إِلَيْهَا حَتَّى أُلْجِمَ لِسَانُهَا وَاخْتَلَطَ تَفْكِيرُهَا، فَجَعَلَتْ تُحَدِّقُ أَمَامَهَا، وَتُحَاوِلُ جَاهِدَةً أَنْ تُرَكِّزَ تَفْكِيرَهَا عَلَى نُقْطَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَرَأَتْ أَحْيِرًا أَنْ تَبْدَأَ بِالسُّؤَالِ عَنِ كَاتِرِينَ شَقِيقَةِ دَارِيَا، فَتَسَاءَلَتْ هَلْ كَاتِرِينَ غَاضِبَةٌ عَلَيْهَا؟ وَهَلْ هِيَ تُكُنُّ لَهَا الكَرَاهِيَّةَ وَالإِخْتِقَارَ؟

وَقَدْ أَجَابَتْهَا دَارِيَا قَائِلَةً: «إِنَّهَا تُكْرَهُكَ أَوْ تَحْتَقِرُكَ، غَيْرَ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الأُمُورِ لَا تُنْسَى بِسُرْعَةٍ، وَيَتَعَدَّرُ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَغْتَفِرَهَا بِسَهُولَةٍ».

قَالَتْ: «أَصَبْتُ، عَلَى آتِي لَا أَلَامُ عَلَى مَا حَصَلَ، وَلَا أَذْرِي مَنْ هُوَ الْمَلُومُ؛ وَلَا أَذْرِي أَيْضًا إِنْ كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ نَلُومَ أَحَدًا. فَإِنَّ مَا حَدَّثَ كَانَ مُقَدَّرًا لَهُ أَنْ يَحْدُثَ كَمَا كَانَ مُقَدَّرًا لَكَ أَنْ تُصْبِحِي زَوْجَةَ شَقِيقِي سَتِيْفَانَ».

قَالَتْ: «قَدْ تَكُونِينَ مُحِقَّةً فِي تَفْسِيرِكِ، وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ ضَعِيفٌ لَا تَتَسَنَّى لَهُ مُعَالَجَةُ الْأُمُورِ بِمِثْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْفَلْسَفِيَّةِ».

- «وَكَيْفَ تَعِيشُ كَاتِرِينَ مَعَ زَوْجِهَا؟ أَسَعِيدَةٌ هِيَ مَعَهُ؟ أَمْوَقَّةٌ فِي زَوْاجِهَا بِهِ؟»

- «إِنَّهَا سَعِيدَةٌ كُلُّ السَّعَادَةِ، وَإِحَالِ لَيْفِينَ أَنْبَلَ رَجُلٍ عَرَفْتُهُ فِي حَيَاتِي».

- «هَذَا مِنْ دَوَاعِي سُورِي يَا عَزِيزَتِي، فَكَاتِرِينَ حَسَنَاءَ جَمِيلَةٍ تَسْتَحِقُّ كُلَّ خَيْرٍ».

- «دَعِينَا مِنْ حَدِيثِ لَا طَائِلَ تَحْتَهُ»^(١)، وَأَخْبِرِينِي عَنِ نَفْسِكَ، فَقَدْ تَحَدَّثْتُ مَلِيًّا مَعَ

فرونسكي الْيَوْمَ، وَطَرَقْنَا مَوْضُوعًا حَسَّاسًا يَتَّصِلُ بِكَ».

- «وَمَا رَأَيْكَ فِي؟ مَاذَا تَرِينَ فِي حَيَاتِي؟»

- «وَهَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُشْرَحَ مِثْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ الشَّائِكِ بِسَهُولَةٍ وَارْتِجَالٍ؟»

- «لَا تَهَابِي وَلَا تَفْزَعِي، وَقُولِي رَأْيَكَ الصَّرِيحَ بِإِيجازٍ».

- «وَفَرِي عَلَيَّ يَا أَنَا مَا لَا أَحِبُّ أَنْ أَخُوضَ فِيهِ، وَذَرِينِي أَنْبُتِكَ بِحَدِيثِي مَعَ فرونسكي».

- «وَمَاذَا قَالَ لِكَ فرونسكي؟»

- «قَالَ مَا شَعَرْتُ بِلُزُومِهِ. قَالَ مَا هُوَ خَلِيقٌ بِقَوْلِهِ. فَهُوَ تَوَاقٌ إِلَى تَصْحِيحِ الْأَوْضَاعِ،

هُوَ تَوَاقٌ إِلَى بُلُوغِ أَرَبِهِ فِي الزَّوْاجِ بِكَ».

- «أَيُّ يَطْلُبُ إِلَيَّ أَنْ أُحَقِّقَ الطَّلَاقَ. وَهَلْ تَظُنُّنِي لَا أَطْمَحُ بِبَصْرِي إِلَى بُلُوغِ هَذِهِ

النَّتِيجَةِ؟ هَلْ يُحَيِّلُ إِلَيْكَ أَنِّي أُطِيقُ مُوَاصَلَةَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الشَّاذَّةِ بَعْدَ الَّذِي امْتَحَنْتُ بِهِ فِي

بِطْرَسْبَرْجٍ؟ لَقَدْ تَجَنَّبْتَنِي الْجَمِيعُ هُنَاكَ وَوَصَلَ الْأَمْرُ بِتَسِي نَفْسِهَا، وَهِيَ أَحَطُّ مَخْلُوقَةٍ عَلَى

وَجْهِ الْأَرْضِ، إِلَى تَجَنُّبِي وَالتَّهَرُّبِ مِنِّي».

- «إِنَّ فرونسكي يَا عَزِيزَتِي مُتَوَجِّسٌ خَائِفٌ، وَهُوَ يَبْغِي اسْتِكْمَالَ سَعَادَتِهِ فِي الزَّوْاجِ بِكَ

(١) لَا طَائِلَ تَحْتَهُ: لَا نَفْعَ فِيهِ.

طَمَعًا فِي اسْتِرْدَادِ اغْتِبَارِكَ وَرَغْبَةً فِي تَعْرِيزِ وَضْعِيَّةِ ابْنَتِكَ» .

- «على أنني أكثر النساءِ خُضوعًا له، فماذا ينبغي أكثر من ذلك؟»

- «إنَّ فرونسكي شريفٌ مُخلصٌ وهو يربُّا بنفسه عن أن ترضى لك بالامتحان والشقاء، وفوق ذلك فهو، شأنه في ذلك شأن كلِّ أب، ينظرُ إلى المُستقبل، ويعملُ لخير أولاده، أليست الفتاة ابنته؟ ثمَّ ألا يأملُ في مزيدٍ من الأولاد؟»

- «كلا، كلا... فهذا أمرٌ دونه خرطُ القناد! لن أنجبَ أطفالًا آخرين. لقد قال لي الطبيبُ ذلك وأكدّه» .

- «فما رأيك في الطلاقِ إذًا؟» .

- «أرجو أن تكفي يا داريا عن التلقُّظِ بهذه الكلمة» .

- «ولم ذلك؟ أتؤلمك الصراحة؟»

- «كلا، ولكني لا أرى لمشكلتي مخرجًا، إنني كالغريقٍ لا تنفعه قطعةٌ من خشبٍ» .

- «وي! أبكِ وعكَّة أم انحرفَ تفكيرك إلى اتجاهٍ آخر؟ ألا تطلِّين الزواجَ من حبيبك؟ ألا ترغبين في ذلك؟»

- «إنها الأمانةُ الخالدةُ في نفسي، وإني أفكرُ في هذا الأمرِ آتاءَ الليلِ وأطرافِ النهارِ، ولا أستطيعُ إلى التَّوَمِّ سبيلًا إلا متى تعاطيتُ المُخدرَ. غيرَ أن كارنينَ عدلَ عن منحي الطلاقَ، وذلك بتأثيرِ تلكِ المرأةِ التي هيمنتَ عليه وعلى منزله في الأشهرِ الأخيرة» .

ففكرتُ داريا قليلًا وقالتُ: «على أن هذا الاحتمالَ لا يَمَنَعُكَ مِنَ المُحاوَلَةِ» .

- «إنَّ كلَّ مُحاوَلَةٍ مِنْ هَذَا النَّوعِ تَرَجُّعُ عَلَيَّ بِالْمَدَلَّةِ. فأنا، حينَ أَكْتُبُ إِلَيْهِ، أَكْتُبُ كَارِهَةً مُرغَمَةً، وَأَكُونُ كَالْمَرْأَةِ الَّتِي تَعْتَرِفُ بِذَنْبِهَا. وَلَوْ سَلَّمْنَا جَدَلًا أَنَّهُ لَمْ يَرْفُضْ، بَلْ لَبَّى طَلْبِي بِدَاعٍ مِنَ الشَّهَامَةِ وَالشَّفَقَةِ، فَأَيْنَ أَكُونُ مِنَ ابْنِي؟ سَأُحْرَمُ مِنْهُ، سَيُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَسَيُراضُ عَلَيَّ اِحْتِقَارِي وَذَمِّي وَثَلْبِي وَلَغْنِي. إِنِّي أَجِبُّ سِيرَجَ وَأُجِبُّ فَرُونسكي!»

وانتصبتُ واقفةً، وراحتُ تذرُعُ العُرْفَةَ بِخُطُواتٍ سَرِيعَةٍ تَدُلُّ عَلَيَّ انْفِعَالِهَا. وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ تَمَهَّلَتْ أَمَامَ دَارِيَا، وَقَالَتْ وَهِيَ تَحْدِجُهَا بِنَظَرَةٍ بَرَّاقَةٍ: «إِنَّهُمَا الشَّخْصَانِ اللَّذَانِ أُجِبُّهُمَا وَأَوْثَرُهُمَا. إِنَّهُمَا الشَّخْصَانِ اللَّذَانِ أَفَكَّرُ فِيهِمَا، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُحاوِلُ أَنْ يُفْصِي الأَخرَ

عن حياتي . وأنا أعلم علم اليقين أنه يتعذر عليّ نيلهما معاً والحصول عليهما في آنٍ واحدٍ .
وما دامت هذه الأمانة بعيدة كل البعد عني ، فلم يعد لي في حياتي هدف أو مطمح ، وليجر
ما يجري ، فلست أبالي .

- «أنا . . .» .

- «إنك طاهرة القلب يا داريا صافية الإحساس ، ومن المحال أن تفهمي ما أفاسيه ، من
المحال أن تدركي ما أعانيه . فاسدلي - ناشدتك الله - سترًا على هذا الحديث ، ولا
تستوري ، فقد بلغت روجي التراقي» .

وعادت فجلست بجانب داريا ، وتناولت يدها بلطف ، وقبّلت وجهها ، وأنشأت تقول :
«أنت مستغرقة في الفكر ، وفكرك عميق العور؛ وأخشى أن يكون احتقارك لي قد تضاعف .
فلا تفعلي ، لا تحثيريني ، فأنا ناعسة عائرة ، أنا شقية لاغية^(١) . . . أنا امرأةٌ وجدت
لأشقي ، وما وجدت إلا لأموت شقية!»

وأجهشت أنا ، ثم استخرطت في البكاء . واندفعت خارجة ، وولجت عُرفتها ، فجرعت
دواءها المشتمل على المورفين ، وما لبثت أن استلقت على فراشها واستسلمت للرقاد .
وقفلت داريا في اليوم التالي راجعة من حيث أتت . رجعت إلى بيت ليفين في قريته ،
وهي تحمل في ذهنها من الذكريات ما لا يزول أو يُمحى .

(١) لاغية: مُتعبة أشد التعب .

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصلِ عنوانًا مُناسبًا .
- ٢ - في حديثِ فرونسكي مع داريا شكوى وتألُّمٍ، وإحساسٌ بِقُبحِ عاقبةِ ما فَعَلَ . فَهَلْ جاءَ إحساسُهُ هذا مُتأخِّرًا؟ وَلِمَ لم يُقدِّرْ عاقبةَ ما فَعَلَ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ؟ حَاولِ أَنْ تُعلِّلَ ما جَرى .
- ٣ - ما الدَّورُ الَّذِي حَاولَتْ داريا أَنْ تَلْعَبَهُ؟ وَهَلْ نَجَحَتْ في ذلك؟ ولماذا؟
- ٤ - أَلَا تَرى في مَحاوَلَةِ داريا هذه رَدًّا لجميلِ سابقٍ؟ وما هو؟
- ٥ - صرَّحتِ أَنَا في هذا الفصلِ بأنَّ بتسي أخطأ مخلوقَةٌ على وَجْهِ الأَرْضِ، ومَعَ ذلكَ كانتَ مُلجأها ومَوضِعَ سِرِّها . فما تَعليلُ هذا وذاك؟
- ٦ - لم تُعدُّ أَنَا تَنامَ جَيِّدًا . فإِلامَ لَجَأَتْ كَي تَنامَ؟
- ٧ - ما الَّذي تَراه يُمزِّقُ نفسَ أَنَا كارنينا في هذا الفصلِ من الرِّوايةِ؟ وَهَلْ تَراها تَجدُ السَّبيلَ إلى الخِلاصِ؟ وَكيفَ؟
- ٨ - أَوْجِزْ مَضمونَ الفصلِ في أسطرٍ قَليلَةٍ .

الفصل السابع

تَعاقَبَتِ الأَيَّامُ، وَوَلَّى الصَّيْفُ، وَتَصَرَّمَ الحَرِيفُ، وَانْقَضَى جَانِبٌ مِنَ الشَّتَاءِ، وَمَا بَرَحَ فِرُونسِكِي وَأَنَا يُقِيمَانِ فِي الرِّيفِ، وَمَا بَرِحَا يَعِيشَانِ كَمَا كَانَا يَعِيشَانِ مُنْذُ أَشْهُرٍ، وَمِنْ دُونِ أَنْ يَتَّخِذَا الخُطْوَةَ الحَاسِمَةَ الَّتِي تُقَرِّرُ مَصِيرَهُمَا.

وَفِي تِسْرِينَ الثَّانِي (نوفمبر) مِنْ ذَلِكَ العَامِ عُيِّنَ مَوْعِدُ الإِنتِخَابَاتِ المَحَلِّيَّةِ فِي وِلايَةِ كَرْنِسِكِي، حَيْثُ تَتَّشِيرُ أَمْلَاكُ لَيْفِين. وَفِرُونسِكِي وَأوبلنسِكِي وَسِوَاهُم.

وَقَدِ اهْتَمَّ الجَمِيعُ بِهَذَا الحَدِثِ، وَتَوَافَدَ النَّاسُ إِلَى الوِلايَةِ مِنَ المَدِينِ الكُبْرَى. وَشَاءَ فِرُونسِكِي أَنْ يَشْتَرِكَ فِي المَعْمَعَةِ مُؤَيِّدًا أَحَدَ المُرَشَّحِينَ، وَهُوَ صَدِيقٌ حَمِيمٌ لَهُ. وَأَفْضَى لَأَنَا بِمَا عَوَّلَ عَلَيْهِ، غَيْرَ أَنَّهَا عَارَضَتْهُ بِشِدَّةٍ وَلَمْ تُرْضَخْ لَهُ، وَحَصَلَتْ بَيْنَ الإِثْنَيْنِ مُشَادَّةٌ عَنيفَةٌ كَانَتْ لَهَا أَسْوَأُ الأَثَرِ عَلَى فِرُونسِكِي.

وَأَصَرَ فِرُونسِكِي عَلَى الذَّهَابِ، وَلَمَّا سَافَرَ وَدَعَتْهُ أَنَا بِهَدْوٍ لَمْ يَنْتَظِرْهُ، وَلَمْ تَرَدْ عَلَى كَلِمَاتِ الوَدَاعِ إِلَّا سُؤَالَ لَبِقًا عَنِ مَوْعِدِ أَوْبِيَّتِهِ، فَتَجَاهَلَ السُّؤَالَ، وَتَمَنَّى لَهَا أَنْ لَا تَضْجَرَ مِنَ الوَحْدَةِ فِي أَثْنَاءِ غَيْبَتِهِ.

وَذَهَبَ فِرُونسِكِي وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ، وَيَقُولُ: «لا، لا، كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا هَذَا... إِنْني أُقَدِّمُ لَهَا مَا تُرِيدُ، وَأُضْحِي مِنْ أَجْلِهَا بِأَكْثَرِ مِمَّا تُرِيدُ مَا خِلا حُرِّيَّتِي وَاسْتِقْلَالَ ذاتِي».

غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ عَنِ يَقِينٍ أَنَّ اشْتِرَاكَهُ فِي مَعْرَكَةِ الإِنتِخَابِ كَانَ فِي الحَقِيقَةِ بِحَافِزٍ مِنَ المَلَلِ الَّذِي شَابَ حَيَاتَهُ فِي الرِّيفِ، وَكَذَلِكَ بِدَافِعٍ مِنْ رَغْبَتِهِ فِي الظُّهُورِ أَمَامَ نَفْسِهِ وَأَمَامَ أَنَا بِمَظْهَرِ الرَّجُلِ الحَرِيفِ عَلَى حُرِّيَّتِهِ وَاسْتِقْلَالِهِ.

وَبَيْنَا هُوَ فِي اليَوْمِ السَّادِسِ مِنْهُمُكَ فِي الإِخْتِفَالِ بِفَوْزِ صَدِيقِهِ، وَقَدِ احْتَسَدَ قَوْمٌ كَثِيرُونَ فِي قَاعَةِ كُبْرَى، إِذْ بَرَسُولٍ مِنْ قِبَلِ أَنَا يَأْتِيهِ وَيُعْطِيهِ كِتَابًا مِنْهَا.

وَعَلِمَ فَرُونسَكِي قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ الْكِتَابَ أَنَّ أَنَا تُعَنَّمُهُ عَلَى امْتِدَادِ غَيْبَتِهِ، وَتَطْلُبُ إِلَيْهِ الرُّجُوعَ مِنْ دُونِ إِبْطَاءٍ.

وَكَانَتِ الرَّسَالَةُ كَمَا انْتَهَرَ أَنْ تَكُونَ، بَيِّدَ أَنَّهُ سَخِطَ عَلَى أَنَا وَغَضِبَ. فَقَدْ صَبَغَ الْخِطَابُ عَلَى نَحْوِ لَمْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَحْتَمِلَهُ. فَهِيَ تُخْبِرُهُ فِيهِ أَنَّ طِفْلَتَهُ مَرِيضَةٌ قَدْ يَتَخَرَّمُهَا الْمَوْتُ... وَلَكِنَّهَا تَغِيبُ عَلَيْهِ بِكَلَامِ صَارِمٍ، وَتَقُولُ إِنَّهَا انْتَهَرَتْ مَقْدَمَهُ مِنْ دُونِ جَدْوَى، وَإِنَّهَا لَا تَعْرِفُ أَيْنَ هُوَ! وَقَدْ رَاوَدَتْهَا نَفْسُهَا عَلَى الْبَحْثِ عَنْهُ.

وَقَالَ يُخَاطِبُ نَفْسَهُ: «طِفْلَتِي فِي خَطَرِ الْمَوْتِ، وَأَنَا مُهْتَاجَةٌ تَوَدُّ أَنْ تُقِيمَ الدُّنْيَا وَتُقْعِدَهَا بَحْثًا عَنِّي. وَأَنَا مُحْتَارٌ، أَجَلٌ مُحْتَارٌ... فَإِلَى أَيْنَ الْمَصِيرُ؟ وَمَا هِيَ النَّتِيجَةُ؟»
وَنَاءً كَاهِلُهُ بِهَذَا الْعَبءِ، وَبِرِمِّ بَرِّمَا شَدِيدًا، لَكِنَّهُ رَأَى أَنَّهُ مُكْرَهُ عَلَى الْعُودَةِ مِنْ دُونِ إِبْطَاءٍ. وَهَكَذَا اسْتَقَلَّ الْقِطَارَ فِي طَرِيقِ الْعُودَةِ.

قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ فَرُونسَكِي فِي سَبِيلِهِ مُغْضَبًا، عَقَبَ الْمُخَاصِمَةَ الَّتِي شَجَرَتْ بَيْنَهُمَا، شَعَرَتْ أَنَا أَنَّهَا إِنْ اسْتَمَرَّتْ تَخْلُقُ لَهُ الْمَتَاعِبَ كُلَّمَا أَعْرَبَ عَنْ رَغْبَتِهِ فِي السَّفَرِ، فَسَيَأْتِي ذَلِكَ الْوَقْتُ الَّذِي تَفْقِدُهُ فِيهِ إِلَى الْأَبَدِ؛ وَلِهَذَا عَزَمَتْ عَزْمًا أَكِيدًا عَلَى ضَبْطِ مَشَاعِرِهَا، وَكَبْحِ جِمَاحِ غَيْرَتِهَا.

بَيِّدَ أَنَّهُ مَا كَادَ يُغَادِرُهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَيُودِّعُهَا بِتِلْكَ اللَّهَجَةِ الْجَافَّةِ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا تِلْكَ النَّظْرَةَ الْقَاسِيَةَ حَتَّى اسْتَعْرَتْ نَارُ جُنُونِهَا، فَلَمْ تَقْوَ عَلَى كِثْمَانِ مَا بِهَا، بَلْ ذَرَفَتْ دُمُوعًا عَزِيرَةً التَّهْتَانِ.

وَأَيَقَنْتُ هِيَ أَنَّ نَظْرَتَهُ كَانَتْ صَرْخَةً تَمَرُّدٍ، فَهِيَ يَسْتَرِدُّ حَرِيَّتَهُ، وَهُوَ يُصِرُّ عَلَى اسْتِعَادَتِهَا. وَلَهُ مِلْءُ الْحَقِّ فِيهَا، لَهُ كُلُّ الْحَقِّ فِي الذَّهَابِ وَالْإِيَابِ، وَلَيْسَ لَهَا أَنْ تَعْتَرِضَ وَتَخْلُقَ لَهُ الشُّجَارَ كُلَّمَا عَزَمَ عَلَى السَّفَرِ.

وَاسْتَعْرِضَتْ فِي مُحَيَّلَتِهَا مَا جَرَى بَيْنَهُمَا، وَمَا وَقَعَ، ثُمَّ مَرَّتْ بِتَفْكِيرِهَا عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِ مَعَهَا فِي الْآوِنَةِ الْأَخِيرَةِ، فَأَيَقَنْتُ أَنَّ حُبَّهُ لَهَا قَدْ ذَابَ، وَأَنَّهَا تَفْقِدُهُ بِسُرْعَةٍ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ لَمْ تَدْرِ مَا هِيَ صَانِعَةٌ إِنْ خَلَّتْ حَيَاتُهَا مِنْهُ. لَمْ تَدْرِ مَا تَصْنَعُ!

وَسَعَلَتْ نَفْسَهَا بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ حَتَّى لَا يُبِضُّهَا التَّفَكُّيرُ، وَتَعَاطَتْ كَمَيَّاتٍ كَبِيرَةً مِنَ الْمُورِفِينَ الْمُحَدَّرِ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ حَتَّى يَخْفَ أَلْمُهَا تَحْتَ تَأْثِيرِ هَذَا الْعَقَارِ.

وَقَرَّ رَأْيُهَا آخِرًا أَنْ تَفْعَلَ الْمُسْتَحِيلَ لِلْحُصُولِ عَلَى الطَّلَاقِ مِنْ زَوْجِهَا، فَهَذَا أَسْلَمَ سَبِيلٌ، وَهِيَ مَتَى اسْتَعَادَتْ حُرِّيَّتَهَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ فِرُونْسَكِي، وَاسْتَطَاعَتْ بِذَلِكَ أَنْ تَحْتَفِظَ بِهِ.

وَمَضَتْ الْأَيَّامُ وَلَمْ يَرْجِعْ فِرُونْسَكِي؛ وَانْقَضَتْ سِتَّةُ أَيَّامٍ، فَطَارَتْ نَفْسُهَا شِعَاعًا وَلَمَّا أَصَابَتْ طِفْلَتَهَا الْحُمَى انْهَمَكْتَ فِي الْعِنَايَةِ بِهَا، بَيِّدَ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَشْغَلْهَا عَنِ قَلْبِهَا وَتَوَجُّسِهَا. وَمَا عَتَمَتْ أَنْ كَتَبَتْ لَهُ رِسَالَتَهَا الْمُقْتَضِبَةَ الْجَافَّةَ.

وَلَمَّا جَاءَهَا الرَّدُّ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ، وَفِيهِ اعْتِدَارٌ رَفِيقٌ، وَأَسْبَابٌ أَوْجَبَتْ تَأْخُرَهُ، خَالَجَهَا شُعُورٌ بِالنَّدَمِ شَدِيدٍ، وَأَشْفَقَتْ أَنْ يَقْذِفَهَا لَدَى أَوْبِيهِ بِتِلْكَ النَّظْرَةِ الْمُخِيفَةِ الَّتِي رَمَقَهَا بِهَا يَوْمَ سَفَرِهِ.

وَإِحْسَنْتُ أَنَا وَحُرْنُهَا يَتَكَاثَفُ أَنَّهَا أَمَسَتْ حِمْلًا ثَقِيلًا عَلَى عَاتِقِ فِرُونْسَكِي، بَلْ كَابُوسًا شَدِيدًا يَضْعَطُ عَلَى صَدْرِهِ بِاسْتِمْرَارٍ.

بَيِّدَ أَنَّهَا لَمْ تَقُمْ وَزْنَا كَبِيرًا لِهَذَا الْأَمْرِ، بَلْ جَلَسَتْ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمَوْعُودَةِ، وَقَدْ تَزَيَّنَتْ بِأَبْهَى حُلِيِّهَا، وَأَقْبَلَتْ عَلَى كِتَابٍ تَقْرَأُ فِيهِ، وَهِيَ تُصْغِي لِأَذْنِي حِسٍّ^(١)، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهَا كُلَّمَا حَرَكْتَ الرِّيحُ بَابًا أَنْ فِرُونْسَكِي قَدْ وَصَلَ، فَتَهَبُ وَاقِفَةً، وَيَتَصَاعَدُ الدَّمُ إِلَى وَجْهِهَا.

وَجَاءَ آخِرًا، فَارْتَعَدَ بَدْنُهَا، وَانْبَهَرَ نَفْسُهَا، وَخَافَتْ مِنْ لِقَائِهِ، كَمَا خَافَتْ مِنْ فِرَاقِهِ. . . وَنَقَمَتْ فِي قَرَارِهَا عَلَى الطِّفْلِ، فَقَدِ اسْتَرْجَعَتْ صِحَّتَهَا سُرْعَةً، وَرُبَّمَا أَدْخَلَ إِبْلَالُهَا^(٢) الرِّيْبَةَ فِي قَلْبِهِ، فَتَسَبَّ إِلَيْهَا انْتِحَالَ الْأَكَاذِبِ لِحُثِّهِ عَلَى الْعُودَةِ.

فَلَمَّا سَمِعَتْ صَوْتَهُ يُحَدِّثُ الْخَادِمَ، زَايَلَهَا كُلُّ شُعُورٍ آخَرَ إِلَّا شُعُورَ الْحُبِّ وَالشَّوْقِ، فَهَرَوْلَتْ إِلَيْهِ، وَهَتَفَتْ بِاسْمِهِ مُحْتَفِيَةً.

وَسَأَلَهَا قَبْلَ أَنْ تَدْنُو مِنْهُ عَنِ الطِّفْلِ، فَصَدَمَهَا السُّؤَالُ، فَقَدِ كَانَتْ تَوَدُّ مِنْ صَمِيمِ فُؤَادِهَا

(١) الْحِسُّ: الْحَرَكَةُ وَالصَّوْتُ الْخَفِيُّ.

(٢) الْإِبْلَالُ: الشُّفَاءُ مِنَ الْمَرَضِ.

أَنْ يَسْأَلَهَا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ عَنِ نَفْسِهَا، وَعَنْ حُبِّهَا .

وَلَحَظَ هُوَ خَبِيَةَ الْأَمَلِ الَّتِي ارْتَسَمَتْ عَلَى أَمَارَاتِهَا، فَتَدَارَكَ الْأَمْرَ وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا .

فَانْبَسَطَتْ أَسَارِيرُهَا، وَتَنَاوَلَتْ يَدَهُ وَوَضَعَتْهَا عَلَى قَلْبِهَا . فَأَذْرَكَ مَا تَعْنِيهِ، وَابْتَسَمَ وَقَالَ :

«هَذَا مِنْ دَوَاعِي جَذَلِي يَا أَنَا، إِنَّ قَلْبِكَ يَخْفِقُ لِي» .

وَرَمَقَهَا بِنَظَرَةٍ مُتَأَمِّلَةٍ مُتَمَحِّصَةٍ، فَخَيَّلَ إِلَيْهَا أَنَّ فِي عَيْنَيْهِ تَلْجَا . وَاقْشَعَرَ جِلْدُهَا، وَارْتَعَدَتْ

فَرِيصَتُهَا .

وَلَمْ يَرَ هُوَ مَا أَصَابَهَا، بَلْ مَضَى يَنْظُرُ إِلَى صَفِيرَتِهَا، وَوَجْهِهَا، وَهَذَايِهَا، فَلَمْ يَسْعَهُ إِلَّا

الِاعْتِرَافُ بِأَنَّهَا أَجْمَلُ النِّسَاءِ وَأَكْثَرُهُنَّ فِتْنَةً . وَلَكِنْ، أَلَمْ يَمَلِّهَا؟ أَلَمْ يَرِّمَ بِالْحَيَاةِ مَعَهَا؟!

عَلَى أَنَّهُ اعْتَرَفَ فِي مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ أَنَّهُ لَا يَزَالُ كَلِيفًا بِهَا مُوَلَعًا بِشَخْصِهَا . وَلِهَذَا

اسْتَجَابَ لِذَاعِي الْمُتَعَةِ، فَقَضَى مَعَهَا هَزِيعًا مِنَ اللَّيْلِ، وَهُمَا يَلْهُوَانِ وَيَعْبَثَانِ وَيَتَنَاغِيَانِ . وَقَدْ

حَرَصَتْ أَنَا فِي تِلْكَ السَّاعَاتِ عَلَى إِشْبَاعِ غُرُورِ الرَّجُلِ فِي نَفْسِهِ، فَطَفِقَتْ تَسْأَلُهُ عَنْ عَمَلِهِ،

وَعَنْ فَوْزِهِ فِي الْإِنتِخَابَاتِ . كَمَا أَنَّهَا حَرَصَتْ عَلَى مُعَالَجَةِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَعْنِيهِ أَمْرُهَا .

وَسُرَّ فَرُونْسَكِي، وَرَجَعَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ حُبِّ لَانَا . بَيَدَ أَنَّهَا حَطَمَتْ فِي لِحْظَةٍ مَا بَنَتْهُ فِي

سَاعَاتٍ، فَقَدْ سَأَلَتْهُ عَنِ وَقَعِ كِتَابِهَا فِي نَفْسِهِ، وَهَلْ أَغْضَبَتْهُ فِيهِ لَهْجَةٌ صَارِمَةٌ أَوْ كَلِمَةٌ نَابِيَةٌ؟

وَقَطَّبَ فَرُونْسَكِي سَاعَةَ حَدِيثُهُ أَنَا بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ، وَاعْتَرَفَ بِأَنَّهُ اشْمَأَزَّ مِنَ الْكِتَابِ،

وَأَنَّهُ عَجِبَ لِلتَّنَاقُضِ الْوَارِدِ فِيهِ . فَهِيَ تُهَيْبُ بِهِ فِي أَوَّلِهِ أَنْ يَرْجِعَ لِأَنَّ ابْنَتَهُ مَرِيضَةٌ، ثُمَّ تُحْطِرُهُ

فِي نِهَائِيهِ بِأَنَّهَا قَادِمَةٌ لِلْبَحْثِ عَنْهُ إِنْ تَخَلَّفَ . . . !

وَشَعَرَتْ أَنَا بِالْكَابَةِ . إِنَّهُ لَمْ يَضْفَعْ عَنْهَا، فَعَجَلَتْ تَقُولُ : «لَكِنَّ الطُّفْلَةَ كَانَتْ مَرِيضَةً» .

قَالَ : «لَا أَشُكُّ فِي هَذَا أَبَدًا» .

قَالَتْ : «بَلْ إِنَّكَ تَرْتَابُ وَتَنْظُنُّ بِبَيِّ الطُّنُونِ» .

قَالَ : «كَلَّا . . . كَلَّا . . . إِنَّمَا أَنَا أَحْيَانًا أَخْذُ عَلَيْكَ تَشْبِيكَ بِأُمُورٍ صَعْبَةٍ التَّحْقِيقِ؛ فَتَمَّةٌ

وَاجِبَاتٌ تَقْتَضِيهِ التَّفَرُّغُ لَهَا، وَلِكِنَّكَ لَا تَرَعْبِينَ فِي أَنْ أَقُومَ بِوَاجِبَاتِي! غَيْرَ أَنِّي أَرَى أَنْ

نَقْصِرَ الْآنَ، وَنُكْفَ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ» .

- «ولماذا نفعل هذا؟ لماذا لا نتحدث فنفهم ما استعصى على الفهم؟»

- «قَدْ أَضْطَرُّ إِلَى السَّفَرِ إِلَى مُوسْكُو، فَإِذَا حَصَلَ ذَلِكَ ثَارَتْ ثَائِرَتُكَ. فَلِمَ ذَلِكَ؟ لِمَاذَا لَا تَكْبُحِينَ جِمَاحَ انْفِعَالِكِ؟ أَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ تُمَتِّعَ بِحُرِّيَّتِي؟»

- «أَرَأَيْكَ سَيُنْتِ الْحَيَاةَ مَعِي، وَهِيَ أَنْتِ تَنْسُجُ عَلَى مَنَوَالِ غَيْرِكَ، فَتَنْتَجِلُ الْأَعْذَارَ لِسَافِرٍ».

- «أَسْرَعْتِ مِنْ جَدِيدٍ تُلْصِقِينَ التُّهْمَ يَا أَنَا؟!»

- «وَأَعْلَمُ أَنِّي مُرَافِقَتُكَ إِلَى مُوسْكُو إِنْ حَدَّثْتِكَ نَفْسُكَ بِالسَّفَرِ».

- «فِي هَذَا سُورِي كُفُّهُ. بَيِّدْ أَنْ عَلَيْنَا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ نُسَوِّي الْأَمْرَ، نُسَوِّيهِ بِحَيْثُ...».

فَقَاطَعَتْهُ: «بِحَيْثُ تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ سَأَسْعَى إِلَى تَحْقِيقِ الْأَرْبِ الْأَكْبَرِ؛ سَأَكْتُبُ إِلَى كَارْنِينِ فِي أَمْرِ الطَّلَاقِ. أَمَّا الْآنَ فَيُنِ أَنْتِ ذَاهِبَةٌ مَعَكَ إِلَى مُوسْكُو».

- «وَلِمَ لِتُهْدِيدِي، أَلَا تَعْلَمِينَ أَنِّي أَكْثَرُ مِنْكَ رَغْبَةً فِي ذَلِكَ؟»

وَابْتَسَمَ، وَالتَّمَعَّتْ عَيْنَاهُ؛ وَلَمْ تَكُنْ نَظَرَتْهُ جَامِدَةً فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ، بَلِ انْطَوَتْ عَلَى شَيْءٍ يَفُوقَ الْجُمُودَ وَالْبُرُودَ، شَيْءٍ يَبْعَدَاهُمَا وَيُبْدُهُمَا. انْطَوَتْ عَلَى كَرَاهِيَةِ إِنْسَانٍ لِآخَرَ، كَرَاهِيَةٍ مَشْهُوْهَا الْإِضْطِهَادُ وَالْإِسْرَافُ فِي الْإِضْطِهَادِ... بَلِ مَشْهُوْهَا التَّنْكِيلُ بِالْمَشَاعِرِ وَالْأَحَاسِيسِ.

وَرَأَتْ عَيْنِيهِ، رَأَتْ مَا انْتَبَقَ مِنْهُمَا، فَالْتَمَعَتْ وَارْتَاعَتْ؛ وَفَهَمَتْ أَنَّ الْحِظَّ وَلَّى إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ، وَأَنَّ الْحُبَّ مَاتَ، وَلَنْ يُبْعَثَ فِي قَلْبِهِ مَرَّةً أُخْرَى.

لَكِنَّهَا كَتَبَتْ إِلَى زَوْجِهَا تَطْلُبُ الطَّلَاقَ.

وَفِي آخِرِ تَشْرِينِ الثَّانِي (نُوفَمْبَر) سَافَرَتْ مَعَ فَرُونْسَكِي إِلَى مُوسْكُو، وَعَلَقَتْ تَنْتَظِرُ رَدَّ زَوْجِهَا بِفَارِغِ الصَّبْرِ.

وَعَاشَا فِي مَنَزِلٍ صَغِيرٍ فِي مُوسْكُو، وَلَبِثَتْ أَنَا تُمَنِّي النَّفْسَ وَتُعَلِّلُهَا بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ.

عَلَقَتْ تُحْصِي السَّاعَاتِ وَالْأَيَّامَ.

عَلَقَتْ تَحْلُمُ فِي الْيَقَظَةِ وَالْمَنَامِ.

وَرَأَتْ نَفْسَهَا زَوْجَةً لِفَرُونْسَكِي.

وَرَأَتْ نَفْسَهَا كَمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلُ،

مُعَزَّزَةً مُكْرَمَةً مُبَجَّلَةً!

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - أترى أننا كارنينا على حق في هواجسها وتخوفها؟ علّل ما تذهب إليه .
- ٣ - أَيْكونُ لَعَدَمِ ارتباطها بفرونسكي بعقيد اجتماعي مشروع سبب في ذلك، أم ترى غير هذا؟ علّل رأيك .
- ٤ - نرى أننا في هذا الفصل وفي غيره غيرًا مضرِبَةً في غيابِ فرونسكي، حتّى إذا حَضَرَ هَدَأَ اضطرابها وهدأت غيرتها . كيف تُعلّل ذلك؟
- ٥ - ألا ترى في أننا امرأةً أنانيّة كما بدت لك حتّى الآن؟ علّل رأيك .
- ٦ - ثرى، أأفل حبُّ فرونسكي أم تراه بدأ بالأفول؟
- ٧ - ألا ترى في ما ترى نهايةً طبيعيّةً لكلِّ حبِّ عابرٍ وغير مشروع؟ علّل رأيك .
- ٨ - سبقَ لأنّا أنّها لم تأبه للطلاق، وأنّها حينَ أوْشكتْ أن تنالهُ هربتْ معَ عشيقها، وها هي الآن تطلبُهُ بالبحاح وترقبُ كبيرين . كيف تُعلّل هذا وذاك؟ حاول أن تربطَ المشاعرَ بأسبابها .
- ٩ - أوجزْ مضمونَ الفصلِ في أسطرٍ قليلةٍ .

الفصل الثامن

شاءَ القَدْرُ كما عَلِمْنَا أَنْ يَقْتَرِنَ لِيَفِينُ بِكَاتَرِينَ. وَمَعَ أَنَّ الفَتَاةَ أُغْرِمَتْ بِفرونسكي، أَبِي هَذَا القَدْرِ العَجِيبِ فِي آخِرِ لَحْظَةٍ إِلَّا أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ فرونسكي وَأَنَا، فمَهَّدَ بِذَلِكَ لِلْيَفِينِ طَرِيقَ السَّعَادَةِ وَالتَّوْفِيقِ.

وَأَقْرَبْتُ^(١) كَاتَرِينَ، وَحَانَ وَقْتُ الوَضْعِ، فغَادَرَتِ المَرْزَعَةَ مَعَ زَوْجِهَا إِلَى موسكو، لِتَكُونَ قَرِيبَةً مِنْ أُمَّهَا، وَلِيُشْرِفَ عَلَيْهَا طَبِيبُهَا الخاصُّ.

والتَقْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَتَى أَحْلَامِهَا الأَوَّلِ - فرونسكي - فِي بَيْتِ صَدِيقَةٍ لَهَا. فَلَمْ يَبْدُرْ مِنْهَا مَا يَنْبَغُ عَنِ انْفِعَالِهَا، بَلْ حَيَّتُهُ وَصافَحَتْهُ بِهَدْوٍ وَثِقَةٍ، كما لو أَنَّهَا التَّقَتُهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِهَا.

وَشَاءَتِ الأَقْدَارُ أَنْ تَجْمَعَ فِي لَيْلَةٍ أُخْرَى بَيْنَ فرونسكي وَلِيَفِينِ وَستيفانِ أوبلنسكي شقيقِ أَنَا. وَكَانَ لِيَفِينُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَرِيمًا سَمَحًا، وَكَانَ لَطِيفًا إِلَى أَقْصَى حَدِّ فِي حَدِيثِهِ مَعَ مُزَاجِمِهِ فِي وَقْتِ مَضَى.

وَقَدْ أَقْبَلَ ستيفانُ يُحَدِّثُ فرونسكي وَيَسْأَلُهُ عَنِ شَقِيقَتِهِ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى لِيَفِينِ يَقُولُ مُتَسَائِلًا: «أَوَلَمْ تَجْتَمِعْ بَعْدُ إِلَى شَقِيقَتِي أَنَا؟ أَلَمْ تُحَدِّثْهَا فِي حَيَاتِكَ؟»

فَأَجَابَ لِيَفِينُ: «كَلَّا، وَهَذَا لِسوءِ حَظِّي».

وَنَهَضَ فرونسكي وَهُوَ يَقُولُ: «فَلنَذْهَبْ إِلَيْهَا إِذَا، سَتَسُرُّ بِمَقْدَمِنَا».

غَيْرَ أَنَّ لِيَفِينِ أَحْسَنَ بَعْضِ النَّدَمِ عِنْدَمَا اسْتَقَلَّ العَرَبَةَ مَعَ صَاحِبِيهِ، وَتَسَاءَلَ عَنِ وَقْعِ هَذِهِ الزِّيَارَةِ عَلَى زَوْجَتِهِ، وَهَلْ سَتَفِرُّهُ عَلَى عَمَلِهِ مَتَى أَخْبَرَهَا بِذَلِكَ؟

وَكَانَ أوبلنسكي فَطِنًا إِلَى مَا اغْتَمَلَ فِي قَلْبِ لِيَفِينِ فَسَارَعَ يَقُولُ كَيْمَا يَصْرِفُهُ عَنِ

(١) أَقْرَبَتِ الحَامِلُ: قَرُبَ وَقْتُ وِلادَتِهَا.

هَوَاجِسِهِ: «إِنَّ مِنْ دَوَاعِي فَخْرِي أَنْ تَجْتَمِعَ إِلَى شَقِيقَتِي أَنَا، وَمَا أَكْثَرَ مَا طَلَبْتَ دَارِيَا مِنِّي أَنْ أَجْمَعَكَ بِهَا! إِنَّهَا امْرَأَةٌ مُدْهِشَةٌ، ذَكِيَّةٌ، جَمِيلَةٌ، وَلَا أَشْكُ فِي أَنَّكَ سَتُعْجَبُ بِهَا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ آلِيهَا وَأَسْقَامِهَا، وَبَنُوْعٍ خَاصٍّ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ».

- «مَاذَا تَعْنِي بِقَوْلِكَ؟»

- «أَعْنِي أَنَّهَا تُكَابِدُ الْأَمْرَيْنِ فِي السَّعْيِ وَرَاءَ غَايَتَيْهَا، وَبُلُوغِ وَطَرِهَا، وَإِقْنَاعِ زَوْجِهَا بِمَنْحِهَا حُرِّيَّتَهَا. لَقَدْ وَافَقَ كَارْنِينُ، إِلَّا أَنَّ الْعَقَبَةَ الْكَأْدَاءَ الْقَائِمَةَ الْآنَ هِيَ ابْنُهُمَا سِيرِجٌ. وَمَا مِنْ سَبِيلٍ كَمَا أَرَى إِلَى تَمْهِيدِ الطَّرِيقِ، وَحُلِّ الْعُقْدَةِ الْعَسِيرَةِ. إِنَّ أَنَا لَنْ تَلَبَّثَ أَنْ تَتَزَوَّجَ بِفَرُونَسْكِ مَتَى صُودِقَ عَلَى طَلَاقِهَا، لَكِنَّ هَذَا أَمْرٌ يَطْوُلُ، فَاِلْإِجْرَاءَاتُ مُضْنِيَّةٌ هُنَا، تَمْتَدُّ وَتَمْتَطُّ. بَلْ أَكَادُ أَقُولُ أَنَّهَا تَتَنَاءَبُ مَعَ الزَّمَنِ. عَلَى أَنَّ الْأُمُورَ سَتَسْتَقِيمُ عَقِبَ انْتِهَائِنَا مِنْ هَذِهِ الْإِجْرَاءَاتِ».

- «إِنَّهَا تَنْتَظِرُ الطَّلَاقَ وَتَعْمَلُ مِنْ أَجْلِهِ كَمَا قُلْتِ، فَمَاذَا يُرْمِضُهَا إِذَا؟ وَمَاذَا يُثْقِلُ عَلَيْهَا وَيَكْظُمُهَا^(١)؟»

- «النَّاسُ يَا صَدِيقِي. فَاِلْإِنْسَانُ مُدَاهِنٌ مُنَافِقٌ، وَثِقٌ أَنْ أَعَزَّ صَدِيقَةٍ لَهَا قَدْ تَخَلَّتْ عَنْهَا فِي مِحْتَتَيْهَا. وَلِهَذَا آتَرْتُ أَنَا الْإِحْتِجَابَ وَالْإِنزِوَاءَ. فَهِيَ لَا تُقَابِلُ أَحَدًا، وَلَا تَجْتَمِعُ إِلَى أَحَدٍ، وَأَكَادُ أَجْزِمُ أَنَّهَا لَا تُكَلِّمُ إِلَّا دَارِيَا زَوْجَتِي. وَالْأَذْهَى مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا تَنْظُرُ - وَهِيَ عَلَى حَقٍّ - أَنَّ كُلَّ امْرَأَةٍ تَسْعَى إِلَيْهَا، تَعُدُّ زِيَارَتَهَا مِنْ قَبِيلِ الْعَمَلِ الْإِنْسَانِيِّ. وَمَعَ ذَلِكَ فَأَنَا صَائِدَةٌ صَابِرَةٌ، تَنْتَظِرُ الْفَرَجَ بِقَلْبٍ عَامِرٍ بِاِلْإِيمَانِ وَالْحُبِّ».

«وَمَا قَوْلُكَ بِطِفْلَتَيْهَا، أَهِيَ مُتَفَرِّغَةٌ لَهَا؟»

- «كُلُّ التَّفَرُّغِ، تَرَعَاهَا رِعَايَةً حَسَنَةً، وَتُنْشِئُهَا أَفْضَلَ تَنْشِئَةٍ. ثُمَّ اعْلَمِ أَنَّهَا أَدِيبَةٌ وَفَنَانَةٌ، وَهِيَ مُكَيَّبَةٌ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ عَلَى تَأْلِيفِ بَحْثِ ضَافٍ عَنِ الطِّفْلِ وَالْعِنَايَةِ بِهِ».

وَنَظَرَ أُوْبَلِنْسْكِ مَلِيًّا إِلَى لَيْفِينِ، وَاسْتَأْنَفَ: «لَا تَسْخَرْ مِنْ قَوْلِي. لَقَدْ قَدَّمْتُ نُشْخَةً مِمَّا كَتَبْتُهُ إِلَى أَشْهَرِ أَدِيبٍ فِي مُوسْكَو، إِلَى «فُورْكِيفِ» فَأَبْدَى إِعْجَابَهُ، وَحَثَّ أَنَا عَلَى إِتْمَامِ الْكِتَابِ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ مُسْتَطَاعٍ. لَقَدْ أَخْبَرَنِي هَذَا الْأَدِيبُ أَنَّ أَنَا امْرَأَةٌ ذَاتُ قَلْبٍ كَبِيرٍ،

(١) يَكْظُمُهَا: يَبْهُطُهَا، يَكْرُبُهَا، يُضَيِّرُ عَلَيْهَا.

وَعَقَّبَ يَقُولُ: إِنَّ الْقَلْبَ الْكَبِيرَ عِمَادُ الْأَدَبِ وَالْفَنِّ».

- «وَهَلْ تَبْغِي أَنَا الْمُضِيَّ فِي طَرِيقِ الْكِتَابَةِ وَالتَّأْلِيفِ؟»

- أَرَاكَ مُشْرِفًا فِي عَدَمِ التَّضَدِيقِ، أَلَا فَاغْلَمُ أَنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ قُلْتَهَا لَكَ هِيَ الْحَقِيقَةُ، وَاغْلَمُ كَذَلِكَ أَنَّ أَنَا تُحِبُّ الْخَيْرَ، وَتَعْمَلُ الْخَيْرَ. وَرُبَّ عَائِلَةٍ تَعِيشُ فِي ضَنْكِ^(١)، مَدَّتْ إِلَيْهَا يَدَ الْمُسَاعَدَةِ؛ رُبَّ امْرَأَةٍ مُتْرَبٍ^(٢) مَسْكِينٍ، أَقَالَتْ عَثْرَتُهُ، وَأَرْجَعْتَهُ إِلَى سَابِقِ مَكَانَتِهِ».

وَبَلَغَتِ الْعَرَبَةُ الدَّارَ، فَتَرَجَّلُوا وَدَخَلُوا. وَسَأَلَ لَيْفِينُ نَفْسَهُ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ يَعْبُرُ الدَّهْلِيَزَ إِنْ كَانَ مَجِيئُهُ عَمَلًا لَا غُبَارَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُؤَمَّ دَارَ أَنَا كَارِنِينَا بَعْدَ كُلِّ مَا فَعَلْتَهُ، وَبَعْدَ أَنْ لَاكَتِ الْأَلْسُنُ اسْمَهَا بِكُلِّ دَمِيمٍ مِنَ الْقَوْلِ.

وَنَظَرَ فِي مِرَاةٍ كَبِيرَةٍ إِلَى وَجْهِهِ، فَبُهِتَ مِمَّا رَأَى مِنَ اخْوَارِهِ. وَتَقَدَّمَ فِي الدَّهْلِيَزِ، ثُمَّ انْتَهَى وَرَاءَ أُوْبَلَنْسْكِي وَفْرُونْسْكِي، فَصَعِدَ فِي «دَرَج» عَرِيضٍ فُرِشَ بِالْبُسْطِ. وَلَمَّا دَخَلُوا قَاعَةَ اسْتِقْبَالَ مُتَوَسِّطَةَ الْحَجْمِ، سَأَلَ فْرُونْسْكِي عَنِّ أَنَا، فَأَخْبَرَهُ الْخَادِمُ أَنَّهَا مُنْهَمَكَةٌ فِي الْحَدِيثِ مَعَ «فُورِكِيْف» نَاشِرِ كِتَابِهَا.

وَتَوَجَّهَ الثَّلَاثَةُ إِلَى الْمَكْتَبَةِ، لَكِنَّ لَيْفِينَ لَمْ يَدْخُلْ وَرَاءَ فْرُونْسْكِي وَسْتِيفَانَ أُوْبَلَنْسْكِي، بَلْ جَمَدَ فِي مَكَانِهِ وَكَأَنَّهُ سُمِّرَ إِلَى الْأَرْضِ سَاعَةً لَمَحَ رَسْمًا كَبِيرًا مُعْلَقًا عَلَى الْحَائِطِ.

وَنَظَرَ لَيْفِينُ مَشْدُودَهَا إِلَى الصُّورَةِ الرَّيْئِيَّةِ الرَّائِعَةِ، وَأَذْرَكَ لِلتَّوَّ أَنَّهَا لِأَنَا. وَكَانَ أَحَدُ فَنَائِنِي يُطَالِبًا قَدْ رَسَمَهَا لَهَا فِي أَثْنَاءِ إِقَامَتِهَا هُنَاكَ.

وَسَرَّحَ لَيْفِينُ طَرْفَهُ فِي الصُّورَةِ وَلَبِثَ يُحَدِّقُ إِلَيْهَا، وَكَأَنَّ جَاذِبًا مُمَغْنِطًا قَيَّدَ لَحْظَهُ.

كَانَتْ الصُّورَةُ تَنْطِقُ كَأَنَّهَا شَخْصٌ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ. كَانَتْ الصُّورَةُ لِسَانَا يَتَكَلَّمُ وَيَشْرَحُ؛ وَكَانَتْ كَأَنَّ الْحَيَاةَ تَنْبَعُ مِنْهَا. وَنَقَلَ لَيْفِينُ طَرْفَهُ مِنَ الْوَجْهِ إِلَى الْعُنُقِ إِلَى الدَّرَاعِيْنَ، وَأَمَّنَ سَاعَتَيْهِ أَنَّهَا أَجْمَلُ مَنْ وُجِدَ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ كَانَتْ نُسْحَةً صَادِقَةً عَن صَاحِبَتِهَا. فَهَلْ هِيَ كَذَلِكَ؟ هَلْ لِأَنَا مِثْلُ هَذَا الْجَمَالِ السَّاحِقِ؟!

وَسَمِعَ صَوْتًا نَاعِمًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُعْنَ بِالرَّدِّ. وَأَعَادَ الصَّوْتُ الرَّخِيمُ مُحَاوَلَتَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ

(١) فِي ضَنْكِ: فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ.

(٢) مُتْرَبٌ: شَدِيدُ الْفَقْرِ.

ليفين .

وَطَرَقَتْ سَمْعَهُ ضِحْكَةً خَافِتَةً، فَأَجْفَلَ وَائْتَنَى يَنْظُرُ. وَرَأَى فِي تِلْكَ الْوَهْلَةِ صَاحِبَةَ الصُّورَةِ، رَأَى الْحَقِيقَةَ مُتَجَسِّمَةً فِي جَسَدٍ حَيٍّ. فَيَا لَلْفِتْنَةِ! إِنَّهَا فَاتِنَةٌ حَقًّا. وَأَخْنَى لَهَا هَامَتُهُ بِاخْتِرَامٍ وَتَبَجِيلٍ، وَأَمَّنَ أَنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ خَطَأً بِقُدُومِهِ!

وَمَدَّتْ أَنَا لَهُ يَدًا نَاعِمَةً رَخِصَةً، وَصَافَحَتْهُ بِلَبَاقَةٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَتْ مَعَهُ بِضَعِ كَلِمَاتٍ. وَمَا لَيْثُ أَنْ قَدَّمْتُهُ إِلَى صَدِيقِهَا الْكَاتِبِ.

وَأَيْقَنَ لَيْفِينُ مِمَّا لَاحَظَهُ مِنْ حَرَكَتِهَا وَإِشَارَتِهَا، أَنَّهَا خَيْرُ امْرَأَةٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَّصِرَفَ وَتَتَّكَلَّمَ، وَأَنَّهَا مِثَالُ رَفِيعٍ لَطِرَازٍ أَرْفَعَ مِنَ النَّسَاءِ!

وَسَمِعَهَا تَقُولُ بِصَوْتِهَا الْحُلُوِّ الْمَوْسِيقِيِّ الْجَرَسِيِّ: «هَذَا شَرَفٌ عَظِيمٌ. . . قُدُومُكَ أَفْرَحَنِي، فَأَهْلًا بِكَ وَسَهْلًا. لَشَدًّا مَا أَنَا مُغْتَبِطَةٌ! وَأَصْدُقُكَ أَنِّي سَمِعْتُ بِكَ وَعَرَفْتُ شَخْصِيَّتَكَ مُنْذُ فِتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، وَإِنِّي لِأَعْجَبُ بِكَ أَيَّمَا إِعْجَابٍ. وَمَا مَعْرِفَتِي زَوْجَتِكَ لِتَقِلَّ عَن مَعْرِفَتِي إِيَّاكَ، فَهِيَ مِثَالُ امْرَأَةٍ الْفَاضِلَةِ، وَإِنِّي لِأَكَادُ أَكْذِبُ سَمْعِي، فَهَلْ أَصْدُقُ أَنْ زَهْرَةٌ كَكَاتِرِينَ تَعْدُو أُمًّا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْعُجَالَةِ!»

* * *

وَكَانَتْ أَنَا فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ تَنْظُرُ إِلَى لَيْفِينِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ بِنَظَرِهَا إِلَى أُوْبِلِنْسْكِي وَفِرُونْسْكِي. وَأَصْغَى لَيْفِينُ، وَزَالَتْ رَهْبَتُهُ، فَشَعَرَ كَأَنَّهُ يَعْرِفُ الْمَرْأَةَ الْفَاتِنَةَ مُنْذُ سِنِينَ وَسِنِينَ. وَابْتَسَطَتْ أَسَارِيرُهُ، فَأَصَاحَ لَهَا مُعْجَبًا مُنْشَرِحًا.

وَقَالَ أُوْبِلِنْسْكِي مُوجِّهًا الْحَدِيثَ إِلَى لَيْفِينِ: «وَمَا رَأَيْتُكَ فِي هَذَا الرَّسْمِ الزَّيْتِيِّ يَا صَدِيقِي؟»

فَالْتَمَّتْ لَيْفِينُ إِلَيْهِ، ثُمَّ أَحَدَّ بَصَرَهُ ثَانِيَةً إِلَى الصُّورَةِ، وَمَا أَبْطَأَ أَنْ قَالَ: «الْحَقُّ يُقَالُ إِنَّهَا لَوْحَةٌ قَلَمًا وَجِدَّ مِثْلُهَا فِي إِتْقَانِهَا وَرَوْعَتِهَا وَطُولِ بَاعِ رَاسِمِهَا، وَلَا سِيَّمَا أَنَّ الشَّبَهَ عَظِيمٌ إِلَى دَرَجَةٍ مُذْهِلَةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَصْلِ!»

وَاسْتَدَارَ نَحْوَ أَنَا وَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي إِلَى مُحَيَّاها، وَكَأَنَّهُ يَوَدُّ أَنْ يَلْتَهِمَ هَذَا الْمُحَيَّا بَعَيْنِيهِ!
وَتَشَعَّبَ الْحَدِيثُ، وَصَالَ لَيْفِينُ وَجَالَ فِي مَيَادِينِ الْفَنِّ مِنْ رَسْمٍ وَشِعْرِ وَنَثْرٍ. . . وَدُهَشْتُ

أَنَا، وَأَعْجَبْتُ بِالرَّجُلِ، وَبَانَ مَبْلُهَا إِلَيْهِ بوضوحٍ في أساريها .

وْغَابَ عَن لَيْفِينَ مَا كَانَ يَخْشَاهُ، وَلَمْ يُعَدِّ يَذْكُرُ إِلَّا شَيْئًا وَاحِدًا، لَمْ يُعَدِّ يَذْكُرُ إِلَّا وُجُودَهُ مَعَ هَذِهِ الْإِلَهَةِ .

وَاسْتَأْذَنْتَهُمْ أَنَا فِي الْخَلْوَةِ بَعْضَ الْوَقْتِ بِشَقِيحِهَا، فَذَلَفَ لَيْفِينُ وَفَرُونْسَكِي إِلَى الْقَاعَةِ، وَذَهَبَتْ هِيَ مَعَ سَتيفَانَ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ .

وَسَاءَلَ لَيْفِينُ عَمَّا يَتَحَدَّثُ الشَّقِيقُ مَعَ شَقِيحَتِهِ . ثُرَى، أَتَحَدِّثُهُ عَنْهُ، أَمْ عَن فَرُونْسَكِي حَبِيبِهَا؟

ثُمَّ اجْتَمَعَ شَمْلُهُمْ ثَانِيَةً، وَتَنَاوَلُوا مَعًا شَرَابَ الشَّايِ السَّاخِنِ . وَكَانَ لَيْفِينُ طِيلَةَ الْوَقْتِ يَتَأَمَّلُ أَنَا، وَلَا يَبُودُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ عَن وَجْهِهَا .

وَقَدْ لَامَ نَفْسُهُ عَلَى مَا تَهَوَّرَ فِيهِ قَبْلَ الْيَوْمِ مِنْ إِصْدَارِ الْحُكْمِ الْقَاسِيِ عَلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ الرَّاجِحَةِ الْعَقْلِ . وَرَاحَ يُسَوِّغُ عَمَلَهَا فِي بَاطِنِهِ وَيَخْلُقُ لَهَا الْمَعَاذِيرَ، بَلْ إِنَّهُ أَحْسَنَ بِالشَّفَقَةِ عَلَيْهَا، وَوَدَّ مِنْ صَمِيمِ قَلْبِهِ لَوْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُدَّ لَهَا يَدَ الْمُسَاعَدَةِ . وَقَدْ حَدَّثَ نَفْسَهُ قَائِلًا: «أَوْيَفِّهُمُهَا فَرُونْسَكِي عَلَى حَقِيقَتِهَا؟ أَوْيَقْدُرُ ذَكَاءَهَا، وَرِقَّتِهَا، وَشُعُورَهَا الْمُرْهَفَ، وَإِحْسَاسَهَا الْمَضْقُولَ؟»

وَذَهَبَ الْأَصْدِقَاءُ بَعْدَ سَاعَةٍ، وَصَافَحَ لَيْفِينُ أَنَا فَاسْتَبَقْتُ رَاحَتَهُ فِي يَدِهَا، وَضَغَطْتُ عَلَيْهَا قَلِيلًا، ثُمَّ أَطْلَقْتُهَا، وَقَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَنْطَفِقَانِ بِمَا يُخَالِجُ صَدْرَهَا: «لَقَدْ أَدْخَلْتُ عَلَى قَلْبِي الْمَسْرَةَ وَالْأَمَلَ يَا سَيِّدِي، وَأَضْدَفْتُكَ أَنَّ قُدُومَكَ كَانَ كَقَطْرِ النَّدى! وَأَرْجُو مِنْكَ أَنْ تَصِفَ لِرُؤُوسِكَ الْعَزِيزَةِ حُبِّي وَتَقْدِيرِي وَإِعْجَابِي . بَلِّغْهَا رَأْيِي فِيهَا، وَأَخْبِرْهَا بِأَنَّهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ فِي نَفْسِهَا الْمُقْدِرَةَ عَلَى نِسْيَانِ ذَنْبِي وَرِزْلَتِي، فَلَنْ أُلِحَّ عَلَيْهَا فِي ذَلِكَ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَمُرَّ بِظُرُوفِ قَاسِيَةٍ كَالَّتِي عَرَضَتْ لِي فِي حَيَاتِي، فَلَنْ يُقَدِّرَ قِيمَةَ الْمَغْفِرَةِ، وَلَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يَتَحَتَّمُ عَلَيْهِ أَنْ يَغْفِرَ» .

فَطَاطَأَ لَيْفِينُ رَأْسَهُ، وَأَجَابَ بِصَوْتِ رَفِيقِي: «لَنْ أَنْسَى قَوْلِكَ، وَسَأَنْقُلُ كَلِمَاتِكَ إِلَيْهَا يَا سَيِّدَتِي» .

وَاسْتَمَعَ فَرُونْسَكِي، وَوَلَّادَ بِالصَّمْتِ . اسْتَمَعَ وَرَأَى، لَكِنَّهُ لَمْ يَنْبَسِ بِنِتِ شَفَقَةٍ، وَكَانَ

يُفَكِّرُ، وَكَانَ يُمَعِنُ فِي التَّفْكِيرِ وَكَانَ يُحَدِّقُ، وَكَانَ يُطِيلَ التَّحْدِيقَ. وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ مَا كَانَ
يَجُولُ فِي ذَهْنِهِ، وَمَا كَانَ يَرَاهُ بِعَيْنِهِ.

وَلَمَّا خَرَجَ لِيَفِينُ وَأُوبِلَنْسْكِ، صَحِبَهُمَا فَرُونْسْكِ مِنْ دُونِ أَنْ يَعْأَ بِنَظْرَةِ أَنَا الْعُضْبَى

الْمُتَسَائِلَةُ!

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَعِّعْ لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - فِيمَ كَانَ هذا الفَصلُ مِنَ الرِّوَايَةِ؟ ما الحَدَثُ الجَدِيدُ فِيهِ؟ وَهَلْ دَعَّمَ هذا الحَدَثُ الجَدِيدُ حَبِئَةَ الرِّوَايَةِ؟ وَكَيْفَ؟
- ٣ - ما زَالَتْ أَنَا تَلَهْتُ وَرَاءَ الطَّلَاقِ . فَهَلْ تَرَاهُ قَرِيبَ المَنَاةِ؟ ولماذا؟
- ٤ - ما الأثرُ الَّذِي تركته رُؤْيَةُ أَنَا في نَفْسِ لِيْفِينِ؟
- ٥ - أَنَا في هذا الفَصلِ مُؤَلِّفَةٌ تُفَاوِضُ نَاشِرًا . فَهَلْ تَرَاهَا جَدِيدَةً في ذلك؟ وَهَلْ تَتَوَقَّعُ لَهَا أَنْ تُصَبِّحَ في مَصَافِّ المُؤَلِّفِينَ الكِبَارِ؟ ولماذا؟
- ٦ - تُرَى، أَفِي هَذَا الفَصلِ تَبَرِيرٌ لِمَا فَعَلَهُ فِرُونسِكِي يَوْمَ التَّمَيُّ أَنَا كَارِنِينَا في الحَفْلَةِ الَّتِي أُقِيمَتْ في دار آل شرباتسكي، أَمْ إِنَّ لَكَ رَأْيًا آخَرَ في هذا الإطْنَابِ الكَبِيرِ في وَصْفِ مَحَاسِنِ أَنَا ومفاتيحها وذكائها؟ أَوْضِحْ ما تَذَهَبُ إِلَيْهِ .
- ٧ - أَوْجِزْ مضمونَ الفَصلِ في أسطرٍ قَلِيلَةٍ .

الفصل التاسع

اسْتَقَلَّ لَيْفِينَ عَرَبَةً بِمُفْرَدِهِ، وَتَوَجَّهَ إِلَى بَيْتِهِ. وَشَخَّصَ إِلَى الْأَمَامِ، وَكَأَنَّهُ يَرَى فِي ظَهْرِ
الْحُوذِيِّ أُمُورًا كَثِيرَةً!

وَطَفِقَ يُرَدِّدُ وَهُوَ يُفَكِّرُ: «سَقِيَا لَهَا... إِنَّهَا امْرَأَةٌ رَائِعَةٌ، بَلْ إِنَّهَا ضَوْءٌ ساطِعٌ باهراً! إِنَّهَا
نادرةُ المِثَالِ، جَوْهَرَةٌ فَرِيدَةٌ يَتِيْمَةٌ!»

وَاسْتَعَادَ مَا قَالَتْهُ، وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، وَجَعَلَ يَتَذَكَّرُ صَوْتَهَا الْعَذْبَ، وَيُقَارِنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَحْنِ
مُوسِيقِيٍّ يَضْرِبُهُ فَنَانَ عَلَى الْوَتْرِ. وَأَشْفَقَ عَلَيْهَا. لَقَدْ لَامَهَا فِي مَا سَبَقَ، أَمَا الْيَوْمَ فَهَوَّ يَخْنُو
عَلَيْهَا وَيُرْتِي لِحَالِهَا.

وَتَرَجَّلَ مِنَ الْعَرَبَةِ أَمَامَ بَيْتِهِ. وَلَمَّا دَخَلَ أَجْفَلَ مِمَّا رَأَهُ مِنَ اضْطِرَابِ زَوْجَتِهِ وَقَلَقِهَا. وَقَدْ
أَخْبَرْتُهُ، وَهِيَ مُقَطَّبَةٌ مُنْفَعِلَةٌ، أَنَّهَا انْتظَرَتْ حُضُورَهُ طَوِيلًا مِنْ دُونِ جَدْوَى. وَتَفَرَّسَتْ فِي
أَمَارَاتِهِ، فَرَابَهَا فِيهَا انْبِسَاطٌ عَجِيبٌ، كَمَا رَابَهَا مِنْ نَظَرَتِهِ وَمُضْمَةٌ خَاطِفَةٌ تَأْتِي وَتَذْهَبُ، وَكَأَنَّهَا
الْفِكْرُ الطَّارِئُ يُلِمُّ بِالْعَقْلِ عَلَى دُفْعَاتٍ! وَمَا عَمَّتْ أَنْ قَالَتْ: «وَأَيْنَ كُنْتُ؟ أَيْنَ قَضَيْتَ هَذَا
الْوَقْتَ؟»

وَصَمَّتْ كَيْ لَا تُخْفِيَهُ، ثُمَّ ابْتَسَمَتْ مُسَجَّعَةً، وَكَأَنَّهَا تُطْمِئِنُّهُ وَتَحْتُهُ عَلَى الْإِعْتِرَافِ.

فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ إِلَّا أَنْ أَطَّلَعَهَا عَلَى اجْتِمَاعِهِ بِفِرُونْسِكِي، وَمَا تَبَادَلَا مِنْ حَدِيثٍ، ثُمَّ عَلَى
اجْتِمَاعِهِ بِأَوْبِلِنْسِكِي، وَإِلْحَاحِ الْأَخِيرِ عَلَيْهِ فِي الذَّهَابِ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِ أَنَا.

وَتَصَاعَدَ الدَّمُ إِلَى وَجْهِهِ عِنْدَمَا ذَكَرَ الْأَسْمَ، وَأَيَّقَنَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَنَّهُ ارْتَكَبَ خَطَأً
فَاحْشًا بَدْهَابِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَنْزِلِ.

وَجَحَظَتْ عَيْنَا كَاتَرِينَ، وَحَدَجَتْهُ بِنَظَرَةٍ نَارِيَّةٍ. لَقَدْ ذَهَبَ إِذَا إِلَى مَنْزِلِ أَنَا كَارِنِينَا.

وَاسْتَعَادَتِ الْمَرْأَةُ الْأَرَبِيَّةُ^(١) رِبَاطَةَ جَأْشِهَا، وَكَمَّتْ مَا جَاشَ فِي صَدْرِهَا، وَرَمَقَتْهُ بِنَظْرَةٍ هَادِيَةٍ، وَكَأَنَّهَا تَقُولُ: «اسْتَمِرَّ... اسْتَمِرَّ... قُلْ كُلُّ شَيْءٍ».

وَاسْتَلَى لَيْفِينُ: «وَأَنَا إِذْ لَبِثْتُ رَجَاءَ سَتِيفَانَ أُوبِلِنْسكي، كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّكَ لَنْ تَغْضَبِي، لَوْ تَوْفِي مِنْ رَجَاحَةِ تَفْكِيرِكَ، وَاعْتَزَاي بِرُكُونِكَ إِلَيَّ وَإِلَى حِرْصِي وَشَرَفِي وَحُبِّي...».

قَالَتْ: «وَكَيْفَ أَلْفَيْتَهَا؟»

قَالَ: «إِنَّهَا عَلَى جَانِبِ كَبِيرٍ مِنَ الْحُسْنِ وَالِدَّمَائَةِ... إِنَّهَا شَقِيَّةٌ وَأَرْثِي لَهَا مِنْ كُلِّ قَلْبِي».

وَأَفَاضَ فِي شَرْحِ الْمُقَابَلَةِ، ثُمَّ حَدَّثَهَا عَنِ الصُّورَةِ الرَّائِعَةِ وَعَنِ الشَّبهِ الْعَظِيمِ بَيْنَ الْأَصْلِ وَالتَّقْلِيدِ. وَمَا لَبِثَ أَنْ نَقَلَ إِلَيْهَا كَلِمَاتِ أَنَا لَهَا.

وَقَالَتْ كَاترِينُ بَعْدَ أَنْ فَرَّغَ مِنْ حَدِيثِهِ: «أَجَلْ، إِنَّهَا امْرَأَةٌ طَيِّبَةٌ، وَلَكِنَّهَا كَمَا قُلْتُ، تَسْتَحِقُّ الرِّثَاءَ وَالشَّفَقَةَ».

وَلَمَّا رَكَنَ لَيْفِينُ إِلَى عَوْدَةِ الْمِيَاهِ إِلَى مَجَارِيهَا وَرَأَى مِنْ زَوْجَتِهِ اتِّزَانًا وَتَفَهُمًا، قَبَّلَهَا فِي جَبِينِهَا وَدَخَلَ إِلَى مَخْدَعِهِ، فَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَاسْتَبَدَّلَ بِهَا مَلَابِسَ النَّوْمِ.

وَعَادَ أَدْرَاجَهُ فَدَنَا مِنْهَا، وَلَكِنَّهُ أَجْفَلَ مِمَّا رَأَهُ فِي عَيْنَيْهَا. فَتَرَيْتُ، وَحَاوَلْتُ أَنْ يَتَكَلَّمَ، غَيْرَ أَنَّهَا تَمَلَّمَتْ فِي مَكَانِهَا، وَبَكَتْ.

وَلَهَفَتْ نَفْسُ لَيْفِينِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا يَقُولُ: «عَلَى رِسْلِكَ يَا كَاترِينُ... مَاذَا أَلَمَّ بِكَ؟ لِمَ تَبْكِينَ؟»

فَأَجَابَتْهُ وَهِيَ لَا تَرَالُ تَشْرِقُ بِالدَّمْعِ: «لَقَدْ وَقَعْتَ فِي حَبَائِلِهَا، فِي حَبَائِلِ أَنَا، تِلْكَ الْمَرْأَةُ الشَّيْطَانِ، تِلْكَ الْأُنْثَى الَّتِي خَلَعَتْ الْعِذَارَ وَارْتَكَبَتْ الْمَعَاصِيَ!»

فَصَاحَ لَيْفِينُ بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ: «أَقْلِعِي... أَقْلِعِي... بِاللَّهِ عَلَيْكَ أَنْ تَكْفِي عَن كَلَامٍ لَا طَائِلَ تَحْتَهُ».

(١) الْأَرَبِيَّةُ: الْمَاهِرَةُ الْبَصِيرَةُ.

قالت: «أجل، لقد كلفتُ بها وشُغفتُ، وإني أقرأ ذلك في عَيْنِكَ؛ إني أرى كُلَّ شيءٍ، ولا أجدُ مفرًا مِنَ السَّمْرِ. سأسافرُ غداً، سأسافرُ غداً، سأرجعُ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُ».

وبَدَلَ لَيْفِينِ جُهْدَهُ لِيُخَفِّفَ عَنْهَا، وَأَفْرَعَ وَشَعَهُ فِي إِقْنَاعِهَا بِأَنَّهُ لَا يُحِبُّ سِوَاهَا، وَأَنَّ شُعُورَهُ نَحْوَ أَنَا كَانَ بِحَافِزٍ مِنَ الشَّفَقَةِ، فَقَطُّ! وَلَمَّا هَدَّأَتْ ثَائِرَتُهَا، وَلَا نَتْ بَعْدَ غَيْظٍ، وَعَدَّهَا بِأَلَّا يَزُورَ أَنَا مَرَّةً أُخْرَى، زَاعِمًا أَنَّ مَيْلَهُ الَّذِي شَعَرَ بِهِ أَخِيرًا إِلَى حَيَاةِ اللَّهْوِ وَالشُّرْبِ كَانَ نَتِيجَةَ تَفَرُّغِهِ وَتَبَطُّلِهِ وَيُعْدِيهِ عَنْ قَرِينَتِهِ.

وَمَضَتْ السَّاعَاتُ، وَعَادَتِ الْمِيَاهُ إِلَى مَجَارِيهَا بَيْنَ الرَّوَجِينِ، وَنَامَتْ كَاتِرِينُ قَرِيرَةً الْعَيْنِ مُطْمَئِنَّةً إِلَى زَوْجِهَا وَإِحْلَاصِهِ. وَنَامَ هُوَ مِنْ دُونِ أَنْ يُفَكِّرَ فِي شَيْءٍ.

وَفِي الصَّبَاحِ، اسْتَفَاقَتْ كَاتِرِينُ وَقَدْ جَاءَهَا الْمَخَاضُ، وَوَضَعَتْ مَوْلُودًا ذَكَرًا. فَطَارَتْ نَفْسُ لَيْفِينِ فَرِحًا، وَنَسِيَ أَنَا، وَنَسِيَ كُلُّ شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِهَا، وَمَا عَادَ يُفَكِّرُ إِلَّا فِي وَليدِهِ، فِي ابْنِهِ.

* * *

إِبْتَسَمَتْ أَنَا سَاعَةَ انْفِرَدَتْ بِنَفْسِهَا، فَقَدْ فَهَمْتُ مِنْ نَظَرَاتِ لَيْفِينِ وَكَلِمَاتِهِ أَنَّهُ وَقَعَ فِي حَبَائِلِهَا، فَسَرَّتْ وَاغْتَبَطَتْ. فَهِيَ إِذَا سَاجِرَةٌ كَمَا كَانَتْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَإِلَّا لَمَا تَسَنَّى لَهَا التَّأثيرُ فِي لَيْفِينِ وَالسَّيْطَرَةُ عَلَى حَوَاسِهِ وَمَشَاعِرِهِ.

وَأَنَا، وَالْحَقُّ يُقَالُ، لَمْ تُعْجَبْ بَرَجُلٍ بَعْدَ تَعَلُّقِ قَلْبِهَا بِفرونسكي؛ لَكِنَّ لَيْفِينِ وَقَعَ فِي نَفْسِهَا مَوْقِعًا حَسَنًا. وَمَعَ أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ فرونسكي فِي شَيْءٍ، فَهُوَ يَفْتَرِقُ عَنْهُ فِي نَاحِيَةِ غَاوِضَةٍ مِنْ نَفْسِهِ. وَهَذَا مَا جَعَلَهَا تَمِيلُ إِلَيْهِ كَمَا مَالَتْ إِلَى فرونسكي مِنْ قَبْلُ.

فَلَمَّا ذَهَبَ نَسِيَتْ أَمْرَهُ، وَأَنْشَأَتْ تُنَاجِي نَفْسَهَا وَتَقُولُ: «مَا دُمْتُ مَالِكَةً فِئْتِي وَسُخْرِي، وَمَا دُمْتُ مُتَمَكِّنَةً مِنْ قُوَّةِ تَأثيرِي فِي الرِّجَالِ، سِوَاءِ مِنْهُمْ الْعُزَابُ وَالْمُتَرَوِّجُونَ، لِمَاذَا أَشْعُرُ بِفرونسكي يَحَرَّرُ رُويْدًا رُويْدًا مِنْ قَبْضَتِي؟ إِنَّهُ يُجِبُّنِي، وَلَا أَشْكُ فِي حُبِّهِ أَبَدًا؛ بَيِّدَ أَنَّ هُنَاكَ سِرًّا أَشْعُرُ مَعَهُ بِأَنَّ حُبَّهُ أَخَذَ يَمْتُرُ، وَأَنَّ الثُّمُورَ يَنْمُو بَيْنَنَا وَيَكْبُرُ».

وَدَمَعَتْ عَيْنَاهَا، لَكِنَّ قَرْعَ الْبَابِ أَرْجَعَ إِلَيْهَا نَفْسَهَا الشَّارِدَةَ.

لَقَدْ قَفَلَ فرونسكي رَاجِعًا، وَجَفَفَتْ دَمْعُهَا عَلَى عَجَلٍ، وَتَصَنَعَتْ الْإِثْبَابَ عَلَى الْقِرَاءَةِ،

حَتَّى لَا يَلْحَظَ شَيْئًا مِنْ حَيْرَتِهَا وَحُزْنِهَا، وَحَتَّى لَا يَفْطَنَ إِلَى حَقِيقَةِ مَشَاعِرِهَا .

وَيَعُدُّ أَنْ حَيَّاهَا ابْتَدَرَهَا بِالسُّؤَالِ عَنْ رَأْيِهَا فِي لَيْفَيْنِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا يُحَدِّثُهَا عَنْ مُغَامَرَةِ الْأَمِيرِ يَاشْفِينَ فِي النَّادِي، وَتَكْبُدِهِ الْخَسَارَةَ الْفَادِحَةَ فِي الْمَيْسِرِ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ مَبْلَغًا طَائِلًا .

فَهَتَفَتْ فِي صَوْتٍ مُفْعَمٍ بِالتَّائِبِ: «وَمَنْ طَلَبَ إِلَيْكَ أَنْ تَبْقَى؟ لِمَ تَجَسَّمْتَ الْمَكْتُ مَعَهُ؟ أَلَيْكَ تَتَأَخَّرَ عَنِ الْأُويَّةِ؟ أَلَيْكَ تَتْرَكُنِي وَحِيدَةً لَا يُؤْنِسُ وَخَدْتِي إِنْسَانًا؟»

فَانْقَبَضَتْ أَسَارِيرُهُ وَأَجَابَ: «أَنَا حُرٌّ فِي مَا أَفْعَلُ يَا أَنَا، فَلَا تُحَاوِلِي أَنْ تُقَيِّدِي حُرِّيَّتِي!»

وَرَاجَعَ نَفْسَهُ وَابْتَسَمَ، وَكَأَنَّهُ يَبْغِي وَضْعَ حَدٍّ لِلْمُشَاجِرَةِ الَّتِي بَدَتْ طَلَائِعُهَا، فَمَدَّ لَهَا يَدَهُ، وَدَنَا مِنْهَا. فَسَرَّتْهَا حَرَكَتُهُ، لَكِنَّا انْكَمَشَتْ عَلَى نَفْسِهَا مُتَجَهِّمَةً، وَكَأَنَّ نَفْسَهَا ظَمِئَتْ إِلَى الشُّجَارِ، أَوْ كَأَنَّهَا اِزْتَاضَتْ عَلَى تَبَادُلِ التُّهْمِ، وَتَأْرِيثِ^(١) نِيرَانِ الْخِصَامِ .

وَلَمَّا رَأَى اِزْوَارَهَا انْتَشَى إِلَى نَاحِيَةِ ثَانِيَةٍ بِنَظَرِهِ وَجَسَدِهِ، كَيْلَا تَرَى مَا كَسَا وَجْهَهُ .

وَعَادَتْ أَنَا تَقُولُ بِاللَّهْجَةِ الْعَائِيَّةِ الْعَادِلَةِ نَفْسِهَا: «أَنْتَ حُرٌّ، لَا شُبْهَةَ فِي ذَلِكَ، لَكِنَّا أَخَذْتَ فِي الْمُدَّةِ الْأَخِيرَةِ تَنْتَهَزُ كُلَّ فُرْصَةٍ لِتَذْكِرِي بِحَقِّكَ فِي حُرِّيَّتِكَ» .

وَصَمَمْتُ وَكَأَنَّهَا تَسْتَعِيدُ دَرْسًا، وَاسْتَأْنَفْتُ بَعْدَ قَلِيلٍ: «أَنْتَ عَنِيدٌ، وَهَذَا مَا يُعَكِّرُ صَفْوَةَ الْجَوِّ بَيْنَنَا. أَنْتَ أَنَانِي تَرْعَبُ فِي كُلِّ حِينٍ أَنْ تُنْقَدَ إِرَادَتَكَ . . . فَأَنْتَ إِذَا قَاسِيَ الْفُؤَادِ لِأَنَّكَ لَا تَشْعُرُ مَعِي، وَلَا تُقَدِّرُ مَوْقِفِي. إِنَّنِي أَقِفُ عَلَى جَرْفِ هَارٍ، وَأُوشِكُ أَنْ أَسْقَطَ، وَمَعَ ذَلِكَ . . . وَمَعَ ذَلِكَ . . .» .

وَأَخْفَتْ وَجْهَهَا فِي رَاحَتِهَا وَهِيَ تَنْتَحِبُ .

وَنَارَ شَجْنُهُ وَتَلَعَجَ حُزْنُهُ، فَهَمَّ بِهَا يَتَوَدَّدُ إِلَيْهَا وَيُرَبِّتُ ظَهْرَهَا، وَيُقْبِلُهَا. وَمَا لَيْتَ أَنْ قَالَ: «إِنِّي لَكَ مُجِبٌّ صَادِقٌ، وَلَا أَرْعَبُ فِي مُغَادَرَةِ الْمَنْزِلِ، بَقِي بِمَا أَقُولُ يَا أَنَا، وَاطْمَئِنِّي إِلَى حُبِّي» .

قَالَتْ: «لَسْتُ فِي شَكٍّ مِنْ إِخْلَاصِكَ، غَيْرَ أَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ أُخْرَى . . .» .

فَهَتَفَ مُتَبَرِّمًا قَلِيلًا: «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ أَنْ تُطْلِعَنِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. أَطْلِعْنِي عَلَى مَا يَخْلُقُ

(١) تَأْرِيثُ النَّارِ: إِثَارَتُهَا .

بي عَمَلُهُ. أَطْلَعَنِي عَلَى مَا تَسْكُنُ إِلَيْهِ نَفْسُكَ وَتَقْرَأُ رَوْحُكَ. إِنِّي عَلَى تَمَامِ الْأَهْبَةِ لِلْقِيَامِ بِأَيِّ عَمَلٍ تَكْمُنُ فِيهِ سَعَادَتُكَ وَهَنَاؤُكَ. وَيَكُونُ فِيهِ خَلَاصٌ لَكَ مِنْ بَلْبَلِكَ وَقَلْقِكَ».

قَالَتْ: «أَرْجُو أَنْ لَا تَضْطَرِّبَ، فَأَنَا مُخْطِئَةٌ بَسْرُوعِي، وَقَدْ أَثَّرَتْ فِي حَيَاةِ الْوَحْدَةِ وَالْإِنْفِرَادِ».

وَتَنَاوَلَا طَعَامَ الْعِشَاءِ بَعْدَ قَلِيلٍ، وَتَجَادَبَا أَطْرَافَ الْحَدِيثِ؛ تَبَادَلَا الْكَلَامَ، وَالِابْتِسَامَ، وَالضُّحْكَ. وَلَكِنْ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ أَشْبَهَ بِالْمُحَاوَلَةِ الْعَقِيمَةِ. فَقَدْ اتَّسَعَتِ الشُّقَّةُ بَيْنَهُمَا إِلَى دَرَجَةٍ عَظِيمَةٍ، وَلَمْ يُعَدَّ هُنَاكَ مِنْ فَائِدَةٍ. لَنْ تَعُودَ الْمِيَاهُ إِلَى مَجَارِيهَا... فَقَدْ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ^(١)!

وَتَنَاهَى شُعُورُ أَنَا بِالْحُزْنِ. إِنَّهُ أَضْحَى أَكْثَرَ بُرُودًا وَجُمُودًا مِنْ ذِي قَبْلٍ، إِنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَعَهَا وَيُفَكِّرُ فِي أَمْرِ آخَرَ. لَقَدْ أَفَلَّتْ مِنْ قَبْضَتِهَا، وَتَلَاشَى حُبَّهُ، وَخَسِرَتْهُ... خَسِرَتْهُ... وَأَيَّقَنْتُ وَالْأَسَى يَحُزُّ فِي صَدْرِهَا أَنَّ النِّهَايَةَ بَدَأَتْ مِنْذُ اللَّيْلِ، لَقَدْ بَدَأَتْ نِهَايَةَ حُبِّهَا، وَلَعَلَّ نِهَايَةَ حَيَاتِهَا قَدْ أَزْفَتْ أَيْضًا!

* * *

الشُّقَّةُ الْمُعَدَّبَةُ

بَدَأَتْ تَتَذَوَّقُ ثَمَرَاتِ خِيَانَتِهَا لِرُؤُوسِهَا.

التَّاعِسَةُ الْعَاثِرَةُ الْحَظَّ

طَفِقَتْ تَتَرَمَّضُ عَلَى أُوَارٍ^(٢).

أَنَا كَارِنِينَا الْمَرْأَةُ الْفَاتِنَةُ

رَأَتْ الْآنَ أَنَّهَا تَنْحَدِرُ وَتَنْحَدِرُ،

وَأَنَّهَا لَا تَفْتَأُ تَنْحَدِرُ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ،

وَأَيَّقَنْتُ أَنَّهَا سَتَضْطَلِمُ بِالْحَقِيقَةِ،

(١) سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ: مَثَلٌ يُضْرَبُ إِذَا فَاتَ إِضْلَاحٌ مَا فَسَدَ.

(٢) تَتَرَمَّضُ عَلَى أُوَارٍ: تَتَحَرَّقُ عَلَى حَرٍّ شَدِيدٍ.

وَسَتَّحَطُّمُ . . . تَتَحَطُّمُ . . . تَتَحَطُّمُ . . .

أَدْرَكْتُ أَنَا كَارِنِينَا كُلَّ ذَلِكَ

وَبِكِي قَلْبُهَا . . . بَكِي بُكَاءَ مَرِيرًا .

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَع لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - أترى أَنَّ مخاوفَ كاترينَ مِنْ أَنَّا على زَوْجِها كانتَ مُسوَّغَةً؟ ولماذا؟
- ٣ - فَهَمَّتْ (أنا) مِنْ نظراتِ ليفينَ وكَلِماتِهِ أَنَّهُ وَقَعَ في حبايلِها، فسَرَّتْ واغْتَبَطَتْ . أترى في هذا ما يدلُّ على صِدْقِ حُبِّها وِشْمُوِّ نَفْسِها ونُبْلِ أَخلاقِها، أم تَرى غيرَ ذلك؟ علِّلْ رأيكَ .
- ٤ - أَأَخَذَتْ أزمَةَ أَنَّا كارنينا تَنْفِرُجُ، أم تَراها ازدادتَ تَعْقيدًا؟ وأيْنَ تَرى السَّبَبَ في ذلك؟
- ٥ - تُرى أَيْنَ سَتَّهِيَ عُقدَةُ الرِّوايةِ؟ وما الحَلُّ في رأيكَ بعدَ كُلِّ هذا التَّأزُّمِ؟ اطرَحْ ما تَراه مِنْ حُلُولٍ، وناقِشْهُ .
- ٦ - أوجِزْ مَضمونَ الفصلِ في أسطرٍ قليلةٍ .

الفصل العاشر

تَدَهَوْرَتْ حَالُهُ سَتِيْفَانَ شَقِيْقِي أَنَا، وَأَصْبَحَ عَلَى شَفَا الْإِفْلَاسِ. إِنَّ مُرْتَبَهُ كَبِيْرٌ يَسِيْلُ لَهُ اللَّعَابُ، لَكِنَّهُ لَا يَكْفِيهِ وَيَكْفِي عَائِلَتَهُ. وَالْغَابَةُ الَّتِي يَمْلِكُهَا لَمْ تَعُدْ تَدْرُ عَلَيْهِ الْمَالَ الْكَافِي أَيْضًا، فَقَدْ أَصْرَتْ دَارِيَا زَوْجَتُهُ عَلَى أَخْذِ حِصَّتَيْهَا مِنَ الرَّبْعِ. لِهَذَا لَمْ يَبْقَ لَهُ مَخْرَجٌ مِنْ مَأْرِقِهِ إِلَّا التَّوَجُّهُ إِلَى بَطْرَسْبِرْجِ، وَالسَّعْيُ لَدَى أَوْلِي الْأَمْرِ، عَلَّهُ يَنْظُرُ بِزِيَادَةٍ فِي مُرْتَبِهِ تَسُدُّ تِلْكَ الثُّغْرَةَ الَّتِي مَا فَيَّبَتْ تَتَسَّعُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ.

وَاسْتَدَانَ مِنْ زَوْجَتِهِ خَمْسِينَ رُوْبَلًا، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى بَطْرَسْبِرْجِ، وَذَهَبَ مُبَاشَرَةً إِلَى بَيْتِ الْكُتَيْبِ كَارِنِينَ زَوْجِ شَقِيْقَتِهِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ طَوِيْلًا وَسَأَلَهُ أَنْ يَتَوَسَّطَ لَدَى زَمِيْلٍ لَهُ مِنَ الْوُزَرَاءِ فِي أَمْرِ الزِّيَادَةِ الَّتِي جَاءَ مِنْ أَجْلِهَا.

وَأَضْعَى بَعْدَ ذَلِكَ بِصَبْرٍ وَجَلْدٍ إِلَى تَقْرِيرِ مُطَوَّلٍ تَلَاهُ كَارِنِينُ عَلَى مَسْمَعٍ مِنْهُ عَنِ الْأَزْمَةِ الْخَافِيَةِ الَّتِي اسْتَفْحَلَتْ أَمْرًا فِي الْبِلَادِ، وَاسْتَشْرَى شَرُّهَا.

وَمَا لَبِثَ أَنْ انْتَهَرَ فُرْصَةَ انْقِطَاعِ كَارِنِينَ عَنِ الْكَلَامِ حَتَّى بَادَرَهُ قَائِلًا: «ثُمَّ مَسْأَلَةٌ أَوْدُ أَنْ أُحَدِّثَكَ بِهَا، وَأَنْتَ تَعْرِفُهَا، إِنَّهَا بِخُصُوصٍ أَنَا أُحْتِي».

وَصَمَّتْ سَتِيْفَانُ وَتَأَمَّلَ فِي كَارِنِينَ، فَشَاهَدَ مَا شَابَهُ مِنَ التَّبَدُّلِ الْعَجِيْبِ سَاعَةَ طَرَقَ سَمْعُهُ اسْمُ زَوْجَتِهِ. شَاهَدَ الْحَيَاةَ تَفَرُّ مِنْ وَجْهِهِ، شَاهَدَ أَمَارَاتِهِ تَخْتَلِجُ ثُمَّ تَجْمُدُ، وَكَأَنَّهَا تَمُوتُ.

وَقَالَ الزَّوْجُ الْمَلْهُوفُ بِصَوْتٍ عَمِيْقٍ حَزِينٍ: «وَمَاذَا تُرِيدُ مِنِّي؟ قُلْ مَاذَا تُرِيدُ؟»

- «أُرِيدُ تَسْوِيَةً فَاصِلَةً بَاتَّةً، تَسْوِيَةً تَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوْضِعِهَا، وَإِنِّي أَضْرَعُ إِلَيْكَ، لَا بِصِفَتِكَ سِيَاسِيًّا وَوَزِيرًا خَطِيْرًا، بَلْ كَرَجُلٍ طَيِّبِ الْقَلْبِ، وَكَمَسِيْحِي لَا يَخْلُو قَلْبُهُ مِنْ كَلِمَةِ الْمَغْفِرَةِ وَالصَّفْحِ، كَرَجُلٍ يُشْفِقُ عَلَى امْرَأَةٍ خَاطِئَةٍ، وَيُسَاعِدُهَا».

- «وَبِأَيِّ طَرِيقَةٍ يُمْدُّ لَهَا يَدَهُ مُسَاعِدًا؟»

- «لَوْ شَاهَدْتَهَا، لَرَبَّيْتِ لَهَا، وَلِبَكَيْتِ حُزْنَآ عَلَيَّهَا. إِنَّهَا مُعَذَّبَةٌ، مُعَذَّبَةٌ يَا صَدِيقِي».

- «خَيْلٌ إِلَيَّ أَنَّهُا تَنْعَمُ فِي أَحْسَنِ حَالٍ مِنَ الْعَيْشِ. أَفَلَمْ تَنْلُ مَا صَبَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهَا؟ أَفَلَمْ تَنْظُرْ بِمُبْتَغَاهَا؟»

- «أَقْصِرْ يَا كَارِنِينُ، وَجَنِّبْنَا كَلَامًا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ، جَنِّبْنَا التَّقَاذِفَ بِالثُّهْمِ، فَمَا مَضَى قَدِ انْقَضَى، وَأَنْتِ أَذْرَى مِنْ سِوَاكَ بِمَا تَنْشُدُهُ أَنَا وَتَبْغِيهِ. أَنْتِ تَعْلَمُ أَنَّهَا تُرِيدُ الطَّلَاقَ، فَاْمُنَحْهَا وَطَرَّهَا، أَيْلَهَا مَا تَصْبُو إِلَيْهِ نَفْسُهَا، لَا تَقِفْ حَجَرَ عَثْرَةٍ فِي طَرِيقِ سَعَادَتِهَا».

- «لَكِنَّ أَنَا كَمَا أَعْتَقِدُ أَبَتِ الطَّلَاقِ وَرَفَضْتُهُ، وَرَفَضْتُهَا مُسَبَّبٌ عَنْ إِضْرَارِي عَلَى الْإِحْتِفَاطِ بِابْنِي، وَهَذَا يُنْهِي الْمَسْأَلَةَ».

وَتَحَرَّكَ فِي مَكَانِهِ حَائِقًا مَغِيظًا.

وسارَعَ ستيفانُ يَقُولُ: «لا... لا... أَرْجُو أَنْ تَتَذَرَعَ بِالْحِلْمِ يَا صَاحِ، فَالْمَسْأَلَةُ لَمْ تَنْتَهَ بَعْدُ، وَإِذَا أَصَحَّتْ إِلَيَّ أَطْلَعْتُكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَعَلَى رَأْيِي. لَقَدْ أَنْفَضَلْتُمَا، وَأَطْهَرْتُ أَنْتِ رَغْبَتِكَ فِي الطَّلَاقِ، وَاحْتَفَظْتَ هِيَ لَكَ فِي قَلْبِهَا بِالشُّكْرِ وَالشَّاءِ، بَلْ إِنَّ عُلُوَّ نَفْسِكَ آذَاهَا فِي شُعُورِهَا بِانْخِفَاضِ نَفْسِهَا، فَاِنْكَفَأَتْ ذَاهِبَةً، وَوَلَّتْ هَارِبَةً، وَابْتَعَدَتْ وَعَاشَتْ فِي مَعزِلٍ عَنِ الْخَلْقِ. بَيَدَ أَنَّ الْأَيَّامَ، وَالْخَبِيرَةَ أَظْهَرَا جَلِيًّا أَنَّ حَالَتَهَا لَا تُطَاقُ، وَأَنَّهَا فِي مِخْنَةٍ، وَأَنَّ الْجُنُونَ هُوَ نَهَايَتُهَا الْمَحْتَمَةُ».

فَرَدَّ عَلَيْهِ كَارِنِينُ بِجَفَاءٍ وَاقْتِضَابٍ: «لَا أَبَهُ لَهَا. لَا أَحْفَلُهَا. فَحَيَاتُهَا، حَيَاةُ أَنَا شَقِيقَتِكَ لَا تَعْنِينِي فِي قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، حَيَاةُ أَنَا لَا قِيمَةَ لَهَا فِي نَظْرِي».

قَالَ: «دَرَنِي أُصَارِخُكَ بَعْدَ تَصَدِيقِكَ. إِنِّي لَا أَصَدِّقُ قَوْلَكَ. إِنَّ حَالَتَهَا لَا تُطَاقُ، إِنَّهَا تَتَلَمَّظُ بِالْعَلْمِ، وَشَقَاؤُهَا لَا يَفِيدُ أَحَدًا. هِيَ تَسْتَحِقُّ كُلَّ ذَلِكَ، وَتَعْلَمُ أَنَّهَا تُعَاقَبُ بِحَقٍّ عَلَى مَا جَنَحَتْ إِلَيْهِ، وَلِذَلِكَ لَا تُطَالِبُكَ بِشَيْءٍ، وَتَجْهَرُ بِأَنَّهَا لَا تَجْسُرُ عَلَى مُطَالِبَتِكَ بِأَيِّ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ... وَلَكِنَّ، أَنَا... كُلُّنَا... ذَوُو قُرْبَاهَا جَمِيعًا... مُجِئُوهَا... تَنْصَرِّعُ إِلَيْكَ... فَلَآ تَتْرُكْهَا وَحَدَهَا، وَافْعَلْ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهَا عِبَاءَ خَطِيئَتِهَا».

فَقَاطَعَهُ كَارِنِينُ قَائِلًا: «بِئْرَاءِي لِي أَنَّكَ تَعْمَلُ بِمُوجِبِ خُطِيئَةٍ كَيْمَا تُشْعِرَنِي بِأَنِّي الْمُخْطِئُ الْمَذْنِبُ».

فَهَتَفَ الْآخَرُ: «أَوْه! كَلَّا... كَلَّا... إِنِّي لَا أَفَعْلُ ذَلِكَ، وَحَاشَا أَنْ أَفَعَلَ، فَافْهَمْنِي، أَرْجُو أَنْ تَسْتَوْعِبَ كَلَامِي. إِنَّ مَا أَبْغِي إِبْصَاحَهُ لَكَ هُوَ أَنَّ حَالَتَهَا امْسَتْ مَيْتُوسًا مِنْهَا، وَأَنَّكَ الْإِنْسَانُ الْوَحِيدَ الَّذِي يَسَعُهُ إِبْعَادُ الْمَوْتِ عَنْهَا، وَلَنْ تَفْقِدَ شَيْئًا إِنْ فَعَلْتَ، لَنْ تُضَارَ إِنْ عَمَدْتَ إِلَى إِنْقَازِهَا مِنْ بَرَاثِنِ الْأَسَى وَالْيَأْسِ، وَأَسْتَطِيعُ إِنْ رُمْتُ ذَلِكَ، أَنْ أُرْتَبَ الْأُمُورَ بِطَرِيقَةٍ مُرِيحَةٍ لَا يَلْحَقُكَ مِنْهَا أَيُّ ضَمِيمٍ أَوْ أَلِيمٍ. أَلَمْ تَعِدْهَا؟ أَلَمْ تَعْرِضْ عَلَيْهَا الطَّلَاقَ؟»

فَقَالَ كَارْنِينُ: «لَا أُنْكِرُ مَا أَبْرَمْتُ عَلَى نَفْسِي، بَيِّدَ أَنْ ذَلِكَ جَرَى مِنْذُ أَمِدٍ طَوِيلٍ، وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنْ مَسْأَلَةَ ابْنِي قَدْ قَرَّرْتُ الْأَمْرَ وَبَيَّنَّهُ. وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ، كُنْتُ أَظُنُّ أَيْضًا أَنْ أَنَا سَمَحْتُ كَرِيمَةً...».

وَصَمَتَ كَارْنِينُ بَغْتَةً، وَتَقَلَّصَتْ عَضَلَاتُ وَجْهِهِ، وَعَضَّ عَلَى شَفْتَيْهِ.

وَقَالَ سَتِيفَانُ: «إِنَّهَا تَتْرُكُ الْأَمْرَ لَكَرَمِكَ أَنْتَ، إِنَّهَا تُفَوِّضُ مُسْتَقْبَلَهَا إِلَيْكَ، لِأَنَّكَ رَجُلٌ، وَلِأَنَّهَا تَبْتَلِي بِرُجُولَتِكَ. وَهِيَ تَرْجُوكَ، تَبْتَهَلُ إِلَيْكَ، تَتَوَسَّلُ أَنْ تَشْلُهَا مِنْ وَهْدَتِهَا، أَنْ تُبْقِيَ عَلَيْهَا، أَنْ تَنْتَزِعَهَا انْتِزَاعًا مِنْ وَضْعِيَّتِهَا الْعَسِيرَةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تَصْبِرَ عَلَيْهَا طَوِيلًا. وَهِيَ لَا تُطَالِبُ بَابْنِهَا، أَيِ الْكَيْسِيِّ كَارْنِينِ. أَنْتَ نَبِيلٌ كَرِيمٌ، أَنْتَ إِنْسَانٌ تَحْتَفِظُ بِقَلْبِكَ، فَضَعُ نَفْسَكَ فِي مَكَانِهَا لِحِظَةً وَاحِدَةً. إِنَّ مَسْأَلَةَ الطَّلَاقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا، هِيَ مَسْأَلَةُ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ. وَلَوْ أَنَّكَ لَمْ تُبْدِ اسْتِعْدَادَكَ لِحَلِّهَا مِنْ رِبَاطِ الزَّوْجِيَّةِ، لَمَا قَفَلْتَ رَاجِعَةً إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَطَلَّتْ فِي الرَّيْفِ. وَلِكَيْتِكَ وَعَدَّتْهَا، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِرِسَالَةٍ، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى مُوسَكَو. وَهَا هِيَ الْآنَ تَعِيشُ هُنَاكَ، وَتَنْتَظِرُ عَلَى أَحَرٍّ مِنَ الْجَمْرِ كِتَابًا مِنْكَ يَضَعُ حَدًّا لِأَسْقَامِهَا، وَالْإِنْتِظَارُ صَعْبٌ يَا صَدِيقِي. وَمَا أَضَعَبَ حَيَاتَهَا فِي مُوسَكَو! فَهِيَ تَشْعُرُ بِالسَّكَاكِينِ تُمَزَّقُ أَحْشَاءَهَا كُلَّمَا التَّقَّتْ إِنْسَانًا تَعْرِفُهُ، وَهِيَ تَظُنُّ أَنْ كُلَّ إِنْسَانٍ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مُتَهَكِّمًا سَاحِرًا. فَأُتِقْذَهَا، أَنْقِذْهَا.»

وَتَنَفَّسَ الرَّجُلُ الصُّعْدَاءَ مِنَ الضَّيْقِ، وَتَابَعَ يَقُولُ: «وَمَثَلُ أَنَا فِي حَيَاتِهَا، كَمَثَلِ مَحْكُومٍ بِالْمَوْتِ، وَضِعَ الْحَبْلُ فِي عُنُقِهِ مِنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَلَا يَزَالُ مَوْضُوعًا. وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَصِيرَهُ، يَقُولُونَ لَهُ: لَقَدْ عَفَوْنَا. ثُمَّ يَقُولُونَ: لَا. سَوْفَ تَمُوتُ مَوْتًا أَبَدِيًّا! فَكُنْ رَحِيمًا يَا الْكَيْسِيُّ، أَشْفِقْ عَلَى هَذِهِ الْمَحْكُومَةِ، وَثِقْ بِمَقْدِرَتِي عَلَى وَضْعِ الْأُمُورِ فِي مَوَاضِعِهَا.»

وَقَالَ الْكَيْسِيُّ كَارْنِينِ بِأَشْوِئِزَايَا: «دَعَكَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ. لَعَلِّي وَعَدْتُ بِمَا لَا يَجُوزُ لِي أَنْ أَعِدَّ بِهِ.»

قال: «فَأَنْتَ تَنْكُثُ الْوَعْدَ إِذَا . أَنْتَ تَتَرَجَعُ نَاكِصًا» .

قال: «لَمْ أَرْفُضْ مُطْلَقًا أَنْ أَفْعَلَ كُلَّ مَا هُوَ جَائِزٌ مُمَكِّنٌ، بِيَدِ أَنِّي أَوْدُ أَنْ أَفَكَّرَ وَأَقْلَبَ الرَّأْيَ» .

فَوَثَبَ سَتيفَانُ مِنْ مَكَانِهِ، وَهَتَفَ: «كَلَّا . لَا أَصَدِّقُ أَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي تَتَكَلَّمُ . إِنَّهَا شَقِيئَةٌ، كَأَشْقَى مَا تَكُونُ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ تَاعِسَةٌ، وَلَا يَسَعُكَ الرَّفْضُ، لَا . . .» .

قال: «لَنْ أَرْفُضَ بِقَدْرِ طَاقَتِي، وَلِكِنِّي، كَأَيِّ مُؤْمِنٍ يَخَافُ اللَّهَ، وَيَهْتَدِي فِي حَيَاتِهِ بِتَعَالِيمِ الدِّينِ، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْهَجَ نَهْجًا مُنَاوِنًا لِلدِّينِ مُعَارِضًا لِتَعَالِيمِ الْإِنْجِيلِ، مُنَافِيًا لِحِكْمَةِ السَّمَاءِ» .

- «بِيَدِ أَنْ مُجْتَمَعَنَا يُوَافِقُ عَلَى الطَّلَاقِ، كَمَا أَنَّ الْكَنِيسَةَ تَرَى أَحْيَانًا أَنَّ الْمُوَافَقَةَ خَيْرٌ مِنْ الْمُعَارِضَةِ» .

- «إِنَّ الطَّلَاقَ مُفَرَّرٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِالْمَعْنَى . . . لَيْسَ بِالْمَدَى . . .» .

- «أُفَّ! أَنْتَ الْيَوْمَ غَيْرُكَ فِي الْأَمْسِ . أَلَمْ تَكُنْ أَنْتَ الَّذِي عَفَوْتَ وَغَفَرْتَ؟ أَلَمْ نَحْمَدْ فِيكَ هَذِهِ الْخِلَّةَ، وَنُكَبِّرَ عُلُوَّ نَفْسِكَ وَشَهَامَتَهَا؟ أَلَمْ تُعْرِبْ عَنِ اسْتِعْدَادِكَ لِلتَّضْحِيَةِ بِكُلِّ شَيْءٍ فِي سَبِيلِهَا؟ أَلَمْ تَقُلْ وَأَنْتَ تَحْفِضُ رَأْسَكَ اخْتِرَامًا وَمَهَابَةً: إِذَا أَخَذَ إِنْسَانٌ شُرَّتَكَ فَأَعْطِهِ عِبَاءَتَكَ؟ وَالْآنَ . . .» .

فَعَارِضَهُ كَارْنِينُ بِسُرْعَةٍ وَقَالَ: «أَرْجُو . . . أَرْجُو أَنْ تَكُفَّ عَنِ هَذَا الْقَوْلِ» .

وَانْتَصَبَ وَاقْفًا وَوَجْهُهُ يَنْضَحُ بِالْأَلَمِ، وَأَتَمَّ: «أَرْجُو أَنْ تُنْهِيَ هَذَا الْكَلَامَ، فَأَنَا لَا أَتَحَمَّلُ الْمَزِيدَ . لَا . . .» .

وَهَتَفَ الْآخَرُ، وَقَدْ أَخَافَتْهُ حَالَةُ كَارْنِينِ: «أَوْهَ! اضْفَحْ عَنِّي، اضْفَحْ عَنِّي إِنْ نَكَأَتْ جِرَاحَاتِ قَلْبِكَ» .

وَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ مُتَوَسِّلًا وَاسْتَتَلَى: «إِنِّي رَسُولٌ، مُجَرَّدُ رَسُولٍ . وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا التَّبْلِيغُ، وَلَا مَنْدُوحَةٌ لِي عَنِ إِطْلَاعِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى تَكُونَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِكَ، وَحَتَّى تَفْعَلَ الْوَاجِبَ» .

وَصَافَحَهُ أَلِكْسِيسُ كَارْنِينِ، وَتَرَدَّدَ هُنَيْهَةً وَقَالَ: «سَأَفَكِّرُ فِي الْأَمْرِ، وَسَأُحَاوِلُ أَنْ أَجِدَ

الهُدَى وَالرَّشَادَ. وَبَعْدَ غَدٍ أُعْطِيكَ قَرَارِي الْأَخِيرَ».

* * *

لَمْ يَنْسَ سَتيفَانُ أوبلنسكي واجِبَاتِ نَفْسِهِ حِينَ انْهَمَكَ فِي بَطْرَسْبِرْجِ فِي مَسَاغِلِهِ الْخَاصَّةِ،
وَفِي مَسْأَلَةِ طَلَاقِ شَقِيقَتِهِ مِنْ زَوْجِهَا.

لَمْ يَنْسَ أَنَّ لَجْسِمِهِ حَقًّا عَلَيْهِ، وَلِهَذَا أَسْلَمَ نَفْسَهُ، بَعْدَ أَنْ انْتَهَى مِنْ مُقَابَلَةِ كَارِنِينَ،
لِلخَمْرِ، فَعَاقَرَهَا، ثُمَّ ذَهَبَ مَعَ بَعْضِ الْأَصْدِقَاءِ إِلَى حَانَةِ يَجْتَمِعُ فِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْعُشَّاقِ،
فَجَلَسُوا وَاسْتَمَرُّوا يَشْرَبُونَ وَيَقْصِفُونَ إِلَى سَاعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ اللَّيْلِ. بَلْ إِنَّ سَتيفَانَ لَمْ يَتَوَرَّعْ
عَنْ مُغَازَلَةِ امْرَأَةٍ حَسَنَاءَ سَنَحَتْ لَهُ فُرْصَةٌ مُغَازَلَتِهَا وَمُطَارَحَتِهَا الْغَرَامَ فِي غَفْلَةٍ عَنْ زَوْجِهَا
الثَّوِيلِ.

وَقَضَى سَحَابَةَ النَّهَارِ الثَّلَاثِي وَهُوَ يَتَنَقَّلُ بَيْنَ مَنَازِلِ مَعَارِفِهِ، فَيَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ تَارَةً عَنْ أَنَا
وَمُشْكِلَتِهَا، وَتَارَةً أُخْرَى عَنْ مَشَاكِلِهِ وَمَطَالِبِهِ إِنْ تَوَسَّمَ فِي أَهْلِ الْمَنْزِلِ الَّذِي يَزُورُ الْمَقْدِرَةَ
عَلَى إِسْدَاءِ الْعَوْنِ.

وَلَمْ يَسْأَمْ حَدِيثَهُ أَحَدٌ، فَهُوَ لَطِيفٌ دَمِثٌ، وَهُوَ مُحَدِّثٌ ذَلِيقُ اللِّسَانِ، وَهُوَ يَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ
تُؤْكَلُ الكَنْفُ. وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ، فَالْجَمِيعُ يَعْرِفُونَهُ، وَمَعْظَمُهُمْ يَنْتَمِي إِلَيْهِ بِوَاشِحَةٍ مِنَ الْقَرَابَةِ.
وَمَعَ ذَلِكَ، ظَلَّ الرَّجُلُ الطَّيِّبُ يُفَكِّرُ فِي شَقِيقَتِهِ، وَيَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرَفِّقَ قَلْبَ زَوْجِهَا
فَيَمْنَحَهَا الطَّلَاقَ، وَيُنْقِذَهَا بِذَلِكَ مِنْ كَارِثَةٍ مُحَقَّقَةٍ تَتَهَدَّدُهَا وَتُوشِكُ أَنْ تَحُطَّ عَلَى حَيَاتِهَا.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضغ لهذا الفصل عنوانًا مناسبًا.
- ٢ - دار حوارٌ مطوّل بين ستيفان أوبلنسكي وألكسيس كارنين. هل ترى أنّ هذا الحوار حَقَّقَ الغايةَ التي قصدَ إليها أوبلنسكي؟ وهل ترى أنّه لاءَمَ كِلا المَتَحاورين؟ علِّل ما تذهبُ إليه.
- ٣ - ستيفان أوبلنسكي وألكسيس كارنين شخصيتان متناقضتان تمامًا. فهل لك أن تُحدِّد أوجهَ التناقضِ بينهما؟
- ٤ - بِمَ علِّلَ كارنين رَفْضَهُ الطَّلَاقَ؟ وهل تراهُ على حقٍّ في ذلك؟ ولماذا؟
- ٥ - ألا ترى أنّ لَرَفْضِ الطَّلَاقِ سَببًا آخَرَ يَتَعَلَّقُ بالصَّغِيرِ سيرج؟ وما هو؟
- ٦ - ما الدَّورُ الَّذِي أدَّاهُ هذا الفِصْلُ في حَبْكَةِ الرِّوايةِ؟ هل طَوَّرَ الأحداثَ؟ هل أَوْضَحَ بعضها؟ وهل أضافَ جَديدًا إلى صُورِ بعضِ الشَّخصياتِ؟ أوضِّحْ، وعلِّل ما تذهبُ إليه.
- ٧ - أوجزْ مَضمونَ الفِصْلِ في أسطرٍ قليلةٍ.

الفصل الحادي عشر

لِكِي تَسِيرَ حَيَاةَ زَوْجِيْنَ نَحْوِ الْإِتْفَاقِ التَّامِّ أَوْ الْفُرْقَةِ الدَّائِمَةِ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ إِمَامًا
اِنْسِجَامًا وَاتِّفَاقًا وَوِتَامًا بَيْنَهُمَا، وَإِمَا انْقِسَامٌ كُلِّيٌّ.

وَكَثِيرَةٌ هِيَ الْعَائِلَاتُ الَّتِي تَبْقَى لِسِنِينَ عَدِيدَةٍ مُلَازِمَةً وَضَعِيَّةً وَاحِدَةً، مَعَ أَنَّ الرَّجُلَ
وَزَوْجَتَهُ يَشْعُرَانِ بِأَنَّ الْعِلَاقَةَ بَيْنَهُمَا يَجِبُ أَنْ تَنْحَلَّ.

وَلَقَدْ أَحَسَّ فَرُونْسِكِي وَأَنَا بِأَنَّ الْحَيَاةَ فِي مُوسِكُو شَرٌّ لَا يُطَاقُ فِي فَضْلِ الصَّيْفِ، لِأَنَّ
الْحَرَّ خَائِقٌ، وَالْغُبَارَ يَمْلَأُ الدُّنْيَا، وَالْهَوَاءَ فَاسِدٌ نَتْنٌ. لَكِنَّهُمَا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ شُعُورِهِمَا
بِجَحِيمِ مُوسِكُو، لَمْ يَزْتَجِلَا عَنْهَا، بَلْ لَازَمَاهَا، وَمَكَثَا فِيهَا؛ وَمَا مَكُتُهُمَا وَبَقَاؤُهُمَا إِلَّا
لِاتِّسَاعِ شِقَّةِ الْخِلَافِ بَيْنَهُمَا، وَتَصَدُّعِ بِنَاءِ الْأَلْفَةِ، وَانْهِيَارِ أُسُسِ الْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ.

أَمَّا الْمَرَارَةُ الْمُتَبَادَلَةُ بَيْنَ إِحْسَاسِيهِمَا، وَالَّتِي مَزَقَّتْ شَمْلَ حُبِّهِمَا، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا أَيُّ سَبَبٍ
ظَاهِرٍ، وَكُلُّ سَعْيٍ بَدَلَهُ أَحَدُهُمَا لِإِخْلَالِ التَّفَاهُمِ مَحَلِّ التَّنَازُعِ بَاءً بِالْإِخْفَاقِ، وَأَرَّتْ نَارَ
الْخِصَامِ، وَضَيَّقَ الْخِنَاقَ عَلَى رُوحِيهِمَا وَنَفْسِيهِمَا. كَانَ السَّبَبُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الْفِكْرَةُ الْبَاطِنِيَّةُ
الَّتِي رَسَخَتْ فِي ذَهْنِ أَنَا، وَهِيَ أَنَّ حُبَّ فَرُونْسِكِي قَدْ أَخَذَ يَتَضَاعَلُ، وَالْفِكْرَةُ الَّتِي حُفِرَتْ
فِي ذَهْنِهِ هُوَ، وَهِيَ أَنَّهُ وَضَعَ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِهَا فِي مَوْقِفِ عَسِيرٍ زَادَتْهُ هِيَ صُعُوبَةً بِتَصَرُّفَاتِهَا.

وَهَكَذَا عَدَا كُلُّ مِنْهُمَا يَتَهَيَّزُ الْفُرْصَ لِيُثَبَّتَ لِلْآخِرِ أَنَّ نَظَرِيَّتَهُ حَقَّةٌ، وَأَنَّ رَأْيَهُ هُوَ الصَّوَابُ.

كَانَتْ أَنَا تَرَى أَنَّ فَرُونْسِكِي كُلَّهُ، بَعَادَاتِهِ، وَآرَائِهِ، وَأَفْكَارِهِ، وَرَعْبَاتِهِ، وَمِزَاجِهِ الرُّوحِيَّ
وَالنَّفْسِيَّ وَالْجَسَدِيَّ، يُمَثِّلُ شَيْئًا وَاحِدًا فَحَسْبُ، هُوَ حُبُّهُ لِلنِّسَاءِ، وَأَنَّ هَذَا الْحُبَّ يَجِبُ أَنْ
يَتَرَكَّزَ فِيهَا هِيَ وَحْدَهَا. أَمَّا وَحْبُهُ يَضْعُفُ وَيَتَضَاعَلُ، أَمَّا وَغَرَامُهُ تَحْمُدُ جَذْوَتَهُ، وَتَنْطَفِئُ
وَقُدَّتُهُ، فَهَذَا وَلَا جَرَمَ عَائِدٌ إِلَى تَقْسِيمِ قَلْبِهِ، وَمَنْحِ جُزْءٍ مِنْ حُبِّهِ غَيْرَهَا مِنَ النِّسَاءِ.

وَاسْتَعَرَّ أَوَارُ الْغَيْرَةِ فِي قَلْبِهَا، وَلَمْ تَنْشَأْ غَيْرَتُهَا مِنْ امْرَأَةٍ مُعَيَّنَةٍ، بَلْ كَانَتْ غَيْرَتُهَا مِنْ

تَنَاقُصِ حُبِّهَا . ولأنَّهَا لَمْ تُرَكِّزْ غَيْرَهَا عَلَى شَيْءٍ مُعَيَّنٍ ، فَفَدَ كَانَتْ تَمَسِّكُ بِكُلِّ شَيْءٍ لِتَتَقَلَّلَ بِغَيْرَتِهَا إِلَيْهِ . فَكَانَتْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَكْفِي لِتَحْوِيلِ اتِّجَاهِ غَيْرَتِهَا مِنْ الِيَمِينِ إِلَى الشَّمَالِ .

فَمَرَّةً نَقَمَتْ عَلَى النِّسَاءِ الوَضِيعَاتِ اللَّاتِي كَانَ يَقْضِي مَعَهُنَّ بَعْضَ أَوْقَاتِ الفِرَاقِ قَبْلَ تَعَلُّقِهَا بِهَا ، وَمَرَّةً نَقَمَتْ عَلَى نِسَاءِ المُجْتَمَعِ اللَّاتِي قَدْ يَلْتَقِيهِنَّ ، وَمَرَّةً نَقَمَتْ عَلَى تِلْكَ الفِتَاةِ الوَهْمِيَّةِ الَّتِي قَدْ تَعْدُو زَوْجَةً لَهُ ، وَالَّتِي قَدْ يَتْرُكُهَا ، أَيْ يَتْرُكُ أَنَا ، سَاعَةً يَتَعَرَّفُ بِهَا . وَهَذِهِ العَيْرَةُ الأَخِيرَةُ كَانَتْ أَسْرَأَ مَا شَعَرْتُ بِهِ ، وَلَا سِيَّمَا أَنَّهُ جَابِهَا يَوْمًا ، فِي سَاعَةِ غَضَبٍ ، بَأَنَّ أُمَّهُ تُلِحُّ عَلَيْهِ بِوُجُوبِ الزَّوْاجِ ، وَأَنَّهَا تُوصِيهِ دَائِمًا بِالتَّوَجُّهِ بِفَوَادِهِ نَاحِيَةَ الأَمِيرَةِ الحُسْنَاءِ «سوروكين» .

وَنَعَى البُومُ فِي أَعْمَاقِهَا إِذَا نَا بِحُلُولِ النُّكْبَةِ ، وَأَوْحَتْ إِلَيْهَا الأَزْوَاجُ الشَّرِيرَةُ نِيَّاتِ الإِسْتِسْلَامِ إِلَى الأَلَمِ وَاليَأْسِ . وَجَرَّدَتْهَا غَيْرَتُهَا مِنْ كُلِّ صَبْرٍ وَإِيمَانٍ ، وَأَفْعَمَتْهَا بِالشَّرَاسَةِ وَالغَيْظِ . فَجَعَلَتْ تَهَجِّمُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ مُنَاسِبَةٍ ، وَتَصِفُهُ بِالأَثَرَةِ وَالعُدْرِ ، وَتَزْعُمُ أَنَّهُ كَفَّ يَدَهُ بَعْدَ أَنْ اسْتَدْرَجَهَا إِلَى الهَوَّةِ ، وَأَنَّهُ كَالْحَيَّةِ الَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحَوَّلَ لَبَنَ المُرْضِعِ إِلَى سُمِّ نَاقِعٍ .

وَأَخَذَتْ تَضَعُ عَلَى عَانِقِهِ المَسْؤُولِيَّةَ كُلَّهَا ، فَهُوَ المَسْؤُولُ عَنْ قَلْبِهَا وَاضْطِرَابِهَا ، وَهُوَ المَسْؤُولُ عَنْ تَأْخُرِ إِجْرَاءِ الطَّلَاقِ . هُوَ ، هُوَ . . . إِنَّهُ المَسْؤُولُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، عَنْ عُزْلَتِهَا وَبِرَمِهَا ، عَنْ تَمَنُّعِ زَوْجِهَا وَتَرَدُّدِهِ ، عَنْ ضَيْقِهَا بِمُوسِكُو . فَلَوْ أَحَبَّهَا كَمَا أَحَبَّهَا قَبْلًا ، لَشَعَرَ مَعَهَا وَحَنَا عَلَيْهَا ، وَسَاعَدَهَا وَأَنْقَذَهَا .

ثُمَّ ، إِنَّهُ مَسْؤُولٌ عَنْ بُعْدِهَا عَنْ ابْنِهَا سَبْرَجَ ، ابْنِهَا الَّذِي أَخَذَتْ كِفَّةً حُبًّا لَهُ تَرَجَّحُ عَلَى كِفَّةِ حُبِّهَا لِفِرْوَنَسِكِي .

وَوَصَلَ بِهَا الأَمْرُ إِلَى حَدِّ جَعَلَهَا تَرَى فِي لَمَحَاتِ حَنَانِهِ القِصَارِ نَوْعًا مِنَ العِشِّ وَالرِّيَاءِ . وَلَمْ تُقَلِّلْ هَذِهِ اللَّحْظَاتِ الَّتِي كَانَ حُبُّهُمَا فِيهَا يَنْتَعِشُ بَعْدَ مَوَاتٍ مِنَ انْفِعَالِهَا وَعَصَبِيَّتِهَا ، فَهِيَ تَرَى ، مِنْ خِلَالِ عَطْفِهِ وَمَحَبَّتِهِ ، ظِلًّا مِنْ اعْتِدَادِهِ وَمَرَحِهِ وَثِقَتِهِ بِنَفْسِهِ ، لَمْ تَعْهَدْهَا فِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَأَخَذَتْ الآنَ تَجُرُّ فِي صَدْرِهَا وَتَمَعْتُ فِي قَلْبِهَا .

إِنْتَضَرْتُ أَنَا عَوْدَتَهُ مِنْ حَفَلَةِ أَقَامَهَا لَهُ زُمَلَاءُ وَأَصْدِقَاءُ . وَكَانَ العَسَقُ يُضْرَجُ الأَفْقَ بِنُورِهِ

الأرجواني، والريح راكدة دافئة، وأرجُ الرودِ يعبُقُ في الحديقةِ ويُفَعَمُ^(١) برائحتهِ الصُّدورَ.
 انْتظَرْتُ أُوْبَتَهُ فِي حُجْرَةٍ مَكْتَبِهِ، وَكَانَتْ تُدْرَعُ أَرْضَ العُرْفَةِ جِيئَةً وَدَهَابًا، وَتُفَكَّرُ فِي
 مُشَاجِرَتَيْهِمَا الأَخِيرَةِ الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَهُمَا فِي اليَوْمِ المَاضِي، وَتَسْتَعِيدُ إِلَى مُخَيَّلَتَيْهَا دَقَائِقَهَا
 وَأَسْبَابَهَا. وَأَيَقَنْتُ لَدَى اسْتِعْرَاضِهَا لِلْأَسْبَابِ، أَنَّ المَوْجِبَاتِ تَافَهُةٌ لَا تَسْتَحِقُّ الإِلْتِفَاتَ.
 لِكَيْتَهُمَا ثَارًا بِلَا سَبَبٍ، وَارْتَفَعَ صَوْتُهُمَا، وَعَلَا زَعِيقُهُمَا، وَاتَّهَمَهَا، وَكَالَتْ لَهُ هِيَ التَّهَمَ،
 وَغَادَرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ مُغْضَبًا، وَلَزِمَتِ الدَّارَ وَهِيَ تَتَحَرَّقُ مِنَ الأَلَمِ، وَتَتَرَمَّضُ عَلَى نَارِ التَّحَسُّرِ
 وَالنَّدَمِ.

وَلَمَّا عَادَ بَعْدَ سَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ، تَجَنَّبَ إِثَارَةَ المَوْضوعِ مِنْ جَدِيدٍ. بَلْ إِنَّ أَحَدًا مِنْهُمَا لَمْ
 يَذْكُرِ المُشَادَّةَ بِحَرْفٍ، وَأَصْبَحَتْ كَغَيْرِهَا مِنْ حَوَادِثِ سِوَةِ التَّفَاهِمِ مَعُولًا يُزْعِزُ أَرْكَانَ
 حُبِّهِمَا.

وَهَا هِيَ اليَوْمَ تَشْعُرُ بِوَحْشَةٍ قَاتِلَةٍ، لَقَدْ غَادَرَهَا وَمَضَى. وَرَجَعَ فِي سَاعَةِ الظَّهِيرَةِ، ثُمَّ لَمْ
 يَلْبَثْ أَنْ انْصَرَفَ ثَانِيَةً، بَعْدَ أَنْ حَيَّاهَا مُودَعًا تَحِيَّةً جَافَّةً لَا تَخْلُو مِنْ لَهْجَةٍ سُخْرِيَّةٍ.

وَشَرَرَتْ بِأَنَّهَا المَلُومَةُ عَلَى مَا حَصَلَ، وَآلَتْ عَلَى نَفْسِهَا أَنْ تَفْعَلَ المُسْتَحِيلَ حَتَّى تَعُودَ
 المِيَاهُ بَيْنَهُمَا إِلَى مَجَارِيهَا الطَّبِيعِيَّةِ.

وَأَنْشَأَتْ تُحَدِّثُ نَفْسَهَا قَائِلَةً: «أَنَا وَحْدِي المَلُومَةُ. فَأَنَا مُنْفَعِلَةٌ، عَصِيَّةٌ، حَادَّةُ الطَّنَعِ.
 أَنَا ذَاتُ مِزَاجٍ نَارِيٍّ. أَنَا غَيُورَةٌ، وَلِكِنِّي سَاتِلَافِي الأَمْرِ، وَسَتَرَحُلُ مَعًا إِلَى الرِّيفِ، فَهُنَاكَ
 أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحْيَا بِسَلَامٍ وَسَكِينَةٍ».

وَاسْتَعَادَتْ بَعْتَهُ كَلِمَاتِهِ لَهَا، وَاتَّهَمَهُ إِيَّاهَا بِالشُّدُوزِ وَغَرَابَةِ الأَطْوَارِ، فَأَنْشَأَتْ تُعَمِّمُ وَهِيَ
 تَحَرَّقُ عَلَيْهِ الأَمْرَ: «إِنِّي أَعْرِفُ مَا يَعْنِي؟ هُوَ يَعْنِي أَنِّي أُوْثِرُ طِفْلٌ غَيْرِهِ عَلَى طِفْلَتِهِ. فَمَاذَا
 يَعْلَمُ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ حُبِّ الأُمِّ لِلطِّفْلِ؟ مَاذَا يَعْلَمُ عَنْ حُبِّي لِسِيرَجِ الَّذِي ضَحَّيْتُ بِهِ عَلَى
 مَذْبَحِ حُبِّي لَهُ، لِهَذَا الرَّجُلِ؟ إِنَّهُ لَا يَرْعَبُ إِلَّا فِي قَهْرِي وَطَعْنِ قَلْبِي، وَهُوَ يَهْوَى امْرَأَةً
 أُخْرَى، هَذَا أَمْرٌ مَقْرُوعٌ مِنْهُ».

وَإِكْتَشَفَتْ بَعْتَهُ أَنَّهَا تَدُورُ فِي الدَّائِرَةِ المُرْفَعَةِ نَفْسِهَا، فَأَصَابَهَا هَلَعٌ شَدِيدٌ، وَشَتَمَتْ

(١) يُفَعَمُ بَرَائِحَتِهِ الصُّدُورَ: يَمَلِّأُهَا.

نَفْسَهَا، وَكَادَتْ تَبْكِي. لَكِنَّهَا اسْتَأْنَفَتْ مَا قَطَعَتْ مِنَ الْفِكْرِ: «أَمُسْتَحِيلٌ عَلَيَّ الرُّكُونَ إِلَى
الهُدوءِ؟ أَأَفَلَيْتَ زِمَامَ إِرَادَتِي مِنْ يَدِي؟»

وَأَعْمَضَتْ عَيْنَيْهَا: «إِنَّهُ صَادِقٌ، إِنَّهُ شَرِيفٌ، إِنَّهُ يُجَنِّبُنِي، وَأَنَا أَجِبُهُ، وَقَرِيبًا يَتِمُّ الطَّلَاقُ.
فَمَاذَا أَرُومُ غَيْرَ ذَلِكَ؟ بَيِّدْ أُنِّي لَا أَبْغِي إِلَّا هُدُوءَ الْفِكْرِ، وَالْوُثُوقَ بِإِخْلَاصِهِ. هَذَا كُلُّ مَا
أَطْلُبُهُ، وَبَعْدَ ذَلِكَ لَنْ أَلُومَ إِلَّا نَفْسِي عَلَى كُلِّ حَادِثٍ وَكُلِّ شَجَارٍ وَخِصَامٍ. أَجَلٌ، يَخْلُقُ بِي
لَدَى عَوْدَتِهِ أَنْ أَعْتَرَفَ لَهُ بِذَنْبِي، وَلَوْ كُنْتُ غَيْرَ مُذْنِبَةٍ، ثُمَّ أَقْبَعَهُ بِالسَّفَرِ غَدًا، بِالرَّحِيلِ مِنْ
هَذِهِ الْمَدِينَةِ».

وَلَكِي تَهْرُبَ مِنْ أَفْكَارِهَا، أَمَرَتْ بِإِعْدَادِ الْحَقَائِبِ تَأَهُبًا لِلسَّفَرِ إِلَى الرَّيْفِ.
وَرَجَعَ فَرُونسْكِ فِي السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ.

وَاسْتَقْبَلَتْهُ أَنَا بِوَجْهِ طَلْقٍ وَأَسَارِيرٍ مُنْبَسِطَةٍ. فَتَأَلَّفْتُ عَيْنَاهُ بِشْرًا، فَهَوَّ يُحِبُّ أَنْ يَرَاهَا
مُشْرَحَةً، وَهُوَ يَخَافُ مِنَ الشَّجَارِ، وَيَمُتُّ سَوْءَ التَّفَاهُمِ. وَلَمَّا لَمَحَ الْحَقَائِبَ هَتَفَ مَحْبُورًا:
«مَاذَا أَرَى؟ هَيَّا، هَيَّا، هَذَا جَمِيلٌ!»

قَالَتْ: «نَعَمْ، يَجِبُ أَنْ نَذْهَبَ، أَهْناكَ مَا يَعُوقُكَ عَنِ السَّفَرِ؟»

قَالَ: «إِنَّهَا أُمْنِيَّتِي الْوَحِيدَةُ، إِنْتَظِرْنِي رَئِيسًا أَسْتَبْدِلُ ثِيَابِي، وَسَنْبْتُ الْأَمْرَ. مُرِي الْخَادِمَ
أَنْ يَجْلِبَ لَنَا الشَّايَ».

وَعَادَرَهَا إِلَى حُجْرَتِهِ.

كَانَ فِي لَهَجَتِهِ عِنْدَمَا قَالَ «هَيَّا.. هَيَّا» نَوْعٌ مِنَ الْإِذْلَالِ. كَانَ كَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ إِلَى طِفْلِ عَنِيدٍ
لَأَنْتَ عَرِيكَتُهُ! كَمَا أَنَّ مَا زَادَ فِي شُعُورِهَا بِالْمَدْلَّةِ مَا شَابَ نَعْمَةَ صَوْتِهِ مِنْ ثِقَّةٍ وَاعْتِدَادٍ، وَمَا
كَانَتْ تَفَكَّرُ فِيهِ قَبِيلَ مَجِيئِهِ مِنَ الْبُوحِ لَهُ بِنِدَامَتِهَا. فَسَعَرَتْ بِالتَّمَرُّدِ، وَوَدَّتْ لَوْ صَاحَتْ فِي
وَجْهِهِ. لَكِنَّهَا كَبَحَتْ جِمَاحَ سُخْطِهَا وَعَظْبِهَا، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ مُبَسِّمَةً حِينَ رَجَعَ.

وَعِنْدَمَا اسْتَبَّتَ بِهِمَا الْمَقَامُ فِي الْقَاعَةِ الصَّغِيرَةِ، طَفِقَتْ تَقْصُّ عَلَيْهِ حَوَادِثَ يَوْمِهَا،
وَتُخْبِرُهُ كَيْفَ هَبَطَ عَلَيْهَا وَخِي السَّفَرِ، فَابْتَاعَتِ الْحَقَائِبَ، وَأَعَدَّتِ الْعُدَّةَ وَاتَّخَذَتِ الْأَهْبَةَ.

وَاسْتَأْنَفَتْ جَادَّةً: «وَلِمَ الْإِنْتِظَارُ هُنَا؟ لِمَ الْإِنْتِظَارُ؟ أَلَا يَتَحَقَّقُ الطَّلَاقُ وَنَحْنُ فِي الْقَرِيَةِ؟»

إِنِّي لَا أَرْعُبُ فِي أَنْ أَسْمَعَ الْمَزِيدَ عَنْهُ، وَلِيَجْرِي مَا يَجْرِي. فَإِنْ تَحَقَّقَ الطَّلَاقُ، فَنِعِمًّا
الْخَاتِمَةُ، وَإِنْ تَعَرَّقَلَ لَا يَخْلُقُ بِنَا أَنْ نَحْنِي هَامَتِنَا اسْتِسْلَامًا وَيَأْسًا. أَلَا تُوَأْفِقُنِي؟»
قَالَ: «أَجَلٌ...».

وَتَفَرَّسَ فِي وَجْهِهَا مُضْطَرِبًا قَلِقًا، وَمَا لَبِثَ أَنْ سَأَلَهَا عَنْ مَوْعِدِ السَّفَرِ.
فَأَجَابَتْ بِسُرْعَةٍ: «مَتَى... مَتَى... غَدًا.. كَلَّا، بَلْ بَعْدَ يَوْمَيْنِ، فَبَعْدَ غَدٍ نَكُونُ قَدْ
أَكْمَلْنَا الْأَهْمَةَ».

قَالَ: «لَا بَأْسَ. وَلَكِنْ، لَا... عَلَيَّ أَنْ أَزُورَ أُمِّي بَعْدَ غَدٍ، فَقَدْ وَعَدْتُهَا بِأَنْ أُعْرَجَ
عَلَيْهَا يَوْمَ الْأَحَدِ».

وَاضْفَرَّ وَجْهَهُ قَلِيلًا، فَقَدْ أَدْرَكَ أَنَّ أَنَا سَتُورُ الْآنَ وَتُعَكَّرُ صَفْوَهُ. وَكَانَ قَلِقُهُ الشُّعْلَةَ الَّتِي
أَلْهَبَتْ شَكَّهَا، فَضَرَّجَ وَجْهَهَا، وَابْتَعَدَتْ عَنْهُ. وَفَكَّرَتْ فِي الْأَمِيرَةِ سُرُوكِينَ، فَكَرَّرَتْ فِيهَا
وَفِي أُمِّهِ، فَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّهُمَا تَقِيمَانِ مَعًا فِي ضَاحِيَةٍ مِنْ ضَوَاحِي مَوْسُو الْمُتَطَرِّفَةِ.

غَيْرَ أَنَّهَا كَتَمَتْ مَا خَالَجَهَا وَقَالَتْ مُسَائِلَةً: «أَلَا يُمَكِّنُكَ التَّعْجِيلُ بِزِيَارَةِ أُمِّكَ؟ أَلَا
يُمَكِّنُكَ الذَّهَابُ إِلَيْهَا غَدًا؟»

قَالَ: «كَلَّا! فَالْأَعْمَالُ الَّتِي كَلَّفْتَنِي بِهَا أُمِّي لَا تَنْتَهِي الْيَوْمَ».

قَالَتْ: «فَلَنْ نَرْحَلَ إِلَى الرَّيْفِ إِذَا».

قَالَ: «وَلِمَاذَا؟»

- «لَنْ أَرْحَلَ. فَإِنْ أَرَدْتَ، فَلْيَكُنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَإِلَّا...».

- «مَاذَا دَهَالِكِ؟ وَمَا مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ؟»

- «لَا مَعْنَى لَهُ فِي نَظْرِكَ لِأَنَّكَ لَا تَأْبُهُ لِي، وَلَا تَحْفَلُ مَشَاعِرِي، لِأَنَّكَ لَا تَكْتَرْتُ
لِحَيَاتِي، وَلَا تَوَدُّ أَنْ تَفْهَمَنِي».

وَأَحْسَتْ بَغْلَطِيهَا الشَّنِيعَةَ، أَحْسَتْ بِسَرْعِهَا وَتَهَوُّرِهَا، وَارْتَاعَتْ لَضَعْفِهَا وَعَجْزِهَا عَنْ
التَّحْكُمِ بِأَعْصَابِهَا. وَمَعَ أَنَّهَا عَلِمَتْ أَنَّ فِي عَمَلِهَا هَذَا خَرَابَهَا وَدِمَارَهَا، اسْتَمَرَّتْ فِي
غَضَبِهَا، وَهِيَ تُحَاوِلُ أَنْ تُقْنِعَهُ بِأَنَّهُ مُخْطِئٌ مُذْنِبٌ فِي حَقِّهَا.

وضاقَ صَدْرُ فرونسكي، فقاطَعها بِصَوْتِ أَجَشٍّ: «هذا لا يُطاقُ...».

وانْتَصَبَ واقفاً ودَنَا مِنْها، فَحَدَجَها بِنَظَرَةٍ صارِمَةٍ صاعِقَةٍ، وأرَدَفَ يَقولُ: «عَلامَ تَفَعَلينَ كُلُّ هُذا؟ لِمَذا تُثَقِّلينَ عَلى قُوَّةِ الصَّبْرِ والإيمانِ في قَلْبِي؟ إِنَّ لِكُلِّ شَيءٍ حُدودًا، ولِلصَّبْرِ والإيمانِ أيضًا حُدودٌ وسُدودًا!»

فَهَتَفَتْ مُزْمِجَةً: «وماذا تُعني بِكلامِكَ؟»

وَنَظَرَتْ إلى الكَراهِيةِ السَّاخِرةِ الَّتِي تَبَدَّتْ في عَينِهِ نَظَرَةً رُعبٍ وهَلَعٍ.

قالَ: «أعني، أودُّ أن أقولَ...».

وتَوَقَّفَ، وكَأَنَّهُ عَدَلَ عَن فِكرَةٍ، وما لَبِثَ أن قالَ: «يَبغني سَؤالُكَ عَن شَيءٍ. ماذا

تُريدانَ مِنِّي؟ أَفصِحي، أبنِي».

فقالَتْ: «ماذا أُريدُ؟ أو ماذا أَسْتَطِيعُ أن أُريدَ؟ لا أُريدُ إلا شَيئًا واحِدًا، هُوَ أَلَّا تَهْجُرَني

كما تُراوِدُكَ نَفْسُكَ، أمّا ما لا أُريدُ فَهُوَ أمرٌ ثانَوِيٌّ. أُريدُ الحُبَّ وهُذا قدَ غاضَ. فإذا لَم يَبقَ

ما يَسْتَحِقُّ الإلْتِفاتَ».

واستَدارَتْ نَحوَ البابِ.

وصاحَ فرونسكي: «قِفي... قِفي».

وأَمَسَكَ بِها مِن يَدِها، واشتَلى: «لِمَ كُلُّ هُذا العَصبِ والتَّشاجُرِ والتَّناخُرِ؟ أَلأَني أُرَمِعُ

أن أُوخِرَ السَّفَرَ لِيومٍ أو يَوْمينِ آخَرينِ؟ أَقُلْتُ كَذِبًا؟ أَأَخَلَلْتُ بِشَرفِي؟»

قالَتْ: «أَجَلٌ، لَقَد فَعَلْتَ. والرَّجُلُ الَّذي يُعيرُني بِأنَّهُ ضَحَى بِكُلِّ شَيءٍ في سَبيلي، هُوَ

ولا عَزوَ أَحَطُّ مِن رَجُلٍ فَقدَ شَرفَهُ».

فأَجابَ وهُوَ يَندُفِعُ خارِجًا: «لَقَد نَفَدَ الصَّبْرُ، وَلَم يَعدُ في قَوسِ الحِلْمِ مَنزِعٌ... أوَه!»

وخرَجَتْ أَنا في أَنرِهِ وهِيَ تُثَمِّمُ والهِةَ: «إِنَّهُ يَكْرَهُني، وَيُحِبُّ امْرَأَةً أُخَرى. إِنِّي أَنشُدُ

الحُبَّ وَلَكنَ لا أَجِدُهُ. لَقَد انْتَهى كُلُّ شَيءٍ إِذا. انْتَهى كُلُّ شَيءٍ».

وعَرَّجَتْ عَلى حُجرتِها، وَنَظَرَتْ في المِراةِ، وتَساءَلَتْ: «يَجِبُ أن يَنْتَهِيَ كُلُّ شَيءٍ.

فكيفَ؟ كيفَ يَنْتَهِي؟»

وَتَرَاحَمَتِ الْخَوَاطِرُ فِي ذَهْنِهَا. أَيْنَ تَذْهَبُ؟ وَإِلَى مَنْ تَلْجَأُ؟ وَلِمَ لَا تَمُوتُ؟ لِمَ لَمْ تَمُتْ
يَوْمَ أَشْرَفْتَ عَلَى الْهَالِكِ؟ أَلَا يُوفِّرُ مَوْتُهَا عَلَى ابْنِهَا الْعَارِ وَالشَّنَارِ؟ أَلَا يَشْعُرُ فِرُونْسْكِ بِالنَّدَمِ
يَوْمَ تَقْضِي نَجَبَهَا؟
وَسُرِّيَ عَنْهَا فَاثْتَسَمَتْ.

وَدَخَلَ فِرُونْسْكِ، فَتَقَدَّمَ مِنْهَا، وَأَمْسَكَ يَدَهَا بِلُطْفٍ، وَقَالَ: «أَنَا، لِنَذْهَبَ بَعْدَ غَدٍ، لَقَدْ
وَأَقَفْتُ».

فَلَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِ.

وَسَأَلَهَا: «فَمَا رَأَيْكَ الْآنَ؟»

فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ وَجْهَهَا خَضِيئًا بِالدَّمُوعِ، وَمَا لَبِثَتْ أَنْ زَفَرَتْ زَفْرَةً مُحْرِقَةً، وَقَالَتْ وَهِيَ تَكَادُ
تَعْصُ بِرَيْقِهَا: «اهْجُرْنِي. ائْرُكْنِي. فَأَنَا امْرَأَةٌ سَاقِطَةٌ. سَازَحَلُ غَدًا، وَسَافَعُلُ أَكْثَرَ مِنْ
الرَّحِيلِ، وَلَنْ أُجْرِكَ مَعِيَ إِلَى الْهُوَّةِ، بَلْ أُزْمِعُ أَنْ أُحَرِّرَكَ، فَادْهَبْ فِي سَبِيلِكَ. أَنْتَ لَا
تُحِبُّنِي، اذْهَبْ. أَنْتَ تُحِبُّ سِوَايَ».

وَتَضَرَّعَ إِلَيْهَا فِرُونْسْكِ أَنْ تَهْدَأَ، وَأَكَّدَ لَهَا أَنَّ غَيْرَتَهَا لَا أَسَاسَ لَهَا مِنَ الْوَاقِعِ، وَأَنَّ
يُحِبُّهَا، وَلَنْ يَبْرَحَ يُحِبُّهَا، وَأَنَّ حُبَّهُ لَهَا تَضَاعَفَ فِي الْآوِنَةِ الْأَخِيرَةِ.

وَقَبَّلَ يَدَهَا، وَاسْتَطَرَدَ وَهُوَ يَضُمُّهَا إِلَيْهِ: «أَنَا، لِمَاذَا تُثِيرِينَ مَا يُرْمِضُ نَفْسِينَا؟»

وَاتَّجَهَتْ إِلَيْهِ بِبَصَرِهَا الطَّامِحِ، فَرَأَتْ الرِّقَّةَ تَتَبَيَّنُ مِنْ عَيْنَيْهِ، وَخُجِّلَ إِلَيْهَا أَنَّهُ يُبْكِي،
وَشَعَرَتْ بِيَدِهَا تُبَلِّغُ دُمُوعَهُ، فَتَبَدَّلَتْ فِي مِثْلِ لَمَحِ الطَّرْفِ مِنَ الْغَيْرَةِ الْهُوجَاءِ إِلَى الرِّقَّةِ
وَالْحُبِّ.

وَأَحَاطَتْ عُنُقَهُ بِذِرَاعِهَا، وَغَمَرَتْ وَجْهَهُ الْجَمِيلَ بِقُبْلَاتِهَا. قَبَّلَتْهُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ نَقَلَتْ
شَفَتَيْهَا إِلَى عُنُقِهِ وَرَأْسِهِ، وَقَالَتْ هَامِسَةً: «حَبِيبِي ... حَبِيبِي ... أَوْه!»

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَعُ لهذا الفصل عنوانًا مناسبًا.
- ٢ - ترى، لِمَ يُحافظُ بعضُ الأزواجِ على وَضْعِيَّةِ الزَّواجِ على الرَّغْمِ مِنْ اقْتِناعِ الزَّوجَيْنِ بِأَنَّ علاقَتَهُما الزَّوجِيَّةَ يَجِبُ أَنْ تَنحَلَّ؟
- ٣ - مِزاجُ أَنَا في هَذَا الفِضْلِ مِزاجُ نارِي سَريعُ التَّقَلُّبِ. لِمَ هُوَ كَذَلِكَ؟ وما مَخاطِرُ هَذَا المِزاجِ على الحُبِّ أو على العِلاقَةِ بَيْنَ الشَّرِيكَيْنِ؟
- ٤ - رَكَزَ تولستوي على دَوْرِ الغَيْرَةِ في فَصْمِ العِلاقَةِ بَيْنَ أَنَا وفرونسكي. هَلْ تَرى مَعَهُ أَنَّ الغَيْرَةَ سَبَبٌ في انْفِصامِ عِرى عِلاقَةِ كهذه؟ عِلَّلْ رَأْيَكَ.
- ٥ - «وسرِّي عنها فابتسمت». هذه عِبارةٌ قالها الكاتبُ بعدَ مُناجاةٍ داخلِيَّةٍ خاطَبَتْ بها أَنَا نَفْسَها. فَهَلْ عَرَفْتَ لِمَ ابْتَسَمَتْ فَجأةً، وَلِمَ سُرِّيَ عنها؟ تَأَمَّلْ قَليلًا في المِناجاةِ تلكَ، ثُمَّ أَوْضِحِ السَّبَبَ.
- ٦ - هَلْ تَرى أَنَّ الغَيْرَةَ قد وَصَلَتْ بِأَنَا إلى حَدِّ التَّفكيرِ في الانتحارِ؟ بَرِّهِنْ ذلكَ - إنِ اسْتَطَعْتَ - مِمَّا تَرَاهُ في الفِضْلِ هَذَا.
- ٧ - في هَذَا الفِضْلِ بيانٌ مُسَهَّبٌ عن مَشاعِرِ الغَيْرَةِ الَّتِي تُعانيها المِراةُ الغَيْرى على مَنْ تُحِبُّ. أترى أَنَّ غَيْرَةَ كهذه تُصدِّرُ عن إنسانٍ سَوِيٍّ النَّفْسِ، أَمْ إِنَّ لَكَ رَأْيًا آخَرَ؟ عِلَّلْ ما تَدَهَبُ إِلَيْهِ.
- ٨ - أَوْجِزْ مضمونَ الفِضْلِ في أسْطُرٍ قَليلَةٍ.

الفصل الثاني عشر

شَعَرْتُ أَنَا بِتَجَدُّدٍ فِي نَشَاطِهَا، وَأَنْبِعَاثٍ جَدِيدٍ فِي حَيَاتِهَا، فَبَكَرْتُ فِي التُّهُؤُصِ صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي، وَأَقْبَلْتُ عَلَى امْتِعَتِهَا وَمَلَابِسِهَا تُنَضِّدُهَا فِي الْحَقَائِبِ. وَدَخَلَ عَلَيْهَا فِرُونْسْكِ، وَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَيَّاهَا: «سَأَذْهَبُ لِلتَّوَكِّي أَرَى أُمِّي، وَأُنْهِيَ كُلَّ الْأُمُورِ الْمُعْلَقَةِ مَعَهَا». وَمَعَ أَنَّهَا كَانَتْ وَادِعَةً نَاعِمَةً الْبَالِ، فَإِنَّ مُجَرَّدَ تَفْكِيرِ فِرُونْسْكِ فِي زِيَارَةِ أُمِّهِ كَدَّرَ نَفْسَهَا، فَشَعَرْتُ بِالْكَآبَةِ وَالضَّيْقِ.

غَيْرَ أَنَّهَا كَتَمَتْ مَا خَالَجَهَا، وَدَلَفَتْ مَعَهُ إِلَى غُرْفَةِ الطَّعَامِ. وَلَمَّا جَلَسَا إِلَى الْمَائِدَةِ لِيَتَنَاوَلَا طَعَامَ الْإِفْطَارِ قَالَتْ أَنَا وَهِيَ تَزُوي مَا بَيْنَ حَاجِبَيْهَا^(١): «لَكُمُ أَصْبَحَتْ هَذِهِ الْغُرْفُ مَقِيئَةً لَدَيَّ! وَلِهَذَا تَرَانِي أَتَشَوُّفُ إِلَى مُغَادَرَتِهَا غَدًا».

وَتَغَيَّرَتْ نَظَرُهَا بَعَثَةً، فَقَطَّبَتْ؛ وَكَانَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْخَادِمَ دَخَلَ فِي تِلْكَ الدَّقِيقَةِ يَطْلُبُ إِلَى فِرُونْسْكِ أَنْ يُوقِعَ «إِبْصَالَ» بَرَقِيَّةٍ تَلْقَاهَا مِنْ بَطْرَسْبِرْجِ. وَلَمَّا ذَهَبَ الْخَادِمُ سَأَلَتْهُ مُشَكَّكَةً: «وَمِمَّنِ الْبَرَقِيَّةُ؟» - «مِنْ أَخِيكَ».

- «وَمَاذَا مَتَعَكَ مِنْ إِطْلَاعِي عَلَيْهَا؟»

فَدَعَا فِرُونْسْكِ الْخَادِمَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْبَرَقِيَّةِ. ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى أَنَا وَقَالَ: «رَغِبْتُ فِي كَثْمِ خَبْرِهَا، حَتَّى لَا أَخْدِشَ مَشَاعِرَكَ».

- «أَهْيَ بَصَدِّدِ الطَّلَاقِ؟»

- «نَعَمْ».

(١) تَزُوي مَا بَيْنَ حَاجِبَيْهَا: تُقَطِّبُ وَتَغْسِبُ.

وتناولت أنا البرقية بيدٍ مُرَعِشَةٍ، وقرأت الكلمات المحيية لأملها. وما أبطأت أن قالت بصوت عميق ثابت: «أنهيتُ إليك البارحة أن الطلاق لا يعني في قليلٍ أو كثيرٍ».

- «ولكنه أمرٌ لا بد لنا منه يا أنا، فما بالكِ لا تكترئين له؟ ألا يُصيب أولادنا العارُ الأبدي إن لم نقترن، وإن لم نعيش معاً حياة زوجين صالحين كسائر الأزواج؟»
فقلت مُحْتَدَّةً: «لن أنجب المزيد من الأطفال».

- «وهذا أمرٌ يُؤسف له».

- «أنت تريدين الطلاق من أجل الأطفال، ولا تبغيه من أجلي أنا».

- «من أجلنا جميعاً. يقي بقولي... آميني بي... ماذا أصابك؟»

ونظرت إلى أصابعها المُتَقَبَّضَةِ على فنجان القهوة، ورأت في عينيه اشمئزازاً ونفوراً، فسارعت تقول: «لا أبالي رأي أمك، ولا الفتاة التي تُعدُّ العدة لزوجها».

فقال مشدوهاً: «لكننا لم نطرق هذا الموضوع».

- «بل إننا كنا نتحدث في هذا الصدد، واعلم أنني لا أخفلُ أمك ولا أحترمها».

- «أنا! إحدري. أرجوك، لا تستهيني بأمي أمامي».

- «المرأة التي لا يقول لها قلبها أين سعادة ولدها، لا قلب لها».

وحَدَجَها بنظرة نارِيَّة ارتجفت لها أوصالها.

وافترق الاثنان.

غادر هو المنزل، ولم يرجع.

ولما قفل عائداً في هزيع متأخرٍ من الليل، قالت له الخادمة أن سيدها تشكو الصداع، وترغب في ألا يُزعجها أحدٌ.

ما كان من قبل أن مرَّ يومٌ من دونِ شجارٍ، أما اليومُ هذا فكان أولَ تلك الأيام التي مرَّت بسلام. لكنه سلامٌ مفرورٌ، سلامٌ مثلوجٌ، سلامٌ أقرب إلى الموت، بل نديراً بحلولِ العداوة والكراهية والبغضاء محلَّ التفاهم والتقارب والمحبة.

وَقَدْ أَمْضَتْ أَنَا النَّهَارَ بَطُولِهِ فِي حَيْرَةٍ وَبَلْبَلَةٍ فِكْرٍ. فَهَلْ - يَا تُرَى - ذَهَبَ الْأَمَلُ، أَمْ إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةَ الْقَاتِمَةَ لَنْ تَلْبَثَ أَنْ تَنْجَابَ وَتَنْحَسِرَ؟

وفي المساء، وَقَبْلَ أَنْ تَلُوذَ بِحُجْرَتِهَا، طَلَبْتُ إِلَى الْخَادِمَةِ أَنْ تَقُولَ لِسَيِّدِهَا، مَتَى عَادَ إِلَى الْبَيْتِ، إِنَّهَا تَأَلَّمْتُ مِنْ وَجَعِ الرَّأْسِ وَتَرَعَبْتُ فِي الْأَيَّامِ يُوفِظُهَا أَحَدٌ مِنْ نَوْمِهَا.

وَقَالَتْ لِنَفْسِهَا سَاعَةً اسْتَلَقْتُ عَلَى فِرَاشِهَا: «إِنَّ هُوَ صَرَبَ عُرْضَ الْحَائِطِ بِكَلَامِ الْخَادِمَةِ، وَافْتَحَمَ عَلَيَّ الْمَخْدَعُ، كَانَ فِي قَلْبِهِ حُبٌّ أَكِيدُ لِي. أَمَا إِذَا لَمْ يَفْعَلْ، فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ فَقَدْ كَلَّ حُبًّا لِي، وَمَعْنَاهُ أَيْضًا أَنَّهُ يَتَحَمُّ عَلَيَّ أَنْ أَتَدَبَّرَ الْأَمْرَ فِي ضَوْءِ الْحَقِيقَةِ الْمُمِضَّةِ الْمُرْمِضَةِ».

وَأَصْعَتُ إِلَى صَوْتِ عَرَبِيَّتِهِ وَهِيَ تَقْفُ لَدَى الْبَابِ، فَخَفَقَ قَلْبُهَا خِفَقَةَ التَّرْقُبِ. وَأَصَاخْتُ إِلَى خُطَاؤِهَا وَهِيَ يَضَعُدُ فِي السَّلَامِ، ثُمَّ أَرْهَفَتِ السَّمْعَ إِلَى مَا دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَادِمِ وَالْخَادِمَةِ. وَعَلِمْتُ، وَنَفْسُهَا تَطِيرُ شِعَاعًا، أَنَّهُ حَمَلَ كَلَامَ الْخَادِمَةِ مَحْمَلِ الْجِدِّ وَالصِّدْقِ، وَلَمْ يَحْفَلِ الْأَمْرَ، بَلْ مَضَى إِلَى حُجْرَتِهِ بِهَدْوٍ.

فَكُلُّ شَيْءٍ إِذَا أَضْحَى حُلْمَ لَيْلَةٍ. كُلُّ شَيْءٍ عَدَا أَضْغَانًا تَعْقُبُهَا صَحْوَةٌ مُحْزَنَةٌ.

وَتَجَسَّمَتِ الْمَوْتُ فِي نَاطِقِهَا وَسَيْلَةً لِاسْتِرْدَادِ مَحَبَّتِهِ، وَلِمُعَاقِبَتِهِ عَلَى قَسْوَتِهِ وَعَدْوِهِ، وَلَمْ تَعُدْ تَكْتَرِثُ لِشَيْءٍ آخَرَ. فَالسَّفَرُ إِلَى الْقَرْيَةِ وَعَدَمُهُ سِيَانٍ. وَالظَّلَامُ وَعَدَمُهُ لَا يُؤْتِرَانِ. أَمَا الْعِقَابُ فَأَمْرٌ لِازِمٍ، يَجِبُ أَنْ تُعَاقِبَهُ، يَجِبُ أَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَحِلَّ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ.

وَلَمَّا جَرَعَتْ قَطْرَاتِ الْأَفْيُونِ لِتَهْجَعُ، فَكَّرَتْ فِي سُهولةِ الْمَوْتِ. فَهَلْ تَشْرَبُ مَا فِي الْقَارُورَةِ؟ إِنْ فَعَلْتَ فَلَنْ يَأْتِيَ عَلَيْهَا صَبَاحٌ آخَرَ تُرَى شَمْسَهُ.

وَاسْتَلَقْتُ مُفْتَحَةَ الْعَيْنَيْنِ، تَشَخَّصُ إِلَى السَّفْفِ وَتُحَلِّقُ، وَتُفَكِّرُ أَفْكَارَهَا الْمَجْنُونَةَ.

وَعَلِمْتُ فِي الصَّبَاحِ أَنَّ الْأَمِيرَةَ سُرُوكِينَ وَأُمُّهَا عَرَجَتْ عَلَيَّ الدَّارِ وَاجْتَمَعَتَا إِلَى فِرَاشِي.

وَتَوَجَّهْتُ إِلَى حُجْرَتِهِ وَدَخَلْتُ، فَأَخْبَرَهَا مُسْرِعًا بِقُدُومِ الْفَتَاةِ وَأُمُّهَا، ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَتَفَادَى نَظْرَاتِ الْيَأْسِ الَّتِي رَمَتْهُ بِهَا: «وَسُنَافِرُ غَدًا، غَدًا...».

قَالَتْ: «أَنْتِ، أَنْتِ فَقَطْ!»

قال: «دعينا من هذا يا أنا».

- «أنت... أنت تُسافر، أما أنا، فلا...».

- «أنا...».

- «وستندم، ستندم... ولات ساعة ندامة».

واندفعت خارجة.

وصاح: «أنا...».

وهرع وراءها، لكنه توقّف ونكص، وصرف بأسنانه. وأنشأ يحدث نفسه: «إنها تهذّذني... ما هذا؟ ما هذا إلا الجحيم بعينه! لقد بذلت ما في وسعي، ولكنها لا تؤدّ أن تفهم، والشئ الوحيد الباقي هو الإغضاء».

وغادر البيت، وسمعت أنا صوت الباب يصفق وراءه، وهدير العربة وهي تتعدّد به. ونظرت من النافذة، فرأت رأسه الجميل المتعالي، وطوّحت بنفسها إلى الأرض معلّقة، وصاحت بصوت يذيب الجلمود: «يا إلهي! لقد ذهب! يا إلهي! لقد انتهى كل شيء».

ونَهَضت إلى النافذة ثانية، ثم اندفعت خارجة وصاحت بولء فيها تستدعي الخادم.

فلما هزول إليها، جلست إلى مائدة صغيرة، وكتبت: «أخطأت في حقك، فارجع، ارجع، فلدي ما أثبتك إياه. ارجع بحق السماء، فأنا خائفة!»

ثم ناولتها الرجل، وأمرته بأن يتعقب عربة فرونسكي ويعطيه الرُفعة.

ورجع الرجل بعد ساعة مطأطئ الرأس، وأعاد الورقة وهو يعتذر، فقد أخفق في مهمته، ولم يستطع أن يكتشف المكان الذي قصد إليه سيده.

كانت الشمس مشرقة تُرسل خيوطها المذهبة إلى الحجرات والغرف؛ لكن أنا شعرت بالبرودة، شعرت بجسدها يتجمد ويصبح مفرورا مثلوجا. شعرت بالنهاية.

لقد ذهب... ذهب إلى غير رجعة... أوه!

وَحَرَجَتْ، فَاسْتَقَلَّتِ الْعَرَبَةَ، وَأَمَرَتِ الْهُذَيَّ أَنْ يَسِيرَ مِنْ دُونِ أَنْ تَذْكُرَ لَهُ مَكَانًا مُعَيَّنًا .
ورأودتها فِكْرُهُ الْمَوْتِ ثَانِيَةً، وَنَقَمَتْ عَلَى نَفْسِهَا لِضَعْفِهَا وَخُنُوعِهَا، وَقَالَتْ: «أَنَا
الْمَلُومَةُ، لَقَدْ تَطَامَنْتُ^(١) كَثِيرًا وَاسْتَحْذَيْتُ».

وَفَكَّرَتْ بَعْتَهُ فِي فِرُونَسْكِ. إِنَّهُ مَقِيْتُ، إِنَّهُ كَرِيهُ. وَعَجِبَتْ كَيْفَ هَوِيَهُ قَلْبُهَا؛ لَكِنَّهَا
فَكَّرَتْ أَيْضًا فِي الْإِنْتِقَامِ مِنْهُ.

وصاحت بالهُذَيَّ أَنْ يَنْتَبِئَ إِلَى طَرِيقِ مَحَطَّةِ الْقِطَارَاتِ الْحَدِيدِيَّةِ. فَهِيَ تَكَادُ تُوقِنُ أَنَّ
ذَهَبَ لِيَزَارَةَ أُمَّهُ فِي الصَّوَاخِي؛ وَسَتَذْهَبُ وَرَاءَهُ، سَتَجْتَمِعُ إِلَيْهِ لِأَخْرِ مَرَّةً لِتُطْلِعَهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ، وَلِتُطْلِعَهُ أَيْضًا عَلَى قَرَارِهَا.

وعادت بعد قليل فأمرت الهُذَيَّ أَنْ يُعْرَجَ عَلَى الْبَيْتِ، فَقَدْ يَأْتِي قَبْلَ حُلُولِ الظَّلَامِ .
وعزمت على أَنْ تُنْفَذَ خُطَّتَهَا فِي اللَّيْلِ إِنْ لَمْ يُعُدْ. عَزَمَتْ أَنْ تَأْخُذَ قِطَارَ الثَّامِنَةِ الْعَائِدِ
إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي تَقُطُنُ فِيهَا أُمُّهُ.

وكانت تعلم أَنَّ هَذَا الْقِطَارَ يَصِلُ إِلَى مُوسْكَو ثُمَّ يَعُودُ مِنْ حَيْثُ أَتَى، وَلَعَلَّ فِرُونَسْكِ
يَأْتِي فِيهِ.

وَوَضَعَتْ بَعْضَ الْمَلَابِسِ فِي حَقِيْبَةٍ صَغِيرَةٍ، وَدَلَقَتْ إِلَى غُرْفَةِ الْمَائِدَةِ؛ لَكِنَّ رَائِحَةَ الطَّعَامِ
كَانَتْ كَافِيَةً لِجَعْلِهَا تَشْمِيْزٌ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ كُلِّهَا. وَأَنْطَلَقَتْ خَارِجَةً وَكَأَنَّهَا تَفِرُّ مِنْ خَطَرٍ أَوْ
كْرِيْهَةٍ.

وَوَطَفَتْ تَنْتَقِلُ فِي الْعُرْفِ الْأُخْرَى، وَهَبَطَتْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْحَدِيْقَةِ فِجَاسَتْ^(٢) خِلَالَهَا،
وَهِيَ مُسْتَعْرِفَةٌ فِي الْفِكْرِ. لَكِنَّ فِكْرَهَا كَانَ بِلاَ مَعْنَى، كَانَ فِكْرًا قَانِطًا، مُورِّعًا مُسْتَنَّا، لَا
يَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ، وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَى وَسِيلَةٍ أَوْ طَرِيقَةٍ أَوْ نَهْجٍ قَوِيْمٍ.

وَشَرَدَ طَرْفُهَا، وَأَنْفَرَجَتْ شَفَتَاهَا عَنِ ابْتِسَامَةِ مُسْتَسْلِمَةٍ رَاضِيْخَةٍ. لَقَدْ قَنِعَتْ. قَنِعَتْ. . .
لَقَدْ اضْحَتْ كَالْفَيْلَسُوفِ الْقَانِعِ.

وكانت تنتظر، تنتظر شيئًا . . .

(١) تَطَامَنْ: انْخَفَضَ.

(٢) جَاسَتْ خِلَالَ الْحَدِيْقَةِ: دَارَتْ فِيهَا، طَافَتْ فِيهَا.

وكانت لا تعلم ما هي في انتظاره...

وكانت لا تؤد أن تعلم.

لقد أسلمت أمرها إلى القدر،

ولم يعد لها في الوجود وجود.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَعُ لهذا الفصلِ عنوانًا مناسبًا .
- ٢ - هل ترى أنَّ عقدةَ الروايةِ بدأتْ تتلَمَّسُ طريقها إلى الحلِّ؟ هل توقَّعتَ هذا الحلَّ؟ وما هو؟
- ٣ - ما الذي غَيَّرَ مَجْرَى الأحداثِ في هذا الفصلِ؟
- ٤ - مِنْ أَيْنَ هَبَّتْ رياحُ الخطرِ على أنا كارنينا؟ وَمَنْ هي المنافسةُ المُحتملةُ؟
- ٥ - أما زالتْ غيرةُ أنا في هذا الفصلِ غيرةً طبيعيَّةً، أم تراها غَدَتْ حالةً مَرَضِيَّةً؟ علِّلْ ما تذهبُ إليه .
- ٦ - إلى أينَ قادتِ الغيرةُ أنا كارنينا؟
- ٧ - اربطُ، في أسطرٍ قليلةٍ، بينَ أحداثِ القسمِ الرَّابِعِ مِنَ الروايةِ .

الخاتمة

حَبَّتِ الْخَيْلُ الْمُطَهَّمَةُ^(١)، وَأَسَابَتِ الْعَرَبُ وَرَاءَهَا بِتَمَايِلٍ وَرَجَحَانٍ. وَلَوْ كَانَ لِلْقُنُوطِ
وَزْنٌ، لَعَجَزَتِ الْخَيْلُ عَنِ السَّيْرِ، وَلِحُطْمَتِ الْعَرَبِ شَرَّ تَحْطِيمٍ مِنْ كَثْرَةِ مَا جَلَبَتْهُ أَنَا مِنْ يَأْسٍ
وَمِنْ قُنُوطٍ!

إِنْسَابَتِ الْعَرَبُ الْمُحَمَّلَةُ يَأْسًا، وَطَفَقَتِ الْوَالِيَةُ الْمُضْنَاءُ تَهَجِسُ وَتَقُولُ: «فِيمَ فَكَّرْتُ مُنْذُ
سَاعَةٍ؟ فِي الْمُرَيْنِ؟ فِي شَعْرِي؟ فِي الْخَادِمِ؟ فِي فَرُونْسِكِي؟ فِيمَ فَكَّرْتُ؟»

وَلَمَحَتْ شُرْطِيًّا يَجُرُّ رَجُلًا تِمْلًا مُضَيِّعَ الْحَوَاسِّ، فَقَالَتْ: «إِنَّهُ أَبْرَعُ مِنَّا! لَقَدْ اكْتَشَفَ
الْعِلَاجَ، أَمَا أَنَا وَالْكُونْتُ فَرُونْسِكِي فَلَمْ نَهْتَدِ إِلَى السَّعَادَةِ الَّتِي اهْتَدَى إِلَيْهَا الرَّجُلُ».

وَتَأَمَّلْتُ فِي عِلَاقَتِهَا بِهِ مُنْذُ الْبَدْءِ. مَاذَا طَلَبَ؟ وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ سَعَى؟

وَتَسَاءَلْتُ: «أَجَلٌ، مَاذَا أَرَادَ مِنِّي؟ لِمَ يُرِيدُ الْحُبَّ بِقَدْرِ مَا أَرَادَ إِشْبَاعَ الْغُرُورِ. أَجَلٌ إِنَّ
نَظَرَتُهُ كَانَتْ تَشِي بِهِ، كَانَ يَنْظُرُ نَظْرَةَ الرَّجُلِ الْمُتَّصِرِ الَّذِي ظَفِرَ بِأُمْنِيَّتِهِ. لَقَدْ أَحْبَبَنِي، لَكِنَّ
غُرُورَهُ كَانَ أَعْظَمَ مِنْ غَرَامِيهِ. وَقَدْ طَالَمَا فَخَرَ بِعِلَاقَتِي بِي. وَلَمَّا انْطَفَأَتْ جَذْوَةُ حِمَاسَتِهِ لَمْ
يَعُدْ هُنَاكَ مَا يَفْخَرُ بِهِ، بَلْ مَا يَنْدَى لَهُ جَبِينُهُ خَجَلًا. لَقَدْ أَخَذَ مِنِّي أَقْصَى مَا يَسْتَطِيعُ أَخْذَهُ،
حَتَّى أَصْبَحْتُ الْآنَ عَدِيمَةَ النَّفْعِ لَهُ! لَقَدْ سَمِعْتَنِي، لَكِنَّهُ يَبْذُلُ وَشَعُهُ حَتَّى لَا يَفْضَحَ مَلَلَهُ
أَمَامِي، فَيُكَدِّرْنِي وَيُشْقِيَنِي. وَمَتَى ذَهَبْتُ مِنْ حَيَاتِهِ اسْتَعَادَ سَعَادَتَهُ. إِنَّنِي أَرَى ذَلِكَ وَاضِحًا
فِي نَظَرَتِهِ، إِنَّهُ شَقِيٌّ مَعِي، لَكِنَّهُ لَا يَعْتَرِفُ بِشِقَائِهِ».

وَزَفَرْتُ زَفْرَةً مُحْرِقَةً، وَمَضْتُ فِي مُنَاجَاتِهَا الْبَائِسَةِ: «وَحُبِّي... حُبِّي يَزْدَادُ مَعَ الْأَيَّامِ
لَهِيًّا؛ أَمَا حُبُّهُ فَيَتَعَثَّرُ وَيَتَرْتَحُّ وَيَلْفِظُ أَنْفَاسَهُ! إِنَّنِي أُرِيدُهُ، أُرِيدُهُ لِي وَخَدِي، وَهُوَ يَذْهَبُ
وَيَبْتَعِدُ وَيَزُولُ، أَوْهَ! أَوْهَ! وَلَوْ سَلَّمْنَا بِأَنَّ زَوْجِي أَطْلَقَ لِي حُرِّيَّتِي فَتَزَوَّجْتُ فَرُونْسِكِي، لَوْ

(١) الْخَيْلُ الْمُطَهَّمَةُ: الثَّامَّةُ الْحُسْنَى.

سَلَّمْنَا جَدَلًا بَأْتِي تَرَوِّجْتُهُ فَهَلْ تَتَغَيَّرُ نَظْرَةُ النَّاسِ إِلَيَّ؟ هَلْ يَتَبَدَّلُ احْتِقَارُهُمْ إِلَيَّ إِلَى اخْتِرَامٍ، وَزِيَارَتِهِمْ إِلَيَّ إِجْلَالًا! كَلَّا... كَلَّا... كُلُّ شَيْءٍ سَيَظَلُّ عَلَى مَا هُوَ، كُلُّ شَيْءٍ، حَتَّى شُجَارِي مَعَ فَرُونَسْكِ، وَحَتَّى غَيْرَتِي مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ تَعْتَرِضُ طَرِيقِي».

وَتَبَهَّتْ إِلَى صَوْتِ الْحُوزِيِّ يُنْبِئُهَا بِالْوُصُولِ إِلَى الْمَحْطَةِ، فَتَرَجَّلَتْ مُسْرِعَةً، وَتَلَفَّتْ حَوْلَهَا، ثُمَّ ابْتَاعَتْ بِطَاقَةً وَدَلَّتْ إِلَى الْقِطَارِ.

وَزَعَقَ الْقِطَارُ بِصَفِيرِ ثَاقِبٍ، وَفَحَّ الْبُخَارُ فَحِيحًا شَدِيدًا، وَاخْتَكَّ الْحَدِيدُ بِيَعْضِهِ، وَصَلَّصَتِ السَّلَاسِلُ، وَرَسَمَ مُسَافِرٌ يَجْلِسُ فِي الْكُرْسِيِّ الْمُقَابِلِ لِكُرْسِيِّهَا عَلَامَةَ الصَّلِيبِ عَلَى وَجْهِهِ، فَحَدَجَتْهُ بِنَظْرَةٍ غَاضِيَةٍ، وَوَدَّتْ لَوْ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَسْأَلَهُ عَنْ مَعْنَى هَذِهِ الْحَرَكَةِ فِي هَذَا الْوَقْتِ. وَلَكِنَّهَا تَمَالَكَتْ نَفْسَهَا، وَضَبَطَتْ مَشَاعِرَهَا، وَأَشَاحَتْ عَنِ الرَّجُلِ وَجْهًا مُقَطَّبًا مَكْدُودًا، رَسَمَ عَلَيْهِ الْهَمُّ أَحَادِيدَهُ وَخُطُوطَهُ، حَتَّى بَدَتْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ كَأَنَّهَا امْرَأَةٌ أَهْرَمَتْهَا السَّنُونَ الْكَثِيرَةُ، وَفَتَّتْ فِي عَضْدِهَا، وَلَمْ تُبْقِ مِنْهَا إِلَّا شَبَحَ إِنْسَانٍ.

وَشُرْعَانَ مَا نَسِيَتْ أَنَّهَا تَجْلِسُ مَعَ آخَرِينَ، وَلَمْ تَعُدْ تَشْعُرُ بِوُجُودِ أَحَدٍ، وَحَلَقَتْ ثَانِيَةً فِي فِضَاءِ الْفِكْرِ: «فِيمَ كُنْتُ أَفْكَرُ؟ أَوْ، وَصَلْتُ إِلَى نُقْطَةٍ اِكْتَشَفْتُ مَعَهَا أَنِّي تَعِيسَةٌ شَقِيَّةٌ، إِلَّا أَنَّنَا جَمِيعًا خُلِقْنَا لِنَكُونَ نُعَسَاءَ أَشْقِيَاءَ، وَإِنَّا نَعْلَمُ ذَلِكَ جَيِّدًا، لَكِنَّا نَخْتَرُ الْوَسَائِلَ وَنَسْتَنْبِطُ الْحَيْلَ لِنَخْدَعَ أَنْفُسَنَا وَنَخْدَعُ سِوَانَا مِنَ الْخَلْقِ، عَلَى أَنَّ الْمَرْءَ مَتَى رَأَى الْحَقِيقَةَ، وَمَتَى عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ، كَانَ عَلَيْهِ أَنْ... عَلَيْهِ أَنْ...».

وَقَالَتْ امْرَأَةٌ لَرَفِيقِهَا: «وَلِهَذَا السَّبَبِ أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ عَقْلًا، أُعْطِيَ الْعَقْلَ لِيَتَدَبَّرَ بِهِ أَمْرَهُ، وَلِيُعَالِجَ شُؤْنَهُ، وَلِيَحُلَّ عَقْدَهُ».

وَشُدِّهَتْ أَنَا، هَلِ اسْتَطَعْتِ الْمَرْأَةُ دَخِيلَتَهَا، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَرُدَّ عَلَى فِكْرِهَا؟

وَهَزَّتْ رَأْسَهَا، وَغَمَمَتْ: «لَا مَنْدُوحَةَ لِي عَنِ الْفِرَارِ... الْفِرَارِ... الْفِرَارِ مِنْ شَيْءٍ

مَقِيَّتٍ، رَهِيْبٍ، مُرِيْعٍ!»

وَوَصَلَ الْقِطَارُ إِلَى الْقَرْيَةِ، وَخَفَّتْ سُرْعَتُهُ، فَهَضَّتْ أَنَا وَمَشَتْ مُسْرِعَةً ثُمَّ تَرَجَّلَتْ، وَابْتَعَدَتْ عَنِ الرَّحْمَةِ، وَكَأَنَّهَا تَبْتَعُدُ عَنِ قَوْمٍ حَلَّ بِهِمُ الْوَبَاءُ.

وَتَسَاءَلَتْ مَبْهُوتَةً عَنِ سَبَبِ مَجِيئِهَا، وَنَظَرَتْ مُتَذَمِّرَةً إِلَى النَّاسِ الْمُهْزُولِينَ هُنَا وَهُنَاكَ، وَغَضِبَتْ. مَا بِالْهَمِّ لَا يَبْرُكُونَهَا وَشَأْنُهَا؟ لِمَ لَا يَتَّبِعُونَ؟ لَا يَذْهَبُونَ؟ أَلَا يَحِقُّ لَهَا أَنْ تَنْعَمَ قَلِيلًا بِالْوَحْدَةِ؟

وَتَذَكَّرَتْ بَعْتَهُ أَنَّهَا ذَاهِبَةٌ لِتَرَى فِرُونْسِكِي فِي مَنْزِلِ أُمِّهِ، فَاسْتَوْفَقَتْ حَمَالًا، وَقَالَتْ تَسْأَلُهُ: «أَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ مِنْ لَدُنِ الْكُونْتِ فِرُونْسِكِي، رَسُولًا، خَادِمًا، يَحْمِلُ رُقْعَةً لِي؟» فَأَجَابَهَا الرَّجُلُ وَهُوَ يُصْعَدُ فِيهَا طَرْفَهُ: «الْكُونْتُ فِرُونْسِكِي؟ لَقَدْ أُرْسِلَ مُنْذُ لِحْظَاتِ عَرَبَتِهِ لِمُلَاقَاةِ الْأَمِيرَةِ سُوْرُوْكَيْنَ وَكَرِيمَتِهَا».

فَقَالَتْ: وَمَنْ جَاءَ بِالْعَرَبِيَّةِ؟ مِنَ الْهُودِيِّ؟ أَتَعْرِفُهَا؟

وَبَدَأَ لَهَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ وَجْهَ رَجُلٍ تَعْرِفُهُ جَيِّدًا. إِنَّهُ مِيهَائِيلُ الْهُودِيُّ، إِنَّهُ الْهُودِيُّ الَّذِي أَقْلَمَهَا مِرَارًا فِي عَرَبَتِهِ.

وَاسْوَدَّتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهَا، وَغَامَ نَظَرُهَا، وَاقْشَعَرَ جَسَدُهَا، وَقَالَتْ: «لَنْ أَدْعَاكَ تَسْتَمِرُّ فِي تَعْذِيبِي، لَنْ أَسْمَحَ لَكَ بِأَنْ تُوَاصِلَ التَّنْكِيلَ بِي».

وَلَمْ يَكُنْ كَلَامُهَا مُوجَّهًا إِلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، لَمْ يَكُنْ مُوجَّهًا إِلَى إِنْسَانٍ، بَلْ إِلَى الْقُوَّةِ الْغَاشِمَةِ الَّتِي كَالَتْ لَهَا الْأَلَمَ وَالْعَذَابَ. وَمَشَتْ عَلَى الرَّصِيفِ.

وَرَأَتْهَا خَادِمَتَانِ، فَتَلَفَّتَا وَحَدَّقَتَا إِلَى مَلَابِسِهَا، وَقَالَتْ وَاحِدَةٌ لِلْآخَرَى: «بَارِعَةُ الْجَمَالِ! إِنَّهَا حَسَنَاءُ أَيْقَنَّةٌ، وَلَنْ يَبْرُكَهَا الرَّجَالُ بِسَلَامٍ».

وَدَنَا مِنْهَا نَاطِرُ الْمَحْطَةِ، وَسَأَلَهَا مُسْتَفْسِرًا عَنِ وُجْهِتِهَا.

وَرَكَّضَ نَحْوَهَا صَبِيًّا فَبَاعَهَا شَيْئًا.

وَهْتَمَّتْ بِمَرَارَةٍ: «يَا إِلَهِي! إِلَى أَيْنَ؟ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟»

وَاسْتَمَرَّتْ تَمْشِي إِلَى الْأَمَامِ، وَاسْتَمَرَّتْ تَتَقَدَّمُ. وَتَوَفَّقَتْ فِي نِهَائِهِ الرَّصِيفِ.

وَحَدَّقَ إِلَيْهَا قَوْمٌ مِنَ الْمُسَافِرِينَ، وَتَهَامَسُوا، فَسَارَعَتْ مُبْتَعِدَةً وَلَمْ تَلْتَفِتْ. وَسَمِعَتْ صَوْتَ قِطَارٍ آتٍ مِنْ بَعِيدٍ، وَعَلِمَتْ مِنْ هَدِيرِ آتِيهِ أَنَّهُ قِطَارُ الْبِضَائِعِ الْمُتَّجِهَةِ إِلَى مُوسْكُو.

وَتَرَاءَى لَهَا بَعْتَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي سَحَقْتَهُ عَجَلَاتُ الْقِطَارِ فِي أَوَّلِ لِقَاءِ لَهَا مَعَ فِرُونْسِكِي، وَعَلِمَتْ فِي مِثْلِ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَفَتْحَتِهَا مَا يَجْدُرُ بِهَا أَنْ تَفْعَلَ.

وَبخُطَى مُسرِعَةٍ هَبَطَتْ مِنَ الرَّصِيفِ إِلَى الخَطِّ الحَدِيدِيِّ، وَوَجَّهَتْ القِطَارَ القَادِمَ.
وطففت تنظرُ إلى الجزء المنخفض من العربات، وتتأمل في المسامير والسلاسل،
وتحدق إلى العجلات الحديدية المُقترَبة ببطء، وكأنها تحاول أن تقيس بنظرها المسافة بين
العجلة والعجلة.

وهتفت: «هناك... هناك... في الوسط... النهاية في الوسط! سأعاقبه، سأطعنه
الطعنة النجلاء التي لم يحدثها... سأفر من الجميع... سأفر من نفسي».
وتطلعت إلى السماء، ثم إلى الأرض، وأنت.

وحاولت أن تلقى بنفسها تحت عجلات العربى الأولى، لكن حقيبتها عاقبتها، فطوّحت
بها غاضبة، وانتظرت مرور العربى الثانية.

وانتابها شعورٌ عجيبٌ، شعرت بمثل ما شعرت به يوم أقدمت على القفز من شاهق إلى
اليم في يوم مضى، ورفعت يدها فرسمت على وجهها علامة الصليب.

وأرجعتها هذه الحركة سينين إلى الوراء، فرأت نفسها طفلة لعوباً. وتمزق فجأة ستار
الظلام الكثيف الذي حجب عنها كل شيء، وسطعت لها الحياة بعته بكل مبهجها ومتعها.

بيد أنها ظلت تحدق إلى العجلات المُقترَبة. وما كادت العجلات تصل إلى مُحاذاتها،
وما كادت تبصر بالفراغ الذي يفصل بين العجلة الأولى وما يليها، حتى غيبت عنقها في
كتفيها وارتمت على يدها تحت العربى.

وفي تلك اللحظة الخاطفة نفسها أصابها رعب رهيب مما أقدمت عليه...

«أين أنا؟»

وماذا أفعل؟

ولماذا أفعل هذا؟»

وحاولت أن تتراجع. حاولت أن تتفادى أمراً، إلا أن شيئاً ضخماً لا يرحم صدمها في

رَأْسِهَا، وَأَلْقَاهَا عَلَى ظَهْرِهَا .

وَشَعَرَتْ بِعُقْمِ الْمُحَاوَلَةِ، شَعَرَتْ بِالنِّهَايَةِ، فَصَاحَتْ: «رَبِّي اغْفِرْ لِي! اغْفِرْ لِي!»
وَتَوَهَّجَ النُّورُ الَّذِي قَرَأَتْ مِنْ خِلَالِهِ أَشْطَرُ الْحَيَاةِ، سَاطِعًا بَاهِرًا. تَوَهَّجَ النُّورُ الْمُفْعَمُ
بِالْمَتَاعِ، وَالزَّيْفِ، وَالْأَحْزَانِ، وَالشُّرُورِ. تَوَهَّجَ هَذَا النُّورُ كَمَا لَمْ يَتَوَهَّجْ مِنْ قَبْلُ، وَأَضَاءَ
أَيَّا كُلِّ مَا اكْتَنَفَهُ الظَّلَامُ. وَمَا لَبِثَ أَنْ اخْتَلَجَ اخْتِلَاجَ الْمَوْتِ، وَتَضَاءَلَ، وَتَضَاءَلَ حَتَّى
خَمَدَ إِلَى الْأَبَدِ.

أسئلة تحليلية

- ١ - ضَعُ لِلخاتِمةِ عُنوانًا مُناسِبًا .
- ٢ - نَحالُ أَنَّكَ حَمَمْتَ النِّهايةَ حينَ سُئِلْتَ عنها في الفَصْلِ الأخيرِ، والآنَ وقد رَأَيْتَها وَعَرَفْتِها: هَلْ أَعْجَبْتِكَ؟ أَكانَتْ أَنَا تَسْتَحِقُّ هَذِهِ النِّهايةَ؟ أَكانَ النَّاسُ وِراءَ مَصيرِ أَنَا؟ أَكانَتْ هَذِهِ النِّهايةُ عِقابَ السَّماءِ؟ أَترى أَنَّ أَنَا كانَتْ تُعاقِبُ فِرونسكي أم تُعاقِبُ نَفْسَها؟ وهَلْ تَرى أَنَّها تَحَدَّثُ المُجتمَعَ والأَعِرافَ والقَوانينَ بِمَوْتِها؟ عِلِّلْ إِجاباتِكَ .
- ٣ - أَمَّا وَقَدِ انْتَهَتِ الرِّوايةُ وَلَقِيتُ أَنَا كارنينا مَصيرَها المَحْتومَ فيما كانَ فِرونسكي يُعِدُّ لِمَشروعِ زِواجِهِ، فَهَلْ تَرى أَنَّ حُبَّ فِرونسكي لَأَنَّا كانَ مِنْذُ البِدايةِ حُبًّا حَقِيقِيًّا أَوْ كانَ نِزوةً عابِرةً؟ عِلِّلْ ما تَدُهَبُ إِليه .
- ٤ - أَكانَ يُمكِنُ لِمَسارِ الرِّوايةِ أَنْ يَذهَبَ في غَيرِ هَذا الاتِّجاهِ لو لَم تَظَهَرَ الأَميرَةُ سوروكين؟ وَكِيفَ؟
- ٥ - أَترى أَنَّهُ كانَ بِمَقْدورِ أَنَا تَلافي هَذِهِ النِّهايةَ والاحتِفاظَ بِفِرونسكي عَشيقًا في آنٍ مَعًا؟ وَكِيفَ ذَلكَ؟
- ٦ - لَخُصِّنْ نِهايةَ الرِّوايةِ بِحِكمَةٍ أَوْ قَوْلٍ مَأثورٍ .

أَسْئَلَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ عَامَّةٌ

أَوَّلًا - الْحَدَثُ

- ١ - أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْأَحْدَاثِ (اجْتِمَاعِيَّة، سِيَاسِيَّة، اقْتِصَادِيَّة، تَارِيخِيَّة...) حَرَكَ الْكَاتِبَ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ؟
- ٢ - مَا الْمِحْوَرُ الْأَسَاسُ الَّذِي كَانَ قُطْبَ الْأَحْدَاثِ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ؟
- ٣ - هَلْ تَرَى أَنَّ حَدَثًا كَهَذَا (الْحَدَثِ الْمِحْوَرِ) يُمَكِّنُ أَنْ يَقَعَ فِي الْمُجْتَمَعِ؟ وَلِمَاذَا؟
- ٤ - مَا الْأَحْدَاثُ الثَّانَوِيَّةُ الَّتِي رَافَقَتِ الْحَدَثَ الْمِحْوَرِ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ؟
- ٥ - مَا دَوْرُ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الثَّانَوِيَّةِ فِي سَيْرَوْرَةِ الرَّوَايَةِ؟ وَهَلْ وَجَدْتَ أَنَّ بَعْضَهَا لَا يَلْزِمُ لِهَذِهِ السَّيْرَوْرَةِ؟ مَا هُوَ؟ وَكَيْفَ؟
- ٦ - هَلْ تَرَى أَنَّ أَحْدَاثًا ثَانَوِيَّةً كَهَذِهِ مُمَكِّنَةُ الْوُقُوعِ فِي الْمُجْتَمَعِ؟ وَلِمَاذَا؟
- ٧ - هَلْ بَدَأَ لَكَ الْكَاتِبُ مَوْفَقًا فِي الْإِمْسَاكِ بِدَقَّةٍ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ جَمِيعًا؟ وَهَلْ اسْتَطَاعَ مِنْ خِلَالِهَا أَنْ يَعْقِدَ حَبَكَةَ الرَّوَايَةِ لِيَصِلَ إِلَى أَهْدَافِهِ؟ أَوْضِحْ مَا تَذَهَبُ إِلَيْهِ.
- ٨ - هَلْ أَفْنَعْتِكَ سَيْرَوْرَةُ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ؟ عِلَّلْ رَأْيَكَ.
- ٩ - هَلْ رَأَيْتَ نِهَآيَةَ الْأَحْدَاثِ مُفْنَعَةً؟ عِلَّلْ مَا تَذَهَبُ إِلَيْهِ.

ثَانِيًا - الْهَدَفُ

- ١ - لِكُلِّ عَمَلٍ رَوَائِيٍّ هَدَفٌ. فَمَا الْهَدَفُ الَّذِي رَمَى إِلَيْهِ الْكَاتِبُ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ؟
- ٢ - مَا دَوَافِعُهُ إِلَيْهِ؟ أَتَرَاهَا فِي الطَّبَقِيَّةِ وَتَفَكُّكِ أَوْاصِرِ الْأُسْرَةِ فِي مُجْتَمَعِ النَّبَلَاءِ الرُّوسِ يَوْمَئِذٍ، أَمْ تَرَاهَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ؟ عِلَّلْ مَا تَذَهَبُ إِلَيْهِ.
- ٣ - أَتَرَاهُ هَدَفًا إِصْلَاحِيًّا بِنَاءً أَمْ هَدَفًا ثَوْرِيًّا هَدَامًا؟
- ٤ - أَتَرَى أَنَّ هَدَفَ الْكَاتِبِ يَسْتَحِقُّ هَذَا الْعَمَلَ الرَّوَائِيَّ الْمُطَوَّلَ؟ وَلِمَاذَا؟
- ٥ - أَتَرَى هُنَالِكَ أَهْدَافًا أُخْرَى قَدْ أَلْمَحَ إِلَيْهَا الْكَاتِبُ؟ وَمَا هِيَ؟

ثالثًا - الشَّخصِيَّات

- ١ - في الرواية عَدَدٌ مِنَ الشَّخصِيَّاتِ . أَيُّ مِنْهَا هي الشَّخصِيَّةُ المِحورِيَّةُ؟
- ٢ - الشَّخصِيَّاتُ الأخرى شَخْصِيَّاتٌ مُسَاعِدَةٌ . رَبِّهَا بِحَسَبِ أَهْمِيَّتِهَا فِي حَبْكَةِ الرِّوَايَةِ .
- ٣ - رَسَمَ الكَاتِبُ شَخْصِيَّاتٍ رِوَايَةٍ مِنَ الدَّاخلِ وَحَلَّلَ نَفْسِيَّاتٍ بَعْضِهَا ، فاعْتَمَدَ حِينًا عَلَى الوَصْفِ المُبَاشِرِ ، وَحِينًا عَلَى التَّمثِيلِ (نَقْصِدُ بِالتَّمثِيلِ أَنْ تَتَحَدَّثَ الشَّخصِيَّةُ عَنْ نَفْسِهَا فِي مُنَاجَاةٍ دَاخلِيَّةٍ أَوْ يَتَحَدَّثَ غَيْرُهَا عَنْهَا فِي جِوَارٍ) . هَاتِ مِنَ الرِّوَايَةِ مِثَالًا لِكُلِّ مِنَ هَاتَيْنِ الطَّرِيقَتَيْنِ .
- ٤ - لَخُصْ ، فِي قَلِيلٍ مِنَ الأَسْطُرِ ، المُمَيَّزَاتِ النَّفْسِيَّةَ لِكُلِّ مِنَ الشَّخصِيَّاتِ التَّالِيَةِ : أَنَا كَارِنِينَا ، أَلِكْسِي فِرُونْسِكِي ، أَلِكْسيس كَارِنِين ، سَتيفَان أُولِنْسِكِي ، كَاترِين ، دَارِيَا ، لِيْفِين ، بَتْسِي .
- ٥ - لِمَ جَعَلَ الكَاتِبُ أَنَا كَارِنِينَا بَارِعَةً الجَمَالِ وَشَخْصِيَّةً فِدَّةً فِي ذَكَائِهَا وَأَنَاقَتِهَا؟ وَلِمَ جَعَلَ فِرُونْسِكِي كَذَلِكَ؟
- ٦ - لِمَ تَعَمَّدَ الكَاتِبُ أَنْ يَجْعَلَ كَارِنِين قَبِيحَ الهَيْئَةِ مُنْقَرًا؟
- ٧ - أَتَرَى أَنَّ شَخْصِيَّةَ أَنَا كَارِنِينَا تَسْتَدِيرُ عَطْفَكَ ، أَمْ تُوَلِّدُ لَدَيْكَ شُعورًا بِوُجُوبِ إِدَانَتِهَا؟ عَلِّمَ مَا تَذَهَبُ إِلَيْهِ .
- ٨ - كَيْفَ اسْتَطَاعَ فِرُونْسِكِي أَنْ يوقِظَ فِي أَنَا مِشَاعَرَ الحُبِّ الجَارِفِ؟ تُرَى أَكَانَ هَذَا شُعورًا مَكْبُوتًا فِي نَفْسِهَا رَفَعَ عَنْهُ فِرُونْسِكِي القِشْرَةَ الَّتِي تُغْلَفُهُ ، أَمْ إِنَّ لَكَ رَأْيًا آخَرَ؟ عَلِّمَ مَا تَذَهَبُ إِلَيْهِ .
- ٩ - غَالِبًا مَا يَقُومُ الصَّرَاعُ فِي العَمَلِ الرِّوَايِيِّ بَيْنَ شَخْصِيَّتَيْنِ؟ فَمَنْ هُمَا هَاتَانِ الشَّخصِيَّتَانِ فِي الرِّوَايَةِ هَذِهِ؟ وَمَاذَا تُمَثِّلُ كُلُّ مِنْهُمَا؟
- ١٠ - أَكَانَتِ الشَّخصِيَّاتُ الَّتِي دَرَسْتَ مُقْبَعَةً فِي أَقْوَالِهَا وَأَفْعَالِهَا ، أَمْ كَانَ لَكَ عَلَيْهَا مَاخِذٌ؟ وَمَا هِيَ؟ أَوْضِحْ مَا تَذَهَبُ إِلَيْهِ بِالحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ .
- ١١ - مَا الَّذِي يُعْجِبُ المَرْءَ فِي شَخْصِيَّةِ أَلِكْسيس كَارِنِين؟ وَمَا الَّذِي لَا يُعْجِبُهُ؟ وَهَلْ تَرَى فِي الرَّجُلِ صِفَاتِ الرِّوَجِ المِثَالِيِّ؟
- ١٢ - هَلْ وَقَعَتْ فِي شَخْصِيَّةِ كَارِنِين عَلَى قِيَمٍ رُوحِيَّةٍ مُسْتَمَدَّةٍ مِنَ الكِتَابِ المُقَدَّسِ؟ مَا هِيَ؟
- ١٣ - هَلْ وَقَعَتْ فِي شَخْصِيَّةِ أَنَا كَارِنِينَا عَلَى تَنَاقُضٍ مَا؟ وَمَا هُوَ؟
- ١٤ - مَا المَشْهُدُ الفَاجِعُ الَّذِي ظَلَّ يَحْفِرُ فِي ذَاكِرَةِ أَنَا مِنْذُ بَدْءِ الحَبْكَةِ فِي مَطْلَعِ الرِّوَايَةِ حَتَّى

رابعًا - بيئة الرواية

- ١ - في أيّ بيئة اجتماعية أجرى الكاتب أحداث روايته؟
- ٢ - هل تراه كان راضيًا عن هذا المجتمع؟ علّل إجابتك بأدلة من الرواية.
- ٣ - لم يُذكر من أبناء الشعب في سياق الرواية غير الخادم والحوذي والبستاني والمربية. فلماذا؟ وهل ترى في هذا عيبًا من عيوب الرواية؟
- ٤ - لم عيّب الكاتب الطبقات الاجتماعية الأخرى؟ أليس هذا نقصًا في رواية كهذه؟ علّل ما تذهب إليه.
- ٥ - في مجتمع «أنا كارنينا» ذكّر لألقاب شاع استعمالها بين عليّة القوم في الغرب. عدّها وصفتها.
- ٦ - هل رأيت للبيئة الطبيعية دورًا في مجرى أحداث هذه الرواية؟ ولماذا؟

خامسًا - اللغة والأسلوب

- ١ - علام اعتمد الكاتب في عرض أحداث الرواية؟
- ٢ - أيّ الطريقتين اعتمد الكاتب في عرض أحداث الرواية؟ أ طريقة السرد التاريخي أم طريقة السيرة الذاتية؟ وأيّ الطريقتين تفضل؟ هل قرأت قصة بُنيث على طريقة السيرة الذاتية (اعتماد ضمير المتكلم)؟ ما هي؟
- ٣ - أكان السرد بلغة سهلة مأنوسة، أم كان فيه صعوبة ومعاظلة؟ اذكر مثالًا لما تذهب إليه.
- ٤ - هل أدى الحوار غرضه؟ هل طوّر الأحداث؟ هل رسّم الشخصيات؟ هل كان مطابقًا لشخصية المتكلم؟ هل أفحم فيه الكاتب نفسه فجاء مخالفًا لواقع الحال؟ هات أمثلة لما تذهب إليه.
- ٥ - هل كانت المناجاة موفقة في الكشف عن الواقع النفسي لبعض الشخصيات؟ وهل استطاعت المناجاة أن تؤثر في توجيه الحدث؟ علّل ما تذهب إليه.
- ٦ - هل أنطق الكاتب كل شخصيّة لغتها؟ وكيف؟
- ٧ - هل أفحم تولستوي نفسه واعظًا القارئ أو مُعلقًا على الأحداث في الرواية؟ وما تفسير ذلك؟